

حاشية العلامة الصاوي

على تفسير الجلالين

جلال الدين السيوطي
(ت: ٩١١هـ)

جلال الدين المحلي
(ت: ٨٦٤هـ)

تأليف
العالم العلامة القاري بالله تعالى
الشيخ أحمد بن محمد الصاوي الحلوتي
(١١٧٥ - ١٢٤١هـ)

مُقيَّمٌ عَلَى نَسْخِ مَطْبَعَةِ نَفِيسَةٍ
وَمَطْبَعَةِ قَدِيمَةِ سَلِيمَةٍ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالْبَدِيلِ

سُورَةُ الْحَشْرِ - سُورَةُ النَّاسِ
مَرْعَى حَسَنِ الرَّشِيدِ
رَاجِعًا وَقَدَّمَ لَهَا
الدُّكْتُورُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْحُسَيْنِ

الجزء السابع
سُورَةُ الْحَشْرِ - سُورَةُ النَّاسِ

لَا تُحَقِّقُوا الْكُتُبَ
لَا تُبَايِعُوا النَّاسَ عَلَى الْبُيُوتِ

حاشية العلامة الصاوي

على

تفسير الجلالين

دار تحقّق الكتاب

Title: Hāshiyat al-Şāwī 'alá Tafsīr
al-Jalālayn

Autor: Aḥmad Şāwī, Ġalāl-ad-Dīn
Maḥallī, Ġalāl-ad-Dīn Suyūṭī,

Editor: Mar'ī al-Rashīd

Publisher: Dar Tahkik Al Kitab

Pages: 573 (vol.7)

Year: 2024

Printed in: Lebanon

Edition: 1

الكتاب: حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين.
المؤلف: أحمد الصاوي، جلال الدين المحلي، جلال
الدين السيوطي.

تحقيق: مرعي الرشيد

الناشر: دار تحقيق الكتاب

عدد الصفحات: 573 (المجلد السابع)

سنة الطباعة: 2024

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى (لونان، ورق شاموا)

©Yayın Hakları DAR TAHKİK AL KİTAB 'a Aittir.

Bu kitabın her türlü yayın hakları Fikir ve Sanat Eserleri Yasası gereğince Dar Tahkik Al Kitab'a aittir.
Dar Tahkik Al Kitab'ın yazılı izni olmadan bu kitabın hiçbir bölümü kopyalanamaz ya da yeniden
üretim sistemine dâhil edilemez(elektronik, fotokopi vd.).

All Rights Reserved. Published by DAR TAHKİK AL KİTAB

No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any
form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without
written permission of the publisher.

دار تحقّق الكتاب

جميع الحقوق الملكية والفكرية محفوظة لـ دار تحقّق الكتاب
يمنع طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو
إدخاله على الحاسب أو نسخه على اسطوانات ليزرية إلا بموافقة الناشر خطياً.

مؤسسة محمد نوري ناصح

MEHMET NURI NAS

PUBLISHER OF ISLAMIC BOOKS

1948

ISBN 978-9933-638-15-3



9 789933 638153

DAR TAHKİK AL KİTAB

Büyük Reşit Paşa Caddesi Yümnî İş Merkezi

No:16/B D:8 Vezneciler/Fatih/İstanbul/Turkey ☎ : +9 (0212)5190979

Merkez :1.Cadde No:66 MİDYAT/MARDİN ☎ : +9 (0482)4622775

www. tahkikalkitab.com

✉ : info@tahkikalkitab.com



Dar Tahkik Al Kitab, Nursabah Yayıncılık

Matbaacılık Ltd.Şti'nin Tescilli Markasıdır

دار تحقّق الكتاب هي دار تابعة لمؤسسة دار نور الصباح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾



مدينة، أربع وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: نَزَّهَهُ، فَالْأَمُّ مَزِيدَةٌ، وَفِي الْإِتْيَانِ

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْحَشْرِ

وُتُسَمَّى سُورَةُ النَّصِيرِ.

قوله: (مدينة) أي: في قول الجميع، روى ابن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَشْرِ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ، وَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالْهَوَامِّ وَالرِّيحِ وَالسَّحَابِ وَالطَّيْرِ وَالْدَّوَابِّ وَالشَّجَرِ وَالْجِبَالِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْمَلَائِكَةُ.. إِلَّا صَلَّوْا عَلَيْهِ، وَاسْتَغْفَرُوا لَهُ، فَإِنْ مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ.. مَاتَ شَهِيداً»^(١).

وروى الترمذي عن معقل بن يسار: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ.. وَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ.. مَاتَ شَهِيداً، وَمَنْ قَرَأَهَا حِينَ يُمْسِي.. فَكَذَلِكَ»^(٢).

قوله: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ قال المفسرون: نزلت في بني النضير، وذلك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فِي مَبَادِيِّ الْهَجْرَةِ، صَالِحُهُ بَنُو النَّضِيرِ عَلَى أَلَّا يَكُونُوا عَلَيْهِ وَلَا مَعَهُ، فَلَمَّا غَزَا بَدْرًا، وَظَهَرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ.. قَالُوا: هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي نَعْتَهُ فِي التَّوْرَةِ، لَا تُرَدُّ لَهُ رَايَةٌ،

(١) رواه الثعلبي بسنده في «تفسيره» (٢٦٦/٩).

(٢) «سنن الترمذي» (٢٩٢٢).

بِ(مَا) تَغْلِبُ لِلْأَكْثَرِ،

حاشية الصاوي

فلَمَّا غزا أحدًا، وهَزِمَ المسلمون.. ارتابوا، وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين، ونقضوا العهد، وركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود، فأتوا قريشاً، فحالفوهم وعاهدوهم على أن يكونوا معهم على حرب رسول الله ﷺ، ودخل أبو سفيان في أربعين واجتمع مع كعب عند الكعبة، وأخذ بعضهم على بعض الميثاق.

ثم رجع كعبٌ وأصحابه إلى المدينة، فأخبر الله النبي ﷺ بذلك، وأمر النبي ﷺ بقتل كعب بن الأشرف، فدخل عليه محمد بن مسلمة ومعه أربعة من الأوس، فقتلوه في حصنه غيلةً، فألقى الله الرعب في قلوب بني النضير، وكان قتله في ربيع الأول من السنة الثالثة، وكانت غزوة بني النضير في ربيع الأول من السنة الرابعة، وكانوا بقرية يُقال لها: زهرة، على ميلين من المدينة.

فلَمَّا سار إليهم رسول الله.. وجدهم يُنوحون على كعب بن الأشرف، فقالوا له: يا محمد؛ ذرنا نبكي شجونا، ثم ائتمر أمرُك، فقال النبي ﷺ: «اخرجوا من المدينة»، فقالوا: الموت أقرب إلينا من ذلك، ثم تنادوا بالحرب، ودس المنافقون - عبد الله بن أبي وأصحابه - إليهم ألا يخرجوا من الحصن، فإن قاتلوكم.. فنحن معكم، ولا نخذلكم، ولننصركم، ولئن أخرجتكم لنخرجن معكم.

ثم إنهم أجمعوا على الغدر برسول الله ﷺ، فأرسلوا إليه أن اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك، فيسمعون منك؛ فإن صدقوك وآمنوا بك.. آمنا، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرج ثلاثون خبراً منهم حتى كانوا في برّاز من الأرض، قال بعض اليهود لبعض: كيف تتخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلُّ يحب الموت قبله؟ ولكن أرسلوا إليه: كيف نفهم ونحن ستون؟ اخرج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا، فيسمعون منك، فإن آمنوا بك.. آمنا، فخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة من أصحابه، وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر، وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ، فأخبره الله بذلك، فرجع النبي ﷺ.

فلَمَّا كان من الغد.. غزا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب، فحاصرهم إحدى وعشرين ليلةً، فقذف الله في قلوبهم الرعب، وأيسوا من نصر المنافقين الذين عاهدوهم، فقالوا لرسول الله ﷺ: الصلح، فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به، فقبلوا ذلك، فصالحهم

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فِي مُلْكِهِ وَصُنْعِهِ.

﴿٢﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ هُمْ بَنُو النَّضِيرِ مِنَ الْيَهُودِ، ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: مَسَاكِينُهُمْ بِالْمَدِينَةِ، ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ هُوَ حَشَرُهُمْ إِلَى الشَّامِ، وَآخِرُهُ أَنْ جَلَاهُمْ عُمَرُ فِي خِلَافَتِهِ إِلَى خَيْبَرَ،

حاشية الصاوي

على الجلاء، وعلى أن كلَّ أهل بيتٍ يحمل على بعيرٍ ما شاؤوا مِنْ متاعهم ما عدا السلاحَ، ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة إلى الشام، إلى أذرعات وأريحاء، إلا أهل بيتين من آل الحقيق وآل حُمَيٍّ بن أخطب؛ فَإِنَّهُمْ لَحَقُّوا بِخَيْبَرَ، وَلَحَقَتْ طَائِفَةٌ بِالْحِيرَةِ، وَلَمْ يُسَلِّمْ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ إِلَّا رَجُلَانِ: سَفِيَانُ بْنُ عَمِيرٍ، وَسَعْدُ بْنُ وَهَبٍ، فَأَحْرَزَا مَالَهُمَا^(١).

قوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الجملة حالٌّ من لَفْظِ الْجَلَالَةِ.

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بَيَانٌ لِبَعْضِ آثَارِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى الْبَاهِرَةِ، وَعِزَّتِهِ الظَّاهِرَةِ.

قوله: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ حالٌّ من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قوله: (هُمْ بَنُو النَّضِيرِ مِنَ الْيَهُودِ) أَي: وَهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، نَزَلُوا الْمَدِينَةَ فِي فِتْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَنْتَظِرُونَ بَعْثَةَ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِيَدْخُلُوا فِي دِينِهِ.

قوله: (بِالْمَدِينَةِ) أَي: أَرْضاً بِالقَرَبِ مِنْهَا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا بَقْرِيَّةً بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ مِيلَانِ.

قوله: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ متعلق بـ﴿أَخْرَجَ﴾، وإضافة (أول) لـ﴿الْحَشْرِ﴾ من إضافة الصفة للموصوف؛ أَي: الْحَشْرُ الْأَوَّلُ.

واعْلَمْ: أَنَّ الْحَشْرَ أَرْبَعٌ: فَالْأَوَّلُ: إِجْلَاءُ بَنِي النَّضِيرِ، ثُمَّ بَعْدَهُ إِجْلَاءُ أَهْلِ خَيْبَرَ، ثُمَّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ تَخْرُجُ نَارٌ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ تَسُوقُ النَّاسَ، ثُمَّ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَشْرُ جَمِيعِ الْخَلْقِ.

قوله: (إِلَى خَيْبَرَ) صَوَابُهُ: (مِنْ خَيْبَرَ) كَمَا صَرَّحَ بِهِ غَيْرُهُ، وَذَلِكَ أَنَّ عُمَرَ أَجْلَى الْيَهُودِ مِنْ خَيْبَرَ وَجَمِيعِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ إِلَى أَذْرِعَاتٍ وَأَرِيحَاءَ مِنَ الشَّامِ^(٢).

(١) انظر خبر الغزوة بتمامه في «سبل الهدى والرشاد» (٣١٧/٤).

(٢) انظر «تفسير الخازن» (٢٦٧/٤)، وفي «صحيح البخاري» (٢٣٣٨)، و«صحيح مسلم» (١٥٥١) عن سيدنا عبد الله بن عمر ؓ: (أَجْلَاهُمْ عُمَرَ إِلَى تِيْمَاءَ وَأَرِيحَاءَ).

مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْنَاهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ
يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ

﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ﴾ - خبر (أن) - ﴿حُصُونُهُمْ﴾
- فاعله تَمَّ بِهِ الخبرُ - ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ : مِنْ عَذَابِهِ، ﴿فَأَلْنَاهُمْ اللَّهُ﴾ : أَمْرُهُ وَعَذَابُهُ ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ
يَحْتَسِبُوا﴾ : لَمْ يَخْطُرْ بِأَلَهُمْ مِنْ جِهَةِ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَقَذَفَ﴾ : أَلْقَى ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ - بِسُكُونِ
الْعَيْنِ وَضَمِّهَا - : الْخَوْفَ بِقَتْلِ سَيِّدِهِمْ كَعَبِ بْنِ الْأَشْرَفِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾﴾ أي: لِمَا كَانَ بِهِمْ مِنَ الْقُوَّةِ وَشِدَّةِ الْبَاسِ، وَكَثْرَةِ أَعْوَانِهِمْ مِنْ
قُرَيْظَةَ وَقَرِيشَ، وَبِكُمِ مِنَ الضَّعْفِ وَقِلَّةِ الْعَدَدِ.

قوله: (بِهِ تَمَّ الْخَبَرُ) أي: بِالْفَاعِلِ تَمَّ خَبَرُ (أَنْ)، وَمُحْصَلُهُ: أَنَّ الضَّمِيرَ اسْمُ (أَنْ)،
و﴿مَانِعَتُهُمْ﴾: خَبَرُهَا، وَ﴿حُصُونُهُمْ﴾: فَاعِلُهُ، وَيَصِحُّ أَنْ ﴿مَانِعَتُهُمْ﴾ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، وَ﴿حُصُونُهُمْ﴾ مُبْتَدَأٌ
مُؤَخَّرٌ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ (أَنْ).

قوله: (أَمْرُهُ وَعَذَابُهُ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، وَبِهِ انْدَفَعَ مَا أَوْهَمَهُ ظَاهِرُ
الْآيَةِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُوصَفُ بِالْإِتْيَانِ، فَأَفَادَ أَنَّ الْآيَةَ مِنْ قَبِيلِ الْمُتَشَابِهِ، وَأَوَّلُهُ بِتَقْدِيرِ مُضَافٍ؛ نَظِيرُ
﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾.

قوله: (لَمْ يَخْطُرْ بِأَلَهُمْ) تَفْسِيرُ لِقَوْلِهِ: ﴿لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾.

قوله: (مِنْ جِهَةِ الْمُؤْمِنِينَ) إِضَافَةٌ (جِهَةً) لِمَا بَعْدَهُ بَيَانِيَّةٌ، وَالْمَعْنَى: جَاءَهُمْ عَذَابُ اللَّهِ مِنْ جِهَةِ
لَا تَخْطُرُ بِأَلَهُمْ، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ؛ لِأَنَّهُمْ مُسْتَضْعَفُونَ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ، فَلَا يَخْطُرُ بِأَلَهُمْ أَنَّهُمْ يَقْدِرُونَ
عَلَيْهِمْ.

قوله: ﴿﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾﴾ أي: أَنْزَلَهُ فِيهَا بِشِدَّةً.

قوله: (بِسُكُونِ الْعَيْنِ وَضَمِّهَا) أي: فَهُمَا قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١).

قوله: (بِقَتْلِ سَيِّدِهِمْ) أي: وَكَانَ قَتْلُهُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ كَمَا تَقَدَّمَ.

(١) حَرَّكَ الْعَيْنَ بِالضَّمِّ ابْنُ عَامِرٍ وَالْكَسَائِيُّ، وَالْبَاقُونَ بِالسُّكُونِ. انْظُرْ «السَّرَاجُ الْمُنِيرُ» (٤/٢٣٩).

يُخْرِئُونَ يُوْتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَتَأُولَى الْأَبْصَرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

﴿يُخْرِئُونَ﴾ - بِالتَّشْدِيدِ، وَالتَّخْفِيفِ مِنْ (أَخْرَبَ) - ﴿يُوْتَهُمْ﴾ لِيَنْقُلُوا مَا اسْتَحْسَنُوهُ مِنْهَا مِنْ خَشَبٍ وَغَيْرِهِ ﴿بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَتَأُولَى الْأَبْصَرِ﴾.

﴿٣ - ٤﴾ ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ﴾: قَضَى ﴿عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾: الْخُرُوجَ مِنَ الْوَطَنِ ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ كَمَا فَعَلَ بِقُرَيْظَةَ مِنَ الْيَهُودِ، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾
 حاشية الصاوي

قوله: ﴿يُخْرِئُونَ يُوْتَهُمْ﴾ مُسْتَأْنَفٌ، أَتَى بِهِ لِلْإِخْبَارِ عَنْهُمْ بِذَلِكَ.

قوله: (بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ) أَي: فَهَمَا سَبْعِيَّتَانِ^(١).

قوله: (مِنْ «أَخْرَبَ») رَاجِعٌ لِلتَّخْفِيفِ، وَأَمَّا التَّشْدِيدُ.. فَهُوَ مِنْ (خَرَّبَ).

قوله: (مِنْ خَشَبٍ) بِفَتْحَتَيْنِ، وَضَمَّتَيْنِ، وَضَمْ وَسْكَوْنٍ، جَمْعُ (خَشْبَةٍ).

قوله: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ (أَي: مِنْ دَاخِلِ الْحُصُونِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَي: مِنْ خَارِجِهَا؛ لِيَدْخُلُوهَا، وَعَظْفَهَا عَلَى (أَيْدِيهِمْ) مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ سَبَبٌ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّ بَنِي النَّضِيرِ لَمَّا نَقَضُوا الْعَهْدَ.. كَانَتْهُمْ سَلَطُوا الْمُؤْمِنِينَ عَلَى تَخْرِيبِ دُورِهِمْ.

قوله: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَتَأُولَى الْأَبْصَرِ﴾ (أَي: اتَّعَظُوا بِحَالِهِمْ، وَلَا تَغْتَرُّوا، وَلَا تَعْتَمِدُوا عَلَى غَيْرِ اللَّهِ، فَالاعتبارُ: النَّظَرُ فِي حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ؛ لِيَسْتَدَلَّ عَلَى شَيْءٍ آخَرَ.

قوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ...﴾ (إِلخ) ﴿أَنْ﴾: مُصَدَّرِيَّةٌ، وَهِيَ وَمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ: فِي تَأْوِيلِ مُصَدَّرٍ مُبْتَدَأٍ، وَخَبْرِهِ مُحذُوفٌ وَجُوبًا، وَالتَّقْدِيرُ: لَوْلَا الْكَتَبُ مَوْجُودٌ.

قوله: ﴿الْجَلَاءَ﴾ (بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ: يُطْلَقُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْوَطَنِ وَالْإِخْرَاجِ مِنْهُ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا، وَيُطْلَقُ عَلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ الْوَاضِحِ.

قوله: ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ (كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ مُبَيَّنٌ لِعَاقِبَتِهِمْ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ نَجَّوْا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْقَتْلِ.. لَمْ يَنْجُوْا فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ الدَّائِمِ، فَهُوَ ثَابِتٌ لَهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

(١) قرأ أبو عمرو بفتح الخاء وتشديد الراء، والباقون بسكون الخاء وتخفيف الراء. انظر المرجع السابق.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا ﴿٤﴾ : خَالَفُوا ﴿٤﴾ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ لَهُ .
 ﴿٥﴾ مَا قَطَعْتُمْ ﴿٥﴾ يَا مُسْلِمِينَ ﴿٥﴾ مِنْ لَيْسَةٍ ﴿٥﴾ : نَخْلَةٍ ﴿٥﴾ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴿٥﴾ : خَيْرَكُمْ فِي ذَلِكَ ، ﴿٥﴾ وَلِيُخْرِىَ ﴿٥﴾ بِالْإِذْنِ فِي الْقَطْعِ ﴿٥﴾ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ : الْيَهُودَ فِي اعْتِرَاضِهِمْ أَنَّ قَطْعَ الشَّجَرِ الْمُشْمِرُ فُسَادٌ .

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: المذكور من العذابين بسبب أنهم... إلخ.
 قوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ﴾ (مَنْ): شرطية، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ...﴾ إلخ: إمّا نفس الجزاء وحذف منه العائد، وقد قدره المفسر بقوله: (له)، أو تعليل للجزاء المحذوف؛ أي: يُعاقبه، وعلى كل: فالشرط وجوابه تميم لما قبله، وتقرير لمضمونه، وتحقيق لسيبه.
 قوله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ...﴾ إلخ ﴿مَا﴾: شرطية، و﴿مِنْ لَيْسَةٍ﴾: بيان لـ ﴿مَا﴾، و﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: فقطعها، والجملة جواب الشرط.
 والليئة: قيل: هي النخلة مطلقاً، وقيل: هي النخلة الكريمة، وقيل غير ذلك.
 روي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَتَحَصَّنُوا بِحُصُونِهِمْ... أَمَرَ بِقَطْعِ نَخِيلِهِمْ وَإِحْرَاقِهَا، فَخَرَجَ أَعْدَاءُ اللَّهِ عِنْدَ ذَلِكَ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ؛ زَعَمْتَ أَنَّكَ تَرِيدُ الصَّلَاحَ، أَمِنَ الصَّلَاحَ قَطْعُ الشَّجَرِ وَقَطْعُ النَّخْلِ؟ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا زَعَمْتَ أَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَيْكَ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ؟ فَوَجَدَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ شَيْئاً مِمَّا قَالُوا، وَخَشُوا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فُسَاداً، وَاخْتَلَفُوا فِي الْقَطْعِ وَتَرْكِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَقْطَعُوا؛ فَإِنَّهُ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نَغِيظُهُمْ بِقَطْعِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ (١).

قوله: ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: رضاه.

قوله: (أي: خَيْرَكُمْ فِي ذَلِكَ) أي: القطع والتترك.

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/٣٥٩)، وانظر «زاد المسير» (٤/٢٥٦).

وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾

﴿٦﴾ وَمَا آفَاءَ: رَدَّ ﴿اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ أَسْرَعْتُمْ يَا مُسْلِمِينَ ﴿عَلَيْهِ مِنْ﴾ - زائدة - ﴿خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾: إبل، أي: لم تُقاسُوا فيه مَشَقَّة، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا حَقَّ لَكُمْ فِيهِ، وَيَخْتَصُّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ ذَكَرَ مَعَهُ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْأَصْنَافِ الْأَرْبَعَةِ؛ عَلَى مَا كَانَ يَقْسِمُهُ مِنْ أَنَّ لِكُلِّ مِنْهُمْ حَاشِيَةُ الصَّوَابِ

قوله: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ﴾... إلخ) لَمَّا بَيَّنَّ حَالُ بَنِي النَّضِيرِ وَمَا وَقَعَ لِدَوَاتِهِمْ.. أَخَذَ يُبَيِّنُ مَا وَقَعَ فِي أَمْوَالِهِمْ.

قوله: ﴿رَدَّ﴾ ﴿اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْأَمْوَالَ الَّتِي كَانَتْ بِأَيْدِي بَنِي النَّضِيرِ لَيْسَتْ لَهُمْ بِالْأَصَالَةِ، بَلْ هِيَ لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ تَعَالَى، وَتَلَذُّهُمْ بِهَا إِنَّمَا هُوَ صُورَةٌ تَعَدُّ مِنْهُمْ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ لِعِبَادَتِهِ، وَخَلَقَ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً؛ لِيَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى طَاعَتِهِ، فَالْكَفَارُ حَيْثُ عَصَوْا رَبَّهُمْ.. فَلَيْسَ لَهُمْ اسْتِحْقَاقٌ فِي تِلْكَ النِّعَمِ.

قوله: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾... إلخ) خَبَرَ ﴿مَا﴾ الْمَوْصُولَةَ، وَ﴿آفَاءَ﴾: صِلَتُهُ.

قوله: ﴿أَسْرَعْتُمْ﴾ أي: فَالْإِجَافُ: إِسْرَاعُ الْمَشْيِ.

قوله: ﴿يَا مُسْلِمِينَ﴾ هَكَذَا بِالْيَاءِ هُنَا وَفِيمَا تَقَدَّمَ، وَهُوَ سَبْقُ قَلَمٍ، وَصَوَابُهُ بِالْوَاوِ؛ لِأَنَّ الْمُنَادِيَ يُبْنَى عَلَى مَا يَرْفَعُ بِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ جَمْعَ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ يُرْفَعُ بِالْوَاوِ، فَيَبْنَى الْمُنَادِيُّ عَلَيْهَا.

قوله: ﴿مِنْ﴾: زَائِدَةٌ أَيْ: فِي الْمَفْعُولِ.

قوله: ﴿وَلَا رِكَابٍ﴾) هِيَ: مَا يُرَكَبُ مِنَ الْإِبِلِ، غَلَبَ ذَلِكَ عَلَيْهَا مِنْ بَيْنِ الْمَرْكُوبَاتِ، فَالْعَرَبُ يُطْلِقُونَ لَفْظَ (الرَّكَابِ) عَلَى: رَاكِبِ الْبَعِيرِ، وَ(الْفَارَسِ) عَلَى: رَاكِبِ الْفَرَسِ.

قوله: ﴿أَي:﴾ لَمْ تُقَاسُوا فِيهِ مَشَقَّةٌ أَيْ: لَمْ تَقْطَعُوا إِلَيْهَا مَسَافَةً، وَلَمْ يَحْصَلْ مِنْكُمْ حَرْبٌ؛ وَذَلِكَ لِكَوْنِ قَرِيْبَتِهِمْ قَرِيْبَةً، لَمْ يَرْكَبُوا إِلَيْهَا خَيْلاً وَلَا إِبِلًا إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ، فَإِنَّهُ كَانَ رَاكِباً جَمَلاً، وَقِيلَ: حِمَاراً مَخْطُوماً بَلِيْفٍ، فَافْتَتَحَهَا صِلْحاً، فَكَانَ الْأَمْرُ فِي تِلْكَ الْأَمْوَالِ مُفَوَّضاً لَهُ ﷺ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ.

قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾) أَيْ: فَعَادَتُهُ تَعَالَى جَارِيَةٌ بِأَنَّ الرُّسُلَ لَيْسُوا كَأَحَادِ الْأُمَّةِ، بَلْ يُسَلِّطُهُمُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْتَحِمُوا الْمَشَقَّاتِ، وَيُقَاسُوا الشَّدَائِدَ، فَتَحْصُلُ:

مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي

خُمْسَ الْخُمْسِ، وَلَهُ ﷺ الْبَاقِي يَفْعَلُ فِيهِ مَا يَشَاءُ، فَأَعْطَى مِنْهُ الْمُهَاجِرِينَ وَثَلَاثَةً مِنَ الْأَنْصَارِ لِفَقْرِهِمْ.

﴿٧﴾ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴿كَالصَّفْرَاءِ وَوَادِي الْقُرَى وَيَنْبُعُ ﷻ﴾ يَأْمُرُ فِيهِ بِمَا يَشَاءُ، ﷻ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ﷻ : صَاحِبٍ
حاشية الصاوي

أَنَّ مَالِ الْكُفَّارِ إِذَا حَصَلَ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ... فَهُوَ فِي مَوْضِعٍ تَحْتَ يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ، وَمِثْلُهُ: الْمَالُ الَّذِي جُهِلَتْ أَرْبَابُهُ، وَمَالٌ مَاتَ وَلَا وَارَثَ لَهُ، وَالْجَزِيَّةُ، وَأَعْشَارُ أَهْلِ الذُّمَّةِ، وَخَرَجُ الْأَرْضِ عَلَى مَا هُوَ مُبَيَّنٌ فِي الْفُرُوعِ، وَيُقَوِّمُ مَقَامَ رَسُولِ اللَّهِ بَعْدَهُ الْخَلِيفَةُ.

قوله: (فأعطى منه المهاجرين) أي: لا على أنه غنيمة، بل بوصف الفقر؛ ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار؛ لأنهم كانوا قد قاسمهم في الأموال والديار.

قوله: (وثلاثة من الأنصار) أي: وهم أبو دجانة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمة، وأعطى سعد بن معاذ سيف بن أبي الحقيق، وكان لهذا السيف ذكرٌ وشأنٌ عندهم^(١).

قوله: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ بيانٌ لمصرف الفبيء إثر بيان ردِّه على رسول الله، وحذف الواو من هذه الجملة؛ لأنها بيانٌ للأولى، فهي غيرُ أجنبيةٍ منها.

قوله: (كالصفراء... إلخ) أي: وأرض قريظة والنضير، وهما بالمدينة، وقدك وهي على ثلاثة أميال من المدينة، وقرى عرينة وينبع.

قوله: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ اختلف في قسَمِ الفبيء؛ ف قيل: يسدس؛ لظاهر الآية، ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد، وقيل: يخمس للخمسة المذكورين، وذكر الله؛ للتعظيم، وفي «القرطبي»: (وقال قوم منهم الشافعي: إنَّ معنى الآيتين - أي: هاهنا و«الأنفال» - واحدٌ أي: ما حصل من أموال الكفار بغير قتال قُسم على خمسة أسهم: أربعة منها لرسول الله ﷺ^(٢)، وسهم لذوي القربى، وهم بنو هاشم وبنو المطلب؛ لأنهم منعوها الصدقة، فجعل لهم حقٌّ في الفبيء، وسهم

(١) ذكرت كتب السير أنه ﷺ أعطى من الأنصار رجلين: أبا دجانة، وسهل بن حنيف، وليس فيها ذكر إعطاء الحارث. انظر «عيون الأثر» (٧٤/٢)، و«مغازي الواقدي» (٣٧٩/١).

(٢) في «تفسير القرطبي»: (وكان الخمس الباقي على خمسة أسهم: سهم لرسول الله ﷺ أيضاً).

الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ

﴿الْقُرْبَى﴾: قَرَابَةُ النَّبِيِّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، ﴿وَالْيَتَامَى﴾: أَطْفَالُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هَلَكَتْ آبَاؤُهُمْ وَهُمْ فَقَرَاءٌ، ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: ذَوِي الْحَاجَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: الْمُنْقَطِعُ فِي سَفَرِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَي: يَسْتَحِقُّهُ النَّبِيُّ ﷺ وَالْأَصْنَافُ الْأَرْبَعَةُ عَلَى مَا كَانَ حَاشِيَةُ الصَّائِلِ.

لليتامى، وسهمٌ للمساكين، وسهمٌ لابن السبيل، وأما بعد وفاة رسول الله ﷺ.. فالذي كان من الفيء لرسول الله ﷺ يُصرف عند الشافعي في قول: إلى المجاهدين المُرْصِدِينَ للقتال في الثغور؛ لأنهم قائمون مقام رسول الله عليه الصلاة والسلام، وفي قول آخر له: يُصرف إلى مصالح المسلمين؛ من سدّ الثغور، وحفر الأنهار، وبناء القناطر، يُقدّم الأهمُّ فالأهمُّ، وهذا في أربعة أخماس الفيء، فأما السهمُ الذي كان من خمس الفيء والغنيمة.. فهو لمصالح المسلمين بعد موته ﷺ بلا خلاف؛ كما قال عليه الصلاة والسلام: «ليس لي من غنائمكم إلا الخمس، والخمسُ مُردود فيكم». اهـ^(١)

وقالت المالكية: لا خلاف في أنَّ الغنيمة تخمّس، وأمّا ما انجلى عنه أهله ذُون قتال.. فلا يخمّس، ويُصرف في مصالح المسلمين باجتهاد الإمام^(٢).

ومثله: جميع ما كان محلّه بيت المال، وليس معنى الآيتين واحداً، بل آية (الأنفال) فيما أوجف عليه، وما هنا في ما لم يُوجَف عليه، وقوله: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ...﴾ إلخ: ليس المقصود منه التخميس، وإنما المقصودُ التعميم باجتهاد الإمام، فتدبّر.

قوله: (من بني هاشم وبني المطلب) هذا مذهب الشافعي، وعند مالك: الآل: بنو هاشم فقط.

قوله: ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ المراد بهم: ما يشمل الفقراء.

قوله: (المنقطع في سفره) أي: المحتاج ولو غنياً يبلده.

قوله: (أي: يستحقه النبي... إلخ) إنما لم يقل: (الله والنبي)؛ إشارةً إلى أنَّ ذكر اسم الله للتعظيم والتبرك على التحقيق.

(١) «تفسير القرطبي» (١٣/١٨)، والحديث رواه أبو داود (٢٦٩٤)، والنسائي في «المجتبى» (١٣١/٧) عن سيدنا

عبد الله بن عمرو ؓ.

(٢) نقله الشيخ الدردير في «الشرح الكبير» (١٩٠/٢) عن المازري.

كَي لَا يَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا ءَاتَيْنَاكَمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾

يَقْسِمُهُ مِنْ أَنْ لِكُلِّ مِنَ الْأَرْبَعَةِ خُمْسَ الْخُمْسِ وَلَهُ الْبَاقِي، ﴿كَي لَا﴾ - (كَي) بِمَعْنَى اللَّامِ (وَأَنْ) مُقَدَّرَةٌ بَعْدَهَا - ﴿يَكُونَ﴾ الْفِيءُ عِلَّةٌ لِقِسْمِهِ كَذَلِكَ ﴿دَوْلَةً﴾: مُتَدَاوِلًا ﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا ءَاتَيْنَاكُمْ﴾: أَعْطَاكُمْ ﴿الرَّسُولُ﴾ مِنَ الْفِيءِ وَغَيْرِهِ ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

حاشية الصاوي

وظاهر الآية: أَنَّ الْفِيءَ يُخْمَسُ خَمْسَةً أَخْمَاسَ، وَأَنْ لِلنَّبِيِّ خَمْسَةٌ، وَلَيْسَ مُرَادًا، بَلِ التَّخْمِيسُ إِنَّمَا هُوَ لِلْخُمْسِ، لَا لِلْمَالِ مِنْ أَصْلِهِ، فَالِاشْتِرَاكُ الْمَذْكُورُ إِنَّمَا هُوَ فِي الْخُمْسِ، وَتَقَدَّمَ أَنَّ ذَلِكَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، وَأَمَّا عِنْدَ مَالِكٍ... فَلَا تَخْمِيسَ، وَإِنَّمَا النَّظَرُ فِيهِ لِلْإِمَامِ.

قوله: ﴿كَي لَا يَكُونَ﴾... إلخ) تُرْسِمُ (كَي) هُنَا مَفْصُولَةٌ مِنْ (لَا).

قوله: (بِمَعْنَى اللَّامِ) أَي: لَامُ التَّعْلِيلِ، وَالْمَعْلَلُ مَا يُسْتَفَادُ مِمَّا سَبَقَ؛ أَي: جَعَلَ اللَّهُ الْفِيءَ لِمَنْ ذَكَرَ؛ لِأَجْلِ أَلَّا يَكُونَ لَوْ تَرَكَ عَلَى عَادَةِ الْجَاهِلِيَّةِ دَوْلَةً؛ أَي: يَتَدَاوَلُهُ الْأَغْنِيَاءُ، كُلُّ مَنْ غَلِبَ مِنْهُمْ أَخَذَهُ وَاسْتَأْثَرَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ كَانُوا إِذَا غَنِمُوا غَنِيمَةً... أَخَذَ الرَّئِيسُ رُبْعَهَا لِنَفْسِهِ، ثُمَّ يَصْطَفِي بَعْدَ أَخْذِ الرُّبْعِ مِنْهَا مَا شَاءَ، فَتُسَبَّخُ هَذَا الْأَمْرُ، وَجَعَلَهُ اللَّهُ يُصْرَفُ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْوَجْهِ الْمُتَقَدِّمِ.

قوله: (وَأَنْ) مُقَدَّرَةٌ بَعْدَهَا) أَي: فَالِنَصَبُ بِ(أَنْ)، لَا بِهَا.

قوله: ﴿يَكُونَ﴾^(١) أَي: الْفِيءُ، فَ﴿يَكُونَ﴾ نَاقِصَةٌ، اسْمُهَا ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الْفِيءِ، وَ﴿دَوْلَةً﴾ خَبَرُهَا، وَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ (يَكُونُ) بِالتَّحْتِيَّةِ لَا غَيْرَ، وَقُرِئَ أَيْضًا بِرَفْعِ (دَوْلَةٍ) عَلَى أَنْ (كَانَ) تَامَّةً، مَعَ التَّحْتِيَّةِ وَالْفَوْقِيَّةِ مِنْ (يَكُونُ)؛ فَالْقِرَاءَاتُ ثَلَاثٌ سَبْعِيَّاتٌ.

قوله: ﴿دَوْلَةً﴾ التَّدَاوُلُ: حُصُولُ الشَّيْءِ فِي يَدِ هَذَا تَارَةً، وَهَذَا أُخْرَى، وَالْإِسْمُ: الدَّوْلَةُ بِفَتْحِ الدَّالِ وَضَمِّهَا، وَجَمْعُ الْمَفْتُوحِ (دَوَلٌ) كـ (قَضْعَةٍ وَقِصْعٍ)، وَجَمْعُ الْمَضْمُومِ (دَوَلٌ) مِثْلُ: (عُرْفَةٍ وَعُزْفٍ)، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، وَقِيلَ: الدَّوْلَةُ - بِالضَّمِّ - فِي الْمَالِ، وَبِالْفَتْحِ: فِي الْحَرْبِ.

قوله: ﴿وَمَا ءَاتَيْنَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾... إلخ) أَي: مَا أَعْطَاكُمْ مِنْ مَالِ الْغَنِيمَةِ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنَ الْأَخْذِ وَالْقَوْلِ... فَانْتَهُوا.

(١) قرأ هشام: (تكون) بالتاء والياء، (دولة) بالرفع فقط، والباقيون بالياء من تحت، ونصب (دولة). انظر «الدر المصون»

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾

﴿٨﴾ ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ - أي: اعجبوا ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم.

حاشية الصاوي

وقيل في تفسيرها: ما آتاكم من طاعتي.. فافعلوه، وما نهاكم عنه من معصيتي.. فاجتنبوه،
فالآية محمولة على العموم في جميع أوايره ونواحيه؛ لأنه لا يأمر إلا بإصلاح، ولا ينهى إلا عن
فساد، فنتج من هذه الآية: أن كل ما أمر به النبي ﷺ أمر من الله، وأن كل ما نهى عنه النبي نهى
من الله، فقد جمعت أمور الدين كما هو معلوم.

قوله: (متعلق بمحذوف... إلخ) أي: القصد منه التعجب والمدح للمهاجرين الذين اتصفوا
بتلك الصفات.

قوله: (أي: اعجبوا) أي: تعجبوا من حال المهاجرين؛ حيث تنزَّهُوا عن الديار والأموال،
وتركوا ذلك ابتغاء وجه الله تعالى.

قوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ أي: أخرجهم كفار مكة.

قوله: ﴿وَأَمْوَالِهِمْ﴾ عطف على ﴿دِيَارِهِمْ﴾، وعبر فيه بالخروج؛ لأن المال لما كان يستتر
صاحبه.. كان كأنه ظرف له.

قوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾... إلخ) الجملة حالية، والمعنى: طالبين الرزق من الله؛ لإعراضهم
عن أملاكهم الدنيوية، ومرضاة الله تعالى في الآخرة.

قوله: ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ عطف على قوله: ﴿يَبْتَغُونَ﴾، فهو حال أيضاً، لكنّها مقدّرة؛
أي: ناوين النصرة؛ إذ وقت خروجهم لم تكن نصرة بالفعل.

قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي: الخالصون في إيمانهم؛ حيث اختاروا الإسلام، وخرجوا
عن الديار والأموال والعشائر، حتى روي: أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه؛ ليقيم به صلبه
من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثارٌ غيرها^(١). وفي الحديث: «إنّ فقراء
المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً»^(٢).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/٢٨١) من حديث قتادة.

(٢) رواه مسلم (٢٩٧٩) عن سيدنا عبد الله بن عمرو ؓ.

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً

﴿٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ أي: المَدِينَةَ ﴿وَالْإِيمَانَ﴾ أي: الْفُؤُة، وَهُمْ الْأَنْصَارُ ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾: حَسَدًا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾... إلخ) شروع في الثناء على الأنصار إثر بيان الثناء على المهاجرين. والموصول: إما معطوف على (الفقراء) فيكون من عطف المفردات، وقوله: ﴿يُحْجُونَ...﴾ إلخ: حال؛ أو مبتدأ، وجملة ﴿يُحْجُونَ﴾: خبره.

قوله: (أي: المدينة) أي: اتخذوها منزلاً بإسلامهم من قبل قدوم النبي ﷺ بسنتين، فعصموها وحفظوها بالإسلام، فكأنهم استحدثوا بناءها.

قوله: (أي: الْفُؤُة) أشار بذلك إلى أَنَّ قوله: ﴿وَالْإِيمَانَ﴾ معمولٌ لمحذوف، ويكون من عطف الجمل؛ إذ لا معنى لِتَبَوَّءِ الْإِيمَانَ، وهذا أحد الوجوه الجارية في قوله: [الكامل]

عَلَفْتُهَا تَبْنَاءً وَمَاءً بَارِدًا^(١)

أو ضَمَّنَ ﴿تَبَوَّءُوا﴾ معنى (لزموا)، والمعنى: لزموا الدار والإيمان، أو شبه تمكُّنهم في الإيمان باتِّخاذها منزلاً، ففيه جمعٌ بين الحقيقة والمجاز.

قوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ﴾ أي: نُفُوسِهِمْ.

قوله: (حسدًا) أي: ولا غيظاً ولا حزازة^(٢)، فالمراد بالحاجة هذه المعاني.

روي: أَنَّ المهاجرين كانوا في دُورِ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا غَنِمَ ﷺ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ.. دعا الْأَنْصَارَ وَشَكَرَهُمْ فِيمَا صَنَعُوا مَعَ الْمُهَاجِرِينَ؛ مِنْ إِنْزَالِهِمْ إِيَّاهُمْ مَنَازِلَهُمْ، وَإِسْرَاحِهِمْ إِيَّاهُمْ فِي الْأَمْوَالِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «إِنْ أَحْبَبْتُمْ.. قَسَمْتُ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ السَّكَنِ فِي مَسَاكِنِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَإِنْ أَحْبَبْتُمْ.. أُعْطِيْتُهُمْ وَخَرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ»، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَسَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ: بَلْ نَقْسُمُهُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَيَكُونُونَ فِي دُورِنَا كَمَا كَانُوا، فَقَالَ

(١) تقدَّم مراراً.

(٢) الحزازة: وجعٌ في القلب من غيظ ونحوه.

يَمَّا أُوْتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ

﴿يَمَّا أُوْتُوا﴾ أي: أتى النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة به، ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾: حاجة إلى ما يؤترون به،

حاشية الصاوي

رسول الله ﷺ: «اللهم؛ ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار»، وأعطى رسول الله ﷺ المهاجرين ولم يُعطِ الأنصار إلا الثلاثة المتقدم ذكرهم^(١).

قوله: (أي: أتى النبي) بيان للفاعل المحذوف، وقوله: (المهاجرين) بيان للمفعول القائم مقام الفاعل، وقوله: (من أموال بني النضير) بيان لـ(ما).

قوله: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: في كل شيء من أسباب المعاش، حتى إن كان عنده امرأتان كان ينزل عن إحداهما ويزوجها واحداً من المهاجرين. والإيثار: تقديم الغير على النفس وحُظوظها الدنيوية رغبةً في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وغاية المحبة، والصبر على المشقة.

قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي: يُقدّمون غيرهم في الأموال مع احتياجهم إليها، وهذا الوصف لا يخصّ الأنصار؛ فقد روي عن ابن عمر أنه قال: (أهدي لرجلٍ من أصحاب النبي ﷺ رأسُ شاةٍ، فقال: إن أخي فلاناً وعياله أحوَجُ إلى هذا مني، فبعته إليهم، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها سبعة أبيات، ثم عادت إلى الأول، فنزلت هذه الآية)^(٢).

وروي: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربع مئة دينار، فجعلها في صرة، ثم قال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم امكث عنده في البيت حتى ينظر ما يصنع بها، فذهب بها الغلام إليه وقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية؛ اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان حتى فقدها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره، ووجدته قد ربط مثلها لمعاذ بن جبل، فقال: اذهب بها إليه، وامكث في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها إليه وقال له: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: رحمه الله ووصله، وقال: يا جارية؛ اذهبي بيت فلان بكذا، أو إلى بيت

(١) رواه ابنُ سيد الناس في «عيون الأثر» (٧٤/٢)، والواقدي في «مغازيه» (٣٧٩/١) من حديث أم العلاء رضي الله عنها.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» (٤٨٥/٢).

وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ

﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ : حِرْصُهَا عَلَى الْمَالِ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

﴿١٠﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ : مِنْ بَعْدِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

حاشية الصاوي

فلان بكذا، فجاءت امرأة معاذ وقالت: ونحن والله مساكين فأعطينا، ولم يبقَ في الخِرقة إلا ديناران، فدعا بهما إليها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره، فسُرَّ بذلك وقال: إنهم أخوة بعضهم من بعض. ونحوه عن عائشة وغيرها^(١).

قوله: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ (مَنْ): شرطية، و﴿يُوقِ﴾: فعل الشرط، وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ...﴾ إلخ: جزاؤه، وهو كلام عام، قُصِدَ به التَّنْبِيهُ عَلَى ذَمِّ الشُّحِّ، وفي قوله: ﴿يُوقِ﴾ إشارة إلى أَنَّ الشُّحَّ أَمْرٌ غَرِيزِيٌّ فِي الْإِنْسَانِ، لَا يَنْجُو مِنْهُ الشَّخْصُ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَعَ مَجَاهَدَةِ النَّفْسِ وَمُكَابَدَتِهَا.

قوله: (حِرْصُهَا عَلَى الْمَالِ) فيه إشارة إلى الفرق بين البُخْلِ والشُّحِّ؛ فالْبُخْلُ: مَنَعُ الْأَمْوَالِ، وَالشُّحُّ: صِفَةُ رَاسِخَةٍ يَصْعَبُ مَعَهَا عَلَى الرَّجُلِ تَأْتِي الْمَعْرُوفُ، وَتَعَاطِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبٍ عَبْدٍ أَبَدًا»^(٢)، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: (لَيْسَ الشُّحُّ أَنْ يَمْنَعَ الرَّجُلُ مَالَهُ، إِنَّمَا الشُّحُّ أَنْ تَطْمَحَ عَيْنُ الرَّجُلِ فِيمَا لَيْسَ لَهُ)^(٣)، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ لَمْ يَأْخُذْ شَيْئًا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْ أَخْذِهِ، وَلَمْ يَمْنَعْ شَيْئًا أَمَرَ اللَّهُ بِإِعْطَائِهِ... فَقَدْ وَقَاهُ اللَّهُ شُحَّ نَفْسِهِ.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا﴾ إِمَّا مَعْطُوفٌ عَلَى (الْفُقَرَاءِ)، وَقَوْلُهُ: ﴿يَقُولُونَ﴾ حَالٌ، أَوْ مَبْتَدَأٌ وَجُمْلَةٌ ﴿يَقُولُونَ﴾: خَبَرُهُ.

قوله: (مِنْ بَعْدِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) أَي: مِنْ بَعْدِ هِجْرَةِ الْمُهَاجِرِينَ، وَإِيمَانِ الْأَنْصَارِ.

(١) حديث سيدنا عمر رضي الله عنه رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٦)، وحديث سيدتنا عائشة رواه ابن سعد في «الطبقات» (٦٧/٨) عن أم ذرة قالت: بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال في غرارتين يكون مئة ألف، فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة، فجعلت تقسم في الناس، قال: فلما أمست... قالت: يا جارية؛ هاتي فطري، فقالت أم ذرة: يا أم المؤمنين؛ أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً تُفطرين عليه؟ فقالت: لا تُعَنِّفِينِي، لو كنت أذكرتني... لَفَعَلْتُ.

(٢) رواه النسائي في «المجتبى» (١٣/٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٧٨/٨).

يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾: حَقْدًا ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿١١﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَنْظُرُ ﴿إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وَهُمْ بَنُو النَّضِيرِ وَإِخْوَانُهُمْ فِي الْكُفْرِ، ﴿لَئِنْ﴾ - لَام قَسَمَ فِي الْأَرْبَعَةِ - ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾ مِنَ الْمَدِينَةِ

حاشية الصاوي

قوله: (إلى يوم القيامة) أي: فالبعديّة تشمل التابعين وأتباعهم إلى آخر الزمان.

قوله: ﴿الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ أي: بالموت عليه، فينبغي لكل واحدٍ من القائلين لهذا القول أن يقصد بمن سبقه من انتقل قبله من زمنه إلى عصر النبي ﷺ، فيدخل جميع من تقدّمه من المسلمين، لا خصوص المهاجرين والأنصار.

قوله: (حقداً) هو الانطواء على العداوة والبغضاء.

قوله: ﴿رَءُوفٌ﴾ بقصر الهمزة ومدّها بحيث يتولّد منها واو، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾... (إلخ) لما ذكر الشّاء على المهاجرين والأنصار وأتباعهم.. أتبعه بذكر أحوال المنافقين الذين نافقوا مع بني النضير، وهم عبد الله بن أبي وأصحابه، والخطاب إمّا لرسول الله ﷺ، أو لكل من يتأتّى منه الخطاب.

قوله: ﴿لِإِخْوَانِهِمُ﴾ اللام: للتبليغ، والمعنى: مبلّغين إخوانهم.

قوله: (لام قَسَم) أي: مُوطئة لقسم محذوف؛ أي: والله.

قوله: (في الأربعة مواضع) أي: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾، ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا﴾، ﴿وَلَئِنْ قُتِلُوا﴾، ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾، بل في الخمسة؛ هذه الأربعة وقوله: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ﴾؛ لأنّ اللام مقدّرة معه.

قوله: ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾ من المدينة) أي: أخرجكم النبي وأصحابه.

(١) قرأ أبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي بقصر الهمزة، والباقون بمدّها. انظر «السراج المنير» (٢٥١/٤).

لَنَخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾
لَيْنَ أَخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَيْنَ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَيْنَ نَصْرُوهُمْ لِيُوَلِّبَ الْأَذْبَنَ

﴿لَنَخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ﴾ : في خِذْلَانِكُمْ ﴿أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ﴾ - حُذِفَتْ مِنْهُ اللَّامُ الْمُوْطَئَةُ - ﴿لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ .

﴿١٢﴾ ﴿لَيْنَ أَخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَيْنَ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَيْنَ نَصْرُوهُمْ﴾ أي : جَاؤُوا لِنَصْرِهِمْ ﴿لِيُوَلِّبَ الْأَذْبَنَ﴾ - واستغني بجواب القسم المُقَدَّر عن جواب الشرط في المواضع الخمسة -
حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ﴾ عطف على قوله : ﴿لَيْنَ أَخْرِجْتُمْ﴾ وكذا قوله : ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ﴾ ، فمقولهم ثلاث جمل ، والقسم الواقع منهم اثنان ، ثم كذبهم الله إجمالاً ، وتفصيلاً بعد .
قوله : (في خِذْلَانِكُمْ) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف .
قوله : ﴿أَحَدًا﴾ أي : من النبي والمؤمنين ، وقوله : ﴿أَبَدًا﴾ ظرف للنفي .
قوله : (حُذِفَتْ مِنْهُ اللَّامُ) أي : وحذفها قليل في لسان العرب ، والكثير إثباتها .
قوله : ﴿لَكَاذِبُونَ﴾ أي : فيما قالوه .

قوله : ﴿لَيْنَ أَخْرِجُوا﴾ تفصيل لكذبهم ، وهو تكذيب لقولهم : ﴿لَيْنَ أَخْرِجْتُمْ﴾ ، وقوله : ﴿وَلَيْنَ قُوتِلُوا...﴾ إلخ تكذيب لقولهم : ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ...﴾ إلخ ، وقوله : ﴿وَلَيْنَ نَصْرُوهُمْ﴾ من تمام تكذيبهم في المقالة الثالثة .

قوله : (جَاؤُوا لِنَصْرِهِمْ) جواب عما يُقال : إن قوله : ﴿وَلَيْنَ نَصْرُوهُمْ﴾ مُنافٍ لقوله : ﴿لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ ، فأجاب : بأنَّ المعنى : خرجوا لِقَصْدِ نصرهم ، وحينئذ : فلا يلزم منه نصرهم بالفعل ، وأجيب أيضاً : بأنَّ قوله : ﴿وَلَيْنَ نَصْرُوهُمْ﴾ أي : على سبيل الفرض والتقدير .

قوله : (واستغني بجواب القسم... إلخ) أي : للقاعدة المعروفة في قول ابن مالك^(١) : [الرجز] واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت ، فهو مُلْتَزِمٌ

ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا

﴿ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ أي: اليهود.

(١٣ - ١٤) ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾: خَوْفًا ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ أي: المنافقين ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ لِتَأْخِيرِ عَذَابِهِ، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿١٣﴾ لَا يَقْتُلُونَكُمْ ﴿أَي: الْيَهُودُ جَمِيعًا﴾: مُجْتَمِعِينَ ﴿إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾: سُورٍ، - وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿جُدُرٍ﴾، - ﴿بِأَسْهُمٍ﴾: حَرْبُهُمْ ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾: مُجْتَمِعِينَ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: اليهود) هذا أحد أقوال في مرجع الضمير، وقيل: عائد على المنافقين، وقيل: عائد على مجموع اليهود والمنافقين، وهو الأقرب.

قوله: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ﴾ أي: خوفهم منكم في السر أشد من خوفهم من الله الذي يظهرونه لكم، وهذه الجملة كالتعليل لقوله: ﴿لَيُؤَلَّكَ الْأَدْبَرُ﴾، كأنه قال: إنهم لا يقدرون على مقابلتكم؛ لأنكم أشد رهبةً.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ما ذكر من كون خوفهم من المخلوق أشد من خوفهم من الخالق.

قوله: (مُجْتَمِعِينَ) أشار به إلى أن ﴿جَمِيعًا﴾ حال.

قوله: (وفي قراءة: ﴿جُدُرٍ﴾) أي: وهي سبعة أيضاً؛ غير أن من قرأ (جدار) بالالف يلتزم إمّا الإمامة في (جدار)، وإمّا الصلة في ﴿بَيْنَهُمْ﴾؛ بحيث يتولد منها واو؛ فمن قرأ (جدار) بدون أحد هذين الوجهين.. فقد قرأ بقراءة لم يقرأ بها أحد^(١).

قوله: ﴿بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ راجع لقوله: ﴿لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا...﴾ إلخ أي: فعجزهم عن قتالكم ليس لضعف فيهم، بل هم في غاية القوة من العدد والعدة، وإنما يضعفون في حربكم؛ للرب الذي في قلوبهم منكم.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الجيم وفتح الدال وألف بعدها، وأمال الألف أبو عمرو، والباقون بضم الجيم والدال. انظر «السراج المنير» (٢٥٢/٤).

وَقُلُوبُهُمْ شَقَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾

﴿وَقُلُوبُهُمْ شَقَىٰ﴾: مُتَفَرِّقَةٌ خِلَافَ الْحُسْبَانِ، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾: مِثْلُهُمْ فِي تَرْكِ الْإِيمَانِ.

﴿١٥﴾ ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾: بِزَمَنِ قَرِيبٍ، وَهُمْ أَهْلُ بَدْرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾: عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْقَتْلِ وَغَيْرِهِ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِمٌ فِي الْآخِرَةِ. ﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾) مِثْلُهُمْ أَيْضًا فِي سَمَاعِهِمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَتَخَلُّفِهِمْ عَنْهُمْ

حاشية الصاوي

قوله: (مُتَفَرِّقَةٌ) أي: لِعِظَمِ الْخَوْفِ، فَقُلُوبُهُمْ لَا تُوَافِقُ الْأَجْسَامَ، بَلْ فِيهَا حَيْرَةٌ وَدَهْشَةٌ.

قوله: (خِلَافَ الْحُسْبَانِ) حالٌ؛ أي: خِلَافَ ظَنِّكُمْ فِيهِمْ بِمَقْتَضَى جَمْعِيَّةِ الصُّورِ.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾: إِنَّمَا خَصَّ الْأَوَّلَ بِ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾، وَالثَّانِي بِ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَ مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى جَهْلِهِمْ بِاللَّهِ، فَنَاسِبُهُ عَدَمُ الْفَقْهِ، وَالثَّانِي مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَقَىٰ﴾، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ عَقْلِهِمْ؛ إِذْ لَوْ عَقَلُوا.. لَمَا تَشَتَّتْ قُلُوبُهُمْ، وَتَحَيَّرَتْ وَامْتَلَأَتْ رِعْبًا.

قوله: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ، قَدَرَهُ بِقَوْلِهِ: (مِثْلُهُمْ) أي: صِفَةُ بَنِي النُّضَيْرِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي تَقَعُ لَهُمْ مِنَ الْإِجْلَاءِ وَالذُّلِّ كَصِفَةِ أَهْلِ مَكَّةَ فِيمَا وَقَعَ لَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الْهَزِيمَةِ وَالْأَسْرِ وَالْقَتْلِ، فَكُلُّ حَصَلٍ لَهُ خِزْيُ الدُّنْيَا، وَعَذَابُ الْآخِرَةِ.

قوله: (بِزَمَنِ قَرِيبٍ) أي: بَيْنَ وَقْعَةِ بَدْرٍ وَوَقْعَةِ بَنِي النُّضَيْرِ، وَهُوَ سَنَةٌ وَنِصْفٌ؛ لِمَا تَقَدَّمَ أَنَّ غَزْوَةَ بَنِي النُّضَيْرِ كَانَتْ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ، وَغَزْوَةُ بَدْرٍ كَانَتْ فِي رَمَضَانَ مِنَ الثَّانِيَةِ.

قوله: (مِثْلُهُمْ أَيْضًا) أي: صِفَةُ بَنِي النُّضَيْرِ، وَقَوْلُهُ: (فِي سَمَاعِهِمْ) بَيَانٌ لِلْمَثَلِ، وَقَوْلُهُ: (وَتَخَلَّفَهُمْ) أي: تَخَلَّفَ الْمُنَافِقِينَ عَنْهُمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾: الْمُرَادُ بِهِ: حَقِيقَتُهُ، لَا شَيْطَانُ الْإِنْسِ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾: بَيَانٌ لِمِثْلِ الشَّيْطَانِ.

وبالجملة: فَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ لَهُمْ مَثَلَيْنِ: الْأَوَّلُ: بِكُفَارِ مَكَّةَ الَّذِينَ اغْتَرَّوْا بِعَدَدِهِمْ وَعُدَدِهِمْ، وَحَضَرُوا بَدْرًا، فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَيْهِمْ، وَالثَّانِي مِنْ حَيْثُ اغْتَرَّارُهُمْ بِكَلَامِ الْمُنَافِقِينَ لَهُمْ، وَمُخَالَفَتِهِمْ لَهُمْ: بِإِغْرَاءِ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ مُعَيَّنٍ عَلَى الْكُفْرِ حَتَّى أَوْقَعَهُ فِيهِ، وَمَاتَ عَلَيْهِ، ثُمَّ تَبَرَّأَ مِنْهُ.

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ
الْعَالَمِينَ﴾ كَذِباً مِنْهُ وَرِيَاءٌ، ﴿فَكَانَ عَقِبَهُمَا﴾ أي: الغاوي والمُغوي، - وَقُرِئَ بِالرَّفْعِ اسْمُ
(كَانَ) - ﴿أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ﴾ (١٨ - ١٩)

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ﴾ المراد به: برصيصا العابد؛ لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الإنسان
الذي قال له الشيطان راهبٌ، نزلت عنده امرأة أصابها لَمَمٌ؛ لِيَدْعُوَ لَهَا، فزَيَّنَ له الشيطانُ ووطَّئَهَا،
فحملت، ثم قتلها؛ خوفاً من أن يفتضح، فدلَّ الشيطان قومَهَا على مَوضعها، فجاؤُوا فاستنزلُوا
الراهب لِيَقْتُلُوهُ، فجاءه الشيطان، فوعده إن سجدَ له أن يُنَجِّيه منه، فسجدَ له، ففترأ منه»^(١)، وقصَّته
مبسوطة في «الشبرخيتي على الأربعين» في شرح الحديث الرابع، فانظرها إن شئت.

قوله: (كذباً منه ورياءً) أي: قوله هذا كذبٌ منه ورياءٌ؛ لأنه لا يخافُ الله أبداً.

قوله: (أي: الغاوي) اسم فاعل من (غَوَى يَغْوِي) ك(رَمَى يَرْمِي)، والمراد به: الإنسان الذي غرَّه
الشيطان، وقوله: (والمُغوي) اسم فاعل أيضاً من (أَغْوَاهُ يُغْوِيهِ)، وهو الشيطان.

قوله: (وقرئ بالرفع) أي: شاذاً^(٢).

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾... إلخ) لَمَّا ذَكَرَ صفات كُلِّ من المنافقين واليهود
وما آلَ إليه أمرُهُمْ... وعظ المؤمنين بموعظةٍ حسنةٍ؛ تحذيراً من أن يكونوا مثلَ مَنْ تقدَّم ذِكْرُهُمْ،
وذلك أوقع في النفس.

قوله: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ﴾ اللام: لامُ الأمر، والحكمة في التنكير: الإشارةُ إلى أَنَّ الأنفسَ
الناظرةَ لِمَعَادِهَا المعتبرةَ بغيرها... قليلةٌ جداً، عديمةُ المثل.

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٢/٤٨٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٠٦٧) عن سيدنا علي عليه السلام.

(٢) وبها قرأ الحسن وعمر بن عبید وابن أرقم. انظر «الدر المصون» (١٠/٢٩١).

مَا قَدَّمْتَ لِغَدٍ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ يِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾

مَا قَدَّمْتَ لِغَدٍ: لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ يِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ: تَرَكُوا طَاعَتَهُ ﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ أَنْ يُقَدِّمُوا لَهَا خَيْرًا، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَا قَدَّمْتَ لِغَدٍ﴾ ﴿مَا﴾: اسم موصول، و﴿قَدَّمْتَ﴾: صِلْتُهُ، والمعنى: ولْتَبْحَثْ وتحصل نفس العمل الذي قَدَّمْتَهُ لِغَدٍ؛ وذلك لأنَّ جميع ما تَعْمَلُهُ في الدنيا ترى جزاءه في القيامة، فليختر العاقل أيَّ الجزاءين؛ لما ورد في الحديث: «الكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي»^(١).

قوله: (وهو يوم القيامة) سَمِّيَ غَدًا؛ لِقُرْبِ مَجِيئِهِ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَمُرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنَفْحِ أَنْفَرٍ﴾ [النحل: ٧٧]، فكأنه لِقُرْبِهِ شُبِّهَ بِمَا لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ إِلَّا لَيْلَةٌ وَاحِدَةٌ. والتكبيرُ في (غَدٍ) للتعظيم والإبهام، كأنه قيل: لِغَدٍ لا تعرف نفسُ كُنْهَ عَظَمَتِهِ وَهَوْلِهِ.

قوله: ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ كَرَّرَهُ لِلتَّأْكِيدِ، أَوِ الْأَوَّلُ: إِشَارَةٌ لِلْأَمْرِ بِأَصْلِ التَّقْوَى، وَالثَّانِي: لِلْأَمْرِ بِالذَّوَامِ عَلَيْهَا.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ يِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الخبير: المَطَّلَعُ عَلَى خَفِيَّاتِ الْأَشْيَاءِ، الْقَادِرُ عَلَى الْإِخْبَارِ بِمَا عَجَزَتْ عَنْهُ الْمَخْلُوقَاتُ، وَقَوْلُهُ: ﴿يِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أَيُّ: مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

قوله: (تركوا طاعته) أشار بذلك إلى أَنَّ الْمَرَادَ بِالنِّسْيَانِ: التَّرْكَ، وَلَيْسَ الْمَرَادُ بِهِ عَدَمَ الْحِفْظِ وَالذِّكْرِ.

قوله: (أَنْ يُقَدِّمُوا لَهَا خَيْرًا) أشار بذلك إلى أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، وَالتَّقْدِيرُ: فَأَنْسَاهُمْ تَقْدِيمَ خَيْرٍ لِأَنْفُسِهِمْ، فَثَمَرَةُ نِسْيَانِهِمْ اللَّهَ نِسْيَانُ أَنْفُسِهِمْ؛ أَيُّ: فَتَرَكَ حُقُوقَ اللَّهِ خَسْرَانُهُمْ، وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ﴾ [محمد: ٣٨]، وَ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ [الروم: ٤٤]؛ لِأَنَّهُ الْمُسْتَغْنَى عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ.

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٤٢٦٠) عن سيدنا شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَيْسَ فِيهِمَا (الْأَمَانِي).

لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أُنزِلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

(٢٠ - ٢١) ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ لَوْ أُنزِلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ ﴿وَجُعِلَ فِيهِ تَمْيِيزٌ كَالْإِنْسَانِ﴾ ﴿لَرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ : مُتَشَقِّقًا ﴿مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ﴾ الْمَذْكُورَةُ ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فَيُؤْمِنُونَ.
(٢٢ - ٢٣) ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ : السِّرُّ وَالْعَلَانِيَةُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أي: الذين نَسُوا الله، فاستحقوا الخلود في النار.
قوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ أي: الذين اتَّقَوْا الله، فاستحقوا الخلود في الجنة.
قوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ هذا كالتذييل لقوله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ...﴾ إلخ؛ وذلك لأنَّ الله تعالى لَمَّا أمر المؤمنين بالتقوى والنظر في العواقب والعمل النافع، ونَهَاهُمْ عن الغفلة والتشبُّه بمن نسي طاعة الله.. ذِيلَهُ بِمَا يُرْغَبُهُمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَيُقَرَّبُهُمْ إِلَيْهِ زَلْفَى.
قوله: ﴿وَجُعِلَ فِيهِ تَمْيِيزٌ كَالْإِنْسَانِ﴾ المقصودُ من هذا الكلام: التَّنْبِيهُ عَلَى قَسَاوَةِ قُلُوبِ الْكَفَّارِ، وَغِلَظِ طَبَائِعِهِمْ، وَفِيهِ رَمَزٌ لِمَنْ قَلَّ خُشُوعُهُ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَأَعْرَضَ عَنِ تَدَبُّرِهِ، وَلَمْ يَأْتَمِرْ بِأَوَامِرِهِ، وَلَمْ يَنْتَهَ بِنَوَاهِيهِ، فَالْوَاجِبُ التَّدَبُّرُ فِي الْقُرْآنِ، وَالْخُشُوعُ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا عَذْرَ فِي تَرْكِ ذَلِكَ؛ إِذْ لَوْ خُوطِبَ بِهَذَا الْقُرْآنُ الْجِبَالُ مَعَ تَرْكِيبِ الْعَقْلِ فِيهَا.. لَانْقَادَتْ لِمَوَاعِظِهِ، وَلَرَأَيْنَاهَا خَاشِعَةً مُّشَقَّقَةً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ.

قوله: (الْمَذْكُورَةُ) أي: في هذه السورة، أو في سائر القرآن.

قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي...﴾ إلخ) لَمَّا وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى كَلَامَهُ بِالْعِظَمِ - وَمِنَ الْمَعْلُومِ: أَنَّ عِظَمَ الصِّفَةِ تَابِعٌ لِعِظَمِ الْمَوْصُوفِ - أَتَبَعَ ذَلِكَ بِوَصْفِ عِظَمِهِ تَعَالَى فَقَالَ: ﴿هُوَ﴾ أي: الذاتُ الْمُتَّصِفَةُ بِالْكَمَالَاتِ أَزْلًا وَأَبَدًا، الْوَاجِبَةُ الْوُجُودِ، وَقَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ﴾: خَبَرٌ عَنِ ﴿هُوَ﴾، وَقَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: إِمَّا خَبَرٌ ثَانٍ، أَوْ صِفَةٌ لِلْفِظِ الْجَلَالَةِ، وَذَكَرُ لَفْظِ الْجَلَالَةِ بَعْدَ الْهُيُوتَةِ؛ لِأَنَّ الْهُيُوتَةَ هِيَ الذَّاتُ، وَالْجَلَالَةُ اسْمُ الذَّاتِ وَمُظْهَرُهَا.

هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ
الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ

﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ: الظَّاهِرُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، ﴿السَّلَامُ﴾: ذُو السَّلَامَةِ مِنَ النَّقَائِصِ، ﴿الْمُؤْمِنُ﴾: الْمُصَدِّقُ رُسُلَهُ بِخَلْقِ الْمُعْجَزَةِ لَهُمْ، ﴿الْمُهَيِّمُ﴾: مَنْ (هَيَمَنَ يُهَيِّمُنُ): إِذَا كَانَ رَقِيبًا عَلَى الشَّيْءِ، أَي: الشَّهِيدُ عَلَى عِبَادِهِ بِأَعْمَالِهِمْ ﴿الْعَزِيزُ﴾: الْقَوِيُّ ﴿الْجَبَّارُ﴾: جَبَرَ خَلْقَهُ عَلَى مَا أَرَادَ، ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ حاشية الصاوي

قوله: ﴿الْمَلِكُ﴾ (أي: المتصرف في خلقه بالإيجاد والإعدام).

قوله: ﴿الْقُدُّوسُ﴾ (أي: المنزَّه عن صفات الحوادث، وأتى به عقب ﴿الْمَلِكِ﴾؛ ليدفع توهم أنه يطرأ عليه نقص كالمملوك).

قوله: ﴿السَّلَامُ﴾ (أي: الذي يُسَلِّمُ على عباده المؤمنين في الجنة، وعلى الأنبياء في الدنيا، أو السالم من كل نقص، أو المؤمن من المخاوف والمهالك).

قوله: ﴿الْمُصَدِّقُ رُسُلَهُ بِخَلْقِ الْمُعْجَزَةِ لَهُمْ﴾ (أي: وأولياؤه بالكرامات، وعبادة المؤمنين على إيمانهم وإخلاصهم؛ لأنه لا يَطَّلِعُ على الإخلاص إلا هو).

قوله: (أي: الشهيد على عباده) وقيل: معناه: المَطَّلِعُ على خطرات القلوب.

قوله: (القوي) (أي: فهو من: (عزَّ) بمعنى: غلب وقهر، فيكون من صفات الجلال، ويصح أن يكون من (عزَّ) بمعنى: قلَّ فلم يوجد له نظير، فهو من صفات السُّلُوب).

قوله: (جبر خلقه على ما أراد) (أي: من إسلام وكفر، وطاعة ومعصية، فإذا أراد أمراً فعله، لا يحجزه عنه حاجز، فهو من صفات الجلال، ويصح أنه مأخوذ من الجبر بمعنى: الإصلاح؛ كقولهم: جبر الطبيب الكسر؛ أي: أصلحه، فيكون من صفات الجمال).

قوله: ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ (أي: من الكبرياء، وهي التَّعَالِي فِي الْعِظَمَةِ، وهي مُخْتَصَّةٌ بِهِ تَعَالَى؛ لِمَا فِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدَةً مِنْهُمَا.. قَصَمْتُهُ ثُمَّ حَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»^(١)).

(١) رواه أبو داود (٤٠٩٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: (قدفته) بدل (حذفته)، وينحوه عند مسلم (٦٧٧٣).

سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ﴾ نَزَّهَ نَفْسَهُ ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بِهِ.

﴿٢٤﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾: الْمُنْشِئُ مِنَ الْعَدَمِ، ﴿الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ التَّسْعَةُ وَالتَّسْعُونَ الْوَارِدُ بِهَا الْحَدِيثُ، وَ﴿الْحُسْنَى﴾ مُؤَنَّثُ (الْحَسَنِ)، ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تَقَدَّمَ أَوَّلُهَا.

حاشية الصاوي

قوله: (عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ) أَي: مِنْ صِفَاتِ الْحُدُوثِ.

قوله: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أُنِيَ بِالتَّسْبِيحِ عَقِبَ قَوْلِهِ: ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ مُخْتَصٌّ بِهِ، وَيُنَزَّهَ سُبْحَانَهُ عَنْ مُشَارَكَةِ الْغَيْرِ لَهُ.

قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ﴾ كَرَّرَ الْهُوِّيَّةَ؛ لِأَنَّهَا حَقِيقَةُ الذَّاتِ الْمُتَّصِفَةِ بِالْكَمَالَاتِ، فَمَا يُذَكَّرُ بَعْدَهَا مِنَ الصِّفَاتِ فَهُوَ كَشْفٌ لَهَا.

قوله: ﴿الْخَلِيقُ﴾ أَي: الْمَوْجِدُ لِلْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْعَدَمِ.

قوله: (الْمُنْشِئُ) أَي: الْمُبْدِعُ لِلْأَعْيَانِ، الْمَبْرُزُ لَهَا.

قوله: ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ أَي: الْمُبْدِعُ لِلْأَشْكَالِ عَلَى حَسَبِ إِرَادَتِهِ، فَأَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ صُورَةً خَاصَّةً وَهَيْئَةً مُنْفَرَدَةً، يَتَمَيَّزُ بِهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا وَكَثَرَتِهَا.

قوله: (مُؤَنَّثُ «الْحَسَنِ») أَي: الَّذِي هُوَ (أَفْعَلٌ) تَفْضِيلٌ، لَا مُؤَنَّثُ (أَحْسَنُ) الْمَقَابِلُ لـ: (امْرَأَةٌ حَسَنَاءُ). وَوُصِفَتْ بِالْحَسَنِ؛ لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى مَعَانٍ حَسَنَةٍ؛ مِنْ تَحْمِيدٍ وَتَقْدِيسٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَوَصَفَ الْجَمْعَ الَّذِي لَا يَعْقِلُ بِمَا تَوْصَفُ بِهِ الْوَاحِدَةُ، وَهُوَ فَصِيحٌ، وَلَوْ جَاءَ عَلَى الْمِطَابَقَةِ.. لَقَالَ: (الْحُسْنُ) بِوزن (أُخْرٍ)، وَيَصِحُّ أَنْ يُرَادَ مِنَ (الْحُسْنَى) الْمَصْدَرُ، وَيُقَالُ فِيهِ مَا قِيلَ فِي: زَيْدٌ عَدْلٌ، وَوُصِفَ الْجَمْعُ بِهِ ظَاهِرٌ لِأَنَّهُ لَا يُثَنَّى وَلَا يَجْمَعُ.

قوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خَتَمَهَا بِالتَّسْبِيحِ كَمَا ابْتَدَأَهَا بِهِ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ وَالْمَبْدَأُ وَالنَّهَايَةُ، وَأَنَّ غَايَةَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ تَنْزِيهُهُ عَمَّا صَوَّرَتْهُ الْعُقُولُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ



مدنية، ثلاث عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿ءَوِيَاءَ تُلْقُونَ﴾: تُوصِّلُونَ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ قصد النبي ﷺ غزوهم الذي أسرهُ إِلَيْكُمْ

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْمُتَحَنِّنِ

بكسر الحاء وفتحها؛ لأنه نزل فيها أمرُ المؤمنين بامتحان المرأة التي هاجرت، فالكسر من حيثُ أمرُ المؤمنين بالامتحان، والفتحُ من حيثُ المرأة، وهي أمُ كلثوم بنت عُقبة بن أبي معيط، امرأة عبد الرحمن بن عوف، والدة إبراهيم بن عبد الرحمن.

قوله: (مدنية) أي: بإجماع.

قوله: ﴿عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ أضاف العدوَّ لنفسه تعالى؛ تشريفاً للمؤمنين؛ أي: إنَّ عدوكم بمنزلة عدوِّي، أنتقم منه، وإلا... فالعدوُّ بمعنى: الموصل للضرر على الله محال؛ كما أنَّ الحبيب الموصل للنفع على الله محال.

قوله: (أي: كفار مكة) تفسيرٌ للعدو، والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فحكمُ الآية باقي مع سائر الكفار إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ﴾ هذه الجملة إمَّا مفسرة لموالاتهم إِيَّاهم، أو استثنائية، فلا محلَّ لها من الإعراب على هذين، أو حالٌ من فاعل ﴿تَتَّخِذُوا﴾، أو صفة لـ ﴿ءَوِيَاءَ﴾.

قوله: (قصد النبي... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ مفعول ﴿تُلْقُونَ﴾ محذوف، والباء في قوله:

﴿بِالْمَوَدَّةِ﴾ سببية.

بِالْمَوَدَّةِ

وَوَرَّى بِحُنَيْنٍ، ﴿بِالْمَوَدَّةِ﴾ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَيْهِمْ كِتَاباً بِذَلِكَ لِمَا لَهُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَوْلَادِ وَالْأَهْلِ الْمُشْرِكِينَ،

حاشية الصاوي

قوله: (وورَّى بحنين) أي: بغزوة حنين، والمعنى: أظهر لعامة الناس أنه يريد غزوة حنين، على عادته من أنه كان إذا خرج لغزوة يورِّي بغيرها^(١)، كان يسأل عن طريق غيرها؛ سترًا عن المنافقين؛ لئلا يرسلوا إلى الكفار، فيتنبهوا، فيفوت تدبير الحرب.

والتَّورِيَّةُ مأخوذةٌ من: وراء الإنسان، كأنه يجعل ما أراده خلفه ووراءه، وفي بعض النسخ: (وورى بخير)، وهو تحريف؛ لأنَّ غزوة خيبر كانت في المحرم سنة سبع، وفتح مكة كان في رمضان من السنة الثامنة، وحنين كانت بعد الفتح في شوال من سنة الفتح، فورَّى بها على عادته في غزواته، والسورة نزلت في غزوة الفتح.

قوله: (كتب حاطب بن أبي بلتعة... إلخ) أي: وكان ممَّن هاجر مع النبي ﷺ، وهو في الأصل من اليمن، وكان في مكة حليف بني أسد بن عبد العزى رهط الزبير بن العوام. وهذا بيانٌ لسبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآيتين.

روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: «ائتوا روضة خاخ - بالصرف وتركه، موضع بينه وبين المدينة اثني عشر ميلاً - فإنَّ بها طعينةً معها كتابٌ، فخذوه منها»، فانطلقنا نُهادي خيلنا - أي: نسرعها - فإذا نحن بامرأة فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتابٌ، فقلنا: لَتُخْرِجِيَّ الكتاب أو لَتُلْقِيَنَّ الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناسٍ من المشركين من أهل مكة، يُخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب؛ ما هذا؟» فقال: لا تعجل عليَّ يا رسول الله، إني كنت امرأً مُلصقاً في قريش - قال سفيان: كان حليفاً لهم ولم يكن من أنفسهم - وكان من معك من المهاجرين لهم قراباتٌ يَحْمُونَ بها أهلهم، فأحببتُ إذ فاتني ذلك عن النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يَحْمُونَ بها قرابتي، ولم أفعله كفرةً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، وقد علمت أنَّ الله ينزل بهم بأسه، وأنَّ كتابي لا يُغني عنهم شيئاً، وأنَّ الله ناصرُك

(١) كما في «صحيح البخاري» (٢٩٤٧)، و«صحيح مسلم» (٢٧٦٩) من حديث سيدنا كعب بن مالك رضي الله عنه.

فَاسْتَرَدَّهُ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّنْ أَرْسَلَهُ مَعَهُ

حاشية الصاوي

عليهم، فقال النبي ﷺ: «صدق»، فقال عمر رضي الله عنه: دَعَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبُ عَنْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فقال له رسول الله ﷺ: «إنه شهد بدرًا، وما يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(١).

قيل: اسم المرأة سارة من موالى قريش، روي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ آمَنَ جَمِيعَ النَّاسِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ إِلَّا أَرْبَعَةً وَهِيَ إِحْدَاهُمْ^(٢)، وقيل: إنها عاشت إلى خلافة عمر، وأسلمت وحسن إسلامها.

وكان في الكتاب: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْكُمْ بِجَيْشٍ كَاللَّيْلِ، يَسِيرُ كَالسَّيْلِ، وَأَقْسَمَ بِاللَّهِ لَوْ لَمْ يَسِرْ إِلَيْكُمْ إِلَّا وَحْدَهُ... لِأَظْفَرَهُ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَأَنْجِزَ لَهُ مَوْعِدَهُ فِيكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ وَلِيُّهُ وَنَاصِرُهُ^(٣).

وروي: أَنَّ سَارَةَ الْمَذْكُورَةَ حِينَ قَدِمَتِ الْمَدِينَةَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا جَرَّةٌ جِئْتَ يَا سَارَةُ؟» فَقَالَتْ: لَا، فَقَالَ: «أَمْسَلِمَةُ جِئْتَ؟» قَالَتْ: لَا، قَالَ: «فَمَا جَاءَ بِكَ؟» قَالَتْ: كُنْتُ مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَوَالِي وَالْأَصْلِ وَالْعَشِيرَةِ، وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ الْمَوَالِي - يَعْنِي: قَتَلُوا يَوْمَ بَدْرٍ - وَقَدْ اخْتَجَجْتُ حَاجَةً شَدِيدَةً، فَقَدِمْتُ عَلَيْكُمْ؛ لِتُعْطُونِي وَتَكْسُونِي، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَإِنَّ أَنْتَ مِنْ شَبَابِ أَهْلِ مَكَّةَ؟» وَكَانَتْ مَغْنِيَّةً، قَالَتْ: مَا طُلِبَ مِنِّي شَيْءٌ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَحَثَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَلَى إِعْطَائِهَا، فَكَسَوْهَا وَحَمَلُوهَا وَأَعْطَوْهَا، فَخَرَجَتْ إِلَى مَكَّةَ، وَأَتَاهَا حَاطِبٌ فَقَالَ: أَعْطَيْكَ عَشْرَةَ دَنَانِيرَ وَبَرْدًا عَلَى أَنْ تُتْلِيَ هَذَا الْكِتَابَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، وَكُتِبَ فِيهِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَرِيدُكُمْ، فَخَذُّوا حِذْرَكُمْ، فَخَرَجَتْ سَارَةُ سَائِرَةً إِلَى مَكَّةَ، وَنَزَلَ جَبْرِيلُ فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِذَلِكَ، فَبَعَثَ لَهَا عَلِيًّا... إِلَى آخِرِ مَا تَقَدَّمَ^(٤).

قوله: (فاسترده النبي) أي: طلب رده بإرسال عليٍّ ومن معه.

قوله: (ممن أرسله) أي: وهي سارة، والضمير المستتر في (أرسل) عائذٌ على حاطب، والبارز عائذٌ على الكتاب.

(١) رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) واللفظ له.

(٢) رواه أبو داود (٢٦٨٣)، والنسائي في «المجتبى» (١٠٥/٧) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وليس فيه ذكر أسمائهم.

(٣) ذكره السهيلي في «الروض الأنف» (٨٦/٧).

(٤) أورده بتمامه البغوي في «تفسيره» (٩٢/٨).

وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ

بإعلام الله تعالى له بذلك، وَقَبْلَ عُدْرٍ حَاطِبٍ فِيهِ، ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: دين الإسلام والقرآن، ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ مِنْ مَكَّةَ بِتَضْيِيقِهِمْ عَلَيْكُمْ، ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا﴾ أي: لأجل أن آمنتم ﴿بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا﴾: لِلْجِهَادِ ﴿فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ - وَجَوَابُ الشَّرْطِ دَلٌّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ - أي: فلا تَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ، ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (بإعلام الله له) متعلق بـ(استرده)، والباء سببية.

قوله: (وَقَبْلَ عُدْرٍ حَاطِبٍ) أي: لَأَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِدِينِي، شهد الله له بالإيمان حيث قال: ﴿يَتَّبِعُنَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ إلخ.

قوله: (﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ﴾) إمَّا مُسْتَأْنَفٌ، أو تفسيرٌ لكفرهم، أو حال من فاعل ﴿كَفَرُوا﴾.

قوله: (﴿وَإِيَّاكُمْ﴾) عطف على ﴿الرَّسُولَ﴾، وقَدْ عَلِمَ عَلَيْهِمْ؛ لَأَنَّهُ الْمَقْصُودُ، فلذلك عدل عن اتصال الضمير إلى انفصاله؛ لَأَنَّهُ لَوْ قَالَ: (يُخْرِجُونَكُمْ وَالرَّسُولَ).. لفات هذا المعنى.

قوله: (أي: لأجل أن تؤمنوا... إلخ) أشار به إلى أَنَّ ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا﴾ في محل نصب مفعول له؛ والمعنى: يُخْرِجُونَكُمْ مِنْ أَجْلِ إِيْمَانِكُمْ بِاللَّهِ.

قوله: (﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ﴾) أي: من مكة.

قوله: (لِلْجِهَادِ) أشار به إلى أَنَّ ﴿جِهَادًا﴾ وما بعده منصوب على المفعول له.

قوله: (﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ﴾) بدل من ﴿تَلْقَوْنَ﴾ بدل بعض من كلٍّ، أو مُسْتَأْنَفٌ، ومفعول ﴿تُسِرُّونَ﴾ محذوف، قدَّره بقوله: (إسرار خبر النبي)، والباء في ﴿بِالْمُودَّةِ﴾: للسببية؛ نظير ما تقدَّم.

قوله: (﴿وَأَنَا أَعْلَمُ﴾) الجملة حالية من فاعل ﴿تَلْقَوْنَ﴾ و﴿تُسِرُّونَ﴾^(١).

(١) والتقدير: وأيُّ طائل لكم في إسراركم وقد علمتم أنَّ الإسرار والإعلان سيان في علمي؟ و(أعلم): يجوز أن يكون أفعِل تفضيل وهو الظاهر، وأن يكون فعلاً مضارعاً، قال ابن عطية: وعُدِّي بالباء؛ لأنك تقول: عَلِمْتُ بكذا. انظر «الدر المصون» (١٠/٣٠٠).

وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَنْفَقُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ

وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ ﴿١﴾ أي: إسرارَ خَبَرِ النَّبِيِّ إِلَيْهِمْ ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: أخطأ طريقَ الهدى، والسَّوَاءِ في الأصل: الوسط.

﴿٢﴾ إِنْ يَنْفَقُوكُمْ ﴿١﴾: يَظْفَرُوا بِكُمْ ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: بِالْقَتْلِ وَالضَّرْبِ، ﴿وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ﴾: بِالسَّبِّ وَالشَّتْمِ، ﴿وَوَدُّوا﴾: تَمَنَّوْا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿٣﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ ﴿١﴾: قَرَابَاتُكُمْ ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾: الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ لِأَجْلِهِمْ أَسْرَرْتُمْ الْخَبَرَ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُفْصَلُ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: (طريق الهدى) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ مفعول ﴿ضَلَّ﴾.

قوله: ﴿إِنْ يَنْفَقُوكُمْ﴾... إلخ) كلامٌ مستأنفٌ مبيِّنٌ لوجه العداوة.

قوله: ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ﴾) أي: يُظْهِرُوا العداوة لكم.

قوله: ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾) عطف على جملة الشرط والجزاء؛ فقد أخبر عنهم بخبرين: عداوتهم، ومودّتهم كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ^(١).

قوله: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾) هذا تخطئة لحاطب في رأيه، كأنه قال: لا يحملكم قراباتكم وأولادكم الذين بمكة على خيانة رسول الله ﷺ والمؤمنين، وترك مُناصحتهم، ونقل أخبارهم، ومُوالاة أعدائهم؛ فإنه لا تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم الذين عصيتهم الله لأجلهم.

قوله: (من العذاب) متعلق بقوله: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ﴾.

قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾) إمّا متعلق بما قبله فيوقف عليه، ويبتدأ بـ ﴿يُفْصَلُ يَنْفَقُوكُمْ﴾، أو متعلق بما بعده، فيوقف على ﴿أَوْلَادُكُمْ﴾، ويبتدأ بـ ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾.

(١) ويجوز أن يكون معطوفاً على جواب الشرط وهو قوله: (يكونوا) و(يبسطوا)، قاله الزمخشري، ثم رتب عليه سؤالاً وجواباً فقال: (فإن قلت: كيف أورد جواب الشرط مضارعاً مثله ثم قال: (ودوا) بلفظ الماضي؟ قلت: الماضي وإن كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب، فإنّ فيه نكتة، كأنه قيل: وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم، يعني: أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضارعاً الدنيا والآخرة جميعاً). انظر «الدر المصون» (٣٠١/١٠).

يَنِّتَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ

- بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ وَالْفَاعِلِ - ﴿يَنِّتَكُمْ﴾ وَبَيْنَهُمْ؛ فَتَكُونُونَ فِي الْجَنَّةِ وَهُمْ فِي جُمْلَةِ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿٤﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ - بِكَسْرِ الهمزة وضمِّها في المَوْضِعَيْنِ -: قُدْوَةٌ ﴿حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ أَي: بِهِ

حاشية الصاوي

قوله: (بالبناء للمفعول) أي: مع التخفيف والتشديد، وقوله: (والفاعل) أي: معهما أيضاً، فالقراءات أربعٌ سبعيات^(١).

قوله: (وبينهم) أي: الأرحام والأولاد.

قوله: (فتكونون في الجنة) أي: فلا ينبغي موالاة الكفار؛ لأنه لا اجتماع بينكم وبينهم في الآخرة.

قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (لما بَيَّنَّ سبحانه وتعالى حَالَ مَنْ جَعَلَ الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ. . ذكر هنا قصة إبراهيم وقومه، وأنَّ طَرِيقَتَهُ التَّبري من أهل الكفر، وألزم أُمَّةَ مُحَمَّدٍ بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ فِي ذَلِكَ، وفيه توبيخٌ لحاطب وَمَنْ والى الكفار.

قوله: (بكسر الهمزة وضمِّها) أي: فهما قراءتان سبعيتان، وقوله: (في الموضعين) أي: هذا، وقوله الآتي: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ﴾، ومعناها عليهما: الاتباع والافتداء كما قال المفسر^(٢).

قوله: ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ جَارٌّ وَمَجْرُورٌ متعلق بـ ﴿أُسْوَةٌ﴾، وردَّ: بأنه لا يجوز عملُ المصدر الموصوف. أجب: بأنه يتوسَّع في الظروف ما لا يتوسَّع في غيرها، ويصح أنه متعلق بـ ﴿حَسَنَةٌ﴾ تعلقَ الظرف بالعمل، ويصح أنه نعتٌ ثانٍ لـ ﴿أُسْوَةٌ﴾، وإنما خَصَّ النَّاسِي بِإِبْرَاهِيمَ؛ لأنه صبر على أذى عدو الله النمروذ ولم يكن معه أحدٌ يُعينه عليه مع تفرُّده بملك الأرض مشرقاً ومغرباً.

(١) القراء في ﴿يَنِّتَكُمْ﴾ على أربع مراتب، الأولى: لا ين عامر بضم الياء وفتح الفاء والصاد مُثْقَلَةٌ، الثانية: كذلك إلا أنه بكسر الصاد للأخوين، الثالثة: بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد مخففة لعاصم، الرابعة: بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد مخففة للباقيين، وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو. هذا في السبعة. انظر «الدر المصون» (٣٠٢/١٠).

(٢) قرأ (أسوة) في الموضعين عاصم بضم الهمزة، والباقيون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٢٦٢/٤).

وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ . . .

قولاً وفِعلاً، ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا﴾: جَمْع (بريء) كـ (ظريف) ﴿مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾: أنكرناكم، ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾ - بِتَحْقِيقِ الهمزَيْنِ، وإبدالِ الثانيةِ واواً - ﴿حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ مُسْتَشْنَى مِنْ ﴿أُسْوَةٍ﴾؛ فَلَيْسَ لَكُمْ التَّأْسِي بِهِ فِي ذَلِكَ بِأَنْ تَسْتَغْفِرُوا

حاشية الصاوي

قوله: (قولاً وفِعلاً) تمييزٌ مبينٌ لجهة الاقتداء؛ أي: اقتدوا به في القول والفعل؛ فإنه لم يبال بالكفار ولا بشدَّتْهم وضعفه.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يحتمل أن المراد بالمعية وهو في أرض بابل، وحينئذٍ: فلم يكن معه إلا لوطٌ ولدٌ أخيه وسارةٌ زوجته، أو المراد: بعد مجيئه إلى الشام، وحينها كثر المؤمنون به.

قوله: ﴿إِذْ قَالُوا﴾ هذا بدل اشتمال من ﴿إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، والمراد بقومهم: النمرود وجماعته؛ أي: فبادرهم بالعداوة، ولم يبالوا بهم مع شدة بأسهم وضعف المؤمنين.

قوله: ﴿وَبَدَا﴾ أي: ظهر بيننا وبينكم العداوة على ممر الأزمان؛ بدليل ذكر الأبد. والعداوة: المباينة ظاهراً، والبغضاء: المباينة بالقلوب، وفي الحقيقة هما متلازمان.

قوله: (بِتَحْقِيقِ الهمزَيْنِ . . . إلخ) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (مستثنى من ﴿أُسْوَةٍ حَسَنَةٍ﴾) أي: وساغ ذلك؛ لأنَّ القول من جملة الأسوة، فكأنه قيل لكم: فيه أسوة في أفعاله وأقواله إلا قوله كذا.

قوله: (أي: فليس لكم التأسي به) أي: لأنَّ استغفاره له؛ لرجائه إسلامه، فلمَّا ظهر أنه عدوٌّ لله . . . تبرأ منه.

(١) أبدل الهمزة الثانية واواً محضة المديان والمكي والبصري ورؤيس، وحقَّقها غيرهم، واتفقوا على تحقيق الأولى.

وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١﴾

لِلْكَفَّارِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنْ اللَّهِ﴾ أَي: مِنْ عَذَابِهِ وَثَوَابِهِ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ كُنِيَ بِهِ عَنْ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ لَهُ غَيْرَ الْاسْتِغْفَارِ، فَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَيْهِ مُسْتَشْنَى مِنْ حَيْثُ الْمُرَادُ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ حَيْثُ ظَاهِرُهُ مِمَّا يُتَأَسَّى فِيهِ، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الفتح: ١١]، وَاسْتِغْفَارُهُ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ كَمَا ذَكَرَهُ فِي (بَرَاءة)، ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ مِنْ مَقُولِ الْخَلِيلِ وَمَنْ مَعَهُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ هذه الآية باعتبار معناها الوضعي تكون من جملة ما يُقْتَدَى بِهِ فِيهِ؛ لِأَنَّ مُحْصَلَهُ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ لَهُ ثَوَابًا وَلَا عِقَابًا، عَلَى حَدِّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وَهَذَا ثَابِتٌ لِإِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ، وَلَيْسَ مُرَادًا هُنَا، بَلِ الْمُرَادُ: مَعْنَاهَا الْكُنَائِي، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ لَهُ غَيْرَ الْاسْتِغْفَارِ، فَهُوَ غَيْرُ مُقْتَدَى بِهِ فِيهِ، وَحِينَئِذٍ: فَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَمْلِكُ﴾ مُعْطُوفٌ عَلَى ﴿لَاَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾، وَأَشَارَ الْمَفْسِّرُ لَذَلِكَ بِقَوْلِهِ: (كُنِيَ بِهِ... إلخ).

قوله: (فَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَيْهِ) أَي: مُعْطُوفٌ عَلَى ﴿لَاَسْتَغْفِرَنَّ﴾ وَمُرْتَبِطٌ بِهِ، سَاقَهُ اعْتِذَاراً.

قوله: (مُسْتَشْنَى مِنْ حَيْثُ الْمُرَادُ مِنْهُ) أَي: وَهُوَ الْمَعْنَى الْكُنَائِي.

قوله: (وَإِنْ كَانَ مِنْ حَيْثُ... إلخ) مُبَالِغَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مُرَادًا، وَإِنْ كَانَ مَعْنَاهُ الْوَضْعِي.

قوله: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ﴾ هَذَا دَلِيلٌ لِلْمَعْنَى الْوَضْعِيَّةِ الْغَيْرِ الْمُرَادِ.

قوله: (وَاسْتِغْفَارُهُ) هَذَا بَيَانٌ لِعَذْرِ إِبْرَاهِيمَ فِي اسْتِغْفَارِهِ لِأَبِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَغْفِرْ لَهُ إِلَّا لِرَجَاءِ إِيْمَانِهِ، وَلَمَّا مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ... رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ... إلخ.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَعَدَ أَبَاهُ بِالْاسْتِغْفَارِ فِي سُورَةِ (مَرْيَمَ) بِقَوْلِهِ: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]، وَاسْتَغْفَرَ لَهُ بِالْقَوْلِ فِي سُورَةِ (الشُّعَرَاءِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَعْفِرْ لِآتِي﴾ [الشُّعَرَاءِ: ٨٦]، ثُمَّ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ كَمَا بَيَّنَّهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ (بَرَاءة) ^(١).

قوله: (مِنْ مَقُولِ الْخَلِيلِ... إلخ) أَي: الَّذِي يُقْتَدَى بِهِ فِيهِ، فَهُوَ فِي الْمَعْنَى مُقَدَّمٌ عَلَى جُمْلَةِ الْاسْتِثْنَاءِ.

(١) وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾.

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾

أي: وقالوا.

﴿٥﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لا تُظهرهم علينا فيُظنُّوا أنَّهم على الحقِّ فيفتنوا بنا، أي: تذهب عقولهم بنا، ﴿وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في مُلكِكَ وصُنْعِكَ.

﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا أُمَّةُ مُحَمَّدٍ - جَوَابُ قَسَمِ مُقَدَّرٍ - ﴿فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ﴾ - بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنْ (كُم) بِإِعَادَةِ الْجَارِ - ﴿يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: يَخَافُهُمَا أَوْ يَظُنُّ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ بِأَنْ يُوَالِيَ الْكُفَّارَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عَنْ خَلْقِهِ، ﴿الْحَمِيدُ﴾ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: قالوا) فهو معمولٌ للقول السابق في ﴿قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ﴾ أي: قالوا ذلك وقالوا: ﴿رَبَّنَا...﴾ إلخ، ويصح أن يكون أمراً من الله للمؤمنين؛ تمييزاً لما أمرهم به من ترك موالاته الكفار؛ أي: أظهروا لهم العداوة، ولا يهولكم أمرهم، وقلوا: ﴿رَبَّنَا...﴾ إلخ. ومعنى ﴿تَوَكَّلْنَا﴾: فَوَضَّأْنَا أَمْرَنَا، وقوله: ﴿وَالَيْكَ أَتَيْنَا﴾ أي: رَجَعْنَا بِالتَّوْبَةِ عَنْ كُلِّ مَا تَكْرَهُ مِنَّا، وقوله: ﴿وَالَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المرجعُ في الآخرة.

قوله: (أي: لا تُظهرهم) أي: لا تجعلهم غاليين علينا، وقوله: (فيظنوا أنهم على الحق) يعني: إن ظفروا بنا، وقوله: (فيفتنوا) أي: يزدادوا كفراً ويدوموا عليه؛ لأنَّ الاستدراج يُوجبُ زيادةَ الكفر. قوله: ﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾ أي: ما مضى من الذنوب.

قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾ هذه الجملة تأكيدٌ لقوله سابقاً: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ...﴾ إلخ، أتى بها للمبالغة في التحريض على الاتباع لإبراهيم وأُمَّتِهِ.

قوله: (أو يظن الثواب والعقاب) تفسيرٌ ثانٍ لمعنى الرجاء، والمراد بظن الثواب... إلخ: الإيقانُ بذلك.

قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: يُعرض عن الاقتداء بإبراهيم، وجواب الشرط محذوفٌ، تقديره: فَوَالِهْ عَلَى نَفْسِهِ، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ...﴾ إلخ تعليلٌ للجواب.

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ

﴿٧﴾ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ ﴿٧﴾ مِنْ كُفَّارٍ مَكَّةَ طَاعَةً لِلَّهِ تَعَالَى ﴿٧﴾ مَوْدَّةً ﴿٧﴾ بِأَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِيمَانِ فَيَصِيرُوا لَكُمْ أَوْلِيَاءَ، ﴿٧﴾ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ﴿٧﴾ عَلَى ذَلِكَ وَقَدْ فَعَلَهُ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، ﴿٧﴾ وَاللَّهُ غَفُورٌ ﴿٧﴾ لَهُمْ مَا سَلَفَ ﴿٧﴾ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ بِهِمْ.

﴿٨﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ ﴿٨﴾ مِنَ الْكُفَّارِ ﴿٨﴾ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ ﴿٨﴾ - بَدَلِ اشْتِمَالٍ مِنَ ﴿٨﴾ الَّذِينَ ﴿٨﴾ -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿عَسَى اللَّهُ...﴾ (إلخ) هذا تسليّة للمؤمنين في عدم موالاة الكفار الذين أمرُوا به في أول السورة، فشدد المسلمون على أنفسهم في هجر الكفار، فوعد الله المسلمين بإسلام أقاربهم الكفار، فيوالونهم موالاةً جائزةً مطلوبةً، ويجمع الله الشمل بعد التفرق.

قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ (أي: من الكفار، فهو حالٌ من ﴿الَّذِينَ﴾ (أي: حال كون الذين عاديتُمُوهم من جملة الكفار، وقوله: (طاعة لله) مفعول لأجله؛ أي: حصلت المعادة لأجل طاعة الله.

قوله: ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ (أي: فلا يُسْتَبَعْدُ عليه ذلك الجعلُ المذكور.

قوله: (وقد فعله) أي: بأن أسلم غالبُ كفار مكة، فصارُوا أحبَّاءَ وإخواناً.

قوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ (لهم) أي: للذين عاديتُمُوهم؛ بأن محا عنهم ما سلف بسبب الإيمان.

قوله: ﴿لَا يَنْهَكُمُ﴾ (نزلت هذه الآية لتخصيص الحكم النازل أوّل السورة؛ لأنّ الآية الأولى عامّة في سائر الكفار مطلقاً ولو كانوا مصالحين، ثمّ بيّن هنا أنّ مَنْ كان من الكفار بينهم وبين المسلمين صلحٌ ومهادنةٌ.. تجوز مواددّتهم، ولم يكن النهي شاملاً لهم؛ كخزاعة وبني الحارث، وعلى هذا: تكون الآية مُحْكَمَةً، فيجوز الآن للمسلمين مواددّة الكفار الذين تحت الذمّة والصلح، وقيل: إن المراد بقوله: ﴿لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ (أي: لم يبتدئوكم بالقتال ولو لم يكن بينكم وبينهم صلحٌ، وهذا كان في أول الأمر بالجهاد، ثمّ نسخ بالأمر بالقتال عموماً بقوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا الشَّرْكَانَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

قوله: ﴿فِي الَّذِينَ﴾ (أي: لأجل دينكم.

قوله: (بديل اشتمال) أي: فالمعنى: لا ينهاكم الله عن أن تبرّوهم، والبرُّ هو: الإحسانُ.

وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَتُ

﴿وَتَقْسِطُوا﴾: تَقْضُوا ﴿إِلَيْهِمْ﴾: بِالْقِسْطِ أَي: بِالْعَدْلِ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِجِهَادِهِمْ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: الْعَادِلِينَ.

﴿٩﴾ ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا﴾: عَاوَنُوا ﴿عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ - بَدَلِ اشْتِمَالٍ مِّن ﴿الَّذِينَ﴾ - أَي: تَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿١٠﴾ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَتُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (تَقْضُوا) إِنَّمَا فَسَّرَ (تَقْسِطُوا) بِمَعْنَى (تَقْضُوا)؛ لِيَصَحَّ تَعْدِيَّتُهُ بِ(إِلَى).

قوله: (أَي: بِالْعَدْلِ) هَذَا لَا يَخْصُ هَؤُلَاءِ فَقَطْ، بَلِ الْعَدْلُ وَاجِبٌ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ وَلَوْ قَاتِلًا، فَالْأُولَى تَفْسِيرُهُ بِالْإِعْطَاءِ؛ أَي: تُعْطَوْنَهُمْ قِسْطًا مِّنْ أَمْوَالِكُمْ، فَعَطَفَ (الْقِسْطَ) عَلَى (الْبِرِّ) مِّنْ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ.

قوله: (وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِجِهَادِهِمْ) يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْآيَةَ مَنْسُوخَةٌ، وَقَدْ عَلِمْتَ مَا فِيهِ.

قوله: (الْعَادِلِينَ) أَي: عَلَى تَفْسِيرِ (الْقِسْطِ) بِ(الْعَدْلِ)، وَعَلَى تَفْسِيرِ (الْقِسْطِ) بِ(الْإِعْطَاءِ) فَالْمُرَادُ بِالْمُقْسِطِينَ: الْمُحْسِنِينَ.

قوله: ﴿وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾) أَي: وَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ.

قوله: (بَدَلِ اشْتِمَالٍ) أَي: إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ.

قوله: ﴿الظَّالِمُونَ﴾) فِيهِ مُرَاعَاةٌ مَعْنَى (مَنْ) بَعْدَ مُرَاعَاةِ لَفْظِهَا.

قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾) لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِهَجْرِ الْكُفَّارِ، وَاقْتَضَى ذَلِكَ عَدَمَ مُسَاكِنَتِهِمْ وَالْهَجْرَةَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ؛ خَوْفًا مِّنَ الْمَوَالَاةِ الْمَنْهِيَّةِ عَنْهَا، وَكَانَ التَّنَاقُحُ مِنْ أَقْرَبِ أَسْبَابِ الْمَوَالَاةِ.. بَيِّنْ أَحْكَامَ الزَّوْجَيْنِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

وَسَبَبُ نَزُولِهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا عَقَدَ الصَّلْحَ مَعَ الْكُفَّارِ عَامَ الْحَدِيثِيَّةِ عَلَى شَرْطٍ: مَنْ أَتَى النَّبِيَّ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا.. جَاءَتْ سُبَيْعَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْأَسْلَمِيَّةُ مُهَاجِرَةً لِلنَّبِيِّ، فَجَاءَ

مُهَاجِرَتِ فَاَتَمَحَّوْهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيْمَنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا

بِالسَّيِّئَاتِ ﴿مُهَاجِرَتِ﴾ مِنَ الْكُفَّارِ بَعْدَ الصُّلْحِ مَعَهُمْ فِي الْحُدُوبِ عَلَى أَنْ مَنْ جَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ يَرُدُّ، ﴿فَاَتَمَحَّوْهُنَّ﴾ بِالْحَلْفِ أَنَّهُنَّ مَا خَرَجْنَ إِلَّا رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ؛ لَا بُغْضًا لِأَزْوَاجِهِنَّ الْكُفَّارِ، وَلَا عِشْقًا لِرِجَالٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْلِفُهُنَّ، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيْمَنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾ : ظَنَنْتُمُوهُنَّ بِالْحَلْفِ ﴿مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ﴾ : تَرُدُّوهُنَّ ﴿إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ﴾ أَي : أَعْطُوا الْكُفَّارَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْمُهْرِ،

حاشية الصاوي

زوجها صيفي بن الراهب - وقيل : مسافر المخزومي - وكان كافراً فقال : يا محمد؛ ازدد علي امرأتي، فأنت شرطت ذلك، فأنزل الله هذه الآية، فاستحلفها رسول الله ﷺ، فحلفت، فأعطى زوجها ما أنفق، وتزوجها عمر بن الخطاب^(١).

قوله : (بِالسَّيِّئَاتِ) أي : ناطقات بالشهادتين بالسَّيِّئَاتِ.

قوله : (من الكفار) أي : حال كونهنَّ من جملة الكفار، أو متعلق بـ ﴿جَاءَكُمْ﴾.

قوله : (بعد الصلح) متعلق بـ ﴿مُهَاجِرَتِ﴾، أو بـ ﴿جَاءَكُمْ﴾.

قوله : (على أن من جاء منهم) أي : مؤمناً.

قوله : (﴿فَاَتَمَحَّوْهُنَّ﴾ بالحلف) أي : حلفوهنَّ؛ هل هنَّ مسلماتٌ حقيقةً أو لا؟

وسبب الامتحان : أنه كان مَنْ أَرَادَتْ مِنَ الْكُفَّارِ إِضْرَارَ زَوْجِهَا . . قَالَتْ : سَأَهَاجِرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ؛ فَلِذَلِكَ أَمَرَ بِالْإِمْتِحَانِ^(٢).

قوله : (﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيْمَنِهِنَّ﴾) أي : بصِدْقِهِ.

قوله : (﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ﴾) أي : لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرُدُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء : ١٤١].

قوله : (﴿وَأَثُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾) أي : مَا دَفَعُوهُ لِهِنَّ مِنَ الْمُهْرِ؛ كَمَا فَعَلَ ﷺ ذَلِكَ مَعَ زَوْجِ سُبَيْعَةَ.

(١) انظر «زاد المسير» (٢٧١/٤)، و«أخبار مكة» (٤٢/٥)، واسم زوجها فيه : مسافر بن أسلم.

(٢) انظر «تفسير الماوردي» (٥٢١/٥).

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَالَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ بِشَرْطِهِ﴾ إِذَا ءَالَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ: مُهُورَهُنَّ، ﴿وَلَا تُمْسِكُوا﴾ - بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ - ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾: زَوَاجَاتِكُمْ لِقَطْعِ إِسْلَامِكُمْ لَهَا بِشَرْطِهِ، أَوِ الْإِلْحَاقَاتِ بِالْمُشْرِكِينَ مُرْتَدَّاتٍ لِقَطْعِ ارْتِدَادِهِنَّ نِكَاحِكُمْ بِشَرْطِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: (بشروطه) أي: وهو انقضاء عدتها في الإسلام إن كان مدخولاً بها، والولي، والشاهدان، وبقية شروط الصحة في المدخول بها وغيرها.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ جمع (عصمة)، وهي هنا عقد النكاح. والكوافر: جمع (كافرة) ك: ضوارب جمع (ضاربة)، وقوله: (زوجاتكم) أي: المتأصلات في الكفر اللاتي أسلمتم عنهن، وهذا النعت المقدّر هو المعطوف عليه قوله: (واللاحقات... إلخ).

وصورة المسألة: أنّ الزوج أسلم عن زوجته الكافرة، فهذا نهى للمؤمنين عن بقائهم على عصم المشركات الباقيات على الكفر، بخلاف إسلامهم عن الكفريات، فلا يفسخ نكاحهم؛ فإنّ النكاح بهنّ يجوز للمسلم ابتداءً، فلا يمنع من البقاء عليهنّ بعد الإسلام.

قوله: (لقطع إسلامكم لها بشرطه) أي: شرط القطع، وهو ألا يجمعهما الإسلام في العدة، فإن أسلم وأسلمت بعده بشهر ونحوه، أو أسلمت قبله وأسلم بعدها في العدة والموضوع أنه مدخول بها... أقرّ عليها في الصورتين.

قوله: (أو اللاحقات) معطوف على النعت المقدّر بعد (زوجاتكم)، وصورتها: مسلمات أصالة تحت أزواج مسلمين، ف وقعت منهنّ الردة والتحقن بالمشرّكين في ذلك.

قوله: (بشروطه) أي: وهو دوام الردّة إلى وفاء العدة، فإن رجعت للإسلام قبل وفاء العدة ترجع له من غير عقد، هكذا مذهب الإمام الشافعي في المدخول بها، وأمّا غيرها... فتبيّن بمجرّد الردّة، وأمّا مذهب مالك... فلا ترجع له إلا بعقدٍ مطلقاً، سواء رجعت قبل العدة أو بعدها، فكلام المفسّر على قاعدة مذهب الشافعي.

(١) قرأ أبو عمرو في آخرين بضم التاء وفتح الميم وشدّ السين، وباقي السبعة بتخفيفها. انظر «الدر المصون» (١٠/٣٠٧).

وَسْتَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ بِحُكْمِ بَيْنِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَتَاؤُا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ

﴿وَسْتَلُوا﴾: اطلبوا ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ﴾: عليهنَّ من المهور في صورة الارتداد ممن تزوجهنَّ من الكفار، ﴿وَلَيْسَلُوا مَا أَنْفَقُوا﴾: على المهاجرات كما تقدّم أنهم يؤتونه، ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ بِحُكْمِ بَيْنِكُمْ﴾ به ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿١١﴾ ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي: واحدة فأكثرَ مِنْهُنَّ أو شيءٌ من مهورهنَّ بالذهابِ ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾ مُرْتَدَّاتٍ، ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾: فغزوتنَّ وغنمتنَّ ﴿فَتَاؤُا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَسْتَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾... إلخ قال المفسرون: كان مَنْ ذهب من المُسلمات مرتدّاً إلى الكفار المعاهدين يقال للكفار: هاتوا مهرها، ويُقال للمسلمين: إذا جاء أحدٌ من الكافرات مسلمةً مهاجرةً.. رُدُّوا إلى الكفار مهرها، وكان ذلك نصفاً وعدلاً بين الحالين، ثمّ نُسِخَ ذلك الأمر، فمن ارتدّت.. لا تُقرّ، ومَنْ جاءتنا منهم مسلمةً مهاجرةً.. لا يأخذون لها مهرًا^(١).

قوله: ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ﴾ أي: المذكور في هذه الآية، وقوله: ﴿بِحُكْمِ بَيْنِكُمْ﴾ استئناف، أو حالٌ بتقدير الرابط، وقد جرى عليه المفسر.

قوله: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ﴾... إلخ هذه الآية أيضاً من تتمة قوله: ﴿وَسْتَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾، فهو بمعناه، ومُحَصَّلُهُ: أنه إن فرّت امرأةٌ أو أكثر إلى الكفار فغنمتنَّ.. فأعطوا الذين فرّت أزواجهنَّ من الغنيمة قبل قسمتها قدرَ مهرها، فكأنّه دينٌ على الكفار.

قال ابن عباس: (لحق بالمشرّكين من نساء المؤمنين المهاجرين سيّئ نسوةٍ مُرْتَدَّاتٍ، فأعطى رسول الله ﷺ أزواجهنَّ مهوَرَنَ نِسَائِهِنَّ من الغنيمة)^(٢).

قوله: (مُرتدات) حالٌ من (أزواج).

قوله: (فغزوتنَّ) فسر العقوبة بالغزو؛ لِحصولها به.

قوله: ﴿فَتَاؤُا﴾ بمدّ الهمزة؛ أي: أعطوا.

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٦٨/١٨).

(٢) أورده الثعلبي في «تفسيره» (٢٦٩/٩).

مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ

من الغنيمة ﴿مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ لِقَوَاتِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ جِهَةِ الْكُفَّارِ، ﴿وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ وَقَدْ فَعَلَ الْمُؤْمِنُونَ مَا أَمَرُوا بِهِ مِنَ الْإِيتَاءِ لِلْكَفَّارِ وَالْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ ارْتَفَعَ هَذَا الْحُكْمُ.

﴿١٢﴾ ﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾ كما كَانَ يُفَعَّلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

حاشية الصاوي

روي: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَسْتُمْ لَهَا أَنْفَقُوا﴾.. أَدَّى الْمُؤْمِنُونَ مَهْرَ الْمُؤْمِنَاتِ الْمُهَاجِرَاتِ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ الْمَشْرِكِينَ، وَأَبَى الْمَشْرِكُونَ أَنْ يُؤَدُّوا شَيْئًا مِنْ مَهْرِ الْمُرْتَدَّاتِ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ الْمُسْلِمِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ...﴾ إلخ^(١).

قوله: (ثُمَّ ارْتَفَعَ هَذَا الْحُكْمُ) أَي: نُسِخَ حُكْمُهُ، فَصَارَ الْآنَ إِذَا ارْتَدَّتْ امْرَأَةٌ وَلَحِقَتْ بِالْمَشْرِكِينَ.. لَا تَأْخُذُ لَهَا مَهْرًا، بَلْ نَنْتَظِرُهَا فَمَتَى قَدَرْنَا عَلَيْهَا.. اسْتَبْنَاهَا؛ فَإِنْ تَابَتْ، وَإِلَّا.. قُتِلَتْ؛ كَمَا أَنَّ مَنْ فَرَّتْ مِنَ الْكُفَّارِ مُسْلِمَةً لَا نَدْفَعُ لَهَا مَهْرًا.

قوله: (﴿يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾... إلخ) أَي: مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ أَوْ غَيْرِهَا، وَلَكِنْ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي فَتْحِ مَكَّةَ لَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مُبَايَعَةِ الرِّجَالِ.

قوله: (﴿يُبَايِعُكَ﴾) أَي: يُعَاهِدُكَ، وَسَمَّاهُ مُبَايَعَةً؛ لِأَنَّهُ مُقَابَلَةٌ شَيْءٍ بِشَيْءٍ، وَهُوَ الْإِيمَانُ وَتَوَابِعُهُ فِي مُقَابَلَةِ الْجَنَّةِ وَالرَّضْوَانِ. (وَيُبَايِعُنَ): مَبْنِي عَلَى السَّكُونِ لَا تَصَالُهُ بَنُونَ النِّسَاءِ، وَالْكَافُ: مَفْعُولٌ.

قوله: (﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾) نَهَاهُمْ فِي هَذِهِ الْمُبَايَعَةِ عَنْ سِتَّةِ أَشْيَاءَ، وَلَمْ يُقَابَلْهَا بِأَوَامِرٍ؛ لِأَنَّ النَّهْيَ عَنْ هَذِهِ يَسْتَلْزِمُ الْأَمْرَ بِضِدِّهَا.

قوله: (﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾) رُوي: أَنَّهُ لَمَّا قَالَ النَّبِيُّ لِهِنَّ ذَلِكَ.. قَالَتْ هِنْدُ امْرَأَةُ أَبِي سَفْيَانَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّ أَبَا سَفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ؛ فَهَلْ عَلَيَّ حَرَجٌ إِنْ أَخَذْتَ مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا بِالْمَعْرُوفِ»، فَخَشِيتُ هِنْدَ أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَيَّ مَا يُعْطِيهَا فَتَضِيعَ، أَوْ تَأْخُذَ فَتَكُونَ نَاقِضَةً لِلْبَيْعَةِ؛

وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَلَا يَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ

من وأد البنات - أي: دفنهنَّ أحياء - خوف العار والفقر، ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ﴾ أي: بولدٍ ملقوٍ ينسبُهُ إلى الزوج، ووُصِفَ بِصِفَةِ الْوَلَدِ الْحَقِيقِيِّ، فَإِنَّ الْأُمَّ إِذَا وَضَعَتْهُ سَقَطَ بَيْنَ يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا، ﴿وَلَا يَعْصِيكَ فِي﴾ فِعْلٍ ﴿مَعْرُوفٍ﴾ هو ما وافق طاعة الله كترك النِّياحة وتَمْزِيق الثِّيَاب وَجَزُّ الشُّعُورِ وَشَقُّ الْجَيْبِ وَخَمَشِ الْوَجْهِ، ﴿فَبَايَعَهُنَّ﴾ فَعَلَ ذَلِكَ ﷺ بِالْقَوْلِ وَلَمْ يُصَافِحْ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ،

حاشية الصاوي

فلذلك أمرها بالمعروف في الأخذ. ومحلُّ جواز الأخذ بغير إذن: إذا كان غير محجور، وأمَّا إذا حَجَرَهُ بِقِفْلٍ أَوْ نَحْوِهِ.. فيحرم الأخذ، وإن أخذت.. تُعَدُّ سَارِقَةً وَتَقَطَّعَ يَدَاهَا، فَلَمَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «وَلَا يَزْنِيَنَّ».. قالت هند: أَوْتَرِزْنِي الْحَرَّةَ؟ فَلَمَّا قَالَ: «وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ».. قالت: رَبِّينَاهُم صَغَارًا، وَقَتَلْتُمُوهُمْ كِبَارًا، وَعَرَّضْتُ بَوْلَدَهَا حَنْظَلَةً؛ فَإِنَّهُ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَضَحَكَ عُمَرُ وَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، فَلَمَّا قَالَ: «وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ».. قالت: والله؛ إِنَّ الْبُهْتَانَ لَقَبِيحٌ، وَمَا تَأْمَرُنَا إِلَّا بِالرَّشْدِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ فِي مَكَّةَ عِنْدَ الصَّفَا، فَاجْتَمَعَ لَهُ مِنَ النِّسَاءِ أَرْبَعُ مِائَةٍ وَسَبْعٍ وَخَمْسُونَ امْرَأَةً، فَأَمَّنَ^(١).

قوله: (من وأد البنات) أي: دفنهنَّ أحياء.

قوله: (بولد ملقوٍ) أي: فكانت المرأة إذا خافت مفارقة زوجها لعدم الحمل.. التَّقَطَّتْ وَلَدًا وَنَسَبَتْهُ لَهُ؛ لِيُبْقِيَهَا عِنْدَهُ، فَأَشَارَ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (أي: بولد) إِلَى أَنَّهُ الْمُرَادُ بِالْبُهْتَانِ الْمَفْتَرَى، وَلَيْسَ الْمُرَادُ الزَّنا؛ لِتَقَدُّمِهِ فِي النَّهْيِ صَرِيحًا.

قوله: (كترك النياحة) أي: فالمراد بالمعروف هو: ما عُرِفَ حُسْنُهُ فِي الشَّرْعِ، وَهُوَ اسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ خَيْرٍ.

قوله: ﴿فَبَايَعَهُنَّ﴾ جوابُ ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ أي: التزم لهنَّ الثواب إذا التزمن ذلك.

قوله: (بالقول) هذا هو الصَّحِيحُ، وَقِيلَ: إِنَّهُ صَافَحَهُنَّ بِحَائِلٍ؛ لِمَا رَوَى: أَنَّهُ بَايَعَ النِّسَاءَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَأَيْدِيَهُنَّ ثَوْبٌ^(٢)، وَقَالَتْ أُمُّ عَطِيَّةَ: لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ.. جَمَعَ نِسَاءَ الْأَنْصَارِ فِي بَيْتٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٤٢/٢٣)، وانظر «زاد المسير» (٢٧٤/٤).

(٢) رواه أبو داود في «المراسيل» (٣٧٣) عن الشعبي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ أَتَى بَايَعَ النِّسَاءَ.. أَتَى بِبَرْدٍ قَطْرِي فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «إِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ».

وَأَسْتَغْفِرُ لِمَنْ أَلَّهِ إِنَّ أَلَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ أَلَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْأُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِمَنْ أَلَّهِ إِنَّ أَلَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

﴿١٣﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ أَلَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ هُمُ الْيَهُودُ، ﴿قَدْ يَسْأُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ أي: مِنْ ثَوَابِهَا مَعَ إِيقَانِهِمْ بِهَا لِإِعْنَادِهِمُ النَّبِيَّ أَي: مَعَ عَلَيْهِمُ بِصِدْقِهِ، ﴿كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ﴾ الْكَائِنُونَ ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ أي: الْمَقْبُورِينَ مِنْ خَيْرِ الْآخِرَةِ؛

حاشية الصاوي

إلينا عمر بن الخطاب على الباب، فسلم، فرددَنَ عليه السلام، فقال: أنا رسول رسول الله إلكنَّ؛ ﴿أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا...﴾ الآية، فقلن: نعم، فمدَّ يده من خارج البيت، ومددَ أيدينا من داخل البيت ثم قال: «اللهم؛ اشهد»^(١).

قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِمَنْ أَلَّهِ﴾ أي: مِمَّا سَلَفَ مِنْهُمْ.

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ختم السورة بمثل ما افتتحها به، وهو النهي عن موالة الكفار، وهذا من البلاغة، ويُقال له: ردُّ العجز على الصدر^(٢).

قوله: ﴿غَضِبَ أَلَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ نعت لـ ﴿قَوْمًا﴾، وقوله: ﴿قَدْ يَسْأُوا﴾ نعت ثانٍ.

قوله: (هم اليهود) أشار المفسر بذلك إلى سبب نزول الآية، وهو أنَّ ناساً من فقراء المسلمين كانوا يُواصلون اليهود بأخبار المسلمين؛ لِيُعْطُوهُمْ مِنْ ثَمَارِهِمْ، فنزلت^(٣)، وقيل: المراد بالمغضوب عليهم: جميع الكفار.

قوله: (لِعِنَادِهِمْ) علةً لِيَأْسِهِمْ مَعَ إِيقَانِهِمْ بِهَا، فلا حظَّ لهم فيها ولا ثواب.

قوله: ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ مشى المفسر على أنَّ قوله: ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ صفة لـ ﴿الْكُفَّارِ﴾، والميؤوس منه محذوف، قدَّره بقوله: (من خير الآخرة) أي: إِنَّ الْيَهُودَ يَسْأُوا مِنَ الْآخِرَةِ كِيَأْسِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ قَبَرُوا مِنْ خَيْرِ الْآخِرَةِ.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٩٤/٣٤).

(٢) ويسمى التصدير، وهو تارة يكون في النظم، وتارة يكون في النثر، وهو عبارة عن جعلك أحد اللفظين المتكررين، أو المتجانسين، أو الملحقين بهما - أي: بالمتجانسين - في أول الفقرة، والآخر في آخرها، فخرج العكس، نحو: عادات السادات سادات العادات. انظر «عروس الأفراح» (٢٩٣/٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٤٧/٢٣)، وانظر «زاد المسير» (٢٧٥/٤).

إِذْ تُعْرَضُ عَلَيْهِمْ مَقَاعِدُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ لَوْ كَانُوا آمَنُوا، وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ النَّارِ.

حاشية الصاوي

وقيل: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ هُوَ الْمَيُوسُّ مِنْهُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْيَهُودَ أَيْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَيْاسَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ؛ لِأَنَّهُمْ يُنْكِرُونَ الْبَعْثَ.

وقيل: كَمَا يَأْسُ الْكُفَّارُ الْمَقْبُورُونَ مِنْ رُجُوعِهِمْ إِلَى الدُّنْيَا، اِحْتِمَالَاتٌ ثَلَاثٌ.

قَوْلُهُ: (إِذْ تُعْرَضُ عَلَيْهِمْ) أَي: وَهُمْ فِي الْقُبُورِ.

قَوْلُهُ: (لَوْ كَانُوا آمَنُوا) أَي: قَبْلَ الْمَوْتِ.

قَوْلُهُ: (وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ) مَعْطُوفٌ عَلَى (مَقَاعِدُهُمْ) أَي: وَيَعْرَضُ عَلَيْهِمْ مَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ النَّارِ.



﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ



مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ، أَرْبَعٌ عَشْرَةَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: نَزَّهَهُ، - فَالْلامُ مَزِيدَةٌ - وَجِيءَ بِـ (مَا) دُونَ (مَنْ) تَغْلِيْبًا لِلْأَكْثَرِ، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي مُلْكِهِ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي صُنْعِهِ.
 ﴿٢﴾ - ﴿٣﴾ ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ﴾

حاشية الصاوي

سُورَةُ الصَّفِّ

(مَكِّيَّةٌ) أَي: فِي قَوْلِ عِكْرَمَةَ وَقْتَادَةَ وَالْحَسَنِ، وَبِهِ جَزَمَ فِي «الْكَشَافِ»^(١).

قَوْلُهُ: (أَوْ مَدَنِيَّةٌ) أَي: وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ.

قَوْلُهُ: (فَالْلامُ مَزِيدَةٌ) أَي: لِلتَّأْكِيدِ، وَقِيلَ: لِلتَّعْلِيلِ؛ أَي: سَبَّحُوا لِأَجْلِ اللَّهِ ابْتِغَاءً وَجْهَهُ، لَا طَلِبًا لِثَوَابٍ، وَلَا خَوْفًا مِنْ عِقَابٍ، وَهَذَا أَعْلَى مَرَاتِبِ الْعَمَلِ، وَتَقَدَّمَ نَظِيرُ ذَلِكَ.

وَأَعَادَ (مَا) الْمَوْصُولَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هُنَا وَفِي (الْحَشْرِ) وَ(الْجُمُعَةِ) وَ(التَّغَابُنِ)؛ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ، وَتَرَكَهُ فِي (الْحَدِيدِ) مُشَاكِلَةً لِقَوْلِهِ فِيهَا: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الْحَدِيدُ: ٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الْحَدِيدُ: ٤].

قَوْلُهُ: ﴿لِمَ تَقُولُونَ﴾ (اسْتِفْهَامُ انْكَارِيٍّ جِيءَ بِهِ لِلتَّوْبِيخِ لِمَنْ يَدَّعِي مَا لَيْسَ فِيهِ؛ فَإِنْ وَقَعَ ذَلِكَ إِخْبَارًا عَنْ أَمْرٍ فِي الْمَاضِي... فَهُوَ كَذِبٌ، وَإِنْ وَقَعَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ... يَكُونُ خُلْفًا لِلْوَعْدِ، وَكِلَاهُمَا مَذْمُومٌ.

(١) جَزَمَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي «الْكَشَافِ» (١٠٢/٦) بِأَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ، وَمَا ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ تَبَعَ فِيهِ الْعَلَامَةُ الْكَرْخِيُّ فِي «حَاشِيَتِهِ».

انظر «الفتوحات الإلهية» (٣٤٨/٤).

مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا

في طلب الجهاد ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إذ انهزمتم بأحد؟ ﴿كَبُرَ﴾: عَظَمَ ﴿مَقْتًا﴾ - تمييز -
﴿عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا﴾ - فاعل ﴿كَبُرَ﴾ - ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ: يَنْصُرُ وَيُكْرِمُ ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ - حال -
أي: صَافِينَ

حاشية الصاوي

ولام الجرّ داخله على (ما) الاستفهامية وحُذفت ألفها لذلك، قال ابن مالك^(١): [الرجز]

و(ما) في الاستفهام إن جُرَتْ حُذِفَ أَلْفُهَا، وَأَوَّلُهَا هَا إِنْ تَقِفَ

قوله: (في طلب الجهاد) سبب نزول هذه: أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ مَدْحَ الْجِهَادِ،
وَمَدْحَ أَهْلِ بَدْرٍ.. قَالُوا: لَنْ لَقِينَا قِتَالًا لِنُفَرِّغَنَّ فِيهِ وَسْعَنَا، فَفَرُّوا يَوْمَ أُحُدٍ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ تَوْبِيخًا
لَهُمْ، وَهَذَا خَارِجٌ مَخْرَجَ التَّخْوِيفِ وَالزَّجْرِ^(٢).

وقيل: نزلت في المنافقين؛ كانوا يقولون للنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه: إن خرجتم
وقاتلتم.. خرجنا معكم وقاتلنا، فلما خرج النبي وأصحابه.. نكصوا على عقبيه وتخلّفوا، وحينئذ:
فتسميتهم مؤمنين بحسب الظاهر، والذم على حقيقته^(٣).

قوله: (إذ انهزمتم بأحد) تعليل لقوله: ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

قوله: (تمييز) أي: محوّل عن الفاعل، والأصل: كَبُرَ مَقْتٌ قَوْلُهُمْ، والمَقْتُ: أَشَدُّ الْغَضَبِ،
وهو مِن أَمْثَلَةِ التَّعَجُّبِ فِي مَقَامِ الذَّمِّ.

قوله: (ينصر) ويكون هذا معنى المحبة في حق الله؛ لأنَّ حَقِيقَتَهَا وَهِيَ مِيلُ الْقَلْبِ مُسْتَحِيلٌ
عَلَى اللَّهِ، وَمِنْ لَازِمِ الْمِيلِ الْإِكْرَامُ وَالنَّصْرُ، فَأُطْلِقَ عَلَى اللَّهِ بِاعْتِبَارِ هَذَا اللَّازِمِ.

قوله: (حال) أي: من الواو في ﴿يُقَاتِلُونَ﴾، وقوله: (أي: صافين) فسره بمشتق؛ لصحة
الحالية، ومفعوله محذوف؛ أي: أنفسهم.

(١) «الخلاصة»، باب (الوقف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٥٦/٢٣).

(٣) انظر «زاد المسير» (٢٧٧/٤).

كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِي لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ

﴿كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٍ﴾: مُلْزَقٌ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ ثَابِتٌ.

﴿٥﴾ ﴿و﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِي لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ قَالُوا: إِنَّهُ آدُرُ - أَي: مُتَنَفِّخُ الْخُصِيَّةِ - وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَكَذَّبُوهُ، ﴿وَقَدْ﴾ - لِلتَّحْقِيقِ - ﴿تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ - الْجُمْلَةُ حَالٌ - وَالرَّسُولُ يُحْتَرَمُ، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾: عَدَلُوا عَنِ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: أَمَالَهَا عَنِ الْهُدَى عَلَى وَفْقٍ مَا قَدَّرَهُ فِي الْأَزَلِ،

حاشية الصاوي

قوله: (ملزقٌ بعضه إلى بعض) أي: كأنه بُنِيَ بالرَّصَاصِ، أو معنى (المرصوص): الملتصم الأجزاء، المُستَوِيها، المُحَكَّمها، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ.. لَا يَنْهَزِم وَلَا يَقَاوِم.

قوله: (﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾) ذكر قصة موسى وعيسى إجمالاً؛ تسليّةً للنبي عليه الصلاة والسلام ليصبر على أذى قومه، وتذكيراً لتفاصيلها المتقدمة، وابتداءً بقصة موسى لأسبقيته في الزَّمن.

قوله: (قالوا: إنه آدُر) وسبب تهميتهم له بذلك: ستره للعورة من صغره، فلم يروه، فعيبوه بذلك، وتقدّم ذلك عند قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ آلَ الْيَتِيمِ ءَآمِنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى...﴾ [الأحزاب: ٦٩] الآية.

قوله: (وكذبوه) معطوف على (قالوا) أي: عيَّوه في جسمه، وأنكروا ما جاء به وكذبوه.

قوله: (﴿وَقَدْ﴾ لِلتَّحْقِيقِ) أي: تحقيق علمهم برسالته، وذلك يُوجِبُ تعظيمه، ويمنع إيذاءه.

قوله: (﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾) مقتضى هذا التركيب: أَنَّ زِيغَهُمْ سَبَبٌ لِإِزَاغَةِ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ مَعَ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْعَكْسِ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَزِيغُ إِلَّا إِنْ أَزَاغَهُ اللَّهُ وَصَرَفَهُ عَنِ الْهُدَى.

وأجيب: بأنهم لما فعلوا سبب الزيغ وهو إيذاء موسى.. أزاع الله قلوبهم عن الهدى وقت إيذائهم له على وفق ما أَرَادَهُ أَزْلاً، وقد أشار لذلك المفسر، ويشهد لذلك قضية إبليس؛ فإنه كان مطيعاً، فلما خالف مَولاه وعانده.. زاع، فأزاع الله قلبه وطرده؛ موافقةً لما نَجَّزَه بِإِرَادَتِهِ أَزْلاً، فزيغ العبد سبب لإِزَاغَةِ اللَّهِ لَهُ بِاعْتِبَارِ إِظْهَارِ الْقُدْرَةِ لِذَلِكَ الْآنَ عَلَى وَفْقٍ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ وَنَجَّزَهُ أَزْلاً، فليُحْفَظْ^(١).

(١) قال الإمام الرازي في «تفسيره» (٧/ ١٥٠): (ولا يبعد أن يقال: إنَّ الله تعالى يُزِيغُهُمْ ابتداءً فعند ذلك يَزِيغُونَ، ثُمَّ يترتب على هذا الزيغ إِزَاغَةُ أُخْرَى سِوَى الْأُولَى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَكُلُّ ذَلِكَ لَا مُنَافَاةَ فِيهِ).

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنَى إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: الكافرين في علمه.

﴿٦﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنَى إِسْرَءِيلَ﴾ لَمْ يَقُلْ: يَا قَوْمِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ، ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ قَبْلِي ﴿مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، قَالَ تَعَالَى:

حاشية الصاوي

قوله: (الكافرين في علمه) هذا جواب عما يقال: إن الله هدى كثيراً من الكفار بأن وفقهم للإسلام.

وحاصل الجواب: أَنَّ مَنْ أَسْلَمَ وَهَدَاهُ اللَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَزَلِ مَكْتُوباً كَافِراً، وَأَمَّا مَنْ عَلِمَ اللَّهُ كُفْرَهُ فِي الْأَزَلِ.. لَا يَهْدِيهِ، وَلَا بَدَّ مِنْ مَوْتِهِ عَلَى الْكُفْرِ وَلَوْ عَاشَ طَوِيلَ عُمُرِهِ مُسْلِماً.

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى﴾ معمول لمحذوف، تقديره: اذكر، وإنما كُرِّرَتْ قِصَّةُ مُوسَى وَعِيسَى، بَلْ وَقِصَّةُ غَيْرِهِمَا؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ الْإِتِّعَاطَ وَدَوَامَهُ؛ فَإِذَا ذُكِرَ الشَّيْءُ أَوَّلًا وَثَانِيًا.. كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ دَوَامَ تَذَكُّرِهِ، وَالْإِعْتِبَارَ بِهِ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، وَجِيلًا بَعْدَ جِيلٍ.

قوله: (لأنه لم يكن له فيهم قرابة) أي: لأنه لا أب له فيهم وإن كانت أمه من أشرافهم.

إن قلت: هو منهم باعتبار أمه، قلت: النسب إنما هو من جهة الأب.

قوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من الضمير المستتر في ﴿رَسُولٌ﴾؛ لتأويله بـ(مُرْسَل)، وكذا قوله: ﴿وَمُبَشِّرًا﴾.

قوله: ﴿مِنَ التَّوْرَةِ﴾ خصَّها؛ لأنها أشهر الكتب عندهم.

قوله: ﴿يَأْتِي مِنْ بَعْدِي﴾ الجملة صفة لـ(رسول)، وكذا قوله: ﴿اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، والياء في ﴿بَعْدِي﴾ إما مفتوحة أو ساكنة، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ يحتمل أن يكون أفعَل تفضيل من المبني للفاعل؛ أي: أكثر محمودية من غيره؛ أي: كون الخلق يحمدونه أكثر من كونهم يحمدون غيره، وخصَّ (أحمد) بالذكر دون (محمد).

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة بفتح الياء، والباقون بالسكون. انظر «السراج المنير» (٢٧٦/٤).

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى
الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ : جاء أحمدُ الكُفَّارِ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ : الآياتِ والعلاماتِ ﴿قَالُوا هَذَا﴾ أي : المَجِيءُ
به ﴿سِحْرٌ﴾ - وفي قراءة : ﴿سَجَرٌ﴾ أي : الجائي به - ﴿مُبِينٌ﴾ : بَيِّن .
﴿٧﴾ ﴿وَمَنْ﴾ أي : لا أَحَدَ ﴿أَظْلَمُ﴾ : أَشَدُّ ظُلْمًا ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بِنِسْبَةِ
الشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ إِلَيْهِ وَوَصَفَ آيَاتِهِ بِالسَّحْرِ ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ :
الكافرين .

حاشية الصاوي

مع أنه أشرف أسمائه ﷺ ؛ لوجوه : الأول : كونه مذكوراً في الإنجيل بهذا الاسم ، الثاني : كونه
سمي في السماء به ، الثالث : لأنَّ حَمْدَهُ لله سابقٌ على حمد الخلق له في الدنيا ويوم القيامة ، فحمده
قيل : شفاعته لأُمَّته ، وحمدُ الخلق له بعدها .

وقال بعضهم : إنه ﷺ له أربعة آلاف اسم منها نحو سبعين من أسمائه تعالى ك : رؤوف ، ورحيم ^(١) .

قوله : (أي : جاء أحمدٌ للكفار) هذا أحد قولين للمفسرين في مرجع الضمير في ﴿جَاءَهُمْ﴾ ،
والثاني : أنه عائدٌ على عيسى .

قوله : (أي : المَجِيءُ به) اسم مفعول من (جاء) وأصله : (مَجِيؤٌ) بوزن (مَضْرُوبٌ) ، نقلت ضمة
الياء للساكن قبلها وهو الجيم ، فالتقى ساكنان : الواو ، والياء ، فحذفت الواو ، وكسرت الجيم .
قوله : (وفي قراءة) أي : وهي سبعة أيضاً ^(٢) .

قوله : (أي : لا أحد) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي .

قوله : (ووصف آياته) بالجرِّ عطف على (نسبة) .

قوله : ﴿وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ الجملة حاليةٌ ؛ أي : يدعوه ربُّه على لسان نبيِّه إلى الإسلام الذي
فيه سعادة الدارين ، فيجعل مكانَ إجابته افتراءَ الكذبِ على الله .

(١) وقد نظم العلامة النبهاني رحمه الله تعالى أسمائه الشريفة ﷺ في منظومة سمّاها : «أحسن الوسائل في نظم أسماء
النبي الكامل» أوصلها إلى ثمان مئة وثلاثين اسماً .

(٢) قرأ حمزة والكسائي بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء ، والباقون بكسر السين وسكون الحاء . انظر «السراج
المنير» (٢٧٧/٤) .

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾

(٨ - ٩) ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾ - مَنْصُوبٌ بِـ(أَنْ) مُقَدَّرَةٌ، وَاللَّامُ مَزِيدَةٌ - ﴿نُورَ اللَّهِ﴾ : شَرَعَهُ وَبَرَاهِينَهُ ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ : بِأَقْوَالِهِمْ : إِنَّهُ سِحْرٌ وَشِعْرٌ وَكَهَانَةٌ، ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ﴾ : مُظْهِرٌ ﴿نُورِهِ﴾ - وَفِي قِرَاءَةٍ بِالْإِضَافَةِ - ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ذَلِكَ،

حاشية الصاوي

قوله: (منصوب بـ"أَنْ" مُقَدَّرَةٌ، واللام مزيدة) أي: في مفعول ﴿يُرِيدُونَ﴾ للتوكيد، ويصح أن تكون للتعليل، والمفعول محذوف، والتقدير: يُريدون إبطال القرآن؛ لِيُطْفِئُوا، وهناك طريقة لبعض النحويين: أَنَّ اللَّامَ بِمعنى (أَنْ) الناصبة، فيكون الفعل منصوباً بها^(١).

قوله: (شرعه وبراهينه) هذا أحد أقوال في تفسير النور، وقيل: هو القرآن، وقيل: الإسلام، وقيل: محمد ﷺ، وقيل: إنه مثلٌ مضروب لمن أراد إطفاء الشمس بفيه، فكما أنه لا يُفِيده ذلك.. كذلك مَنْ أراد إبطال الحق فلا يُفِيده.

وفي الكلام استعارة تبعية؛ حيث شبه الإبطال بالإطفاء، واستعار اسم المشبه به للمشبه، واشتق من الإطفاء (يُطفئون) بمعنى: يُبطلون.

وسبب نزول هذه الآية: أَنَّ رسول الله ﷺ أبطأ عليه الوحي أربعين يوماً، فقال كعب بن الأشرف: يا معشر اليهود؛ أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، واتصل الوحي بعدها^(٢).

قوله: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿يُرِيدُونَ﴾.

قوله: (مُظْهِرُ نُورِهِ) هذا جواب عما يقال: إِنَّ الْإِتِمَامَ لَا يَكُونُ إِلَّا عِنْدَ النِّقْصَانِ، فَأَجَابَ: بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِتِمَامِ إِظْهَارُهُ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ.

قوله: (وفي قراءة بالإضافة) أي: وهي سبعة أيضاً^(٣).

قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ حال من قوله: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾.

(١) قال الفراء: العرب تجعل لَامَ (كي) في موضع (أَنْ) في (أَرَادَ) و(أَمَرَ)، وإليه ذهب الكسائي أيضاً، ومنه: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ﴾. انظر «الدر المصون» (٣١٨/١٠).

(٢) انظر «تفسير الماوردي» (٥٣٠/٥).

(٣) قرأ حمزة والكسائي وحفص وابن كثير بإضافة (مُتِمُّ) لـ(نُورِهِ)، والباقون بتووينه، ونصب (نُورَهُ)؛ فالإضافة تخفيف، والتووين هو الأصل. انظر «الدر المصون» (٣١٨/١٠).

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى يَخْرِقٍ تُحِجُّكُمْ

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ : يُعَلِّمُهُ ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ : جَمِيعِ الْأَدْيَانِ الْمُخَالَفَةِ لَهُ ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذَلِكَ .

(١٠ - ١١) ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى يَخْرِقٍ تُحِجُّكُمْ﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ - ...

حاشية الصاوي

قوله : ﴿بِالْهُدَى﴾ أي : البيان الشافي ، والمراد به : القرآن ، والمعجزات الظاهرة .

قوله : ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (إنما عبر أولاً بـ(الكافرون) ، وثانياً بـ(المشركون) ؛ لأن الرسول في ابتداء أمره يأتي بالتوحيد ويأمر به ، فيخالفه المشركون ؛ فإذا ظهر أمره واشتهر . . حسده جميع الكفار ، وأرادوا إبطال ما جاء به من المعجزات والبراهين ، فعبر في كل بما يناسبه .

قوله : ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ . . . (إلخ) سبب نزول هذه الآية : قول الصحابة لرسول الله ﷺ : لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله . . لعملنا به^(١) .

وقيل : نزلت في عثمان بن مظعون ؛ وذلك أنه قال لرسول الله ﷺ : لو أذنت لي فطلقت خولة وترهبت واختصيت ، وحرمت اللحم ، ولا أنام الليل أبداً ، ولا أفطر النهار أبداً ، فقال ﷺ : «إِنَّ مِنْ سُنَّتِي النِّكَاحَ ، وَلَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ ، إِنَّمَا رَهْبَانِيَّةُ أُمِّي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَخِصَاءُ أُمِّي الصَّوْمِ ، وَلَا تَحَرُّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ، وَمِنْ سُنَّتِي : أَنَامُ وَأَقُومُ ، وَأَفْطِرُ وَأَصُومُ ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي . . فَلَيْسَ مِنِّي» ، فقال عثمان : وَدِدْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَنْ أَعْلَمَ أَيَّ التَّجَارَاتِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ فَأَتَجَرَ فِيهَا ، فَنَزَلَتْ^(٢) .

والاستفهام إخبار في المعنى ، وذكر بلفظ الاستفهام ؛ تشويقاً لكونه أوقع في النفس ، وتسميته الجهاد تجارة ؛ لقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ . . . [التوبة : ١١١] الآية .

قوله : (بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ) سبعيتان^(٣) .

(١) رواه الترمذي (٣٣٠٩) عن سيدنا عبد الله بن سلام عليه السلام .

(٢) رواه بنحوه البغوي في «شرح السنة» (٤٨٤) ، وانظر «السراج المنير» (٢٧٨/٤) .

(٣) قرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد الجيم ، والباقون بسكون النون وتخفيف الجيم . انظر «الدر المصون» (٣١٨/١٠) .

مَنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ

﴿مَنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ : مُؤْلِمٌ ، فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا : نَعَمْ فَقَالَ : ﴿تُوْمِنُونَ﴾ : تَدُوْمُونَ عَلَى الْإِيمَانِ ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ فَافْعَلُوهُ .
 (١٢ - ١٣) ﴿يَغْفِرْ﴾ - جَوَابُ شَرْطِ مُقَدَّرٍ - أَي : إِنْ تَفَعَّلُوهُ يَغْفِرُ ﴿لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ : إِقَامَةٌ ،

حاشية الصاوي

قوله : ﴿تُوْمِنُونَ﴾ في محل رفع ، خبرٌ مبتدأ مقدرٌ ؛ أي : هي تؤمنون ، أو جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب ، واقعة في جواب سؤال مقدرٍ ، كأنه قيل : ما هي ؟ فأجاب بما ذكر^(١) .

قوله : ﴿ذَلِكَ﴾ أي : المذكور من الإيمان والجهاد .

قوله : ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي : من كل شيء .

قوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أشار المفسر إلى أن الجواب مقدرٌ ، وإلى أن ﴿تَعْلَمُونَ﴾ متعديٌ حذف مفعوله .

قوله : ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي : من تحت أشجارها وغُرُفها .

قوله : ﴿وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ﴾ رُوي عن الحسن قال : سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن قوله تعالى : ﴿وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ﴾ ، فقال : على الخير سقطت ؛ سألت رسول الله ﷺ عنها ، فقال : «قصرٌ من لؤلؤة في الجنة ، في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء ، في كل دار سبعون بيتاً من زبرجدة خضراء ، في كل بيت سبعون سريراً ، في كل سرير سبعون فراشاً من كل لون ، على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين ، في كل بيت سبعون مائدة ، على كل مائدة سبعون لونا من الطعام ، في كل بيت سبعون وصيفاً أو وصيفة ، فيُعطي الله المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله»^(٢) .

(١) وصنع المفسر يُشير إلى الثاني ؛ حيث قال : (فكَأَنَّهُمْ قَالُوا : نعم) الذي هو بمنزلة أن يقولوا : وما تلك التجارة ؟ وقيل : مستأنفة معناها الطلب ؛ أي : آمنوا ؛ بدليل ﴿يَغْفِرْ﴾ بالجزم ؛ كقولهم : (اتَّقَى الله امرؤ فعل خيراً يُتَّب عليه) أي : ليتق الله وليفعل . . . يُتَّب ، وعلى الأول : فالجزم في جواب الاستفهام تنزيلاً للسبب وهو الدلالة منزلة المُسَبَّب وهو الامتثال . انظر «الفتوحات» (٣٥٢/٤) ، و«مغني اللبيب» (ص ٥٢٢) .

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (١٥٧٧) ، وأبو الشيخ في «العظمة» (٦٠٩) ، وفيهما : (فقالا) بدل (فقال) .

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيَسِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَ﴾ يُؤْتِكُمْ نِعْمَةً ﴿أُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيَسِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
بِالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ.

﴿١٤﴾ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ﴾: لِدِينِهِ، - وفي قراءة بِالإضافة - ﴿كَمَا﴾
الْمَعْنَى: كما كان الْحَوَارِيُّونَ كذلك، الدَّالُّ عَلَيْهِ:
حاشية الصاوي

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: المذكور من غفران الذنوب، وإدخال الجنات.

قوله: ﴿وَ﴾ يُؤْتِكُمْ نِعْمَةً ﴿أُخْرَى﴾ أشار المفسر بتقدير هذا العامل إلى أَنَّ ﴿أُخْرَى﴾ صفةٌ
لمحذوف مفعول لفعلٍ مقدر، وهذا المقدَّر معطوفٌ على المذكور قبله، والمراد: يُؤْتِكُمْ في الدنيا،
فهو إخبارٌ عن نعمة الدنيا بعد الإخبار عن نعمة الآخرة^(١).

قوله: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ خبر مبتدأ مضمير؛ أي: تلك النعمة الأخرى نصرٌ من الله، وقوله: ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي: مُعَجَّلٌ، وهو فتح مكة، أو فارس والروم.

قوله: ﴿وَيَسِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ معطوف على محذوف؛ أي: قل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ...﴾ إلخ،
ويُسِّرُ الْمُؤْمِنِينَ^(٢)، والمعنى: أخبر عامة المؤمنين بأنَّ هذا الفضل العظيم عامٌّ لكلِّ مَنِ اتَّصَفَ بما
تقدَّم من الإيمان وما بعده.

قوله: (وفي قراءة بالإضافة) أي: وهي سبعة أيضاً^(٣).

قوله: (كما كان الحواريون كذلك) أي: أنصار الله، والمعنى: كونوا أنصار الله معي كما كان
الحواريون أنصار الله لَمَّا سألهم عيسى: من أنصاري إلى الله؟

(١) ويصح أن تكون منصوبة بفعلٍ مضميرٍ يُفسَّرُه (تُحِبُّونَهَا)، فيكون من الاشتغال، وحينئذٍ لا يكون (تُحِبُّونَهَا) نعتاً؛ لأنه
مفسَّرٌ للعامل قبله. انظر «الدر المصون» (٣٢١/١٠) فقد ذكر في إعرابها خمسة أوجه.

(٢) وهو قول السكاكي، وحذف القول كثير، وقيل: معطوف على أمرٍ محذوفٍ تقديره: فأبشِر، وإنما قدَّر هذان
التقديران؛ لئلا يلزم عطف الإنشاء على الخبر. وانظر المسألة في «مغني اللبيب» (ص ٦٢٧).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: (أنصاراً) منوناً، والباقون: (أنصار) غير منون، بل مضافاً للجلالة الكريمة، والرسم
يحتمل القراءتين معاً. انظر «الدر المصون» (٣٢٢/١٠).

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَت طَّائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَّائِفَةٌ

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: مَنْ الْأَنْصَارُ الَّذِينَ يَكُونُونَ مَعِيَ مُتَوَجِّهًا إِلَى نُصْرَةِ اللَّهِ؟ ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ وَالْحَوَارِيُّونَ أَصْفِيَاءُ عِيسَى، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، مِنَ الْحَوَرِ وَهُوَ الْبَيَاضُ الْخَالِصُ، وَقِيلَ: كَانُوا قَصَّارِينَ يُحَوِّرُونَ الثِّيَابَ أَي: يُبَيِّضُونَهَا، ﴿فَأَمَنَت طَّائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بِعِيسَى وَقَالُوا: إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ، ﴿وَكَفَرَتْ طَّائِفَةٌ﴾ لِقَوْلِهِمْ: إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ رَفَعَهُ إِلَيْهِ، فَاقْتَتَلَتِ الطَّائِفَتَانِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ مِنْ إِضَافَةِ الْوَصْفِ إِلَى مَفْعُولِهِ؛ أَي: نَحْنُ الَّذِينَ نَنْصُرُ اللَّهَ؛ أَي: نَنْصُرُ دِينَهُ كَمَا تَقَدَّمَ.

قوله: (وقيل: كانوا قَصَّارِينَ) فعلى هذا: الحور قائم بالثياب وعلى الأول: قائم بذواتهم. قوله: ﴿فَأَمَنَت طَّائِفَةٌ﴾ مُرْتَبِطٌ بِمَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: فَلَمَّا رُفِعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ.. افْتَرَقَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ، فَأَمَنَت طَائِفَةٌ... إلخ.

وروي عن ابن عباس: لَمَّا رُفِعَ عِيسَى.. تَفَرَّقَ قَوْمُهُ ثَلَاثَ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ قَالَتْ: كَانَ اللَّهُ فَارْتَفَعَ، وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: كَانَ ابْنُ اللَّهِ فَرَفَعَهُ إِلَيْهِ، وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَرَفَعَهُ، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ، وَاتَّبَعَ كُلَّ فِرْقَةٍ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ، فَاقْتَتَلُوا، وَظَهَرَتِ الْفِرْقَتَانِ الْكَافِرَتَانِ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَظَهَرَتِ الْفِرْقَةُ الْمُؤْمِنَةُ عَلَى الْكَافِرَتَيْنِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الْآيَةُ (١).

قوله: (فاقتتل الطائفتان) أي: وَظَهَرَتِ الْكَافِرَةُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا، ظَهَرَتِ الْمُؤْمِنَةُ عَلَى الْكَافِرَةِ.

روى المغيرة عن إبراهيم قال: وَأَصْبَحَتْ حُجَّةٌ مِنْ آمَنَ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ظَاهِرَةً بِتَصْدِيقِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلِمَةُ اللَّهِ وَعَبْدُهُ وَرَسُولُهُ (٢).



(١) انظر «تفسير القرطبي» (٩٠/١٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٦٨/٢٣)، والمغيرة هو: ابن مقسم الضبي، وإبراهيم بن يزيد النخعي رحمه الله تعالى.

﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (١٤)

﴿فَأَيَّدْنَا﴾ : قَوَّيْنَا ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مِنَ الطَّاغُوتَيْنِ ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ الطَّاغُوتُ الْكَافِرَةُ، ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ : غَالِبِينَ.

حاشية الصاوي

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ① هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ



مَدَنِيَّةٌ، إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ① ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾: يُنَزِّهُهُ - فَالْلامُ زَائِدَةٌ - ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ - فِي ذِكْرِ (مَا) تَغْلِيْبٌ لِلْأَكْثَرِ - ، ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾: الْمُنَزَّهَ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ، ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ فِي مُلْكِهِ وَصُنْعِهِ.
- ② ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾: الْعَرَبَ، وَالْأُمِّيُّ مَنْ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ كِتَابًا،

حَاشِيَةُ الصَّاوِي

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

(مَدَنِيَّةٌ) أَي: بِالْإِجْمَاعِ، وَقَوْلُهُ: (إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً) أَي: بِلا خِلَافٍ.

قَوْلُهُ: (فَالْلامُ زَائِدَةٌ) أَي: أَوْ لِلتَّعْلِيلِ، وَالْمَعْنَى: يُسَبِّحُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِأَجْلِ وَجْهِهِ تَعَالَى، لَا يَقْصِدُونَ غَرَضًا مِنَ الْأَغْرَاضِ، فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُكَلَّفِينَ أَنْ يَكُونُوا كَذَلِكَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ نَظِيرُهُ^(١).

قَوْلُهُ: ﴿الْمَلِكِ﴾ أَي: الْمَتَصَرِّفِ فِي خَلْقِهِ بِالْإِيجَادِ وَالْإِعْدَامِ وَغَيْرِهِمَا.

قَوْلُهُ: (الْمُنَزَّهَ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ) أَي: مِنْ صِفَاتِ الْحَوَادِثِ، وَذَكَرَ ﴿الْقُدُّوسِ﴾ عَقِبَهُ؛ دَفْعًا لِمَا يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ يَطْرَأُ عَلَيْهِ نَقْصٌ كَالْمُلُوكِ.

قَوْلُهُ: ﴿فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ أَي: إِلَيْهَا، وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾، فَهُوَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]^(٢).

(١) انظر (٥٤٤/٦).

(٢) أَي: رَدَّهَا إِلَى الْجِنْسِ، فَهُوَ ﷺ مِنْ جِنْسِكُمْ وَمِنْ نَسَبِكُمْ، عَرَبِيٌّ قُرَشِيٌّ مِثْلَكُمْ.

رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾

﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هو مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾: الْقُرْآنَ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يُطَهِّرُهُمْ مِنَ الشَّرِّ، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾: الْقُرْآنَ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ ﴿وَإِنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمُهَا مَحذُوفٌ - أَي: وَإِنَّهُمْ ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾: قَبْلَ مَجِيئِهِ ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: بَيِّنٌ.

حاشية الصاوي

والحكمة في اقتصاره على المؤمنين هنا مع أنه رسولٌ إلى كافة الخلق: تشريف العرب حيث أضيف إليهم.

قوله: ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ (أي: مِنْ جَمَلَتِهِمْ وَمِنْ نَسَبَتِهِمْ، فَمَا مِنْ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا وَلَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ، وَلَهُمْ عَلَيْهِ وَلَادَةٌ، إِلَّا بَنِي تَغْلِبَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ طَهَّرَهُ مِنْهُمْ؛ لِنَصْرَانِيَّتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ^(١)).
والحكمة في كونه ﷺ أُمِّيًّا مِثْلَهُمْ: لِكَوْنِهِ فِي كِتَابِ الْأَنْبِيَاءِ مَنَعُوتًا بِذَلِكَ، وَأَيْضًا: لِدَفْعِ تَوَهُّمِ الْأَسْتَعَانَةِ بِالْكِتَابَةِ عَلَى مَا أَتَى بِهِ مِنَ الْوَحْيِ، وَلِتَكُونَ حَالُهُ مِمَّا نَلَّهَ لِحَالِ أُمَّتِهِ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ، فَيَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى صَدَقِهِ، وَأَبْعَدَ مِنَ التُّهْمِ، لَكِنْ وَصَفُ الْأُمِّيَّةِ كَمَالًا فِي حَقِّهِ، نَقْصٌ فِي حَقِّ غَيْرِهِ^(٢).
قوله: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ (حَالٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿رَسُولًا﴾).

قوله: ﴿يُطَهِّرُهُم مِنَ الشَّرِّ﴾ (أي: يُزِيلُ عَنْهُمْ التَّشْبِيهَ وَفَسَادَ الْعَقِيدَةِ حَتَّى يَصِيرُوا أَزْكَيَاءَ).
قوله: ﴿مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ﴾ (أي: بِدَلِيلِ وَقُوعِ اللَّامِ فِي خَبَرِهَا).

(١) انظر «السراج المنير» (٤/٢٨١)، و«شرح الزرقاني على المواهب اللدنية» (٨/٣٥٥).

(٢) فلا ينبغي أن تنسب له ﷺ على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره، أو على التشبه به، أو عند هزيمة نالته، أو غضاضة لحقته، ليس على طريق التأسّي وطريق التحقيق، بل على مقصد الترفيع لنفسه أو لغيره، أو على سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبّيه ﷺ. . فحقُّ هذا إنْ دُرِيَ عَنْهُ الْقَتْلُ: الْأَدَبُ وَالسَّجَنُ وَقُوَّةُ تَعْزِيرِهِ بِحَسَبِ شَنْعَةِ مَقَالِهِ، وَمَقْتَضَى قَبْحِ مَا نَطَقَ بِهِ، وَمَأْلُوفِ عَادَتِهِ لِمِثْلِهِ، أَوْ نُدُورِهِ وَقَرِينَةِ كَلَامِهِ، أَوْ نَدَمِهِ عَلَى مَا سَبَقَ مِنْهُ، وَقَدْ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ فِي شَابٍ مَعْرُوفٍ بِالْخَيْرِ قَالَ لِرَجُلٍ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: اسْكُتْ فَإِنَّكَ أُمِّيٌّ، فَقَالَ الشَّابُّ: أَلَيْسَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أُمِّيًّا؟ فَشَنَّعَ عَلَيْهِ مَقَالَهُ، وَكَفَّرَهُ النَّاسُ، وَأَشْفَقَ الشَّابُّ مِمَّا قَالَ، وَأَظْهَرَ النَّدَمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ: أَمَّا إِطْلَاقُ الْكُفْرِ عَلَيْهِ. . فخطأ، لكنه مخطئٌ في اسْتِشْهَادِهِ بِصِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَوْنِ النَّبِيِّ أُمِّيًّا آيَةً لَهُ، وَكَوْنِ هَذَا أُمِّيًّا نَقِيبَةً فِيهِ وَجَهَالَةً، وَمِنْ جَهَالَتِهِ: احْتِجَاجُهُ بِصِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ، لَكِنَّهُ إِذَا اسْتَغْفَرَ وَتَابَ وَاعْتَرَفَ وَلَجَأَ إِلَى اللَّهِ فَيُتْرَكُ.
انظر «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» (٢/٢٤١).

وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾

﴿٣﴾ - عَظَفَ عَلَى ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾ - أي: المَوجُودِينَ ﴿مِنْهُمْ﴾ وَالْآتِينَ مِنْهُمْ بَعْدَهُمْ ﴿لَمَّا﴾: لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴿فِي السَّابِقَةِ وَالْفَضْلِ﴾ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فِي مُلْكِهِ وَصُنْعِهِ وَهُمْ التَّابِعُونَ، وَالِاقْتِصَارُ عَلَيْهِمْ كَافٍ فِي بَيَانِ فَضْلِ الصَّحَابَةِ الْمَبْعُوثِ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَنْ عَدَاهُمْ مِمَّنْ بُعِثَ إِلَيْهِمْ وَأَمَّنُوا بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ كُلَّ قَرْنٍ خَيْرٌ مِمَّنْ يَلِيهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (عَظَفَ عَلَى ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾) أي: فهو مجرورٌ، والمعنى: بعث إلى الأميين الموجودين وإلى الآتين منهم بعدهم، فليست رسالته خاصةً بمن كان موجوداً في زمنه، بل هي عامةٌ لهم ولغيرهم إلى يوم القيامة، وما تقدّم في الأميين من قوله: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ...﴾ إلخ... يجري في قوله: ﴿وَأَخْرَيْنَ﴾، لكن التلاوة والتعليم والتزكية بنفسه لمن كان في زمنه، وبالواسطة لمن يأتي بعده إلى يوم القيامة.

قوله: (أي: الموجودين منهم) تفسير للأميين المعطوف عليه، وقوله: (والآتين) تفسير للآخرين، وفي نسخة: (وآتين)، وهي مُشَاكِلَةٌ لـ(آخرين) في عدم التعريف.

قوله: ﴿لَمَّا﴾: لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴿فِي السَّبْقِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالشَّرَفِ﴾، وَهَذَا النَّفْيُ مُسْتَمِرٌّ دَائِماً؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ لَا يَلْحَقُهُمْ وَلَا يُسَاوِيهِمْ فِي فَضْلِهِمْ أَحَدٌ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ؛ وَلِذَا فَسَّرَ (لَمَّا) بِ(لَم)؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْفِيَّ (لَم) أَعْمٌ مِنْ كَوْنِهِ مُتَوَقَّعَ الْحَصُولِ أَوْ لَا، بِخِلَافِ (لَمَّا)؛ فَمَنْفِيَّهَا مُتَوَقَّعُ الْحَصُولِ، وَلَيْسَ مُرَاداً.

قوله: (والاقتصار عليهم) أي: على التابعين في تفسير (الآخرين)، وهو جوابٌ عما يُقال: ما حِكْمَةُ الْاِقْتِصَارِ عَلَى التَّابِعِينَ مَعَ أَنَّ الصَّحَابَةَ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ فَأَجَابَ: بِأَنَّهُ حَيْثُ ثَبَتَ تَفْضِيلُهُمْ عَلَى التَّابِعِينَ الَّذِينَ هُمْ أَفْضَلُ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ... لَزِمَ مِنْهُ تَفْضِيلُهُمْ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ كُلَّ قَرْنٍ خَيْرٌ مِمَّا يَلِيهِ.

قوله: (مِمَّنْ بعث إليهم) بيان لقوله: (مَنْ عَدَاهُمْ)، وقوله: (من جميع... إلخ) بيان لقوله: (مِمَّنْ بعث إليهم).

قوله: (لَأَنَّ كُلَّ قَرْنٍ) تعليل لقوله: (كافٍ).

ذَلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا.....

﴿٤﴾ ذَلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴿النَّبِيِّ وَمَنْ ذَكَرَ مَعَهُ﴾ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾.

﴿٥﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ﴿كُلُّفُوا الْعَمَلَ بِهَا﴾ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴿لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنْ نَعْتِهِ﴾ فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا﴾ أَي: كُتِبَ فِي عَدَمِ انْتِفَاعِهِ بِهَا،.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ (أي: ما ذُكِرَ من تفضيل الرسول وقومِهِ).

قوله: (النبي) تفسيرٌ لـ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾، وقوله: (وَمَنْ ذُكِرَ مَعَهُ) وهم الأميون والآخرُونَ.

قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ﴾ (هذه قراءة العامة، وقرئ شذوذاً: (حَمَلُوا) مخففاً مبنياً للفاعل^(١)).

قوله: ﴿كُلُّفُوا الْعَمَلَ بِهَا﴾ (أي: القيام بها، فليس هو مِنَ الْحَمْلِ عَلَى الظَّهْرِ، بل هو من الحمل، وهي: الكفالة).

قوله: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾ (خصَّ بالذكر؛ لِكَوْنِهِ أبلَدَ الْحَيَوَانِ).

قوله: ﴿يَحْمِلُ﴾ (بفتح الياء وكسر الميم مخففةً، وهي قراءة العامة، وقرئ شذوذاً: (يُحْمَلُ) بضم الياء وفتح الميم مشددة^(٢)).

والجمله إمَّا حالٌ أو صفةٌ؛ لأنَّ القاعدة: أنَّ الْجُمْلَ بعدما يحتمل التعريف والتنكير.. تكون محتملةً للوصفيَّة والحاليَّة؛ فالحاليَّة نظراً لِصورة التعريف، والوصفيَّة نظراً لِجريان (الحمار) مجرى النكرة؛ لأنَّ المراد به الجنس.

قوله: (أي: كتباً) أي: كباراً، جمع (سِفْرٍ)، وهو: الكتاب الكبير.

قوله: (في عدم انتفاعه بها) بيانٌ لوجه الشَّبه.

(١) وبها قرأ زيد بن علي ويحيى بن يعمر. انظر «الدر المصون» (١٠/٣٢٦).

(٢) وبها قرأ المأمون ابن هارون الرشيد. انظر «الدر المصون» (١٠/٣٢٦).

يَنْسُ مَثْلَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰلِغِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾

﴿يَنْسُ مَثْلَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ المَصْدَقَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، - وَالْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: هَذَا الْمَثَلُ -، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰلِغِينَ﴾ الْكَافِرِينَ.

(٦ - ٧) ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ - تَعْلُقُ بِـ(تَمَنَّوُا) الشَّرْطَانِ عَلَى أَنَّ الْأَوَّلَ قَيْدٌ فِي الثَّانِي -، أَي: إِنْ صَدَقْتُمْ حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: ﴿مَثْلَ الْقَوْمِ﴾ فاعل ﴿يَنْسُ﴾، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا﴾ صِغَةُ لُـ﴿الْقَوْمِ﴾.

قوله: ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: دلائل وحدانيته وعظمته.

قوله: (الكَافِرِينَ) أي: الَّذِينَ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ كُفْرُهُمْ، وَهَذَا الْمَثَلُ يُضْرَبُ لِكُلِّ مَنْ تَحْمَلُ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ.

قوله: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: تَمَسَّكُوا بِالْيَهُودِيَّةِ، وَهِيَ مِلَّةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وسبب نزولها: أَنَّ الْيَهُودَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ، وَادَّعَوْا أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُظْهَرَ كَذِبُهُمْ بِتِلْكَ الْآيَةِ^(١).

قوله: ﴿أَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ﴾ هذه الجملة سَدَّتْ مَسَدَّ مَفْعُولِي (زَعَمَ)، وَ﴿لِلَّهِ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِـ﴿أَوْلِيَاءُ﴾، وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾.

قوله: (تَعْلُقُ بِتَمَنِّيهِ الشَّرْطَانِ)^(٢) أي: وَهَمَا: ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ﴾، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

قوله: (عَلَى أَنَّ الْأَوَّلَ قَيْدٌ فِي الثَّانِي) أي: شَرْطٌ فِيهِ، وَهَذَا إِشَارَةٌ لِقَاعِدَةٍ، وَهِيَ: أَنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ شَرْطَانِ وَتَوَسَّطَ الْجَوَابُ بَيْنَهُمَا.. كَانَ الْأَوَّلُ قَيْدًا فِي الثَّانِي، وَأَمَّا إِنْ تَأَخَّرَ الْجَوَابُ عَنْهُمَا مَعًا، أَوْ تَقَدَّمَ عَلَيْهِمَا مَعًا.. فَإِنَّ الثَّانِيَّ يَكُونُ قَيْدًا فِي الْأَوَّلِ نَحْوُ: إِنْ دَخَلْتَ دَارَ زَيْدٍ إِنْ كَلَّمْتَ زَوْجَتَهُ.. فَإِنَّ طَالِقَ؛ فَلَا تَطْلُقُ إِلَّا بِكَلَامِ الزَّوْجَةِ الْكَائِنِ بَعْدَ دُخُولِ الدَّارِ، وَأَمَّا دُخُولُ الدَّارِ وَحْدَهُ، أَوْ الْكَلَامُ خَارِجَ الدَّارِ.. فَلَا تَطْلُقُ بِهِ.

(١) انظر «تفسير أبي السعود» (٢٤٨/٨).

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَفِي «الْفَتْوحَاتِ» (٣٥٦/٤) وَنُسَخَ «الْجَلَالِينَ»: (بِـ«تَمَنَّوُا»).

وَلَا يَسْتَمْنُوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ

في زَعَمِكُمْ أَنْكُمْ أوليَاءُ الله، والوليُّ يُؤثِّرُ الآخِرَةَ وَمَبْدُؤُهَا الْمَوْتُ، فَتَمْنُوهُ، ﴿وَلَا يَسْتَمْنُوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من كُفْرِهِمْ بِالنَّبِيِّ الْمُسْتَلَزِمِ لِكَذِبِهِمْ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: الكافِرِينَ .
 ﴿٨﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ ﴿- الفاء زائدة -﴾ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ: السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فَيُجَازِيكُمْ بِهِ .
 ﴿٩﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ.....

حاشية الصاوي

قوله: (وَمَبْدُؤُهَا) أي: طريقها.

قوله: ﴿وَلَا يَسْتَمْنُوهُ﴾ (عَبَّرَ هُنَا بِ(لَا) وَفِي (البقرة) بِ(لَنْ) حَيْثُ قَالَ: ﴿وَلَنْ يَسْتَمْنُوهُ﴾ [البقرة: ٩٥]؛ إشارةً إِلَى أَنَّهُ نَفَى عَنْهُمْ التَّمَنِّيَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ؛ مُؤَكِّدًا كَمَا فِي (البقرة)، وَغَيْرَ مُؤَكِّدٍ كَمَا هُنَا.

قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ (الباء: سَبِيَّةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِالتَّنْفِي).

قوله: (من كُفْرِهِمْ) بَيَانٌ لِمَا).

قوله: ﴿الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ أي: تَخَافُونَ مِنْ تَمَنِّيهِ مَخَافَةً أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ، فَتَتَّخِذُوا بِأَعْمَالِكُمْ.

قوله: (الفاء زائدة) هَذَا أَحَدُ وَجْهَيْنِ، وَالثَّانِي: أَنَّهَا دَاخِلَةٌ لِمَا تَضَمَّنَهُ الْاسْمُ مِنْ مَعْنَى الشَّرْطِ، وَحُكْمُ الْمُوصُوفِ بِالْمُوصُولِ حُكْمُ الْمُوصُولِ.

قوله: (السِّرُّ وَالْعَلَانِيَةُ) لَفٌّ وَنَشْرٌ مَرْتَّبٌ.

قوله: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾ المراد به: الْأَذَانُ عِنْدَ جُلُوسِ الْخَطِيبِ عَلَى الْمَنْبَرِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نِدَاءٌ سِوَاهُ، فَكَانَ لَهُ مُؤَدِّنٌ وَاحِدٌ؛ إِذَا جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ.. أَدَّنَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَإِذَا نَزَلَ.. أَقَامَ الصَّلَاةَ، ثُمَّ كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ بِالكُوفَةِ عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى كَانَ عُثْمَانُ وَكَثُرَ النَّاسُ، وَتَبَاعَدَتِ الْمَنَازِلُ.. زَادَ أَذَانًا آخَرَ، فَأَمَرَ بِالتَّأْدِينِ أَوَّلًا عَلَى دَارِهِ الَّتِي تُسَمَّى الزُّورَاءَ، فَإِذَا سَمِعُوا.. أَقْبَلُوا، حَتَّى إِذَا جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ.. أَدَّنَ الْمُؤَدِّنُ ثَانِيًا^(١)، وَلَمْ يُخَالِفْهُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ

(١) رواه البخاري (٩١٢)، عن سيدنا السائب بن يزيد رضي الله عنه، وفيه: (قال أبو عبد الله: «الزوراء: موضع بالسوق بالمدينة»).

يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾

- بِمَعْنَى (فِي) - ﴿يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا﴾ : فامضُوا ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أَي : الصَّلَاةِ، ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ : اتركُوا عَقْدَهُ، ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ خَيْرٌ فافعلوه.

حاشية الصاوي

الوقت؛ لقوله ﷺ : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»^(١).

قوله : (بمعنى «في») هذا أحد وجهين، والثاني : أنها بيان لـ ﴿إِذَا تَوَدَّى﴾ وتفسير لها.

قوله : ﴿يَوْمَ الْجُمُعَةِ﴾ بضمّتين، وهي قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بسكون الميم، وفتحها^(٢)، سميت بذلك؛ لاجتماع الناس فيها للصلاة، وكانت العرب تُسمّيه : العروبة.

[فائدة]

واعلم : أن أفضل الليالي : ليلة المولد، ثم ليلة القدر، ثم ليلة الإسراء، فعرفة، فالجمعة، فنصف شعبان، فالعيد، وأفضل الأيام : يوم عرفة، ثم يوم نصف شعبان، ثم الجمعة، والليل أفضل من النهار.

قوله : (فامضوا) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد من السعي الإسراع في المشي؛ إذ ليس المطلوب ولو خاف فواتها، بل المراد به : التوجه. والمشي عند الذهاب أفضل من الركوب إن لم يكن عذراً، وبعد انقضاء الصلاة لا بأس به.

قوله : (أي : اتركوا عقده) أي : فالمراد بـ (البيع) : العقد بتمامه، فهو خطاب لكل من البائع والمشتري، ومثل البيع والشراء : الإجارة والشفعة والتولية والإقالة، فإن وقعت.. حرمت وقُسيحت عند مالك، وعند الشافعي : تحرّم ولا تفسخ.

قوله : ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي : المذكور من السعي وترك الاشتغال بالدنيا.

قوله : (أنه خير) قدره؛ إشارة إلى أن مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ محذوف، وقوله : (فافعلوه) جواب الشرط.

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢) عن سيّدنا العرياض بن سارية رضى الله عنه.

(٢) قرأ ابن الزبير وزيد ابن علي وأبو حيوه وأبو عمرو في رواية بسكون الميم؛ فقليل : هي لغة في الأولى، وسُكِّنَتْ تخفيفاً، وهي لغة تميم، وقال أبو البقاء : (ويقرأ بفتح الميم بمعنى الفاعل؛ أي : يوم المكان الجامع؛ مثل : رجل ضَحَكه؛ أي : كثير الضحك). انظر «الدر المصون» (١٠/٣٣٠).

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

﴿١٠﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ - أمرٌ بإباحة - ﴿وَابْتَغُوا﴾ : اطلبوا الرِّزْقَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا ﴿كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ : تَفُوزُونَ.

﴿١١﴾ كَانَ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَدِمَتْ عَيْرٌ وَضُرِبَ لِقُدُومِهَا الطَّبْلُ عَلَى الْعَادَةِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ أي: أُدِّيَتْ وَفُرِغَ مِنْهَا.

قوله: ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لِلتَّجَارَةِ وَالتَّصَرُّفِ فِي حَوَائِجِكُمْ.

قوله: (أمرٌ بإباحة) أي: فالمعنى: مباحٌ لكم الانتشار في الأرض، فلا حرج عليكم في فعله، ولا تركه.

قوله: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أتى به ثانية؛ إعلاماً بأن ذكر الله مأمورٌ به في سائر الأحوال، لا في خصوص الصلاة.

قوله: (تَفُوزُونَ) أي: تَظْفَرُونَ بِسَعَادَتِكُمْ.

قوله: (كَانَ ﷺ) إلخ) شروعٌ في بيان سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً...﴾ إلخ.

قوله: (يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ) أي: بعد الصلاة؛ كالعِيدَيْنِ^(١).

قوله: (فَقَدِمَتْ عَيْرٌ) أي: من الشام، قَدِمَ بِهَا دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ، وَكَانَ الْوَقْتُ وَقْتُ غَلَاءٍ فِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ فِي تِلْكَ الْقَافِلَةِ جَمِيعُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ؛ مِنْ بُرٍّ وَدَقِيقٍ وَزَيْتٍ وَغَيْرِهَا، فَنَزَلَ بِهَا عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ - مَوْضِعِ سَوَاقِ الْمَدِينَةِ - وَضُرِبَ الطَّبْلُ؛ لِيَعْلَمَ النَّاسُ بِقُدُومِهِ، فَيَتَأَعَّوْا مِنْهُ، وَقِيلَ: الضَّارِبُ لِلطَّبْلِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، عَلَى الْعَادَةِ فِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَقْبِلُونَهَا بِالطَّبْلِ وَالتَّصْفِيقِ، وَقِيلَ: أَهْلُ الْقَادِمِ بِهَا، قَالَ قَتَادَةُ: (بَلَّغْنَا أَنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ كُلَّ مَرَّةٍ تَقْدُمُ الْعَيْرُ مِنَ الشَّامِ، وَيُؤَافِقُ قُدُومَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَقْتُ الْخُطْبَةِ)^(٢).

(١) وهو ما رواه أبو داود في «مراسيله» (٦٢) عن مقاتل بن حيان، قال: (كان رسول الله ﷺ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ قَبْلَ الْخُطْبَةِ مِثْلَ الْعِيدَيْنِ، حَتَّى كَانَ يَوْمَ جُمُعَةٍ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ وَقَدْ صَلَّى الْجُمُعَةَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ قَدِمَ بِتِجَارَتِهِ، وَكَانَ دِحْيَةُ إِذَا قَدِمَ تَلَقَّاهُ أَهْلُهُ بِالْذَفَافِ، فَخَرَجَ النَّاسُ فَلَمْ يَظُنُّوا إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِي تَرْكِ الْخُطْبَةِ شَيْءٌ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾).

(٢) انظر «المحرر الوجيز» (٣٠٩/٥).

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا

فَخَرَجَ لَهَا النَّاسُ مِنَ الْمَسْجِدِ غَيْرَ اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا، فنزلت: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ أي: التَّجَارَةُ لِأَنَّهَا مَطْلُوبُهُمْ دُونَ اللَّهِو، ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ في الْخُطْبَةِ ﴿قَائِمًا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (غير اثني عشر رجلاً) وفي رواية: (أن الذين بقوا معه أربعون رجلاً)، وفي أخرى: (أنهم ثمانية)، وفي أخرى: (أنهم أحد عشر)، وفي أخرى: (أنهم ثلاثة عشر)، وفي أخرى: (أنهم أربعة عشر)^(١)، وهذا منشأ الخلاف بين الأئمة في العدد الذي تنعقد به الجمعة؛ فصَحَّ عند مالك: أنهم اثني عشر^(٢)، وصَحَّ عند الشافعي: أنهم أربعون.

ورد في الحديث: أَنَّهُ ﷺ قال: «لو تتابعتم حتى لم يَبَقَ منكم أحدٌ.. لسال بكم الوادي نارا»^(٣).

قوله: ﴿انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ أي: والذي سَوَّغَ لَهُمُ الْخُرُوجَ وَتَرَكَ رَسُولَ اللَّهِ يَخُطُبُ: أَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ الْخُرُوجَ بَعْدَ تَمَامِ الصَّلَاةِ جَائِزٌ؛ لِانْقِضَاءِ الْمَقْصُودِ وَهُوَ الصَّلَاةُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَقْدُمُ الصَّلَاةَ عَلَى الْخُطْبَةِ كَالْعِيدِينَ، فَلَمَّا وَقَعَتْ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ وَنَزَلَتْ الْآيَةُ.. قَدَّمَ الْخُطْبَةَ، وَأَخَّرَ الصَّلَاةَ^(٤).

قوله: (لأنها مطلوبهم) جوابٌ عمَّا يقال: لِمَ أَفْرَدَ الضَّمِيرَ مَعَ أَنَّ الْمُتَقَدِّمَ شَيْئَانِ؟ وَيَجَابُ أَيْضًا: بِأَنَّهُ أَفْرَدَ؛ لِأَنَّ الْعُطْفَ بِ(أَوْ)، وَخَصَّ ضَمِيرَ الْمُؤَنَّثِ؛ لِمَا قَالَهُ الْمَفْسِّرُ.

قوله: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ مِنْ فَاعِلٍ ﴿انْفَضُّوا﴾، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿قَائِمًا﴾ إِيضًا إِلَى أَنَّ الْخُطْبَةَ تَكُونُ مِنْ قِيَامٍ، لَا مِنْ جُلُوسٍ، قَالَ عَلْقَمَةُ: سَأَلَ ابْنَ مَسْعُودٍ: أَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخُطُبُ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا؟ فَقَالَ: (أَمَا تَقْرَأُ: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾؟)^(٥).

(١) ذكر الروايات كلها الإمام القرطبي في «تفسيره» (١٨/١١٠).

(٢) كذا في الأصول: (اثني)، وحقُّه الرفع إلا إن أراد المصنف رحمه الله حكاية لفظ الحديث، ورواية الاثني عشر رواها البخاري (٩٣٦)، ومسلم (٨٦٣) عن سيدنا جابر رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٨٧٧) عن سيدنا جابر رضي الله عنه.

(٤) قال القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٣/٢٦٢): (وهذا أشبه بحال الصحابة أنهم كانوا لا يدعون مع النبي ﷺ الصلاة ويتركونه، بل تأوَّلوا بعد تمامها جواز ترك الخطبة، وهو أيضاً ظاهر الآية؛ لقوله: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾، ولم يقل: تركوا الصلاة، وإن كان بعض العلماء أنكَّر أن يكون النبي ﷺ خطب قط في الجمعة بعد الصلاة).

(٥) رواه ابن ماجه (١١٠٨).

قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِو وَمِنَ الْجَزَاءِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿١١﴾

قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿١﴾ مِنَ الثَّوَابِ ﴿٢﴾ خَيْرٌ ﴿٣﴾ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴿٤﴾ مِّنَ اللَّهِو وَمِنَ الْجَزَاءِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٥﴾
يُقَالُ: كُلُّ إِنْسَانٍ يَرْزُقُ عَائِلَتَهُ أَي: مِنْ رِزْقِ اللَّهِ تَعَالَى.

حاشية الصاوي

قال جمهور العلماء: الخطبة فريضة في صلاة الجمعة، وقال داوود الظاهري: هي مستحبة، ويجب أن يخطب الإمام قائماً خطبتين، يفصل بينهما بجلوس، وقال أبو حنيفة: لا يُشترط القيام ولا القعود.

ويشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في أحد القولين، وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة: أن يحمده الله تعالى، ويصلي على النبي ﷺ، ويوصي بتقوى الله، هذه الثلاث شروط في الخطبتين جميعاً، ويجب أن يقرأ في الأولى آية من القرآن، ويدعو للمؤمنين في الثانية، ولو ترك واحدة من هذه الخمسة.. لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعي.

وذهب أبو حنيفة: إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة.. أجزأه.
وذهب مالك: إلى أنه ما يقع عليه عند العرب اسم الخطبة، وهو كلامٌ مُسَجَّعٌ مُشْتَمِلٌ على تحذير أو تبشير.

قوله: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ...﴾ (إلخ) أي: قل لهم تأديباً وزجراً لهم عن العود لمثل هذا الفعل.
قوله: (من الثواب) بيان لـ(ما)، والمراد به: الثبات مع رسول الله ﷺ.
قوله: ﴿خَيْرٌ﴾ اسم التفضيل باعتبار أن في اللهو والتجارة لذة دنيوية.
قوله: (يُقَالُ: كُلُّ إِنْسَانٍ... إلخ) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل على بابهِ؛ فالرَّازِقُونَ متعدّدون^(١)، لكن على سبيل المجاز، وإلا.. فالرَّازِقُ حقيقةً هو الله وحده.
قوله: (عائلته) أي: عياله.

قوله: (أي: من رزق الله) تصحيح لهذا القول المذكور، والمعنى: ليس المراد به: كُلُّ إِنْسَانٍ يَرْزُقُ عَائِلَتَهُ بالاستقلال، ولا بحوله وقوّته، بل مِنْ رِزْقِ اللَّهِ تَعَالَى يجري على يده.



(١) والله خيرُهم: من حيث إنه لا يقطع الرزق عن عَصَاهُ وعَادَاهُ، وغيره يقطع. «فتوحات» (٤/٣٥٩).

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا



مَدِينَةٍ، إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا ﴿بِالسِّتَةِ عَلَى خِلَافٍ مَا فِي قُلُوبِهِمْ:

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

هكذا بالواو على الحكاية، وفي بعض النسخ: (المنافقين) بالياء.

قوله: (مدنية) أي: بالإجماع، وكذا قوله: (إحدى عشرة آية).

قوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ﴾ أي: حضروا عندك؛ كعبد الله بن أبي وأصحابه، وجواب الشرط

قوله: ﴿قَالُوا﴾، وهو الأظهر، وقيل: جوابه محذوف؛ أي: فلا تقبل منهم، وقيل: الجواب قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾، وهو بعيد.

وسبب نزول هذه السورة: أنه ﷺ لما غزا بني المصطلق، وازدحم الناس على الماء.. اقتتل

رجلان: أحدهما: من المهاجرين جهجاه بن أسيد، وكان أجيراً لعمر يقود له فرسه، والثاني:

من الأنصار، اسمه: سنان الجهني، كان حليفاً لعبد الله بن أبي، فلما اقتتلا.. صاح جهجاه

بالمهاجرين، وسنان بالأنصار، فأعان جهجهاً رجلاً من فقراء المهاجرين، ولطم سناناً، فقال

عبد الله بن أبي: ما صَحِبْنَا مُحَمَّدًا إِلَّا لِنُلْطَمَ وَجُوهُنَا، والله؛ ما مثُلْنَا ومثلُهم إلا كما قال القائل:

سَمْنٌ كَلْبِكَ.. يَأْكُلُكَ، أما والله؛ لئن رجعنا إلى المدينة.. لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، ثم قال

لقومه: ماذا فعلتم بأنفسكم؟ قد أنزلتموهم بلادكم، وقاسمتموهم في أموالكم، أما والله؛ لو أمسكتم

عنهم فضل الطعام لتحولوا من عندكم، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد، فسمع ذلك

نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا
آيَمَتَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا

﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾: يَعْلَمُ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ فِيمَا
أَضْمَرُوهُ مُخَالِفًا لِمَا قَالُوهُ.

﴿٢﴾ ﴿اتَّخَذُوا آيَمَتَهُمْ جُنَّةً﴾: سُتْرَةٌ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَدِمَائِهِمْ، ﴿فَصَدُّوا﴾ بِهَا

حاشية الصاوي

زيد بن أرقم، فبلغه لرسول الله ﷺ، فقال ﷺ لعبد الله: أنت صاحب الكلام الذي بلغني عنك؟
فحلف أنه ما قال شيئاً وأنكر، فهو قوله: ﴿اتَّخَذُوا آيَمَتَهُمْ جُنَّةً...﴾ إلخ، فنزلت السورة^(١).

قوله: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ (يَحْتَمِلُ أَنَّ الشَّهَادَةَ عَلَى بَابِهَا؛ نَفِيًّا لِلنِّفَاقِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ^(٢))،
وَيَحْتَمِلُ أَنَّ ﴿نَشْهَدُ﴾ بِمَعْنَى: (نَحْلِفُ).

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ جملة مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ قَوْلِهِمْ: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ وَبَيْنَ قَوْلِهِ:
﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ...﴾ إلخ، وَحِكْمَةُ الِاعْتِرَاضِ: أَنَّهُ لَوْ اتَّصَلَ التَّكْذِيبُ بِقَوْلِهِمْ.. لَرَبَّمَا تَوَهَّمُ أَنَّ قَوْلَهُمْ
فِي حَدِّ ذَاتِهِ كَذِبٌ، فَاتَى بِالِاعْتِرَاضِ؛ لِرَفْعِ هَذَا الْإِيهَامِ.

قوله: (فِيمَا أَضْمَرُوهُ) أَي: مِنْ أَنَّكَ غَيْرُ رَسُولٍ، وَسَمَّاهُ كَذِبًا بِاعْتِبَارِ هَذَا الَّذِي أَضْمَرُوهُ، هَذَا مَا
أَفَادَهُ الْمَفْسِّرُ، وَقِيلَ: كَذِبُهُمْ هُوَ قَوْلُهُمْ: (نَشْهَدُ)؛ لِأَنَّ صِدْقَهَا كَوْنُهَا مِنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ، وَقَوْلُهُمْ
خِلَافُ مَا فِي الْقَلْبِ.

قوله: ﴿اتَّخَذُوا آيَمَتَهُمْ﴾ (بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ فِي قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ، جَمْعُ (يَمِينٍ)، وَقُرِئَ شَذُوذًا بِكسرها،
بِمَعْنَى: دَعَاوَاهُمْ الْإِيمَانَ، أَوْ التَّصَدِيقَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ^(٣)).

قوله: ﴿جُنَّةً﴾ بِضَمِّ الْجِيمِ؛ أَي: وَقَايَةً.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/٤٠٧)، وفيه: (فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ.. أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأُذُنِ زَيْدٍ فَقَالَ: «هَذَا
الَّذِي أَوْفَى اللَّهَ بِأَذْنِهِ»)، وَفِي «سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» (٣٣١٢): قَالَ زَيْدٌ ﷺ: (فَبَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ قَالَ:
«إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ»).

(٢) وَجَرَى مَجْرَى الْقَسَمِ كَفَعَلَ الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ؛ وَلِذَلِكَ تُلْقِيَتْ بِمَا يَتَلَقَّى بِهِ الْقَسَمُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾، وَفِي قَوْلِهِ:
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَاتَيْنِ مَنِيَّتِي إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا

(٣) وَبَكْسَرِ الْهَمْزَةِ قَرَأَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُون» (١٠/٣٣٦).

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ

﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الجهادِ فيهم، ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿٣﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: سُوءُ عَمَلِهِمْ ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ بِاللِّسَانِ ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بِالْقَلْبِ، أي: استَمَرُّوا على كُفْرِهِمْ بِهِ، ﴿فَطُبِعَ﴾: خُتِمَ ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بِالْكُفْرِ، ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الْإِيمَانَ.

﴿٤﴾ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لِجَمَالِهَا، ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ لِفَصَاحَتِهِ، ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ مِنْ عِظَمِ أَجْسَامِهِمْ فِي تَرْكِ التَّفَهُمِ
حاشية الصاوي

قوله: ﴿سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سَاءَ): كـ(بش) في إفادة الذَّمِّ، وفيها معنى التعجب.

قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ باللسان... إلخ) جوابٌ عمّا يقال: إِنَّ المنافقين لم يحصل منهم إيمانٌ أصلاً، بل هم ثابتون على الكفر، وإيضاحه: أَنَّ (ثم) للترتيب الإخباري، ومعناه: أَنَّهُمْ آمَنُوا بِالسَّيِّئِ، وكَفَرُوا بِقُلُوبِهِمْ.

قوله: (لجمالها) قال ابن عباس: (كان ابن أبي جسيماً صحيحاً فصيحاً طلق اللسان، وكان قومٌ من المنافقين مثله، وهم رؤساء المدينة، وكانوا يحضرون مجلس النبي ﷺ، ويستندون فيه إلى الجُدر، وكان النبي ومَنْ حضر يُعجبون بهياكلهم)^(١).

قوله: ﴿وَإِنْ يَقُولُوا﴾ أي: يتكلموا في مجلسك.

قوله: ﴿تَسْمَعُ﴾ أي: تسمع، بمعنى: تُصغي^(٢).

قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ الجملة خالية من الضمير في (قَوْلِهِمْ)، أو مستأنفة^(٣).

قوله: (في ترك التفهيم) هذا بيانٌ لوجه الشَّبه، والمعنى: أَنَّهُمْ يُشبهون الأخشاب المسندة إلى الحائط في كونهم أشباحاً خالية عن العلم والنظر.

(١) رواه الخطيب في «السراج المنير» (٤/٢٩٤).

(٢) فلذلك عداه باللام.

(٣) ووجه ثالث: أَنَّها خبر مُبتدأ مضمرة؛ أي: هم كَأَنَّهُمْ. انظر «الكشاف» (٤/٥٤٢).

رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾

- بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ -: عَطَفُوا ﴿رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: يُعْرِضُونَ عَنْ ذَلِكَ، ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ - اسْتَغْنِي بِهَمْزَةِ الاسْتِفْهَامِ عَنْ هَمْزَةِ الْوَصْلِ - ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

حاشية الصاوي

عشائرهم من المؤمنين وقالوا: ويحكم افتضحتم وأهلكتم أنفسكم؛ فاثبتوا رسول الله، وتوبوا إليه من النفاق، واسألوه أن يستغفر لكم، فلووا رؤوسهم؛ أي: حركوها إعراضاً وإباءً^(١).

وروي: أن ابن أبي لوى رأسه وقال لهم: قد أشرتم عليّ بالإيمان فآمنت، وبإعطاء زكاة مالي ففعلت، ولم يبق إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد، فنزل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا... إلخ، فلم يلبث ابن أبي لوى إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات منافقاً^(٢).

قوله: (بالتخفيف والتشديد) قراءتان سبعيتان^(٣).

قوله: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ (رأى): بصريّة، وجملة ﴿يَصُدُّونَ﴾ حالٌ من الهاء، وقوله: ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ حالٌ من الواو في ﴿يَصُدُّونَ﴾.

قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾... إلخ هذا تَبْيِيسٌ مِنْ إيمانهم؛ أي: إن استغفارك وعدمه سواء، فهم لا يؤمنون؛ لِسَبْقِ الشَّقَاوَةِ لَهُمْ.

قوله: (استغني) أي: في التوصل للنطق بالساكن.

قوله: (بهَمْزَةُ الاسْتِفْهَامِ) أشار بذلك إلى أن قراءة العامّة بفتح الهمزة من غير مدٍّ، وهي في الأصل همزة الاستفهام، والآن همزة التسوية^(٤).

قوله: ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ أي: الكافرين الذين سبق في علم الله كفرهم.

(١) رواه الخطيب في «السراج المنير» (٢٩٥/٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) انظر «المحرر الوجيز» (٣١٤/٥).

(٣) قرأ نافع بالتخفيف، والباقون بالتشديد. انظر «الدر المصون» (٣٤٠/١٠).

(٤) لوقوعها بعد (سواء)، والعامّة نظروا إلى الأصل فقطعوا الهمزة من غير مدٍّ.

هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ

﴿٧﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ﴿حَتَّى يَنْفَضُوا﴾: يَتَفَرَّقُوا عَنْهُ، ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بِالرِّزْقِ؛ فَهُوَ الرِّازِقُ لِلْمُهَاجِرِينَ وَغَيْرِهِمْ، ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿٨﴾ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا أَي: مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾... إلخ استئناف جارٍ مجرى التعليل لفسقهم.

قوله: (من الأنصار) أي: المخلصين في الإيمان، وصحبتهُم للمنافقين بحسب ظاهر الحال.

قوله: ﴿عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ الظاهر: أَنَّهُ حكاية ما قالوه بعينه؛ لأنَّهم منافقون يقرؤون برسائله ظاهراً، ويحتمل أَنَّهُمْ عَبَّرُوا بِغَيْرِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ، فَغَيَّرَهَا اللَّهُ إِجْلَالاً لِنَبِيِّهِ ﷺ.

قوله: ﴿حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ أي: لِأَجْلِ أَنْ يَتَفَرَّقُوا بِأَنْ يَذْهَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى أَهْلِهِ وَشُغْلِهِ بِالْمَعَاشِ.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الجملة حالية؛ أي: قَالُوا مَا ذُكِرَ وَالْحَالُ أَنَّ الرِّزْقَ بِيَدِهِ تَعَالَى، لَا بِأَيْدِيهِمْ، فَالْمَعْطَى الْمَانِعُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِذَا سُدَّ بَابُ... يَفْتَحُ اللَّهُ عَشْرَةً.

قوله: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لَا يَفْهَمُونَ أَنَّ اللَّهَ خَزَائِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

قوله: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا﴾... إلخ حكاية لبعض قبائحهم التي قَالُوهَا.

قوله: (من غزوة بني المُصْطَلِقِ) وكانت في السَّنة الرَّابِعَةِ، وَقِيلَ: فِي الثَّالِثَةِ^(١).

وسببها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَلَغَهُ أَنَّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ يَجْتَمِعُونَ لِحَرْبِهِ، وَقَائِدُهُمُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضَرَّارٍ، وَهُوَ أَبُو جَوِيرِيَّةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ... خَرَجَ إِلَيْهِمْ حَتَّى لَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ مِنْ مِيَاهِهِمْ يُقَالُ لَهَا: الْمَرِيسِيعُ، مِنْ نَاحِيَةِ قَدِيدٍ إِلَى السَّاحِلِ، فَوَقَعَ الْقِتَالُ، فَهَزَمَ اللَّهُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَأَمَكَّنَ رَسُولُهُ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَكَانَ سَبْيُهُمْ سَبْعَ مِائَةٍ.

(١) ونقل الإمام ابنُ سِيدِ النَّاسِ فِي «عِيُونِ الْأَثَرِ» (١٢٨/٢) الْأَقْوَالَ فِي بَيَانِ وَقْتِهَا فَقَالَ: (وَهِيَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سِتٍّ عِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ عِنْدَ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، وَفِي شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسٍ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِلْيَمَلْتَيْنِ خَلَّتَا مِنْهُ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ، وَالْخَنْدَقُ بَعْدَهَا عِنْدَهُ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ).

مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُهُمْ

عَنَّا بِهٖ أَنْفُسَهُمْ ﴿مِنْهَا الْأَذَلُّ﴾ عَنَّا بِهٖ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾: الْغَلْبَةُ ﴿وَلِرَسُولِهِ﴾ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ذَلِكَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُهُمْ﴾: تَشْغَلُكُمْ ﴿٩﴾ - ﴿١١﴾

حاشية الصاوي

فلَمَّا أَخَذَ النَّبِيُّ جُوزِيَّةً مِنَ السَّبْيِ لِنَفْسِهِ.. أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: صَارَ بَنُو الْمِصْطَلَقِ أَصْهَارَ رَسُولِ اللَّهِ، فَأَطْلَقُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبْيِ؛ إِكْرَامًا لِرَسُولِ اللَّهِ؛ وَلِهَذَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (وَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْ جُوزِيَّةٍ، وَلَقَدْ أُعْتِقَ بِتَزْوِيجِ رَسُولِ اللَّهِ لَهَا مِثْلُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمِصْطَلَقِ) (١).

قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ الجملة حالية؛ أي: قَالُوا مَا ذُكِرَ وَالْحَالُ أَنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ... إلخ.

وعِزَّةُ اللَّهِ: قَهْرُهُ وَغَلْبَتُهُ لِأَعْدَائِهِ، وَعِزَّةُ رَسُولِهِ: إِظْهَارُ دِينِهِ عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا، وَعِزَّةُ الْمُؤْمِنِينَ: نَصْرُ اللَّهِ إِيَّاهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ.

قوله: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ خَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ بِ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، وَمَا قَبْلَهَا بِ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَ مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وَفِي مَعْرِفَتِهَا غَمُوضٌ يَحْتَاجُ إِلَى فِقْهِ، فَنَاسِبُ نَفْيِ الْفِقْهِ، وَهَذَا مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ...﴾ إلخ، وَفِي مَعْرِفَتِهِ غَمُوضٌ زَائِدٌ يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمٍ، فَنَاسِبُ نَفْيِ الْعِلْمِ عَنْهُمْ (٢).

قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾... إلخ) نَهَى لِلْمُؤْمِنِينَ عَنِ التَّشَبُّهِ بِالْمُنَافِقِينَ فِي الْإِغْتِرَارِ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ.

(١) رواه أبو داود (٣٩٣١).

(٢) والحاصل: أَنَّهُ لَمَّا أُثْبِتَ الْمُنَافِقُونَ لِغَرِيقِهِمُ الْمَكْنَى عَنْهُ بِالْأَعْزَاجِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَدِينَةِ.. أُثْبِتَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ صِفَةَ الْعِزَّةِ لِغَيْرِ قَرِيقِهِمْ، وَهُوَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ. وَفِي «شرح جمع الجوامع»: وَمِنْ قَوَادِحِ الْعِلَّةِ: الْقَوْلُ بِالْمَوْجِبِ - بَفَتْحِ الْجِيمِ - وَهُوَ تَسْلِيمُ الدَّلِيلِ مَعَ بَقَاءِ النِّزَاعِ؛ بِأَنَّهُ يَظْهَرُ الْمَعْتَرِضُ عَدَمَ اسْتِلْزَامِ الدَّلِيلِ لِمَحَلِّ النِّزَاعِ، وَشَاهِدُهُ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ فِي جَوَابِ «لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ». «فتوحات» (٣٦٣/٤) نَقْلًا عَنِ الْعَلَامَةِ الْكَرْخِيِّ.

أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾
وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِكُمْ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ
قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ

﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾: الصَّلَوَاتِ الخمس، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا ﴿٩﴾ فِي الزَّكَاةِ ﴿٩﴾ مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِكُمْ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ ﴿٩﴾ - بِمَعْنَى (هَلَا)، أَوْ (لَا) زَائِدَةٌ وَ(لَوْ) لِلتَّمْنِي - ﴿أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (الصَّلَوَاتِ الخمس) هذا قول الضَّحَّاك، وقال الحسن: عن جميع الفرائض، وقيل: عن الحج والزكاة، وقيل: عن قراءة القرآن، وقيل: عن سائر الأذكار، وهو الآثَمُ^(١).

قوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: لإيثارهم الفاني على الباقي، قال رسول الله ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكرُ الله وما والاه، وعالمٌ ومتعلمٌ»^(٢).

قوله: ﴿مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (مِنْ): تَبْعِيضِيَّةٌ، وفي التبعيض بإسنادِ الرزق منه تعالى إلى نفسه زيادةٌ ترغيبٌ في الامتثال؛ حيث كان الرزق له تعالى بالحقيقة، ومع ذلك اكتفى منهم ببعضه.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِكُمْ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: أَمَارَتُهُ وَمَقْدَمَاتُهُ.

قوله: ﴿فَيَقُولُ رَبِّ﴾ معطوفٌ على ﴿أَنْ يَأْتِكُمْ﴾، مُسَبَّبٌ عنه.

قوله: (بِمَعْنَى: هَلَا) أي: التي معناها التحضيض، وتختصُّ بما لفظه ماضٍ، وهو في تأويل المضارع كما هنا، واللائقُ هنا أن تكون بمعنى العَرَضِ الذي هو الطلب بِلِينٍ ورفقٍ؛ لاستحالة معنى التحضيض هنا الذي هو الطلب بحثٌ وإزعاجٌ.

قوله: (وَالْوُ لِلتَّمْنِي) أي: والتقدير على هذا: لِيَتَكَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ.

قوله: ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: زمنٍ قليلٍ فاستدرك فيه ما فاتني.

(١) انظر الأقوال في «السراج المنير» (٢٩٧/٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢) عن سيدنا أبي هريرة ؓ، وقوله: (أو عالم ومتعلم) كذا في الأصول وهي رواية الترمذي، والرفع فيها على التأويل، كأنه قيل: الدنيا مذمومة لا يُحَمَّدُ شَيْءٌ مِمَّا فِيهَا إِلَّا ذَكَرُ اللَّهِ تَعَالَى وعالمٌ أو متعلمٌ. انظر «شرح المشكاة» (٣٢٤٨/١٠).

وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

- بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الصَّادِ -: أَتَصَدَّقُ بِالزَّكَاةِ، ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بِأَنْ أَحُجَّ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه : مَا قَصَرَ أَحَدٌ فِي الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ إِلَّا سَأَلَ الرَّجْعَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ، ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ - بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ ..

حاشية الصاوي

قوله: (بالزكاة) أي: وبكلِّ حقٍّ واجبٍ كالذَّيُونِ وحقوقِ العباد.

قوله: ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يُرْسَمُ بِدُونِ وَاوٍ كَمَا فِي خَطِّ الْمَصْحَفِ، وَأَمَّا فِي اللَّفْظِ .. ففِيهِ قَرَأَتَانِ سَبْعَتَانِ: إِثْبَاتُ الْوَاوِ وَالنَّصَبُ بِالْعَطْفِ عَلَى ﴿فَأَصْدَقَ﴾ الْمَنْصُوبِ بِ(أَنْ) مُضْمَرَةٍ بَعْدَ فَاءِ السَّبَبِيَّةِ فِي جَوَابِ الْعَرَضِ أَوْ التَّمْنِي، وَحَذْفُ الْوَاوِ وَالْجَزْمُ بِالْعَطْفِ عَلَى مُحَلٍّ ﴿فَأَصْدَقَ﴾؛ لِمَلَا حِظَةٍ جَزَمَهَا فِي جَوَابِ الطَّلَبِ؛ أَي: إِنْ أَخَّرْتَنِي .. أَصْدَقُ وَأَكُنْ^(١).

قوله: (عند الموت) أي: عِنْدَ رُؤْيَا أَمَارَاتِهِ كَمَا تَقَدَّمَ.

قوله: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا﴾ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ، جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ مُقَدَّرٍ، تَقْدِيرُهُ: هَلْ يُؤَخِّرُ هَذَا التَّمْنِي؟ فَقَالَ: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا ..﴾ إِنْخ، وَهُوَ نَكْرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ، تَعْمٌ.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فَالتَّاءُ لِمُنَاسَبَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، وَالتَّاءُ الْمَثَنَاءُ فَوْقَ لِمُنَاسَبَةِ قَوْلِهِ: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلَهِكُهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾.

تنمة:

اسْتَنْبَطَ بَعْضُهُمْ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ عُمَرَ النَّبِيِّ رضي الله عنه؛ لِأَنَّ السُّورَةَ تَمَامٌ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَعَقَّبَتْ بِ(التَّغَابُنِ) الَّذِي هُوَ ظُهُورُ الْغَيْبِ بِوَفَاتِهِ رضي الله عنه، وَهُوَ مِنَ الْمَعَانِي الْإِشَارِيَّةِ.



(١) وَالْمَشْهُورُ عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ وَنُقِلَ عَنْ سَيَبَوِيهِ وَالْخَلِيلِ: أَنَّهُ مِنْ بَابِ الْعَطْفِ عَلَى الْمَعْنَى، الْمُسَمَّى فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ: الْعَطْفُ عَلَى التَّوْهَمِ، وَلَا مُحَلًّا هُنَا؛ لِأَنَّ الشَّرْطَ لَيْسَ بِظَاهِرٍ، وَإِنَّمَا يُعْطَفُ عَلَى الْمَوْضِعِ حَيْثُ يَظْهَرُ الشَّرْطُ، وَمَا نَقَلَهُ الْمُصَنِّفُ مِنَ الْعَطْفِ عَلَى الْمُحَلِّ هُوَ مَذْهَبُ السِّيْرَافِيِّ وَالْفَارِسِيِّ، وَفَرَّقَ أَبُو حَيَّانَ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الْعَامِلَ فِي الْعَطْفِ عَلَى الْمَوْضِعِ مَوْجُودٌ، وَآثَرُهُ مَفْقُودٌ، وَالْعَامِلَ فِي الْعَطْفِ عَلَى التَّوْهَمِ مَفْقُودٌ، وَآثَرُهُ مَوْجُودٌ. وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: (وَأَكُونُ)، وَالباقونَ: (وَأَكُنْ). انظر «الدر المصون» (١٠/٣٤٥)، و«معني اللبيب» (ص ٦٢٠).

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنَكُمْ كَافِرٌ وَبَيْنَكُمْ مُؤْمِنٌ.....﴾



مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ، ثَمَانِي عَشْرَةَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أَي: يُنَزِّهُهُ، - فَالْلامُ زَائِدَةٌ، وَأَتَى بِ(مَا) دُونَ (مَنْ) تَغْلِيظًا لِلْأَكْثَرِ - ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (٢ - ٤) ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنَكُمْ كَافِرٌ وَبَيْنَكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ فِي أَصْلِ الْخَلْقَةِ، ثُمَّ يُمَيِّتُهُمْ

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

سُورَةُ النَّعَّابِينِ

(مَكِّيَّةٌ) أَي: إِلَّا قَوْلُهُ: ﴿يَتَأَيَّأُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّا مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ؛ لِأَنَّهَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ بِاتِّفَاقِ الْمَفْسِّرِينَ، وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ.

قَوْلُهُ: (أَوْ مَدَنِيَّةٌ) وَهُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِ.

قَوْلُهُ: (فَالْلامُ زَائِدَةٌ) أَي: أَوْ لِلتَّعْلِيلِ كَمَا تَقَدَّمَ.

قَوْلُهُ: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ قَدَّمَ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ فِيهِمَا؛ لِإِفَادَةِ حَصْرِ الْمُلْكِ وَالْحَمْدِ فِيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَقِيقَةً، وَأَمَّا نِسْبَةُ الْمُلْكِ وَالْحَمْدِ لغيره تَعَالَى.. فَبِطَرِيقِ الْمَجَازِ.

قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كَالدَّلِيلِ لِمَا قَبْلَهُ.

قَوْلُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أَي: تَعَلَّقْتُ إِرَادَتُهُ بِخَلْقِكُمْ أَزْلاً، وَقَوْلُهُ: ﴿فَنَكُمْ كَافِرٌ وَبَيْنَكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ أَي: بِحَسَبِ تَعَلُّقِ قُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، فَمَا قُدِّرَ أَزْلاً مِنْ كُفْرٍ وَإِيمَانٍ لَا بَدَّ وَأَنْ يَمُوتَ الشَّخْصُ عَلَيْهِ؛ لِمَا فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ،

وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾

وَيُعِيدُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴿٣﴾ إِذْ جَعَلَ شَكْلَ الْآدَمِيِّ أَحْسَنَ الْأَشْكَالِ، ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ بِمَا فِيهَا مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ.

حاشية الصاوي

فيسبقُ عليه الكتاب، فيعملُ بعمل أهل النار، فيدخلها، وإنَّ أحدكم ليعملُ بعمل أهل النار حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتاب، فيعملُ بعمل أهل الجنة فيدخلها»^(١).

واعلم: أنَّ القسمة رباعيَّة: شخصٌ كُتِبَ سعيداً في الأزل، ويظهرُ مؤمناً، ويموتُ عليه، وشخصٌ كُتِبَ شقيّاً في الأزل، فيعيشُ كافراً، ويموتُ كذلك، وشخصٌ كُتِبَ سعيداً في الأزل، فيعيشُ كافراً، ويُختمُ له بالإيمان، وهذه الثلاثة كثيرة الوقوع، وشخصٌ يعيشُ مؤمناً، ويُختمُ له بالكفر، وذلك أندرُ من الكبريت الأحمر. وبالجملّة: فالخاتمة تُظهرُ السابقة؛ لأنَّ ما قُدِّرَ في الأزل لا يُغيَّر ولا يبدَّل.

قوله: (ثمَّ يُمَيِّتُهُمْ وَيُعِيدُهُمْ) فيه التفاتٌ من الخطاب للغيبة، وإلّا... فمقتضى الظاهر أن يقول: (ثم يميتكم ويُعيدكم).

قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ (أي: الحكمة البالغة، لا عبثاً).

قوله: (إِذْ جَعَلَ شَكْلَ الْآدَمِيِّ أَحْسَنَ الْأَشْكَالِ) أي: فجعل رأسه لأعلى، ورجليه لأسفل، وذراعيه في جنبيه، وجعله مُنتصب القامة.

إن قلت: قد يُوجدُ كثيرٌ من الناس مُشوَّه الخلق.

أجيب: بأنَّ التشويه بالنسبة لأبناء جنسه، لا بالنسبة لِصُور البهائم مثلاً؛ إذ لو قابلت بين الصورة المشوَّهة وبين صورة الغزال... لرأيت صورة البشر المشوَّهة أحسن.

قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾... إلخ) الحكمة في عدم تكرير الموصول هنا وقد كرّره

(١) رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾

﴿٥﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ ﴿٥﴾ يا كُفَّار مَكَّةَ ﴿٥﴾ نَبُؤًا: ﴿٥﴾ خَبَرُ ﴿٥﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴿٥﴾ عُقُوبَةُ الْكُفْرِ فِي الدُّنْيَا، ﴿٥﴾ وَلَهُمْ ﴿٥﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿٥﴾ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾: مُؤْلِمٌ.

﴿٦﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: عَذَابُ الدُّنْيَا ﴿بِأَنَّهُ﴾ - ضَمِيرُ الشَّانِ - ﴿كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الْحُجَجِ الظَّاهِرَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ، ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ﴾ - أُريدَ بِهِ الْجِنْسُ - ﴿يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾ عن الْإِيمَانِ ﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عن إِيْمَانِهِمْ، ﴿وَاللَّهُ غَفِيٌّ﴾ عن خَلْقِهِ، ﴿حَمِيدٌ﴾: مَحْمُودٌ فِي أَعْمَالِهِ.

حاشية الصاوي

في قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النَّعَّازِينَ: ١]، وفي قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُلْكُونَ﴾ [النَّعَّازِينَ: ٤]: أَنَّ تَسْبِيحَ مَا فِي السَّمَوَاتِ مُغَايِرٌ لِتَسْبِيحِ مَا فِي الْأَرْضِ، وكذا مَا يُسْرُونَ مُغَايِرٌ لِمَا يُعْلَنُونَهُ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهُ تَخْوِيفُ الْمَكْلُوفِينَ، لَا ثُبُوتُ إِحَاطَةِ الْعِلْمِ، فَكُرِّرَ الْمَوْصُولُ لِذَلِكَ؛ وَلِمَا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ثُبُوتُ إِحَاطَةِ الْعِلْمِ بِذَلِكَ.. لَمْ يُكْرَرْ الْمَوْصُولُ.

قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ استفهام توبيخ أو تقرير.

قوله: ﴿فَذَاقُوا﴾ عطف على ﴿كَفَرُوا﴾ عطف مسبب على سبب.

قوله: (أي: عَذَابُ الدُّنْيَا) أي: وَالْآخِرَةِ، فاسمُ الْإِشَارَةِ عائدٌ على مَا ذُكِرَ.

قوله: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ﴾ عطف على ﴿كَانَتْ﴾، والمعنى: قَالَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنَ الْمَذْكُورِينَ فِي حَقِّ رَسُولِهِمُ الَّذِي أَتَاهُمْ: أَبَشَرٌ يَهْدِينَا، وبهذا المعنى صَحَّ الْجَمْعُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَهْدُونَنَا﴾، وَإِلَّا.. فَمُقْتَضَى الظَّاهِرُ أَنْ يَقُولَ: (يَهْدِينَا).

قوله: ﴿فَكَفَرُوا﴾ الفاء: سَبَبِيَّةٌ، والمعنى: كَفَرُوا بِسَبَبِ هَذَا الْقَوْلِ.

قوله: ﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ أي: ظَهَرَ غِنَاهُ عَنْ إِيْمَانِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُهُ، كَمَا أَنَّ كُفْرَهُمْ لَا يَضُرُّهُ، فَكُلُّ مَنْ الْكُفْرَ وَالْإِيْمَانَ وَقَعَ بِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ الْمُسْتَغْنَى عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ.

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾
فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ
يَوْمُ النَّعَّابِ.....

(٧ - ٨) ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ واسمُهَا مَحذُوفٌ - أي: أَنَّهُمْ ﴿لَنْ يُعْثُوا﴾
قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ: الْقُرْآنُ
الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ.

﴿٩﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ﴿ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَّابِ﴾ يَغْبِثُ الْمُؤْمِنُونَ
الْكَافِرِينَ بِأَخْذِ مَنَازِلِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ فِي الْجَنَّةِ.....
حاشية الصاوي

قوله: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾... إلخ (الزعم: ادعاء العلم كذباً، وهو يتعدى إلى مفعولين، فجمله
﴿أَنْ لَنْ يُعْثُوا﴾ ساذة مسدّهما، والمراد بهم: أهل مكة.

قوله: (مُخَفَّفَةٌ) أي: لا ناصبة؛ لئلا يتوالى ناصبان.

قوله: ﴿قُلْ بَلَى﴾ أي: تُبْعَثُونَ؛ لأنَّ (بلى) يجاب بها النفي، فيصير إثباتاً، فهي متضمنة
للجواب، وإنما أعاده^(١)؛ توصلاً لتوكيده بالقسم، وعطف ما بعده عليه.

قوله: ﴿وَذَلِكَ﴾ أي: المذكور من البعث والحساب.

قوله: ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ خطابٌ لكفار مكة، والفاء واقعة في جواب شرطٍ مقدّر؛
أي: إذا كان الأمر كذلك.. فأمنوا... إلخ.

قوله: (القرآن) أي: لأنّه ظاهرٌ في نفسه، مُظْهِرٌ لغيره.

قوله: ﴿لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّ الله يَجْمَعُ فيه بين الأوّلين والآخرين؛ من الإنس،
والجنّ، وجميع أهل السماء والأرض.

قوله: (يَغْبِثُ الْمُؤْمِنُونَ... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ التفاعلَ ليس على بابه؛ فإنَّ الكفار إذا أخذوا
منازل المؤمنين في النار لو ماتوا كفاراً.. ليس بغيبٍ للمؤمنين، بل هو سرورٌ لهم.

(١) أي: قوله: ﴿لَتُبْعَثُنَّ﴾ مع أنّه مثبت في جواب (بلى).

وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ

لَوْ آمَنُوا، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ﴾ - وفي قراءة بِالنُّونِ فِي الْفَعْلَيْنِ - ﴿جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .
 ﴿١٠﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ : الْقُرْآنِ ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِرُ﴾ هي .

﴿١١﴾ ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ : بِقَضَائِهِ، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾

حاشية الصاوي

وما قاله المفسر مأخوذ من حديث: «ما من عبد يدخل الجنة إلا رأى مقعده من النار لو أساء؛ ليزداد شكرًا، وما من عبد يدخل النار إلا رأى مقعده من الجنة لو أحسن؛ ليزداد حسرة»^(١).

قوله: (لو آمنوا) بيان للإضافة في قوله: (منزلهم وأهلهم).

قوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾... إلخ) كالبيان لوجه التغابن، وتفصيل له؛ لأن في ذلك ذكر منازل السعداء والأشقياء.

قوله: (بالنون في الفعلين) أي: (نكفر) و(ندخل)، وعلى هذه القراءة: ففيه التفات من الغيبة للتكلم^(٢).

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: المذكور من تكفير السيئات، وإدخال الجنات.

قوله: ﴿مَا أَصَابَ﴾ مفعوله محذوف؛ أي: أحداً، و﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ فاعل بزيادة (من).

قوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ أي: إيماناً خاصاً^(٣)، وهو التصديق بأن كل شيء بقضاء وقدر.

(١) رواه بنحوه البخاري (٦٥٦٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما؛ أي: نحن بما لنا من العظمة، والباقون بالياء التحتية. انظر «السراج المنير» (٣٠٤/٤).

(٣) في (ب): (خالصاً).

يَهْدِ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ

في قوله: إِنَّ الْمُصِيبَةَ بِقَضَائِهِ ﴿يَهْدِ قَلْبُهُ﴾ لِلصَّبْرِ عَلَيْهَا، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. ﴿١٢﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ: البَيِّن، ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

(١٣ - ١٥) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أَنْ تُطِيعُوهُمْ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْخَيْرِ كَالْجِهَادِ وَالْهَجْرَةِ؛ فَإِنَّ سَبَبَ نُزُولِ الْآيَةِ حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (في قوله) أي: في قول القائل: إِنَّ الْمُصِيبَةَ بِقَضَاءِ اللَّهِ، والمعنى: يَكُنْ قَلْبُهُ مَطْمَئِنًّا مُصَدِّقًا بِهَذَا الْقَوْلِ، لَا مُجَرَّدَ قَوْلِهِ: (إِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) بِاللِّسَانِ؛ فَلَا يُعْطَى بِهِ فَضِيلَةُ الصَّبْرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ.

قوله: ﴿يَهْدِ قَلْبُهُ﴾ أي: لِلثَّبَاتِ وَالِاسْتِرْجَاعِ عِنْدَ نُزُولِهَا.

قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ أي: فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَلَا تَشْغَلْكُمْ الْمَصَائِبُ عَنِ الطَّاعَةِ.

قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ شَرْطُ حُذْفِ جَوَابِهِ، تَقْدِيرُهُ: فَلَا ضَرَرَ وَلَا بَأْسَ عَلَى رَسُولِنَا، وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا...﴾ إلخ: تَعْلِيلٌ لَذَلِكَ الْمَحْذُوفِ.

قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ تَحْرِيزٌ وَحَثٌ لِلنَّبِيِّ عَلَى التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَالِالْتِمَازِ إِلَيْهِ، وَفِيهِ تَعْلِيمٌ لِلأُمَّةِ ذَلِكَ.

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾... إلخ أي: بَعْضُهُمْ، وَالْمُرَادُ بِالْأَزْوَاجِ: مَا يَشْمَلُ الذَّكَورَ، فَكَمَا أَنَّ الرَّجُلَ تَكُونُ زَوْجَتُهُ عَدُوًّا لَهُ كَذَلِكَ الْمَرْأَةُ تَكُونُ زَوْجُهَا عَدُوًّا لَهَا. قوله: ﴿عَدُوًّا لَكُمْ﴾ أي: يَشْغَلْكُمْ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ.

قوله: (إِنْ تُطِيعُوهُمْ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى تَقْدِيرٍ مُضَافٍ؛ أي: فَاحْذَرُوا طَاعَتَهُمْ.

قوله: (فَإِنَّ سَبَبَ نُزُولِ الْآيَةِ... إلخ) عِلَّةٌ لِقَوْلِهِ: (كَالْجِهَادِ وَالْهَجْرَةِ)؛ أي: فَسَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ:

وَأَن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ

الإِطَاعَةُ فِي ذَلِكَ، ﴿وَأَن تَعْفُوا﴾ عَنْهُمْ فِي تَشْيِيطِهِمْ إِيَّاكُمْ عَنْ ذَلِكَ الْخَيْرِ مُعْتَلِّينَ بِمَشَقَّةِ فِرَاقِكُمْ عَلَيْهِمْ، ﴿وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ لَّكُمْ شَاغِلَةٌ عَنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ،

حاشية الصاوي

أَنَّ رَجَالاً أَسْلَمُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَأَرَادُوا أَنْ يُهَاجِرُوا إِلَى النَّبِيِّ، فَمَنْعَهُمْ أَزْوَاجُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ وَقَالُوا: صَبَرْنَا عَلَى إِسْلَامِكُمْ، فَلَا صَبَرَ لَنَا عَلَى فِرَاقِكُمْ، فَطَاعُوهُمْ وَتَرَكُوا الْهَجْرَةَ^(١).

وقيل: نَزَلَتْ فِي عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ؛ كَانَ ذَا أَهْلٍ وَوَلَدٍ، فَأَرَادَ أَنْ يَغْزُوَ، فَبَكَوْا إِلَيْهِ، وَرَفَّقُوهُ وَقَالُوا لَهُ: إِلَى مَنْ تَدْعُنَا؟ فَرَّقَ عَلَيْهِمْ، وَأَقَامَ عَنِ الْغَزْوِ^(٢).

وهذا معنى قول المفسر: (كالجهاد والهجرة)، والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فيدخل في ذلك جميع أنواع الطاعات؛ فلا يُطِيعُ الْأَزْوَاجَ وَلَا الْأَوْلَادَ فِي التَّكَاسُلِ عَنْ أَيِّ طَاعَةٍ كَانَتْ، بَلْ حُقُوقُ اللَّهِ مُقَدَّمَةٌ عَلَى كُلِّ حَقٍّ.

قوله: ﴿وَأَن تَعْفُوا﴾... إلخ أي: تَتْرَكُوا عِقَابَهُمْ بِتَرْكِ الْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنِ الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ بِسَبَبِ مَنْعِ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ قَدْ تَنَبَّهَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَرَأَى غَيْرَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ قَدْ سَبَقَهُ لِلْخَيْرِ، فَتَدَمَّ وَعَزَمَ عَلَى عِقَابِ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ بِتَرْكِ الْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ: ﴿وَأَن تَعْفُوا﴾... إلخ^(٣).

قوله: (فِي تَشْيِيطِهِمْ) أي: شَغَلَهُمْ إِيَّاكُمْ، وَتَكْسِيلِهِمْ لَكُمْ.

قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: ابْتِلَاءٌ وَاخْتِبَارٌ مِنْ اللَّهِ لَكُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ مِنْكُمْ، لَكِنْ لِيُظْهَرَ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ مَنْ يَشْغَلُهُ ذَلِكَ عَنِ الْحَقِّ فَيَكُونُ عَلَيْهِ نَقْمَةٌ مِمَّنْ لَا يَشْغَلُهُ فَيَكُونُ عَلَيْهِ نِعْمَةٌ.

وقدَّم المال؛ لِأَنَّ فِتْنَتَهُ أَشَدُّ، وَتَكْفِي فِي فِتْنَتِهِ قِصَّةُ ثَعْلَبَةَ بْنِ حَاطِبٍ النَّازِلِ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ...﴾ [التوبة: ٧٥] الآية^(٤).

(١) رواه بنحوه الترمذي (٣٣١٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنه، وانظر «تفسير البغوي» (١٤٢/٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/٢٣) من حديث عطاء بن يسار رحمه الله تعالى.

(٣) كما رواه الترمذي (٣٣١٧)، ولفظه: (فلما أتوا رسول الله ﷺ... رأوا الناس قد فقهوا في الدين، هموا أن يُعَاقِبُوهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْكِبُوا أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾).

(٤) رواها الطبراني في «المعجم الكبير» (٢١٨/٨) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه، وانظر «إتحاف السادة المتقين» (٢٢٦/٨).

وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَانْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تُفَوِّتُوهُ بِاشْتِغَالِكُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ.

﴿١٦﴾ ﴿فَانْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ناسخة لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ ما أُمِرْتُمْ بِهِ سَمَاعَ قَبُولٍ، ﴿وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا﴾ فِي الطَّاعَةِ ﴿خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ - خَيْرَ (يَكُنْ)

حاشية الصاوي

قَالَ الْحَسَنُ: (أَدْخَلَ «مِنْ» الَّتِي لِلتَّبْعِيضِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ...﴾ إِنْخ؛ لِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ لَيْسُوا بِأَعْدَاءٍ، بَلِ الْبَعْضُ مِنْهُمْ، وَلَمْ يُدْخِلْهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ...﴾ إِنْخ؛ لِأَنَّهُمَا لَا يَخْلُوانِ مِنَ الْفِتْنَةِ وَاشْتِغَالِ الْقَلْبِ بِهِمَا) ^(١)؛ فَمَنْ رَجَعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى مَالِهِ وَوَلَدِهِ، وَجَاهَدَ نَفْسَهُ.. فَقَدْ فَازَ، وَمَنْ تَبَعَ الشَّغْلَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ، وَافْتَنَّ بِهِمَا.. فَقَدْ هَلَكَ.

قَوْلُهُ: ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وَهُوَ الْجَنَّةُ.

قَوْلُهُ: (نَاسَخَةُ لِقَوْلِهِ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾) أَي: وَمَعْنَاهَا: أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرَ؛ وَلِذَلِكَ لَمَّا نَزَلَتْ الْآيَةُ.. قَالَتِ الصَّحَابَةُ: (وَمَنْ يَعْرِفُ قَدَرَ اللَّهِ فَيَتَّقِيهِ حَقَّ تَقَوَاهُ؟)، وَضَاقَ بَعْضُهُمْ نَفْسَهُ فِي الْعِبَادَةِ حَتَّى تَوَرَّمت قَدَمَاهُ مِنْ طَوْلِ الْقِيَامِ، فَخَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَنَزَلَتْ: ﴿فَانْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ^(٢). وَمَا قَالَه الْمَفْسِّرُ أَحَدُ قَوْلَيْنِ.

وَقِيلَ: إِنَّهَا لَيْسَتْ نَاسَخَةً، بَلِ مُبَيِّنَةٌ لَهَا، فَأَيَّةُ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ مُجْمَلَةٌ، وَأَيَّةُ ﴿فَانْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ مُفْصَّلَةٌ لَهَا، غَيْرَ أَنَّ الْإِسْطَاعَةَ مُخْتَلِفَةٌ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ، فَكُلٌّ يَبْذُلُ وَسْعَهُ وَطَاقَتَهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، فَلَيْسَتْ الْإِسْطَاعَةُ فِي النَّاسِ سَوَاءً. وَبِالْجُمْلَةِ: فَالتَّكْلِيفُ بِهَذِهِ الْآيَةِ لَا بِآيَةِ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾، سَوَاءً قُلْنَا: إِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ أَوْ مُحْكَمَةٌ.

قَوْلُهُ: (خَيْرَ «يَكُنْ») أَي: أَوْ مَفْعُولٌ لِفِعْلِ مُحذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: يُؤْتِكُمْ خَيْرًا، وَهُوَ الْأَوَّلَى؛ لِأَنَّ حَذْفَ (كَانَ) وَاسِمِهَا مَعَ بَقَاءِ الْخَبَرِ إِنَّمَا يَكْثُرُ بَعْدَ (إِنْ) وَ(لَوْ) ^(٣).

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١٤٣/١٨).

(٢) انظر «الفتوحات الإلهية» (٣٦٨/٤) نقلاً عن العلامة الأجهوري رحمه الله تعالى.

(٣) ما ذكره المفسر رحمه الله قول أبي عبيد، وما ذكره المصنف قول سيويه، وقيل: إنه نعت مصدر محذوف، وهو قول =

وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ
.....

مُقَدَّرَةٌ جَوَابُ الْأَمْرِ - ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الْفَائِزُونَ.

﴿١٧﴾ إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا بِأَنْ تَتَصَدَّقُوا عَنْ طَيِّبِ قَلْبٍ ﴿يَضَعِفْهُ لَكُمْ﴾ - وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿يَضَعِّفُهُ﴾ بِالتَّشْدِيدِ - بِالْوَاحِدَةِ عَشْرًا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ وَأَكْثَرٍ، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ مَا يَشَاءُ، ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾: مُجَازٍ عَلَى الطَّاعَةِ، ﴿حَلِيمٌ﴾ فِي الْعِقَابِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ.

﴿١٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ: السِّرُّ ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: الْعَلَانِيَةُ، ﴿الْعَزِيزُ﴾ فِي مُلْكِهِ
.....

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (جواب الأمر) أي: وهو قوله: ﴿وَأَنْفِقُوا﴾.

قوله: ﴿وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ﴾ الشَّحُّ: كراهة فعل الخير والمعروف، يَنْشَأُ عَنْهُ الْبُخْلُ، وهو الإمساك.

قوله: ﴿إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ سَمَاءُ قَرْضًا تَرْغِيبًا فِي الصَّدَقَةِ؛ حَيْثُ جَعَلَهَا قَرْضًا لِلَّهِ مَعَ أَنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يُقْرِضُ نَفْسَهُ؛ لِأَنَّ النِّفْعَ عَائِدٌ عَلَيْهِ، وَفِيهِ تَنْزِيلٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ؛ حَيْثُ أَعْطَاهُمُ الْمَالَ، وَأَمَرَهُمْ بِالْإِنْفَاقِ مِنْهُ، وَسَمَّى إِنْفَاقَهُمْ قَرْضًا لَهُ، فَمِنْ إِحْسَانِهِ عَلَيْكَ خَلْقَ وَنَسَبَ إِلَيْكَ. وَهَذَا الْخُطَابُ يَعْمُ الْأَغْنِيَاءَ وَالْفُقَرَاءَ، فَالْأَغْنِيَاءُ مُخَاطَبُونَ بِالْإِقْرَاضِ فِي بَذْلِ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْفُقَرَاءُ مُخَاطَبُونَ بِالْإِقْرَاضِ فِي بَذْلِ أَنْفُسِهِمْ، فَهُوَ تَعْلِيمٌ لَهُمْ الْإِخْلَاصَ فِي أَعْمَالِهِمْ.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا^(١).

قوله: (مُجَازٍ عَلَى الطَّاعَةِ) أي: بِالكَثِيرِ عَلَى الْقَلِيلِ.

قوله: ﴿حَلِيمٌ﴾ فِي الْعِقَابِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ) أي: فَلَا يَعَجَلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى مَنْ عَصَاهُ.

قوله: (السِّرُّ) أي: مَا فِي الْقُلُوبِ، وَقَوْلُهُ: (وَالْعَلَانِيَةُ) أي: مَا يُظْهَرُهُ الْإِنْسَانُ.

قوله: ﴿الْعَزِيزُ﴾) أي: الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ.

= الْكِسَائِيُّ وَالْفَرَّاءُ؛ أَيْ: إِنْفَاقًا خَيْرًا، وَقِيلَ: حَالٌ وَهُوَ قَوْلُ الْكُوفِيِّينَ، وَقِيلَ: مَفْعُولٌ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنْفِقُوا﴾ أَيْ: أَنْفِقُوا مَا لَا خَيْرَ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُون» (١٠/٣٥٠).

(١) قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ بِغَيْرِ أَلْفٍ بَعْدَ الضَّادِ وَتَشْدِيدِ الْعَيْنِ، وَالباقونَ بِأَلْفٍ بَعْدَ الضَّادِ وَتَخْفِيفِ الْعَيْنِ. انْظُرْ «السَّرَاجُ الْمُنِير» (٤/٢٠٥).

الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي صُنْعِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي صُنْعِهِ) أي: الذي يَضَعُ الشَّيْءَ فِي مَحَلِّهِ.



﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾



مدنية، ثلاث عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ المُرَادُ وَأُمَّتُهُ بِقَرِينَةٍ مَا بَعْدَهُ، أَوْ قُلْ لَهُمْ:

حاشية الصاوي

سُورَةُ الطَّلَاقِ

(مدنية)

قوله: (ثلاث عشرة آية) هذا أحد أقوال في عدد آياتها، وقيل: ثنتا عشرة، وقيل: إحدى عشرة.

قوله: (المُرَاد: وأُمَّتُهُ) أشار بذلك إلى أنَّ في الكلام حذف الواو مع ما عَطَفْتُ، على حدِّ: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، وإنما اقتصر على خطاب النبي؛ لأنه الرئيس الكامل.

وفي بعض النسخ: (المُرَاد: أُمَّتُهُ) أي: إنَّ لفظ (النبي) أُطْلِقَ وأريد به أُمَّتُهُ مجازاً.

قوله: (بِقَرِينَةٍ ما بعده) أي: وهو الجمع في قوله: ﴿طَلَّقْتُمْ﴾، وفي قوله: ﴿فَطَلَّقُوهُنَّ﴾.

قوله: (أو: قُلْ لَهُمْ) هذا احتمال ثانٍ في توجُّه الخطاب، ومُحَصَّلُهُ: أنَّ المخاطَبَ حقيقةً هو النبي وحده، ولكن حُذِفَ منه الأمر؛ كأنَّه قال: (يا أيها النبي قُلْ لأمتك... إلخ).

وفي الحقيقة: يؤخذ من المفسِّر ثلاث احتمالاتٍ على اختلاف النسخ، وبقي احتمال رابع، وهو أنَّ الخطاب للنبي ﷺ أولاً وآخرأ بلفظ الجمع تعظيماً وتفخيماً.

وسبب نزولها: أنَّ رسول الله ﷺ طَلَّقَ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَأَتَتْ أَهْلَهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾، وقيل له: «راجِعْهَا؛ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وهي من أزواجك في الجنة»^(١).

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٣٥٩/١٠) عن سيدنا أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبنحوه عند الحاكم في «المستدرک» (١٥/٤).

إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ

﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أي: أردتم الطلاق ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾: لأولها، بأن يكون الطلاق في طهر لم تُمس فيه؛ لتفسيره ﷺ بذلك، رواه الشيخان،
حاشية الصاوي

وورد: «تزوجوا ولا تطلقوا؛ فإن الطلاق يهتز منه العرش»^(١)، وورد: «لا تطلقوا النساء إلا من ربه؛ فإن الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات»^(٢)، وورد: «ما حلف بالطلاق، ولا استخلف به إلا منافق»^(٣).

قوله: (أردتم الطلاق) دفع بذلك ما يقال: إن قوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ تحصيل للحاصل. والمراد بـ(النساء): المدخول بهن ذوات الأقراء، أما غير المدخول بهن.. فلا عدة عليهن بالكلية، وأما ذوات الأشهر والحوامل.. فسيأتين.

قوله: ﴿لِعَدَّتِهِنَّ﴾ (اللام للتوقيت؛ كهي في قوله: ﴿أَقِرَّ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، والمعنى: طلقوهن في وقت يصلح فيه ابتداء عدتهن، وهو ما أشار له بقوله: (بأن يكون... إلخ). قوله: (في طهر) أي: وأما في الحيض.. فهو حرام واقع؛ بدليل أن الأمر بالشيء يستلزم النهي من ضده.

قوله: (لم تُمس فيه) أي: لم تُوطأ، وهذا القيد لمنع الرية؛ فإنه ربما يحصل من ذلك الوطء حمل، فتنتقل من الحيض لوضع الحمل، وربما حاضت الحامل، فحصل اللبس. وحكم الطلاق في الطهر الذي مسها فيه: الكراهة عند مالك، والحرمة عند الشافعي، ولكن تحتسب به من العدة، ولا يُجبر على الرجعة فيه.

قوله: (رواه الشيخان) فقد روى عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «مره فليراجعها، ثم ليُمسكها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر،

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (١٩٦/٦) عن سيدنا علي ﷺ، والديلمي في «الفردوس» (٢٢٩٣) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه البزار (٣٠٦٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٤/٨) عن سيدنا أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥٣/٥٧) عن سيدنا أنس ﷺ.

وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ
بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ

﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾: احفظوها لتراجعوا قبل فراغها، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾: أطيعوه في أمره ونهيه، ﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾: منها حتى تنقضي عدتهن، ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ﴾: زناً ﴿مُبَيَّنَةٍ﴾ - بفتح الياء وكسرها - أي: بينت أو بينة، فيخرجن لإقامة الحد حاشية الصاوي

فإن بدا له أن يطلقها . . فليطلقها قبل أن يمسهَا، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾^(١).

قوله: (احفظوها) أي: احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق، والخطاب للأزواج، ويدخل الزوجات فيه أيضاً؛ لأن الزوج يحصي العدة ليراجع، ويُنفق، ويتزوج بأخت المطلقة ونحو ذلك، وهي لتحل للأزواج ونحو ذلك.

قوله: (لتراجعوا) أي: وتنفقوا، وتُسكنوا.

قوله: ﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ (المراد: المساكن التي وقع الفراق فيها، وهي بيوت الأزواج، وأضيفت إليهن؛ لاختصاصها بهن من حيث السكن. وجمع بين النهيين؛ إشارة إلى أن الزوج لو أذن لها في الخروج . . لا يجوز لها الخروج؛ لأن العدة حق لله تعالى، فلا يسقط بتراضيهما.

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ﴾ . . . (الخ) الجملة حالية من فاعل (لا يخرجن)، ومفعول ﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ﴾، والمعنى: لا يخرجن ولا تخرجوهن في حالٍ من الحالات إلا في حال كونهن آتيات بفاحشة مبينة.

قوله: (زناً) وقيل: الفاحشة أن تبذو على أهل زوجها، فيحل إخراجها لسوء خلقها.

قوله: (بفتح الياء وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (أي: بينت، أو هي بينة) لفً ونشراً مرتباً.

(١) «صحيح البخاري» (٥٢٥١)، و«صحيح مسلم» (١٤/١٤٧١).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو بكر بفتح الياء التحتية، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٣١٢/٤).

وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ

عَلَيْهِنَّ، ﴿وَتِلْكَ﴾ المذكورات (أي: من قوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ...﴾ إلخ.
 الله يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ ﴿الطَّلَاقِ﴾ ﴿أَمْرًا﴾: مُرَاجَعَةٌ فِيمَا إِذَا كَانَ وَاحِدَةً أَوْ اثْنَتَيْنِ.
 ﴿٢﴾ ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ﴾: قَارِبِنَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهِنَّ، ﴿فَامْسِكُوهُنَّ﴾ بِأَنْ تُرَاجِعُوهُنَّ
 ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ مِنْ غَيْرِ ضَرَارٍ،
 حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَتِلْكَ﴾ (المذكورات) أي: من قوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ...﴾ إلخ.
 قوله: ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ أي: عَرَّضَهَا لِلْعِقَابِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِظَلَمِ نَفْسِهِ: الضَّرُّ الدُّنْيَوِيُّ الَّذِي يَلْحَقُهُ بِسَبَبِ تَعَدِّيهِ، وَلَا يُمَكِّنُهُ تَدَارُكُهُ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ...﴾ إلخ، وَإِرَادَةُ الْعُمُومِ أُولَى.
 قوله: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ...﴾ (إلخ) استثناءٌ مَسْئُوقٌ لِتَعْلِيلِ مَا تَضَمَّنَتْهُ الْجُمْلَةُ الشَّرْطِيَّةُ، وَالْمُرَادُ بِالْأَمْرِ الَّذِي يُحْدِثُهُ اللَّهُ: أَنْ يَقْلِبَ قَلْبَهُ عَمَّا فَعَلَهُ؛ بِأَنْ يَرِغَبَ فِي الرَّجْعَةِ، وَيَتَنَدَّمَ عَلَى الطَّلَاقِ، وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ التَّحْرِيزُ عَلَى طَّلَاقِ الْوَاحِدَةِ أَوْ الثَّانِيَّتَيْنِ، وَعَدَمُ ضَرَرِ الزَّوْجَةِ بِالْفِرَاقِ؛ لِيَكُونَ فِي فَسْحِهِ إِذَا غَيَّرَ اللَّهُ الْأَحْوَالَ.

قوله: (مراجعة) أي: بِأَنْ يَقْلِبَ قَلْبَهُ مِنْ بُغْضِهَا إِلَى حُبِّهَا، وَمِنْ الرَّغْبَةِ عَنْهَا إِلَى الرَّغْبَةِ فِيهَا، وَمِنْ مَحَبَّةِ الطَّلَاقِ إِلَى التَّوَدُّعِ عَلَيْهِ.

وبالجملة: فَالَّذِي يَتَبَغَّى لِلْعَاقِلِ إِذَا أَرَادَ الْفِرَاقَ أَنْ يَكُونَ بِالْمَعْرُوفِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي مَا يَخْلُقُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَ فِرَاقُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَحَوَّلَ اللَّهُ الْحَالَ.. سَهَّلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ الرَّجُوعَ.

قوله: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ﴾ أي: الْمَطْلُوقَاتُ طَلَاقًا رَجْعِيًّا، الْمَدْخُولُ بِهِنَّ.

قوله: (قاربين انقضاء عدتهن) أي: فَالْكَلَامُ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ^(١).

قوله: ﴿فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: بِحُسْنِ عَشْرَةٍ، وَإِنْفَاقٍ، وَتَحُمُّلٍ أَذْيٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قوله: (بأن تراجعوهن) تَصْوِيرٌ لِلْإِمْسَاكِ.

(١) أي: مجاز المشاركة، بقرينة ما بعده؛ لأنه لا يُؤْمَرُ بِالْإِمْسَاكِ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٢٠٥/٨).

أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٦﴾

﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: اتركوهنَّ حتى تنقضي عِدَّتُهُنَّ ولا تضاروهنَّ بالمراجعة، ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على المراجعة أو الفراق، ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ لا للمشهدود عليه أو له، ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من كُرْبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

حاشية الصاوي

قوله: (ولا تضاروهنَّ بالمراجعة) بيانٌ للمعروف في الإمساك، والمعنى: أنه إذا أراد إمساكها.. راجعها لقصد بقاء الزوجية، لا لقصد ضررها، والأوضح أن يقول: فلا تضاروهنَّ عند الفراق؛ بأن تتكلموا في حقهنَّ ونحو ذلك، وأمَّا مضارتهنَّ بالإمساك.. فقد عُلِمَ نفيها من قوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.

قوله: (﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ﴾) أي: صاحبي عدالة.

قوله: (على المراجعة) أي: لتظهر ثمرتها بعد ذلك في الإرث إذا مات أو ماتت، وفيما إذا ادعى الرجعة بعد انقضاء العدة وأنكرت.

قوله: (أو الفراق) أي: الطلاق؛ لتظهر ثمرة الإشهاد بعد ذلك إذا ادعت عليه الطلاق وأنكر، وهذا الإشهاد مندوبٌ عند مالك وأبي حنيفة والشافعي في أحد قوليه، والآخر: أنه واجبٌ عند الرجعة، مندوبٌ عند الفراق.

قوله: (﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾) أي: لوجهه، ولا تراعوا المشهدود له، ولا المشهدود عليه. وإنما حثَّ على أداء الشهادة؛ لما فيه من العسر على الشهود؛ لأنه ربَّما يُؤدِّي إلى أن يترك الشاهد مهمَّاته، ولما فيه من عسر لقاء الحاكم الذي يُؤدِّي عنده، وربَّما بُعد مكانه وكان للشاهد عوائق.

قوله: (﴿ذَٰلِكُمْ﴾) أي: المذكور من أوَّل السورة إلى هنا.

قوله: (﴿يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾) أي: وأمَّا مَنْ لم يكن مُتَّصِفًا بذلك.. فهو لِقْساوة قلبه لا يُوعِظُ؛ لأنه لم يَنْتَفِعْ به.

قوله: (﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾... إلخ) هذه الجملة اعتراضية في أثناء الأحكام المتعلقة بالنساء؛ إشارة إلى أنه لا يصبر على تلك الأحكام، ولا يعمل بها إلا أهلُ التقوى، والأحسن أن يُرَادَ من هذه العموم، لا خصوصُ التقوى في أمر النساء.

وَبَرَزَقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾

﴿٣﴾ وَبَرَزَقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ: يَخْطُرُ بِإِلَالِهِ، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فِي أُمُورِهِ ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾: كَافِيهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾: مُرَادُهُ، - وَفِي قِرَاءَةِ بِالْإِضَافَةِ - ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ كَرَحَاءٍ وَشِدَّةٍ ﴿قَدْرًا﴾: مِيقَاتًا.

حاشية الصاوي

قال أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية في عوف بن مالك الأشجعي، أسَرَ المشركون ابناً له يسمّى سالمًا، فأتى عوف إلى رسول الله ﷺ يشتكي إليه الفاقة، وقال: إِنَّ العدوَّ أسَرَ ابني، وَجَزَعَتِ الأمُّ؛ فما تأمرني؟ فقال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ وَاصْبِرْ، وَأْمُرْكِ وَإِيَّاهَا أَنْ تَسْتَكْثِرَا مِنْ قَوْلٍ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إِنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَنِي وَإِيَّاكَ أَنْ نُكْثِرَ مِنْ قَوْلٍ: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، فقالت: نَعَمْ ما أَمَرْنَا بِهِ، فَجَعَلَا يَقُولَانِ، فَغَفَلَ العدوُّ عَنْ ابْنِهِ، فَسَاقَ غَنَمَهُمْ - وهي أربعة آلاف شاة - واستاقَ مِنْ إِبِلِهِمْ خَمْسِينَ بَعِيرًا - كما في رواية - وجاء بها إلى المدينة، فقال أبوه للنبي ﷺ: أَيَحِلُّ لِي أَنْ أَكُلَ مِمَّا أَتَى بِهِ ابْنِي؟ فقال: «نعم»، ونزلت الآية^(١).

قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي: مَنْ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَيْهِ.. كَفَاهُ مَا أَهَمَّهُ، وَالْأَخْذُ فِي الْأَسْبَابِ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ؛ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِهِ، لَكِنْ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى تِلْكَ الْأَسْبَابِ^(٢).

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ أي: فَلَا بَدَّ مِنْ إِنْفَازِ مُرَادِهِ، حَصَلَ مِنَ الشَّخْصِ تَوَكُّلٌ أَمْ لَا، لَكِنْ مَنْ تَوَكَّلَ.. يَكْفُرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ، وَيَعْظُمُ لَهُ أَجْرًا.

قوله: (وفي قراءة بالإضافة) أي: وهي سبعة أيضاً^(٣).

قوله: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: تَقْدِيرًا لَا يَتَعَدَّاهُ، وَلَوْ اجْتَمَعَتْ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ عَلَى أَنَّهُ يَتَعَدَّاهُ.. لَا يَقْدُرُونَ.

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٤٩٢/٢) مختصراً عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وأوردته بتمامه الخطيب في «السراج المنير» (٣١٤/٤).

(٢) فالأخذ بالأسباب واجب، ونفي التأثير عنها واجب، ومن نفى الأسباب.. فقد عطل الحكمة، ومن أثبت لها تأثيراً.. فقد أشرك بالله تعالى، ولا بدَّ من الأسباب وجوداً، ولا بدَّ من الغيبة عنها شهوداً.

(٣) قرأ حفص: (بالغ) من غير تنوين، (أمره) مضاف إليه على التخفيف، والباقون بالتنوين والنصب. انظر «الدر المصون» (٣٥٣/١٠).

حاشية الصاوي

وهذه الآية تُستعمل لدفع كُرب الدنيا والآخرة؛ لما وردَ في الحديث: «إني لأعلمُ آيةً لو أخذ الناس بها.. لَكَفْتَهُمْ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾»، فما زال يقرؤها ويُعيدُها^(١).

ووردَ أيضاً: «مَنْ انقطع إلى الله.. كفاه الله كلَّ مُؤنة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا.. وكَّله الله إليها»^(٢)، ومعنى (انقطع إلى الله): أنه إذا اتقى وأثر الحلال والصبر على أهله.. فإنه يفتح الله عليه إن كان ذا ضيق، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

ووردَ أيضاً: «مَنْ أَكْثَرَ الاستغفار.. جعل الله له من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»^(٣).

لطيفة:

ذكر الأجهوري في «فضائل رمضان» حكاية مناسبة للمقام، وهي أن قوماً ركبوا البحر، فسمعوا هاتفاً يقول: مَنْ يعطي عشرة آلاف دينار حتى أعلمه كلمة؛ إذا أصابه غمٌّ أو أشرفَ على هلاكٍ فقالها.. انكشف ذلك عنه؟ فقام من أهل المركب رجلٌ معه عشرة آلاف دينار، فصاح: أيُّها الهاتف؛ أنا أعطيك عشرة آلاف دينار، فعلمني، فقال: ارمِ بالمال في البحر، فرمى به، فسمع الهاتف يقول: إذا أصابك همٌّ أو أشرفتَ على هلاكٍ.. فاقراً: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ... إلى آخر الآية، فقال جميع مَنْ في المركب للرجل: لقد ضيَّعتَ مالك، فقال: كلا إنَّ هذه لفظةٌ ما أشكُّ في نفعها.

قال: فلمَّا كان بعد أيام كُسِرَ بهم المركبُ، فلم يَنْجُ منهم غيرُ ذلك الرجل؛ فإنه وقع على لوحٍ، وطرَّحه البحر على جزيرة.

قال: فصعدتُ أمشي فيها؛ فإذا بقصرٍ منيفٍ، فدخلته فإذا فيه كلُّ ما يكون في البحر من الجواهر وغيرها، وإذا بامرأةٍ لم أر قطُّ أحسنَ منها، فقلتُ لها: مَنْ أنتِ؟ وأيَّ شيءٍ تعملين ها هنا؟ قالت: أنا بنتُ فلانٍ التاجر بالبصرة، وكان أبي عظيمَ التجارة، وكان لا يصبر عني ساعةً، فسافر بي معه في البحر، فانكسر مركبنا، فاخْتُطِفْتُ حتَّى حصلت في هذه الجزيرة، فخرج إليَّ شيطانٌ

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٣٩)، وابن ماجه (٤٢٢٠) واللفظ له عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/٣٤٦) عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو داود (١٥١٨)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٢١٧)، وابن ماجه (٣٨١٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنه.

وَأَلْتَنِي

٤ ﴿وَأَلْتَنِي﴾ - بِهَمْزَةٍ وَيَاءٍ وَبِلَا يَاءٍ فِي الْمَوْضِعَيْنِ -

حاشية الصاوي

من البحر، فتلاعب بي سبعة أيام من غير أن يطأني، إلا أنه يلامسني ويؤذيني ويتلاعب بي، ثم ينظر إليّ، ثم ينزل في البحر سبعة أيّام، وهذا يوم موافاته؛ فاتّق الله في نفسك، واخرج قبل موافاته، وإلا... أتى عليك. فما انقضى كلامها حتّى رأيتُ ظلمةً هائلةً، فقالت: قد والله جاء، وسيهلكك، فلمّا قرب منّي وكاد يغشاني.. قرأتُ الآية؛ فإذا هو خرّ كقطعة جبلٍ إلا أنّه رمادٌ محترقٌ، فقالت المرأة: هلك والله وكُفيت أمره، مَنْ أنت يا هذا الذي منّ الله عليّ بك؟ فقمْتُ أنا وهي، فانتخبنا ذلك الجوهَرَ حتّى حملنا كلّ ما فيه من نفيسٍ وفاخرٍ، ولزِمنا السّاحلَ نهارنا، فإذا كان الليل.. رجَعنا إلى القصر.

قال: وكان فيه ما يؤكل، فقلتُ لها: مِنْ أَيْنَ لَكَ هذا؟ قالت: وجدته هاهنا، فلمّا كان بعد أيّام.. رأينا مركباً بعيداً، فلوّحنا إليه، فدخلَ فحملنا، فسيرنا يسيراً إلى البصرة، فوصفتُ لي منزلَ أهلها، فاتيتُهم فقالوا: من هذا؟ فقلتُ: رسولُ فلانة بنتِ فلانٍ، فارتفعتِ النّاعيةُ وقالوا: يا هذا؛ لقد جدّدت علينا مصابنا، فقلتُ: اخرجوا، فخرجوا، فأخذتهم حتّى أتيتُ بهم إلى ابنتهم، فكادوا يموتون فرحاً، وسألوها عن خبرها، فقصّته عليهم، وسألتهم أن يزوّجونني بها ففعلوا، وجعلنا ذلك الجوهَرَ رأس مالٍ بيني وبينها، وأنا اليوم أيسرُ أهلِ البصرة، وهؤلاء أولادي منها، انتهى^(١).

قوله: ﴿وَأَلْتَنِي يَسِّنْ﴾... إلخ سبب نزولها: أنّه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾... قال خلّاد بن النعمان: يا رسول الله؛ فما عدّة التي لم تحض، وعدّة التي انقطع حيضها، وعدّة الحبل؟ فنزلت^(٢).

و(اللائي): اسمٌ موصولٌ مبتدأ، و﴿يَسِّنْ﴾: صلته، وقوله: ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ حالٌ من الضمير في ﴿يَسِّنْ﴾، والشرط وجوابه خبره.

أو قوله: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ﴾ خبره، وجواب الشرط محذوفٌ، تقديره: فاعلموا أنّها ثلاثة أشهر، والشرط وجوابه المقدّر معترضٌ بين المبتدأ وخبره. والأوّل أحسن.

(١) فضائل شهر رمضان (ص ٢٣٧)، وأوردتها بتمامها التنوخي في «الفرج بعد الشدة» (ص ٩٩).

(٢) انظر «السراج المنير» (٣١٦/٤).

يَسِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ

﴿يَسِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ بِمَعْنَى الْحَيْضِ ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ﴾ : شَكَّكْتُمْ فِي عِدَّتِهِنَّ، ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ لِصِغَرِهِنَّ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَسِّنَ﴾ (أي: وأوّل سنّ اليأسِ ستون سنة، وما بينَ الخمسين والستين تُسألُ النساءُ؛ فإن جَزَمْنَ بأنّه حيضٌ أو شككنَ.. فحيضٌ، وإلا.. فليس بحيضٍ، وما قبلَ الخمسينَ حيضٌ قطعاً.
قوله: (شككتن في عدتهنّ) أي: جهلتن قدرها، والقيدُ لبيانِ الواقع؛ فلا مفهومَ له، بل عدتها ما ذُكِرَ، سواء علموا أو جهلوا، لكنّ الواقع في نفس الأمر أنّ السائلين كانوا جاهلين بقدرها.
قوله: ﴿وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ لَصِغَرِهِنَّ) أي: عدم بلوغهنّ أو أنّ الحيضَ؛ كَبِتَ تسع، ومثُلُ الصغيرة: مَنْ لَمْ تَرَ الْحَيْضَ أصلاً، وتسميها النساءُ البَغْلَةَ^(١).

وأما معتادة الحيض وتأخّر حيضها بلا سبب، أو بسبب مرضٍ، أو استُحيضت ولم تميّز.. فإنّها تَمَكَّتْ عند مالكٍ سنةً بيضاء^(٢)، وتحلُّ للأزواج، ثمّ إن احتاجت لعدّة بعد ذلك.. كانت كالأيسة والصغيرة.

وأما مَنْ تأخّر حيضها لرضاعٍ أو استُحيضت وميّزت، أو كان حيضها يأتي بعد سنة أو ستين إلى خمس.. فلا تعتدّ إلا بالحيض؛ فإن زادت عادتُها عن خمس.. فالذي لأبي الحسن على «المدونة»: أنّها تعتدّ بسنةٍ بيضاء من أوّل الأمر، وقيل: بثلاثة أشهرٍ كالأيسة والصغيرة، فليُحفظ هذا المقام.

قوله: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ أشار بذلك إلى أنّ قوله: ﴿وَالَّتِي﴾ مبتدأ، وجملة ﴿لَمْ يَحِضْنَ﴾ صلته، والخبرُ محذوفٌ، قدره المفسّر جملة، والأولى تقديرُهُ مفرداً؛ بأن يقول: مِثْلُهُنَّ، أو: كذلك^(٣).

(١) يَكُونُ بذلك عن عدم ولادتها؛ لأنّ الغالب على مَنْ لا تحيض عدمُ الولادة، فلها شبه بالبغلة من حيث عدم الولادة غالباً. انظر «حاشية المصنف على الشرح الصغير» (٦٧٣/٢).

(٢) أي: لا دم فيها بعد الرضاع.

(٣) ولو قيل بأنّه معطوف على ﴿وَالَّتِي يَسِّنَ﴾ عطف المفردات، وأخبر عن الجميع بقوله: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ﴾.. لكان وجهاً حسناً، وأكثرُ ما فيه توسُّط الخبر بين المبتدأ وما عطف عليه. انظر «الدر المصون» (١٠/٣٥٥).

وَأُولَئِ الْأَخْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا.....

والمسألتان في غير المتوفى عنهن أزواجهن، أمّا هنّ فعِدَّتُهُنَّ ما في آية ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، ﴿وَأُولَئِ الْأَخْمَالِ أَجْلُهُنَّ﴾: انقضاء عِدَّتِهِنَّ مُطْلَقَاتٍ أو مُتَوَفَّى عَنْهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿٥﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ المَذْكُورُ فِي الْعِدَّةِ ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: حُكْمُهُ، ﴿أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: (والمسألتان) أي: مسألة الآية، ومسألة الصغيرة.

قوله: (في غير المتوفى) أي: فما هنا مخصوص بآية (البقرة).

قوله: ﴿وَأُولَئِ الْأَخْمَالِ﴾ مبتدأ، و﴿أَجْلُهُنَّ﴾: مبتدأ ثانٍ، و﴿أَنْ يَضَعْنَ﴾ خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول.

والأحمال: جمع (حَمَلٍ) بفتح الحاء؛ ك: صَحْبٍ وَأَصْحَابٍ: اسم لما كان في البطن، أو على رأس الشجر، وبالكسر: اسم لما كان على ظهر أو رأس.

قوله: (أو متوفى عنهن أزواجهن) أشار بذلك إلى بقاء عموم ﴿وَأُولَئِ الْأَخْمَالِ﴾، فهو مخصّص لآية: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ أي: ما لم يكن حوامل.

وحاصل الفقه في هذا المقام: أنّ النساء قِسْمان: مُطْلَقَاتٌ، ومُتَوَفَّى عَنْهُنَّ، وفي كلِّ إمّا حرائر، أو إماء.

فعِدَّةُ الْحَرَّةِ المدخول بها المطلقة ذات الحيض: ثلاثة قروء، والأمة المطلقة: قُرْآن، واليائسة والصغيرة: ثلاثة أشهر؛ فإن كُنَّ حوامل.. فَوْضِعُ الْحَمْلِ حُرَّةً أو أمةً.

وعِدَّةُ الْمُتَوَفَّى عنها إن كانت حُرَّةً: أربعة أشهرٍ وعشرٍ مطلقاً، مدخولاً بها أو لا، والأمة: شهران وخمسُ ليالٍ، والحوامل: وضع الحمل. وانظر تفاصيل ذلك في الفروع.

قوله: (المذكور في العدة) أي: في تفاصيلها.

قوله: ﴿أَنْزَلَهُ﴾ أي: بيّنه ووضّحه.

وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ
 وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٦﴾

﴿٦﴾ أَي: سَعَتِكُمْ، - عَظْفُ بَيَان، أَوْ بَدَلٌ مِمَّا قَبْلَهُ بِإِعَادَةِ الْجَارِّ وَتَقْدِيرِ مُضَافٍ -
 أَي: أَمَكْنَةَ سَعَتِكُمْ لَا مَا دُونَهَا، ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ الْمَسَاكِينُ فَيَحْتَجْنَ إِلَى الْخُرُوجِ
 حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾... إلخ) كَرَّرَ التَّقْوَى؛ لِعَلَّمَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَنَّ النَّسَاءَ
 نَاقِصَاتُ عَقْلِ وَدِينٍ؛ فَلَا يَصْبِرُ عَلَى أُمُورِهِنَّ إِلَّا أَهْلُ التَّقْوَى.
 قوله: ﴿أَسْكُنُوهُنَّ﴾ وهذا وما بعده بَيَانٌ لِمَا تَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ التَّقْوَى^(١).
 قوله: (أَي: المَطْلَقَاتِ) أَخَذَ هَذَا التَّقْيِيدَ مِنَ السِّيَاقِ، وَإِلَّا... فَكُلُّ مُفَارَقَةٍ يَجِبُ لَهَا السَّكْنُ؛
 سِوَاءَ فِرَاقِهَا بِطَلَاقٍ أَوْ مَوْتٍ، وَإِنَّمَا التَّفْصِيلُ فِي التَّفَقُّهِ.
 قوله: (أَي: بَعْضُ مَسَاكِنِكُمْ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (مِنْ) لِلتَّبَعِيضِ، وَهُوَ أَحَدُ وَجْهَيْنِ^(٢)،
 وَالثَّانِي: أَنَّهَا لَا بَتْدَاءَ الْغَايَةِ، وَالْمَعْنَى: تَسَبَّبُوا إِلَى إِسْكَانِهِنَّ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي تُسْكُنُونَ أَنْفُسَكُمْ فِيهِ.
 قوله: ﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ بِضَمِّ الْوَاوِ بِاتِّفَاقِ الْقُرَّاءِ وَإِنْ كَانَ يَجُوزُ فِيهِ التَّثْلِيثُ لَغَةً؛ يُقَالُ: وَجَدَ
 فِي الْمَالِ وَجْدًا؛ بِضَمِّ الْوَاوِ وَفَتْحِهَا وَكَسْرُهَا، وَجِدَّةٌ أَيْضًا بِالْكَسْرِ؛ أَي: اسْتَغْنَى.
 قوله: (بِإِعَادَةِ الْجَارِّ) ظَاهِرُهُ: أَنَّهُ رَاجِعٌ لِلْبَيَانِ وَالْبَدَلِ، وَلَيْسَ مَنَاسِبًا؛ لِأَنَّ عَظْفَ الْبَيَانِ لَمْ يُعْهَدْ
 فِيهِ تَكَرُّرُ الْعَامِلِ، فَالْأَوَّلَى رَجُوعُهُ لِلْبَدِيلَةِ.
 قوله: (لَا مَا دُونَهَا) أَي: لَا الْمَسَاكِينَ الَّتِي دُونَ أَمَكْنَةِ سَعَتِكُمْ^(٣).
 قوله: ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ أَي: بِأَنْ تَفْعَلُوا مَعَهُنَّ فِعْلًا يُوجِبُ خُرُوجَهُنَّ مِنَ الْمَسَاكِينِ.

(١) كَأَنَّهُ قِيلَ: كَيْفَ نَعْمَلُ بِالتَّقْوَى فِي شَأْنِ الْمُتَعَدَّاتِ؟ فَقِيلَ: أَسْكُنُوهُنَّ... إلخ.
 (٢) قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي «كَشَافِهِ» (٥٥٨/٤): (مَبْعُضُهَا مَحْذُوفٌ، مَعْنَاهُ: أَسْكُنُوهُنَّ مَكَانًا مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ؛ أَي: بَعْضُ
 مَكَانِ سُكْنَانِكُمْ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَنْضَوْنَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ أَي: بَعْضُ أَبْصَارِهِمْ، قَالَ قَتَادَةُ: إِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا بَيْتٌ وَاحِدٌ...
 أَسْكَنَهَا فِي بَعْضِ جَوَانِبِهِ).
 (٣) فِي (ط ٢): (لِنَفَاسَتِهَا وَارْتِفَاعِ سَعْرِهَا، وَإِنَّمَا تَكْلِيفُهُ بِاللَّاتِقِ بِهَا عَلَى قَدْرِ سَعَتِهِ)، وَقَدْ شَطَبَ عَلَيْهَا فِي (أ).

وَلِإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ حَمَلٍ فَلْيَبْقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَرْضَعْنَ حَمَلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْتُدُّنَّ عَنْهُنَّ وَأَتِمُّوهُنَّ بِبَنِيكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَ رِئْضُكُمْ فَارْتَضِعْنَ لَهُنَّ أُخْرَى (٦)

أو التَّفَقُّة فيفتدين منكم، ﴿وَلِإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ حَمَلٍ فَلْيَبْقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَرْضَعْنَ حَمَلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادكم منهنَّ، ﴿فَتَأْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع، ﴿وَأَتِمُّوهُنَّ بِبَنِيكُمْ﴾ وبينهنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: بِجَمِيلٍ فِي حَقِّ الْأَوْلَادِ بِالتَّوَافُقِ عَلَى أَجْرِ مَعْلُومٍ عَلَى الْإِرْضَاعِ، ﴿وَإِنْ تَعَاَسَ رِئْضُكُمْ﴾: تَضَايَقْتُمْ فِي الْإِرْضَاعِ فَامْتَنَعَ الْأَبُ مِنَ الْأَجْرَةِ وَالْأُمُّ مِنْ فِعْلِهِ، ﴿فَسَرِّضْ لَهُنَّ﴾: لِأَبٍ ﴿أُخْرَى﴾ وَلَا تُكْرَهُ الْأُمُّ عَلَى إِرْضَاعِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (يفتدين) أي: المطلقات حيث كنَّ رجعيَّاتٍ، فيلجئهنَّ الأمر إلى كونها تفتدي منه ليبيتها وتخلص منه.

قوله: ﴿وَلِإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ حَمَلٍ﴾ أي: وإن كان المطلقات الرجعيَّات أو البائنات، وأمَّا الحوامل المتوفى عنهنَّ.. فلا نفقة لهنَّ؛ لاستغنائهنَّ بالميراث.

قوله: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ هذا الحكم مفروض في المطلقات كما هو مقتضاه، وأمَّا الزوجة.. فعند مالك: يلزمها الإرضاع بنفسها إن كان بها لبان^(١)، وكان شأنها ذلك، وأمَّا مثل بنات الملوك.. فلا يلزمهنَّ الإرضاع، وعند الشافعي: لا يلزم الزوجة الإرضاع مطلقاً.

قوله: ﴿وَأَتِمُّوهُنَّ﴾ أي: ليأمر بعضكم بعضاً بالمعروف.

قوله: (على أجر معلوم) أي: أجر معلوم على قدر وسعه وحالها.

قوله: ﴿فَسَرِّضْ لَهُنَّ أُخْرَى﴾ فيه مُعَاتَبَةُ الْأُمِّ عَلَى تَرْكِ الْإِرْضَاعِ، والمعنى: فإن امتنع الأب من دفع الأجرة للأم، وتركت الأم الولد من غير إرضاع بنفسها.. فليطلب له الأب مرضعة أخرى، ويجبر على ذلك؛ لئلا يضيع الولد؛ فقوله: ﴿فَسَرِّضْ...﴾ إلخ: خبر بمعنى الأمر، والضمير في ﴿لَهُنَّ﴾: للأب؛ بدليل: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾، والمفعول محذوف؛ للعلم به؛ أي: فسترضع الولد لوالده امرأة أخرى.

(١) قال القاضي عياض: (ذكر أهل اللغة: أنه لا يقال في الخارج من بنات آدم: لبَنٌ، وإنما يقال: لِبَانٌ، واللَّبَنُ يقال للخارج من سائر الحيوانات غيرهنَّ، ولكن جاء في الحديث كثيراً خلاف قولهم؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لبن الفحل مُحَرَّمٌ»). انتهى، قال ابن عبد السلام: (ولا يبعد حمل ما في الحديث على المجاز أو التشبيه). انظر حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٢/٥٠٢).

لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

﴿٧﴾ ﴿لِيُنْفِقَ﴾ على المطلقات والمُرضعات ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ﴾: ضَيِّقَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ﴾: أعطاهُ ﴿اللَّهُ﴾ على قدره، ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾، وقد جعله بالفتوح.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِيُنْفِقَ﴾ على المطلقات) أي: اللاتي لم يرضعن، وقوله: (والمُرضعات) أي: المطلقات، وهذا التقيد أخذه من السياق، وإلا.. فالزوجة كذلك.

واعلم: أن المطلقة طلاقاً رجعيّاً لها النفقة بإجماع المذاهب، وأمّا بائناً.. فلا نفقة لها عند مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة: لها النفقة، وكلّ هذا ما لم تكن حاملاً، وإلا.. فلها النفقة بإجماع، وللمُرضع أجره الرضاع بإجماع أيضاً؛ كما يُقضى بالسكنى للجميع بإجماع.

قوله: ﴿وَمِن سَعَتِهِ﴾ الكلام على حذف مضاف، و(مِن) بمعنى (على) أي: على قدر سعته، والمعنى: أنه يجب على الأزواج النّفقة على المطلقات والمُرضعات والأزواج بقدر طاقته، فيلزم الزوج الموسر مُدّان، والمتوسط مدٌّ ونصف، والمعسر مدٌّ، هذا مذهب الشافعي، ومذهب مالك: يُقرض لها قوت وإدام وكسوة ومسكن بقدر وسعه وحالها.

قوله: (أي: على قدره) أي: فلا يُكلف فوق طاقته.

قوله: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ في هذا بشارة للفقراء؛ أي: فلا تقنطوا، بل عن قريب يحول الله حالكم إلى الغنى، وفي الحديث: «لن يغلب عسرٌ يُسرين»^(١).

قوله: (وقد جعله بالفتوح) أي: فقد صدق الله وعده؛ حيث فتح عليهم جزيرة العرب وفارس والروم حتّى صاروا أغنى الناس. ولا خصوصيّة للصحابة بذلك، بل العبرة بالعموم^(٢).

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٥٢٨/٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٤١) عن الحسن البصري مرسلًا.

(٢) عبارة الخطيب في «السراج المنير» (٣١٩/٤): (وصدق الآية دائم، غير أنه في الصحابة رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين أتم؛ لأن إيمانهم أقوى. قال القشيري: «وانتظار اليسر من الله صفة المتوسّطين في الأحوال الذين انحطوا عن درجة الرضا، وارتقوا عن حد اليأس والقنوط، ويعيشون في إفناء الرجال، ويتعللون بحسن المواعيد»).

وَكَايْنٍ مِّن قَرِيَّةٍ عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَهَا عَذَابًا ثَكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْآلِبِ

(٨ - ٩) ﴿وَكَايْنٍ﴾ - هي كافُ الجَرِّ دَخَلَتْ عَلَى (أَيٍّ)، بِمَعْنَى: (كَمْ) - ﴿مِّن قَرِيَّةٍ﴾ أَي: وَكَثِيرٌ مِّن الْقُرَى ﴿عَنَّتْ﴾: عَصَتْ يَعْنِي أَهْلَهَا ﴿عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ فَحَاسِبْنَهَا فِي الْآخِرَةِ وَإِنْ لَمْ تَجِئْ لِتَحْقُقِ وَقُوعَهَا ﴿حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَهَا عَذَابًا ثَكْرًا﴾ - بِسُكُونِ الْكَافِ وَضَمِّهَا -: فَظِيْعًا وَهُوَ عَذَابُ النَّارِ، ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾: عُقُوبَتَهُ، ﴿وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسْرًا﴾: خَسَارًا وَهَلَاكًا.

﴿١٠﴾ ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ - تَكْرِيرُ الْوَعِيدِ تَوْكِيدٌ - ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْآلِبِ﴾: أَصْحَابُ الْعُقُول
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَكَايْنٍ﴾ (مبتدأ، و﴿مِّن قَرِيَّةٍ﴾: تمييز لها، وقوله: ﴿عَنَّتْ﴾: خبرٌ.

قوله: (بمعنى «كم») أي: فصار المجموع بمعنى (كم).

قوله: ﴿عَنَّتْ﴾ (ضمته معنى (أعرضت) أو (خرجت) فعذاه ب(عن)).

قوله: (يعني: أهلها) أي: فأطلق لفظ القرية، وأريد أهلها مجازاً، من باب: تسمية الحال باسم المحل.

قوله: (لتحقق وقوعه) جوابٌ عما يُقال: إِنَّ الْحِسَابَ وَمَا بَعْدَهُ إِنَّمَا يَحْصُلُ فِي الْآخِرَةِ؛ فما وجه التعبير بالماضي؟ فأجاب: بأنه عبر بالماضي؛ لتحقيق وقوعه^(١).

قوله: ﴿حِسَابًا شَدِيدًا﴾ أي: بالمناقشة والاستقصاء.

قوله: (فظيْعاً) أي: شنيعاً قبيحاً.

قوله: (كرر الوعيد) أي: المذكور في الجمل الأربع، وهي قوله: ﴿فَحَاسِبْنَهَا﴾، ﴿وَعَذَّبْنَهَا﴾، ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾، ﴿وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسْرًا﴾.

(١) وقيل: العذاب في الدنيا فيكون على حقيقته؛ أي: جازينها بالعذاب في الدنيا، وعذبناها عذاباً نكراً في الآخرة، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير؛ أي: فعذبناها عذاباً نكراً في الدنيا بالجوع والقحط، والسيوف، والخسف، والمسح، وسائر المصائب، وحاسبناها حساباً شديداً في الآخرة. «فتوحات» (٣٧٦/٤).

الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّخُرَاجِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ - نعت للمُنَادَى أو بيان له - ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ هو القرآن.

﴿١١﴾ ﴿رَسُولًا﴾ أي: مُحَمَّدًا ﷺ - منصوبٌ بفعل مُقَدَّرٍ - أي: وأرسلَ ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ - بفتح الياء وكسرها كما تقدّم - ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بعد مجيء الذكر والرَّسُولِ ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾: الكُفْرِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الإيمانِ الَّذِي قَامَ حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: (أو بيان له) أي: عطف بيان.

قوله: (منصوب بفعل مقدر) هذا أحسنُ احتمالاتٍ تسعِ ذكرها المفسِّرون^(١)، وقوله: (أي: محمدًا) هو أحدُ أقوال ثلاثة في تفسير الرسول، وهو أحسنُها، وقيل: هو جبريل، وقيل: هو القرآن نفسه.

قوله: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ﴾ (نعت لـ ﴿رَسُولًا﴾).

قوله: ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾ (حال من ﴿ءَايَاتِ﴾).

قوله: (كما تقدّم) أي: في قوله: ﴿بِفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِهَا كَمَا تَقَدَّمَ﴾ - ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من أنَّ المفتوح من المتعدي، والمكسور من اللازم؛ أي: بيّنها الله، أو هي بيّنة في نفسها.

قوله: ﴿لِيُخْرِجَ﴾ (متعلق بـ ﴿يَتْلُوا﴾)، فالضمير راجعٌ لمحمد ﷺ؛ أو متعلق بـ ﴿أَنزَلَ﴾، فالضمير عائذٌ على الله تعالى، وكلُّ صحيح.

(١) أحدها: أنه منصوب بالمصدر المنون قبله؛ لأنه ينحلُّ لحرف مصدري وفعل، كأنه قيل: أن ذكر رسولاً، والمصدر المنون عامل. الثاني: أنه جعل نفس الذكر مبالغةً فأبدل منه. الثالث: أنه بدل منه على حذف مضاف من الأول تقديره: أنزل ذا ذكر رسولاً. الرابع: كذلك، إلا أن (رسولاً) نعت لذلك المحذوف. الخامس: أنه بدلٌ منه على حذف مضاف من الثاني؛ أي: ذكراً ذكر رسول. السادس: أن يكون (رسولاً) نعتاً لـ (ذكراً) على حذف مضاف؛ أي: ذكراً ذا رسول، ف(ذا رسول) نعت لـ (ذكراً). السابع: أن يكون (رسولاً) بمعنى: رسالة، فيكون (رسولاً) بدلاً صريحاً من غير تأويل، أو بياناً عند من يرى جريانه في التكرات كالفارسي، إلا أن هذا يُعْجِده قوله: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ﴾؛ لأنَّ الرسالة لا تتلو إلا بمجاز. الثامن: أن يكون (رسولاً) منصوباً بفعل مقدر؛ أي: أرسل رسولاً؛ لدلالة ما تقدّم عليه. وهذا الذي ذكره المفسّر، وحسنه المصنف. التاسع: أن يكون منصوباً على الإغراء؛ أي: اتبعوا والزَمُوا رسولاً هذه صِفته. انظر «الدر المصون» (١٠/٣٥٩).

وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ

بِهِمْ بَعْدَ الْكُفْرِ، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ﴾ - وفي قراءة بالنون - ﴿جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ هو رِزْقُ الْجَنَّةِ الَّتِي لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا.

﴿١٢﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يَعْنِي سَبْعَ أَرْضِينَ،

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة بالنون) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حالٌ مقدرة؛ أي: مقدّرين الخلود^(٢).

قوله: ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ أي: عظيماً عجيّباً، والجملة حال ثانية، أو حال من الضمير في ﴿خَالِدِينَ﴾ فتكون مُتداخلة.

قوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ (عامّة القراء على نصب ﴿مِثْلَهُنَّ﴾، ووجه أنّه معطوفٌ على ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾، أو مفعولٌ لمحذوف، تقديره: وخلق مِثْلَهُنَّ من الأرض، وقرئ شذوذاً بالرفع على الابتداء، والجار والمجرور خبره مقدّم عليه^(٣).

قوله: (يعني: سبع أرضين) اعلم: أنّ العلماء أجمعوا على أنّ السماوات سبع طباق، بعضها فوق بعض، وأمّا الأرضون.. فالجمهور على أنّها سبع كالسماوات، بعضها فوق بعض، وفي كلّ أرضٍ سكانٌ من خلق الله، وعليه: فدعوة الإسلام مختصةٌ بأهل الأرض العليا؛ لأنّه الثابت والمنقول، ولم يثبت أنّه ﷺ ولا أحدٌ ممّن قبله نزل إلى الأرض الثانية، ولا غيرها من باقي الأرضين، وبلغهم الدعوة.

وهل جعل الله لما تحت الأرض العليا ضوءاً غير الشمس والقمر، أو يستمدون الضوء منهما؟ قولان للعلماء.

وقيل: إنّها طباق ملزوقة بعضها ببعض، وقيل: ليست طباقاً، بل منبسطة تفرّق بينها البحار، وتظلّ الجميع السماء، والأوّل هو الأصح.

(١) قرأ نافع وابن عامر (ندخله) بالنون، والباقون بالياء التحتية. انظر «السراج المنير» (٤/٣٢٠).

(٢) وفيه مراعاة معنى (مَنْ) بعد مراعاة لفظها، وقوله: ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ﴾ فيه رُجوعٌ لمراعاة لفظها؛ ففي هذه العبارة مراعاة اللفظ أولاً، ثم المعنى ثانياً، ثم اللفظ ثالثاً. «فتوحات» (٤/٣٧٦).

(٣) وبالرفع قرأ عاصم في رواية. انظر «الدر المصون» (١٠/٣٦١).

بَنَزَلَ الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

﴿بَنَزَلَ الْأَمْرَ﴾: الْوَحْيُ ﴿بَيْنَهُنَّ﴾: بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَنْزِلُ بِهِ جِبْرِيلُ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ؛ ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ - أَي: أَعْلَمَكُمْ بِذَلِكَ الْخَلْقِ وَالتَّنْزِيلِ ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (يَنْزِلُ بِهِ جِبْرِيلُ) أَي: بِالْوَحْيِ، بِمَعْنَى: التَّصْرِيفِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ أَمْرَ اللَّهِ وَقَضَاءَهُ يَجْرِي وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، فَهُوَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُتَصَرِّفٌ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْهَا. وَأَمَّا إِنْ أُرِيدَ بِالْوَحْيِ وَحْيُ التَّكْلِيفِ بِالْأَحْكَامِ.. فَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ أَي: بَيْنَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ، فَيَكُونُ فَوْقَ الْأَرْضِ وَتَحْتَ السَّمَاوَاتِ. قوله: (مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ عَلَى أَنَّهُ عِلَّةٌ لَهُ) وَالْمَعْنَى: حِكْمَةُ إِعْلَامِهِ لَكُمْ بِهَذَا الْخَلْقِ صَيُورَتُكُمْ عِلْمَاءً بِأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ... إلخ.

قوله: ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ أَي: مِنْ غَيْرِ هَذَا الْعَالَمِ؛ بَحِثْ يُمْكِنُ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا آخَرَ أَبَدَعَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، وَهَذَا كُلُّهُ بِالنَّظَرِ لِلإِمْكَانِ الْعَقْلِيِّ، فَلَا يَخَالِفُ مَا نَقَلَ عَنِ الْغَزَالِيِّ مِنْ قَوْلِهِ: (لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ أَبَدَعَ مِمَّا كَانَ)^(١)؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ: تَعَلَّقَ عِلْمُ اللَّهِ فِي الْأَزْلِ بِأَنَّهُ لَا يَخْلُقُ عَالَمًا غَيْرَ هَذَا الْعَالَمِ، فَمِنْ حَيْثُ تَعَلَّقَ الْعِلْمُ بِعَدَمِهِ صَارَ غَيْرَ مُمْكِنٍ؛ لِأَنَّهُ لَوْ وَقَعَ.. لَانْقِلَبَ الْعِلْمُ جَهْلًا، فَهِيَ اسْتِحَالَةٌ عَرْضِيَّةٌ، وَهَنَّاكَ أَجُوبَةٌ أُخْرَى ذَكَرْنَاهَا فِي كِتَابَةِ «الْجَوْهَرَةِ»^(٢).



(١) «إحياء علوم الدين» (٤/٢٥٨)، وانظر «الإملاء على مُشْكِلِ الإحياء» (ص ٣٤٣).

(٢) «شرح جوهرة التوحيد» لِلْمُصَنِّفِ (ص ١٩٩).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾



مَدْنِيَّة، ثِنْتَا عَشْرَةَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ مِنْ أَمَتِكَ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةَ لَمَّا وَاقَعَهَا فِي بَيْتِ حَفْصَةَ وَكَانَتْ غَائِبَةً، فَجَاءَتْ وَشَقَّ عَلَيْهَا كَوْنُ ذَلِكَ فِي بَيْتِهَا وَعَلَى فِرَاشِهَا،

حاشية الصاوي

سُورَةُ التَّجْوِيذِ

وُسَمِيَ سُورَةُ النَّبِيِّ ﷺ.

قوله: (مَدْنِيَّة) أي: كما هو قول الجميع.

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾... إلخ) هذا الخطاب مشعرٌ بأنه ﷺ على غاية من التفخيم والتعظيم؛ حيث عاتبه على إتيان نفسه والتضييق عليها من أجل مرضاة أزواجه، كأن الله تعالى يقول له: لا تُتْعِبْ نَفْسَكَ فِي مَرْضَاةِ أَزْوَاجِكَ، بَلْ أَرِخْ نَفْسَكَ وَلَا تُتْعِبْهَا وَأَزْوَاجَكَ يَسْعَيْنَ فِي مَرْضَاتِكَ، فَإِنْ سَعَيْنَ فِي مَرْضَاتِكَ.. سَعِدْنَ، وَإِلَّا.. فلا.

قوله: (مِنْ أَمَتِكَ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةَ... إلخ) هذا قول أكثر المفسرين، ومُحَصَّلُهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ حَفْصَةَ.. اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ فِي زِيَارَةِ أَبِيهَا، فَأُذِنَ لَهَا، فَلَمَّا خَرَجَتْ.. أَرْسَلَ إِلَى جَارِيَتِهِ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةَ الَّتِي أَهْدَاهَا لَهُ الْمُقَوْسُ مَلِكُ مِصْرَ، فَأَدْخَلَهَا بَيْتَ حَفْصَةَ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا رَجَعَتْ حَفْصَةُ.. وَجَدَتِ الْبَابَ مَغْلَقًا، فَجَلَسَتْ عِنْدَ الْبَابِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ وَوَجْهُهُ يَقْطُرُ عَرَقًا، وَحَفْصَةُ تُبْكِي، فَقَالَ لَهَا: «مَا يُبْكِيكِ؟» فَقَالَتْ: إِنَّمَا أَذْنْتُ لِي مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ؛ أَدْخَلْتُ أَمَتَكَ بَيْتِي ثُمَّ وَقَعْتَ عَلَيْهَا فِي يَوْمِي عَلَى فِرَاشِي، أَمَا رَأَيْتَ لِي حَرَمَةً وَحَقًّا؟ فَقَالَ: «أَلَيْسَتْ هِيَ جَارِيَتِي قَدْ أَحَلَّهَا اللَّهُ لِي؟ وَهِيَ حَرَامٌ عَلَيَّ أَلَتَمَسَ بِذَلِكَ رِضَاكَ، وَلَا تُخْبِرِي بِهِذَا امْرَأَةً مِنْهُنَّ».

تَبْنَعِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ

حيثُ قُلْتُ: هي حَرَامٌ عَلَيَّ، ﴿تَبْنَعِي﴾ بِتَحْرِيمِهَا ﴿مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾

حاشية الصاوي

فلَمَّا خرج .. قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت: ألا أبشرك؟ إن رسول الله ﷺ قد حرّم عليه أمته مارية، وإن الله قد أراحنا منها، وأخبرتها بما رأت، وكانتا مُتصافيتين مُتظاهرتين على أزواج النبي ﷺ^(١).

وقيل: إن الذي حرّمه على نفسه هو شرب العسل، وهو ما في «الصحيحين»؛ لِمَا روي عن عائشة أَنَّ النبي ﷺ كان يحبُّ الحلواء والعسل، وكان إذا صَلَّى العصر .. دار على نسائه، فيدنو من كلِّ واحدةٍ منهنَّ، فدَخَلَ على حفصة بنت عمر، فاحتبس عندها أكثر ممَّا كان يحتبسُ، فسألتُ عن ذلك، فقبل لي: أهدتُ إليها امرأةً من قومها عُكَّةَ عسلٍ، فسَقَتُ رسول الله ﷺ منه شربةً، فقلت: والله؛ لنُحْتَالََنَّ له، فذكرتُ لسودةَ وقلتُ لها: إذا دخلَ عليكِ ودنا منك .. فقولِي له: يا رسولَ الله؛ أَكَلْتُ مغاير - بغينٍ معجمةٍ، وفاءٍ بعدها ياء، وراء: جمع مُغْفُورٍ بالضمِّ ك: عصفور؛ أي: صمغاً حلواً له رائحةٌ كريهةٌ، يَنْضَحُه شَجَرٌ يقال له: العُرْفُطُ؛ بضمِّ العين المهملة والفاء، يكون بالحجاز، له رائحةٌ كرائحةِ الخمر - فإنه سيقول لك: لا، فقولِي له: وما هذه الريح؟ وكان ﷺ يكره أن يوجد منه الريح الكريه، فإنه سيقول لك: سَقَتْنِي حفصةُ شربةً عسلٍ، فقولِي له: أَكَلْتُ نَحْلُهُ العُرْفُطَ حَتَّى صار فيه؛ أي: في العسل ذلك الريح الكريه، وإذا دخل عليَّ .. فسأقول له ذلك، وقُولِي أنت يا صفية، فلَمَّا دخل على سودة .. قالت له مثل ما علّمتها عائشة، وأجابها بما تقدّم، فلَمَّا دخل على صفية .. قالت له مثل ذلك، فلَمَّا دخل على عائشة .. قالت له مثل ذلك، فلَمَّا كان اليوم الآخر ودخل على حفصة .. قالت له: يا رسول الله؛ ألا أسقيك منه؟ قال: «لا حاجةَ لي به»، قالت: إن سودة تقول: سبحان الله؛ لقد حرمناه منه، فقال لها: «اسْكُتِي». انتهى^(٢).

قوله: (حيثُ قُلْتُ) ظرفٌ لقوله: ﴿لَا تُحَرِّمُ﴾، أو تعليلٌ له.

قوله: ﴿تَبْنَعِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ حال من فاعل ﴿تُحَرِّمُ﴾، والمعنى: لا ينبغي لك أن تشتغل بما يرضي الخلق، بل اللائق أنَّ أزواجك وسائر الخلق تسعى في مرضاتك.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٢٣/٨)، وانظر «السراج المنير» (٣٢٤/٤).

(٢) «صحيح البخاري» (٥٢٦٨)، و«صحيح مسلم» (١٤٧٤)، وفيهما: (فقلتُ لها: اسْكُتِي) بدل (فقال لها: اسْكُتِي).

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾

أي: رضاهنَّ، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ غَفَرَ لَكِ هَذَا التَّحْرِيمَ.

﴿٢﴾ ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ﴾: شَرَعَ ﴿لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾: تَحْلِيلُهَا بِالْكَفَّارَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي سُورَةِ (الْمَائِدَةِ)، وَمِنَ الْإِيمَانِ تَحْرِيمُ الْأُمَةِ، وَهَلْ كَفَرَ ﷺ؟ قَالَ مُقَاتِلٌ: أَعْتَقَ رَقَبَةً فِي تَحْرِيمِ مَارِيَّةَ، وَقَالَ الْحَسَنُ: لَمْ يُكْفَرْ لِأَنَّهُ ﷺ مَغْفُورٌ لَهُ، ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾: نَاصِرُكُمْ ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: رضاهنَّ) مصدرٌ مضافٌ لفاعله، أو مفعوله.

قوله: (شرع) أي: فالمراد بالفرض: الشرع، والمعنى: بيَّن وأظهر، وجعل لكم تحلة أيمانكم، والضمير عائذٌ عليه وعلى أمته.

قوله: ﴿تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ مصدر حَلَّلَ ك: كَرَّمَ تَكْرِمَةً، فَاصِلُهُ: تَحْلِلَةٌ، فَأُدْغِمَ.

قوله: (تحليلها بالكفارة... إلخ) أشار إلى أَنَّ التحلة تحليلُ اليمين، فكأنَّه عقدٌ وتحلُّته الكفارة.

قوله: (ومن الأيمان تحريمُ الأمة) أي: بقوله: (أنت حرامٌ عليَّ)، فتجب به كفارة يمينٍ عند الشافعي، وعند مالك: التحريم في غير الزوجة لا يلزمُ به شيءٌ ما لم يقصد به في الأمة عتقها، وإلا... فيلزمه عتقها.

وأما التحريم في الزوجة... فعند الشافعي: إن نوى به الطلاق... وقع، وإلا... فيلزمه كفارة يمين، وعند مالك: يلزمه به الطلاقُ الثلاثُ إن كان مدخولاً بها، وواحدةً في غير المدخول بها وإن لم ينو به حلَّ العصمة.

قوله: (قال مقاتل... إلخ) أي: وبه أخذ الشافعي.

قوله: (وقال الحسن: لم يكفر... إلخ) أي: وبه أخذ مالك، والأصل: عدمُ الخصوصية إلا للدليل.

قوله: ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: مُتَوَلَّى أُمُورِكُمْ.

وَلِإِذْ أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَبْنَاكَ هَذَا قَالَ نَبَاتِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ ﴿٣﴾

﴿٣﴾ اذكر ﴿إِذْ أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ هي حَفْصَةُ ﴿حَدِيثًا﴾ هو تَحْرِيمُ مَارِيَّةَ وقال لها: لا تُفْشِيهِ، ﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ﴾ عَائِشَةُ ظَنًّا مِنْهَا أَنْ لَا حَرَجَ فِي ذَلِكَ، ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ﴾: أَطْلَعَهُ ﴿عَلَيْهِ﴾: عَلَى الْمُنبَأِ بِهِ، ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾ لِحَفْصَةَ ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ تَكْرُمًا مِنْهُ، ﴿فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ﴾ قَالَتْ مَنْ أَبْنَاكَ هَذَا قَالَ نَبَاتِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ ﴿٣﴾ أي: الله.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿حَدِيثًا﴾ (أي: ليس من الأحكام البلاغية).

قوله: (هو تحريم مارية) أي: وأسرَّ إليها أيضاً أنَّ أباهَا عمر وأبا عائشة أبا بكرٍ يكونان خليفَتين على الأُمَّة بعده^(١).

قوله: ﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ﴾ (عائشة) قَدَرَهُ؛ إشارةً إِلَى أَنَّهُ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ: الأولُ بِنَفْسِهِ، والثاني بحرف الجرِّ، وقد يُحذفُ الجارُّ تخفيفاً، وقد يحذفُ المفعول الأولُ؛ للدلالة عليه.

قوله: (ظَنًّا مِنْهَا) أي: فهو باجتهادٍ مِنْهَا، فهي غيرُ آئِمَّةٍ بِهِ.

قوله: (أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ) أي: على لسان جبريل، فأخبره بأنَّ الخبر قد أُفْشِيَ.

قوله: (على المنبأ به) أي: وهو تحريم مارية، والمناسب أن يقول: على أَنَّهَا قد أنبأت به.

قوله: ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾ (أي: وهو تحريم مارية، أو العسل).

قوله: ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ (أي: وهو أنَّ أباهَا وأبا بكرٍ يكونان خليفَتين بعده، وإنَّما أَعْرَضَ عن ذلك البعض؛ خوفاً من أن ينتشر في الناس، فربما أثاره بعض المنافقين حسداً).

قوله: (تَكْرُمًا مِنْهُ) أي: وحياءً وحُسنَ عشرة.

قوله: ﴿قَالَتْ مَنْ أَبْنَاكَ هَذَا﴾ (أي: وقد ظَنَّتْ أَنَّ عائشةَ هي التي أَخْبَرَتْهُ).

(١) روى الدارقطني في «سننه» (٤٣٠٢) عن سيدنا ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿وَلِإِذْ أَسَرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ قال: (أَطْلَعْتُ حَفْصَةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مع أمِّ إبراهيم عليه السلام، فقال: «لا تخبري عائشة»، وقال لها: «إِنَّ أَبَاكِ وَأَبَاهَا سَيَمْلِكَانِ - أَوْ: سَيَلِيَانِ - بَعْدِي فَلَا تُخْبِرِي عَائِشَةَ»، فَانْطَلَقَتْ حَفْصَةُ فَأَخْبَرَتْ عَائِشَةَ، فَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَعَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ، قال: أَعْرَضَ عَنْ قَوْلِهِ: «إِنَّ أَبَاكِ وَأَبَاهَا يَكُونَانِ بَعْدِي»، كَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُنْشَرَ ذَلِكَ فِي النَّاسِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ).

إِنْ نُّؤَبَّا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ

❖ ٤ ❖ ﴿إِنْ نُّؤَبَّا﴾ أي: حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ ﴿إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: مَالَتْ إِلَى تَحْرِيمِ مَارِيَّةَ، أي: سَرَّكُمَا ذَلِكَ مَعَ كَرَاهَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ، وَذَلِكَ ذَنْبٌ - وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ أَي: تُقْبَلًا - وَأُطْلِقَ قُلُوبَ عَلَى قَلْبَيْنِ وَلَمْ يُعْبَّرْ بِهِ لِاسْتِثْقَالِ الْجَمْعِ بَيْنَ تَثْنِيَّتَيْنِ فِيمَا هُوَ كَالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ، ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا﴾ - بِإِدْغَامِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الْأَصْلِ فِي الظَّاءِ، وَفِي قِرَاءَةِ بِدُونِهَا -: تَتَعَاوَنَا ﴿عَلَيْهِ﴾ أَي: النَّبِيُّ فِيمَا يَكْرَهُهُ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ - فَصْلٌ - ﴿مَوْلَاهُ﴾: نَاصِرُهُ، ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - مَعْطُوفٌ عَلَى مَحَلِّ اسْمِ (إِنْ)، حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (أي: سَرَّكُمَا ذَلِكَ مَعَ كَرَاهَةِ النَّبِيِّ لَهُ) أي: وَمَحَبَّةُ الْأَمْرِ الَّذِي يَكْرَهُهُ النَّبِيُّ ﷺ زَيْغٌ وَمِيلٌ عَنِ الْحَقِّ.

قوله: (وجواب الشرط محذوف) أي: وقوله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ تعليلٌ للشرط، والمعنى: إِنْ تَتَوَبَّا إِلَى اللَّهِ مِنْ أَجْلِ مِيلِ قُلُوبِكُمَا... تُقْبَلًا.

قوله: (ولم يُعْبَّرْ بِهِ) أي: فيقول: (قلباكما).

قوله: (فيما هو كالكلمة الواحدة) أي: لِأَنَّ بَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ عِلَاقَةٌ وَارْتِبَاطٌ.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سَبْعِيَّةٌ أَيْضاً^(١).

قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ تعليلٌ لجواب الشرط المحذوف، تقديره: فَلَا يَْعْدَمُ نَاصِرًا؛ فَإِنَّ اللَّهَ... إلخ.

قوله: (فصل) أي: ضمير فصل لا محلَّ له مِنَ الْإِعْرَابِ.

قوله: ﴿وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ اسمٌ جَنَسٍ، لَا جَمْعَ؛ وَلِذَلِكَ يَكْتُبُ مِنْ غَيْرِ وَاوٍ بَعْدَ الْحَاءِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعًا بِالْوَاوِ وَالتَّوْنِ، حَذَفَتِ النُّونُ لِلْإِضَافَةِ، وَكُتِبَ بِدُونِ وَاوٍ اعْتِبَارًا بِلَفْظِهِ؛ لِأَنَّ الْوَاوَ سَاقِطَةٌ؛ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ نَحْوُ: ﴿سَتَدْعُ الزَّانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨].

قوله: (معطوف على محل اسم «إِنْ») أي: قَبْلَ دُخُولِ النَّاسِخِ، وَهَذَا عَلَى بَعْضِ مَذَاهِبِ النُّحَوِيِّينَ.

(١) قَرَأَ الْكُوفِيُّونَ بِتَخْفِيفِ الظَّاءِ، وَالباقون بتشديدها. انظر «السراج المنير» (٤/٣٢٩).

وَالْمَلَكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَنِ رُتْهُ.....

فَيَكُونُونَ نَاصِرِيهِ - ﴿وَالْمَلَكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بَعْدَ نَصْرِ اللَّهِ وَالْمَذْكُورِينَ ﴿ظَهِيرٌ﴾: ظُهُرُهُ أَعْوَانٌ لَهُ فِي نَصْرِهِ عَلَيْكُمَا.

..... ﴿٥﴾ عَنِ رُتْهُ.....

حاشية الصاوي

ويجوز أن يكون (جبريل) مبتدأ، وما بعده عطف عليه، و﴿ظَهِيرٌ﴾ خبر الجميع.

قوله: ﴿وَالْمَلَكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾: أخبر بالمفرد عن الجمع؛ لأنَّ (فعيلاً) يستوي فيه الواحد وغيره.

إن قلت: إنَّ نصرة الله هي الكفاية العظمى، وما الحكمة في ضمِّ ما بعدها إليها؟

قلت: تطيباً لقلوب المؤمنين، وتوقيراً لجانب الرسول.

قوله: ﴿عَنِ رُتْهُ﴾ (إِنْ طَلَّقَكَ) سبب نزولها: أَنَّهُ ﷺ لَمَّا أَشَاعَتْ حَفْصَةُ مَا أَسْرَهَا بِهِ..

اغْتَمَّ ﷺ، وَحَلَفَ أَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مُوَاخِذَةً عَلَيْهِنَّ، وَمَكَثَ الشَّهْرُ فِي بَيْتِ مَارِيَةَ، فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعَشْرُونَ لَيْلَةً.. بَدَأَ بَعَائِشَةُ فَدْخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّكَ أَقْسَمْتَ عَلَى شَهْرٍ، وَإِنَّكَ دَخَلْتَ فِي تِسْعٍ وَعَشْرِينَ لَيْلَةً، فَقَالَ لَهَا: «هَذَا الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعَشْرُونَ لَيْلَةً»^(١).

ولما بلغ عمرُ النَّبِيِّ ﷺ اعتزل نساءه، وشاع عند الناس أَنَّهُ طَلَّقَهُنَّ، فوجده في مشربة قال

عمر: فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ وَهِيَ تَبْكِي، فَقُلْتُ: أَطَلَّقَكَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَتْ: لَا أَدْرِي، هَا هُوَ ذَا مُعْتَزِلٌ فِي هَذِهِ الْمَشْرَبَةِ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ مَتَكِّي عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ: «لَا»، فَقُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، لَوْ رَأَيْتُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكُنَّا مَعَشَرَ قَرِيشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ.. وَجَدْنَا قَوْمًا تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ، فَمَا زَالِ يُبْلِطُهُ بِالْكَلَامِ حَتَّى تَبَسَّمَ، وَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ لَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ أَمْرِ النِّسَاءِ، فَإِنْ كُنْتَ طَلَّقْتَهُنَّ.. فَإِنَّ اللَّهَ مَعَكَ وَمَلَائِكَتُهُ وَجِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، وَأَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ. قَالَ عُمَرُ: وَقَلَّمَا تَكَلَّمْتُ بِكَلَامٍ إِلَّا رَجَوْتُ اللَّهَ يُصَدِّقُ قَوْلِي الَّذِي أَقُولُهُ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَآيَةُ ﴿وَإِنْ تَطَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التَّحْرِيمُ: ٤].

فاستأذن عمرُ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَخْبِرَ النَّاسَ أَنَّهُ لَمْ يُطَلِّقْ نِسَاءَهُ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَامَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ

وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: لَمْ يُطَلِّقْ رَسُولُ اللَّهِ نِسَاءَهُ.

(١) رواه البخاري (٥١٩١)، ومُسلم (١٠٨٣).

إِنْ طَلَّقْتُمْ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُمْ مُسَلِّمَتٍ

إِنْ طَلَّقْتُمْ أَي: طَلَّقَ النَّبِيُّ أَزْوَاجَهُ ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُ﴾ - بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ - ﴿أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُمْ﴾ - خَيْرٌ ﴿عَسَى﴾، وَالْجُمْلَةُ جَوَابُ الشَّرْطِ، وَلَمْ يَقَعْ التَّبْدِيلُ لِعَدَمِ وَقُوعِ الشَّرْطِ - ﴿مُسَلِّمَتٍ﴾:

حاشية الصاوي

قالت عائشة: ثم بعد هذه القضية نزلت آية التخيير، فبدأ بي، فاخترته، ثم خيرهن، فاخترته، وآية التخيير هي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ إلى قوله: ﴿عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩] ^(١).

قوله: ﴿إِنْ طَلَّقْتُمْ﴾ أَي: جميعاً، فلا يُنافي أنه وقع منه طلاق لحفصة طليقة واحدة، وأمر بمراجعتها ^(٢)، فطلاقه لها كالعدم، فالتعليق إنما هو على تطليق الجميع مع عدم المراجعة والتبديل للكل؛ لكونه مرتباً على تطليق الكل.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أَي: فهما قراءتان سبعيتان ^(٣).

قوله: ﴿خَيْرًا مِنْكُمْ﴾ أَي: بأن يطردهن ويأتي له بنساء آخر خيراً منكن؛ إذ قدرة الله صالحة لرفع أقوام، ووضع آخرين، فلا يقال: كيف تكون المبدلات خيراً منهن مع أنه لم يكن على وجه الأرض نساءً خيراً منهن؟ لأننا نقول: قدرة الله صالحة لذلك إن حصل المعلق عليه، وهو لم يحصل.

قوله: (خبر ﴿عَسَى﴾) أَي: جملة ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُ﴾ ^(٤).

قوله: (والجملة جواب الشرط) أَي: جملة ﴿عَسَى﴾ واسمها وخبرها.

إن قلت: إن هذه الجملة فعلها جامد، والجملة إذا كانت كذلك ووقعت جواب شرط وجب اقترانها بالفاء.. فالمناسب أن تجعل دليل جواب محذوف.

قوله: (ولم يقع التبديل) جواب عما يقال: إن الترجي في كلام الله للتحقيق، مع أنه لم يحصل

(١) رواه البخاري (٥١٩١)، ومسلم (٣٤/١٤٧٩) بنحوه، وانظر «تفسير الخازن» (٣١٣/٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٣٥٩/١٠) عن سيدنا أنس رضي الله عنه، وبنحوه عند الحاكم في «المستدرک» (١٥/٤).

(٣) قرأ نافع وأبو عمرو بفتح الباء وتشديد الدال، والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال. انظر «السراج المنير» (٣٢٩/٤).

(٤) قوله: (جملة «أن يبدله» فيه تساهل؛ لأن (أن) وما بعدها في تأويل مصدر مفرد هو خبر (عسى). انظر «إعراب

مُؤْمِنَتٍ قَتَلَتْ تَبَيَّنَتْ عِيْدَاتٍ سَيِّحَتْ تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنْفُسَكُمْ

مُفَرَّاتٍ بِالإِسْلَامِ، ﴿مُؤْمِنَتٍ﴾: مُخْلِصَاتٍ، ﴿قَتَلَتْ﴾: مُطِيعَاتٍ، ﴿تَبَيَّنَتْ عِيْدَاتٍ سَيِّحَتْ﴾: صَائِمَاتٍ أَوْ مُهَاجِرَاتٍ، ﴿تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَارًا﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنْفُسَكُمْ﴾ ﴿٦﴾

حاشية الصاوي

هنا؟ فأجاب: بأنه معلق على شرط، وهو التطبيق للكل، ولم يُطلقهنَّ. وأجيب أيضاً: بأن (عسى) هنا للتخويف^(١).

قوله: ﴿تَبَيَّنَتْ﴾ أي: راجعاتٍ عن الزَّلَّاتِ والهفوات.

قوله: ﴿عِيْدَاتٍ﴾ أي: خاضعاتٍ متذللاتٍ.

قوله: (صائمات) هذا قول ابن عباس، وسمي الصائم سائحاً؛ لأنَّ السَّائِحَ لا زاد معه، فلا يزال ممسكاً إلى أن يجد ما يَطْعُمُهُ، فكذلك الصائم يُمسك إلى أن يجيء وقت إفطاره.

قوله: (أو مهاجرات) هذا قول الحسن^(٢).

قوله: ﴿تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَارًا﴾ أي: بعضهنَّ كذا، وبعضهنَّ كذا، ودخلت الواو بين الوصفين؛ لتغايرهما دون سائر الصفات.

والثَّيْبُ: مِنْ: ثَاب يَثُوبُ؛ أي: رجع؛ سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنها راجعة إلى زوجها إن أقام معها، أو إلى غيره إن فارقها، أو لأنها رجعت إلى بيت أبويها.

والأَبْكَارُ: جمع بَكْرٍ، وهي العذراء، سُمِّيَتْ بكراً؛ لأنها على أوَّل حالتها التي خُلِقَتْ بها. فَمَدَحُ الثَّيِّبَاتِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا أَكْثَرُ تَجَرِبَةً وَعَقْلاً، وَأَسْرَعُ حَبْلاً، وَالبَكْرُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ، وَأَكْثَرُ مُدَاعَبَةً.

قوله: ﴿قُوًا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: اجعلوا لها وقايةً بفعل الطاعات، واجتناب المعاصي.

﴿قُوًا﴾: أمرٌ من الوقاية، فوزنه: (عُوا)؛ لأنَّ فاءه حذفت؛ لوقوعها في المضارع بين ياء وكسرة، والأمر محمول عليه، وحذفت اللام حملاً له على المجزوم، فأصله: (اوقُوا)، فحذفت

(١) وقيل: كل (عسى) في القرآن واجب إلا هذه الآية. انظر «الدر المصون» (٢/٣٨٨).

(٢) روى القولين ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٣/٤٩٠).

وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ

وَأَهْلِكُمْ ﴿١﴾ بِالْحَمْلِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ الْكُفَّارُ ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ كَأَصْنَامِهِمْ مِنْهَا، يَعْنِي أَنَّهَا مُفْرِطَةُ الْحَرَارَةِ تَتَّقِدُ بِمَا ذُكِرَ، لَا كِنَارِ الدُّنْيَا تَتَّقِدُ بِالْحَطَبِ وَنَحْوِهِ، ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ﴾ خَزَنَتُهَا عِدَّتُهُمْ تِسْعَةُ عَشَرَ كَمَا سَيَأْتِي فِي (الْمُدَّثِّرِ)، ﴿غِلَاطٌ﴾ مِنْ غِلَظِ الْقَلْبِ، ﴿شِدَادٌ﴾ فِي الْبَطْشِ، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ - بَدَلٌ مِنَ الْجَلَالَةِ - أَي: لَا يَعْصُونَ أَمْرَ اللَّهِ،

حاشية الصاوي

الواو التي هي فاء الكلمة حملاً على المضارع، وحذفت همزة الوصل استغناءً عنها لزوال الساكن الذي جيء بها لأجله، واستثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان، حذفت الياء، وُضِمَّ ما قبل الواو لتصحَّ.

قوله: ﴿وَأَهْلِكُمْ﴾ (أَي: مَرُّوهُمْ بِالْخَيْرِ، وَاْنَهُوهُمْ عَنِ الشَّرِّ، وَعَلَّمُوهُمْ، وَأَدَّبُوهُمْ، وَالْمُرَادُ بِالْأَهْلِ: النِّسَاءُ وَالْأَوْلَادُ وَمَا أَلْحَقَ بِهِمَا.

قله: ﴿وَقُودُهَا﴾ (أَي: مَا تُوقَدُ بِهِ.

قوله: (كَأَصْنَامِهِمْ) مِثَالٌ لِلْحِجَارَةِ الَّتِي تُوقَدُ النَّارُ بِهَا.

قوله: (مِنْهَا) حَالٌ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَالضَّمِيرُ لِلْحِجَارَةِ.

قوله: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ﴾ (أَي: يَتَوَلَّى أَمْرَهَا وَتَعْذِيبَ أَهْلِهَا.

قوله: (مِنْ: غِلَظِ الْقَلْبِ) أَي: قَسَوْتِهِ؛ فَلَا يَرْحَمُونَ أَحَدًا؛ لِأَنَّهُمْ خُلِقُوا مِنَ الْغَضَبِ، وَحُبِّ إِلَيْهِمْ عَذَابُ الْخَلْقِ؛ كَمَا حُبِّ لِبْنِي آدَمَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ، وَقِيلَ: غِلَظُ الْأَبْدَانِ؛ لَمَا رَوِيَ: «مَا بَيْنَ مَنْكَبِي أَحَدَهُمْ كَمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(١).

قوله: ﴿شِدَادٌ﴾ فِي الْبَطْشِ (أَي: فَقَدْ رَوِيَ: «أَنَّ مِنْ جُمْلَةِ قُوَّةِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ أَنْ يَضْرِبَ بِالْمَقْمَعِ، فَتَدْفَعُ الضَّرْبَةَ سَبْعِينَ أَلْفَ إِنْسَانَ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ»^(٢).

قوله: (بَدَلٌ مِنْ لَفْظِ الْجَلَالَةِ) أَي: بَدَلُ اشْتِمَالٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: (لَا يَعْصُونَ أَمْرَهُ)، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ (مَا) مُصَدَّرَةٌ.

(١) قَالَ الْعِرَاقِيُّ فِي «تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْإِحْيَاءِ» (١/١٤٢٥): (وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ بْنِ أَسْلَمَ مَعْضَلًا فِي خَزَنَةِ جَهَنَّمَ: «مَا بَيْنَ مَنْكَبِي أَحَدَهُمْ كَمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»)، وَانْظُرْ «تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ» (١٨/١٩٦).

(٢) كَذَا أَوْرَدَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٨/١٩٦) عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَعْذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُبَوِّأُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ - تأكيد - والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد، وللمنافقين المؤمنين بالسنتهم دون قلوبهم.

﴿٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَعْذِرُوا الْيَوْمَ﴾ يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ عِنْدَ دُخُولِهِمُ النَّارِ، أَي: لِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَي: جَزَاءُهُ.

﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُبَوِّأُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ - يَفْتَحُ الثُّونَ وَضَمَّهَا -: صَادِقَةٌ ...

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (أي: به).

قوله: (تأكيد) جوابٌ عمّا يقال: إِنَّ الجملة الأولى هي عين الجملة الثانية؛ فلم كررها؟ فأجاب: بأنه كررها للتأكيد.

وأجيب أيضاً: بأن مفاد الجملة الأولى: أَنَّهُمْ لَا يَقَعُ مِنْهُمْ عَصِيَانٌ لِأَمْرِ اللَّهِ وَلَا مَخَالَفَةٌ، ومفاد الجملة الثانية: أَنَّ قِضَاءَ اللَّهِ نَافِذٌ عَلَى أَيْدِيهِمْ، لَا يَعْوَقُهُمْ عَنْهُ عَائِقٌ، بخلاف أهل طاعة الله في الدنيا؛ قد يتخلف ما أمروا به؛ لعجز أو نسيانٍ مثلاً، فتغايروا بهذا الاعتبار.

قوله: (والآية تخويفٌ للمؤمنين) أي: الخالصين، وهو جوابٌ عمّا يقال: إِنَّ هذا خطابٌ للمشركين؛ فلاي شيءٍ خوطب به المؤمنون؟ فأجاب: بأنه على سبيل التخويف للمؤمنين الخالصين، وللمنافقين الذين هم مؤمنون ظاهراً.

قوله: (يقال لهم ذلك) أي: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ إلخ.

قوله: (أي: لأنه لا ينفعكم) أي: لأنه يوم الجزاء، لا يوم الاعتذار؛ إذ قد فات زمنه.

قوله: (أي: جزاءه) أشار بذلك إلى أَنَّ الكلام على حذف مضاف في قوله: ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: اتَّصَفُوا بالإيمان.

قوله: (بفتح الثُّون) أي: على أَنَّهُ صِيغَةٌ مَبَالِغَةٌ ك: الشُّكُور، صفة لـ ﴿تَوْبَةً﴾ أي: بلغت الغاية في الخُلُوص، وقوله: (وضمها) أي: فهو مصدرٌ، يقال: نَصَحَ نَصْحًا وَنُصُوحًا، ك: شَكَرَ شُكْرًا وَشُكُورًا، وَصِفَتْ بِهِ التَّوْبَةُ مَبَالِغَةً، على حَدٍّ: (زَيْدٌ عَدْلٌ)، والقراءتان سَبْعِيَّتَانِ^(١)، وقوله: (صادقة) راجعٌ لكلٍّ من القراءتين.

(١) قرأ شعبة بضم النون، والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٣٢).

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمُ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

بأن لا يُعاد إلى الذنب ولا يُراد العود إليه، ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ - تَرْجِيَةٌ تَقَعُ - ﴿أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمُ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ﴾ : بِسَاتِيْنٍ ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ﴾ بِإِدْخَالِ النَّارِ ﴿النَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أَمَامَهُمْ،

حاشية الصاوي

قوله: (بأن لا يعاد إلى الذنب... إلخ) هذا أحد ثلاثة وعشرين قولاً في تفسير التوبة النصوح^(١)، كلها ترجع إلى التي استجمعت الشروط.

واعلم: أن التوبة ممّا لا يتعلّق به حقٌّ لآدمي لها شروط ثلاثة: أن يُقلع عن المعصية في الحال، وأن يندم على ما فعله، وأن يعزم على ألا يعود.

وإن كانت متعلّقة بحقّ آدمي.. فيزاد على هذه الثلاثة: ردُّ المظالم إلى أهلها إن أمكن، وإلا.. فيكفي استسماحهم.

وهي واجبةٌ من كلّ ذنبٍ كان، كبيرةً أو صغيرةً بإجماع؛ لما ورد: «يا أيها الناس؛ توبوا إلى الله، فإنّي أتوب إليه في اليوم مئة مرة»^(٢)، وفي رواية: «إنّي لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»^(٣)، وورد: «إنّ الله ييسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، وييسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل حتّى تطلع الشمس من مغربها»^(٤)، إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في التوبة.

قوله: (تَرْجِيَةٌ تَقَعُ) أشار بذلك إلى أنّ هذا الترجّي واجب الوقوع على القاعدة المتقدّمة: إنّ كلّ ترجّ من الله في القرآن فهو واقع؛ لكونه بمنزلة التحقيق. وتَرْجِيَةٌ ك: تَرْكِيَةٌ.

قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ (إمّا منصوب بـ(يدخلكم)، أو بـ: (اذكر) مقدّراً.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (إمّا معطوف على (النبي)؛ فالوقف على قوله: ﴿مَعَهُ﴾، ويكون قوله: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى﴾ مستأنفاً أو حالاً؛ أو مبتدأ خبره جملة ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى﴾.

(١) انظرها في «تفسير الطبري» (٢٣/٤٩٤)، ومنها ما روي عن سيدنا معاذ مرفوعاً: «ألا يحتاج بعدها إلى توبة أخرى».

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٢) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (٦٣٠٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم (٢٧٥٩) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ بِتَأْيِيدِهَا أَلْتِي جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَهُمْ بِهِمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾

﴿و﴾ يَكُونُ ﴿بِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ﴾ - مُسْتَأْنَفٌ -: ﴿رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا﴾ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمُنَافِقُونَ يَطْفَأُ نُورُهُمْ، ﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾ رَبَّنَا ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿٩﴾ بِتَأْيِيدِهَا أَلْتِي جَهْدِ الْكُفَّارِ ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بِالسَّيْفِ ﴿بِاللِّسَانِ وَالْحُجَّةِ﴾، ﴿وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ بِالْإِنْتِهَارِ وَالْمَقْتِ، ﴿وَمَا وَهُمْ بِهِمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هِيَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿و﴾ يَكُونُ ﴿بِأَيْمَانِهِمْ﴾ قَدَّرَهُ؛ دَفْعاً لِمَا يَتَوَهَّمُ مِنْ تَسْلِيْطِ ﴿يَسْعَى﴾ عَلَى الْإِيمَانِ، أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا أَنَّهُ بَعِيدٌ عَنْهَا، فَأَفَادَ أَنَّهُ كَمَا يَكُونُ فِي جَهَنَّمَ الْإِيمَانُ يَكُونُ قَرِيباً مِنْهَا، وَتَقَدَّمَ ذَلِكَ فِي (سُورَةِ الْحَدِيدِ) ^(١).

قوله: (وَالْمُنَافِقُونَ يَطْفَأُ نُورُهُمْ) عَطَفَ سَبَبٌ؛ أَي: إِنَّ سَبَبَ قَوْلِ الْمُؤْمِنِينَ مَا ذَكَرَ: أَنَّهُمْ يَرَوْنَ الْمُنَافِقِينَ يَتَقَدُّ لَهُمْ نُورٌ فِي نَظِيرِ إِقْرَارِهِمْ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، فَإِذَا مَشَوْا طَفَى، فَيَمْشُونَ فِي ظِلْمَةٍ، فَيَقْعُونَ فِي النَّارِ، فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ هَذِهِ الْحَالَةَ.. سَأَلُوا اللَّهَ دَوَامَهُ حَتَّى يُوصِلَهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَالْجَنَّةُ لَا ظِلَامَ فِيهَا.

إِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَخَافُونَ مِنْ طِفْءِ نُورِهِمْ مَعَ أَنَّهُمْ آمَنُوا لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ؟

أَجِيب: بِأَنَّ دَعَاءَهُمْ لَيْسَ مِنْ خَوْفِ ذَلِكَ، بَلْ تَلَذُّذاً وَطَلِباً لِمَا هُوَ حَاصِلٌ لَهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ.

قوله: ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بِالسَّيْفِ وَالْحُجَّةِ إِنَّمَا خَصَّهُمْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ ﷺ لَمْ يُؤْمَرْ بِقِتَالِهِمْ بِالسَّيْفِ؛ لِأَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ ظَاهِراً، وَالْإِسْلَامُ يَقِي مِنْ قِتَالِ السَّيْفِ، وَإِنَّمَا أُمِرَ بِفَضِيحَتِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ مَجْلِسِهِ كَمَا تَقَدَّمَ ذَلِكَ.

قوله: ﴿وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: شَدَّدْ عَلَيْهِمْ فِي الْخَطَابِ، وَلَا تُعَامِلُهُمْ بِاللَّيْنِ.

قوله: (بِالْإِنْتِهَارِ) أَي: الزَّجْرُ، وَقَوْلُهُ: (وَالْمَقْتِ) أَي: الْبَغْضُ وَالطَّرْدُ.

(١) انظر (٥٥٣/٦)، وفي «الفتوحات» (٣٨٥/٤): (لَا حَاجَةَ لِهَذَا التَّقْدِيرِ، بَلْ إِبْقَاءُ النَّظْمِ عَلَى ظَاهِرِهِ أَوْلَى، وَالْمَعْنَى: يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَيَسْعَى عَنْ أَيْمَانِهِمْ، وَالْمُرَادُ: جِهَاتُهُمْ كُلُّهَا)، وَقَالَ الْخَطِيبُ فِي «السَّرَاجِ الْمُنِيرِ» (٣٣٣/٤): (التَّقْيِيدُ بِالْإِيمَانِ لَا يَنْفِي أَنَّ لَهُمْ نُوراً عَنْ شِمَائِلِهِمْ، بَلْ لَهُمْ نُورٌ، لَكِنْ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ إِمَامٌ مِنَ السَّابِقِينَ، وَإِمَامٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمِينِ، فَهُمْ يَمْشُونَ فِي هَاتَيْنِ الْجِهَتَيْنِ، وَيُؤْتُونَ صَحَائِفَ أَعْمَالِهِمْ مِنْهُمَا، وَأَمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ.. فَيُعْطُونَهَا مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ وَمِنْ شِمَائِلِهِمْ).

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا

﴿١٠﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴿١﴾ فِي الدِّينِ إِذْ كَفَرْنَا، وَكَانَتْ امْرَأَةُ نُوحٍ وَاسْمُهَا وَاهِلَةُ تَقُولُ لِقَوْمِهَا: إِنَّهُ مَجْنُونٌ، وَامْرَأَةُ لُوطٍ وَاسْمُهَا وَاعِلَةُ تَدُلُّ قَوْمَهُ عَلَى أَضْيَافِهِ إِذَا نَزَلُوا بِهِ لَيْلاً بِإِيقَادِ النَّارِ وَنَهَاراً بِالتَّدْخِينِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ (لما كان لبعض الكفار قرابةً بالمسلمين، فربما توهّموا أنها تنفعهم، وكان لبعض المسلمين قرابةً بالكفار، وربما توهّموا أنها تضرهم.. ضرب الله لكل مثلاً).

و﴿ضَرَبَ﴾ بمعنى: (جعل)، ف﴿مَثَلًا﴾ مفعول ثانٍ مقدّم، وقوله: ﴿امْرَأَتَ نُوحٍ...﴾ إلخ أي: حالهما، مفعول أول، آخر عنه؛ ليتصل به ما هو تفسيرٌ وشرحٌ لهما.

والمعنى: جعل الله حال هاتين المرأتين مشابهاً لحال هؤلاء الكفرة؛ فالكفار اتصلوا بالنبي والمؤمنين ولم يتفهموا الاتصال بدون الإيمان، والمرأتان كذلك.

قوله: ﴿امْرَأَتَ نُوحٍ﴾ تُرسم (امرات) في هذه المواضع الثلاثة، و(ابنت) بالتاء المجرورة، وفي الوقف عليها خلافٌ بين القراء؛ فبعضهم يقف بالتاء، وبعضهم بالهاء^(١).

قوله: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ﴾ أظهر في مقام الإضمار^(٢)؛ لتشريفهما بهذه النسبة، والوصف بالصلاح.

قوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في الدين أي: لا في الزنا؛ لما وردَ عن ابن عباس: (أنه ما زنت امرأة نبيٍّ قطُّ)^(٣).

قوله: (إذ كفرنا) تعليل لقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾.

قوله: (واهلة) بتقديم الهاء على اللام، وقيل: بالعكس، وقوله: (واعلة) بتقديم العين على اللام، وقيل بالعكس.

(١) وقف بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي، ووقف بالقون بالتاء. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٣٤).

(٢) أي: فلم يقل: (تحتهما).

(٣) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢٧٧٠) من كلام الشعبي رحمه الله تعالى.

فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتِ فِرْعَوْنَ

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ أي: نُوحٌ وَلُوطٌ ﴿عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ﴾: مِنْ عَذَابِهِ ﴿شَيْئًا وَقِيلَ﴾ لَهُمَا: ﴿ادْخُلَا
النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ مِنْ كُفَّارِ قَوْمِ نُوحٍ وَقَوْمِ لُوطٍ.

﴿١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتِ فِرْعَوْنَ ﴿آمَنَتْ بِمُوسَى﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما عند الله عن
زوجتهما لما كفرتا من عذاب الله شيئاً؛ تنبيهاً بذلك على أن العذاب يُدْفَعُ بالطاعة والامتثال،
لا بمجرد الصَّحبة.

قوله: ﴿شَيْئًا﴾ أي: من الإغناء، فهو مفعولٌ مطلق، أو مفعولٌ به.

قوله: ﴿وَقِيلَ﴾ لهما) التعبير بالماضي؛ لتحقيق الوقوع، والقائلُ خزنةُ النَّارِ.

قوله: ﴿أَمْرَاتِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: جعل حالها مثلاً لحال المؤمنين في أنَّ وصلة الكفرة لا تضرُّ
مع الإيمان.

قوله: (آمَنَتْ بِمُوسَى) أي: لما غلب السحرة، وتبيَّن لها أنَّه على الحقِّ، فأبدلها الله بسبب ذلك
الإيمان أن جعلها في الآخرة زوجةً خيرٍ خلقه مُحَمَّدٌ ﷺ، وكذا زوجه الله في الجنة مريمَ بنتَ
عمران؛ لما ورد: أَنَّهُ ﷺ دخل على خديجة وهي في الموت فقال لها: «يا خديجة؛ إذا لقيتِ
ضُرَّاتِكَ.. فأقرئينني مُني السلام»، فقالت: يا رسول الله؛ وهل تزوجت قبلي؟ قال: «لا، ولكن الله
زوجني مريمَ بنتَ عمران، وآسيةَ بنتَ مزاحمِ امرأةِ فرعون، وكلثومَ أختِ موسى»، فقالت:
يا رسول الله، بالزفاف والبَين^(١).

وفي الحديث: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَرْبَعٌ: مَرِيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ،
وْخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مَزَاحِمٍ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ»^(٢).

(١) كذا أورده القرطبي في «تفسيره» (٢٠٤/١٨)، وفيه: (بالرفاء) بدل (بالزفاف)، وروى الطبراني في «المعجم الكبير»

(٨٠٠٦) عن سيدنا أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعائشة: «أشعرت أن الله عز وجل زوجني في الجنة
مريم بنت عمران، وكلثم أخت موسى، وامرأة فرعون؟».

(٢) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٦٧/٤): (رواه أبو نعيم في «الحلية» في ترجمة عمرو بن مرة، فقال: =

إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخَنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخَنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾

واسمها آسية، فعذبها فرعون بأن أوتد يديها ورجليها وألقى على صدرها رحي عظمة واستقبل بها الشمس، فكانت إذا تفرقت عنها من وكل بها ظللتها الملائكة، ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ في حال التعذيب: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فكُشِفَ لها فرأته فسهل عليها التعذيب، ﴿وَبِخَنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾: وتعذيبه، ﴿وَبِخَنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: أهل دينه، فقبض الله روحها، وقال ابن كيسان: رُفِعَتْ إِلَى الْجَنَّةِ حَيَّةً فَهِيَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ.

حاشية الصاوي

قوله: (واسمها آسية) بالمد وكسر السين، قيل: إنها عمّة موسى، فتكون إسرائيلية، وقيل: ابنة عمّ فرعون، فتكون من العمالقة.

قوله: (بأن أوتد يديها... إلخ) أي: دقّ لها أربعة أوتاد في الأرض، وشبّحها فيها، كلّ عضو بحبل.

قوله: (وألقى على صدرها رحي... إلخ) في القصة: أن فرعون أمر بصخرة عظيمة؛ ليلقى عليها، فلما أوتوها بالصخرة.. قالت: ربّ؛ ابن لي عندك بيتاً في الجنة، فأبصرت البيت من ممرّة بيضاء، وانتزعت روحها، فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه، ولم تجد ألماً^(١).

قوله: (واستقبل بها الشمس) أي: جعلها مواجهة للشمس، وهو معطوف على قوله: (أوتد يديها)، وليس متأخراً عن إلقاء الرحي؛ لأنّ إلقاء الرحي كان في آخر الأمر لمّا أيس من رجوعها عن الإيمان، فالواو لا تقتضي ترتيباً.

قوله: ﴿ابْنِ لِي عِنْدَكَ﴾ أي: قريباً من رحمتك، فالعنديّة عنديّة مكانة، لا مكان.

قوله: (وتعذيبه) عطف تفسير لـ (عمله).

= حدثنا سليمان بن أحمد: ثنا يوسف القاضي: ثنا عمرو بن مرزوق: ثنا شعبة عن عمرو بن مرة: سمع مرة يحدث عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع... إلى آخره سواء»، ورواه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١) وليس فيه ذكر السيدة خديجة، ولا ذكر السيدة فاطمة ﷺ.

(١) كذا في «السراج المنير» (٣٣٥/٤).

وَمَرِّمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا
وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَنِينِ ﴿١٢﴾

﴿١٢﴾ - عطفٌ على ﴿أَمْرَاتِ فِرْعَوْنَ﴾ - ﴿ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ :
حَفِظَتْهُ، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: جبريل، حيثُ نَفَخَ فِي جَيْبِ دِرْعِهَا بِخَلْقِ اللَّهِ
تَعَالَى فَعَلَهُ الْوَاصِلَ إِلَى فَرْجِهَا فَحَمَلَتْ بِعِيسَى، ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ : شَرَائِعِهِ
﴿وَكُتُبِهِ﴾ الْمُنْزَلَةِ، ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَنِينِ﴾ : مِنَ الْقَوْمِ الْمُطِيعِينَ.

حاشية الصاوي

قوله: (عطف على ﴿أَمْرَاتِ فِرْعَوْنَ﴾) أي: فهي من جملة المثل الثاني، فمثل حال المؤمنين
بامراتين؛ كما مثل حال الكفار بامراتين.

قوله: (حفظته) أي: من الرجال، فلم يصل إليها أحدٌ بِنِكَاحٍ ولا زناً.

قوله: (أي: جبريل) تفسيرٌ لـ ﴿رُوحِنَا﴾.

قوله: (حيث نفخ... إلخ) بيّن به أنَّ الإسناد في (نفخنا) من حيث إنَّه الخالق والموجد،
والإسناد لجبريل من حيث المباشرة.

قوله: (بخلق الله) بيانٌ لحقيقة الإسناد.

قوله: (فَعَلَهُ) أي: فَعَلَ جبريل، وهو النَّفْخُ، وقوله: (الواصل إلى فرجها) أي: بواسطة كونه
في جيب القميص.

قوله: (فحملت بعيسى) أي: عَقِبَ النَّفْخِ، فالنفخ والحمل والوضع في ساعة واحدة كما تقدّم
في (سورة مريم).

قوله: ﴿وَكُتُبِهِ﴾ (المنزلة) أي: في زمانها كالتوراة والإنجيل وصُحُف إبراهيم.

قوله: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَنِينِ﴾ أي: معدودةٌ منهم، وفيه إشعارٌ بأنَّ طاعتها لم تقصر عن طاعة
الرجال الكاملين.

قوله: (أي: من القوم المطيعين) أي: وهم رهطها وعشيرتها؛ لأنَّها من أهل بيت صالحين،
من أعقاب هارون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام.



﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ



مَكِّيَّةٌ، ثَلَاثُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿تَبَارَكَ﴾: نَزَّهَ عَنْ صِفَاتِ الْمُحْدَثِينَ، ﴿الَّذِي بِيَدِهِ﴾: فِي تَصَرُّفِهِ

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْمَلِكِ

وَتُسَمَّى أَيْضاً الْوَاقِيَّةُ، وَالْمُنْجِيَّةُ، وَالْمَانِعَةُ؛ لِأَنَّهَا تَقِي صَاحِبَهَا وَتُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالْقِيَامَةِ، وَتُسَمَّى أَيْضاً الْمَجَادِلَةُ؛ لِأَنَّهَا تَجَادَلُ عَنْ صَاحِبِهَا فِي الْقَبْرِ.

وَوُرِدَ فِي فَضْلِهَا أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: قَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ سُورَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ آيَةً، شَفَعَتْ لِرَجُلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنَ النَّارِ وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ، وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ»^(١).

وَمِنْهَا: «إِذَا وَضِعَ الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ.. يُوْتَى مِنْ قَبْلِ رَجُلِيهِ، فَتَقُولُ رَجُلَاهُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِ سَبِيلٌ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَقُومُ بِسُورَةِ الْمَلِكِ، ثُمَّ يُوْتَى مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ لِسَانُهُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِ سَبِيلٌ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ بِي سُورَةِ الْمَلِكِ، ثُمَّ قَالَ: هِيَ الْمَانِعَةُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَهِيَ فِي التَّوْرَةِ سُورَةُ الْمَلِكِ؛ مِنْ قَرَأَ بِهَا فِي لَيْلَةٍ.. فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطْنَبَ»^(٢) أَي: مِنَ الْخَيْرِ.

وَمِنْهَا: «وَدِدْتُ أَنْ (تَبَارَكَ) الْمَلِكُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ»^(٣).

قَوْلُهُ: (نَزَّهَ عَنْ صِفَاتِ الْمُحْدَثِينَ) أَي: تَعَاظَمَ بِجَلَالِهِ وَجَمَالِهِ عَنْ أَوْصَافِ الْمَخْلُوقَاتِ أَزْلاً وَأَبْداً.

(١) رَوَاهُ عَبْدُ بَنِ حَمِيدٍ فِي «مُسْنَدِهِ» (١٤٤٥) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَنَحُوهُ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ (٢٨٩١).

(٢) رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٤٩٨/٢) مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٤٦٥/١) عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

﴿الْمَلِكُ﴾: السُّلْطَانُ وَالْقُدْرَةُ، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿٢﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَالْحَيَاةَ﴾ فِي الْآخِرَةِ،

حاشية الصاوي

قوله: (السُّلْطَان) أي: الاستيلاء والتمكُّن التام من سائر الموجودات، فيتصرف فيها كيف شاء. والأوضح للمفسر: أن يفسر اليدَ بالقدرة، والملكَ بالمملوكات، وإلا... فإبقاء كلامه على ظاهره فيه رِكةٌ لا تخفى؛ إذ يصير المعنى: تبارك الذي يتصرف التصرف، ولا معنى له. قوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تذييلٌ لما قبله، قصد به إفادة أن قدرته تعالى ليست قاصرة على تغيير الأحوال، بل عامة التعلُّق، بها إيجادُ الأعيان^(١)، وتغييرها من حالٍ إلى حالٍ. قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾... إلخ) شروعٌ في تفاصيل بعض آثار القدرة.

واعلم: أنه اختُلِفَ في الموت والحياة؛ فحكى عن ابن عباس والكلبي ومقاتل: أن الموت والحياة جسمان؛ فالموت في هيئة كبش أملح، لا يمرُّ بشيءٍ ولا يجد ريحَهُ إِلَّا مات، وخلق الحياة على صورة فرسٍ أنثى بِلَقَاءِ، وهي التي كان جبريل عليه السلام والأنبياء يركبونها، خُطوتها مدُّ البصر، فوق الحمار، ودون البغل، لا تمرُّ بشيءٍ ولا يجد ريحَهَا إِلَّا حيي، ولا تَطَأُ على شيءٍ إِلَّا حيي، وهي التي أخذ السامريُّ مِنْ أثرها تراباً فألقاه على العجل، فحيي^(٢). فعلى هذا: الحياة والموت أمران وجوديان، وتقابلهما من تقابل الضدين^(٣).

وقيل: الموت عدم الحياة، فتقابلهما من تقابل العدم والملكة.

قوله: (في الدنيا) أي: وهو القاطع للحياة الدنيوية، وقوله: (والحياة في الآخرة) أي: وهي حياة البعث، ولكن هذا القول لا يناسب ترتب الابتلاء عليه في قوله: ﴿لَيَبْلُوكُمْ﴾؛ لأنَّ الابتلاء إنما يترتب على حياة الدنيا.

(١) في (ط٢): زيادة (المتصرف فيها) وقد شطب عليها في (أ).

(٢) أورده السيوطي في «رفع الصوت بذبح الموت». انظر «الحاوي للفتاوي» (١١٦/٢).

(٣) وهو ما ذهب إليه الإمام الأشعري رحمه الله تعالى، وعرفه بأنه كيفية؛ أي: صفةٌ وجوديةٌ تُضاد الحياة، وأما ورد في الأثر من أن الموت على صورة كبش أملح، والحياة على صورة فرس بِلَقَاءِ... فإنما هو باعتبار التمثيل والتصوير، وإلا... فالموت صفة الميت، كما أن الحياة صفة الحي، والأولى التفويض في أمثال هذه المقامات. انظر «تحفة المريد» (ص ٢٦١).

لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾

أو هُما في الدنيا، فالنُطفَةُ تَعْرِضُ لَهَا الْحَيَاةُ وهي ما به الإحساسُ، وَالْمَوْتُ ضِدُّهَا أو عَدَمُهَا؛ قَوْلَانِ، وَالْخَلْقُ عَلَى الثَّانِي بِمَعْنَى التَّقْدِيرِ؛ ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾: لِيَخْتَبِرَكُمْ فِي الْحَيَاةِ ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أَطْوَعُ لِلَّهِ، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ عَصَاهُ، ﴿الْغَفُورُ﴾ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (أو: هُما في الدنيا) أي: فالمراد بالموت: عدمُ الحياة السابقُ على الوجود، والمراد بالحياة: الحياة الدنيويَّة.

قوله: (وهي: ما به الإحساس) تفسيرٌ للحياة على كلٍّ من القولين، وقوله: (ما به الإحساس) أي: فتكون صفةً وجوديَّةً يلزمها الحس والحركة.

قوله: (أو عدمها) أي: عدم الحياة، أعمُّ من أن يكون سابقاً عليها أو متأخراً عنها.

قوله: (قولان) أي: في تعريف الموت.

قوله: (والخلق على الثاني) أي: على القول الثاني في تعريف الموت، وهو أنه عدم الحياة.

قوله: (بمعنى: التقدير) أي: وهو يتعلَّقُ بالموجودات والمعدومات؛ لأنَّه تعلَّقُ الإرادة والعلم الأزليَّات^(١)، وأمَّا على الأول.. فيتعلَّقُ به الخلق حقيقة؛ لأنَّه أمرٌ وجوديٌّ.

قوله: ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ أي: يُعَامِلُكُمْ معاملة المُبْتَلِي والمُخْتَبِر، فاندفع ما قد يتوَهَّم من ظاهر الآية: أنَّ عِلْمَهُ تعالى يتجدَّد بتجدُّد المعلومات.

قوله: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: مَبْتَدَأٌ، و﴿أَحْسَنُ﴾: خَبَرُهُ، و﴿عَمَلًا﴾: تَمْيِيزٌ، والجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ مَفْعُولِ ثَانٍ لـ (يَبْلُوكُمْ)، وَإِنَّمَا عَلَّقَ (يَبْلُو) عَنِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي؛ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الْعِلْمِ، فَأَجْرِي مُجْرَاهُ.

قوله: (أطوعُ لله) هذا أحد تفاسير في قوله: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، وقيل: أحسنُ عقلاً، وأورعُ عن محارم الله، وأسرعُ في طاعة الله، وقيل: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أَخْلَصَهُ وَأَصَوْبَهُ؛ فَالْخَالِصُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ: إِذَا كَانَ عَلَى السَّنَةِ، وقيل غير ذلك.

(١) فمعنى (خلق الموت) على كونه عدميًّا: أنه أرادَه وَعِلْمَهُ فِي الْأَزَلِ. «فتوحات» (٤/٣٨٩).

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ.....

(٣ - ٤) ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾: بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ مُمَاسَّةٍ، ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾ لَهُنَّ أَوْ لِغَيْرِهِنَّ ﴿مِنْ تَفَوُّتٍ﴾: تَبَايُنٍ وَعَدَمِ تَنَاسُبٍ، ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾: أَعِدُّهُ إِلَى السَّمَاءِ.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ أي: فالأولى من مَوْجٍ مكفوف، والثانية من ممررة بيضاء، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس أصفر، والخامسة من فضة، والسادسة من ذهب، والسابعة من ياقوتة حمراء، وبين السابعة والحجب صحارى من نور، وهذا على بعض الروايات.
قوله: ﴿طِبَاقًا﴾ (مَّا جَمَعَ) (طَبَقَةً)، أو (طَبَقٍ)، أو مصدر (طابَقَ)؛ فالوصف به على الأول ظاهرٌ، وعلى الثاني مبالغة.

قوله: (بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) من غير مُمَاسَّةٍ، وكلُّها علويَّة لا غير، هذا مذهب أهل السنَّة، وقال أهل الهيئة: إِنَّ الْأَرْضَ كُرِّيَّةٌ، وَالسَّمَاءُ الدُّنْيَا مُحِيطَةٌ بِهَا إِحَاطَةً قَشْرِ الْبَيْضَةِ مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ، وَالثَّانِيَةُ مُحِيطَةٌ بِالْجَمِيعِ، وَهَكَذَا؛ فَالْعَرْشُ مُحِيطٌ بِالْكَلِّ، وَالْأَرْضُ بِالنِّسْبَةِ لِسَّمَاءِ الدُّنْيَا كَحَلْقَةِ مُلَقَاةٍ فِي فَلَائِ، وَسَّمَاءُ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ لِلثَّانِيَةِ كَحَلْقَةِ مُلَقَاةٍ فِي فَلَائِ، وَهَكَذَا. واعتقادُ ما قاله أهل الهيئة لا يَضُرُّ.

قوله: ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾ خطابٌ للنبيِّ عليه السلام، أو لكلِّ مَنْ يَصْلِحُ لِلخُطَابِ، وإِضَافَةٌ ﴿خَلَقَ﴾ لـ ﴿الرَّحْمَنِ﴾ من إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى فَاعِلِهِ، وَالْمَفْعُولُ مُحذُوفٌ، قَدَّرَهُ الْمُفَسِّرُ بِقَوْلِهِ: (لَهُنَّ وَلَا لِغَيْرِهِنَّ).

قوله: ﴿مِنْ تَفَوُّتٍ﴾ (بِأَلْفٍ بَيْنَ الْفَاءِ وَالْوَاوِ، وَبِدُونِهَا مَعَ تَشْدِيدِ الْوَاوِ، قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ، وَلِغَتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ^(١)).

قوله: (وَعَدَمِ تَنَاسُبٍ) أي: اخْتِلَافٍ يَخَالِفُ مَا تَعَلَّقَتْ بِهِ الْقُدْرَةُ وَالْإِرَادَةُ، بَلْ خَلْقُهُ تَعَالَى مُسْتَقِيمٌ مُتَنَاسِبٌ عَلَى حَسَبِ تَعَلُّقِ قُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، بِخِلَافِ صَنْعِ الْعَبْدِ فَقَدْ يَأْتِي عَلَى خِلَافِ مَا يُرِيدُهُ.

قوله: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أي: إِنْ أَرَدْتَ الْعَيَانَ بَعْدَ الْإِخْبَارِ فَارْجِعْ... إلخ، فَهُوَ مُتَرَتِّبٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿مَّا تَرَى﴾.

(١) قرأ الأخوان: حمزة والكسائي: (تَفَوُّتٍ) بتشديد الواو دون ألف، والباقون بتخفيفها بعد ألف، وهما لغتان بمعنى

واحد كالتهجد والتعاهد، والتظهر والتظاهر. انظر «الدر المصون» (١٠/٣٧٨).

هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ أُنْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا

﴿هَلْ تَرَىٰ﴾ فِيهَا ﴿مِنْ فُطُورٍ﴾: صُدُوعٌ وَشُقُوقٌ؟ ﴿ثُمَّ أُنْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾: كَرَّةٌ بَعْدَ كَرَّةٍ ﴿يَنْقَلِبْ﴾: يَرْجِعُ ﴿إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾: ذَلِيلًا لِعَدَمِ إِدْرَاكِ خَلَلٍ، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾: مُنْقَطِعٌ عَنْ رُؤْيَا خَلَلٍ. ﴿٥﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا: الْقُرْبَىٰ إِلَى الْأَرْضِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾ بإدغام لام ﴿هَلْ﴾ في التاء، وإظهارها، قراءتان سبعيتان هنا وفي (الحاقة) ^(١).

قوله: (صُدُوعٌ وَشُقُوقٌ) أي: فلا يَطْرَأُ عَلَى السَّمَاءِ مَا دَامَتِ الدُّنْيَا صُدُوعٌ وَلَا شُقُوقٌ؛ لِعَدَمِ تَعَلُّقِ إِرَادَتِهِ بِذَلِكَ، فَلَيْسَتْ كُبُيَّانُ الْخَلَائِقِ يَتَصَدَّعُ وَيَتَشَقَّقُ بِطَوِيلِ الزَّمَانِ مَعَ كَوْنِ صَانِعِهِ لَا يَرِيدُ ذَلِكَ. قوله: (كَرَّةٌ بَعْدَ كَرَّةٍ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ حَقِيقَةُ التَّثْنِيَةِ، بَلِ التَّكْثِيرُ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ...﴾ إلخ، وَانْقِلَابِ الْبَصَرِ خَاسِئًا حَسِيرًا لَا يَتَأَتَّى بِنَظَرَتَيْنِ وَلَا ثَلَاثٍ، فَهُوَ كَقَوْلِهِمْ: (لَيْتَكَ وَسَعْدَيْكَ) ^(٢).

قوله: ﴿يَنْقَلِبْ﴾ الْعَامَّةُ عَلَى جُزْمِهِ فِي جَوَابِ الْأَمْرِ، وَقُرِئَ بِرَفْعِهِ؛ إِمَّا عَلَى أَنَّهُ حَالٌ مُقَدَّرَةٌ، أَوْ مُسْتَأْنَفٌ حُذِفَتْ مِنْهُ الْفَاءُ، وَالْأَصْلُ: فَيَنْقَلِبُ ^(٣). قوله: (ذَلِيلًا) أي: خَاضِعًا صَاحِرًا مُتَبَاعِدًا.

قوله: (مُنْقَطِعٌ) أي: بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْإِعْيَاءِ وَالتَّعَبِ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا...﴾ إلخ) شُرُوعٌ فِي ذِكْرِ أُدْلَلَةٍ أُخْرَى عَلَى تَوْحِيدِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَتَمَامِ قُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ.

قوله: (الْقُرْبَى إِلَى الْأَرْضِ) أي: الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ بَاقِي السَّمَاوَاتِ، (فَقُرْبَى): صِيغَةُ تَفْضِيلٍ؛ كَمَا تَقُولُ: (هَذَا فَضْلِي النَّسَاءِ)، وَلَا يَخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ الْكَوَاكِبَ ثَابِتَةٌ فِي الْعَرْشِ أَوْ الْكَرْسِيِّ؛ لِأَنَّ السَّمَاءَ شَفَافَةٌ لَا تَحْجُبُ مَا وَرَاءَهَا، فَتَرَيْنُ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِالْكَوَاكِبِ لَا يَقْتَضِي أَنَّهَا ثَابِتَةٌ فِيهَا، وَهَذَا فِي غَيْرِ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ الَّتِي أَشَارَ لَهَا بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ: [الْكَامِلُ]

(١) أَدْعَمُ أَبُو عَمْرٍو لَامَ «هَلْ» فِي التَّاءِ، وَأَظْهَرُهَا الْبَاقُونَ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُونُ» (١٠/٣٨٠).

(٢) بِمَعْنَى: إِقَامَةٌ عَلَى إِبْجَابَتِكَ بَعْدَ إِقَامَةٍ، وَسَعْدَيْكَ: بِمَعْنَى: إِسْعَادًا لَكَ بَعْدَ إِسْعَادٍ، وَلَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا بَعْدَ (لَيْتَكَ).

(٣) وَبِالرَّفْعِ قَرَأَ الْكَسَائِيُّ فِي رِوَايَةٍ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُونُ» (١٠/٣٨٠).

بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾

﴿بِمَصْبِيحٍ﴾ : بِنَجُومٍ، ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا﴾ : مَرَاجِمَ ﴿لِلشَّيْطَانِ﴾ : إِذَا اسْتَرْقَوْا السَّمْعَ، بِأَنْ يَنْفَصِلَ شِهَابٌ عَنِ الْكَوْكَبِ كَالْقَبَسِ يُؤْخَذُ مِنَ النَّارِ، فَيَقْتُلُ الْجِنِّيَّ أَوْ يَخْبِلُهُ، لَا أَنَّ الْكَوْكَبَ يَزُولُ عَنْ مَكَانِهِ، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ : النَّارَ الْمُوقَدَةَ.

حاشية الصاوي

زُحَلُ شَرَى مَرِيخُهُ مِنْ شَمْسِهِ فَتَزَاهَرَتْ لِعُطَارِدِ الْأَقْمَارِ
فإنَّها مفرقة على السماوات السبع، في كلِّ سماءٍ كوكبٌ منها؛ فزحل في السابعة، والمشتري في السادسة، والمريخ في الخامسة، والشمس في الرابعة، والزهرة في الثالثة، وعطارد في الثانية، والقمر في سماء الدنيا.

قوله: (بنجوم) أشار بذلك إلى أنَّه أطلق المصاييح وأراد النجوم، فهو مجاز، وإلا . . . فحقيقة المصباح: السراج.

قوله: ﴿رُجُومًا﴾ جمع (رَجِمَ)، مصدرٌ أُطلق على المرجوم به؛ ولذا قال المفسر: (مَرَاجِمَ) أي: أموراً يُرْجَمُ بها.

قوله: (إذا استرقوا السمع) أي: أرادوا استراقه.

قوله: (بأن ينفصل شهاب . . . إلخ) جوابٌ عمّا يقال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْكَوَاكِبَ زِينَةً لِلْسَّمَاءِ، وذلك يقتضي ثبوتها وبقائها فيها، وجعلها رجوماً يقتضي زوالها وانفصالها عنها؛ فكيف الجمع بين الحالتين؟

فأجاب: بأنَّه ليس المراد: أَنَّهُمْ يُرْمَوْنَ بِأَجْرَامِ الْكَوَاكِبِ، بل بما ينفصل منها من الشهب، وذلك كمثلي القَبَسِ الذي يؤخذ من النار وهي على حالها.

قوله: (أَوْ يَخْبِلُهُ) من الخَبَلِ بسكون الباء، وهو الفساد في العقل، أو في البدن.

قوله: (لا أَنَّ الْكَوْكَبَ يَزُولُ عَنْ مَكَانِهِ) أي: ففي الكلام حذف مضاف، والتقدير: وجعلنا شهبها رجوماً . . . إلخ.

قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أي: هيأنا وأحضرنا.

قوله: ﴿لَهُمْ﴾ أي: للشياطين.

قوله: ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ أي: في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾
تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ

(٦ - ٧) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ هي، ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾: صوتاً منكراً كصوت الحمار، ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾: تغلي.

﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ﴾ - وقُرئ: (تَتَمَيِّزُ) على الأصل -: تَتَقَطَّعُ ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ غَضَباً على الكافر، ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾: جماعة منهم

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾: مبتدأ مؤخر، والمعنى: لمن كفر من الإنس والجن عذابُ جهنم... إلخ.

قوله: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا﴾ معمول لـ ﴿سَمِعُوا﴾، والجملة مستأنفة، وقوله: ﴿لَهَا﴾ متعلق بمحذوف حال من ﴿شَهِيقًا﴾ لأنه نعتُ نكرةٍ قدَّم عليها.

قوله: (صوتاً منكراً) أي: فتشهُقُ جهنمُ عند إلقاء الكفار فيها كشهقة البغل للشعير، وهذا ما عليه ابن عباس، وقيل: الشهيقُ من الكفار عند إلقاءهم فيها، وعليه: فالكلام على حذف مضاف؛ أي: سمعوا لأهلها.

قوله: (وقرئ «تَمَيِّزُ») أي: شذوذاً^(١).

قوله: (غضباً على الكفار) أي: من أجل غضب سيدها وخالقها، فتأتي يوم القيامة تُقاد إلى المحشر بألف زمام، لكل زمام سبعون ألف ملكٍ يقودونها به^(٢)، وهي من شدة الغيظ تقوى على الملائكة، وتحمل على الناس، فتقطع الأزرمة جميعها، وتَحْطُمُ على أهل المحشر؛ فلا يردُّها عنهم إلا النبي ﷺ يُقابِلُها بنوره، فترجع، مع أنَّ لكل ملكٍ من القوة ما لو أَمَرَ أن يقلع الأرض وما عليها من الجبال ويصعد بها في الجو... لفعل من غير كلفة^(٣).

(١) وبها قرأ طلحة بن مصرف. انظر «الدر المصون» (٣٨٢/١٠).

(٢) كما روى مسلم (٢٨٤٨) عن سيدنا عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا».

(٣) وهذا كما أطفأها في الدنيا بنفخه ﷺ؛ كما روى أبو داود (١١٩٤) عن عبد الله بن عمرو ؓ قال: انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، فذكر صلاته إلى أن قال: ثم نفخ في آخر سجوده، فقال: «أف أف؛ ألم تعدني ألا تعذبهم =

سَأَلَمُ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِن
أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرِفُوا

﴿سَأَلَمُ خَزَنَتَهَا﴾ سُؤَال تَوْبِيخٍ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾: رَسُولٌ يُنذِرُكُمْ عَذَابَ اللَّهِ تَعَالَى؟
﴿٩﴾ ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِن﴾: مَا ﴿أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
كَبِيرٍ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ لِلْكَفَّارِ حِينَ أُخْبِرُوا بِالتَّكْذِيبِ، وَأَنْ يَكُونَ مِنْ
كَلَامِ الْكَفَّارِ لِلنَّذِيرِ.

﴿١٠ - ١١﴾ ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أَي: سَمَاعَ تَفْهَمُ ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ أَي: عَقْلَ تَفَكَّرٍ ﴿مَا
كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿١١﴾ فَاعْرِفُوا ﴿١٠﴾ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ الْاعْتِرَافُ
حاشية الصاوي

قوله: ﴿سَأَلَمُ﴾ (أي: سأل الفوج، والجمعُ باعتبارِ معناه).
قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ مفعولُ ثانٍ لـ (سأل)، والمعنى: سألهم عن جواب هذا الاستفهام.
قوله: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ (إلخ) إنما جمعوا بين حرفِ الجوابِ والجملةِ المستفادَةِ منه؛ تأكيداً
وتحسُّراً وندماً على تفریطهم.

قوله: ﴿قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ هذا من كلامِ الفوج، ومن المعلوم: أَنَّ كُلَّ فَوْجٍ لَهُ نَذِيرٌ يَخْصُهُ.
قوله: ﴿فَكَذَّبْنَا﴾ أي: فتسبَّب عن مجيئه أَنَّا كَذَّبْنَاهُ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى.
قوله: ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ أي: بعيدٍ عن الحقِّ.
قوله: (يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ) أي: قوله: ﴿إِنْ أَنْتُمْ...﴾ إلخ.
قوله: (مِنْ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ) أي: وعليه فقوله: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ أي: فِي الدُّنْيَا.
قوله: (وَأَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ الْكَفَّارِ) أي: مِنْ تَمَامِ كَلَامِ الْكَفَّارِ لِلنَّذِيرِ، وَهَذَا الْإِحْتِمَالُ اسْتَظْهَرَهُ
جَمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ.

قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ...﴾ (إلخ) أي: زِيَادَةً فِي تَوْبِيخِ أَنْفُسِهِمْ.

قوله: ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: فِي عِدَادِهِمْ، وَهُمْ الشَّيَاطِينُ.

= وَأَنَا فِيهِمْ، وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ؟، وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ فِي «السَّنَنِ الْكَبِيرِ» (١٨٨٠): أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ أَدْنَيْتُ مِنْي النَّارَ
حَتَّى جَعَلْتُ أَنْفَخَهَا خَشْيَةً أَنْ تَغْشَاكُمْ». وَانْظُرِ «السَّرَاحَ الْمَنِيرَ» (٣٤١/٤).

يَذَنِبُهُمْ فَسْحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾

﴿يَذَنِبُهُمْ﴾ وهو تكذيب النذر ﴿فَسْحَقًا﴾ - بِسُكُونِ الحاء وضمِّها - ﴿لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: فبعداً لهم عن رَحْمَةِ الله.

﴿١٢﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: يَخَافُونَهُ ﴿بِالْغَيْبِ﴾: فِي غَيْبَتِهِمْ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ فَيُطِيعُونَهُ سِرًّا فَيَكُونُ عِلَانِيَةً أَوْلَى، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي: الْجَنَّةُ.

﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾ ﴿وَأَسْرُوا﴾ أَيُّهَا النَّاسُ ﴿قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ﴾ تَعَالَى ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بِمَا فِيهَا، فَكَيْفَ بِمَا نَطَقْتُمْ بِهِ؟ وَسَبَبُ نُزُولِ ذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَسْحَقًا﴾ (إِمَّا مَفْعُولٌ بِهِ؛ أَي: أَلْزَمَهُمُ اللهُ سَحَقًا، أَوْ مُصَدَّرٌ عَامِلُهُ مُحذوفٌ، تَقْدِيرُهُ: يَسْحَقُهُمُ اللهُ سَحَقًا، فَنَابَ الْمَصْدَرُ عَنْ عَامِلِهِ. وَالسُّحُقُ: الْبَعْدُ، يُقَالُ: سَحَقَ الشَّيْءُ بِالضَّمِّ بوزنِ (بَعْدَ)، فَهُوَ سَحِيقٌ؛ أَي: بَعِيدٌ، وَأَسْحَقُهُ اللهُ: أَبْعَدَهُ.

قوله: (بِسُكُونِ الحاء وضمِّها) أي: فهِمَا سَبْعَتَانِ^(١).

قوله: (فِي غَيْبَتِهِمْ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حَالٌ مِنَ الْوَاوِ فِي ﴿يَخْشَوْنَ﴾، وَالْبَاءُ بِمَعْنَى (فِي).

وَالْمَعْنَى: يَخْشَى اللهُ فِي حَالِ غَيْبَتِهِ عَنِ النَّاسِ؛ بَحِيثٌ يَطِيعُ رَبَّهُ وَلَمْ يَطْلُعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي حَالِ سِرِّهِ وَاخْتِفَائِهِ عَنِ النَّاسِ.. فَعِلَانِيَتُهُ أَوْلَى؛ لِأَنَّ الْعَادَةَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَسْتَتِرُ فِي الْمَعْصِيَةِ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ وَإِنْ لَمْ يَخَفِ اللهُ.

قوله: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ (أَي: لَذُنُوبِهِمْ).

قوله: ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (أَي: لَا يَعْلَمُ قَدْرَهُ غَيْرُهُ تَعَالَى).

قوله: (بِمَا فِيهَا) أَي: مِنَ الْخَوَاطِرِ الَّتِي لَا يَتَكَلَّمُ بِهَا.

قوله: (فَكَيْفَ بِمَا نَطَقْتُمْ بِهِ؟!) هَذَا مِنْ تَمَامِ الْاِسْتِدْلَالِ عَلَى تَسَاوِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلْمِهِ تَعَالَى.

(١) قَرَأَ الْكَسَاوِيُّ بِضَمِّ الحاء، وَالباقون بِسُكُونِهَا. انْظُرْ «السَّراجُ الْمُنِيرُ» (٤/٣٤٢).

وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ الشُّورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنْتُمْ مِّنَ السَّمَاءِ

﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ المَخْلُوقِ لِأَجْلِكُمْ، ﴿وَإِلَيْهِ الشُّورُ﴾ مِنَ الْقُبُورِ لِلْجَزَاءِ.

﴿ءَأَمِنْتُمْ﴾ - بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ، وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْآخَرَى وَتَرْكِهِ، وَإِبْدَالِهَا أَلِفًا - ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ سُلْطَانُهُ وَقُدْرَتُهُ

حاشية الصاوي

فائدة:

حكى قتادة عن أبي الجلد: (أَنَّ الْأَرْضَ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ فَرَسَخٍ، لِلْسُّودَانِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، وَلِلرُّومِ ثَمَانِيَةَ أَلْفٍ، وَلِلْفَرَسِ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ، وَلِلْعَرَبِ أَلْفٌ) انتهى^(١). والظاهر: أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا: الْأَرْضَ الْمَعْمُورَةَ بَيْنِي آدَمَ غَيْرَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ؛ لَمَّا تَقَدَّمَ لَنَا أَنَّ كُورَةَ الْأَرْضِ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ.

قوله: (الْمَخْلُوقِ لِأَجْلِكُمْ) أي: لانتفاعكم به، فحكمة خلق الأرزاق: انتفاعهم بها.

قوله: ﴿وَإِلَيْهِ الشُّورُ﴾ أي: الإخراج من القبور.

قوله: (لِلْجَزَاءِ) أي: على أعمالكم.

قوله: (وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهَا) أي: بين الهمزة الثانية بقسميها، وهما التحقيق، والتسهيل؛ ففي كلامه التنبيه على خمس قراءات سبعيات: ئنثان في التحقيق، ومثلها في التسهيل، والخامسة الإبدال^(٢).

قوله: ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ سُلْطَانُهُ أشار بذلك لجوابٍ وردَّ على ظاهر الآية، وحاصله: أَنَّ الْآيَةَ تَوْهَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي مَكَانٍ وَهُوَ السَّمَاءُ، فَأَجَابَ ﷻ: بِأَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ لِلْضَمِيرِ الْمُسْتَكْنِ فِي الظَّرْفِ، وَالْأَصْلُ: (مَنْ ثَبَتَ وَاسْتَقَرَّ فِي السَّمَاءِ هُوَ) أي: سُلْطَانُهُ وَقُدْرَتُهُ؛ أي: مُحَلٌّ سُلْطَانِهِ، وَهُوَ الْعَالَمُ الْعُلَوِيُّ، وَخَصَّهُ بِالذِّكْرِ وَإِنْ كَانَ سُلْطَانُهُ فِي الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ أَعْجَبُ وَأَغْرَبُ، فَالْتَّخَوِيفُ بِهِ أَشَدُّ.

(١) رواه عنه أبو طاهر السلفي في «الطيوريات» (١٢٠٤)، وأبو الجلد هو: جيلان بن فروة، ويقال: ابن أبي فروة الأسدي البصري.

(٢) قرأ قبل في الوصل بإبدال الهمزة بعد راء (النشور) واوًا، وسهّل الهمزة الثانية نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه، وحقّقها الباقون، وأدخّل بينهما ألفًا قالون وأبو عمرو وهشام، والباقون بغير إدخال. انظر «السراج المنير» (٣٤٤/٤).

أَنْ يَخْصِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوْلَئِكَ يَرَوْنَ

﴿أَنْ يَخْصِفَ﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿مَنْ﴾ - ﴿بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾: تَتَحَرَّكُ بِكُمْ وَتَرْتَفِعُ فَوْقَكُمْ؟
 (﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾) ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿مَنْ﴾ - ﴿عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: رِيحًا تَرْمِيكُمْ بِالْحَصْبَاءِ؟ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عِنْدَ مُعَايِنَةِ الْعَذَابِ ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾: إِذْأَرِي بِالْعَذَابِ أَنَّهُ حَقٌّ. ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ مِنَ الْأُمَمِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إِنْكَارِي عَلَيْهِمُ التَّكْذِيبَ عِنْدَ إِهْلَاكِهِمْ؟ أَي: إِنَّهُ حَقٌّ.

﴿١٩﴾ ﴿أَوْلَئِكَ يَرَوْنَ﴾: يَنْظُرُوا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَنْ يَخْصِفَ﴾ أي: بعد أن جعلها ذلولاً تمشون فيها، وتأكلون من رزقه.

قوله: (بَدَلٌ مِنْ ﴿مَنْ﴾) أي: بدل اشتمال.

قوله: (تَتَحَرَّكُ بِكُمْ) أي: فيقال: مَارَ: تَحَرَّكَ وَجَاءَ وَذَهَبَ.

قوله: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ﴾ إضْرَابٌ وَانْتِقَالٌ مِنْ تَهْدِيدٍ إِلَى آخَرٍ.

قوله: ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أي: سُلْطَانُهُ وَقُدْرَتُهُ.

قوله: (بَدَلٌ مِنْ ﴿مَنْ﴾) أي: بدل اشتمال أيضاً.

قوله: (رِيحًا تَرْمِيكُمْ... إلخ) هذا أحد تفاسير لـ (الحاصب)، وقيل: هو الحجارة من السماء،

وقيل: سحاب فيها حجارة.

قوله: (عِنْدَ مُعَايِنَةِ الْعَذَابِ) أي: فِي الْآخِرَةِ، أَوْ عِنْدَ خُرُوجِ أَرْوَاحِهِمْ.

قوله: (أَي: أَنَّهُ حَقٌّ) أي: الْإِنْذَارُ وَاقِعٌ، وَنَافِذٌ مُقْتَضَاهُ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هذا تَسْلِيَةٌ لَهُ ﷺ؛ أَي: فَلَا تَحْزَنْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ لَكَ؛ فَقَدْ

سَبَقَهُمْ غَيْرُهُمْ بِالتَّكْذِيبِ لِأَنْبِيَائِهِمْ.

قوله: (عِنْدَ إِهْلَاكِهِمْ) أي: مَوْتِهِمْ، أَوْ تَعْذِيبِهِمْ فِي الْآخِرَةِ.

قوله: ﴿أَوْلَئِكَ يَرَوْنَ﴾ الهمزة داخلية على محذوف، والواو عاطفة عليه، والمعنى: أَغْفَلُوا

وَلَمْ يَرَوْا؟!

إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَقِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي

﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَفَّتْ﴾: باسِطَاتٍ أَجْنَحَتُهُنَّ ﴿وَيَقِضْنَ﴾ أَجْنَحَتَهُنَّ بَعْدَ الْبَسْطِ أَي: وَقَابِضَاتٍ، ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ عَنِ الْوُقُوعِ فِي حَالِ الْبَسْطِ وَالْقَبْضِ ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ بِقُدْرَتِهِ، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ الْمَعْنَى: أَلَمْ يَسْتَدِلُّوا بِثُبُوتِ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ عَلَى قُدْرَتِنَا أَنْ نَفْعَلَ بِهِمْ مَا تَقَدَّمَ وَغَيْرَهُ مِنَ الْعَذَابِ؟

﴿٢٠﴾ - مُبْتَدَأٌ - ﴿هَذَا﴾ - خَبَرُهُ - ﴿الَّذِي﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿هَذَا﴾ - -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِلَى الطَّيْرِ﴾ يجمع على: طيورٍ، وأطيَّارٍ، ومفردُ الطير: طائرٌ، فطيورٌ وأطيَّارٌ: جمعُ الجمع.

قوله: ﴿صَفَّتْ﴾ حال، ومفعوله محذوفٌ، قدَّره بقوله: ﴿أَجْنَحَتُهُنَّ﴾، وكذا قوله: ﴿وَيَقِضْنَ﴾. قوله: ﴿أَي: وَقَابِضَاتٍ﴾ أشار بذلك إلى أَنَّ الفعل مؤوَّلٌ باسمِ الفاعل، معطوفٌ على ﴿صَفَّتْ﴾.

والحكمة في تعبيره ثانياً بالفعل ولم يقل: ﴿وَقَابِضَاتٍ﴾: أَنَّ الْأَصْلَ فِي الطَّيْرِانِ صَفٌّ الْأَجْنَحَةِ، وَالْقَبْضُ طَارِئٌ عَلَيْهِ، فَعَبَّرَ عَنِ الْأَصْلِ بِاسْمِ الْفَاعِلِ، وَعَنِ الطَّارِئِ بِالْفِعْلِ الَّذِي شَأْنُهُ الْحَدُوثُ. قوله: ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ عبَّرَ بـ(الرحمن)؛ إشارةً إلى أَنَّهُ مِنْ جَلَائِلِ النِّعَمِ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ.

قوله: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ أي: فَيَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ الدَّقِيقَةَ الْغَرِيبَةَ، فَيَدْبِرُهَا عَلَى مَقْتَضَى مَا يَرِيدُ. قوله: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي﴾... إلخ سببُ نزولِ هذه الآية وما بعدها: أَنَّ الْكَفَّارَ كَانُوا يَمْتَنِعُونَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَيُعَانِدُونَ رَسُولَ اللَّهِ مُعْتَمِدِينَ عَلَى شَيْئَيْنِ: قُوَّتِهِم بِالْأَمْوَالِ وَالْعَدَدِ، وَاعْتِقَادَهُمْ أَنَّ أَصْنَامَهُمْ تُوصِلُ إِلَيْهِمُ الْخَيْرَاتِ، وَتُدْفَعُ عَنْهُمْ الْمَضَرَّاتِ، فَأَبْطَلَ اللَّهُ الْأَوَّلَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ... إلخ، وَأَبْطَلَ الثَّانِي بِقَوْلِهِ: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ... إلخ﴾^(١).

(١) انظر «السراج المنير» (٤/٣٤٦).

هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَصْرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا

﴿هُوَ جُنْدٌ﴾ : أعوان ﴿لَكُمْ يَصْرُكُمْ﴾ : صِلَة ﴿الَّذِي﴾ : صِفَة ﴿جُنْدٌ﴾ - ﴿مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي : غيره يَدْفَعُ عَنْكُمْ عَذَابَهُ، أي : لا ناصِرَ لَكُمْ، ﴿إِنْ﴾ : ما ﴿الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ غَرَّهُم الشَّيْطَانُ بِأَنَّ الْعَذَابَ لَا يَنْزِلُ بِهِمْ.

﴿٢١﴾ ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرَّحْمَنُ ﴿رِزْقَهُ﴾ أي : الْمَطَرُ عَنْكُمْ؟ - وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ - أي : فَمَنْ يَرْزُقُكُمْ؟ أي : لا رازِقَ لَكُمْ غَيْرُهُ، ﴿بَلْ لَجُوا﴾ : تَمَادَوْا ﴿فِي عُتُوٍّ﴾ : تَكَبَّرَ ﴿وَنُفُورٍ﴾ : تَبَاعَدَ عَنِ الْحَقِّ.

﴿٢٢﴾ ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا﴾ :

حاشية الصاوي

و(أم) هنا : منقطعة تفسر بـ(بل) وحدها ؛ لدخولها على (من) الاستفهامية ، ولا يصح تفسيرها بـ(بل) والهمزة ؛ لثلا يدخل الاستفهام على مثله .

قوله : (أعوان) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿جُنْدٌ﴾ لفظه مفردٌ ، ومعناه جمعٌ .

قوله : (يدفع عنكم عذابه) تفسير لقوله : ﴿يَصْرُكُمْ﴾ .

قوله : ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ اعتراضٌ مقررٌ لما قبله ، والالتفات عن الخطاب للغيبة إيذانٌ بالإعراض عنهم ، والإظهارُ في موضع الإضمار ؛ لِنُذْمِهِم بِالْكَفْرِ .

قوله : ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ﴾ تكتب (أم) موصولة بـ(من) ، فتكون ميماً واحدة متصلة بالنون ، وكذا يُقال فيما تقدّم .

قوله : ﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ أي : أسباب رزقه التي ينشأ عنها .

قوله : (أي : الْمَطَر) أي : والنبات وغير ذلك كباقي الأسباب .

قوله : ﴿بَلْ لَجُوا﴾ ... إلخ) إضراب انتقالي مبنئ على مقدر يستدعيه المقام ، كأنه قيل : إنهم لم يتأثروا بتلك المواعظ ، ولم يُذعنوا ، بل لجؤا ... إلخ .

قوله : ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي﴾ ... إلخ) هذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر ؛ توضيحاً لحالهما ، وتحقيقاً لشأنهما .

قوله : ﴿مُكِبًّا﴾ اسم فاعل مِنْ : (أَكَبَ) اللّازم المطاوع لـ(كَبَّ) ، فـ(كَبَّ) من غير همزٍ مُتَعَدٍّ ،

عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشَى سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ

واقِعاً ﴿عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشَى سَوِيًّا﴾: مُعْتَدِلاً ﴿عَلَى صِرَاطٍ﴾: طَرِيق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾؟ - وَخَبَرَ (مَنْ) الثَّانِيَةَ مَحْذُوفٌ دَلٌّ عَلَيْهِ خَبَرُ الْأُولَى، أَي: أَهْدَى -، وَالْمَثَلُ فِي الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ أَي: أَيُّهُمَا عَلَى هُدًى.

(﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾) ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾: خَلَقَكُمْ ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾:

حاشية الصاوي

يقال: كَبَّهَ اللهُ، وَأَمَّا (أَكَبَّ) .. فهو لازِمٌ، يقال: أَكَبَّ؛ أَي: سَقَطَ، وهذا على خلاف القاعدة المشهورة من أَنَّ الهمزة إذا دخلت على اللّازم تُصَيِّرُهُ متعدياً، وهنا دخلت على المتعدي، فصَيَّرَتْهُ لازماً.

قوله: (واقِعاً على وجهه) أَي: لِكُونِهِ أَعْمَى ماشياً على غير طريق، فهو مُعَرَّضٌ لِلْهَلَاكِ.

قوله: ﴿أَهْدَى﴾ أَي: مَتَّصِفٌ بِالْهُدَى، ف(أَفْعَل) التفضيل ليس على بابهِ؛ كما يُشِيرُ لَهُ الْمُفَسِّرُ بقوله: (أَي: أَيُّهُمَا عَلَى هُدًى؟).

قوله: (وَخَبَرُ «مَنْ» الثَّانِيَةِ ... إلخ) لا حاجة له، بل (مَنْ) الثَّانِيَةُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى الْأُولَى عَطَفَ مفردات، والخبر قوله: ﴿أَهْدَى﴾، وَأُفْرِدَ؛ لِأَنَّ الْعَطْفَ ب(أَمْ)، وَهِيَ لِأَحَدِ الشَّيْئَيْنِ.

قوله: (وَالْمَثَلُ فِي الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ) أَي: فَلَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى الْمَاشِي عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ، وَالْبَصِيرُ الْمَاشِي فِي الطَّرِيقِ الْمَعْتَدِلَةِ؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَ مَعَرَّضٌ لِلْهَلَاكِ وَالتَّلَفِ، بِخِلَافِ الثَّانِي؛ فَتَسْوِيَةُ الْكَفَّارِ لَهُمَا خِسَافَةٌ عَقْلٍ، وَعَدَمٌ تَدَبُّرٍ. وَالْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ هُوَ الْمَشَبَّهُ بِهِ، وَالْمَشَبَّهُ مَحْذُوفٌ؛ لِإِدْلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ خُطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِأَن يَذْكُرَهُمْ بِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ؛ لِيَرْجِعُوا إِلَيْهِ فِي أُمُورِهِمْ، وَلَا يُعْوَلُوا عَلَى غَيْرِهِ^(١).

قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ أَي: لِيَسْمَعُوا آيَاتِ اللَّهِ وَتَتَعَطَّوْا بِهَا.

قوله: ﴿وَالْأَبْصَرَ﴾ أَي: لِيَنْظُرُوا إِلَى مَصْنُوعَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى انْفِرَادِهِ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ.

قوله: ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ أَي: لِيَتَفَكَّرُوا بِهَا فِيمَا تَسْمَعُونَهُ وَتَبْصُرُونَهُ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ.

(١) فِي (أ): (وَلَا يَعْوَلُونَ).

قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ

الْقُلُوبَ ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ - ﴿مَّا﴾ مَزِيدَةٌ، وَالْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ مُخْبِرَةٌ بِقَلَّةِ شُكْرِهِمْ جَدًّا عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ - ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾: خَلَقَكُمْ ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ لِلْحِسَابِ.
 (﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾) ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: وَعْدُ الْحَشْرِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِيهِ؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ بِمَجِيئِهِ﴾ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ: بَيْنَ الْإِنذَارِ.
 ﴿٢٧﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أَي: الْعَذَابَ بَعْدَ الْحَشْرِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ قليلاً: صفةٌ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: شكراً قليلاً.

وَالشُّكْرُ: صَرَفُ الْعَبْدِ جَمِيعَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ إِلَى مَا خُلِقَ لِأَجَلِهِ، فَصَرَفُ النِّعَمِ فِي غَيْرِ مَصَارِفِهَا كَفَرٌ لَهَا.

قوله: ﴿مَّا﴾ مَزِيدَةٌ أَي: لتأكيد القلّة، وهي على بابها بالنسبة للمؤمن، أو بمعنى العدم بالنسبة للكافر.

قوله: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ أَي: أنشأكم وبثكم ونشركم.

قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أَي: تُجْمَعُونَ وتضمّون للحساب.

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أَي: استهزاءً وتكذيباً.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قصدوا بهذا الخطاب النبيّ والمؤمنين؛ لأنهم مُشَارِكُونَ لَهُ فِي الْوَعْدِ وتلاوة الآيات، وجوابُ الشرط محذوفٌ؛ أَي: فَيَبِيتُوا وَقَتَهُ.

قوله: ﴿بِمَجِيئِهِ﴾ أَي: بوقت إتيانه.

قوله: ﴿بَيْنَ الْإِنذَارِ﴾ أَي: بسبب إقامة الأدلّة الواضحة والبراهين القاطعة.

قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ مرّتب على محذوفٍ، تقديره: وقد أتاهم الموعودُ به فرأوه، فلَمَّا رَأَوْهُ... إلخ.

قوله: (أَي: العذاب بعد الحشر) أَي: وهو العذابُ فِي الْآخِرَةِ، وهذا قول جمهور المفسرين فِي مرجع الضمير فِي ﴿رَأَوْهُ﴾، وقيل: هو عذابٌ بدريّ، وقيل: هو عملهم السيّئ.

زُلْفَةً سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ

﴿زُلْفَةً﴾: قَرِيباً ﴿سَيِّتَتْ﴾: اسْوَدَّتْ ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ﴾: أي: قال الخَزَنَةُ لَهُمْ: ﴿هَذَا﴾ أي: العَذَابُ ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ﴾: بِإِنْذَارِهِ ﴿تَدْعُونَ﴾: أَنْتُمْ لَا تُبْعَثُونَ، وَهَذِهِ حِكَايَةُ حَالٍ تَأْتِي عَبْرَ عَنْهَا بِطَرِيقِ الْمُضِيِّ لِتَحَقُّقِ وَقُوعِهَا.

﴿٢٨﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ بِعَذَابِهِ كَمَا تَقْصِدُونَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿زُلْفَةً﴾﴾ اسمٌ مصدر، ومصدره: الإزلافُ.

قوله: (قريباً) حالٌ من مفعول ﴿رَأَوْهُ﴾.

قوله: ﴿﴿سَيِّتَتْ﴾﴾ مبني للمفعول، والأصل: ساء العذابُ وُجُوهُهُمْ، وأظهر في مقام الإضمار؛ تقيحاً وتسجيلاً بوصف الكفر^(١).

قوله: (أي: قال الخَزَنَةُ لَهُمْ) أي: توبيخاً وتقريعاً.

قوله: ﴿﴿تَدْعُونَ﴾﴾ من الدَّعَا، ومفعوله محذوفٌ، قَدَّرَ المفسِّرُ بقوله: (أَنْتُمْ لَا تُبْعَثُونَ)، والباءُ في (به) سببيةٌ، والمعنى: فلَمَّا رَأَوْا عَذَابَ الآخِرَةِ قَرِيباً مِنْهُمْ.. اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ، وقال لهم الخَزَنَةُ: هذا العذاب الذي كُنْتُمْ بِسَبَبِ إِنْذَارِكُمْ وتخويفكم به، ادَّعَيْتُمْ عَدَمَ البعث، وأنكرْتُمُ البعث.

قوله: (وهذه حِكَايَةُ حَالٍ... إلخ) اسمُ الإشارة عائدٌ على قوله: ﴿﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾﴾.

قوله: ﴿﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ﴾﴾... إلخ ﴿﴿أَرَأَيْتُمْ﴾﴾: بمعنى: أخبروني، تنصَّبَ مفعولين، سَدَّتْ الجملة الشرطيَّةُ مسدَّهما، والمعنى: قل لهم يا مُحَمَّدٌ وَكَانُوا يَتَمَنَّوْنَ موْتَهُ ﷺ: إِنْ أَمَاتَنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِعَذَابِهِ، أَوْ رَحِمْنَا.. فلا فائدة لكم في ذلك، ولا نفع يعود عليكم؛ لأنَّه لا مُجِيرَ لكم من عذاب الله تعالى.

قوله: (كما تَقْصِدُونَ) حذف منه إحدى التاءين؛ أي: تَتَقَصَّدُونَ وتَنْتَظِرُونَ، قال تعالى حِكَايَةَ عَنْهُمْ: ﴿﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ﴾﴾ [الطور: ٣٠].

(١) أي: فلم يقل: (سيئت وجوههم) توصيلاً لذهمهم بالكفر، وتسجيلاً؛ أي: توبيخاً وتحقيقاً حتى لا يتأتى منهم الإنكار.

أَوْ رَحِمْنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا

﴿أَوْ رَحِمْنَا﴾ فلم يُعَذِّبْنَا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾؟ أي: لا مُجِيرَ لَهُمْ مِنْهُ.
 ﴿٢٩﴾ ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ - بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ - عِنْدَ مُعَايِنَةِ الْعَذَابِ
 ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: بَيْنَ، أَنْحَنُ أَمْ أَنْتُمْ أَمْ هُمْ؟
 ﴿٣٠﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾: غَائِرًا فِي الْأَرْضِ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: لا مُجِيرَ لَهُمْ مِنْهُ) أشار بذلك إلى أَنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي، ووضع الظاهر موضع المضمَر؛ تسجيلاً عليهم بالكفر.

قوله: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ﴾ (أي: الذي أدعوكم إلى عبادته وطاعته).

قوله: ﴿ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ (الحكمةُ في تأخير مفعول ﴿ءَامَنَّا﴾، وتقديم مفعول ﴿تَوَكَّلْنَا﴾):
 أَنَّ الْأَوَّلَ وَقَعَ فِي مَعْرَضِ الرَّدِّ عَلَى الْكَافِرِينَ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: آمَنَّا وَلَمْ نَكْفُرْ كَمَا كَفَرْتُمْ، وَالثَّانِي قُدِّمَ مَفْعُولُهُ لِإِفَادَةِ الْحَصْرِ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا نَتَوَكَّلُ عَلَى مَا تَوَكَّلْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالٍ وَرَجَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، بَلْ نَقْصِرُ تَوَكُّلَنَا عَلَى خَالِقِنَا.

قوله: (بالنَّاءِ وَالْيَاءِ) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (عند مُعَايِنَةِ الْعَذَابِ) أي: فِي الْآخِرَةِ.

قوله: (أَنْحَنُ) أشار به إلى أَنَّ ﴿مَنْ﴾ استفهامية مبتدأ، و﴿هُوَ﴾: ضميرُ فصلٍ، وجملة الظرف خبر المبتدأ، والجمله بتمامها سدَّت مسدَّ المفعولين لـ (علم) المعلقة بالاستفهام.

قوله: (أَمْ أَنْتُمْ) راجعٌ لقراءة الخطاب، وقوله: (أَمْ هُمْ) راجعٌ لقراءة الغيبة، فالكلام على التَّوْزِيعِ.

قوله: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ (أي: الكائن في أيديكم، وكان ماؤهم من بثرين: زمزم، وميمون).

قوله: (أي: غائراً) أشار بذلك إلى أَنَّ المصدر مؤوَّل باسم الفاعل.

(١) قرأ الكسائي بعد السين بياء الغيبة نظراً إلى قول الكافرين، والباقون ببناء الخطاب. انظر «السراج المنير» (٤/٣٤٨).

فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ : جَارٍ تَنَالُهُ الْأَيْدِي وَالذَّلَاءُ كَمَا يُكْم؟ أَي : لَا يَأْتِي بِهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى فَكَيْفَ تُنْكِرُونَ أَنْ يَبْعَثَكُمْ؟ وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ الْقَارِئُ عَقِبَ ﴿مَعِينٍ﴾ : اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ. وَتَلَيَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عِنْدَ بَعْضِ الْمُتَجَبِّرِينَ فَقَالَ : تَأْتِي بِهِ الْفُؤُوسُ وَالْمَعَاوِلُ، فَذَهَبَ مَاءُ عَيْنِهِ وَعَمِي، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْجُرْأَةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى آيَاتِهِ.

حاشية الصاوي

قوله : ﴿مَعِينٍ﴾ (مَعِينُونَ) بوزن (مفعول) كـ (مبيع)، نقلت ضمة الياء إلى العين قبلها، فالتقى ساكنان : الياء، والواو، حذفت الواو، وكسرت العين؛ لتصح الياء.

قوله : (أَي : لَا يَأْتِيكُمْ بِهِ إِلَّا اللَّهُ) أَي : فَلِمَ تَشْرَكُونَ بِهِ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَكُمْ بِهِ؟!

قوله : (أَنْ يَقُولَ الْقَارِئُ) أَي : وَلَوْ فِي الصَّلَاةِ.

قوله : (وَعَمِي) عطفٌ تفسيري.

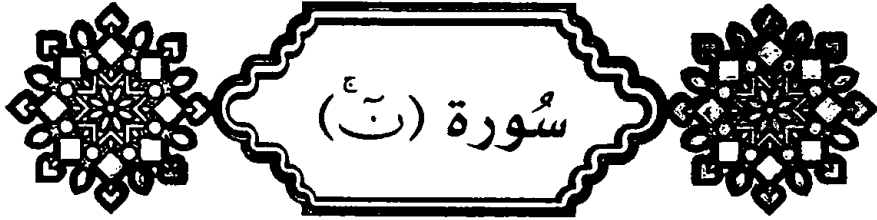
قوله : (مِنَ الْجُرْأَةِ عَلَى اللَّهِ) يقال : اجترأ على القول بالهمز : أَسْرَعَ بِالْهَجُومِ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ

توقف، والاسم : (الْجُرْأَةُ) بوزن (غُرْفَةٌ)، و(جَرَاءَةٌ) بوزن (كَرَاهَةٌ) كما قال المفسر.

ويؤخذ منه : أَنَّ الْعَبْدَ يُوَاخِذُ بِالْكَفْرِ وَلَوْ عَلَى سَبِيلِ الْمَزْحِ.



﴿ت﴾



مَكِّيَّةٌ، اثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿ت﴾ أَحَدُ حُرُوفِ الْهَجَاءِ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِهِ.

حاشية الصاوي

(سورة ت)

وتسمى (سورة القلم).

قوله: (مَكِّيَّة) أي: في قول الجمهور، والقول الآخر: أَنَّ بعضها مَكِّيٌّ، وبعضها مدنيٌّ.

قوله: ﴿ت﴾ يُقْرَأُ بِفَتْحٍ الْإِدْغَامِ مِنْ وَاوِ الْقِسْمِ، وَبِإِدْغَامِهِ، وَهُمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١)، وَهُوَ بِسُكُونِ النُّونِ عِنْدَ السَّبْعَةِ، وَقُرِئَ شَذُوذًا بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ وَالضَّمِّ^(٢).

قوله: (أحد حروف الهجاء) غرضه بهذه العبارة الرَّدُّ عَلَى الْمُخَالَفِ؛ لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ اسْمٌ مُنْقَطِعٌ مِنْ اسْمِهِ (الرحمن) أَوْ (النصير) أَوْ (الناصر) أَوْ (النور)، فَهُوَ كَسَائِرِ حُرُوفِ الْهَجَاءِ الَّتِي أُفْتُتِحَ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ السُّورِ، فَهُوَ مِنَ الْمُتَشَابِهِ.

وقيل: إِنَّهُ الْحَوْتَ الَّذِي عَلَى ظَهْرِهِ الْأَرْضُ، وَعَلَيْهِ: فَحَرْفُ الْقِسْمِ مُقَدَّرٌ، تَقْدِيرُهُ: وَنُونُ وَالْقَلَمِ... إلخ.

قال أصحاب السَّيْرِ وَالْأَخْبَارِ: (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَفَتَّقَهَا سَبْعَ أَرْضِينَ.. بَعَثَ مِنْ تَحْتِ

(١) قَرَأَ الْقَالُونَ وَابْنَ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَحَفْصٌ وَوَرَشٌ بِخِلَافِ عَنْهُ بِإِظْهَارِ النُّونِ عِنْدَ الْوَائِ هُنَا، وَالْبَاقُونَ بِالْإِدْغَامِ. انْظُرْ «السَّراجُ الْمُنِيرُ» (٤/٣٥١).

(٢) قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَأَبُو السَّمَالِ وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ بِكَسْرِ النُّونِ، وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَعِيسَى بِخِلَافِ عَنْهُ بِفَتْحِهَا. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُونُ» (١٠/٣٩٨).

وَالْقَلَمِ

﴿وَالْقَلَمِ﴾ الَّذِي كُتِبَ بِهِ الْكَائِنَاتُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ،

حاشية الصاوي

العرش ملكاً، فهبط إلى الأرض حتّى دخل الأرضين السبع حتّى ضبطها، فلم يكن لِقَدَمِهِ موضع قرار، فأهبط الله تعالى من الفردوس ثوراً له أربعون ألف قرن، وأربعون ألف قائمة، وجعل قرار قدم الملك على سنامِه، فلم تستقرّ قدمه، فأخذ الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة الفردوس، غلظها مسيرة خمس مئة سنة، فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه، فاستقرّ عليها قدما الملك، وقرون ذلك خارجة من أقطار الأرض، ومنخاره في البحر، فهو يتنفس كلّ يوم نفساً، فإذا تنفّس مُدَّ البحر، وإذا ردّ نفسه جَزَرَ البحر، فلم يكن لقوائم الثور قرارٌ، فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سماوات وسبع أرضين، فاستقرّت قوائم الثور عليها، وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه: ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾، فلم يكن للصخرة مستقرٌّ، فخلق الله تعالى نوناً، وهو الحوت العظيم، فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده، قال: والحوت على البحر، والبحر على متن الريح، والريح على القدرة، ف قيل: كلُّ الدنيا بما عليها حرفان، قال لها الجبار سبحانه وتعالى، وتنزّه وتقدّس: كُونِي، فكانت^(١).

قوله: (الذي كتب به الكائنات... إلخ) هذا أحد قولين، والآخر: أن المراد به الجنس، وهو واقع على كلّ قلم يكتب فيه في السماء والأرض، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾  الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿[العلق: ٣-٤]؛ لَأَنَّ الْقَلَمَ نِعْمَةٌ كَالْإِنْسَانِ.

عن ابن عباس: (أول ما خلق الله القلم، ثم قال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، قال: ثمّ ختم فم القلم، فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة، وهو من نور طوله كما بين السماء والأرض)^(٢).

(١) كذا أورده البغوي في «تفسيره» (١٦٨/٨)، ولا يخفى أن هذا وأمثاله من الإسرائيليات التي انتشرت في كتب التفسير، وانظر «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (ص ٣٠٥).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٩٣٦)، وروى أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥) عن سيدنا عبادة بن الصامت لابنه: يا بني؛ إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتّى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، يا بني؛ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا.. فَلَيْسَ مِنِّي».

وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: الملائكة من الخير والصلاح.

﴿٢ - ٤﴾ ﴿مَا أَنْتَ﴾ يا مُحَمَّد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: انتفى الجنون عنك بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها، وهذا ردٌ لقولهم: إنه مجنون، ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: مقطوع، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾: دين عظيم.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الملائكة) يصح أن يراد بهم الملائكة الذين ينسخون المقادير من اللوح المحفوظ، وأن يراد بهم الحفظة الذين يكتبون عمل الإنسان، فأقسم أولاً بالقلم، ثم بسطر الملائكة على ثلاثة أشياء: نفي الجنون عنه، وثبوت الأجر له، وكونه على خلق عظيم، فالمقسم به شيان، أو ثلاثة بزيادة النون على أن المراد به الحوث.

قوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾... إلخ جواب القسم، والباء في ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾: سببية، وفي ﴿بِمَجْنُونٍ﴾: زائدة، و(مجنون): خبر ﴿مَا﴾.

قوله: (وهذا ردٌ لقولهم: مجنون) أي: كما حكاه الله عنهم في قوله: ﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُهَا الَّذِي تَزَلُّ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

قوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: بل هو دائم جارٍ مستمر لا ينقطع، فهو دائماً يترقى في الكمالات، فمقامه بعد وفاته أعظم منه في حال حياته، ومقامه في الآخرة أعلى من مقامه في الدنيا.

قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال ابن عباس: (معناه: على دين عظيم، لا دين أحب إلي ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام)^(١)، وقال الحسن: (هو آداب القرآن)^(٢)؛ بدليل: أن عائشة لما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ.. فقالت: (كان خلقه القرآن)^(٣)؛ ولذا قال قتادة: (هو ما كان يأتمر به من أوامر الله، وينتهي عنه من نهي الله تعالى)^(٤).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/٥٢٩). (٢) رواه البغوي في «تفسيره» (٨/١٨٧).

(٣) رواه بلفظه الإمام أحمد في «المسند» (٤١/١٤٨)، ومسلم (٧٤٦) بلفظ: (إن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن).

(٤) انظر «تفسير القرطبي» (١٨/٢٢٧).

فَسَتَّبِصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ

(٥ - ٦) ﴿فَسَتَّبِصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ - مَصْدَرُ ك (الْمَعْقُولِ) -

أي: الفتون بمعنى الجنون، أي: أليك أم بهم؟

(٧ - ٩) ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ لَهُ، و﴿أَعْلَمُ﴾

بِمَعْنَى عَالِمٍ، ﴿فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ وَدُّوا ﴿لَوْ﴾ - مَصْدَرِيَّةٌ -

حاشية الصاوي

والمعنى: وإنك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن، وهذا أعظم مدح له ﷺ؛ ولذا قال

العارف البوصيري^(١): [البيسط]

فهو الذي تمَّ معناه وصورته ثم اصطفاه حبيباً بارئ النسم

قوله: ﴿فَسَتَّبِصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ أي: فستعلم ويعلمون؛ في الدنيا بظهور عاقبة أمرِك واستيلائك عليهم بالقتل والنهب، ويوم القيامة حيث يتميَّز الحقُّ من الباطل.

قوله: ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ ﴿بِأَيِّكُمْ﴾: خبرٌ مقدَّم، و﴿الْمَفْتُونُ﴾: مبتدأ مؤخَّر، والجملة في محلِّ نصبٍ، تنازعها كلُّ من (تبصر) و(يبصرون)، أهمل الثاني، وأضمر في الأول وحذف؛ لأنَّه فضلة، وليس قوله: ﴿بِأَيِّكُمْ﴾ متعلقاً بـ(يبصرون)؛ لأنَّه معلقٌ بالاستفهام عن العمل.

قوله: (مصدر كالمفعول) أي: جاء على صيغة مفعول؛ ك: المعقول، والميسور.

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾... إلخ) تعليلٌ لما قبله، وتأكيذٌ للوعد والوعيد.

قوله: (له) أي: للسبيل.

قوله: (و﴿أَعْلَمُ﴾ بمعنى «عالم») أشار بذلك إلى أنَّ اسم التفضيل ليس على بابِه، وإلَّا... لاقتضى مشاركة الحادث للقديم، وهو باطل.

قوله: ﴿فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ مرتَّبٌ على ما تقدَّم من اهتدائه ﷺ وضلالهم، أو على جميع ما تقدَّم

من أوَّل السورة.

(١) كما في قصيدته «البردة» المشهورة.

تُذْهِنُ فَيَذْهَبُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطْعَ كُلُّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾

﴿تُذْهِنُ﴾: تَلِينُ لَهُمْ ﴿فَيَذْهَبُونَ﴾: يَلِينُونَ لَكَ، - وهو مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿تُذْهِنُ﴾، وَإِنْ جُعِلَ جَوَابُ التَّمْنَى الْمَفْهُومِ مِنْ ﴿وَذُوا﴾ قُدِّرَ قَبْلَهُ بَعْدَ الْفَاءِ (هُمْ) ..
(١٠ - ١٣) ﴿وَلَا تُطْعَ كُلُّ حَلَّافٍ﴾: كَثِيرِ الْحَلْفِ بِالْبَاطِلِ ﴿مَّهِينٍ﴾: حَقِيرٍ،

حاشية الصاوي

قوله: (تَلِينُ لَهُمْ) أي: بترك نَهْيِهِمْ عن الشرك، أو بآن تَوَافَقَهُمْ فِيهِ أحياناً، وقوله: (يَلِينُونَ لَكَ) أي: يتركون ما هم عليه من الطعن ويوافقونك.
والمعنى: تَمَنَّوْا لو تَرَكْتُمْ بَعْضَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِمَّا يَرْضُونَهُ مُصَانَعَةً لَهُمْ، فَيَفْعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ وَيَتْرَكُوا بَعْضَ مَا لَا تَرْضَى لَهُ، فَتَلِينُ لَهُمْ، وَيَلِينُونَ لَكَ^(١).

قوله: (وهو مَعْطُوفٌ... إلخ) أي: فهو من جملة المَتَمَنَّى، وحينئذٍ: فيكون المَتَمَنَّى شَيْئَانِ، ثَانِيَهُمَا مَسَبَّبٌ عَنِ الْأَوَّلِ.

قوله: (قُدِّرَ قَبْلَهُ بَعْدَ الْفَاءِ «هُمْ») أي: فيكون الجوابُ جُمْلَةً اسْمِيَّةً لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ.
وهذا جوابٌ عَمَّا يُقَالُ: حَيْثُ جُعِلَ قَوْلُهُ: ﴿فَيَذْهَبُونَ﴾ جوابَ التَّمْنَى، وَالْفَاءُ سَبَبِيَّةٌ، فَمَقْتَضَاهُ حَذْفُ النُّونِ لِلنَّاصِبِ، فَأَجَابَ: بِأَنَّ الْفَاءَ دَاخِلَةٌ عَلَى مَبْتَدَأٍ مُقَدَّرٍ، وَجُمْلَةٌ (يَذْهَبُونَ) خَبَرُهُ، وَالجُمْلَةُ جَوَابُ التَّمْنَى.

قوله: ﴿وَلَا تُطْعَ كُلُّ حَلَّافٍ﴾... إلخ) هذه الْأَوْصَافُ مِنْ هُنَا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سَتَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُورِ﴾ نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، وَعَلَيْهِ جَمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ، وَاقْتَصَرَ عَلَيْهِ الْمُفَسِّرُ.
وقيل: فِي الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَعْقُوثَ، وَقِيلَ: فِي الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقٍ، وَقِيلَ: فِي أَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ^(٢).

قوله: (كثير الحلف بالباطل) تَفْسِيرُ مَرَادٍ أَخْذًا لَهُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾، وَمِنْ سِيَاقِ الذَّمِّ، وَالْأَلَّا... فَالْحَلَّافُ: كَثِيرُ الْحَلْفِ؛ بِحَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ.

قوله: (حقير) أي: فِي رَأْيِهِ وَتَدْبِيرِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يُنَافِي أَنَّهُ كَانَ مَعْظَمًا فِي قَوْمِهِ.

(١) وقيل: معناه: وَذُوا لو تَكْفَرُوا فَيَكْفُرُونَ، وَهُوَ أَنْ تَعْبُدَ آلِهَتَهُمْ مُدَّةً، وَيَعْبُدُونَ اللَّهَ مُدَّةً. انظر «تفسير الخازن» (٤/٣٢٥).

(٢) انظر الأقوال في «تفسير الطبري» (٢٣/٥٨٣)، و«تفسير القرطبي» (١٨/٢٣١).

هَمَّازٍ مَشَّامٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾

﴿هَمَّازٍ﴾ : عِيَابُ أَي : مُغْتَابٍ ﴿مَشَّامٍ بِنَمِيمٍ﴾ : سَاعٍ بِالكَلَامِ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى وَجْهِ الْإِفْسَادِ بَيْنَهُمْ، ﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ : بَخِيلٍ بِالمَالِ عَنِ الْحُقُوقِ، ﴿مُعْتَدٍ﴾ : ظَالِمٍ ﴿أَثِيمٍ﴾ : أَثِمٍ، ﴿عُتْلٍ﴾ : غَلِيظٍ جَافٍ ﴿بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ : دَعِيٍّ فِي قُرَيْشٍ، وَهُوَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، ادَّعَاهُ أَبُوهُ بَعْدَ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ وَصَفَ أَحَدًا بِمَا وَصَفَهُ بِهِ ...
حاشية الصاوي

قوله : (عِيَاب) أَي : كثير العيب للناس، بمعنى : أنه يعيبهم في حضورهم أو غيبتهم، وقوله : (أَي : مغتاب) المناسب كما في بعض النسخ أن يقول : (أو مغتاب)، فيكون تفسيراً ثانياً؛ من الغيبة، وهي ذكرك أخاك بما يكره. وقيل : الهَمَّاز : الذي يَهْمُزُ النَّاسُ بِيَدِهِ وَيَضْرِبُهُمْ.

قوله : ﴿بِنَمِيمٍ﴾ متعلق بـ﴿مَشَّامٍ﴾، والنَّمِيم مصدر (كالنميمة)، أو اسم جنس للنميمة.

قوله : ﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ (أَي : من نفسه وغيره).

قوله : (عن الحقوق) أَي : الواجبة والمندوبة.

قوله : (ظالم) أَي : يتعدى الحق.

قوله : ﴿أَثِيمٍ﴾ (أَي : فاجر يتعاطى الإثم).

قوله : (غليظ) أَي : في الطبع أو الجسم، وقوله : (جاف) أَي : قاسي القلب، وقيل : العُتْلُ الذي يَعْتَلِ المناهي؛ أَي : يحملهم ويجرهم إلى ما يكرهون؛ من حبسٍ وضربٍ، ومنه : ﴿حَدُّوهُ فَأَعْتَلُوهُ﴾ [الدخان : ٤٧].

قوله : ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ (أَي : ما ذكر من الأوصاف السابقة، وهي ثمانية).

و(بعد) هنا ك(ثم) التي هي للتراخي في الرتبة، والمعنى : أَنَّ هَذَا الوصف وهو (زَنِيم) متأخر في الرتبة والشناعة عن الصفات السابقة؛ أَي : هو أشنع منها وأقبح.

قوله : ﴿زَنِيمٍ﴾ (الرَّزْمَةُ فِي الْأَصْلِ : شَيْءٌ يَكُونُ لِلْمَعَزِ فِي أُذُنِهَا كَالْقُرْطِ، فَأُطْلِقَ عَلَى الْمُسْتَلْحَقِ فِي قَوْمٍ لَيْسَ مِنْهُمْ، فَكَأَنَّهُ فِيهِمْ زَنْمَةٌ).

قوله : (ادَّعَاهُ أَبُوهُ) أَي : وهو المغيرة، والمعنى : تَبَّاهُ وَنَسَبَهُ لِنَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ لَا يُعْرِفُ لَهُ أَبٌ.

قوله : (بعد ثمانى عشرة سنة) أَي : من ولادته، ولَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ .. قَالَ لِأُمِّهِ : إِنَّ مُحَمَّدًا وَصَفَنِي بِتِسْعِ صِفَاتٍ أَعْرِفُهَا غَيْرَ التَّاسِعِ مِنْهَا، وَإِنْ لَمْ تَصْدُقْنِي الْخَبَرَ .. ضَرَبْتُ عُنُقَكَ، فَقَالَتْ لَهُ :

أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

من العيوب، فالحق به عاراً لا يفارقه أبداً. - وتعلق بـ ﴿زَيْنٍ﴾ الظرف قبله. -
 (١٤ - ١٦) ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ أي: لأن - وهو متعلق بما دل عليه - ﴿إِذَا
 تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا﴾: القرآن ﴿قَالَ﴾: هي ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: كَذَّبَ بِهَا لِإِنْعَامِنَا عَلَيْهِ
 حاشية الصاوي

إِنَّ أَبَاكَ عَيْنٌ، فخفضت على المال، فمكنت الراعي من نفسي، فانت منه، فلم يعرف أنه ابن زناً
 حتى نزلت الآية.

وإنما ذم بذلك؛ لأنَّ الغالب أنَّ النطفة إذا خُبِتْ خُبْتُ الولد؛ لما روي في الحديث: «لا يدخل
 الجنة ولد زناً، ولا ولده، ولا ولد ولده»^(١)، وورد: «أنَّ أولاد الزنا يُحشرون يوم القيامة في صور
 القردة والخنازير»^(٢)، وورد: «لا تزال أمتي بخير ما لم يَفْش فيهم ولد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد
 الزنا.. أوشك أن يعمهم الله بعذابه»^(٣)، وقال عكرمة: «إذا كثر ولد الزنا.. قحط المطر»^(٤).
 قوله: (من العيوب) بيان لـ (ما).

قوله: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ﴾... إلخ) سيأتي في (المدثر) الكلام على ماله وبنيه^(٥).
 قوله: (وهو متعلق بما دل عليه... إلخ) أي: وقد بيَّنه بقوله: (أي: كَذَّبَ بِهَا)، ولا يصحُّ
 أن يكون معمولاً لفعل الشرط؛ لأنَّ (إذا) تضاف للجمله بعدها، والمضاف إليه لا يعمل فيما قبل
 المضاف، ولا يصحُّ أن يكون معمولاً لجواب الشرط؛ لأنَّ ما بعده أداة الشرط لا يعمل فيما قبلها.
 قوله: ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ﴾) جمع أسطورة؛ ك: أكاذيب جمع أكذوبة، وزناً ومعنى.

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/٣٠٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وروى النسائي في «السنن الكبرى» (٤٩٠٨)
 من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنه قال: (لا يدخل الجنة ولد زناً ولا الثاني ولا الثالث)، ولعل مراده: الدخول
 مع السابقين، وإلا.. فمَن مات مسلماً دخل الجنة.

(٢) أورده الخطيب في «السراج المنير» (٤/٣٥٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٤/٤١٣) عن سيدتنا ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها.

(٤) أورده الخطيب في «السراج المنير» (٤/٣٥٦)، وفي «فوائد تمام» (١٦٤٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنه: (وإذا كثر
 الزنا.. كان الموت).

(٥) انظر (٧/٢٤٢).

سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ

بِمَا ذُكِرَ . - وفي قراءة: (أَنَّ) بهمزيّين مَفْتُوحَتَيْنِ - ﴿سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾: سَنَجْعَلُ عَلَى أَنْفِهِ عَلامَةً يُعَيِّرُ بِهَا مَا عَاشَ، فَخُطِمَ أَنْفُهُ بِالسَّيْفِ يَوْمَ بَدْرٍ.

(١٧ - ١٨) ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾: امْتَحَنَّا أَهْلَ مَكَّةَ بِالْقَحِطِ وَالْجُوعِ

حاشية الصاوي

قوله: (بما ذكر) أي: من المال والبَين.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعة: (أَنَّ) بهمزيّين مَفْتُوحَتَيْنِ، الأولى همزة الاستفهام التوبيخي، والثانية همزة (أَنْ) المصدرية، واللام مقدّرة، والمعنى: أكذب بها لأنَّ كان ذا مال وبَينين؛ أي: لا ينبغي ولا يليق ذلك منه؛ لأنَّ المال والبَين من النعم، فكان ينبغي مقابلتهما بالشكر، وقراءة الاستفهام فيها التحقيق من غير ألف، والتسهيل مع إدخال ألف وتركه^(١).

قوله: ﴿عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ عبّر به؛ استهزاءً بهذا اللعين؛ لأنَّ الخرطوم أنفُ السباع، وغالب ما يُستعمل في أنف الفيل والخنزير.

قوله: (فخطم أنفه) أي: جرح أنف هذا اللعين يومَ بدرٍ، فبقي أثرُ الجرح في أنفه بقيّةَ عمره.

قوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْبَنَةِ﴾ هي بستانٌ باليمن، يقال له: الصَّرْوَانُ، دون صنعاء بفرسخين، وكان صاحبه ينادي الفقراء وقتَ الجذاذ، ويترك لهم ما أخطأ المنجل من الزرع، أو ألقته الريح، أو بُعدَ عن البساط الذي يُبسط تحت النَّخل، وكان يجتمع لهم من ذلك شيءٌ كثيرٌ، فلمّا مات... ورثه بنوه، وكانوا ثلاثة، وشحّوا بذلك، وقالوا: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا... ضاق علينا الأمر، ونحن ذوو عيال، فحلفوا على أن يجذوه قبل الشمس حتّى لا تأتي الفقراء إلّا بعد فراغهم، وكانت قصّتهم بعد عيسى بن مريم بزمانٍ يسير^(٢).

قوله: (بالقحط) أي: وهو احتباس المطر الذي دعا به ﷺ عليهم حتّى أكلوا الجيفة^(٣).

(١) قرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر بالاستفهام، وباقي السبعة بالخبر، فقرأ حمزة وأبو بكر بتحقيق الهمزتين وعدم إدخال ألف بينهما، وهذا هو أصلهما، وقرأ ابن ذكوان بتسهيل الثانية وعدم إدخال ألف، وهشام بالتسهيل المذكور إلّا أنه أدخل ألفاً بينهما. انظر «الدر المصون» (١٠/٤٠٥).

(٢) انظر قصّتهم في «تفسير أبي السعود» (١٤/٩).

(٣) كما رواه البخاري (١٠٢٠)، ومسلم (٢٧٩٨) عن سيدنا ابن مسعود ﷺ قال: (إن قريشاً أبطؤوا عن الإسلام، فدعا عليهم النبي ﷺ، فأخذتهم سنة حتّى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام).

كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾

﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾: البُستانِ ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا﴾: يَقْطَعُونَ ثَمَرَتَهَا ﴿مُصْبِحِينَ﴾: وقتَ الصُّباحِ
كَي لَا يَشْعُرَ بِهِمُ الْمَسَاكِينُ، فلا يُعْطَوْنَهُمْ مِنْهَا ما كانَ أبُوهُمْ يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْهَا، ﴿وَلَا يَسْتَنْوُونَ﴾ في يَمِينِهِمْ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى. - وَالْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ، أَي: وَشَأْنُهُمْ ذَلِكَ..

(١٩ - ٢٢) ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾: نارٌ أَحْرَقَتْهَا لَيْلاً ﴿وَهُمْ نَائِبُونَ﴾ ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾: كاللَّيْلِ الشَّدِيدِ الظُّلْمَةِ، أَي: سَوْدَاءَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ الكاف: في موضع نصب نعت لمصدرٍ محذوفٍ، و(ما): مصدرية، أو بمعنى (الذي).

قوله: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾ ﴿إِذْ﴾: تعليلية متعلقة بـ ﴿بَلَوْنَا﴾، والمراد: مُعْظَمُهُمْ، وإلا... فالأوسط نهاهم عن ذلك وقال لهم: اصنعوا من الإحسان ما كان يصنعه أبوكم.

قوله: (يقطعون) أي: فالصَّرمُ: القطع، والانصرام: الانقطاع.

قوله: ﴿مُصْبِحِينَ﴾ حال من فاعل ﴿يَصْرِمُنَّهَا﴾، وهو من (أصبح) التامة؛ أي: داخلين في الصباح.

قوله: (فلا يُعْطَوْنَهُمْ) معطوف على النفي؛ ولذا رُفِعَ، لا على المنفي؛ لفساد المعنى.

قوله: (ما كان أبوهم) أي: القدر الذي كان أبوهم... إلخ، وتقدم بيانه.

قوله: (بمشيئة الله تعالى) أي: لا يقولون في يمينهم: إن شاء الله، وقيل: لا يستنون شيئاً للمساكين.

قوله: (والجملة مستأنفة) أي: وجوز بعضهم الحالية، وهي أظهر في المعنى، وإنما عدل المفسر عنه؛ لأنَّ المضارع المنفي بـ(لا) كالمثبت؛ في أنه لا يقع حالاً مقروناً بالواو إلا بإضمار مبتدأ، وفيه كلفة.

قوله: ﴿وَهُمْ نَائِبُونَ﴾ الجملة الحالية.

قوله: (كالليل) سمي الليل صريماً؛ لانصرامه وانفصاله من النهار، كما يسمي النهار صريماً أيضاً؛ لانفصاله عن الليل.

فَنَادَا مُصِيبِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلِقُوا وَهَرَّ يَنْخَفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا عَلَى حَرِّ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ ﴿٢٦﴾

﴿فَنَادَا مُصِيبِينَ﴾ (٢١) أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ: غَلَّتِكُمْ - تَفْسِيرُ (تَنَادَا)، أَوْ ﴿أَنْ﴾ مَصْدَرِيَّةٌ أَيْ: بِأَنْ - ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ﴾: مُرِيدِينَ الْقَطْعَ. - وَجَوَابُ الشَّرْطِ دَلٌّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ. -
(٢٣ - ٢٧) ﴿فَأَنْطَلِقُوا وَهَرَّ يَنْخَفَتُونَ﴾: يَتَسَارُونَ، ﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ - تَفْسِيرُ لِمَا قَبْلَهُ، أَوْ ﴿أَنْ﴾ مَصْدَرِيَّةٌ أَيْ: بِأَنْ - ﴿وَعَدُوا عَلَى حَرِّ﴾: مَنَعَ لِلْفُقَرَاءِ ﴿قَدِيرٍ﴾ عَلَيْهِ فِي ظَنِّهِمْ، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ سَوْدَاءَ مُحْتَرِقَةٍ ﴿قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ﴾ عَنْهَا، أَيْ: لَيْسَتْ هَذِهِ، ثُمَّ قَالُوا لَمَّا عَلِمُوهَا:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَنَادَا﴾ معطوف على ﴿أَقْسَمُوا﴾، وما بينهما اعتراض.

قوله: ﴿مُصِيبِينَ﴾ حال.

قوله: ﴿أَنْ أَغْدُوا﴾ أي: بَكَّرُوا وَقْتَ الْغَدْوِ، وَعَدَّاهُ (على)؛ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى (أَقْبَلُوا).

قوله: (تفسير للتنادي) أي: ف(أَنْ) بمعنى (أي).

قوله: (دَلٌّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ) أي: وتقديره: فاغْدُوا.

قوله: ﴿فَأَنْطَلِقُوا﴾ معطوف على ﴿فَنَادَا﴾، وقوله: ﴿وَهَرَّ يَنْخَفَتُونَ﴾: حال.

قوله: ﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا﴾... إلخ أصل الكلام: أَلَّا تُدْخِلُوهَا مَسْكِينًا، فَأَوْقَعَ النَّهْيَ عَلَى دُخُولِ الْمَسَاكِينِ؛ لِأَنَّهُ أَبْلَغُ؛ لِأَنَّ دُخُولَهُمْ أَعْمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ بِإِدْخَالِهِمْ أَوْ بِدُونِهِ.

قوله: ﴿وَعَدُوا﴾ أي: سَارُوا إِلَيْهَا غَدْوَةً، وقوله: ﴿قَدِيرٍ﴾: خبر (غدوا) إن كان بمعنى (أصبح) الناقصة، وإن كانت تامة.. يكون منصوباً على الحال.

قوله: ﴿عَلَى حَرِّ﴾ الحَرْدُ فِيهِ أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ، أَشْهَرُهَا: مَا قَالَهُ الْمُفَسِّرُ، وَمِنْهَا: أَنَّ مَعْنَاهُ: الْغَضَبُ، وَمِنْهَا: السَّنَةُ الَّتِي قَلَّ مَطَرُهَا.

قوله: (في ظنهم) أي: وأما في الواقع.. فليس كذلك؛ لِهَلَاكِ الثَّمَرِ عَلَيْهِمْ لَيْلًا.

قوله: ﴿قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ﴾ أي: قَالُوا ذَلِكَ فِي بَادِي الرَّأْيِ.

قوله: (لَمَّا عَلِمُوهَا) أي: بعد التأمل والتفتيش.

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ أَكُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾
فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَوْنَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنْ أَكُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنْهَا
إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ثَمَرَتَهَا بِمَنْعِنَا الْفُقَرَاءَ مِنْهَا.

(٢٨ - ٣٢) ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ : خَيْرُهُمْ : ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا﴾ : هَلَّا ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ : اللَّهُ تَائِبِينَ ؟
﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ أَكُنَّا ظَالِمِينَ﴾ : بِمَنْعِ الْفُقَرَاءِ حَقَّهُمْ ، ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَوْنَ﴾ ﴿٣٠﴾ قَالُوا
يَا - لِلتَّيْبَةِ - ﴿وَلَنَّا﴾ : هَلَاكُنَا ﴿إِنْ أَكُنَّا طَٰغِينَ﴾ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا - بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ -
﴿خَيْرًا مِّنْهَا إِنْهَا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ لِيَقْبَلَ تَوْبَتَنَا وَيُرَدَّ عَلَيْنَا خَيْرًا مِنْ جَنَّتِنَا ، رُويَ أَنَّهُمْ أُبْدِلُوا خَيْرًا
مِنْهَا .

حاشية الصاوي

قوله : (بِمَنْعِنَا) الباء : سببية .

قوله : (خَيْرُهُمْ) أي : رأياً وعقلاً ونفساً ، أنكر عليهم بقوله : ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ...﴾ إلخ ، ومفعوله محذوف ؛ أي : ألم أقل لكم : إن ما فعلتموه لا يرضى به الله .

قوله : (هَلَّا ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ الله) أي : تَسْتَغْفِرُونَهُ وَتَتَوَبُّونَ إِلَيْهِ مِنْ خَبَثِ عَزْمِكُمْ .

قوله : (﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾) أي : فامْتثلوا وتابوا .

قوله : (﴿يَتْلَوْنَ﴾) أي : يَلُومُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُمْ سَابِقاً .

قوله : (هَلَاكُنَا) أي : إن لم يعفُ عَنَّا رَبُّنَا . . فقد حَضَرَ هَلَاكُنَا .

قوله : (﴿عَسَىٰ رَبُّنَا﴾) رجوعٌ مِنْهُمْ إِلَى الرَّجَاءِ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ بَعْدَ التَّوْبَةِ .

قوله : (بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ) قراءتان سبعيتان^(١) .

قوله : (رُويَ أَنَّهُمْ أُبْدِلُوا... إلخ) أي : فأمر الله جبريل أن يَقْتُلَ تِلْكَ الْجَنَّةَ الْمُحْتَرَقَةَ ، فَيَجْعَلَهَا
بَرْزَخاً - بِالزَّايِ وَالغَيْنِ الْمُعْجَمَتَيْنِ : بِلَدَةٍ بِالشَّامِ ، بِهَا عَيْنٌ ، غَوْرٌ مَائِهَا عَلَامَةُ خُرُوجِ الدَّجَالِ - وَيَأْخُذُ
مِنْ الشَّامِ جَنَّةً ، فَيَجْعَلُهَا مَكَانَهَا .

(١) قرأ نافع وأبو عمرو بفتح الباء الموحدة وتشديد الدال ، والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال . انظر «السراج

كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾

﴿٣٣﴾ ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل العذاب لهؤلاء ﴿الْعَذَابُ﴾ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَنَا مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ، ﴿وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ عَذَابُهَا مَا خَالَفُوا أَمْرَنَا.

﴿٣٤﴾ - ﴿٣٦﴾ وَنَزَلَ لَمَّا قَالُوا: إِنْ بُعِثْنَا نُعْطَى أَفْضَلَ مِنْكُمْ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾

حاشية الصاوي

قال ابن مسعود: (إِنَّ الْقَوْمَ أَخْلَصُوا، وَعَلِمَ اللَّهُ مِنْهُمْ الصِّدْقَ، فَأَبْدَلَهُمْ جَنَّةً يُقَالُ لَهَا: الْحَيَوَانُ، فِيهَا عِنَبٌ يَحْمِلُ الْبَغْلُ مِنْهُ عِنَقُوداً وَاحِداً)، وقال اليمانيُّ أبو خالد: (دَخَلَتْ تِلْكَ الْجَنَّةُ فَرَأَيْتُ مِنْهَا مَحَلَّ الْعِنَقُودِ كَالرَّجُلِ الْقَائِمِ الْأَسْوَدِ)^(١).

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ خبرٌ مُقَدَّمٌ، و﴿الْعَذَابُ﴾: مبتدأ مؤخر.

قوله: (أي: مثل العذاب لهؤلاء) أي: الذي بَلَّوْنَا بِهِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ؛ مِنْ إِهْلَاكِ مَا كَانَ عَنْدهُمْ يَحْصِلُ لِأَهْلِ مَكَّةَ.

قال ابن عباس: (هَذَا مِثْلُ أَهْلِ مَكَّةَ حِينَ خَرَجُوا إِلَى بَدْرٍ، وَحَلَفُوا لَيَقْتُلُونَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى مَكَّةَ، وَيَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ، وَيَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَتَضْرِبُ الْقَيْنَاتُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، فَأَخْلَفَ اللَّهُ ظَنَّهُمْ، فَقَتَلُوا وَأَسْرَوْا وَانْهَزَمُوا كَأَهْلِ هَذِهِ الْجَنَّةِ لَمَّا خَرَجُوا عَازِمِينَ عَلَى الصَّرَامِ، فَخَابُوا، وَضَاعَتْ صَفَقَتُهُمْ)^(٢)، وَفِيهِ تَلَطُّفٌ بِأَهْلِ مَكَّةَ؛ حَيْثُ ضَرَبَ لَهُمُ الْمِثْلَ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا لَا يَخْفَى.

قوله: (وَنَزَلَ لَمَّا قَالُوا... إلخ) ظاهره: أَنَّ قَوْلَهُمْ سَبَبُ نَزُولِ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ... إلخ﴾، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلِ الْآيَةُ سَبَبُ لِقَوْلِهِمُ الْمَذْكُورِ، فَلَمَّا صَدَرَ مِنْهُمْ ذَلِكَ الْقَوْلُ... نَزَلَ رَدًّا عَلَيْهِمْ: ﴿أَفْتَجَلُ السُّلَيْمِ... إلخ﴾.

قال مقاتل: لما نزل: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ... إلخ﴾.. قَالَ كُفَّارُ مَكَّةَ لِلْمُسْلِمِينَ: إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَنَا عَلَيْكُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنْ لَمْ يَحْصُلِ التَّفْضِيلُ... فَلَا أَقْلَ مِنَ الْمَسَاوَاةِ، فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿أَفْتَجَلُ السُّلَيْمِ... إلخ﴾^(٣).

قوله: ﴿جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ أَضْيِفَتْ إِلَى (النَّعِيمِ)؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا النَّعِيمُ الْخَالِصُ الَّذِي لَا يَشُوبُهُ كَدْرٌ وَلَا نَقْصٌ كَجَنَّاتِ الدُّنْيَا.

(١) أورد القولين القرطبي في «تفسيره» (٢٤٥/١٨).

(٢) أورد القرطبي في «تفسيره» (٢٤٦/١٨).

(٣) انظر «السراج المنير» (٣٢٤/٤).

أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾

أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ أي: تابعين لهم في العطاء؟ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟!

(﴿٣٧﴾ - ﴿٣٩﴾) ﴿أَمْ﴾ أي: بل أ﴿لَكُمْ كِتَابٌ﴾ مُنْزَلٌ ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أي: تَقْرُؤُونَ؟ ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾) الهمزة داخلية على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين؟ وفي العبارة قلب، والأصل: أفنجعل المجرمين كالمسلمين؛ لأنهم جعلوا أنفسهم كالمسلمين بل أفضل، فحيثُ: يكون الإنكار متوجهاً لجعلهم المذكور.

وقد ويُخَوِّا باستفهامات سبعة تنتهي لقوله: ﴿أَمْ لَمْ شُرَكَاؤُكُمْ﴾، أولها: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ﴾، ثانيها: ﴿مَا لَكُمْ﴾، ثالثها: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، رابعها: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾... إلخ، خامسها: ﴿أَمْ لَكُمْ آيَاتُنْ﴾... إلخ، سادسها: ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ﴾... إلخ، سابعها: ﴿أَمْ لَمْ شُرَكَاؤُكُمْ﴾... إلخ.

قوله: (أي: تابعين لهم في العطاء) المناسب أن يقول: (أي: مُساوين لهم في العطاء). بقي أن الآية إنما دلّت على نفي المساواة، مع أن المشركين ادّعوا الأفضليّة فلم تحصل الموافقة!

أجيب: بأنّها دلّت على نفي الأفضليّة بالأوّل؛ لأنّه إذا انتفت المساواة.. فالأفضليّة أولى. قوله: (﴿مَا لَكُمْ﴾) مبتدأ وخبر، والمعنى: أي شيء ثبت واستقرّ لكم من هذه الأحكام البعيدة عن الصواب؟

قوله: (﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾) جملة أخرى، فالوقف على ﴿لَكُمْ﴾، واستفيد من هذه الجملة: السؤال عن كيفية الحكم؛ هل هو عن عقل أو لا؟

قوله: (﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾) ﴿أَمْ﴾: مُنْقَطِعَةٌ تَفْسَّرُ بِ(بل) والهمزة، ف(بل) للإضراب الانتقالي، والهمزة للاستفهام التوبيخيّ التقريريّ، وكذا يُقال فيما يأتي.

قوله: (﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾) ﴿لَكُمْ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾ مقدّم، و(ما): اسمها مؤخر، واللام

أَمْ لَكُمْ أَيْمَنُ عَلَيْنَا بِلَعْنَةِ إِلَى يَوْمِ الْفَيْمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ ...

تَخْتَارُونَ، ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَنُ﴾: عُهُود ﴿عَلَيْنَا بِلَعْنَةِ﴾: وَائِقَةٌ ﴿إِلَى يَوْمِ الْفَيْمَةِ﴾ - مُتَعَلِّقٌ مَعْنَى بِ﴿عَلَيْنَا﴾، وَفِي هَذَا الْكَلَامِ مَعْنَى الْقَسَمِ أَيْ: أَقْسَمْنَا لَكُمْ، وَجَوَابُهُ - ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ بِهِ لِأَنْفُسِكُمْ.

(٤٠ - ٤١) ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ﴾ الْحُكْمَ الَّذِي يَحْكُمُونَ بِهِ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ أَنْهُمْ يُعْطَوْنَ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿زَعِيمٌ﴾: كَفِيلٌ لَهُمْ؟

حاشية الصاوي

للتوكيد، وهذه الجملة هي المدروسة في الكتاب، فهي في المعنى مفعول لـ ﴿تَدْرُسُونَ﴾، وكُسِرَتْ همزة (إِنَّ)؛ لوقوع اللام المعلقة للفعل عن العمل بعدها^(١)، قال ابن مالك^(٢): [الرجز]

وكسروا مِنْ بَعْدِ فَعْلٍ عُلِّقَا بِالْلامِ، كاعْلَمْ إِنَّهُ لَذُو نَقَى

قوله: (تختارون) أي: تشتهون وتطلبون.

قوله: (عهود) أي: مؤكدة بالآيمان؛ لأنَّ العهد كلامٌ مؤكَّدٌ بالقسم.

قوله: ﴿بِلَعْنَةِ﴾ بالرفع في قراءة العامة، نعت لـ ﴿أَيْمَنُ﴾، وقرئ شذوذاً بالنصب على الحال؛ إمَّا من ﴿أَيْمَنُ﴾، أو من الضمير في ﴿عَلَيْنَا﴾^(٣).

قوله: (متعلقٌ معنَى بِ﴿عَلَيْنَا﴾) أي: متَّصِلٌ بِهِ، وليس المراد التعلُّقُ الصَّنَاعِيُّ؛ فَإِنَّهُ مُخْتَصَّصٌ بِالْفِعْلِ، أو ما فيه رائحة الفعل، أو بالمقدَّر في الظرف^(٤).

قوله: (وفي هذا الكلام) أي: قوله: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَنُ...﴾ إلخ.

قوله: (أَقْسَمْنَا لَكُمْ) مفعوله محذوف؛ أي: أَقْسَمْنَا لَكُمْ أَيْمَانًا مَوْثِقَةً.

قوله: ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ﴾... إلخ ﴿سَلِّمُوا﴾ يَنْصِبُ مَفْعُولَيْنِ: الْأَوَّلُ: الضمير المتصل، والثاني: جملة ﴿أَيْمَنُ﴾، و(أي): مبتدأ، و﴿زَعِيمٌ﴾: خبره، و﴿بِذَلِكَ﴾ متعلق بـ ﴿زَعِيمٌ﴾.

(١) ودخله التعليق وإن لم يكن من أفعال القلوب؛ لِيَتَضَمَّنَهُ مَعْنَى الْحُكْمِ. «فتوحات» (٤٠٥/٤) نقلاً عن العلامة الأجهوري.

(٢) كما في «الخلاصة»، باب: (إن وأخواتها).

(٣) وبالنصب قرأ زيد بن علي والحسن. انظر «الدر المصون» (٤١٥/١٠).

(٤) في (ط) زيادة: (أي: هي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة، ولا تخرج عن عهدها إلا يومئذ إذا حكمناكم).

أَمْ لَّهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ

﴿أَمْ لَّهُمْ﴾ أي: عندهم ﴿شُرَكَاءُ﴾ مُوَافِقُونَ لَهُمْ فِي هَذَا الْمَقُولِ يَكْفُلُونَ بِهِ لَهُمْ؟ فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ الْكَافِلِينَ لَهُمْ بِهِ ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

(٤٢ - ٤٣) اذْكُرْ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، يُقَالُ: كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقٍ: إِذَا اشْتَدَّ الْأَمْرُ فِيهَا،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَمْ لَّهُمْ شُرَكَاءُ﴾ ﴿لَهُمْ﴾: خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، وَ﴿شُرَكَاءُ﴾: مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مَعْطُوفَةٌ مَعْنَى عَلَى جُمْلَةٍ (أَيُّهُمْ زَعِيمٌ) ^(١).

وَاخْتَلَفَ فِي الشُّرَكَاءِ؛ فَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِمْ: نَاسٌ يُشَارِكُونَهُمْ فِي الْقَوْلِ الْمَذْكُورِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِمْ: الْأَصْنَامُ، وَكَلَامُ الْمَفْسَّرِ مُحْتَمَلٌ لِهَاجِئِهِ.

قوله: (يَكْفُلُونَ لَهُمْ بِهِ) أي: بِصَحَّتِهِ وَنَفُوذِهِ.

قوله: ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ شَرْطٌ حُذِفَ جَوَابُهُ؛ لِإِدْلَالِهِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ ^(٢).

قوله: (نَاصِبُهُ «اذْكُرْ») أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿يَوْمَ﴾ مَعْمُولٌ لِمَحْذُوفٍ، وَالْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ، لَا تَعْلُقُ لَهَا بِمَا قَبْلُهَا، وَهَذَا أَحَدُ قَوْلَيْنِ، وَالْآخَرُ: أَنَّ الظَّرْفَ مُتَعَلِّقٌ بِ(يَأْتُوا)، وَالْمَعْنَى: فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَنْفَعَهُمْ وَتَشْفَعْ لَهُمْ.

قوله: (هُوَ عِبَارَةٌ) أي: هَذَا التَّرْكِيبُ، وَهُوَ ﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ كِنَايَةٌ عَنِ الشَّدَّةِ، فَأَصْلُ هَذَا الْكَلَامِ يُقَالُ لِمَنْ شَمَّرَ عَنْ سَاقِهِ عِنْدَ الْعَمَلِ الشَّاقِّ، وَيُقَالُ إِذَا اشْتَدَّ الْأَمْرُ فِي الْحَرْبِ: كَشَفَ الْحَرْبُ عَنْ سَاقٍ، وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: (إِذَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ.. فَاتَّبِعُوهُ فِي الشُّعْرِ؛ فَإِنَّهُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الشَّاعِرِ: [الرجز]

سَنَ لَنَا قَوْمُكَ ضَرْبَ الْأَعْنَاقِ وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقٍ) ^(٣)

(١) أي: فكأنه قيل: هل فيهم كفايل بصحة ذلك القول، أو هل لهم مشارك من غيرهم يُساعدهم على صحته؟ «فتوحات» (٤٠٥/٤).

(٢) وقد نبّه سبحانه وتعالى في هذه الآيات على نفي جميع ما يُمكن أن يتشبثوا به؛ من عقلٍ أو نقلٍ يدل عليه الاستحقاق أو وعدٍ أو محضٍ تقليدٍ، على الترتيب؛ تنبيهاً على مراتب النظر، وتزييفاً لما لا سند له. «تفسير البيضاوي» (٢٣٦/٥).

(٣) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٤٦)، وفيه: (فاتبغوه) بدل (فاتبعوه)، وانظر «معترك الأقران» (ص ١١٥).

حاشية الصاوي

وقال الآخر^(١): [الطويل]

أَلَا رَبُّ سَاهِي الطَّرْفِ مِنْ آلِ مَازِنٍ إِذَا شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا
 وقيل: المراد الحقيقة، وعليه فاختُلف؛ ف قيل: يكشف عن ساق جهنم، وقيل: عن ساق
 العرش، وقيل: يكشف لهم الحجاب، فيرون الله تعالى؛ ففي «مسلم» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:
 أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ
 تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ بِالظَّهْرِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا الْقَمَرِ لَيْلَةً الْبَدْرِ
 صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَا أَحَدِهِمَا؛ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.. أَذُنٌ مُؤَدَّنٌ: لَتَتَّبِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ،
 فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا مَنْ
 كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغَبَرٍ أَهْلِ الْكِتَابِ^(٢)، فَتُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا:
 كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنِ اللَّهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطَشْنَا
 يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرُدُّونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ؛ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحِطُّ بِبَعْضِهَا بَعْضًا،
 فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ.

ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ:
 كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطَشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا،
 فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرُدُّونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحِطُّ بِبَعْضِهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ.
 حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ.. أَتَاهُمْ اللَّهُ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ النَّبِيِّ رَأَوْهُ
 فِيهَا، قَالَ: فَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا؛ فَارْقُنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرًا
 مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، لَا نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مَرَّتَيْنِ
 أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ،
 فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ؛ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى
 مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءَ وَرِيَاءٍ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً؛ كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ،

(١) البيت لجبرير كما في «ديوانه» (ص ٢٣٠)، وفيه (سامي) بدل (ساهي).

(٢) قوله: (غبر أهل الكتاب): معناه: بقاياهم، جمع (غابر).

حاشية الصاوي

ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْه فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. ثُمَّ يُضْرَبُ الْجَسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحُلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: االلَّهُمَّ؛ سَلِّمْ سَلِّمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضُ مَزْلَقَةٍ، فِيهَا خَطَاطِيفٌ وَكَلَالِبُ وَحَسَكَةٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ، فِيهَا سُوءُكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانِ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمُكَرَّدَسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِيفَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ هُمْ فِي النَّارِ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا؛ كَانُوا بِصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ وَيُحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مِنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نَصْفِ سَاقِهِ، وَإِلَى رَكَبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا؛ مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: ارْجِعُوا؛ فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ.. فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا؛ لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، ثُمَّ يَقَالُ: ارْجِعُوا؛ فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ.. فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا؛ لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقَالُ: ارْجِعُوا؛ فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ.. فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا؛ لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا».

وكان أبو سعيد يقول: إن لم تُصدّقوني بهذا الحديث.. فاقروا إن شئتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

فيقول الله عز وجل: «شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبُضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حَمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيُخْرِجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ^(١)، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ - أَوْ إِلَى الشَّجَرِ - مَا تَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْفَرُ أَوْ أَحْيَضُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضُ؟ قَالَ: فَيُخْرِجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ، فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، هَؤُلَاءِ

(١) الْحَبَّةُ: بالكسر، بزور البقول، وحبُّ الرياحين، وقيل: هو نبت صغير ينبت في الحشيش، وحميل السيل هو: ما يجيء به السيل من طين أو غُثَاءٍ وغيره، فإذا اتفقت فيه حَبَّةٌ واستقرَّت على شَطِّ مجرى السيل.. فإنَّها تنبت في يومٍ وليلة، فشبهَ بها سرعةَ عَوْدِ أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها.

حاشية الصاوي

عُتِقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أُدْخِلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فيقولون: رَبَّنَا؛ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ، فيقول: لَكُمْ عِنْدِي مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فيقولون: رَبَّنَا؛ أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فيقول: رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا^(١).

تنبيه:

قوله في الحديث: «أتاهم الله في أدنى صورةٍ رآوه فيها... إلخ» هو من المتشابه، يجري فيه مذهب السلف والخلف؛ فالسلف يقولون: يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد أن لها معنى يليق بجلال الله تعالى، مع اعتقادنا أن الله تعالى ليس كمثله شيء.

والخلف يؤوّلون الإتيان إمّا بالرؤية؛ لأنّ العادة أن مَنْ غاب عن غيره لا يُمكنه رؤيته، أو بإتيان ملكٍ فيقول: (أنا ربكم) على سبيل الامتحان، وهذا امتحان المؤمنين.

ومعنى الصورة: الصفة، فمعنى «في أدنى صورة... إلخ»: في غير الصفة التي يعرفونه في الدنيا بها. وقولهم: «فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم» أي: فارقنا الناس من أجل توحيدك حال كوننا مع المفارقة أفقر من أنفسنا عند صحبتهم، فهو إخبارٌ منهم بمزيد صبرهم على المشاق لأجل الله.

وقولهم: «نعوذ بالله منك» إنّما استعاذوا منه؛ ليكونهم رأوا سمات المخلوق.

وقوله: «فيكشف عن ساق» معناه: كشف الحزن، وإزالة الرعب عنهم، وما كان غلب على عقولهم من الأهوال، فتطمئن نفوسهم عند ذلك، ويتجلّى لهم بالصفة التي يعرفونها، فيخرون سُجَّدًا، وهذه الرؤية غير الرؤية التي هي في الجنة؛ لكرامة أوليائه، وإنما هذه الرؤية امتحانٌ لعباده^(٢).

(١) «صحيح مسلم» (١٨٣)، وفيه: (مزلة) بدل (مزلة)، و(مكدوس) بدل (مكدوس).

(٢) قال الإمام النووي في «شرح مسلم» (٢٩/٣): (أعلم: أن هذا الحديث قد يُتوهم منه أن المنافقين يرون الله تعالى مع المؤمنين، وقد ذهب إلى ذلك طائفة، حكاه ابن فورك؛ لقوله ﷺ: «وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تعالى»، وهذا الذي قالوه باطل، بل لا يراه المنافقون بإجماع مَنْ يُعتد به من علماء المسلمين، وليس في هذا الحديث تصريحٌ برؤيتهم الله تعالى، وإنما فيه أن الجمع الذي فيه المؤمنون والمنافقون يرون الصورة، ثم بعد ذلك يرون الله تعالى، وهذا لا يقتضي أن يراه جميعهم، وقد قامت دلائل الكتاب والسنة على أن المنافق لا يراه سبحانه وتعالى، والله أعلم).

وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشِيعَةً أَنْصَرُمُ

﴿وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾ امتحاناً لإيمانهم، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ تَصِيرُ ظُهُورُهُمْ طَبَقاً وَاحِداً، ﴿خَشِيعَةً﴾ - حَالٌ مِنْ ضَمِيرٍ (يَدْعُونَ) - أي: ذَلِيلَةٌ ﴿أَنْصَرُمُ﴾ لَا يَرْفَعُونَهَا

حاشية الصاوي

وقوله: «وقد تحوّل في صورته التي راوه فيها أوّل مرّة» معناه: أنّه تحجّب عنهم بالصفة التي راوه فيها أوّل مرّة.

وقوله: «ثمّ يضرب الجسر» معناه: الصراط، «وتحلّ الشفاعة»: بكسر الحاء وضمّها، معناه: نفع، ويؤدّن فيها.

وقوله: «دحض مزلفة» أي: طريقٌ تَزَلُّقٌ فيه الأقدام ولا تثبت.

وقوله: «فيه خطاطيف» جمع (خُطَّافٍ)، وهو الذي يخطف الشيء، و«الكلايب»: جمع كَلُوبٍ، وهو الحديد التي يُعلّق بها اللحم، و«الحسك» الذي يقال له: السّعدان: ثَبْتُ له شوكٌ عظيم من كلّ جانب.

ومعنى «الخير»: اليقين، ومعنى «قبض قبضة» أي: جمع جماعة.

وقوله: «قد عادوا حمماً» أي: صاروا فحماً، وقوله: «في أفواه الجنة» جمع فُؤَهَةٍ، وهي أوّل النهر.

وقوله: «فيخرجون كالؤلؤ» أي: في الصّفاء.

وقوله: «في رقابهم الخواتيم» قيل: معناه: أنّهم يُعلّقون أشياء من ذهب أو غير ذلك ممّا يُعرفون بها، والله أعلم.

قوله: ﴿وَيَدْعُونَ﴾ أي: الكفّار.

قوله: (امتحاناً لإيمانهم) أي: لا تكليفاً بالسجود؛ لأنّها ليست دارَ تكليف.

قوله: (طَبَقاً واحداً) أي: عظماً واحداً.

قوله: ﴿أَنْصَرُمُ﴾ فاعلٌ بـ﴿خَشِيعَةً﴾، ونسب الخشوع والذلّ إليها؛ لأنّ ما في القلب يُعرَف في العين، وفي ذلك المقام يسجد المؤمنون شكراً لله تعالى على ما أَعْطَوْهُ مِنَ النّعيم، فيرفعون رؤوسهم من السجود ووجوههم أضواءً من الشمس، ووجوه الكافرين والمنافقين سوداء مظلمة.

تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ
مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾

﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ : تَغْشَاهُمْ ﴿ذِلَّةٌ﴾ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ ﴿إِلَى السُّجُودِ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾ فَلَا يَأْتُونَ بِهِ
بِأَنْ لَا يُصَلُّوا.

(﴿٤٤﴾ - ﴿٤٥﴾) ﴿فَذَرْنِي﴾ : دَعْنِي ﴿وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ : الْقُرْآنِ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ : نَأْخُذُهُمْ
قَلِيلًا قَلِيلًا ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ : أُمْهِلُهُمْ ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ : شَدِيدٌ لَا يُطَاقُ.

حاشية الصاوي

قوله : ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ (حال أخرى).

قوله : ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ﴾ أي : دعوة تكليف، والجملة حالية، وكذا قوله : ﴿وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾.

قوله : ﴿بِأَنْ لَا يُصَلُّوا﴾ أشار بذلك إلى أَنَّ المراد بالسجود الثاني هو الصلاة، واتفق المفسرون على
أَنَّ المراد بالسجود الأول حقيقته.

قوله : ﴿فَذَرْنِي﴾ تسليّة لرسول الله ﷺ، وتخويفٌ للكافرين، والمعنى : اترك أمر المكذبين
إليَّ .. أَكْفِكَ ذَلِكَ.

قوله : ﴿وَمَنْ يُكَذِّبْ﴾ في محلّ نصب؛ إمّا معطوفٌ على الياء في (ذرني)، أو مفعول معه،
والأوّل أرجح، قال ابن مالك^(١) : [الرجز]

والعطف إن يُمكن بلا ضعفٍ أحقَّ والنصب مختارٌ لدى ضعفِ النسق

قوله : ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ استئنافٌ مسوقٌ لبيان كيفية التعذيب المستفاد إجمالاً من قوله :
﴿ذَرْنِي﴾ .. إلخ.

قوله : ﴿نَأْخُذُهُمْ قَلِيلًا قَلِيلًا﴾ أي : فلا استدراج : الأخذ بالتدرّج شيئاً فشيئاً، والمعنى : لما أنعمنا
عليهم .. اعتقدوا أَنَّ ذلك الإنعام تفضيلٌ لهم على المؤمنين، وهو في الحقيقة سببٌ لهلاكهم.

قوله : ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ عطفٌ على ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ عطفٌ تفسيري.

قوله : ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ الكيد في الأصل : الاحتيال، وهو أن تفعل ما فيه نفعٌ ظاهراً وتريد به
الضرر، وإنما سميّ إنعامه عليهم استدراجاً بالكيد؛ لأنّه في صورته، فما وقع لهم من سعة الأرزاق،

(١) كما في «الخلاصة» باب : المفعول معه.

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ...

(٤٦ - ٤٧) ﴿أَمْ﴾: بَلْ أَسْأَلُهُمْ عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ ﴿أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ﴾ مِمَّا يُعْطُونَكَ ﴿مُثْقَلُونَ﴾ فَلَا يُؤْمِنُونَ لِذَلِكَ، ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أَي: اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ الَّذِي فِيهِ الْغَيْبُ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ مِنْهُ مَا يَقُولُونَ؟

(٤٨ - ٥٠) ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ،

حاشية الصاوي

وطول الأعمار، وعافية الأبدان.. إحسانٌ ونفعٌ ظاهري فقط، والمقصودُ به مُعاقبتُهم وتعذيبُهم على ذلك.

ووصف الكيد بالمتانة؛ إشارةً إلى أَنَّهُ لَا يَتَأْتِي إِفْلَاطُ الْمُسْتَدْرِجِينَ مِمَّا أَرَادَهُ بِهِمْ، بخلاف كيد المخلوق؛ فتارةً يقع، وتارةً لَا يَتِمُّكُنْ مِنْهُ.

قوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ هو في المعنى مرتبطٌ بقوله سابقاً: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ...﴾ إلخ، والمعنى: أَمْ تَلْتَمِسُ مِنْهُمْ ثَوَابًا عَلَى مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى؟ قوله: ﴿مُثْقَلُونَ﴾ أَي: مُكَلَّفُونَ حِمْلًا ثَقِيلًا.

قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ﴾ أَي: بِسُؤَالِ الْأَجْرِ الْمُرْتَبِّ عَلَيْهِ الْغَرَمُ، وَهُوَ ثَقِيلٌ عَلَى النَّفْسِ؛ لِأَنَّ شَأْنَ النَّفْسِ أَنْ تَسْتَقِلَّ مَا يُثْقَلُ بِهَا.

قوله: (أَي: اللوح... إلخ) هذا قول ابن عباس^(١)، وقيل: الغيب هو: عِلْمٌ مَا غَابَ عَنْهُمْ.

قوله: (مَا يَقُولُونَ) أَي: مَا يَحْكُمُونَ بِهِ وَيَسْتَغْنُونَ بِهِ عَنْ عِلْمِكَ.

قوله: ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾... إلخ) نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِأَحَدٍ، حِينَ فَرَّ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ بِإِغْرَاءِ الْمُنَافِقِينَ، فَأَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى الَّذِينَ انْهَزَمُوا.

وقيل: نَزَلَتْ حِينَ ضَاقَ صَدْرُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَخَرَجَ يَدْعُو ثَقِيفًا، فَأَغْرَوْا بِهِ سَفَهَاءَهُمْ، وَصَارُوا يَضْرِبُونَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَدَمَوْا قَدَمَهُ الشَّرِيفَ، فَأَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ عَلَيْهِمْ.

فعلى الأول: تَكُونُ مَدَنِيَّةً، وَعَلَى الثَّانِي: تَكُونُ مَكِّيَّةً.

(١) أوردته القرطبي في «تفسيره» (٢٥٢/١٨).

وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَن تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَنِبْهُ رَبُّهُ

﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ في الصَّبْر والعَجَلَة، وهو يُونس عليه السَّلام، ﴿إِذْ نَادَى﴾: دَعَا رَبَّهُ ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: مَمْلُوء غَمًّا في بَطْنِ الْحُوتِ، ﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكُهُ﴾: أَدْرَكَه ﴿نِعْمَةٌ﴾: رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴿لَنُبِذَ﴾ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ ﴿بِالْعَرَاءِ﴾: بِالأَرْضِ الْفَضَاءِ ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾: لَكِنَّهُ رُحِمَ فَنُبِذَ غَيْرَ مَذْمُومٍ. ﴿فَاجْتَنِبْهُ رَبُّهُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِذْ نَادَى﴾: منصوب بمضاف محذوف، والتقدير: ولا يكن حالك كحالهِ في وقت ندادِهِ.

قوله: ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: الجملة حالٌ من ضمير ﴿نَادَى﴾.

قوله: (مَمْلُوء غَمًّا) أي: مِنْ أَجْلِ خَوْفِهِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى؛ حَيْثُ خَرَجَ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ، فَظَنَّ أَنَّ اللَّهَ أَخَذَهُ بِذَلِكَ، وَقِيلَ: مَعْنَى (مَكْظُومٍ): مَحْبُوسٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: قَلَّ أَنْ يَكْظُمَ غِيظُهُ؛ أَي: يَحْبِسَ غَضَبُهُ.

قوله: ﴿نِعْمَةٌ﴾: اخْتَلَفَ فِي الْمُرَادِ بِهَا؛ فَقِيلَ: الرَّحْمَةُ، وَهُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ الْمُفَسِّرُ، وَقِيلَ: هِيَ الْعِصْمَةُ، وَقِيلَ: نِدَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

قوله: (بالأرض الفضاء) أي: الخالية من النَّبَات والأشجار والجبال.

قوله: ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾: أي: مُؤَاخَذٌ بِذَنْبِهِ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ نَائِبٍ فَاعِلٍ (نُبِذَ)، وَهِيَ مُحِطٌ النَّفْسِي الْمُسْتَفَادُ مِنَ (لَوْلَا).

قوله: (لَكِنَّهُ رُحِمَ... إلخ) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿لَوْلَا﴾ حُرِفَ امْتِنَاعٌ لَوْجُودٍ، وَالْمَمْتَنَعُ الذَّمُّ، وَالْمَعْنَى: امْتَنَعَ ذَمُّهُ؛ لِسَبْقِ الْعِصْمَةِ لَهُ، فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ وَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَيُونُسُ لَمْ تَحْصُلْ مِنْهُ مَعْصِيَةٌ أَبَدًا، لَا صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً، وَإِنَّمَا خَرُوجُهُ مِنْ بَيْنِهِمْ بِاجْتِهَادٍ مِنْهُ، وَعِقَابُهُ مِنَ اللَّهِ مِنْ بَابِ: (حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقْرِبِينَ)، وَتَقَدَّمَ ذَلِكَ مَفْصَلًا^(١).

قوله: ﴿فَاجْتَنِبْهُ رَبُّهُ﴾: عَطَفَ عَلَى مُقَدَّرٍ، وَالْمَعْنَى: أَدْرَكَتْهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاجْتَبَاهُ.

فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ

بِالنَّبُوءَةِ ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: الْأَنْبِيَاءُ.

(٥١ - ٥٢) ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾ - بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِهَا - ﴿بِأَبْصَرِهِمْ﴾

أَي: يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظْرًا شَدِيدًا يَكَادُ أَنْ يَصْرَعَكَ وَيُسْقِطَكَ مِنْ مَكَانِكَ،

حاشية الصاوي

قوله: (بِالنَّبُوءَةِ) هذا مبنيٌّ على أَنَّهُ وَقَتْ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا، وَإِنَّمَا نُبِّئَ بَعْدَهَا، وَهُوَ أَحَدُ قَوْلَيْنِ، وَالْآخَرُ: أَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا، وَمَعْنَى (اجْتِبَاهُ): اخْتَارَهُ وَاصْطَفَاهُ وَرَفَّاهُ مَرْتَبَةً أَعْلَى مِنَ الَّتِي كَانَ فِيهَا.

قوله: ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أَي: الْكَامِلِينَ فِي الصَّلَاحِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ الْوَحْيَ، وَشَفَّعَهُ فِي نَفْسِهِ وَفِي قَوْمِهِ، وَقَبِلَ تَوْبَتَهُ، وَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ؛ بَأَن أَرْسَلَهُ إِلَى مِثَّةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، فَهَدَاهُمُ اللَّهُ بِسَبَبِ صَبْرِهِ) ^(١).

قوله: ﴿وَإِنْ يَكَادُ﴾ (إِنْ): مَخَفَّةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاسْمُهَا ضَمِيرُ الشَّأْنِ.

قوله: (بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِهَا) أَي: فَهَمَا قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ، فَالضَّمُّ مِنْ: (أَزْلَقَ)، وَالْفَتْحُ مِنْ: (زَلَقَ) ^(٢).

قوله: ﴿بِأَبْصَرِهِمْ﴾ (الْبَاءُ: إِمَّا لِلتَّعْدِيدِ، أَوْ السَّبِيَّةِ).

قوله: (أَي: يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظْرًا شَدِيدًا) أَي: فَلَيْسَ الْمُرَادُ: أَنَّهُمْ يُصِيبُونَهُ بِأَعْيُنِهِمْ كَمَا يُصِيبُ الْعَائِنُ بَعِيْنَهُ مَا يُعْجِبُهُ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ: أَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ نَظْرًا شَدِيدًا بِالْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، وَهَذَا مَا مَشَى عَلَيْهِ الْمَفْسِّرُ.

وقيل: أَرَادُوا أَنْ يُصِيبُوهُ بِالْعَيْنِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ الْمَجْرَبَةِ إِصَابَتُهُمْ، فَعَصَمَهُ اللَّهُ، وَحَمَاهُ مِنْ أَعْيُنِهِمْ، فَلَمْ تُؤْثِرْ فِيهِ، فَنَزَلَتْ ^(٣).

وذكر العلماء: أَنَّ الْعَيْنَ كَانَتْ فِي بَنِي أَسَدٍ مِنَ الْعَرَبِ، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ.. جَوَّعَ نَفْسَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ يَتَعَرَّضُ لِلْمَعْيُونِ، أَوْ مَالِهِ، فَيَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَقْوَى مِنْهُ وَلَا أَشْجَعَ وَلَا أَكْبَرَ وَلَا أَحْسَنَ، فَيَهْلِكُ الْمَعْيُونُ هُوَ وَمَالُهُ.

(١) أوردته القرطبي في «تفسيره» (٢٥٤/١٨).

(٢) قرأ نافع بفتح الياء، والباقون بضمها. انظر «الدر المصون» (٤٢٠/١٠).

(٣) انظر «تفسير الماوردي» (٣٧٧/٦)، و«زاد المسير» (٣٢٧/٤).

لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾: الْقُرْآنَ ﴿وَيَقُولُونَ﴾: حَسَداً: ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ بِسَبَبِ الْقُرْآنِ الَّذِي جَاءَ بِهِ، ﴿وَمَا هُوَ﴾ أَي: الْقُرْآنُ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: مَوْعِظَةٌ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾: الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَا يَحْدُثُ بِسَبَبِهِ جُنُونٌ.

حاشية الصاوي

وهذه الآية تنفع كتابةً وقراءةً للمعيون؛ فلا تضره العين.

قوله: ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ ظرفٌ لـ (يزلقونك).

قوله: (حَسَداً) أي: وبغضاً وتنفيراً عنه.

قوله: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ الجملة حالية من فاعل (يقولون)، مفيدة لبطلان قولهم، وتعجيب السامعين؛ حيث جعلوا عظة العالمين وتذكيرهم سبباً لجنون مَنْ أتى به، وهذا دليل على خسافة عقولهم^(١)، وسوء رأيهم؛ لأنَّ هذا القرآن لا يُدرکه إِلَّا مَنْ كان كامل العقل؛ فكيف بمن نزل على قلبه؟!



(١) كذا في الأصول، ولعلها: (سخافة العقل) أي: سفاهته وقلة فهمه.



مَكِّيَّة، إحدى أو اثنتانِ وخمسونَ آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿الْحَاقَّةُ﴾: الْقِيَامَةُ الَّتِي يَحِقُّ فِيهَا مَا أَنْكَرَ مِنَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، أَوِ الْمُظْهَرَةُ لِذَلِكَ، ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ تَعْظِيمٌ لِسَانِهَا - وَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ خَبَرُ ﴿الْحَاقَّةُ﴾ - .

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

(مَكِّيَّة) أَي: بِالْإِجْمَاعِ.

قوله: ﴿الْحَاقَّةُ﴾ صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ، قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (الْقِيَامَةُ).

قوله: (الَّتِي يَحِقُّ) مِنْ بَابِ (ضَرَبَ) وَ(رَدَّ) أَي: يَثْبُتُ وَيَتَحَقَّقُ، فإِسْنَادُ التَّحْقِيقِ لِلزَّمَانِ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ، عَلَى حَدِّ: (لَيْلُهُ قَائِمٌ)، فَالْمُرَادُ بِهَا: الزَّمَانُ الَّذِي يَتَحَقَّقُ فِيهِ مَا أَنْكَرَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْبَعْثِ وَغَيْرِهِ، فَيَصِيرُ مُحْسُوساً مُعَايَنًا.

قوله: (أَوِ الْمُظْهَرَةُ لِذَلِكَ) أَي: لِمَا أَنْكَرَ فِي الدُّنْيَا، وَأَشَارَ بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَى أَنَّ (الْحَاقَّةَ) اسْمُ فَاعِلٍ؛ أَي: الْمَحَقَّقَةُ وَالْمُظْهَرَةُ، وَهُوَ إِسْنَادٌ مَجَازِيٌّ أَيْضاً، وَهَذَانِ مَعْنِيَانِ لـ(الْحَاقَّةِ) مِنْ جُمْلَةِ مَعَانٍ كَثِيرَةٍ، كُلُّهَا مُتَلَازِمَةٌ.

قوله: (تَعْظِيمٌ لِسَانِهَا) أَي: فَالْمَقْصُودُ مِنَ الاسْتِفْهَامِ: تَفْخِيمُ شَأْنِهَا، وَتَعْظِيمٌ قَدْرُهَا، كَأَنَّهُ قَالَ: أَيُّ شَيْءٍ هُوَ لَا تُحِيطُ بِهِ الْعِبَارَةُ، وَلَا تَحْصِرُهُ الْإِشَارَةُ؟ فَالْمَقَامُ لِلإِضْمَارِ، وَوَضْعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَهُ؛ لِتَأْكِيدِ هَوْلِهَا وَتَفْظِيعِهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَفَشَّيْهِمْ مِنْ آلِئِمٍّ مَا غَشَّيْهِمْ﴾ [طه: ٧٨].

قوله: (وَهُمَا مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ... إلخ) أَي: إِنَّ ﴿الْحَاقَّةَ﴾ مُبْتَدَأٌ أَوَّلٌ، وَ﴿مَا﴾: مُبْتَدَأٌ ثَانٍ، وَ﴿الْحَاقَّةُ﴾: خَبَرُ الثَّانِي، وَهُوَ وَخَبَرُهُ خَبَرُ الْأَوَّلِ، وَالرَّابِطُ إِعَادَةُ الْمُبْتَدَأِ بِلَفْظِهِ.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾

﴿٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ: أَعْلَمَكَ ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾: زيادةٌ تَعْظِيمٍ لِسَانِهَا - ف(ما) الأولى مُبْتَدَأٌ وما بعدها خَبَرُهُ، و(ما) الثانيةُ وخَبَرُهَا فِي مَحَلِّ الْمَفْعُولِ الثَّانِي ل(أَدْرَى) ..

﴿٤ - ٨﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ: الْقِيَامَةُ لِأَنَّهَا تَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِأَهْوَالِهَا؛ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ: بِالصَّيْحَةِ
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾... إلخ (ما): استفهامية، وهو للإنكار؛ أي: إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِكُنْهَاشِدَّةٍ عَظْمِهَا.

قوله: (زيادة تعظيم) أي: إِنَّ حِكْمَةَ تَكَرُّارِ الاسْتِفْهَامِ: زِيَادَةُ تَعْظِيمٍ لَهَا وَتَهْوِيلٍ لِسَانِهَا.

قوله: (وما بعدها) أي: وهو جملة ﴿أَدْرَكَ﴾.

قوله: (في محل المفعول الثاني) المناسب أن يقول: (والثالث)؛ لِأَنَّ (أَدْرَى) بِالْهَمْزِ يَتَعَدَّى لثَلَاثَةٍ؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى (أَعْلَمَ).

قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ استئنافٌ مَسْقُوقٌ لِبَيَانِ بَعْضِ أَحْوَالِ الْحَاقَّةِ.

وتمود: قوم صالح، وكانت منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز.

قوله: ﴿وَعَادٌ﴾ هم قوم هود، وكانت منازلهم بالأحقاف، وهو رملٌ بين عمان وحضرموت باليمن.

قوله: (لأنها تقرع القلوب) أي: تُؤَثِّرُ فِيهَا خَوْفًا وَفَزَعًا.

قوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ﴾ تفصيلٌ لما حَصَلَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْعَذَابِ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ بِالْقِيَامَةِ.

قوله: (بالصيحة) أي: صيحة جبريل.

واعلم: أَنَّ مَا نَزَلَ بِثَمُودَ سَمِّيَ فِي الْقُرْآنِ بِأَرْبَعَةِ أَسْمَاءٍ: فِي (الْأَعْرَافِ) بِالرَّجْفَةِ، وَفِي (هُودٍ) بِالصَّيْحَةِ، وَفِي (حَمِ السَّجْدَةِ) بِالصَّاعِقَةِ، وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ بِالطَّاغِيَةِ، فَالْمُرَادُ بِالرَّجْفَةِ: الزَّلْزَلَةُ؛ لِتَزَلُّزِ الْأَرْضِ بِهِمْ عِنْدَ صَيْحَةِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِمُ، وَالصَّاعِقَةُ لِمَصْعَقَتِهِمْ؛ أَي: مُوتِهِمْ بِهَا، وَالطَّاغِيَةُ: لِمُخْرُوجِهَا عَنِ الْحَدِّ، وَمَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُ أَحَدُ تَفَاسِيرِ (الطَّاغِيَةِ)، وَعَلَيْهِ: فَالْبَاءُ لِلآلَةِ، وَقِيلَ: الطَّاغِيَةُ: مُصَدِّرٌ ك: الْكَاذِبَةُ وَالْعَافِيَةُ، وَالْمَعْنَى: أَهْلَكُوا بِطَغْيَانِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، وَعَلَيْهِ: فَالْبَاءُ سَبَبِيَّةٌ، وَقِيلَ: الطَّاغِيَةُ عَاقِرٌ نَاقَةٌ صَالِحٌ، وَالْمَعْنَى: أَهْلَكُوا بِسَبَبِ مَا فَعَلَهُ طَاغِيَتُهُمْ مِنْ عَقْرِ النَّاقَةِ، وَإِنَّمَا أَهْلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْفَاعِلُ وَاحِدًا؛ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا بِفَعْلِهِ وَرَضُوا بِهِ.

وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا
فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى

المُجَاوِزَةُ لِلْحَدِّ فِي الشَّدَّةِ، ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾: شَدِيدَةِ الصَّوْتِ ﴿عَاتِيَةٍ﴾: قُوَّةً شَدِيدَةً عَلَى عَادٍ مَعَ قُوَّتِهِمْ وَشِدَّتِهِمْ، ﴿سَخَّرَهَا﴾: أَرْسَلَهَا بِالْقَهْرِ ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ أَوَّلُهَا مِنْ صُبْحِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لِثَمَانٍ بَقِيْنَ مِنْ شَوَّالٍ، وَكَانَتْ فِي عَجْزِ الشَّتَاءِ، ﴿حُسُومًا﴾: مُتَتَابِعَاتٍ، شُبِّهَتْ بِتَتَابُعِ فِعْلِ الْحَاسِمِ فِي إِعَادَةِ الْكَيِّ عَلَى الدَّاءِ كَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى يَنْحَسِمَ، ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾: مَطْرُوحِينَ هَالِكِينَ

حاشية الصاوي

قوله: (المُجَاوِزَةُ لِلْحَدِّ) أي: لحدِّ الصيحات من الهول والشدة.

قوله: (قُوَّةً شَدِيدَةً عَلَى عَادٍ... إلخ) هذا أحد قولين في تفسير ﴿عَاتِيَةٍ﴾، والآخر: أَنَّ الْمُرَادَ: عَتَتْ عَلَى خَزَنَتِهَا، فَخَرَجَتْ بِلَا كَيْلٍ وَلَا وَزْنٍ؛ لَمَّا فِي الْحَدِيثِ: «مَا أَرْسَلَ اللَّهُ سَفَّةً مِنْ رِيحٍ إِلَّا بِمَكْيَالٍ، وَلَا قَطْرَةً مِنْ مَاءٍ إِلَّا بِمَكْيَالٍ، إِلَّا يَوْمَ عَادٍ، وَيَوْمَ نُوحٍ؛ فَإِنَّ الْمَاءَ يَوْمَ نُوحٍ طَغَى عَلَى الْخُزَّانِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَلَيْهِ سَبِيلٌ، وَإِنَّ الرِّيحَ يَوْمَ عَادٍ عَتَتْ عَلَى الْخُزَّانِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَلَيْهَا سَبِيلٌ»^(١).

قوله: (أَرْسَلَهَا) أي: سَلَّطَهَا.

قوله: (أَوَّلُهَا مِنْ صَبْحِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ) أي: وَآخِرُهَا غُرُوبُ شَمْسِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ التَّالِيِ لِلْأَرْبَعَاءِ الْأَوَّلِ، وَكَانَ الشَّهْرُ كَامِلًا، فَكَانَ آخِرُهَا هُوَ الْيَوْمُ الْآخِرُ مِنْهُ.

قوله: ﴿حُسُومًا﴾ نعت لـ ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ﴾، أَوْ حَالٍ مِنْ مَفْعُولِ ﴿سَخَّرَهَا﴾ أي: ذَاتِ حُسُومٍ، وَالْحَسْمُ فِي الْأَصْلِ: تَتَابُعُ الْكَيِّ عَلَى الدَّاءِ حَتَّى تَنْقَطَعَ مَادَّتُهُ، أُطْلِقَ عَنْ قِيْدِهِ وَأُرِيدَ مِنْهُ: مُطْلَقُ تَتَابُعِ عَذَابٍ، فَقَوْلُ الْمَفْسِّرِ: (مُتَتَابِعَاتٍ) فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ مُجَازٌ مَرْسَلٌ عِلَاقَتُهُ التَّقْيِيدُ ثُمَّ الْإِطْلَاقُ.

قوله: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ﴾ أي: عَلَى فَرَضِ حُضُورِكَ وَاقْعَتْهُمْ.

قوله: ﴿صَرْعَى﴾ حال، جمع (صَرِيع)؛ كـ (قَتْلَى وَقَتِيل)، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿فِيهَا﴾ عَائِدٌ عَلَى الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي، أَوْ الْبُيُوتِ، أَوْ الرِّيحِ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/٢١٠) عن سيدنا علي رضي الله عنه، وبنحوه عند أبي الشيخ في «العظمة» (٤/١٣٥٠).

كَانَتْهُمْ أَعْبَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَتُ
بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾

﴿كَانَتْهُمْ أَعْبَازُ﴾ أَصُول ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾: سَاقِطَةٌ فَارِغَةٌ، ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ - صِفَةٌ (نَفْس) مُقَدَّرَةٌ، أَوْ التَّاءُ لِلْمُبَالِغَةِ - أَي: بَاقِي؟ لَا.

(٩ - ١٠) ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾: أَتْبَاعُهُ - وَفِي قِرَاءَةِ بِفَتْحِ الْقَافِ وَسُكُونِ الْبَاءِ - أَي: مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ الْأُمَمِ الْكَافِرَةِ ﴿وَالْمُؤْتَفِكَتُ﴾ أَي: أَهْلُهَا، وَهِيَ قُرَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾: حَاشِيَةُ الصَّوِي

قوله: (أَصُولُ نَخْلٍ) أَي: بَلَا رُؤُوسَ، فَكَانَتِ الرِّيحُ تَقْطَعُ رُؤُوسَهُمْ كَمَا تَقْطَعُ رُؤُوسَ النَّخْلِ.
قوله: (فَارِغَةٌ) أَي: مِنَ الْحَشْوِ؛ لَمَا رَوَى: مِنْ أَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ تَدْخُلُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ، فَتُخْرِجُ مَا فِي أَجْوَاهِهِمْ مِنَ الْحَشْوِ مِنْ أَدْبَارِهِمْ^(١).

قوله: ﴿مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (مِنْ): زَائِدَةٌ فِي الْمَفْعُولِ.

قوله: (لَا) أَشَارَ بِهِ إِلَى أَنَّ الِاسْتِفْهَامَ إِنكَارِيًّا.

قال ابن جرير: (مَكثُوا سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ أَحْيَاءَ فِي الْعَذَابِ بِالرِّيحِ، فَلَمَّا أَمْسَوْا فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ مَاتُوا فَاحْتَمَلَتْهُمْ الرِّيحُ فَأَلْقَتْهُمْ فِي الْبَحْرِ)^(٢).
قوله: (وَفِي قِرَاءَةٍ) أَي: وَهِيَ سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا^(٣).

قوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَتُ﴾ أَي: الْمُتَقَلِّبَاتِ، وَهِيَ الَّتِي اقْتَلَعَهَا جِبْرِيلُ عَلَى جَنَاحِهِ، وَرَفَعَهَا قَرَبَ السَّمَاءِ، ثُمَّ قَلَبَهَا.

قوله: (أَي: أَهْلُهَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ عَلَى حَذْفِ مَضَافٍ، عَلَى حَدِّ: ﴿وَسَلَّ الْقَرْيَةَ﴾ [يُوسُف: ٨٢].

قوله: (وَهِيَ قُرَى قَوْمِ لُوطٍ) وَكَانَتْ خَمْسَةً: صَنْعَةٌ، وَصَعْرَةٌ، وَعَمْرَةٌ، وَدُومًا، وَسُدُومٌ وَهِيَ أَعْظَمُهَا^(٤).

(١) أوردته الخطيب في «السراج المنير» (٤/٣٦٩).

(٢) أوردته القرطبي في «تفسيره» (١٨/٢٦١) عن ابن جريج.

(٣) قرأ بكسر القاف وفتح الباء أبو عمرو والكسائي؛ أَي: وَمَنْ هُوَ فِي جِهَتِهِ، وَيُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ أَبِي مُوسَى: (وَمَنْ تَلْقَاهُ)، وَقَرَأَهُ أَبِي: (وَمَنْ تَبِعَهُ)، وَالباقون بالفتح والسكون على أَنَّهُ ظَرْفٌ. انظر «الدر المصون» (١٠/٤٢٦).

(٤) انظر «مرآة الزمان» (١/٤٣٨).

فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً

بِالْفَعْلَاتِ ذَاتِ الْخَطَا، ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ أي: لوطاً وغيره ﴿فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَابِيَةً﴾: زائدة في الشدة على غيرها.

(١١ - ١٢) ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾: علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها زمن الطوفان ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ يعني آباءكم إذ أنتم في أصلابهم ﴿فِي الْجَارِيَةِ﴾: السفينة التي عملها نوح ونجا هو ومن كان معه فيها وغرق الباقون، ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي: هذه الفعلة وهي إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾: عظة

حاشية الصاوي

قوله: (ذات الخطأ) أشار بذلك إلى أن (الخاطئة) صيغة نسب ك: تامر ولا بن.

قوله: ﴿فَعَصَوْا﴾ أي: فرعون ومن قبله والمؤتفكات.

قوله: ﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ المراد بالرسول: الجنس، وقوله: (وغيره) المراد بالغير: خصوص موسى على قراءة كسر القاف، وموسى ومن قبله من الرسل على قراءة فتحها.

قوله: (على غيرها) أي: من عذاب الأمم.

قوله: (علا فوق كل شيء من الجبال...) إلخ) أي: فزاد على أعلى جبل خمسة عشر ذراعاً.

قوله: (زمن الطوفان) المناسب أن يقول: (زمن نوح).

قوله: (يعني: آباءكم) جواب عما يقال: إن المخاطبين لم يدركوا حمل السفينة؛ فكيف يمتن الله تعالى عليهم به؟ فأجاب: بأن الكلام على حذف مضاف؛ أي: آباءكم، وقوله: (إذ أنتم...) إلخ) ظاهره: أنه تعليل لما أجاب به، وليس كذلك، بل هو جواب آخر،

وحاصله: أنه باق على ظاهره، ويُراد: حملناكم حال كونكم في أصلاب آبائكم الذين حملوا، وهم أولاد نوح: سام، وحام، ويافت.

قوله: (أي: هذه الفعلة) هذا أحد قولين في مرجع الضمير في (نَجْعَلَهَا)، وقيل: عائذ على السفينة، والمعنى: لنجعل السفينة تذكرة وعظة لهذه الأمة، فبقيت منها بقيّة حتى أدركها أوائلهم.

وَتَعْبَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ (١٢) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤)

﴿وَتَعْبَهَا﴾ : وَلِتَحْفَظَهَا ﴿أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾ : حَافِظَةٌ لِمَا تَسْمَعُ .
 (١٣ - ١٧) ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ : لِلفَصْلِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ وَهِيَ الثَّانِيَّةُ ،
 ﴿وَحُمِلَتِ﴾ : رُفِعَتْ ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا﴾ : دُقَّتَا ﴿دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ (١٤)
 حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَتَعْبَهَا﴾ بكسر العين باتفاق السبعة، وهو منصوبٌ عطفاً على (نجعل)، وماضيهِ (وَعَى)، وأصل المضارع: (يُوعِي)، حُذِفَتِ الواوُ؛ لوقوعها بين عَدْوَتَيْهَا^(١).
 قوله: (حافِظَةٌ لِمَا تَسْمَعُ) إسنادُ الحفظ للأذن مجازٌ، وحقُّه أن يُسَنَدَ لصاحبها، والمعنى: شأنها أن تَحْفَظَ ما ينبغي حفظُهُ من الأقوال والأفعال، وتَعْمَلَ بمقتضاه.
 قوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾... إلخ) لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى الْقِيَامَةَ وَأَهْوَالَهَا إِجْمَالاً بِقَوْلِهِ: ﴿الْمُحَاقَّةُ...﴾ إلخ.. اشتاقت النَّفْسُ لِتَفْصِيلِ ذَلِكَ، فَفَضَّلَ اللهُ تَعَالَى بَعْضَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ...﴾ إلخ.
 و(إذا): شَرْطِيَّةٌ، وَجَوَابُهُ قَوْلُهُ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾، وَقِيلَ: قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾.
 قوله: ﴿نَفْخَةٌ﴾) نَائِبُ الْفَاعِلِ، وَ﴿وَاحِدَةٌ﴾ نَعْتٌ مُؤَكَّدٌ؛ لِأَنَّ (نَفْخَةً) مُصَدَّرٌ مُخْتَصَرٌ دَالٌّ عَلَى الْوَحْدَةِ، فَيَصِحُّ إِقَامَتُهُ مَقَامَ الْفَاعِلِ، وَالْمَمْنُوعُ إِقَامَةُ الْمُبْهَمِ نَحْوُ: (ضَرِبَ ضَرْبٌ)، وَلَمْ يُؤْنِثِ الْفِعْلُ وَهُوَ (نُفِخَ)؛ لِأَنَّ التَّأْنِيثَ مُجَازِيٌّ، وَلِوُجُودِ الْفَصْلِ.
 قوله: (وهي الثانية) هذا هو الصحيح كما رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ لِأَنَّ الثَّانِيَّةَ هِيَ الَّتِي يَعْقُبُهَا الْحِسَابُ وَالْجِزَاءُ، وَقِيلَ: هِيَ الْأُولَى.
 قوله: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾) أَي: رَفَعَتْهَا الْمَلَائِكَةُ، أَوِ الرِّيَاحُ، أَوِ الْقُدْرَةُ؛ بَعْدَ خُرُوجِ النَّاسِ مِنَ الْقُبُورِ.

قوله: (دكنا^(٢)) أَي: قُتِّمْنَا وَصَارَتَا كَثِيئاً مَهِيلاً، وَهَبَاءٌ مَشْتُوراً.

قوله: ﴿دَكَّةً وَاحِدَةً﴾) بِالنَّصْبِ عَلَى الْمَصْدَرِيَّةِ بِاتِّفَاقِ السَّبْعَةِ، وَإِنَّمَا لَمْ يُرْفَعْ بِالنِّيَابَةِ؛ لَوُجُودِ الضَّمِيرِ، بِخِلَافِهِ فِي (نُفِخَ) فَلَمْ يُوجَدْ ضَمِيرٌ، فَأُنِيبَ (نَفْخَةً) مَنَابَ الْفَاعِلِ، فَرَفَعَ بِاتِّفَاقِ السَّبْعَةِ.

فَيَوْمِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فِيهِ يَوْمِذٍ وَاهِيَةً ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمِذٍ تُعْرَضُونَ

فَيَوْمِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ : قَامَتِ الْقِيَامَةُ، ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فِيهِ يَوْمِذٍ وَاهِيَةً﴾ : ضَعِيفَةٌ، ﴿وَالْمَلَكُ﴾ : يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ : جَوَانِبِ السَّمَاءِ ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ : أَيِ : الْمَلَائِكَةِ الْمَذْكُورِينَ ﴿يَوْمِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ : مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَوْ مِنْ صُفُوفِهِمْ.
 (١٨ - ٢٤) ﴿يَوْمِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ لِلْحِسَابِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَيَوْمِذٍ﴾ (التنوين عوضٌ عن جملتين محذوفتين، وهما: (نفخ) و(حملت)).

قوله: (قَامَتِ الْقِيَامَةُ) أي: حَصَلَتِ وَوُجِدَتْ.

قوله: ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ (أي: انصَدعت وتفتّرت من هولِ ذلك اليوم).

قوله: (ضَعِيفَةٌ) أي: ليس فيها تماسكٌ ولا صلابَةٌ، فتصير بمنزلة المَهْلِ^(١).

قوله: ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ (أي: أطرافها؛ لِيَنْتَظَرُوا أَمْرَ اللَّهِ لَهُمْ لِيَنْزِلُوا، فَيَحِيطُوا بِالْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا).

قوله: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ (حال من (العرش)، والضمير عائذٌ على الملائكة الواقفين على الأرجاء).

قوله: (ثَمَانِيَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ: مِنْ صُفُوفِهِمْ) هَذَانِ قَوْلَانِ مِنْ جُمْلَةِ أَقْوَالِ خَمْسَةٍ، ثَالِثُهَا: ثَمَانِيَةُ آلَافٍ، رَابِعُهَا: ثَمَانِيَةُ أَجْزَاءٍ مِنْ تِسْعَةِ أَجْزَاءٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، خَامِسُهَا: ثَمَانِيَةُ أَجْزَاءٍ مِنْ عَشْرَةِ أَجْزَاءٍ؛ لِمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ حِمْلَةَ الْعَرْشِ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.. أَمَدَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَرْبَعَةِ أُخْرَى، فَكَانُوا ثَمَانِيَةً عَلَى صُورَةِ الْأَوْعَالِ»^(٢) - أَيِ: تُيُوسَ الْجَبَلِ - «مِنْ أَظْلَافِهِمْ إِلَى رُكْبِهِمْ كَمَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ»^(٣).

قوله: ﴿يَوْمِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ (أي: تُسَالُّونَ وَتُحَاسَبُونَ، وَعَبَّرَ بِذَلِكَ؛ تَشْبِيهًا بِعَرْضِ السُّلْطَانِ الْعَسْكَرِ؛ لِيَنْتَظَرَ فِي أَمْرِهِمْ، فَيَخْتَارَ مِنْهُمْ الْمَصْلِحَ لِلتَّقَرُّبِ وَالْإِكْرَامِ، وَالْمُفْسِدَ لِلْإِبْعَادِ وَالتَّعْذِيبِ،

(١) أي: التُّحَاسُ الْمَذَابِ، وَتَقَدَّمَ أَنَّهُ عَكَرَ الزَّيْتَ الْأَسْوَدَ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى: الْقَيْحِ وَالصَّدِيدِ. انظر (٤/١٤٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/٥٨٤) عن ابن إسحاق مُعْضَلًا.

(٣) رواه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣) عن سيدنا العباس بن عبد المطلب عليه السلام.

ولا يخفى أن المصنف رحمه الله تعالى قد جَمَعَ بَيْنَ الرَّوَابِيتَيْنِ.

لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ ..

﴿لَا تَخْفَى﴾ - بِالنَّاءِ والياءِ - ﴿مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ مِنَ السَّرَائِرِ؛ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ﴾
خِطَاباً لِحِجْمَتِهِ لِمَا سُرَّ بِهِ: ﴿هَؤُلَاءِ﴾: خُذُوا ﴿أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ﴾ - تَنَازَعَ فِيهِ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ و﴿أَقْرَأُوا﴾ -
﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾: تَيَقَّنْتُ

حاشية الصاوي

ورُوي: «أَنَّ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ: عَرْضَتَانِ لِلْإِعْتِزَالِ وَالتَّوْبِخِ، وَالثَّلَاثَةُ فِيهَا تَنْتَشِرُ الْكُتُبُ، فَيَأْخُذُ الْفَائِزُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَيَأْخُذُ الْهَالِكُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ»^(١).

قوله: ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ حال من الواو في ﴿تُعْرَضُونَ﴾، والمعنى: لَا تَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ سَرَائِرِكُمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُخْفُونَهَا فِي الدُّنْيَا وَتُظَنُّونَ أَنَّهُ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا، بَلْ يَذْكُرْكُمْ بِجَمِيعِهَا حَتَّى تَعْلَمُوهَا عِلْماً ضَرُورِيّاً.

قوله: (بِالنَّاءِ والياءِ) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ﴾... إلخ) تفصيلٌ لأحوال النَّاسِ عِنْدَ الْعَرْضِ.

قوله: (خِطَاباً لِحِجْمَتِهِ) أي: أَهْلِهِ وَأَقْرَبَائِهِ وَمَنْ حَوْلَهُ، وَإِنَّمَا أَحَبُّ إِظْهَارِ ذَلِكَ؛ سُرُوراً وَفَرَحاً لِيَكُونَ مِنَ النَّاجِينَ.

قوله: ﴿هَؤُلَاءِ﴾ لها استعمالان: تَكُونُ اسْمَ فَعْلٍ، فَتَكُونُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ لِلْمُثَنَّى وَالْجَمْعِ، وَالْمَذْكُورِ وَالْمُؤَنَّثِ، وَتَكُونُ فِعْلاً، فَتَلْحَقُهَا الْعِلَامَاتُ، وَمَعْنَاهَا عَلَى كُلِّ مِنَ الْإِسْتِعْمَالَيْنِ: خُذْ، وَلُغَةُ الْقُرْآنِ أَنَّهَا فَعْلٌ، وَالْهَمْزَةُ بَعْدَهَا بَدَلٌ مِنْ كَافِ الْخِطَابِ، وَالْمِيمُ عَلَامَةُ الْجَمْعِ.

قوله: ﴿كِتَابِيَةَ﴾ أصله: (كِتَابِي) دخلت هاء السكت؛ لِتُظْهَرَ فَتْحَةُ الْيَاءِ، وَكَذَا فِي الْبَاقِي.

قوله: (تَنَازَعَ فِيهِ... إلخ) أي: فَاعْمَلِ الثَّانِي عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ، وَالْأَوَّلَ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ، وَأَضْمِرْ فِي الْآخِرِ وَحُذِفَ؛ لِأَنَّهُ فَضْلَةٌ.

قوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾: تَيَقَّنْتُ) أي: فَالْمُرَادُ بِالظَّنِّ: الْيَقِينُ، وَقَالَ ذَلِكَ تَحَدُّثاً بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ نَجَا بِسَبَبِ خَوْفِهِ مِنْ يَوْمِ الْحِسَابِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَيَقَّنَ أَنَّ اللَّهَ يُحَاسِبُهُ، فَعَمِلَ لِلْآخِرَةِ، فَحَقَّقَ اللَّهُ رَجَاءَهُ، وَأَمَّنْ خَوْفَهُ.

(١) رواه الترمذي (٢٤٢٥)، وابن ماجه (٤٢٧٧) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالياء التحتية؛ لأنَّ التانيث مجازي، والباقون بالناء. انظر «السراج المنير» (٣٧٤/٤).

أَفْ مُلَقٍ حَسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْتَنِنِي لَمْ أَوْتِ كِتَابِيَّةٍ ﴿٢٥﴾

﴿أَفْ مُلَقٍ حَسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾: مَرْضِيَّةٌ، ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾ قُطُوفُهَا: ثِمَارُهَا ﴿دَانِيَةٌ﴾: قَرِيبَةٌ يَتَنَاوَلُهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالْمُضْطَجِعُ، يُقَالُ لَهُمْ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ - حال - أي: مُتَهَنِّتِينَ ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الْمَاضِيَةِ فِي الدُّنْيَا.

(٢٥ - ٢٩) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا﴾ - لِلتَّنْبِيهِ - ﴿يَلْتَنِنِي لَمْ أَوْتِ كِتَابِيَّةٍ ﴿٢٥﴾﴾ ..

حاشية الصاوي

قوله: (مرضيّة) أشار بذلك إلى أَنَّ صيغة (فاعل) بمعنى (مفعول) أي: يرضى بها صاحبها ولا يَسْخَطُهَا؛ لما ورد: «أنهم يعيشون فلا يموتون أبداً، ويصحّون فلا يمرضون أبداً، ويُنعّمون فلا يرون بأساً أبداً»^(١).

قوله: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: مُرتفعة المكان والدرجات، والأبنية والأشجار.

قوله: ﴿قُطُوفُهَا﴾ جمع (قُطْفٍ) بكسر القاف؛ أي: المقطوف، وهو ما يجتنيه الجاني من الثمار.

قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي: يُقال لهم ذلك. والأمر للاثنتين^(٢).

قوله: (أي: مُتَهَنِّتِينَ) أي: بذلك الأكل الطيب اللذيذ الشهّي، البعيد عن كلّ أذى، السالم من كلّ آفة وقدر؛ فلا بول ولا غائط، ولا بُصاق ولا مخاط، ولا صداغ ولا ثقل.

قوله: ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ الباء: سببية، و(ما): مصدرية، أو اسم موصول.

قوله: (الماضية في الدنيا) وقيل: هي أيام الصيام، والمعنى: كُلُوا وَاشْرَبُوا بدل ما أَمْسَكْتُمْ عن الأكل والشرب لوجه الله تعالى.

قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ﴾... إلخ) جرّت عادة الله تعالى في كتابه حيث ذكر أحوال السعداء.. يذكّر إثر ذلك أحوال الأشقياء^(٣).

قوله: ﴿فَيَقُولُ﴾ أي: لِمَا يرى من سوء عاقبته التي رآها.

(١) رواه مسلم (٢٨٣٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحَوْا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا».

(٢) وجمع الضمير مُراعاة للمعنى؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ﴾ يتضمّن معنى الجمع. «فتوحات» (٤/٤١٥).

(٣) وذكر سبحانه وتعالى المقبول وبدأ به؛ تشويقاً إلى حاله، وتغبيطاً بعاقبته وحسن حاله، وأتبعه المردود؛ تنفيراً عن أعماله بما ذكر من قبائح أحواله. «السراج المنير» (٤/٣٧٦).

وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ ﴿٢٦﴾ يَلِيَّتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَّةُ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾

وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ ﴿٢٦﴾ يَلِيَّتَهَا ﴿٢٦﴾ أي: المَوْتَةُ فِي الدُّنْيَا ﴿كَانَتْ الْقَاضِيَّةُ﴾: القاطعة لِحَيَاتِي بِأَنْ لَا أُبْعَثَ، ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾: قُوَّتِي وَحُجَّتِي - وهَاءُ ﴿كِنْيَةٍ﴾ و﴿حِسَابِيَّةٌ﴾ و﴿مَالِيَّةٌ﴾ و﴿سُلْطَانِيَّةٌ﴾ لِلسَّكْتِ؛ تَثَبُّتٌ وَقَفًا وَوَصْلًا أَتْبَاعًا لِلْمُصْحَفِ الْإِمَامِ وَالنَّقْلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَذَفَهَا وَصْلًا ..

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ﴾ ﴿مَا﴾: استفهامية مبتدأ، و﴿حِسَابِيَّةٌ﴾: خبرها، والجملة سَدَّتْ مَسَدَّ مَفْعُولِي ﴿أَدْرِ﴾، والاستفهام للتعظيم والتهويل، والمعنى: ولم أدْرِ عَظِيمَ حِسَابِي وشِدَّتَهُ.

قوله: (أي: المَوْتَةُ فِي الدُّنْيَا) والمعنى: يَا لَيْتَ المَوْتَةَ فِي الدُّنْيَا كَانَتْ القَاطِعَةَ لِحَيَاتِي، وَلَمْ أُبْعَثْ بَعْدَ ذَلِكَ أَصْلًا.

قوله: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي﴾ ﴿مَا﴾: نافية، والمفعولُ محذوفٌ، والمعنى: لَمْ يُغْنِ عَنِّي مَالِي شَيْئًا، أَوْ استفهامية للتوبيخ؛ أي: أَيُّ شَيْءٍ أَغْنَى مَا كَانَ لِي مِنَ الْيَسَارِ الَّذِي مَنَعْتُ مِنْهُ حَقَّ الْفُقَرَاءِ، أَوْ تَكَبَّرْتُ بِهِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ؟

قوله: ﴿مَالِيَّةٌ﴾ (يَحْتَمِلُ أَنَّ ﴿مَا﴾ اسْمٌ مَوْصُولٌ، فَاعِلٌ ﴿أَغْنَى﴾، وَالْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ: صَلَءُ ﴿مَا﴾، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ (مَالِي) كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ بِمَعْنَى الْمَالِ، فَاعِلٌ ﴿أَغْنَى﴾، مُضَافٌ لِبَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

قوله: (قُوَّتِي وَحُجَّتِي) أَشَارَ الْمُفَسِّرُ إِلَى أَنَّ فِي السُّلْطَانِ تَفْسِيرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: الْقُوَّةُ الَّتِي كَانَتْ لَهَا فِي الدُّنْيَا، وَالثَّانِي: الْحُجَّةُ الَّتِي كَانَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَى النَّاسِ.

قوله: (وهَاءُ ﴿كِنْيَةٍ﴾ . . . إلخ) (ها): مَبْتَدَأٌ، وَ(لِلسَّكْتِ): خَبَرٌ أَوَّلٌ، وَقَوْلُهُ: (تَثَبُّتٌ) خَبَرٌ ثَانٍ. قَوْلُهُ: (تَثَبُّتٌ وَقَفًا) أَي: عَلَى الْقَاعِدَةِ فِي هَاءِ السَّكْتِ.

قوله: (ووصلاً) هَذَا مُخَالَفٌ لِقَاعِدَةِ هَاءِ السَّكْتِ، وَلَمَّا كَانَ مُخَالَفًا . . أَجَابَ بِجَوَابَيْنِ:

الأول: قَوْلُهُ: (أَتْبَاعًا لِلْمُصْحَفِ) أَي: فَلَمَّا كَانَتْ ثَابِتَةً فِيهِ . . تَثَبُّتَ فِي النُّطْقِ وَلَوْ فِي الْوَصْلِ؛ أَتْبَاعًا لِلرَّسْمِ.

الثاني: قَوْلُهُ: (وَالنَّقْلِ) أَي: وَأَتْبَاعًا لِلنَّقْلِ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فَقَدْ ثَبَّتَ عَنْهُ ثُبُوتُهَا وَصْلًا، فَلَيْسَ لِحَنًا؛ لِأَنَّ مَا خَرَجَ مِنَ الْقَوَاعِدِ لَا يَكُونُ لِحَنًا إِلَّا إِذَا لَمْ يَثَبُّتْ، وَهَذَا قَدْ ثَبَّتَ عَنِ النَّبِيِّ، وَنُقِلَ إِلَيْنَا بِالتَّوَاتُرِ.

خُذُوهُ فَعْلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ لَجَّيْمٌ مَّالُوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾

(٣٠ - ٣٧) ﴿خُذُوهُ﴾ - خِطَابٌ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ - ﴿فَعْلُوهُ﴾: اجْمَعُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ فِي الْعُلِّ، ﴿ثُمَّ لَجَّيْمٌ﴾: النَّارُ الْمُحْرِقَةُ ﴿مَّالُوهُ﴾: أَدْخِلُوهُ، ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ بِذِرَاعِ الْمَلِكِ ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أَي: أَدْخِلُوهُ فِيهَا بَعْدَ إِدْخَالِهِ النَّارِ - وَلَمْ تَمْنَعِ الْفَاءُ مِنْ تَعْلُقِ الْفِعْلِ بِالظَّرْفِ الْمُتَقَدِّمِ -،
حاشية الصاوي

قوله: (ومنهم) أي: القراء السبعة، وهو حمزة، والعشرة وهو يعقوب^(١).

قوله: ﴿خُذُوهُ﴾ معمولٌ لقولٍ مقدَّرٍ جوابٍ عن سؤالٍ مقدَّرٍ، تقديرُهُ: ما يُفَعَّلُ به بعد ذلك؟ فقيل: يقال... إلخ.

قوله: ﴿خِطَابٌ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ أي: زَبَانِيَّتِهَا، وسيأتي في (المدثر) أَنَّ عَدَّتْهُمُ تِسْعَةَ عَشَرَ؛ قيل: ملكاً، وقيل: صفًا، وقيل: صِنْفًا.

قوله: ﴿ثُمَّ لَجَّيْمٌ﴾ الترتيب في الزمان والرتبة؛ فَإِنَّ إِدْخَالَ فِي النَّارِ بَعْدَ غَلِّهِ، وَكَذَا إِدْخَالَهُ فِي السِّلْسِلَةِ بَعْدَ إِدْخَالِهِ النَّارَ، وَكُلُّ وَاحِدٍ أَشَدُّ مِمَّا قَبْلَهُ.

قوله: ﴿مَّالُوهُ﴾ أَي: كَرَّرُوا غَمْسَهُ فِي النَّارِ كَالشَّاةِ الَّتِي تُصَلَّى - أَي: تُشْوَى - عَلَى النَّارِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

قوله: ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ بِذِرَاعِ الْمَلِكِ، وهذا قول ابن عباس، قال: (فتدخل في دبره، وتخرج من منخره)^(٢).

وقيل: سَبْعُونَ ذِرَاعًا؛ كُلُّ ذِرَاعٍ سَبْعُونَ بَاعًا، كُلُّ بَاعٍ أَبْعَدُ مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْكُوفَةِ، وَقِيلَ: سَبْعُونَ ذِرَاعًا؛ كُلُّ ذِرَاعٍ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَقِيلَ: لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْعَدَدِ حَقِيقَتُهُ، بَلْ هُوَ كُنَايَةٌ عَنْ عِظَمِهَا وَطُولِهَا.
قال كعب: (لَوْ جُمِعَ حَدِيدُ الدُّنْيَا... مَا وَزَنَ حَلَقَةً مِنْهَا)^(٣) أَجَارَنَا اللَّهُ مِنْهَا.

وأشار سبحانه إلى ضيق ما تحيط به من بدنه بتفسيره بالسِّلَكِ فقال: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أَي: أَدْخِلُوهُ بِحَيْثُ يَكُونُ كَأَنَّهُ السِّلَكُ الَّذِي يُدْخَلُ فِي ثَقْبِ الْخُرْزِ؛ لِإِحَاطَتِهَا بِعُنُقِهِ وَبِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ.

(١) انظر «السراج المنير» (٤/٣٧٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/٥٨٩).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/٣٧٥)، وابن المبارك في «الزهد» (٢/٨٣).

إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِثُونَ ﴿٣٧﴾

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ﴾: قَرِيبٌ يَنْتَفِعُ بِهِ، ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلٍ﴾: صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ أَوْ شَجَرِ فِيهَا، ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِثُونَ﴾: الْكَافِرُونَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (تعليلٌ على طريق الاستئناف، كأنه قيل: ما باله يعذبُ هذا العذابَ الشَّدِيدَ؟ فأجيبَ بذلك، ولعلَّ وجه التَّخصيصِ لهذين الأمرين بالذكر: أنَّ الكفرَ أقبَحُ الأشياءِ، والبُخلُ مع قسوة القلب يليه.

قوله: ﴿وَلَا يَحْضُ﴾ (أي: لا يَحُتُّ ولا يُحَرِّضُ نَفْسَهُ ولا غَيْرَهُ، وقوله: ﴿عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ أي: إطعامِهِ.

قوله: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا﴾... إلخ (أي: في الآخرة، و(حميم) وما عطف عليه: اسمٌ (ليس)، وخبرُها الظَّرْفُ قبله^(١).

فإن قلت: ما التوفيق بين ما هنا وبين قوله في محلٍّ آخر: ﴿إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦]، وفي موضعٍ آخر: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقْوِمِ ﴿٣٢﴾ طَعَامُ الْأَثِيرِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤]، وفي موضعٍ آخر: ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ [البقرة: ١٧٤]؟

قلنا: لا منافاة؛ إذ جميعُ ذلك طعامٌ لهم، فالحصرُ إضافيٌّ، والمنفيُّ بالحصرِ طعامٌ فيه نفعٌ.

قوله: (صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ) هو ما يجري من الجراح إذا غُسِلَتْ.

قوله: (أو شَجَرٌ فِيهَا) أي: إذا أَكَلُوهُ يَغْسِلُ بِطُونَهُمْ؛ أي: يُخْرِجُ ما فيها من الحشَوِ.

قوله: ﴿إِلَّا الْخَاطِثُونَ﴾ (العامَّةُ يهْمَزُونَ) ﴿الْخَاطِثُونَ﴾^(٢)، وهو اسمُ فاعِلٍ، من: خَطِئَ يَخْطِئُ: إذا فعلَ غيرَ الصوابِ متعمِّداً، والمُخْطِئُ مَنْ يَفْعَلُهُ غيرَ متعمِّدٍ.

(١) وهو إما (له)، أو (ههنا)، وإيهما كان خبيراً تعلَّقَ به الآخر، أو كان حالاً من (حميم)، ولا يجوز أن يكون (اليوم) خبيراً البتة؛ لأنَّه زمان، والمخبر عنه جَنَّةٌ. انظر «الدر المصون» (١٠/٤٣٧).

(٢) وقرأ الزهري والمعتكي وطلحة والحسن: (الخاطيون) بياء مضمومة بدل الهمزة. انظر «الدر المصون» (١٠/٤٣٩).

فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾

(﴿٣٨﴾ - ﴿٤٣﴾) ﴿فَلَا﴾ - زائدة - ﴿أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ مِنْهَا أَي: بِكُلِّ مَخْلُوقٍ، ﴿إِنَّهُ﴾ أَي: الْقُرْآنَ ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أَي: قَالَه رِسَالَةً عَنْ اللَّهِ تَعَالَى،

حاشية الصاوي

قوله: (زائدة) أي: والمعنى: أقسم لكم يا عبادي بما تشاهدون من المخلوقات، وما لا تشاهدون... إلخ.

وإنما أقسم بالمخلوقات؛ لعظمها وشرفها بعظم خالقها وموجدِها؛ فالقسم بالمخلوقات لا من حيث ذاتها، بل من حيث إنها آثارُ عظمته، ومُظهرُ صفاته سبحانه وتعالى، والنهي عن القسم بغير الله خاصٌّ بالمخلوق، أمّا هو سبحانه.. فله أن يُقسم بما شاء على ما شاء.

وما ذكره المفسرُ أحدُ قولين، والآخر: أنها أصلية، والمعنى: أن هذا الأمرَ لظهوره ووضوحه غنيٌّ عن القسم، والأوّل أوضح وأوجه.

قوله: (من المخلوقات) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (أي: بكلِّ مخلوقٍ) تفسيرٌ لمجموع قوله: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾.

قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا هو المحلّوف عليه، وكذا قوله: ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٍ﴾ وما بعده، والمرادُ بالرسول الكريم: مُحَمَّدٌ ﷺ، وكرّمه: اجتماعُ الكمالات فيه، فهو أكرمُ الخلق على الإطلاق.

وقيل: المراد به: جبريلُ عليه السلام، ويؤيده قوله في (سورة التكوين): ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوين: ١٩]، وكرّمه: كونه رئيسَ العالم العلويّ.

قوله: (أي: قاله رِسَالَةً... إلخ) جوابٌ عمّا يقال: إنَّ القرآنَ قولُ الله وكلامه، فكيف يقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾؟

فأجاب: بأنّه قوله على سبيل التبليغ، والحاصل: أنّه يُنسبُ لله مِنْ حيثُ إيجاده، ولجبريلَ مِنْ حيثُ تلقّيه عن الله، ولمحمّدٍ مِنْ حيثُ تلقّيه عن جبريل^(١).

(١) وعبارة الإمام الرازي في «تفسيره» (٦٣٣/٣٠) جواباً عن السؤال: (يكفي في صدق الإضافة أدنى سبب، فهو كلام الله =

وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ﴾ - بِالنَّاءِ والياءِ فِي الْفِعْلَيْنِ،
و﴿مَّا﴾ مَزِيدَةٌ مُّوَكَّدَةٌ - وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ آمَنُوا بِأَشْيَاءَ يَسِيرَةٍ وَتَذْكُرُوهَا مِمَّا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ
مِنَ الْخَيْرِ وَالصُّلَّةِ وَالْعَفَافِ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ شَيْئًا، بَلْ هُوَ ﴿نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ﴾ . . . (إلخ) إِنَّمَا عَبَّرَ بِالْإِيمَانِ فِي جَانِبِ نَفْيِ الشَّعْرِ، وَالتَّذَكُّرِ فِي جَانِبِ
نَفْيِ الْكُهَانَةِ؛ لِأَنَّ عَدَمَ مِثَابَةِ الْقُرْآنِ لِلشَّعْرِ أَمْرٌ ظَاهِرٌ، لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا مُعَانِدٌ كَافِرٌ، بِخِلَافِ مَغَايِرَتِهِ
لِلْكُهَانَةِ فَإِنَّهَا مُتَوَقِّفَةٌ عَلَى التَّذَكُّرِ وَالتَّدْبِيرِ فِي أَحْوَالِهِ ﷺ الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِكَاهِنٍ .

قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾) أي: تُؤْمِنُونَ بِشَيْءٍ قَلِيلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ مِمَّا يُوَافِقُ طَبْعَكُمْ، وَهَذَا مَا دَرَجَ
عَلَيْهِ الْمَفْسِّرُ .

وقيل: أَرَادَ بِالْقَلَّةِ نَفْيَ إِيمَانِهِمْ أَصْلًا؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِشَيْءٍ دُونَ شَيْءٍ كَلَامٌ إِيْمَانٌ، وَذَلِكَ كَقَوْلِكَ
لِمَنْ لَا يَزُورُكَ: (قَلَمًا تَأْتِينَا)، وَأَنْتَ تُرِيدُ: لَا تَأْتِينَا أَصْلًا .

قوله: (بِالنَّاءِ والياءِ) أي: فَهَمَا سَبْعِيَّتَانِ؛ فَالْأُولَى: لِمُنَاسَبَةِ ﴿تُبْصِرُونَ﴾، وَالثَّانِيَةُ: التَّفَاتُ
عَنِ الْخُطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ^(١) .

قوله: (و«ما»: زائدة مُوَكَّدَةٌ) أي: لِمَعْنَى الْقَلَّةِ، وَ﴿قَلِيلًا﴾: صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ
فِي الْمَوْضِعَيْنِ؛ أي: إِيْمَانًا قَلِيلًا، وَتَذَكُّرًا قَلِيلًا .

قوله: (مِمَّا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ) (مِنْ): لِلتَّبَعِيضِ فِي مُحَلِّ الْحَالِ مِنْ (أَشْيَاءَ)، وَالْمَعْنَى: حَالٌ كَوْنِ
تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الْيَسِيرَةِ بَعْضُ مَا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ، وَقَوْلُهُ: (مِنْ الْخَيْرِ) بَيَانٌ لِلأَشْيَاءِ الْيَسِيرَةِ الَّتِي هِيَ بَعْضُ
مَا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ، فَكَانَ الْمُنَاسِبُ لِلْمَفْسِّرِ أَنْ يُقَدِّمَهُ عَلَى قَوْلِهِ: (مِمَّا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ) .

= تعالى؛ بِمَعْنَى: أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَظْهَرَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَهُوَ الَّذِي رَبَّنَا وَنَظَّمَهُ، وَهُوَ كَلَامُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ؛ بِمَعْنَى: أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْأَرْضِ، وَهُوَ كَلَامُ مُحَمَّدٍ؛ بِمَعْنَى: أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَظْهَرَهُ
لِلخَلْقِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، وَجَعَلَهُ حُجَّةً لِنُبُوَّتِهِ) .

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر بخلاف عن ابن ذكوان بالغيبة في (يؤمنون) و(يذكرون)؛ حملًا على قوله: ﴿الْخَاطِئُونَ﴾،
وَالْبَاقُونَ بِالْخُطَابِ . انظر «الدر المصون» (١٠/٤٤٢) .

وَلَوْ نَقَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾

(٤٤ - ٤٧) ﴿وَلَوْ نَقَوْلَ﴾ أي: النَّبِيُّ ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ بِأَن قَالَ عَنَّا مَا لَمْ نَقُلْهُ، ﴿لَأَخَذْنَا﴾: لِنَلْنَا ﴿مِنْهُ﴾ عِقَاباً ﴿بِالْيَمِينِ﴾: بِالْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ، ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾: نِيَاطَ الْقَلْبِ، وَهُوَ عِرْقٌ مُتَّصِلٌ بِهِ إِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ، ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ - هُوَ اسْمُ (مَا) وَ﴿مِنْ﴾ زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ، وَ﴿مِنْكُمْ﴾ حَالٌ مِنْ ﴿أَحَدٍ﴾ - ﴿عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾: مَانِعِينَ - خَبَرٌ حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

والمراد بالخير: الصَّدَقَةُ، وبالصَّلَّة: صِلَةُ الْأَرْحَامِ، وبالعفاف: الكفُّ عَنِ الزَّنا، وَإِنَّمَا آمَنُوا بِهَذِهِ الْأَشْيَاء؛ لِمُوَافَقَتِهَا طِبَاعَهُمْ.
قوله: ﴿وَلَوْ نَقَوْلَ عَلَيْنَا﴾ أي: تَكَلَّفَ التَّقَوْلَ.

قوله: ﴿بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ (إِمَّا جَمْعُ (أَقْوَالٍ)، وَهُوَ جَمْعُ (قَوْلٍ)، أَوْ جَمْعُ (أَقْوُولَةٍ) ك: (أَعَاجِيبَ) جَمْعُ (أَعْجُوبَةٍ)؛ فَعَلَى الْأَوَّلِ: (أَقَاوِيلَ) جَمْعُ الْجَمْعِ، وَعَلَى الثَّانِي: جَمْعٌ فَقَطْ، وَالْمَعْنَى: لَوْ نَسَبَ إِلَيْنَا قَوْلًا لَمْ نَقُلْهُ أَوْ لَمْ نَأْذِنْ لَهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ... لَأَخَذْنَا... إلخ.

قوله: (لِنَلْنَا) فَسَّرَ الْأَخَذَ بِالنَّيْلِ؛ لِتَعْدِيَّتِهِ بِالْجَارِّ، وَعَلَيْهِ: (فَمِنْ) وَالْبَاءُ غَيْرُ زَائِدَتَيْنِ، وَالْمَعْنَى: لِنَلْنَا مِنْهُ بِالْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ، فَالْيَمِينُ كُنَايَةٌ عَنِ الْقُوَّةِ وَالْغَلْبَةِ، وَ(أَل) عَوْضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ؛ أَي: يَمِينُ اللَّهِ.

وَيَصِحُّ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْيَمِينِ: الْجَارِحَةُ، وَالْبَاءُ زَائِدَةٌ، وَالْمَعْنَى: لَأَخَذْنَا مِنْهُ يَمِينَهُ، كَمَا يُفْعَلُ بِالْمَقْتُولِ صَبْرًا، يُؤْخَذُ بِيَمِينِهِ، وَيُضْرَبُ بِالسَّيْفِ فِي عُنُقِهِ مُوَاجِهَةً.

قوله: (وَهُوَ عِرْقٌ مُتَّصِلٌ بِهِ... إلخ) هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْجُمْهُورِ، وَقِيلَ: الْوَتِينَ هُوَ الْقَلْبُ وَمَرَاقُهُ وَمَا يَلِيهِ^(١)، وَقِيلَ: هُوَ عِرْقٌ بَيْنَ الْعُنُقِ وَالْحَلْقُومِ، وَقِيلَ: هُوَ كُنَايَةٌ عَنِ إِمَاتَتِهِ، وَالْمَعْنَى: لَوْ كَذَبَ عَلَيْنَا... لَأَمْتَنَاهُ، فَكَانَ كَمَنْ قُطِعَ وَتِينُهُ.

قوله: ﴿عَنْهُ﴾ أي: عَنْ عِقَابِهِ، فَهُوَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ.

قوله: ﴿حَاجِزِينَ﴾ مَفْعُولُهُ مَحْذُوفٌ؛ أَي: حَاجِزِينَ لَنَا.

(١) المراق: المواضع التي تَرُقُّ جلودها من الجسم.

وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

(ما)، وجميع لأن (أحداً) في سياق النفي بمعنى الجمع - وضمير ﴿عنه﴾ للنبي ﷺ، أي: لا مانع لنا عنه من حيث العقاب.

(﴿٤٨﴾ - ﴿٥٢﴾) ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿مُكَذِّبِينَ﴾ بالقرآن ومُصَدِّقِينَ، ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ إذا رأوا ثواب المُصَدِّقِينَ وعقاب المُكَذِّبِينَ به، ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ أي: اليقين الحق؛ ﴿فَسَبِّحْ﴾: نزهة ﴿بِاسْمِ﴾ - الباء زائدة - ﴿رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ سبحانه.

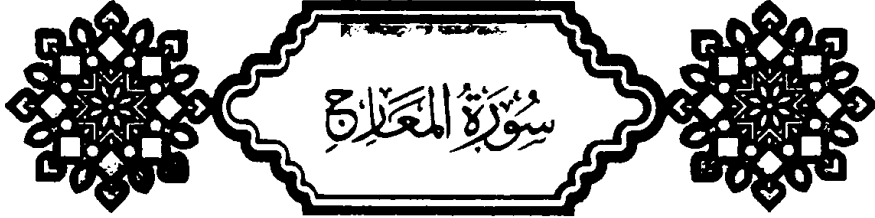
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ﴾ هذا وما بعده معطوف على جواب القسم، فهو من جملة المقسم عليه.
قوله: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ خصَّهم بالذكر؛ لأنهم المتفعون به.
قوله: ﴿أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ﴾ أي: فَنُهِلُهُمْ ثُمَّ بعد بعثهم نجازيهم على تكذيبهم، وقوله: (ومُصَدِّقِينَ) أشار بذلك إلى أنَّ في الآية حذف الواو مع ما عطف.
قوله: (أي: لليقين الحق) أشار بذلك إلى أنه من إضافة الصفة للموصوف، والمعنى: مَنْ تَمَسَّكَ به وعمل بمقتضاه.. صار من أهل حق اليقين.
قوله: (زائدة) أي: لفظ ﴿بِاسْمِ﴾ زائد، والمعنى: نزهة ربك العظيم واشكره على ما أعطاك من النعم العظيمة، ولا تلتفت لهم ولا لكيدهم^(١).



(١) ويجوز أن تكون الباء للحال؛ أي: فسبح ملتبساً باسم ربك، أو متبركاً، ويجوز أن تكون الباء للتعدية بناءً على أنَّ (سبح) يتعدى تارة بنفسه، وتارة أخرى بحرف الجر، وتقدم للمصنف رحمه الله في (سورة الواقعة): (أنَّ ما مشى عليه المفسر من زيادة لفظ «اسم» أحد قولين، والآخر: أنه ليس زائداً، بل كما يجب تعظيم الذات وتنزيهاها عن النقائص.. كذلك يجب تعظيم الاسم وتنزيهه عن النقائص؛ ولذا قال الفقهاء: مَنْ وجد اسم الله تعالى مكتوباً في ورقة وموضوعاً في قدر وتركه.. فقد كفر؛ وذلك لأنَّ التهاون بأسماء الله كالتهاون بذاته؛ لأنَّ الاسم دالٌّ على المسمَّى، وهذا هو الأتم).

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾



مَكِّيَّة، أَرْبَعٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾: دَعَا دَاعٍ

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

وتسمَّى سورة (سأل سائل).

قوله: (مَكِّيَّة) أي: إجماعاً.

قوله: ﴿سَأَلَ﴾ بالهمز، والألف، قراءتان سبعيتان؛ فالهمز هو الأصل، من السؤال وهو الدعاء، وأمَّا قراءة الألف.. فيحتمل أنَّها بمعنى قراءة الهمزة غير أنَّه خَفَّفَ بقلب الهمزة ألفاً، أو الألف مُنْقَلِبَةً عن واو؛ ك: (خاف يخاف)، والواو مُنْقَلِبَةً عن الهمزة، أو من السيلان فالألف مُنْقَلِبَةً عن ياء، والمعنى: سأل سائلٌ؛ أي: وادٍ في جهنَّم^(١).

وأمَّا ﴿سَائِلٌ﴾.. فبالهمز لا غير؛ لأنَّ العين إذا أَعْلَتْ في الفعل تُعَلِّ في اسم الفاعل أيضاً، وقد أَعْلَتْ بالقلب همزة ك: قائل، وبائع، وخائف.

واعلم: أنَّ مادَّة السؤال تتعدَّى لمفعولين، يجوز الاقتصار على أحدهما، ويجوز تعديته بحرف الجر، وحيثُذ فيكون التَّقْدِيرُ هنا: سأل سائلُ الله - أو النبي - عذاباً واقعاً.

قوله: (دعا داع) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿سَأَلَ﴾ من السؤال، وهو الدعاء، ولمَّا ضُمِّنَ معناه.. تتعدَّى تعديته، ويصحُّ أنَّ الباء زائدة للتوكيد؛ كقوله تعالى: ﴿وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ يَجْحَظُ النَّحْلَةُ﴾ [مريم: ٢٥]، ويصحُّ أنَّ الباء بمعنى (عن).

(١) قرأ نافع وابن عامر بألف مَحْضَةٍ، والباقيون بهمزة مُحَقَّقة. انظر «الدر المصون» (١٠/٤٤٧).

بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾

﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ هو النَّضْرُ بن الحارث، قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ...﴾ الْآيَةُ [الأنفال: ٣٢]،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: سيقع، وعبر بذلك؛ إشارةً لتحقيق وقوعه إمّا في الدنيا وهو عذاب يوم بدر؛ فإنَّ النَّضْرَ قتل يومئذٍ صبراً، وإمّا في الآخرة وهو عذاب النار.

قوله: ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ اللام للتعليل، والتقدير: نازل من أجل الكافرين، أو بمعنى (على) أي: واقع على الكافرين.

قوله: ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ إمّا نعت آخر (عذاب)، أو حال منه، أو مستأنف.

قوله: (هو النَّضْر بن الحارث) هذا قول ابن عباس، وقيل: هو الحارث بن النعمان، وذلك أنه لما بلغه قول النبي ﷺ لعلِّي: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيَّْ مَوْلَاهُ»^(١). . . ركب ناقته، فجاء حتّى أناخ راحلته بالأبطح وقال: يا محمد؛ أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، فقبلناه منك، وأن نحجّ، فقبلناه منك، وأن نصوم شهر رمضان في كلِّ عام، فقبلناه منك، ثم لم ترض حتى فضلت ابن عمك علينا؛ أفهذا شيء من عندك أم من الله تعالى؟ فقال النبي ﷺ: «والذي لا إله إلا هو؛ ما هو إلا من الله»، فولى الحارث وهو يقول: اللهم؛ إن كان ما يقول محمد حقاً. . . فأمطر علينا حجارة من السماء، فوالله؛ ما وصل إلى ناقته حتّى رماه الله بحجر، فوقع على دماغه، فخرج من دُبُرِهِ، فقتله، فنزلت^(٢).

وقيل: هو أبو جهل، وقيل: جماعة من كفّار قريش، وقيل: هو نوح عليه السلام؛ سأل العذاب على كفّار قومه.

قوله: (قال: اللهم... إلخ) أي: استهزاء وإيهاماً أنه على بصيرة؛ حيث جزم ببطلانه.

(١) رواه الترمذي (٣٧١٣) عن سيدنا حذيفة بن أسيد، أو زيد بن أرقم رضي الله عنهما، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٣٤٣)، وابن ماجه (١٢١) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) انظر سبب النزول في «تفسير القرطبي» (٢٧٨/١٨)، و«السراج المنير» (٣٨٠/٤)، وقال العلامة الألوسي في «روح المعاني» (٦٢/١٥) بعد أن ساق الخبر: (وأنت تعلم أن ذلك القول منه عليه الصلاة والسلام في أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه كان في غدير خم، وذلك في أواخر سني الهجرة؛ فلا يكون ما نزل مكياً على المشهور في تفسيره).

مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ

﴿٤﴾

﴿مِنْ اللَّهِ﴾ - مُتَّصِلٌ بِ﴿وَاقِعٍ﴾ - ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ : مَصَاعِدُ الْمَلَائِكَةِ وَهِيَ السَّمَاوَاتُ .
 (٤ - ٥) ﴿تَعْرُجُ﴾ - بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ - ﴿الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ : جِبْرِيلُ ﴿إِلَيْهِ﴾ :
 إِلَى مَهْبِطِ أَمْرِهِ مِنَ السَّمَاءِ ﴿فِي يَوْمٍ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ - أَي : يَقَعُ الْعَذَابُ بِهِمْ فِي يَوْمِ
 الْقِيَامَةِ ، ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكَافِرِ لِمَا يَلْقَى فِيهِ مِنَ الشَّدَائِدِ ،
 وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَكُونُ عَلَيْهِ أَخَفٌّ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيُهَا فِي الدُّنْيَا

حاشية الصاوي

قوله : (مُتَّصِلٌ بِ﴿وَاقِعٍ﴾) أي : متعلق به ، وعليه : فجملة ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ معترضة بين العامل
 والمعمول إن جُعِلَتْ مستأنفة ، وأما إن جُعِلَتْ صفةً لـ (عذاب) . . فليست اعتراضية .

قوله : (﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾) أي : صاحبها وخالقها ؛ فليس لغيره مدخل فيها .

قوله : (مَصَاعِدُ الْمَلَائِكَةِ) أشار بذلك إلى أَنَّ العروج بمعنى : الصعود ، و﴿الْمَعَارِجِ﴾ : جمع
 (مَعْرَجٍ) بفتح الميم ، وهو موضع الصُّعُود ، وما مشى عليه المفسر أحد أقوال ، وقيل : المراد : معارجُ
 المؤمنين في دار الثواب وهي الجنة ، وقيل : معارجُ الأعمال الصالحة ؛ فإنها تتفاوت بحسب
 الإخلاص والآداب ونحو ذلك .

قوله : (بالنَّاء والياء) أي : فهما قراءتان سبعيتان^(١) .

قوله : (جبريل) أشار بذلك إلى أَنَّ عطف (الروح) على ما قبله عطفٌ خاصٌّ على عامٍّ .

قوله : (إِلَى مَهْبِطِ أَمْرِهِ) بكسر الباء بوزن (مسجد) ، وهو جوابٌ عن سؤال مقدّر ، تقديره : إنَّ
 ظاهر الآية يقتضي أَنَّ الله تعالى في مكانٍ ، والملائكة يصعدون إليه ، فأجاب : بأنَّ الكلام على حذف
 مضافٍ ؛ أي : إلى محلِّ هبوطِ أمرِهِ ، وهو السَّمَاءُ .

قوله : (متعلقٌ بمحذوف) أي : دلَّ عليه ﴿وَاقِعٍ﴾ .

قوله : (لما يَلْقَى فِيهِ مِنَ الشَّدَائِدِ) أشار بذلك إلى أَنَّ الكلام من باب التمثيل والتخييل ، فليس
 المراد حقيقة العدد ، بل المراد : أَنَّهُ يَطُولُ عَلَى الْكَافِرِ ؛ لما يلقى فيه من الشَّدَائِدِ ؛ فتارةً يمثَّلُ بالآلِفِ ،

(١) قرأ الكسائي بالياء التحتية ، والباقون بالناء الفوقية . انظر «الدر المصون» (١٠/٤٥٠) .

فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَرَنَّهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾

كما جاء في الحديث، ﴿فَاصْبِرْ﴾ وهذا قبل أن يُؤمرَ بالقتال، ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أي: لا جَزَع فيه.

(٦ - ١٠) ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ أي: العَذَابَ ﴿بَعِيدًا﴾ غَيْرَ وَاقِعٍ، ﴿وَرَنَّهُ قَرِيبًا﴾: وَاقِعًا لَا مَحَالَةَ. ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ أَي: يَقَعُ - ﴿كَالْمُهْلِ﴾: كَذَائِبِ الْفِضَّةِ،

حاشية الصاوي

وبالخمسين ألفاً؛ كناية عن عظم الشدائد، أو يقال: يمثل بالخمسين ألفاً في حق قوم من الكفار، والألف في حق قوم آخر منهم^(١)، وحينئذ: فلا مُنافاةَ بَيْنَ ما هنا وآية (السجدة)^(٢)، وقيل: خمسون ألفاً حقيقة؛ لما ورد: «أن موطن الحساب خمسون موطناً، يُحبسُ الكافرُ في كلِّ موطن ألفاً»^(٣).

قوله: (كما جاء في الحديث) أي: وهو ما رواه أبو سعيد الخدريُّ أنه قيل لرسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؛ فما أطول هذا اليوم؟! فقال: «والذي نفسي بيده؛ إنه ليخفُّ على المؤمن حتى يكون أخفَّ عليه من صلاة مكتوبة يُصلِّيها في الدنيا»^(٤).

قوله: ﴿فَاصْبِرْ﴾ مُفَرَّعٌ عَلَى قوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾؛ لأنه سأل على سبيل الاستهزاء، والمعنى: اصبر على استهزاء قومك، ولا تضجر منه، فهو تسلية له ﷺ.

قوله: (هذا قبل أن يؤمر... إلخ) أي: فهو منسوخٌ بآية القتال.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ أي: يعتقدونه.

قوله: ﴿وَرَنَّهُ﴾ أي: نعلمه، والنون للمتكلم المعظم نفسه، وهو الله تعالى.

قوله: (متعلق بمحذوف) أي: دالٌّ عليه ﴿وَاقِعٌ﴾.

قوله: (كذائب الفضة) وقيل: المهل: دُرْدِيُّ الزَّيْتِ^(٥).

(١) قوله: (آخر) كذا في الأصول؛ مُراعاةً للفظ (قوم).

(٢) في قوله تعالى: ﴿يَذُرُّ الْأَمْزَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْزُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

(٣) أورده البغوي في «تفسيره» (٢٢١/٨).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٦/١٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٣٤).

(٥) دُرْدِيُّ الزَّيْتِ: عَكْرُهُ.

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيًّا حِمِيًّا ﴿١٠﴾ يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِذِيهِ ﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ.....

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ : كَالصُّوفِ فِي الْخِفَّةِ وَالطَّيْرَانِ بِالرَّيْحِ ، ﴿وَلَا يَشْتُلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا﴾ : قَرِيبٌ قَرِيبَهُ لَا شَتِغَالٍ كُلُّ بِحَالِهِ .

(١١ - ١٤) ﴿يُصَرُّوهُمْ﴾ أي: يُبْصِرُ الأَحْمَاءُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَيَتَعَارَفُونَ ولا يَتَكَلَّمُونَ، - والجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ - ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ﴾: يَتَمَنَّى الكَافِرُ ﴿لَوْ﴾ - بِمَعْنَى (أَنْ) - ﴿يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ﴾ - بِكسر الميم وفتحها - ﴿بَيْنَهُ﴾ ﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ: زَوْجَتِهِ

حاشية الصاوي

قوله: (كالصُّوف) أي: مطلقاً، وقيل: بقيد كونه أحمر، أو مصبوغاً ألواناً، وهذه الأقوال في معنى (العهن) في اللغة.

قوله: ﴿وَلَا يَسْتَلْ حِمِيمٌ﴾... إلخ) القراء السبعة على بناءٍ ﴿يَسْتَلْ﴾ للفاعل، و﴿حِمِيمًا﴾: مفعول
أول، والثاني محذوف، تقديره: شفاعته، وقال أبو جعفر من العشرة بينائه للمفعول، و﴿حِمِيمٌ﴾ نائب
الفاعل، و﴿حِمِيمًا﴾: إمّا مفعولٌ ثانٍ على حذف مضاف؛ أي: إحضاره، أو منصوبٌ على نزع
الخافض؛ أي: عن حميم^(١).

قوله: ﴿يَبْصُرُونَهُمْ﴾ جمع الضميرين؛ نظراً لمعنى الحميمين؛ لأنَّهما نكرتان في سياق النفي، يَعْمان سائر الأقارب.

قوله: (والجملة مستأنفة) أي: استئنافاً بيانياً واقعاً في جوابِ سؤالٍ مقدّرٍ، نشأ من قوله: ﴿وَلَا يَسْتَلْ حِمِيًّا حَمِيًّا﴾، تقديره: إنَّ عدم السؤال ربّما يكون لعدم رؤيته، فأجاب: بأنَّهم يعرفون بعضهم، وينظرون إلى بعضهم، غير أنَّ كلَّ أحدٍ مشغولٌ بحاله، فلا يُمكنه السؤالُ لذلك^(٢).

قوله: (بمعنى «أن») أي: المصدريّة، فلا جواب لها، بل ينسبكُ منها ومما بعدها مصدرٌ، مفعول لـ **يُودُّ**، أي: يودُّ افتداءه.

قوله: (بكسر الميم) أي: على الإعراب، وقوله: (وفتحها) أي: على البناء، والقراءتان سبعيتان^(٣)، والتنوين عوض عن جمل متعدّدة، والمعنى: يوم إذ تكون السماء كالمهل... إلخ.

(١) انظر «الدر المصون» (١٠/٤٥٤).

(٢) وقيل: الجملة في موضع الصفة لـ (حميماً) أي: حميماً مبصرين معرفين إياهم. انظر «الكشاف» (٤/٦١٠).

(٣) قرأ نافع والكسائي بفتح الميم، والباقون بكسرهما. انظر «السراج المنير» (٤/٣٨٣).

وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَبُّهُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً
لِّلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾

﴿وَأَخِيهِ﴾ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ: عَشِيرَتُهُ لِفَصِيلِهِ مِنْهَا ﴿الَّتِي تُتَوَبُّهُ﴾: تَضُمُّهُ، ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ ذلك الافتداء - عَطْفٌ عَلَى ﴿يَقْتَدِي﴾ - .

(١٥ - ١٨) ﴿كَلَّا﴾ - رَدُّ لِمَا يَوَدُّهُ - ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النَّارُ ﴿لَأَطْلَى﴾: اسْمٌ لِّجَهَنَّمَ لِأَنَّهَا تَتَلَطَّى - أي: تَتَلَهَّبُ - عَلَى الْكُفَّارِ، ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾: جَمْعُ شَوَاةٍ وَهِيَ جِلْدَةُ الرَّأْسِ، ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ عَنْ الْإِيمَانِ بِأَنْ تَقُولَ: إِلَيَّ إِلَيَّ، ﴿وَجَمَعَ﴾ الْمَالَ ﴿فَأَوْعَى﴾: أَمْسَكُهُ فِي وَعَائِهِ وَلَمْ يُؤَدِّ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (لفصيله منها) أي: فهي (فَعِيلَة) بمعنى (مَفْعُولَة) أي: مفصول منها، والفصيصة؛ قيل: الآباء الأقربون، وقيل: الفخذ، وقيل: العشيرة.

قوله: (نضمه) أي: في النسب، وعند الشدة.

قوله: ﴿كَلَّا﴾ (يَحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ هُنَا بِمَعْنَى (حَقًّا)، فَالْكَلَامُ تَمَّ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾، وَيَحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى (لَا) النَّافِيَةِ، فَالْكَلَامُ تَمَّ عَلَيْهَا.

قوله: (أي: النَّارُ) إِنَّمَا عَادَ الضَّمِيرُ عَلَيْهَا وَإِنْ لَمْ يَتَقَدَّمْ لَهَا ذِكْرٌ؛ لِإِدْلَالَةِ لَفْظِ (العذاب) عَلَيْهَا.

قوله: ﴿لَأَطْلَى﴾ (خَبَرُ (إِنَّ)، وَ﴿نَزَّاعَةً﴾: خَبَرٌ ثَانٍ^(١).

قوله: (اسم لجهنم) أي: منقول؛ إذ هو في الأصل: اللَّهَبُ، جُعِلَ عَلَمًا عَلَيْهَا، وَمُنْعٌ مِنَ الصَّرْفِ؛ لِلْعِلْمِيَّةِ وَالتَّأْنِيثِ.

قوله: (جمع «شَوَاةٍ») أي: ك: (نَوَى وَنَوَاةً).

قوله: (وهي جلدة الرأس) أي: وقيل هو جلد الإنسان، ومعناه: قَلَاعَةٌ لِلْجِلْدِ، وَكَلِمَا قُلِعَتْ عَادَتْ.

قوله: (بأن تقول: «إِلَيَّ إِلَيَّ») أي: ثُمَّ تَلْتَقِطُهُمُ التَّقَاتُ الطَّائِرُ لِلْحَبِّ.

(١) عَلَى قِرَاءَةِ الرِّفْعِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ سِوَى حِفْصٍ، وَأَمَّا قِرَاءَتُهُ.. فَبِالنَّصَبِ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ أَوْ الْحَالِ الْمُؤَكَّدَةِ وَالْمُسْتَقْلَةِ عَلَى أَنَّ ﴿لَأَطْلَى﴾ مُتَلْظِيَةٌ. انظر «السراج المنير» (٤/٣٨٣).

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا
الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾

(١٩ - ٢٥) ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ - حالٌ مُقدَّرة - وتفسيره: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾
وقت مس الشر، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وقت مس الخير أي: المال لحق الله منه، ﴿إِلَّا
الْمُصَلِّينَ﴾ أي: المؤمنين ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾: مُواظِبُونَ،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ (أل) فيه للجنس؛ أي: حقيقة الإنسان وجنسه والأصل فيه، وسمي بذلك
إمّا لأنّسه بنفسه وجنسه، أو لنسيانه حقوق ربّه.

قوله: (حالٌ مُقدَّرة) أي: لأنّه ليس متصفاً بذلك وقت خلقه، ولا وقت ولادته.

قوله: (وتفسيره) أي: الهلوع، وهو مستند اللغويين في قولهم: (الهلُعُ فحش الجزع)^(١)، مع
شدّة الحرص، وقلة الصبر، والشحّ بالمال، والسرعة فيما لا ينبغي.

قوله: (وقت مس الشر) أشار بذلك إلى أنّ ﴿إِذَا﴾ معمولة لـ ﴿جَزُوعًا﴾، وكذا ما بعده، ونصب
﴿جَزُوعًا﴾ و﴿مَنُوعًا﴾ إمّا حالان من ضمير ﴿هَلُوعًا﴾، أو خبران لـ (كان) المحذوفة؛ أي: إذا مَسَّهُ
الشرُّ كان جزوعاً، وإذا مَسَّهُ الخير كان منوعاً، أو نعتان لـ ﴿هَلُوعًا﴾.

قوله: (أي: المال) أي: وغيره من جميع ما أنعم الله به عليه؛ بالألّا يصرّفه في طاعة ربّه.

قوله: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ استثناء من ﴿الْإِنْسَانَ﴾، وتقدّم أنّ المراد به الجنس؛ فالاستثناء متّصلٌ.

قوله: (أي: المؤمنين) فسرّ ﴿الْمُصَلِّينَ﴾ بـ (المؤمنين)؛ لأنّ الصلاة الشرعيّة تستلزم الإيمان،
وليكون لقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ معنى، وإلّا... كان ضائعاً.

واعلم: أنّه ذكر الصلاة ثلاثاً، فأراد بها أولاً: الإيمان، وثانياً: المداومة عليها ولو قضاءً،
وثالثاً: المحافظة عليها في خصوص أوقاتها.

قوله: (مُواظِبُونَ) أي: لا يتركونها أداءً ولا قضاءً، بل يفعلونها ولو خارج الوقت، فهذا راجع
للصلاة في نفسها، وما يأتي راجع لوصفها.

(١) انظر «القاموس المحيط» (ص ٧٧٦)، مادة (هل ع)، وفيه: (أفحش) بدل (فحش).

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّومِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُتَشَفِّقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ أَبْغَى وِرْلَهُ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتَنِهِمْ

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ هو الزَّكَاةُ ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾: الْمُتَعَفِّفُ عَنِ السُّؤَالِ فِيُحَرِّمَ.
 ﴿٢٦﴾ - ﴿٣١﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّومِ الدِّينِ﴾: الْجَزَاءُ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُتَشَفِّقُونَ﴾: خَائِفُونَ، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ نُزُولُهُ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ مِنْ الْإِمَاءِ ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ أَبْغَى وِرْلَهُ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ: الْمُتَجَاوِزُونَ الْحَلَالَ إِلَى الْحَرَامِ.

﴿٣٢﴾ - ﴿٣٥﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتَنِهِمْ﴾ وفي قِرَاءَةٍ بِالْإِفْرَادِ: مَا ائْتُمِنُوا عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ

حاشية الصاوي

قوله: (فِيُحَرِّمُ) أي: لكونه يُظَنُّ غَنِيًّا، على حَدٍّ: ﴿يَخْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنْ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّومِ الدِّينِ﴾ أي: يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَجْزَمُونَ بِحَصُولِهِ، فَيَسْتَعِدُّونَ لَهُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

قوله: ﴿غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أي: لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَأْمَنَهُ وَإِنْ بَلَغَ فِي الطَّاعَةِ مَا بَلَغَ، فَالْمَطْلُوبُ مِنَ الشَّخْصِ أَنْ يَغْلِبَ فِي حَالِ صِحَّتِهِ الْخَوْفَ، وَفِي حَالِ مَرَضِهِ الرَّجَاءَ.

قوله: ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ أي: عَنِ الْمَحَرَّمَاتِ.

قوله: (مِنْ الْإِمَاءِ) بَيَانٌ لـ(مَا)، وَلَشَبَّهَهُنَّ بِغَيْرِ الْعَاقِلِ عَبَّرَ عَنْهُنَّ بِ(مَا) الَّتِي لَغَيْرِ الْعَاقِلِ ^(١).

قوله: ﴿فَمَنْ أَبْغَى وِرْلَهُ ذَلِكَ﴾ أي: طَلَبَ الْاِسْتِمْتَاعَ بِغَيْرِ النِّكَاحِ وَمَلَكَ الْيَمِينَ.

قوله: (الْمُتَجَاوِزُونَ الْحَلَالَ إِلَى الْحَرَامِ) دَخَلَ فِي هَذَا حُرْمَةُ وَطْءِ الذَّكَورِ وَالْبَهَائِمِ، وَالزُّنَا.

قوله: (وَفِي قِرَاءَةٍ بِالْإِفْرَادِ) أي: وَهِيَ سَبْعِيَّةٌ أَيْضاً ^(٢).

(١) وجه الشبه: جريان التصرف عليهن، على أن استعمال (ما) للعاقل جري على خلاف الغالب، وهو استعمال كثير لا يحتاج معه إلى تأويل. انظر «الفتوحات» (٤/٤٤٤).

(٢) قرأ ابن كثير بغير ألف بعد النون على الإفراد، والباقيون بالألف على الجمع. انظر «السراج المنير» (٤/٣٨٦).

وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾

والدُّنْيَا، ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ المَأْخُوذُ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ ﴿رِعُونَ﴾: حَافِظُونَ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ﴾ - وفي قِرَاءَةِ الْجَمْعِ - ﴿قَائِمُونَ﴾: يُقِيمُونَهَا وَلَا يَكْتُمُونَهَا، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ بِأَدَائِهَا فِي أَوْقَاتِهَا، ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾.

(٣٦ - ٣٨) ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ﴾: نَحْوَكُ ﴿مُهْطِعِينَ﴾ - حَالٌ - أَي: مُدِيمِي النَّظَرِ،

حاشية الصاوي

قوله: (المأخوذ عليهم في ذلك) أي: فيما ائْتُمِنُوا عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ والدُّنْيَا، فالعهدُ إمَّا مِنْ اللَّهِ، أَوْ مِنَ الْمَخْلُوقِ، فالواجبُ حَفْظُهُ وَعَدَمُ تَضْيِيعِهِ.

قوله: (وفي قراءة بالجمع) أي: وهي سَبْعَةٌ أَيْضاً^(١).

قوله: (ولا يكتُمونها) أي: بَلْ يُؤَدُّونَهَا وَلَوْ كَانَتْ تَنْفَعُ الْعَدُوَّ، وَتَضُرُّ الْحَبِيبَ؛ فَلَا يَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً.

قوله: (بأدائها في أوقاتها) أَشَارَ بِذَلِكَ لِلْفَرْقِ بَيْنَ قَوْلِهِ فِيمَا سَبَقَ: ﴿دَائِمُونَ﴾ وَقَوْلِهِ هُنَا: ﴿يُحَافِظُونَ﴾، وَحِكْمَةُ تَكَرَّارِ ذِكْرِ الصَّلَاةِ: الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهَا أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهَا؛ لِأَنَّهَا عِمَادُ الدِّينِ، مَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ، وَمَنْ هَدَمَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ.

قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (ما): مُبْتَدَأٌ، وَ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: خَبَرُهُ، وَالْمَعْنَى: أَيُّ شَيْءٍ ثَبَتَ لَهُمْ وَحَمَلَهُمْ عَلَى نَظَرِهِمْ إِلَيْكَ وَالتَّفَرُّقِ.

قوله: ﴿قَبْلَكَ﴾ حَالٌ، وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿مُهْطِعِينَ﴾، وَ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾، فَالْأَرْبَعَةُ أَحْوَالٌ مِنَ الْمَوْصُولِ^(٢).

قوله: (أي: مُدِيمِي النَّظَرِ) أي: أَوْ مُسْرِعِينَ، فَالْإِهْطَاعُ: إِدَامَةُ النَّظَرِ، وَالْإِسْرَاعُ.

قوله: ﴿عِزِينَ﴾ جَمْعُ (عِزَّةٍ)، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، وَاخْتَلَفُوا فِي لَامٍ (عِزَّةٍ)؛ فَقِيلَ: هِيَ وَאוْ،

(١) قَرَأَ حَفْصٌ: ﴿بِشَهَادَتِهِمْ﴾ جَمْعاً؛ اعْتِبَاراً بِتَعَدُّدِ الْأَنْوَاعِ، وَالْبَاقُونَ بِالْأَفْرَادِ؛ إِذِ الْمَرَادُ الْجَنْسُ. انْظُرْ «الدَّر الْمَصُون» (٤٦٠/١٠).

(٢) أَي: مَعَ قَوْلِهِ: ﴿عِزِينَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾ يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِ﴿عِزِينَ﴾؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى: مُتَفَرِّقِينَ، وَأَنْ يَتَعَلَّقَ بِ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أَي: مُسْرِعِينَ عَنْ هَاتَيْنِ الْجِهَتَيْنِ. انْظُرْ «الدَّر الْمَصُون» (٤٦٠/١٠).

عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّآ خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ مِنْكَ ﴿عِزِينَ﴾ - حَالٌ أَيْضاً - أَي: جَمَاعَاتٍ حِلَقًا حِلَقًا، يَقُولُونَ اسْتِهْزَاءً بِالْمُؤْمِنِينَ: لَئِنْ دَخَلَ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةَ لَنَدْخُلَنَّاهَا قَبْلَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ .

﴿٣٩﴾ ﴿كَلَّا﴾ رَدَعَ لَهُمْ عَنْ طَمَعِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾ كَغَيْرِهِمْ ﴿مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ مِنْ نُّطْفٍ، فَلَا يُطْمَعُ بِذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا يُطْمَعُ فِيهَا بِالتَّقْوَى .

﴿٤٠﴾ - ﴿٤١﴾ ﴿فَلَا﴾ - (لَا) زَائِدَةٌ - ﴿أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَسَائِرِ الْكَوَاكِبِ، ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ: نَأْتِي بِدَلَّهِمْ ﴿خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾

حاشية الصاوي

من: عَزَوْتُهُ أُعْزَوُهُ؛ أَي: نَسَبْتُهُ، وَقِيلَ: هِيَ يَاءٌ، فَيُقَالُ: عَزَيْتُهُ أُعْزِيهِ، وَقِيلَ: هِيَ هَاءٌ، فَأَصْلُهُ: (عِزْمَةٌ)، وَعَلَى كُلِّ حَذْفٍ وَعَوُضَ عَنْهَا هَاءُ التَّأْنِيثِ، وَهُوَ مِمَّا أَلْحَقَ بِجَمْعِ الْمَذَكَّرِ السَّالِمِ فِي إِعْرَابِهِ؛ لَكُونِهِ اسْمًا ثَلَاثِيًّا، حُذِفَتْ لَامُهُ، وَعَوُضَ عَنْهَا هَاءُ التَّأْنِيثِ.

قوله: (قال تعالى) أي: ردًا عليهم هذه المقالة.

قوله: (﴿جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾) أَضِيفَتْ لَهُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا غَيْرُهُ.

قوله: (مِنْ نُّطْفٍ) أَي: ثُمَّ مِنْ عَلَقٍ، ثُمَّ مِنْ مُضْغٍ، وَالْمَعْنَى الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ مِنْ نُّطْفَةٍ، وَهِيَ لَا تَنَاسِبُ عَالَمَ الْقُدُسِ؛ لِاسْتِقْذَارِهَا، فَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ وَالطَّاعَةَ وَلَمْ يَتَخَلَّقْ بِالْأَخْلَاقِ الْمَلَكِيَّةِ . . لَمْ يَسْتَعِدَّ لِدُخُولِهَا، وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الشَّاعِرِ^(١): [البسيط]

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهِ أَتَطْلُبُ الرِّيحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانُ؟

انْهَضْ إِلَى الرُّوحِ وَاسْتَكْمِلْ فُضَائِلَهَا فَأَنْتَ بِالرُّوحِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ

قوله: (﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾) جواب القسم.

قوله: (﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾) أَي: بِأَنْ نَخْلُقَ خَلْقًا غَيْرَهُمْ، أَوْ نَحْوَلَّ أَوْصَافَهُمْ فَيَكُونُوا أَشَدَّ بَطْشًا فِي الدُّنْيَا، وَأَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، وَأَعْلَى قَدْرًا، وَأَكْثَرُ حَشَمًا وَخِدْمًا وَجَاهًا، فَيَكُونُوا عِنْدَكَ

(١) البیتان لأبي الفتح البستي كما في «ديوانه» (ص ١٨٣).

وَمَا تَحْنُ يَمَسْبُوفِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْنَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾

وَمَا تَحْنُ يَمَسْبُوفِينَ: يعاجزين عن ذلك. ﴿فَذَرَهُمْ﴾: اتركهم ﴿يَحْضُوا﴾: في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾: في دنيائهم، ﴿حَتَّى يُلْقُوا﴾: يُلْقُوا ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: فيه العذاب. (٤٣ - ٤٤) ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْنَاثِ﴾: القبور ﴿سِرَاعًا﴾: إلى المحشر، ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ﴾: وفي قراءة بضم الحرفين -: شيء منصوب كعلم أو راية ﴿يُوفِضُونَ﴾:
حاشية الصاوي

على قلب واحد؛ في سماع قولك وتعظيمك، والسعي في مرضاتك، بدل فعل هؤلاء من الاستهزاء، والتصفيق، وكل ما يَغضبك.

وقد فعل سبحانه وتعالى ما ذكر من الأوصاف بالمهاجرين والأنصار والتابعين، فأعطاهم أموال الجبارين وبلادهم، وصاروا ملوك الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿وَمَا تَحْنُ يَمَسْبُوفِينَ﴾ هذا من جملة المقسم عليه.

قوله: ﴿فَذَرَهُمْ﴾ مفرغ على قوله: ﴿وَمَا تَحْنُ يَمَسْبُوفِينَ﴾، أي: إذا تبين لك أننا غير عاجزين عنهم... فدعهم فيما هم فيه من الأباطيل، ولا تلتفت لهم؛ ففيه تهديد لهم، وتسلية له ﷺ.

قوله: ﴿يُلْقُوا﴾ أشار بذلك إلى أن التفاعل ليس على بابه.

قوله: ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ هو يوم كشف الغطاء، وأولهُ: عند الغرغرة، وآخرهُ: النفخة الثانية، ودخول كل من الفريقين في داره، وهذه الآية منسوخة بآية السيف.

قوله: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ﴾ بدل من ﴿يَوْمَهُمُ﴾ بدل بعض من كل.

قوله: ﴿سِرَاعًا﴾ حال من فاعل ﴿يَخْرُجُونَ﴾.

قوله: ﴿إِلَى نُصُبٍ﴾ متعلق بـ ﴿يُوفِضُونَ﴾.

قوله: (وفي قراءة بضم الحرفين) أي: وهي سبعية أيضاً؛ فالأولى: مفرد بمعنى: العلم المنسوب الذي يُسرع له الشخص عند الشدائد، وقيل: هو شبكة الصائد، يُسرع إليها خوف انفلات الصيد، والثانية: بمعنى: الصنم المنسوب للعبادة. وقرئ شذوذاً بفتحيتين، وبضم فسكون^(١).

(١) العامة على (نصب) بالفتح والإسكان، وابنُ عامرٍ وحفصُ بضمّتين، وأبو عمران الجوني ومجاهد بفتحيتين، والحسن وقتادة بضمّة وسكون. انظر «الدر المصون» (١٠/٤٦٤).

خَشِعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

يُسْرِعُونَ، ﴿خَشِعَةً﴾: ذَلِيلَةٌ ﴿أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ﴾: تَغْشَاهُمْ ﴿ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ - ﴿ذَلِكَ﴾ مُبْتَدَأُ وَمَا بَعْدَهُ الْخَبَرُ -، وَمَعْنَاهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

حاشية الصاوي

قوله: (يُسْرِعُونَ) أي: يَسْعَوْنَ وَيَسْتَعِجُونَ.

قوله: ﴿خَشِعَةً﴾ (حَالٌ إِمَّا مِنْ فَاعِلٍ ﴿يُفْضُونَ﴾ أَوْ ﴿يَخْرُجُونَ﴾، وَ﴿أَبْصَرُهُمْ﴾: فَاعِلٌ بِ﴿خَشِعَةً﴾.

قوله: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ (إِمَّا مُسْتَأْنَفٌ، أَوْ حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ ﴿يُفْضُونَ﴾، وَالْمَعْنَى: يَغْشَاهُمْ الذِّلُّ جَزَاءً

لِعِزِّهِمْ فِي الدُّنْيَا عَنِ الْحَقِّ.

قوله: ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (أي: فِي الدُّنْيَا أَنَّ لَهُمْ فِيهِ الْعَذَابُ، وَهَذَا هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي طَلَبُوهُ

أَوَّلَ السُّورَةِ، فَقَدْ رَدَّ عَجْزَهَا لَصَدْرِهَا).

قوله: (وما بعده) أي: الَّذِي هُوَ لَفْظُ (يَوْمٍ)، وَأَمَّا الْمَوْصُولُ وَصِلَتُهُ.. فَهُوَ صِفَةٌ لِلْخَبَرِ.



﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ



مَكِّيَّة، ثمان أو تسع وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٤) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ﴾ أي: بإنذار ﴿قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ﴾

إن لم يؤمنوا
 حاشية الصاوي

سُورَةُ نُوحٍ

قوله: (ثمان) بكسر الثون وضُمَّها، وأصله على كل: (ثماني)، حذفت الياء إمَّا اعتباراً كـ(يد) (دم)، فهو بضم الثون، والإعرابُ عليها، أو لعلَّة تصريفية كـ(قاضٍ)، فهو بكسر الثون، والإعرابُ على الياء المحذوفة.

قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ أي: على رأس الأربعين كما قال ابن عباس، وقيل: أُرْسِلَ وهو ابن ثلاث مئة وخمسين، وقيل: أُرسل وهو ابن خمسين سنة، وعاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، فهو أطول الناس عمراً، ولا يَرُدُّ شَعِيبٌ؛ لأنَّ ما جاء في عمره روايةً آحادٍ.

ونوحٌ أوَّل رسولٍ أُرْسِلَ بالنَّهي عن الشرك؛ لأنَّ الشرك إنَّما حَدَثَ في زمنه، وأمَّا قبله.. فلم يَعْرِفُوا عِبَادَةَ غيرِ الله حَتَّى يُؤْمَرُوا بِتَرْكِهَا^(١).

قوله: ﴿إِنِّي قَوْمِهِ﴾ المرادُ بهم: جميعُ أهلِ الأرضِ.

قوله: (أي: بإنذار) أشار بذلك إلى أنَّ (أن) مصدريةٌ، ويصحُّ جعلُها تفسيريَّةً؛ لأنَّ الإرسالَ فيه معنى القولِ دونَ حروفِهِ.

(١) وهذا معنى قوله ﷺ: «أوَّل نبيٍّ أُرسل نوحٌ» كما رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨٠٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٤٣/٦٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ

﴿عَذَابُ أَلِيمٌ﴾: مؤلم في الدنيا والآخرة، ﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بَيِّنُ الإنذارِ، ﴿أَنْ﴾ أي: بأن أقول لكم: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ - ﴿مِنْ﴾ زائدة، فإنَّ الإسلام يُغْفِرُ به ما قبله، أو تَبْعِيضِيَّةٌ لإخراج حُقوق العباد - ﴿وَيُخْرِجَكُمْ﴾ بِلا عَذَاب ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: أَجَلُ المَوْتِ، ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ بِعَذَابِكُمْ إن لَمْ تُؤْمِنُوا

حاشية الصاوي

قوله: (في الدنيا والآخرة) أي: وهو الطوفان، وعذاب النار.

قوله: (بَيِّنُ الإنذارِ) أي: واضحهُ.

قوله: (أي: بأن أقول لكم... إلخ) أشار بذلك إلى أَنَّ (أن) تفسيريَّة، ويصحُّ كونها مصدرية كالسابقة، فيصحُّ في كلِّ منهما الوجهان.

قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ مجزومٌ في جواب الأوامر الثلاثة.

قوله: ﴿مِنْ﴾ زائدة) أي: على رأي الأخفش القائل بأنَّه لا يُشْتَرَطُ في زيادتها تقدُّمُ نفي، وكونُ مدخولها نكرةً.

قوله: ﴿فإنَّ الإسلام... إلخ﴾ تعليلٌ لما قبله، والمعنى: أنَّ الإسلام يُغْفِرُ به ما تقدَّمه من الذُّنوب ولو حقوق العباد؛ فلا يؤاخذُ بها في الآخرة.

قوله: ﴿إخراج حُقوق العباد﴾ أي: فإنَّها لا تُغْفَرُ بالإسلام؛ أي: فيطالبُ الكافر إذا أسلم بالحدود، وبالأموال التي ظَلَمَ فيها، والديون المستقرَّة في ذمَّتِهِ.

قوله: ﴿بلا عذاب﴾ جوابٌ عن سؤال: كيف قال: ﴿وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ مع أنَّه قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١]؟

فالجواب: أنَّ المراد بالأجل هنا أولاً وثانياً: العذاب، وهو مُعلَّقٌ على ترك الإيمان، وفي الآية الأخرى: انتهاء العمر، وهو لا يتقدَّم ولا يتأخَّر؛ آمنوا أم كفروا.

قوله: ﴿مُسَمًّى﴾ أي: معلوم عند الله، لا يزيد ولا ينقص.

قوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ أضاف الأجلَ له سبحانه؛ لأنَّه هو الذي أثبتَّه، وقد يضاف إلى القوم

كما في قوله: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ٤٩]؛ لأنَّه مضروبٌ لهم.

إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعُمْ فِيءَ آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ

﴿إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك لَأَمْتُمْ.

(٥ - ٧) ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي: دائماً مُتَّصِلاً، ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾ عن الإيمان، ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعُمْ فِيءَ آذَانِهِمْ﴾ لَيْثَلَا يَسْمَعُوا كلامي، ﴿وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾: غَطَّوْا رُؤُوسَهُمْ بِهَا لَيْثَلَا يَنْظُرُونِي، ﴿وَأَصْرُوا﴾ على كُفْرِهِمْ، ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾: تَكَبَّرُوا عَنِ الْإِيمَانِ ﴿اسْتِكْبَارًا﴾.

(٨ - ١٢) ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ أي: بِأَعْلَى صَوْتِي، ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ صَوْتِي

حاشية الصاوي

قوله: (لَأَمْتُمْ) أشار بذلك إلى أَنَّ (لو) شرطية.

قوله: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ﴾ بفتح الياء وسكونها، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿فِرَارًا﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿يَزِدْهُمْ﴾، وهو استثناء من محذوف، والتقدير: فلم يَزِدْهُمْ دعائي شيئاً من أحوالهم التي كانوا عليها إِلَّا فراراً؛ أي: بُعْداً وإعراضاً عن الإيمان.

قوله: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾: ﴿كُلَّمَا﴾: معمولٌ لـ ﴿جَعَلُوا﴾، والجملة خبر (إِنَّ)، ومعمول ﴿دَعَوْتُهُمْ﴾ محذوف، والتقدير: إلى الإيمان بك؛ لأجل مَغْفِرَتِكَ^(٢).

قوله: ﴿لَيْثَلَا يَنْظُرُونِي﴾ أي: فكروها النَّظَرَ إِلَيَّ من فرط كراهتهم دعوتي، فقد خالفوه باطناً بالإصرار والاستكبار، وظاهراً بتعطيل الأسماع والأبصار، ولا أقبح من هذه المخالفة.

قوله: ﴿جِهَارًا﴾: إمَّا نعتٌ مصدرٍ محذوف؛ أي: دعاء جهاراً، أو حالٌ، على حدٍّ: (زيدٌ عدلٌ)، والمعنى: أَنَّهُ فعل عليه السلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؛ ابتداءً أولاً بالأهون، ثم ترقى للأشدَّ فالأشدَّ، فافتتح بالسرِّ، فلمَّا لم يُقَدْ. ثنَّى بالجهر، فلمَّا لم يُقَدْ. ثلث بالجمع بين السرِّ والجهر. و(ثم) للدلالة على تباعد الأحوال.

(١) قرأ عاصم وحزمة والكسائي بسكون الياء، والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٤/ ٣٩٠).

(٢) وعلى هذا التقدير: تكون اللام في (لتغفر) للتعليل، ويجوز أن تكون لام التعدي، ويكون قد عبّر عن السبب بالمسبب الذي هو جعلهم، والأصل: دعوتهم للتوبة التي هي سبب في الغفران. انظر «الدر المصون» (١٠/ ٤٦٨).

وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾

﴿وَأَسْرَرْتُ﴾ الكلام ﴿لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴿١٠﴾ مِنَ الشَّرِّ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ ﴿١٢﴾: المَطَر - وَكَانُوا قَدْ مُنِعُوهُ - ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾: كَثِيرَ الدُّرُورِ، ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾: بَسَاتِينَ ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ جارية.

(١٣ - ١٤) ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: تَأْمُلُونَ وَقَارَ اللَّهِ إِيَّاكُمْ بِأَنْ تُؤْمِنُوا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: اطلبوا منه محو ذنوبكم؛ بِأَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ وَتَتَّقُوهُ، فليس المراد بالاستغفار مجرد قول: (استغفر الله)؛ ^(١) فَمَنْ لَازَمَ الاستغفار.. جعل الله له من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً.

عن الحسن: أَنَّ رجلاً شكَا إليه الجَدْبَ، فقال: (استغفر الله)، وشكَا إليه آخِرُ الْفَقْرِ، وشكَا إليه آخِرُ قِلَّةِ النِّسْلِ، وآخِرُ قِلَّةِ رِيعِ أَرْضِهِ، فَأَمَرَهُمْ كُلَّهُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ، فقال له الربيع بن صبيح: أتاكَ رجال يشكون إليك أبواباً، ويسألونك أنواعاً، فَأَمَرْتَهُمْ كُلَّهُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ! فتلا الآية.

قوله: (وَكَانُوا قَدْ مُنِعُوهُ) أي: لما كَذَّبُوا نُوحاً.. حَبَسَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْمَطَرَ، وَأَغْطَمَ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَهَلَكَتْ أَمْوَالُهُمْ وَمَوَاشِيَهُمْ، فقال لهم نوح: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ...﴾ إلخ.

قوله: ﴿مِدْرَارًا﴾ حالٌ من ﴿السَّمَاءِ﴾، ولم يُؤنَّثْ؛ لِأَنَّ (مِفْعَالاً) يستوي فيه المذكر والمؤنث.

قوله: (بَسَاتِينَ) أشار بذلك إلى أَنَّ المراد: جَنَاتُ الدُّنْيَا، وَكَرَّرَ فِعْلَ الْجَعْلِ وَلَمْ يَقُلْ: (يجعل لكم جنات وأنهاراً)؛ لِتَغَايِرِ الْمَعْمُولِينَ؛ فَإِنَّ الْجَنَّاتِ مِمَّا لَهُمْ فِيهَا مَدْخَلٌ، بِخِلَافِ الْأَنْهَارِ؛ وَلِذَا قَالَ: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ ولم يَقُلْ: (يجعل)؛ لِتَغَايِرِ الْمَعْمُولِ ^(٢).

قوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾ مبتدأ وخبر، والمعنى: أي شيء ثبت لكم؟ وقوله: ﴿لَا تَرْجُونَ﴾ جملة حالية من الكاف، وقوله: ﴿وَقَارًا﴾ أي: توقيراً من الله لكم، واللام بمعنى (من)، والمعنى: أي شيء ثبت

(١) بل المراد: الرجوع عن الذنوب، وتطهير الألسنة والقلوب.

(٢) عبارة الشهاب في «حاشيته على البيضاوي» (٢٥٠/٨): (ولذا قال: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾، ولم يُعد العامل).

وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾: جمع طور، وهو الحال، فطوراً نطفة وطوراً علقة إلى تمام خلق الإنسان، والنظر في خلقه يُوجب الإيمان بخالقه.

(١٥ - ١٦) ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾: تَنْظُرُوا ﴿كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾: بعضها فوق بعض، ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ أي: في مجموعهنّ الصادق بالسماء الدنيا

حاشية الصاوي

لكم؛ لا تؤمنون الله في كونه يُوقركم ويعظمكم، بل المطلوب منكم أن ترجو وقار الله إياكم بأن تؤمنوا به، فالمقصود الحث على الإيمان والطاعة الموجبتين لرجاء ثواب الله؛ لأنّ الرجاء: تعلّق القلب بمرغوب فيه يحصل في المستقبل مع الأخذ في الأسباب، وهو لا يكون إلّا بالإيمان والطاعة.

قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿تَرَوْا﴾، و﴿أَطْوَارًا﴾ حال مؤولة بمشتق؛ أي: مُنتقلين من حالٍ إلى حال.

قوله: ﴿وَالنَّظَرُ﴾ أي: التأمل.

قوله: ﴿فِي خَلْقِهِ﴾ أي: الإنسان، والمعنى: أنّ التأمل في أحوال الإنسان من أسباب الإيمان بالله تعالى.

قوله: ﴿تَنْظُرُوا﴾ أي: نظر اعتبار وتفكير.

قوله: ﴿كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ﴾... إلخ هذه الجملة سدّت مسدّ مفعولي ﴿تَرَوْا﴾.

قوله: ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ أي: من غير مماسّة، بل بين كلّ واحدةٍ والأخرى خمسُ مئةٍ عام، وسُمكُ الواحدةٍ منهنّ خمسُ مئةٍ عام.

قوله: ﴿أَيُّ﴾ في مجموعهنّ دفع بذلك ما يُقال: إنّ القمر لم يكن إلّا في خصوص سماء الدنيا؛ فما معنى إضافته إلى الكلّ؟ فأجاب بما ذكر، وفيه: أنّ المجموع لا بدّ فيه من تعدّد أفراد، وهنا ليس كذلك، فالأحسنُ الجوابُ بأنّ السماوات شقّافّة، فيرى الكلّ كأنّه سماء واحدة، وما في واحدة كأنّه في الكلّ.

نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أُنَبِّتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾

﴿نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ : مصباحاً مُضيئاً، وهو أقوى من نور القمر.

﴿١٧﴾ - ﴿٢٠﴾ : ﴿وَاللَّهُ أُنَبِّتُكُمْ﴾ : خَلَقَكُمْ ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ : إِذْ خَلَقَ أَبَاكُمْ آدَمَ مِنْهَا ﴿نَبَاتًا﴾ ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا ﴿مَقْبُورِينَ﴾ وَيُخْرِجُكُمْ ﴿لِلْبَعثِ﴾ ﴿إِخْرَاجًا﴾ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ :

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ﴾ أي: فيهنّ، فحذف من الثاني؛ لدلالة الأوّل عليه.

واعلم: أنّ القمر في سماء الدنيا اتفاقاً، واختلف في الشمس؛ فقليل: في السماء الرابعة، وقيل: في الخامسة، وقيل: في الشتاء في الرابعة، وفي الصيف في السابعة، ووجهها مما يلي السماء، وقفاهما مما يلي الأرض^(١).

قوله: ﴿سِرَاجًا﴾ أي: مثل السراج في كونها تُزِيلُ ظِلْمَةَ اللَّيْلِ كما يزيلها السّراج.

قوله: (وهو أقوى من نور القمر) إن قلت: إنّ القمر أقوى من المصباح بالمشاهدة؛ لعموم المشرق والمغرب وانتشاره.

أجيب: بأنّ الضمير عائذ على الضوء المفهوم من (مضيئاً)، أو يُقال: إنّ المصباح في محلّ انتشاره أقوى من القمر وإن كان أوسع امتداداً منه؛ لأنّ الإنسان يُمكنه قراءة الخطّ في المصباح دون القمر؛ فلا يقرؤه إلّا القليل من النّاس.

قوله: (خلقكم) أي: أنشأكم منها، فالإنبات استعارة للخلق.

قوله: (إذ خلق أباكم آدم منها) أي: أو باعتبار النطفة؛ فإنّ أصلها - وهو الغذاء - من الأرض.

قوله: ﴿نَبَاتًا﴾ مصدرٌ لـ (أُنَبَّت) على حذف الزوائد، ويُسمّى اسمَ مصدرٍ.

قوله: (مقبورين) حالٌ.

(١) وهو ما رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/٦٣٧) عن سيدنا عبد الله بن عمرو أنه قال: (إنّ الشمس والقمر وجوههما قبل السماوات، وأقفيتهما قبل الأرض، وأنا أقرأ بذلك آية من كتاب الله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾).

لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَرَّ يَزِدُّهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾

مَبْسُوطَةٌ؛ ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا﴾: طُرُقًا ﴿فِجَاجًا﴾: وَاسِعَةً.

﴿٢١﴾ ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا﴾ أي: السَّفَلَةُ وَالْفُقَرَاءُ ﴿مَنْ لَرَّ يَزِدُّهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ﴾ وَهُمُ الرُّؤَسَاءُ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، - (وُلِدَ) بِضَمِّ الْوَاوِ وَسُكُونِ اللَّامِ وَبِفَتْحِهِمَا؛ وَالْأَوَّلُ قِيلَ: جَمْعُ (وُلِدَ) بِفَتْحِهِمَا كـ (خُشِبَ وَخَشَبَ)، وَقِيلَ: بِمَعْنَاهُ كـ (بُخِلَ وَبَخَلَ) - ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾: طُغْيَانًا وَكُفْرًا.

(﴿٢٢﴾ - ﴿٢٤﴾) ﴿وَمَكْرُؤًا﴾ أي: الرُّؤْسَاءُ ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾: عَظِيمًا جِدًّا بِأَن كَذَّبُوا نُوحًا وَأَذَوْهُ وَمَنْ اتَّبَعَهُ،
حاشية الصاوي

قوله: (مَبْسُوطَةٌ) أي: لَا مُسَمَّةً فَتُشْعَبُ مَنْ عَلَيْهَا.

قوله: ﴿فِجَاجًا﴾ جمع فَجٍّ، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ، وَقِيلَ: هُوَ الْمَسْلَكُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ.

قوله: ﴿قَالَ نُوحٌ﴾ أي: بَعْدَ يَأْسِهِ مِنْ إِيْمَانِهِمْ، وَصَبْرِهِ الْمُدَّةَ الطَّوِيلَةَ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا مُقَدِّمَةٌ لِدَعَائِهِ عَلَيْهِمْ.

قوله: ﴿إِنِّهْمْ عَصَوْنِي﴾ أي: وَعِصْيَانِي عَصِيَانٌ لَكَ يَا رَبِّ.

قوله: (وَبِفَتْحِهِمَا) أي: وَهُمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١).

قوله: ﴿وَمَكْرُؤًا﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى صِلَةٍ (مَنْ)، كَأَنَّهُ قَالَ: وَاتَّبَعُوا مَنْ مَكْرُوا، وَجَمْعُ الضَّمِيرِ نَظَرًا لِمَعْنَى (مَنْ)، وَأَفْرَدَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَزِدُّهُ﴾ بِاعْتِبَارِ لَفْظِهَا.

قوله: ﴿كُبَّارًا﴾ بِضَمِّ الْكَافِ، وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ، وَقُرِئَ شَذُوذًا بِالضَّمِّ وَالتَّخْفِيفِ، وَهِيَ صِيغَةٌ مُبَالِغَةٌ أَيْضًا بِمَعْنَى الْمَشْدَدِّ، وَالْكَسْرِ وَالتَّخْفِيفِ جَمْعُ (كَبِيرٌ)^(٢).

(١) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح الواوين واللام، والباقون بضم الواو الثانية وإسكان اللام. انظر «السراج المنير» (٣٩٣/٤).

(٢) قرأ عيسى وأبو السمال وابن محيصن بالضم والتخفيف، وهو بناء مبالغة أيضاً دون المشدّد، وقرأ زيد بن علي وابن محيصن أيضاً بكسر الكاف وتخفيف الباء. انظر «الدر المصون» (٤٧٣/١٠).

وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾

﴿وَقَالُوا﴾: ﴿لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا﴾ - بفتح الواو وضمتها - ﴿وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ هي أسماء أصنامهم، ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ بها ﴿كَثِيرًا﴾ مِنَ النَّاسِ بِأَن أَمْرُوهُمْ بِعِبَادَتِهَا، ﴿وَلَا نَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ - عطفًا على (قَدْ أَضَلُّوا) -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ عطفٌ على الصلة أيضاً.

قوله: ﴿وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا﴾ عطفٌ خاصٌّ على عامٍّ.

قوله: (بفتح الواو وضمتها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ بغير تنوينٍ في قراءة العامة، ومنع الصَّرفِ إن كانا عربيَّينَ للعلمية ووزنِ الفعل، وإن كانا أعجميَّينَ فلِلْعَلْمِيَّةِ والعُجْمَةِ، وقرئ شذوذاً بالصَّرفِ للتَّنَاسُبِ؛ لأنَّ قبلهما مَصْرُوفٌ، وبعدهما مَصْرُوفٌ^(٢).

قوله: ﴿وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ لم يذكر النَّفْيَ مع هذين؛ لكثرة التكرار، وعدم اللَّبْسِ.

قوله: (هي أسماء أصنام) أي: كانوا يعبدونها، وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم؛ ولذا خصَّوها بالذكر، وأصلها - كما قال عُروَةُ بن الزبير -: أَنَّهُ كَانَ لَأَدَمَ خَمْسُ بَنِينَ: وَدٌّ، وَسُوَاعٌ، وَيَغُوثٌ، وَيَعُوقٌ، وَنَسْرٌ، وَكَانُوا عِبَادًا، فمات رجلٌ منهم، فحزنوا عليه، فقال الشيطان: أنا أُصَوِّرُ لَكُمْ مِثْلَهُ؛ إِذَا نَظَرْتُمْ إِلَيْهِ ذَكَرْتُمُوهُ، قالوا: افعل، فصوّره في المسجد من صخرٍ ورصاصٍ، ثُمَّ مَاتَ آخَرُ، فصوّره حَتَّى مَاتُوا كُلُّهُمْ وصوّرهم، فلمَّا تَقَادَمَ الزَّمانُ.. تركت النَّاسُ عِبَادَةَ اللَّهِ، فقال لهم الشيطان: ما لكم لَا تَعْبُدُونَ شَيْئًا؟ قالوا: وما نعبد؟ قال: آلِهَتُكُمْ وآلِهَةُ آبَائِكُمْ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهَا فِي مُصَلَّائِكُمْ؟! فَعْبُدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقالوا: ﴿لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ...﴾ الآية^(٣).

قوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ معمولٌ لقولٍ مقدَّرٍ؛ أي: وقال: قد أضلُّوا، فهو معطوفٌ على قوله: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾.

(١) قرأ نافع (وُدًّا) بضم الواو، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (١٠/٤٧٤).

(٢) وبالصَّرف قرأ الأعمش. انظر «الدر المصون» (١٠/٤٧٤).

(٣) انظر «زاد المسير» (٤/٣٤٤)، و«السراج المنير» (٤/٣٩٤).

مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرِقُوا فَادْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾

دَعَا عَلَيْهِمْ لَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ .

﴿٢٥﴾ مِمَّا - (ما) صِلَة - ﴿خَطَبْتَهُمْ﴾ - وفي قِرَاءة: ﴿خَطَبْتَهُمْ﴾ بِالْهَمْز - ﴿أَغْرِقُوا﴾ بِالطُّوفَانِ، ﴿فَادْخُلُوا نَارًا﴾ غُوقِبُوا بِهَا عَقِبَ الْإِغْرَاقِ تَحْتَ الْمَاءِ، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ﴾ أَي: غَيْرِ ﴿اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ يَمْنَعُونَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ .

﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ أَي: نَازِلَ دَارٍ، وَالْمَعْنَى:

أَحَدًا،

حاشية الصاوي

قوله: (دعا عليهم لما أوحى إليه) جوابٌ عمّا يقال: إِنَّهُ مَبْعُوثٌ لِهَدَايَتِهِمْ؛ فكيف ساغ له الدعاء عليهم بالضلال؟ فأجاب: بأنّه لما يئس من إيمانهم بإخبار الله له بأنّه: لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن . . . ساغ له الدعاء عليهم .

قوله: («ما»: صِلَة) أي: و(من) تعليلية .

قوله: (وفي قِراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١) .

قوله: ﴿فَادْخُلُوا نَارًا﴾ أي: في الدنيا عَقِبَ الْإِغْرَاقِ، فَكَانُوا يَغْرَقُونَ مِنْ جَانِبٍ، وَيَحْتَرِقُونَ مِنَ الْمَاءِ مِنْ جَانِبٍ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا مَا أَفَادَهُ الْمَفْسَّرُ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا: نَارُ الْآخِرَةِ، وَهُوَ مِنَ التَّعْبِيرِ بِالْمَاضِي عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ؛ لِتَحَقُّقِ الْوُقُوعِ .

قوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ...﴾ (إلخ) عطفٌ على قوله: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ﴾، وما بينهما اعتراضٌ مبينٌ لسبب استحقاقهم العذاب .

قوله: (أي: نازل دارٍ) هذا معنى الدَّيَّارِ في اللغة، والمراد: صَاحِبُ الدَّارِ؛ سواءً كان نازلاً بها أم لا، فهو مُرَادِفٌ لـ (أَحَدٍ)، فـ(دَيَّارٍ): من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما بالدَيَّارِ دَيَّارٌ .

(١) قرأ أبو عمرو بفتح الطاء، وبعدها ألف، وبعده الألف ياء، وبعده الياء ألف وضم الهاء على وزن (قضاياهم)، والباقيون بكسر الطاء وبعدها ياء تحتية ساكنة، وبعده الياء همزة مفتوحة بعدها ألف، وبعده الألف تاء فوقية مكسورة، وكسر الهاء، على وزن (قضيّاتهم) . انظر «السراج المنير» (٤/٣٩٥) .

إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ مَنْ يَفْجُر وَيَكْفُر، قَالَ ذَلِكَ لِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْإِيحَاءِ إِلَيْهِ.

﴿٢٨﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ - وَكَانَا مُؤْمِنِينَ - ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي﴾ : مَنْزِلِي أَوْ مَسْجِدِي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ : هَلَاكًا، فَأَهْلِكُوا.

حاشية الصاوي

قوله: (مَنْ يَفْجُرُ) أشار بذلك إلى أَنَّ فِيهِ مَجَازَ الْأَوَّلِ^(١)؛ لَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْجُرُوا وَقْتَ الْوِلَادَةِ، بَلْ بَعْدَهَا.

قوله: (قَالَ ذَلِكَ) أَي: قَوْلُهُ: ﴿لَا تَذَرُ...﴾ إلخ؛ وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَلِدُوا...﴾ إلخ، فَعَلِمَهُ بِالتَّجَرُّبَةِ؛ لِكُونِهِ عَاشَ فِيهِمْ زَمَنًا طَوِيلًا، فَعَرَفَ طَبَاعَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ إِلَيْهِ بِابْنِهِ وَيَقُولُ لَهُ: احْذَرْ هَذَا فَإِنَّهُ كَذَابٌ، وَإِنَّ أَبِي حَذَّرَنِي مِنْهُ، فَيَمُوتُ الْكَبِيرُ، وَيَنْشَأُ الصَّغِيرُ عَلَى ذَلِكَ.

قوله: (وَكَانَا مُؤْمِنِينَ) أَي: وَاسْمُ أَبِيهِ: لَمَكُ، بَفَتْحَتَيْنِ، أَوْ بَفَتْحٍ فَسَكُونٌ، بِنُ مُتَوَشِّلِخٍ، بَضْمٍ الْمِيمِ، وَفَتْحِ التَّاءِ وَالْوَاوِ، وَسَكُونِ الشَّيْنِ، وَكَسْرِ اللَّامِ، بِنِ أَخْنُوخَ، وَهُوَ إِدْرِيسُ، وَاسْمُ أُمِّهِ: شَمَخَا، بوزن (سَكْرَى) بِنْتُ أَنْوَشَ.

قوله: (مَنْزِلِي أَوْ مَسْجِدِي) أَي: أَوْ سَفِينَتِي.

قوله: (﴿مُؤْمِنًا﴾) حَالٌ.

قوله: (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) أَي: مِنْ مَبْدَأِ الدُّنْيَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قوله: (﴿إِلَّا نَبَارًا﴾) مَفْعُولُ ثَانٍ لـ ﴿تَزِدِ﴾، وَالِاسْتِثْنَاءُ مُفْرَغٌ، وَفَعْلُهُ: (تَبَرَّ) مِنْ بَابِ (قَتَلَ) وَ(تَعَبَّ)، وَيَتَعَدَّى بِالتَّضْعِيفِ، فَيُقَالُ: تَبَّرَهُ، وَالِاسْمُ التَّبَارُ.

قوله: (فَأَهْلِكُوا) أَي: وَغَرَقْتَ مَعَهُمْ صِيبَانَهُمْ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْقُمُوا، وَمَوَاشِيَهُمْ

(١) وَيُسَمَّى مَجَازَ الصِّيْرُورَةِ، وَمَجَازُ الْمُشَارَفَةِ إِنْ كَانَ الْمَالُ عَلَى الْفُورِ؛ نَحْوُ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا». انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي»، (١/٢٠٤).

حاشية الصاوي

لكن لا على وجه العقاب لهم، بل لتشديد عذاب المكلفين، قال عليه الصلاة والسلام: «يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدرون مصادر شتى»^(١).

وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال: (علم الله براءتهم، فأهلكم بغير عذاب)^(٢)، وما قيل في صبيان قوم نوح يُقال في صبيان كل أمة هلكت، والله أعلم.



(١) رواه مسلم (٢٨٨٤) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها، وتماهه: «يبعثهم الله على نيّاتهم».

(٢) انظر «تفسير أبي السعود» (٤٢/٩).

﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ



مَكِّيَّةٌ، ثَمَان وَعِشْرُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدٌ لِلنَّاسِ: ﴿أُوْحِيَ إِلَيَّ﴾ أَي: أُخْبِرْتُ بِالْوَحْيِ مِنْ اللَّهِ

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْجِنِّ

أي: التي ذكر فيها قصّة إيمان الجنّ برسول الله ﷺ؛ لأنّ رسالته عامّة للإنس والجنّ.
والجنّ: أجسامٌ ناريّة هوائية، لها قدرةٌ على التشكلاتِ بالصُّورِ الشريفة والخسيّة، وتحكم عليهم الصورة، وبهذا ظهر الفرقُ بينهم وبين الملائكة؛ لأنّ الملائكة أجسامٌ نورانيّة لها قدرةٌ على التشكلاتِ بالصُّورِ الغيرِ الخسيّة، ولا تحكم عليهم الصُّور.
واختلَفَ في الجنّ؛ فقل: هم ذُرِّيَّة إبليس، غير أنّ المتمرّد منهم يسمّى شيطاناً، كما أنّ الإنس أولاد آدم، وقيل: إنّ الجنّ وُلد الجانّ، والشياطين وُلد إبليس، يموتون مع إبليس عند النَّفخة^(١)، والراجح: الأوّل، فمن آمن من الجنّ.. فقد انقطعت نسبته من أبيه، والتحق بآدم، ومن كفر من الإنس.. فقد انقطعت نسبته من أبيه، والتحق بإبليس.

قوله: (أي: أُخْبِرْتُ بِالْوَحْيِ) أي: أخبرني جبريل، وظاهرُ الآية: أنّ النبيّ لم يشعُر بهم ولا باستماعهم، وإنّما اتَّفَق حُضُورُهم في بعضِ أوقاتِ قراءتِهِ، وبه قيل، والصّحيح: أنّه رآهم وعلم بهم، ويجابُ عن الآية: بأنّ مصبَّ الإيحاءِ قصّةُ الجنّ مع قومهم حين رجعوا إليهم بعد استماعهم القرآن من رسول الله ﷺ.

(١) نقل الماوردي في «تفسيره» (١٠٩/٦) القول الأول عن الحسن البصري، والثاني عن سيدنا ابن عباس ؓ.

أَنَّهُ أَسْمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا

تعالى ﴿أَنَّهُ﴾ - الضَّمِيرُ لِلشَّانِ - ﴿أَسْمَعَ﴾ لِقِرَاءَتِي ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾: جُنٌّ نَّصِيبِينَ وذلك في صلاة الصُّبْحِ بِبَطْنِ نَخْلٍ مَوْضِعٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، وَهُمْ الَّذِينَ ذَكِّرُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ...﴾ الْآيَةُ [الأحقاف: ٢٩]، ﴿فَقَالُوا﴾ لِقَوْمِهِمْ لَمَّا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾: يُتَعَجَّبُ مِنْهُ فِي فَصَاحَتِهِ وَغَزَارَةِ مَعَانِيهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَنَّهُ أَسْمَعَ﴾ (أَنَّ) وما دَخَلَتْ عَلَيْهِ فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرٍ، نَائِبٌ فَاعِلٌ ﴿أَوْحَى﴾، والتقدير: أَوْحَى إِلَيَّ اسْتِمَاعٌ.

قوله: ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ النَّفَرُ: الْجَمَاعَةُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ، وَاخْتَلَفَ فِي عَدْدِهِمْ؛ فَقِيلَ: كَانُوا تِسْعَةً، وَقِيلَ: سَبْعَةً.

قوله: (جُنٌّ نَّصِيبِينَ) قَرِيبَةٌ بِالْيَمَنِ، بِالضَّرْفِ عَلَى الْأَصْلِ، وَعَدَمِهِ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالْعَجْمَةِ.

قوله: (في صلاة الصبح) وذلك أَنَّهُ سَارَ النَّبِيُّ ﷺ وَجَمَلَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ قَاصِدِينَ سُوقَ عَكَظٍ، وَهُوَ سُوقٌ مَعْرُوفٌ بِقَرَبِ مَكَّةَ، كَانَتِ الْعَرَبُ تَقْصِدُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَوَّلِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ قَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ حَدَثَ، فَاضْرَبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا؛ لَتَنْظُرُوا مَا الَّذِي حَالُ بَيْنِنَا وَبَيْنَ السَّمَاءِ حَتَّى مُنِغْنَا بِالشُّهْبِ؟ فَانْطَلَقَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ، فَمَرُّوا بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَهُوَ يُصَلِّي الصُّبْحَ يَقْرَأُ فِيهَا (سُورَةُ الرَّحْمَنِ)، وَقِيلَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)، وَكَانَ بِبَطْنِ نَخْلٍ، قَاصِدِينَ سُوقَ عَكَظٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ.. قالوا: هَذَا الَّذِي حَالُ بَيْنِنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَارْجِعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا؛ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا... إلخ^(١).

قوله: (بين مكة والطائف) بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ مَسِيرَةُ لَيْلَةٍ.

قوله: (في فصاحته) «فِي» بِمَعْنَى «مِنْ»، فَهُوَ بَدَلٌ مِّمَّا قَبْلَهُ، أَوْ هِيَ سَبِيَّةٌ.

قوله: (وغزارة معانيه) أَي: كَثَرَتِهَا.

قوله: (وغير ذلك) كَالْإِخْبَارِ بِالْمَغْيِيَّاتِ.

(١) رواه مسلم (٤٤٩) عن سيدنا ابن عباس ؓ.

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَنِيعَهُ وَلَا
وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا ﴿٥﴾

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾: الإِيمَانِ وَالصَّوَابِ ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾. بعدَ الْيَوْمِ ﴿بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾.
(٣ - ٥) ﴿وَأَنَّهُ﴾ - الضَّمِيرُ لِلشَّأْنِ فِيهِ وَفِي الْمَوْضِعَيْنِ بَعْدَهُ - ﴿تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾:
تَنَزَّهَ جَلَالُهُ وَعَظَمَتُهُ عَمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ، ﴿مَا اتَّخَذَ صَنِيعَهُ﴾: زَوْجَةً ﴿وَلَا وَلَدًا﴾ ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ
سَفِيهُنَا: جَاهِلُنَا ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾: غُلُّوا فِي الْكَذِبِ بِوَصْفِهِ بِالصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ، ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا
أَن﴾ - مُخَفَّفَةٌ - أَي: أَنَّهُ ﴿لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ هذا يدلُّ على أَنَّهُمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، وروى: أَنَّهُمْ كَانُوا يَهُودًا
وقيل: إِنَّ مِنْهُمْ يَهُودًا وَنَصَارَى وَمَجُوسًا وَمُشْرِكِينَ.

قوله: (وفي الْمَوْضِعَيْنِ بَعْدَهُ) أَي: وهما ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ﴾، واسم ﴿كَانَ﴾
الأولى ضَمِيرُ الشَّأْنِ، والجملة بعدها خبرها، وهي واسمها وخبرها خبر (أَنَّ).

قوله: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ الْجَدُّ يُطْلَقُ عَلَى مَعَانٍ مِنْهَا: الْعِظْمَةُ، وهي المرادة هنا، ومنها: الْغِنَى
وَالْحِظُّ، ومنه: «لَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(١)، ومنها: أَبُو الْأَبِّ، وَأَمَّا الْجَدُّ - بالكسر - فهو السَّيْرَةُ
فِي الشَّيْءِ، ضِدُّ التَّائِي.

قوله: ﴿مَا اتَّخَذَ صَنِيعَهُ وَلَا وَلَدًا﴾ هذه الجملة مُفَسَّرَةٌ لما قبلها.

قوله: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا﴾... إلخ) اعتذارٌ من هؤلاء النَّفَرِ عَمَّا صَدَرَ مِنْهُمْ قَبْلَ الْإِيمَانِ مِنَ الشَّرْكِ،
وإيضاحه: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّا ظَنَنَّا وَاعْتَقَدْنَا أَنَّ أَحَدًا لَا يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ، وَأَنَّ مَا قَالَهُ سَفَهَاؤُنَا مِنْ نِسْبَةِ
الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ إِلَيْهِ حَقٌّ وَصِدْقٌ، فَلَمَّا سَمِعْنَا الْقُرْآنَ... أَسْلَمْنَا، وَعَلِمْنَا أَنَّهُ كَذِبٌ.

قوله: (مُخَفَّفَةٌ) أَي: واسمها ضَمِيرُ الشَّأْنِ مَضْمُرٌ، والجملة المنفية خبرها.

قوله: ﴿كَذِبًا﴾ نَعَتْ مَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ؛ أَي: قولاً كَذِباً.

(١) قطعة من دعاء النبي ﷺ عقب الصلوات، وعند الرفع من الركوع، رواها البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣) عن سيدنا
المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن ...

بَوَصْفِهِ بِذَلِكَ حَتَّى تَبَيَّنَا كَذِبَهُمْ بِذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى:

(٦ - ٧) ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ﴾: يَسْتَعِيدُونَ ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ حِينَ يَنْزِلُونَ فِي سَفَرِهِمْ بِمَخُوفٍ، فَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ: أَعُوذُ بِسَيِّدِ هَذَا الْمَكَانِ مِنْ شَرِّ سُفْهَائِهِ، ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ بِعَوْدِهِمْ بِهِمْ ﴿رَهَقًا﴾: طُغْيَانًا، فَقَالُوا: سُدْنَا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ. ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أَي: الْجِنُّ ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ يَا إِنْسُ ﴿أَنَّ﴾ - مُخَفِّقَةً - أَي: أَنَّهُ

حاشية الصاوي

قوله: (بوصفه بذلك) أي: بالصَّاحِبَةِ والولد.

قوله: (حتى تبيننا كذبهم) أي: ظهر لنا.

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أَنَّ هذه المقالة والتي بعدها من كلام الله تعالى المذكورتان في خلال كلام الجن المحكي عنهم، وهو أحد قولين، وقيل: إنهما أيضاً من كلام الجن.

قوله: ﴿كَانَ رِجَالٌ﴾ أي: في الجاهليَّة.

قوله: (حين ينزلون... إلخ) أي: وذلك أَنَّ العرب كانوا إذا نزلوا وادياً.. عبثت بهم الجن في بعض الأحيان؛ لأنهم كانوا لا يتحصنون بذكر الله، وليس لهم دينٌ صحيحٌ، فحملهم ذلك على أن يستجيروا بعظمائهم، فكان الرجل يقول عند نزوله: أَعُوذُ بِسَيِّدِ هَذَا الْوَادِي مِنْ سُفْهَاءِ قَوْمِهِ، فَيَبِيتُ فِي أَمْنٍ وَجَوَارٍ مِنْهُمْ حَتَّى يُصْبِحَ، فَلَا يَرَى إِلَّا خَيْرًا، وَرَبَّمَا هَدُوهُ إِلَى الطَّرِيقِ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ ضَالَّتَهُ، وَأَوَّلَ مَنْ تَعَوَّذَ بِالْجِنِّ قَوْمٌ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ، ثُمَّ فَشَا فِي الْعَرَبِ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ.. صَارَ التَّعَوُّذُ بِاللَّهِ، لَا بِالْجِنِّ^(١).

قوله: ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ (الواوُ عبارة عن رجال الإنس، والهَاءُ عبارة عن رجال الجن).

قوله: (فقالوا) أي: الجن المستعاذ بهم.

قوله: (سُدْنَا الْجِنَّ) بضم السين؛ أي: حصلت لنا السَّيَادَةُ عَلَى الْجِنِّ غَيْرِنَا لِقَهْرِنَا إِيَّاهُمْ، وَسُدْنَا الْإِنْسَ الَّذِينَ اسْتَعَاذُوا بِنَا، وَهَذِهِ الْمَقَالَةُ سَبَبُ الطُّغْيَانِ.

لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِثَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾

﴿لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد موته.

﴿٨ - ٩﴾ قال الجنُّ: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾: رُمْنَا استِراقَ السَّمْعِ مِنْهَا، ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِثَتْ حَرَسًا﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾: نُجُومًا مُحْرِقَةً، وَذَلِكَ لَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ، ﴿وَأَنَا كُنَّا﴾ أَي: قَبْلَ مَبْعَثِهِ ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أَي: نَسْتَمِعُ، ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾: أُرْصِدَ لَهُ لِيُرْمَى بِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ هذه الجملة ساذة مسدّ مفعولي الظنّ، والمسألة من باب التنازع، أعمل الثاني، وأضمر في الأول، وحذف.

قوله: (رُمْنَا) أي: قصدنا وطلبنا.

قوله: ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِثَتْ﴾... إلخ الضمير مفعول أوّل لـ (وجد)، وجملة ﴿مُلِثَتْ﴾ مفعول ثانٍ لها^(١)، و﴿حَرَسًا﴾: تمييز، جمع (حارس) كـ: (خَدَمٍ وخادم).

قوله: ﴿وَشُهَبًا﴾ جمع (شهاب)، كـ: (كُتُبٍ وكتاب).

قوله: (نجوماً مُحْرِقَةً) المناسب أن يقول: (شُعَلًا منفصلةً من نار الكواكب)؛ لأنّ الشهاب شُعْلَةٌ من نارٍ تنفصل من الكوكب، وتقدّم ذلك عن المفسّر^(٢).

قوله: (وذلك) أي: امتلاؤها بالحرس والشهب.

قوله: ﴿مَقْعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أي: لأجل الاستماع.

قوله: ﴿الْآنَ﴾ ظرفٌ حالِيٌّ، والمراد: الاستقبال، والحاصل: أنّ الشياطين كانوا أولاً يَسْتَرْقُونَ السَّمْعَ، فَلَمَّا وُلِدَ عِيسَى.. مُنِعُوا من ثلاث سماوات بغير شهب، فَلَمَّا وُلِدَ ﷺ.. مُنِعُوا من السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا بِالشُّهَبِ، فَلَمَّا بُعِثَ.. ازداد تَسَاقُطُ الشَّهَبِ حَتَّى مَلَأَ الْفُضَاءَ، وَصَارَتْ لَا تُخْطِئُهُمْ، فَمُنِعُوا من الصُّعُودِ بِالْكُلِّيَّةِ، لَكِنْ مَا زَالُوا يَتَوَجَّهُونَ إِلَى الصُّعُودِ، فَتُعَاجِلُهُمُ الشَّهْبُ.

قوله: ﴿رَصَدًا﴾ صفة لـ ﴿شِهَابًا﴾، وهو بمعنى اسم المفعول؛ أي: مَرصوداً له.

(١) والأظهر: أنّ (وجدناها) متعدية لواحد؛ لأنّ معناها: أَصَبْنَا وَصَادَفْنَا، وعلى هذا: فالجملة من قوله: (ملثت) في موضع نصب على الحال. انظر «الدر المصون» (١٠/٤٨٩).

(٢) انظر (٦٢/٥).

وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ
لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ

(١٠ - ١١) ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ﴾ بعدمِ استِراقِ السَّمْعِ ﴿يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾: خَيْرًا؟ ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ بعدَ استِماعِ الْقُرْآنِ، ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: قَوْمٌ غَيْرُ صَالِحِينَ، ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾: فِرَقًا مُّخْتَلِفِينَ مُسْلِمِينَ وَكَافِرِينَ.

(١٢ - ١٣) ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ أي: لَا نَفُوتُهُ كَائِنِينَ فِي الْأَرْضِ أَوْ هَارِبِينَ مِنْهَا فِي السَّمَاءِ، ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾: الْقُرْآنَ
الْهُدَىٰ: الْقُرْآنَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَشَرُّ أُرِيدَ... إلخ﴾ قيل: القائلُ ذلك إبليس، وقيل: الجنُّ فيما بينهم قبل أن يَستمعُوا قراءةَ النبي ﷺ، والمعنى: لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ بِإِرسالِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ يَكْذِبُونَ وَيَهْلِكُونَ بِتَكْذِيبِهِ أَمْ أَرَادَ أَن يُؤْمِنُوا فَيَهْتَدُوا؟ فَالْشَّرُّ وَالرُّشْدُ عَلَى هَذَا: الْإِيمَانُ، وَالْكَفَرُ.

قوله: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ (مِنَّا): خَيْرٌ مُّقَدَّمٌ، وَ﴿دُونَ﴾: مُبْتَدَأٌ مُّؤَخَّرٌ؛ إِمَّا بِمَعْنَى (غَيْرِ)، وَفُتِحَ لِإِضَافَتِهِ لِغَيْرِ مُتَمَكِّنٌ، أَوْ صِفَةٌ لِمَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: وَمِنَّا فَرِيقٌ دُونَ ذَلِكَ، وَحَذَفُ الْمَوْصُوفِ مَعَ (مِنْ) التَّبْعِيضِيَّةِ كَثِيرٌ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: (مِنَّا ظَعَنٌ، وَمِنَّا أَقَامٌ) أَي: مِنَّا فَرِيقٌ ظَعَنَ.

قوله: (أَي: قَوْمٌ غَيْرُ صَالِحِينَ) أَي: غَيْرُ مُسْلِمِينَ.

قوله: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ أَي: ذَوِي مَذَاهِبَ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَدْيَانٍ مُّتَفَرِّقَةٍ.

قوله: ﴿قِدَدًا﴾ جمع (قِدَّةٌ) بِالْكَسْرِ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ: الطَّرِيقُ وَالسَّيْرَةُ^(١)، فَاسْتَعْمَلَهَا فِي الْفِرَاقِ مُجَازًا.

قوله: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا﴾ أَي: عَلِمْنَا وَتَيَقَّنَّا.

قوله: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ حالٌ، وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿هَرَبًا﴾.

(١) قوله: (الطريق) كذا في الأصول، ولعلها: (الطريقة).

ءَامَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ
فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾

﴿ءَامَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ﴾ - بِتَقْدِيرِ (هُوَ) بَعْدَ الْفَاءِ - ﴿بَخْسًا﴾ : نَقْصًا مِنْ حَسَنَاتِهِ،
﴿وَلَا رَهَقًا﴾ : ظُلْمًا بِالزِّيَادَةِ فِي سَيِّئَاتِهِ.

(﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾) ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ﴾ : الْجَائِرُونَ بِكُفْرِهِمْ، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ
فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ : قَصَدُوا هِدَايَةً؛ ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ : وَقُودًا. و(أَنَا)
و(أَنْتُمْ) و(أَنَّهُ) فِي اثْنِي عَشَرَ مَوْضِعًا هِيَ ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى﴾ ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وَمَا بَيْنَهُمَا
بِكَسْرِ الهمزة استئنافاً،

حاشية الصاوي

قوله: (بتقدير «هو») أي: بعد الفاء، فهو جملة اسمية، ولولا ذلك.. لحذفت الفاء، وجزم
جواباً للشرط.

قوله: (﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾) أي: وأنا بعد سماعنا القرآن مختلفون؛ فمِنَّا مَنْ أَسْلَمَ، وَمِنَّا مَنْ
كَفَرَ.

قوله: (الجاثرون) أي: فالقاسط: الجائر، وأما المُقْسِط.. فهو مِنْ: (أَقْسَطَ) بمعنى: (عدل).
وأعاد هاتين الجملتين مع ذكرهما أولاً؛ ليُصرح بمجازاة المسلم وضده.

قوله: (﴿فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾) إن قلت: الجنُّ مخلوقون من النار؛ فكيف يُعَذَّبون بها؟

أُجِيب: بأنهم وإن خُلِقُوا مِنْهَا لَكِنْ هُمْ ضِعَافٌ، وَالنَّارُ قُوَّةٌ، وَقُوَّةُ النَّارِ يَأْكُلُ ضَعِيفُهَا.

قوله: (﴿وَأَنَا﴾، ﴿وَأَنْتُمْ﴾، ﴿وَأَنَّهُ﴾) مبتدأ، وقوله: (في اثني عشر موضعاً) خبرٌ أوَّل، وقوله:

(بكسر الهمزة) خبرٌ ثانٍ، وقوله: (هي) مبتدأ، ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى﴾ خبرٌ، والجملة اعتراضية لبيان الاثني عشر.

وقوله: ﴿وَأَنَا﴾ أي: في ثمانٍ مواضع: ﴿وَأَنَا طَنَنَّا﴾، ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا﴾ إلى آخرها.

وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ﴾ أي: في موضع واحد: ﴿وَأَنْتُمْ ظَنُّوا﴾.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ﴾ أي: في ثلاثة مواضع: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى﴾، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ﴾، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ﴾،

فصحَّ قوله: (في اثني عشر موضعاً).

وقوله: (﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى﴾) أي: أولها، وآخرها: (﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾)، (وما بينهما) أي: بين

الأوَّل والآخر، وهو عشرة مواضع.

وَالْوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً

ويفتحها بما يوجه به .

(١٦ - ١٧) قال تعالى في كُفَّارِ مَكَّةَ: ﴿وَأَنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ واسمُهَا مَحْذُوفٌ - أي: وأنَّهُمْ، - وهو مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ - ﴿لَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي: طَرِيقَةِ الْإِسْلَامِ ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً﴾

حاشية الصاوي

وقبل هذه الاثني عشر موضعان: أحدهما: بالفتح لا غير: ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾، وثانيهما: بالكسر لا غير: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾.

وبعدها موضعان: أحدهما: بالفتح لا غير: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾، وثانيهما: فيه الوجهان: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾، فالجملة ستة عشر، عُلِمَ تفصيلُها، فتدبر^(١).

قوله: (بما يوجه به) أي: بأن يؤول بمصدر، أو يُعْطَفَ عَلَى الْمَصْدَرِ.

قوله: (قال تعالى في كُفَّارِ مَكَّةَ) أشار بذلك إلى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿أَنْ لَوْ اسْتَقَمُوا...﴾ إلخ ليس متعلقاً بالجنِّ، بل هو من جملة الموحى به.

قوله: (وهو معطوف على ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾) أي: والتقدير: أوحى إليَّ استماعُ نفرٍ، وكونُهُمْ لَوْ اسْتَقَامُوا... إلخ

قوله: ﴿لَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي: لو آمن هؤلاء الكفار.. لبسطنا لهم الرزق، ووسّعنا عليهم في الدنيا، زيادةً على ما يحصل لهم في الآخرة من النعيم الدائم، فيحوزون عزَّ الدنيا والآخرة، والعامَّة على كسر واو (لو) على الأصل، وقرئ شذوذاً بضمِّها^(٢).

قوله: (تشبيهاً) بواو الضمير.

قوله: (أي: طريقة الإسلام) أي: بالعمل بها، وهو امْتِثَالُ الْمَأْمُورَاتِ، واجْتِنَابُ الْمَنْهَيَّاتِ.

قوله: ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ﴾... إلخ ليس المرادُ خُصُوصَ السَّقْيَا، بل المرادُ التَّوسُّعُ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا،

(١) قرأ الأخوان: حمزة والكسائي، وابن عامر وحفص بفتح (أن) وما عطف عليها بالواو في اثنتي عشرة كلمة، والباقون بالكسرة، وقرأ ابن عامر وأبو بكر: (وإنه لما قام) بالكسرة، والباقون بالفتح. انظر «الدر المصون» (١٠/٤٨١).

(٢) وهي قراءة ابن وثاب والأعمش. انظر «الدر المصون» (١٠/٤٩٥).

عَدَقًا ﴿١٦﴾ لَتَفْنَنَّهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ

عَدَقًا: كَثِيرًا مِنَ السَّمَاءِ، وذلك بعد ما رُفِعَ الْمَطَرُ عَنْهُمْ سَبْعَ سِنِينَ؛ ﴿لَتَفْنَنَّهُمْ﴾: لِنَخْتَبِرَهُمْ ﴿فِيهِ﴾ فَتَعَلَّمَ كَيْفَ شُكْرُهُمْ عِلْمَ ظُهُورٍ، ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾: الْقُرْآنِ
حاشية الصاوي

وبسط الرِّزْقِ، وإنما اقتصر على ذكرِ الماء؛ لأنَّ الخيرَ والرِّزْقَ كُلَّهُ في الماء، فهو أصلُ الرِّزْقِ، قال عمر: (أينما كان الماء.. كان المال، وأينما كان الماء.. كانت الفِتنَةُ) ^(١).

قوله: ﴿عَدَقًا﴾ بفتحين في السَّبع، وقرئ شذوذاً بفتح الغين، وكسر الدال ^(٢).

وهو مصدر (عَدَقَ) من باب (تَعَبَ)، يُقَالُ: عَدَقْتُ عَيْنَهُ، تَعَدَّقْتُ؛ أَي: هَظَلْتُ دُمْعَهَا، وَعَدَقَتِ الْعَيْنُ عَدَقًا: كَثُرَ مَاؤُهَا.

قوله: (وذلك) اسم الإشارة عائدٌ على معلومٍ من السياق، والتقدير: ونزول الآية كان بعدما رفع... إلخ.

قوله: ﴿لَتَفْنَنَّهُمْ فِيهِ﴾ (أي: الماء، و(في): للسَّبِيَّةِ).

قوله: (عِلْمَ ظُهُورٍ) أي: للخلائق، وإلا... فهو تعالى لا يخفى عليه شيءٌ، فالمعنى: لِيُظْهَرَ لَهُمْ مُتَعَلِّقٌ عَلَيْنَا.

وفي الآية معنى إشاريٍّ للصوفيَّةِ، وهو أنَّ العباد لو حَصَلَتْ مِنْهُمْ الاستقامةُ على الطريقة؛ بالانهماك في مَرْضَاةِ اللَّهِ... لَمَلَأَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِالْأَسْرَارِ وَالْمَعَارِفِ وَالْمَحَبَّةِ الشَّبِيهِةِ بِالْمَاءِ فِي كَوْنِهَا حَيَاةَ الْأَرْوَاحِ، كما أنَّ الْمَاءَ حَيَاةُ الْأَجْسَامِ، فَيَحْصُلُ لَهُمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْفِتْنَةُ فِيهِ؛ بَأَنْ يَسْكُرُوا وَيَطْرُبُوا وَيَدْهَسُوا، وَيَخْرُجُوا عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ، فَالاستقامة سببٌ لِلرِّزْقِ الظَّاهِرِيِّ وَالْبَاطِنِيِّ ^(٣).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦٦٣/٢٣).

(٢) وبها قرأ عاصم فيما رَوَى عَنْهُ الْأَعَشَى. انظر «الدر المصون» (٤٩٦/١٠).

(٣) ليس المرادُ بالتفسيرِ الإشاريِّ إِحَالَةَ الظَّاهِرِ عَنْ ظَاهِرِهِ، وَلَكِنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ مَفْهُومٌ مِنْهُ مَا جُلِبَتْ الْآيَةُ لَهُ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ فِي عُرْفِ اللَّسَانِ، وَثُمَّ أَفْهَامٌ بَاطِنَةٌ تُفْهَمُ عِنْدَ الْآيَةِ أَوْ الْحَدِيثِ لِمَنْ فَتَحَ اللَّهُ قَلْبَهُ؛ فَلَا يَصْدُنْكَ عَنْ تَلْقَى هَذِهِ الْمَعَانِي مِنْهُمْ أَنْ يَقُولَ لَكَ ذُو جَدَلٍ وَمَعَارِضَةٍ: هَذَا إِحَالَةٌ لِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَلَامِ رَسُولِهِ ﷺ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِإِحَالَةٍ، وَإِنَّمَا كَانَ يَكُونُ إِحَالَةً لَوْ قَالُوا: لَا مَعْنَى لِلآيَةِ إِلَّا هَذَا، وَهُمْ لَمْ يَقُولُوا ذَلِكَ، بَلْ يُقَرِّونَ الظَّوَاهِرَ عَلَى ظَوَاهِرِهَا مُرَادًا بِهَا مَوْضُوعَاتِهَا، وَيَفْهَمُونَ عَنِ اللَّهِ مَا أَفْهَمَهُمْ، وَرَبَّمَا فَهَمُوا مِنَ اللَّفْظِ ضِدًّا مَا قَصَدَهُ وَاضَعُهُ. انظر «لطائف الأخلاق والمنن» لسَيِّدِ ابْنِ عَطَاءِ اللَّهِ السَّكَنْدَرِيِّ (ص ١٩٧).

يَسْأَلُكَ عَذَابًا صَعْدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾

﴿تَسْأَلُكَ﴾ - بِالنُّونِ وَالْيَاءِ -: نُدْخِلُهُ ﴿عَذَابًا صَعْدًا﴾: شَاقًّا.

﴿١٨﴾ ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ﴾: مَوَاضِعَ الصَّلَاةِ ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا﴾ فِيهَا ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ بِأَن تَشْرِكُوا كَمَا كَانَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى إِذَا دَخَلُوا كَنَائِسَهُمْ وَبَيْعَهُمْ أَشْرَكُوا.

حاشية الصادي

قوله: (بالنون والياء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (ندخله) أشار بذلك إلى أنه ضَمَّنَ (نسلك) معنى (ندخل)، فعذاه للمفعول الثاني بنفسه.

قوله: ﴿صَعْدًا﴾ مصدر (صَعَدَ) بكسر العين كـ(فَرَحَ)، وَصَفَ بِهِ الْعَذَابَ عَلَى تَأْوِيلِهِ بِاسْمِ الْفَاعِلِ.

قوله: (شاقًا) هذا تفسيرٌ باللازم، وإلَّا... فمعنى الصعود: العلوُّ والارتفاعُ.

قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ هو من جملة المَوْحَى بِهِ؛ أي: وَأَوْحَى إِلَيَّ كَوْنُ الْمَسَاجِدِ مَخْتَصَّةً بِاللَّهِ.

وَاخْتَلَفَ فِي الْمَرَادِ بِالْمَسَاجِدِ؛ فَقِيلَ: هِيَ جَمْعُ (مَسْجِدٍ) بِكسر الجيم، وَهُوَ مَوْضِعُ السُّجُودِ،

فَالْمَرَادُ بِهَا: جَمِيعُ الْبِقَاعِ؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ جُعِلَتْ كُلُّهَا مَسْجِدًا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَقِيلَ: جَمْعُ (مَسْجِدٍ) بِالْفَتْحِ، وَهُوَ الْأَعْضَاءُ الْوَارِدَةُ فِي الْحَدِيثِ: الْجَبْهَةُ، وَالْأَنْفُ،

وَالرَّكِبَتَانِ، وَالْيَدَانِ، وَالْقَدَمَانِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ نِعَمٌ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكَ، فَلَا تَسْجُدْ لِغَيْرِ اللَّهِ، فَتَجْحَدَ نِعْمَةَ اللَّهِ.

وقيل: المراد بها: الأماكنُ المَبْنِيَّةُ لِلْعِبَادَةِ.

وإضافة المساجد إلى الله تعالى للتشريف والتكريم، وقد نُسِبَ لِغَيْرِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّعْرِيفِ؛ كَمَا

فِي الْحَدِيثِ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيْمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ»^(٢).

قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أي: لَا تَعْبُدُوا غَيْرَ اللَّهِ، فَهُوَ تَوْبِيخٌ لِلْمَشْرِكِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ

الْأَصْنَامَ.

(١) قرأ عاصم وحزمة والكسائي بالياء التحتية على الغيبة؛ لإعادة الضمير على الله تعالى، والباقون بالنون على الالتفات،

وهذا كما في قوله تعالى: «سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا»، ثم قال: «بَرَكَاتًا حَوْلَهُ لِنُرْيَهُ مِنْ مَّآبِنِنَا». انظر «السراج

المنير» (٤/٤٠٥).

(٢) رواه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۖ.....

﴿١٩﴾ وَأَنَّهُ - بِالْفَتْحِ، وَالْكَسْرِ اسْتِثْنَاءً، وَالضَّمِيرُ لِلشَّانِ - ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ : مُحَمَّدُ النَّبِيُّ ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ : يَعْبُدُهُ بِبَطْنِ نَخْلٍ ﴿كَادُوا﴾ أَي : الْجِنَّ الْمُسْتَمِعُونَ لِقِرَاءَتِهِ ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ - بِكَسْرِ اللَّامِ وَضَمِّهَا - : جَمْعُ لُبْدَةٍ، كَاللَّبْدِ فِي رُكُوبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا اِزْدِحَامًا حِرْصًا عَلَى سَمَاعِ الْقُرْآنِ.

حاشية الصاوي

وقيل : المعنى : أفرّدوا المساجد بذكر الله تعالى، ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيباً؛ لما في الحديث : «مَنْ نَشَدَ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ.. فَقُولُوا : لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا»^(١)، وفي الحديث : «كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ.. قَدَّمَ رِجْلَهُ الْيَمْنَى وَقَالَ : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، اللَّهُمَّ؛ أَنَا عَبْدُكَ وَزَائِرُكَ، وَعَلَى كُلِّ مَزُورٍ حَقٌّ، وَأَنْتَ خَيْرُ مَزُورٍ، فَاسْأَلْكَ بِرَحْمَتِكَ أَنْ تَقُلَّ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ»، وَإِذَا خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ.. قَدَّمَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَقَالَ : «اللَّهُمَّ؛ صُبِّ عَلَيَّ الْخَيْرَ صَبًّا، وَلَا تَنْزِعْ عَنِّي صَالِحَ مَا أَعْطَيْتَنِي أَبَدًا، وَلَا تَجْعَلْ مَعِيشَتِي كَدًّا، وَاجْعَلْ لِي فِي الْأَرْضِ جَدًّا» أَي : غَنًى^(٢).

قوله : (﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾... إلخ) سياق هذه الآية إنما يظهر في المرة الثانية، وهي التي كانت بالحجون، وكان معه فيها ابن مسعود، وكان الجنُّ إذ ذاك اثني عشر ألفاً، - وقيل : سبعين ألفاً - وبأيع جميعهم، وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر، ووصفه الله بالعبودية زيادة في تشريفه وتكريمه^(٣).

قوله : (يَبْطِنُ نَخْلَةً) المناسب أن يقول : (بحجون مكة)، وهي المرة الثانية، وأمّا الأولى التي هي يَبْطِنُ نَخْلٍ.. فكأنوا سبعة أو تسعة، فلا يتأتى قوله : ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾.

قوله : (بكسر اللام وضَمُّها) أَي : فَهُمَا سَبْعَتَانِ^(٤).

قوله : (جمع «لبدة») أَي : بِكَسْرِ اللَّامِ، كـ : (سِدْرَةٌ وَسِدْرٍ) عَلَى قِرَاءَةِ الْكَسْرِ، أَوْ ضَمِّهَا كـ : (غُرْفَةٌ وَغُرْفٍ) عَلَى قِرَاءَةِ الضَّمِّ.

(١) رواه مسلم (٥٦٨) عن سيدنا أبي هريرة ؓ.

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» عن سيدنا ابن عباس ؓ.

(٣) روى ليلة الجنِّ المرة الثانية الحاكم في «المستدرک» (٥٠٤/٢).

(٤) قرأ هشام بضم اللام، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٤٠٦/٤).

قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَّغَا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ

(٢٠ - ٢٢) ﴿قَالَ﴾ مُجِيبًا لِلْكَفَّارِ فِي قَوْلِهِمْ: ارجع عما أنت فيه، - وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾ -: ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ إِلَهًا ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا: غِيًّا ﴿وَلَا رَشَدًا﴾: خَيْرًا، ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ﴾: مِنْ عَذَابِهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ﴾: أَي: غَيْرُهُ ﴿مُلْتَحَدًا﴾: مُلْتَجَأٌ.

﴿٢٣﴾ إِلَّا بَلَّغَا - استثناء من مفعول ﴿أَمْلِكُ﴾ - أي: لا أملك لكم إِلَّا الْبَلَاغَ إِلَيْكُمْ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عَنْهُ ﴿وَرِسَالَاتِهِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾... إلخ سبب نزولها: أَنَّ كَفَّارَ قَرِيشٍ قَالُوا لَهُ: إِنَّكَ جِئْتَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَقَدْ عَادَيْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ، فَارْجِعْ عَنْ هَذَا، وَنَحْنُ نُجِيرُكَ وَنَنْصُرُكَ^(١).

قوله: (وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾) أي: وهي سبعة أيضاً، وعليها: ففي الكلام التفات من الغيبة للخطاب^(٢).

قوله: (إِلَهًا) قَدَرَهُ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ ﴿أَدْعُوا﴾ بِمَعْنَى (أَعْتَقِدْ)، فَتَعَدَّى لِمَفْعُولَيْنِ، وَلَوْ فَسَّرَهَا بِ(أَعْبُدْ)... لَا سَتَعْنَى عَنْ هَذَا التَّقْدِيرِ.

قوله: (غِيًّا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالضَّرِّ: الْغِيُّ، فَأُطْلِقَ الْمُسَبَّبُ وَأُرِيدَ سَبَبُهُ؛ فَإِنَّ الضَّرَّ سَبَبُهُ الْغِيُّ، فَهُوَ مُجَازٌ مُرْسَلٌ؛ وَكَذَا يُقَالُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا رَشَدًا﴾.

قوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾... إلخ بيان لعجزه عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره.

قوله: (استثناء من مفعول ﴿أَمْلِكُ﴾) أي: من مجموع الأمرين، وهما قوله: ﴿ضَرًّا﴾ و﴿رَشَدًا﴾ بعد تأويلهما بـ(شيئاً)، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا أَمْلِكُ لَكُمْ شَيْئاً إِلَّا بَلَاغاً، فَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ مُتَّصِلٌ، وَجُمْلَةُ ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي﴾... إلخ: مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْمُسْتَثْنَى وَالْمُسْتَثْنَى مِنْهُ، أُتِيَ بِهَا لِتَأْكِيدِ نَفْيِ الْإِسْطَاعَةِ.

(١) انظر «زاد المسير» (٤/٣٥٠).

(٢) قرأ عاصم وحمة: (قُلْ) أي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ، وَالْبَاقُونَ: (قَالَ) بصيغة الماضي. انظر «السراج المنير» (٤/٤٠٧).

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُونَ مَنْ أَوْصَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾

- عَطَفَ عَلَى ﴿بَلَّغًا﴾، وما بَيْنَ الْمُسْتَشْنَى مِنْهُ وَالْإِسْتِثْنَاءِ اعْتِرَاضٌ لِتَأْكِيدِ نَفْيِ الْإِسْطِطَاعَةِ -،
﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فِي التَّوْحِيدِ فَلَمْ يُؤْمِنْ ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾ - حَالٌ مِنْ
ضَمِيرٍ (مَنْ) فِي ﴿لَهُ﴾ رِيعَانَةٌ لِمَعْنَاهَا، وَهِيَ حَالٌ مُقَدَّرَةٌ -، وَالْمَعْنَى: يَدْخُلُونَهَا مُقَدَّرًا
خُلُودَهُمْ ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا﴾ - (حَتَّى) ابْتِدَائِيَّةٌ فِيهَا مَعْنَى الْغَايَةِ لِمُقَدَّرٍ قَبْلُهَا - أَي: لَا يَزَالُونَ
عَلَى كُفْرِهِمْ إِلَى أَنْ يَرَوْا ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ مِنَ الْعَذَابِ ﴿فَيَسْئَلُونَ﴾ عِنْدَ خُلُوعِهِ بِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ
أَوْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ﴿مَنْ أَوْصَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾: أَعْوَانًا أَهْمُ أَمْ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى الْقَوْلِ
حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (عطف على ﴿بَلَّغًا﴾) أي: كأنه قال: لا أملك لكم إلا التبليغ والرِّسالة، والمعنى:
إلا أن أبلغ عن الله فأقول: قال الله كذا، أو: أن أبلغ رسالاتي؛ أي: أحكامه التي أرسلني بها من غير
زيادة ولا نقصان.

قوله: (في التوحيد) أخذ ذلك من قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾؛ لأنَّ الخلود قرينة كون المراد
بالعاصي: الكافر.

قوله: ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾ العامة على كسر (إن)؛ لوقوعها بعد فاء الجزاء، وقرئ شذوذاً
بفتحها على أنها مع ما في حيزها في تأويل مصدر خبر لمحذوف، والتقدير: فجزاؤه أن له نار جهنم^(١).
قوله: (في ﴿لَهُ﴾) أي: حال من الهاء المجرورة باللام.

قوله: ﴿فَيَسْئَلُونَ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾، والسين لمجرد التأكيد، لا للاستقبال؛ لأنَّ وقت رؤية
العذاب يحصل العلم المذكور.

قوله: ﴿مَنْ أَوْصَفُ نَاصِرًا﴾ ﴿مَنْ﴾: إمَّا استفهامية مبتدأ و﴿أَوْصَفُ﴾: خبره، أو موصولة
و﴿أَوْصَفُ﴾ خبر لمحذوف؛ أي: هو أضعف، والجملة صلة الموصول، و﴿نَاصِرًا﴾ و﴿عَدَدًا﴾:
تمييزان محوّلان عن المبتدأ، على حدّ: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا﴾ [الكهف: ٣٤].

(١) وبها قرأ طلحة بن مصرف. انظر «الدر المصون» (١٠/٥٠٣).

قُلْ إِنْ أَدْرَيْتَ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ

الأول، أو أنا أم هم على الثاني؟ فقال بعضهم: متى هذا الوعد فنزل:

(٢٥ - ٢٧) ﴿قُلْ إِنْ﴾ أي: ما ﴿أَدْرَيْتَ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب، ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾: غايةً وأجلاً لا يعلمه إلا هو، ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ﴾: ما غاب عن العباد، ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾: يُطْلِعُ ﴿عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ من الناس، ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ﴾ مع إطلاعه على ما شاء منه مُعْجِزَةٌ لَهُ ﴿يَسْلُكُ﴾: يَجْعَلُ وَيُسَيِّرُ ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي: الرَّسُولِ

حاشية الصاوي

قوله: (أو: أنا) الضمير للنبي ﷺ، وهذا التوزيع تكلف لا داعي له، بل يصلح كل من المعنيين لكل من القولين.

قوله: (فقال بعضهم) هو النَّضْرُ بن الحارث، وقال هذا استهزاء به ﷺ، وإنكاراً للعذاب.

قوله: (﴿أَقْرَبُ﴾) مبتدأ، و﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ فاعلٌ سَدَّ مسدَّ الخبر، و(ما): موصولة، وعائدها محذوف، أو مصدرية.

قوله: (من العذاب) بيانٌ لـ﴿ما﴾.

قوله: (لا يعلمه إلا هو) صفةٌ لـ﴿أَجَلًا﴾.

قوله: (﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ﴾) بالرفع في قراءة العامة على أنه بدلٌ من ﴿رَبِّي﴾، أو خبرٌ لمحذوف، وقرئ شذوذاً بالنصب على المدح، وقرئ شذوذاً (عَلِمَ الغيب) فعلاً ماضياً ناصباً لـ(الغيب).

قوله: (ما غاب به) المناسب حذف قوله: (به).

قوله: (﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾) أي: إظهاراً تاماً كاملاً يستحيل تخلفه، فليس في الآية ما يدلُّ على نفي كرامات الأولياء المتعلقة بالكشف، ولكن إطلاع الأنبياء على الغيب أقوى من إطلاع الأولياء؛ لأنَّ إطلاع الأنبياء يكون بالوحي، وهو معصومٌ من كلِّ نقص، بخلاف إطلاع الأولياء، فعصمة الأنبياء واجبة، والأولياء جائزة.

قوله: (﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى﴾) أي: إلا رسولا ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه، فإنه يُظْهِرُهُ على ما يشاء من غيبه.

قوله: (﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ﴾... إلخ) تقريرٌ وتحقيقٌ للإظهار المستفاد من الاستثناء، كأنه قال:

وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

﴿وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾: ملائكة يحفظونه حتى يُبلِّغَهُ في جُمْلَةِ الْوَحْيِ.

﴿٢٨﴾ ﴿لِيَعْلَمَ﴾ الله عِلْمَ ظُهُورِ ﴿أَنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ - أَي: أَنَّهُ ﴿قَدْ أَبْلَغُوا﴾ أَي: الرُّسُلُ ﴿رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ - رُوعِي بِجَمْعِ الضَّمِيرِ مَعْنَى (مَنْ) - ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ - عَظَفَ عَلَى مُقَدَّرٍ - أَي: فَعَلِمَ ذَلِكَ ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ - تَمْيِيزٌ، وَهُوَ مُحَوَّلٌ مِنَ الْمَفْعُولِ -، وَالْأَصْلُ: أَحْصَى عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ.

حاشية الصاوي

إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ؛ فَإِنَّهُ إِذَا أَرَادَ إِظْهَارَهُ عَلَى غَيْبِهِ.. جَعَلَ لَهُ مَلَائِكَةً مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ يَحْرُسُونَهُ مِنْ تَعَرُّضِ الشَّيَاطِينِ لَهُ.

قوله: (مَلَائِكَةً يَحْفَظُونَهُ) أَي: مِنَ الْجَنِّ، قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ: (كَانَ اللَّهُ إِذَا بَعَثَ رَسُولًا.. أَتَاهُ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ مَلَكٍ يَخْبِرُهُ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَحْرُسُونَهُ وَيَطْرُدُونَ الشَّيَاطِينِ عَنْهُ، إِذَا جَاءَهُ شَيْطَانٌ فِي صُورَةِ مَلَكٍ.. أَخْبَرُوهُ بِأَنَّهُ شَيْطَانٌ، فَيَحْذَرُهُ، إِذَا جَاءَهُ مَلَكٌ.. قَالُوا لَهُ: هَذَا رَسُولُ رَبِّكَ) ^(١).

قوله: ﴿لِيَعْلَمَ﴾ الله... إلخ متعلق بـ ﴿يَسْأَلُكَ﴾ غَايَةُ لَهُ، وَقَوْلُهُ: (عِلْمَ ظُهُورٍ) دَفَعَ بِهِ مَا قَدْ يُتَوَهَّمُ مِنْ قَوْلِهِ: (يَعْلَمُ): أَنَّ الْعِلْمَ مُتَجَدِّدٌ، فَأَجَابَ بِأَنَّ الْمَعْنَى: لِيُظْهَرَ مُتَعَلِّقٌ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أَي: كَمَا هِيَ مُحْفُوظَةٌ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ.

قوله: (مَعْنَى «مَنْ») أَي: فِي قَوْلِهِ: ﴿مَنْ أَرْتَضَى﴾.

قوله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ الضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الرُّسُلِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَالْمَعْنَى: أَحَاطَ عِلْمُهُ بِمَا عِنْدَ الرُّسُلِ وَالْمَلَائِكَةِ.

قوله: ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ أَي: مِنَ الْقَطْرِ وَالرَّمْلِ وَوَرَقِ الْأَشْجَارِ وَزَبَدِ الْبَحَارِ وَجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ جَلِيلِهَا وَحَقِيرِهَا، وَهَذَا كَالْتَعْلِيلِ لِقَوْلِهِ: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾.



﴿يَتَأْتِيَ الْمَزْمَلُ﴾



مَكِّيَّةٌ أَوْ إِلَّا قَوْلَهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ...﴾ إِلَى آخِرِهَا فَمَدَنِيٌّ، تِسْعَ عَشْرَةَ أَوْ عَشْرُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٤) ﴿يَتَأْتِيَ الْمَزْمَلُ﴾ النَّبِيُّ، - وَأَصْلُهُ: (الْمُتَزَمِّلُ) أَدْغَمَتِ التَّاءُ فِي الزَّايِ -

أَي: الْمُتَلَفِّفُ بِشَابِهِ

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْمَزْمَلِ

(مَكِّيَّةٌ) أَي: وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ؛ لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ بَعْدَ آيَةِ (اقْرَأْ)، وَقَوْلُهُ: (أَوْ: إِلَّا قَوْلَهُ... إلخ) هَذَا قَوْلُ الثَّعْلَبِيِّ^(١)، وَعَلَيْهِ: فَهُوَ نَاسَخٌ لِأَوَّلِ السُّورَةِ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ سُورَةٌ نَسَخَ آخِرُهَا أَوَّلَهَا سِوَاهَا، وَلَمْ يَنْزَلْ آخِرُهَا عَقِبَ أَوَّلَهَا، بَلْ بَيْنَهُمَا مَدَّةٌ؛ أَكْثَرُ مَا قِيلَ فِيهَا: عَشْرُ سَنِينَ.

قَوْلُهُ: ﴿يَتَأْتِيَ الْمَزْمَلُ﴾ الْخُطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَاخْتَلَفَ فِي مَعْنَى الْمَزْمَلِ، فَقِيلَ: الْمُتَلَفِّفُ بِشَابِهِ، وَهُوَ مَا مَشَى عَلَيْهِ الْمَفْسَّرُ، وَقِيلَ: الْمَزْمَلُ بِالنَّبُوَّةِ، وَالْمَدَّثَرُ بِالرِّسَالَةِ، وَقِيلَ: الْمَزْمَلُ بِالْقُرْآنِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِي زَمَلَ هَذَا الْأَمْرَ؛ أَي: حَمَلَهُ.

وَاعْلَمْ: أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ أَثْبَتَهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ جُمْلَةِ أَسْمَاءِ ﷺ، وَهُوَ الصَّحِيحُ، وَخَالَفَ فِي ذَلِكَ السَّهِيلِيُّ، مُحْتَجًّا بِأَنَّهُ اسْمٌ مُشْتَقٌّ مِنْ حَالِهِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا حِينَ الْخُطَابِ^(٢).

وَرَدَّ: بِأَنَّ هَذَا لَا يَصُورُ فِي التَّسْمِيَةِ، وَأَيْضاً: فَاسْمَاؤُهُ ﷺ تَوْقِيفِيَّةٌ، وَقَدْ وَرَدَ نِدَاؤُهُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ، وَحِينَئِذٍ: فَيَجُوزُ لَنَا أَنْ نُطْلِقَهُ عَلَيْهِ.

قَوْلُهُ: (أَدْغَمَتِ التَّاءُ فِي الزَّايِ) أَي: بَعْدَ قَلْبِهَا زَايَاً.

(١) «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» (٥٨/١٠).

(٢) انظر «المواهب اللدنية» للقسطلاني (٤٦٥/١).

﴿قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٢ ﴿نَصَفَهُ﴾ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ٣ ﴿قُرْ أَلَيْلَ﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ

حِينَ مَجِيءِ الْوَحْيِ لَهُ خَوْفًا مِنْهُ لِهَيْبَتِهِ، ﴿قُرْ أَلَيْلَ﴾: صَلَّ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٢ ﴿نَصَفَهُ﴾ - بَدَلٍ مِنْ ﴿قَلِيلًا﴾ - وَقَلَّتْهُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْكُلِّ، ﴿أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ﴾: مِنَ النُّصْفِ ﴿قَلِيلًا﴾ إِلَى الثَّلَاثِ، ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ إِلَى الثَّلَاثِينَ - وَ(أَوْ) لِلتَّخْيِيرِ -
 حاشية الصاوي

قوله: (حِينَ مَجِيءِ الْوَحْيِ) أي: جبريل في ابتداء الرسالة، بعد أن جاءه به ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾، وذلك أَنَّهُ ﷺ لَمَّا جَاءَهُ الْوَحْيُ فِي غَارِ حِرَاءَ.. رَجَعَ إِلَى خَدِيجَةَ زَوْجَتِهِ يَرْجِفُ فُؤَادَهُ، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» أي: مِنْ عَدَمِ الْقِيَامِ بِحَقِّهِ؛ لِهَيْبَتِهِ وَجَلَالِهِ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ وَكَانَتْ وَزِيرَةً صَدِيقٍ ﷺ: (كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ تَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ) (١).

قوله: ﴿قُرْ أَلَيْلَ﴾ (العامة على كسر الميم؛ لالتقاء الساكنين، وقرئ شذوذاً بضمها وفتحها) (٢).
 و﴿أَلَيْلَ﴾: ظَرَفٌ لِلْقِيَامِ عَلَى طَرِيقَةِ الْبَصَرِيِّينَ (٣)، أَوْ مَفْعُولٌ بِهِ عَلَى طَرِيقَةِ الْكُوفِيِّينَ، وَالْأَمْرُ لِلْجُوبِ، وَاخْتَلَفَ فِيهِ؛ فَقِيلَ: كَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّتِهِ، وَقِيلَ: كَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، وَقِيلَ: خَاصٌّ بِهِ ﷺ، ثُمَّ نَسَخَ التَّعْيِينَ بِآخِرِ السُّورَةِ، ثُمَّ نَسَخَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ.
 قوله: (صَلَّ) أي: فالمعنى: قُمْ للصلاة والعبادة.

قوله: (وَقَلَّتْهُ... الخ) جوابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ النُّصْفَ مَسَاوٍ لِلنُّصْفِ الْآخَرِ، لَا قَلِيلٌ، فَأَجَابَ: بِأَنَّهُ يُوصَفُ بِالْقَلَّةِ بِالنَّظَرِ لِكُلِّ اللَّيْلِ، لَا بِالنَّظَرِ لِلنُّصْفِ الْآخَرِ.

قوله: (إِلَى الثَّلَاثِ) أي: انْقُصَ مِنَ النُّصْفِ الَّذِي تَنَامُهُ، فَمَعْنَاهُ: قُمْ ثَلَاثِي اللَّيْلِ، وَقَوْلُهُ: (إِلَى الثَّلَاثِينَ) أي: زِدْ عَلَى النُّصْفِ الَّذِي تَنَامُهُ حَتَّى تَبْلُغَ الثَّلَاثِينَ، فَمَعْنَاهُ: قُمْ ثَلَاثَ اللَّيْلِ، فَتَحْصُلْ أَنَّ الْمَعْنَى: قُمْ نِصْفَ اللَّيْلِ، أَوْ ثَلَاثِيهِ، أَوْ ثَلَاثَهُ، فَهُوَ مِنَ الْوَاجِبِ الْمَخْيَرِ.

(١) رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) عن سيدتنا عائشة ؓ.

(٢) قرأ أبو السمال بضمها إتباعاً لحركة القاف، وقرئ بفتحها طلباً للخفة. انظر «الدر المصون» (١٠/٥١٠).

(٣) أي: وإن استغفره الحدث الواقع فيه. «فتوحات» (٤/٤٤٥).

وَرَبِّ الْقُرْآنَ تَرِيلاً ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾

﴿وَرَبِّ الْقُرْآنَ﴾ : تَثَبَّتْ فِي تِلَاوَتِهِ ﴿تَرِيلاً﴾ .

﴿٥ - ٧﴾ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا﴾ : قُرْآنًا ﴿ثَقِيلًا﴾ : مَهِيْبًا أَوْ شَدِيدًا لِّمَا فِيهِ مِنْ

التَّكَالِيفِ ،

حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَرَبِّ الْقُرْآنَ﴾ أي : في أثناء قيامك ، والمعنى : اقرأه بترتيل وتؤدة ، وسكينة ووقار .

قوله : ﴿إِنَّا سَنُلْقِي﴾ . . . إلخ هذه الجملة مُعْتَرِضَةٌ بين الأمر بقيام الليل وتعليقه بقوله : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ ، وفي الحقيقة هذه الجملة أيضاً تصلح أن تكون علةً للأمر بقيام الليل ، كأنه قال : قم الليل ؛ لتهيئاً لتحمّل القول الثقيل الذي سننزلُ عليك .

قوله : (مهيباً) أي : عظيماً جليلاً .

واختُلِفَ في معنى كونه ثَقِيلًا ؛ فقال قتادة : ثَقِيلٌ وَاللَّهُ فَرَاثُضُهُ وَحُدُودُهُ ، وقال مجاهد : حَلَالُهُ وَحَرَامُهُ ، وقال محمد بن كعب : ثَقِيلٌ عَلَى الْمُنَافِقِينَ ؛ لِأَنَّهُ يَهْتِكُ أَسْرَارَهُمْ ، وَيُبْطِلُ أَدْيَانَهُمْ ، وقيل : ثَقِيلٌ بِمَعْنَى : كَرِيمٌ ، وقيل : ثَقِيلٌ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا قَلْبٌ مُؤَيَّدٌ بِالتَّوْفِيقِ ، وَنَفْسٌ مَزِينَةٌ بِالتَّوْحِيدِ ، وَأَجْمَعُ مِنْ هَذَا : أَنَّ مَعْنَاهُ كَثِيرُ الْفَوَائِدِ وَالْمَعَانِي ، لَا يُدْرِكُهُ عَقْلٌ وَاحِدٌ ، فَهُوَ كَالْبَحْرِ الْمَحِيطِ الَّذِي لَا يَنْقُصُ بِالْإِغْتِرَافِ ، فَجَمِيعُ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ يَغْتَرَفُونَ مِنْهُ ، قَالَ الْبُوصَيْرِيُّ^(١) : [البسيط]

لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيَمِ

فَلَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا وَلَا تُسَامُ مِنَ الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ

وما مشى عليه المفسر من أن المراد بـ(القول) : القرآن . . هو أحد أقوال ، وقيل : إن المراد به : الوحي ؛ لما في الحديث : (أنه ﷺ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته . . وضعت صدرها على الأرض ، فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه)^(٢) ، وقالت عائشة : (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً)^(٣) .

وقيل : القول الثقيل : هو قول : (لا إله إلا الله) ؛ لما ورد : أنها خفيفة على اللسان ، ثقيلة في الميزان .

(١) كما في قصيدته المشهورة بـ«البردة» .

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» (٥٠٥/٢) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٣) رواه البخاري (٢) .

إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾: القيام بعد النوم ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا﴾: مُوَافَقَةُ السَّمْعِ لِلْقَلْبِ عَلَى تَفْهَمِ الْقُرْآنِ، ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾: أَبْيَنُ قَوْلًا، ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾: تَصَرُّفًا فِي أَشْغَالِكَ لَا تَفْرُغُ فِيهِ لِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ.

(٨ - ٩) ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: قُل: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) في ابتداء

حاشية الصاوي

قوله: (القيام بعد النوم) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿نَاشِئَةَ﴾ مصدرٌ (نَشَأَ): إذا قام ونَهَضَ، ك: العافية، والواقية، ويصحُّ أن يكون صفةً لمحذوفٍ؛ أي: إِنَّ النفس الناشئة بالليل - أي: النائمة فيه - أَشَدُّ وَطْأً... إلخ.

قوله: ﴿وَطْأَ﴾ تمييزٌ؛ أي: من جهة المواطأة؛ أي: الموافقة فيها.

قوله: (موافقة السمع للقلب) أي: إِنَّ هذا الوقت تُوافق الحواسُّ القلبَ، فكلُّ ما وقع في الحواسِّ وعاه القلب؛ لخلو القلب عن الشواغل؛ فلا مفهوم لقول المفسر: (السمع).

وفي ﴿وَطْأَ﴾ قراءتان سبعيتان: كسر الواو، وفتح الطاء، بعدها ألف، وفتح الواو، وسكون الطاء، بعدها همزة، ومعناها ما قاله المفسر^(١).

قوله: (أَبْيَنُ قَوْلًا) أي: أَصَوْبُ قِرَاءَةٍ، وَأَصَحُّ قَوْلًا من النَّهَارِ؛ لِسُكُونِ الْأَصْوَاتِ.

قوله: ﴿سَبْحًا طَوِيلًا﴾ السَّبْحُ: مصدر (سَبَحَ)، استُعِيرَ من السباحة في الماء للتصريف في الأشغال.

قوله: (لَا تَفْرُغُ فِيهِ... إلخ) أي: فعليك بها في الليل الذي هو محلُّ الفراغ، و(فَرَّغَ) من باب (دَخَلَ).

قوله: (أي: قُل: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»... إلخ) تبع في ذلك السهيلي^(٢)، وقال جمهورُ المفسرين: إِنَّ قوله: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ عامٌّ بعد خاصٍّ، والمعنى: دُمَّ عليه ليلاً ونهاراً، على أيِّ وجهٍ كان؛ مِنْ تَسْبِيحٍ، وَتَحْمِيدٍ، وَتَهْلِيلٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

(١) قرأ أبو عمرو وابن عامر بكسر الواو وفتح الطاء بعدها ألف، والباقيون بفتح الواو وسكون الطاء. انظر «الدر المصون» (٥١٨/١٠).

(٢) قوله: (السهيلي) كذا في الأصول، وعبارة «الفتوحات» (٤/٤٤٧): (تبع في ذلك سهلاً - أي: ابن عبد الله التستري - وزاد سهلاً: «توصلك بركة قراءتها إلى ربك، وتقطعك عن كل ما سواه»). وانظر «تفسير التستري» (ص ١٨٠).

وَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ

قراءتك، ﴿وَتَبَتَّلَ﴾: انقطع ﴿إِلَيْهِ﴾ في العبادة ﴿تَبْتِيلًا﴾: مصدر (تَبَّلَ) جيء به رعاية للفواصل، وهو ملزوم التبتل، هو ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾: موكولاً له أمورك.

(١٠ - ١١) ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار مكة من أذاهم،

حاشية الصاوي

قوله: (انقطع إليه في العبادة) أي: أخلص العبادة لوجهه.

قوله: (مصدر «تَبَّلَ») أي: (كـ عَلَّمَ تعليماً)، على حد قول ابن مالك^(١): [الرجز]

وغيرُ ذي ثلاثة مَقْيِسُ مَضْرُوءٌ، كـ قُدْسَ التَّقْدِيسِ

وهذا إشارة لسؤال، حاصله: أن هذا المصدر ليس لهذا الفعل، وإنما هو مصدر لفعل آخر.

أجاب عنه بجوابين: الأول: قوله: (جيء به لرعاية الفواصل)، والثاني: قوله: (وهو ملزوم التبتل)، وإيضاحه: أن التبتل الذي هو مصدر (تَبَّلَ) كـ (تَكَرَّمَ) أطلق وأريد التبتيل الذي هو مصدر (تَبَّلَ) كـ (قَدَّسَ)؛ لكونه لازماً له ومن مادته.

قوله: (هو ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ بالرفع خبرٌ لمحذوف، ويصحُّ قراءته بالجَرِّ، بدل من ﴿رَبِّكَ﴾، والقراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ نتيجة ما قبله، والمعنى: حيث عَلِمْتَ أَنَّهُ مالِكُ المشرق والمغرب ولا إله غيره.. فاعتمد عليه، وفوض أمورك إليه.

قوله: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ هذا شروعٌ في بيان كيفية معاملته للخلق إثر بيان كيفية معاملته للخالق.

(١) «الخلاصة»، باب: أبنية المصادر.

(٢) قرأ ابن عامر وأبو عمرو وحمزة والكسائي بكسر الباء على البدل من (ربك)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: على القسم، بإضمار حرف القسم، كقولك: الله لأفعلن، وجوابه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، كما تقول: لا أحد في الدار إلا زيد، والباقون برفعها على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ، خبره: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾. انظر «السراج المنير» (٤/٤١٨).

وَأَهْجَرَهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحَجِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ

﴿وَأَهْجَرَهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾: لَا جَزَعَ فِيهِ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِقِتَالِهِمْ، ﴿وَذَرْنِي﴾: اتركني ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ - عطف على المفعول، أو مفعول معه - والمعنى: أنا كافيكهم وهم صناديدُ قُرَيْشٍ، ﴿أُولَى النَّعْمَةِ﴾: التَّعْنَمُ ﴿وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا﴾ مِنَ الزَّمَنِ، فَقَتَلُوا بَعْدَ يَسِيرٍ مِنْهُ بِبَدْرِ. (١٢ - ١٣) ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾: قُيُودًا ثِقَالًا، جَمَعَ (نَكَلَ) بِكَسْرِ النُّونِ، ﴿وَحَجِيمًا﴾: نَارًا مُحْرِقَةً، ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾: يُغَصُّ بِهِ فِي الْحَلْقِ وَهُوَ الزَّقُّومُ أَوِ الضَّرِيعُ أَوِ الْغَسْلِينُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَهْجَرَهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ أي: بَأَن تَذَرَهُمْ وَلَا تَكَاثِفُهُمْ بِأَفْعَالِهِمْ، فَالْهَجْرُ الْجَمِيلُ هُوَ: التَّرْكُ مَعَ عَدَمِ الْإِيذَاءِ.

قوله: (وهذا قبل الأمر بقتالهم) أي: فهو منسوخٌ بآية القتال.

قوله: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: فَلَا تَشْفَعْ لَهُمْ، وَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، بَلْ اتْرُكْنِي مَعَهُمْ، أَنْتَقِمُ مِنْهُمْ، وَهَذَا مِنْ مَزِيدِ تَعْظِيمِ اللَّهِ لَهُ ﷻ وَإِجْلَالِ قَدْرِهِ.

قوله: ﴿أُولَى النَّعْمَةِ﴾ نَعَتْ لِلْمُكَذِّبِينَ، وَالنَّعْمَةُ بِالْفَتْحِ: التَّعْنَمُ، وَبِالْكَسْرِ: الشَّيْءُ الْمُنْعَمُ بِهِ، وَبِالضَّمِّ: السُّرُورُ.

قوله: ﴿وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا﴾ أي: بَلَّغَهُمْ عَنِّي أَنِّي مَمْهَلٌ لَهُمْ زَمَنًا قَلِيلًا، وَهُوَ مُدَّةُ خُرُوجِكَ مِنْ مَكَّةَ، فَلَمَّا خَرَجَ ﷻ مِنْهَا.. سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ السِّنِينَ الْمَجْدِبَةَ، وَهُوَ الْعَذَابُ الْعَامُّ، ثُمَّ قَتَلَ صَنَادِيدَهُمْ بِبَدْرِ، وَهُوَ الْعَذَابُ الْخَاصُّ.

قوله: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾... إلخ) هذا وعيدٌ لهم بعذاب الآخرة إثر الوعيد بعذاب الدنيا.

قوله: (جمع «نكل») أي: وهو القيد، وقيل: الغُلُّ.

قوله: (وهو الزَّقُّوم) تقدّم في (الدخان) أَنَّهُ شَجَرٌ مَرٌّ مِنْ أَخْبَثِ الشَّجَرِ^(١).

قول: (أو الضريع) سيأتي للمفسّر في (الغاشية): أَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الشُّوكِ لَا تَرَعَاهُ دَابَّةٌ؛ لَخَبِيثِهِ.

قوله: (أو الغسلين) تقدّم في (الحاقة): أَنَّهُ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ^(٢).

وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾

أو شوك من نار لا يخرج ولا ينزل، ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾: مؤلماً زيادةً على ما ذكر لمن كذب النبي ﷺ.

﴿١٤﴾ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾: تُزَلْزَل ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا﴾: رملًا مُجْتَمِعاً ﴿مَهِيلًا﴾: سائلاً بعد اجتماعه، - وهو من (هال يهيل) وأصله: مهْيُول، استثقلت الضمة على الياء فنُقلت إلى الهاء وحُذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها، وقُلبت الضمة كسرة لمجانسة الياء..
﴿١٥ - ١٦﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولًا﴾ هو مُحَمَّد ﷺ ﴿شَهِدًا عَلَيْكَ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بما يَصْدُرُ مِنْكُمْ مِنَ الْعِصْيَانِ، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ هو مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾: شديداً.

حاشية الصاوي

قوله: (لا يخرج ولا ينزل) تفسير لقوله: (يغص به)، فكان المناسب ذكره بلصقه.

قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾... إلخ ظرف منصوب بما تعلق به قوله: ﴿لَدَيْنَا﴾، والتقدير: استقر لهم عندنا ما ذكر يوم ترجف... إلخ.

قوله: (تزلزل) أصله: (تزلزل) حُذفت منه إحدى التاءين.

قوله: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ﴾ أي: وتكون، فعبر بالماضي؛ لتحقيق الحصول.

قوله: (وحُذفت الواو) أي: عند سيبويه، وإنما كانت أولى بالحذف؛ لأنها زائدة؛ ولذا اختاره المفسر، وقال الكسائي: إن المحذوف الياء؛ لأن القاعدة: أن الذي يحذف لالتقاء الساكنين هو الأول.
قوله: (يا أهل مكة) أي: ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب.

قوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾... إلخ خص موسى وفرعون بالذكر؛ لأن قصتهما مشهورة عند أهل مكة.

قوله: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ «أل» للعهد الذكري؛ لأنه تقدم ذكره في قوله: ﴿رَسُولًا﴾، والقاعدة: أن التكرار إذا أعيدت معرفة.. كانت عين الأولى.

قوله: (شديداً) هذا قول ابن عباس ومجاهد، ومنه: مطرٌ وابل؛ أي: شديد، وقيل: الوبيل: الثَّقِيلُ الغليظ، وقيل: المَهْلِك.

فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ

(١٧ - ١٨) ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿يَوْمًا﴾ - مفعول ﴿تَتَّقُونَ﴾ - أي: عذابه، أي: بأيِّ حصنٍ تَتَحَصَّنُونَ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾: جمع (أشيب) لِشِدَّةِ هَوْلِهِ، وهو يَوْمُ الْقِيَامَةِ، والأصلُ في شَيْنِ ﴿شِيبًا﴾ الضَّمُّ وكُسِرَتْ لِمُجَانَسَةِ الْيَاءِ، ويُقالُ في اليَوْمِ الشَّدِيدِ: «يَوْمٌ يُشِيبُ نَوَاصِي الْأَطْفَالِ» وهو مَجَازٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ فِي الْآيَةِ الْحَقِيقَةُ، ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ﴾: ذَاتُ انْفِطَارٍ أَي: انشِقَاقٍ ﴿بِهِ﴾: بِذَلِكَ الْيَوْمِ لِشِدَّتِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾ (أي: لا سبيلَ لكم إلى الوقاية من عذابِ ذلك اليومِ إن وقع الكفرُ منكم في الدنيا).

قوله: ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ﴾... إلخ) هذه الجملة صفة لـ ﴿يَوْمًا﴾، والضمير في ﴿يَجْعَلُ﴾ إمَّا عائِدٌ على الله، أو على اليومِ مبالغةً؛ أي: إِنَّ نَفْسَ الْيَوْمِ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا.

قوله: (وهو مجازٌ) أي: لفظ الشيب مجازٌ؛ أي: كناية عن شِدَّةِ الهول.

قوله: (ويَجُوزُ... إلخ) أي: فيكون الشيب على حقيقته، ولا مانع منه.

ثمَّ في كلام المفسر إجمالٌ، وإيضاحُه أن يقال: إِنَّ كَوْنَ الشَّيْبِ عَلَى حَقِيقَتِهِ مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْيَوْمِ: آخِرُ أَوْقَاتِ الدُّنْيَا، وهو عندَ زَلْزَلَةِ السَّاعَةِ قَبْلَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا، وَكَوْنُهُ مَجَازًا مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْيَوْمِ: النَّفْخَةُ الثَّانِيَّةُ؛ لِأَنَّ الْقِيَامَةَ لَيْسَ فِيهَا شَيْبٌ.

قوله: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ (صفة ثانية لـ ﴿يَوْمًا﴾).

قوله: (ذات انفطار) جوابٌ عمَّا يُقال: لِمَ لَمْ تَوْنِثِ الصِّفَةَ فيقال: (منفطرة)؟ فأجاب: بأنَّ هذه صفةٌ نسبيةٌ؛ أي: ذَاتُ انْفِطَارٍ، ويَجَابُ أَيْضًا: بأنَّ السَّمَاءَ تَذْكَرُ بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا سَقْفٌ، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢].

قوله: ﴿بِهِ﴾ (الباء بمعنى (في)).

كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي إِلَيْلٍ وَنُصْفَهُ وَلَئِنْ هَدَيْتَهُ لَتَهْدِيَهُ إِلَىٰ جَنَّةٍ مُّجْدٍ ۚ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۚ

﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾ تعالى بِمَجِيءِ ذلك اليوم ﴿مَفْعُولًا﴾ أي: هو كائنٌ لا محالة.
 ﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ الآياتِ الْمُخَوِّفَةِ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عِظَةٌ لِلْخَلْقِ، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: طَرِيقًا بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ.
 ﴿٢٠﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾: أَقَلٌّ ﴿مِنْ ثُلَاثِي إِلَيْلٍ وَنُصْفَهُ وَلَئِنْ هَدَيْتَهُ﴾ - بِالْجَرِّ عَظْفَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾ تعالى) أشار بذلك إلى أن إضافة (وَعْدٌ) للضمير من إضافة المصدر لفاعله، وهو الله تعالى^(١).

قوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ الآيات) أي: القرآنيَّة، وهي قوله: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا...﴾ إلخ، ويصح أن يكون اسم الإشارة عائداً على السورة بتمامها.

قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (مَنْ): شرطية، و﴿شَاءَ﴾: فعل الشرط، ومفعوله محذوف؛ أي: النجاة، وجملة ﴿اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ جوابُ الشرط، ويصح أن يكون جملة ﴿شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ فعل الشرط، وجوابه محذوف، تقديره: فليفعل.

قوله: (بالإيمان والطاعة) أشار بذلك إلى أن المراد باتخاذ السَّبِيل: التقربُ إلى الله تعالى؛ بامثالِ مأموراتِهِ، واجتنابِ منهيَّاتِهِ.

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ...﴾ إلخ) شروعٌ في بيان النَّاسِخِ لقوله: ﴿وَلَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ...﴾ إلخ، ومحله: قوله: ﴿فَنَابَ عَلَيْكَ﴾، وما قبله توطئةٌ وتمهيدٌ له.

قوله: ﴿أَقَلُّ مِنْ ثُلَاثِي إِلَيْلٍ﴾... إلخ) إن قُلْتُ: إن الأقلِّيَّةَ باعتبارِ الثلثين والنِّصْفِ ظاهرةٌ، ولا تظهر بالنسبة للثلث؛ لأنَّهم غيرُ مأمورين بالنقص عليه، بل هم مُخَيَّرُونَ كما تقدَّم بين قيامِ الثلثين والنصف والثلث، وهذا على قراءة الجرِّ، وقد يُجاب: بأنَّ معنى قوله: ﴿أَدْنَىٰ﴾ التقريب؛ أي: يعلم أنَّك تقوم كما أمرك أقرب من ثُلَاثِي اللَّيْلِ... إلخ، وعبرَ بالأدنى؛ لأنَّها أمورٌ ظنيَّةٌ تخمينيَّةٌ لا تحقيقيَّةٌ، وهم مُكَلَّفُونَ بِالظَّنِّ، لا التَّحْقِيقِ والتَّحَرِيرِ بالدقيقة.

(١) ويجوز أن يكون الضمير لليوم، فيكون مضافاً لمفعوله، والفاعل وهو الله تعالى مُقَدَّرٌ، ومعنى (مفعولاً): أنه مقضيٌّ نافذٌ لا يردُّ، على حدِّ: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾. «فتوحات» (٤/٤٥٠).

وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ

على ﴿ثُلَاثِي﴾، وبالنَّصْبِ عطفٌ على ﴿أَذْنِ﴾، -، وقيامه كذلك نحو ما أمر به أوَّل السُّورة، ﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ - عطف على ضمير ﴿تَقُومُ﴾، وجاز من غير تأكيد للفصل - وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسي به، ومنهم من كان لا يدري كم صلى من الليل وكم بقي منه، فكان يقوم الليل كله احتياطاً، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم

حاشية الصاوي

قوله: (وبالنصب) أي: فهما قراءتان سبعتان^(١).

قوله: (عطف على ﴿أَذْنِ﴾) أي: فهو معمول لـ ﴿تَقُومُ﴾، والمعنى: تقوم نصفه تارة، وثلاثة تارة أخرى.

قوله: (وقيامه) مبتدأ، وقوله: (نحو ما أمر به) خبره؛ أي: مثله، فقوله هنا: ﴿أَذْنِ مِّن ثُلَاثِي اللَّيْلِ﴾ المراد به: الثلثان على سبيل التقريب، وهو المذكور أولاً بقوله: ﴿أَوْ انْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا﴾، وقوله: ﴿وَيُصَفُّهُ﴾ المراد به: النصف تقريباً، وهو المذكور أولاً بقوله: ﴿فَرُّ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢) يَصَفُّهُ، وقوله: ﴿وَتِلْكَ﴾ المراد به: الثلث تقريباً، وهو المذكور أولاً بقوله: ﴿رِذَّ عَلَيْهِ﴾، ولا يحتاج لقولنا: (تقريباً) إلا على قراءة الجر، وأما قراءة النَّصْب .. فظاهرة.

قوله: (وجاز) أي: العطف على ضمير الرفع المتصل من غير تأكيد بالضمير المنفصل، وقوله: (للفصل) أي: بغير الضمير، على حد قول ابن مالك^(٣): [الرجز]

أو فاصل ما

قوله: (وقيام طائفة) مبتدأ، وقوله: (للتأسي به) خبره، وقوله: (كذلك) أي: ثلثين ونصفاً وثلاثاً.

قوله: (ومنهم من كان لا يدري... إلخ) بيان للطائفة الأخرى التي لم تتأس به، فافتقرت الصحابة فرقتين: فرقة تأست به في قيام الثلثين والنصف والثلث، وفرقة شددوا على أنفسهم، فأحيوا الجميع.

(١) قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي بنصب الفاء بعد الصاد، ونصب المثلثة بعد اللام، ورفع الهاء فيهما، والباقون بكسر الفاء والمثلثة، وكسر الهاء. انظر «السراج المنير» (٤/٤٢١).

(٢) «الخلاصة»، باب: عطف النسق.

وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْحَلٌ وَأُخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ

سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ، فَخَفَّفَ عَنْهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ﴾: يُحْصِي ﴿الَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمُهَا مَحْذُوفٌ - أَي: أَنَّهُ ﴿لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ أَي: اللَّيْلَ لَتَقُومُوا فِيهَا يَجِبُ الْقِيَامُ فِيهِ إِلَّا بِقِيَامِ جَمِيعِهِ، وَذَلِكَ يَشُقُّ عَلَيْكُمْ، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: رَجَعَ بِكُمْ إِلَى التَّخْفِيفِ، ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ فِي الصَّلَاةِ بِأَنْ تُصَلُّوا مَا تَيَسَّرَ، ﴿عَلِمَ أَنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ - أَي: أَنَّهُ ﴿سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْحَلٌ وَأُخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: يُسَافِرُونَ

حاشية الصاوي

قوله: (سَنَةً) أَي: عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ السُّورَةَ كُلَّهَا مَكِّيَّةٌ، وَقَوْلُهُ: (أَوْ أَكْثَرَ) أَي: سَنَةً عَشَرَ شَهْرًا، عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهَا مَكِّيَّةٌ أَيْضًا، أَوْ: عَشَرَ سِنِينَ، عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ...﴾ إِنْخِ مَدْنِيٌّ.

قوله: (فَخَفَّفَ عَنْهُمْ) أَي: عَنِ الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الصَّحَابَةِ.

قوله: (أَي: اللَّيْلَ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ عَلَى (اللَّيْلِ)؛ لِأَنَّهُ الْمَحْدُثُ عَنْهُ مِنَ أَوَّلِ السُّورَةِ.

قوله: (رَجَعَ بِكُمْ إِلَى التَّخْفِيفِ) أَي: فَالْمُرَادُ: التَّوْبَةُ اللَّغَوِيَّةُ، لَا التَّوْبَةُ مِنَ الذُّنُوبِ؛ لَكُونِهِمْ لَمْ يَفْعَلُوا ذُنُوبًا.

قوله: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ بَيَانٌ لِلنَّاسِخِ، فَنَسَخَ التَّقْدِيرَ بِالْأَجْزَاءِ الثَّلَاثَةِ إِلَى جُزْءٍ مُطْلَقٍ مِنَ اللَّيْلِ.

قوله: (فِي الصَّلَاةِ) بَيَانٌ لِمَعْنَى الْقُرْآنِ فِي الْأَصْلِ.

قوله: (بِأَنْ تُصَلُّوا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْقِرَاءَةِ: الصَّلَاةُ، مِنْ: إِطْلَاقِ الْجُزْءِ عَلَى الْكُلِّ.

قوله: ﴿مَا تَيَسَّرَ﴾ أَي: وَلَوْ رَكْعَتَيْنِ.

قوله: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ﴾... إِنْخِ اسْتِثْنَاءٌ مُبَيَّنٌ لِحُكْمِهِ أُخْرَى لِلتَّرْخِيفِ وَالتَّخْفِيفِ.

قوله: (مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ) أَي: وَاسْمُهَا ضَمِيرُ الشَّأْنِ، وَجُمْلَةُ ﴿سَيَكُونُ﴾ خَبَرُهَا، وَ﴿مَرْحَلٌ﴾ اسْمُ (يَكُونُ)، وَ﴿مِنْكُمْ﴾: خَبَرُهَا.

قوله: ﴿وَأُخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾... إِنْخِ سَوَّى اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيْنَ دَرَجَةِ الْمُجَاهِدِينَ وَالْمُنْتَكَسِبِينَ الْمَالَ الْحَلَالَ لِنَفَقَتِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ كَسْبَ الْمَالِ بِمَنْزِلَةِ الْجِهَادِ؛ لَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «مَا مِنْ جَالِبٍ يَجْلِبُ طَعَامًا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، فَيَبِيعُهُ بِسَعْرِ يَوْمِهِ... إِلَّا كَانَتْ مَنَزَلَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ

يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخِرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَعُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

﴿يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾: يَطْلُبُونَ مِنْ رِزْقِهِ بِالتَّجَارَةِ وَغَيْرِهَا، ﴿وَأَخِرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ وَكُلُّ مَنْ الْفَرَقِ الثَّلَاثَةِ يَشُقُّ عَلَيْهِمْ مَا ذُكِرَ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ، فَخَفَّفَ عَنْهُمْ بِقِيَامِ مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ، ثُمَّ نَسَخَ ذَلِكَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، ﴿فَأَقْرَعُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ﴾ كَمَا تَقَدَّمَ، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ الْمَفْرُوضَةَ، ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ﴾ بِأَنْ تُنْفِقُوا مَا سِوَى الْمَفْرُوضِ مِنَ الْمَالِ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ، ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ عَنْ طِبِّ قَلْبٍ،

حاشية الصاوي

منزلة الشهداء، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخِرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١)، وقال ابن مسعود: (أيما رجل جلب شيئاً من مدينة من مدائن الإسلام صابراً محتسباً، فباعه بسعر يومه.. كان له عند الله منزل الشهداء، وقرأ: ﴿وَأَخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ...﴾ الآية)^(٢).

قوله: (وغيرها) أي: كطلب العلم، وصلة الرحم.

قوله: ﴿فَأَقْرَعُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ﴾ (إنما كرره؛ تأكيداً، ولكونه قرنه بحكم أخرى غير الأولى).

قوله: (ثم نسخ ذلك بالصَّلوات الخمس) أي: في حق الأمة اتفاقاً، وأما هو ﷺ.. فقال مالك: لم يُنسخ في حقه ﷺ، بل بقي وجوب التهجد عليه، لكن في خصوص الحضر، وقال الشافعي: نسخ في حقه أيضاً.

إن قلت: إن وجوب الصلوات الخمس لا يُنافي وجوب قيام الليل، وشرط الناسخ: أن يكون حكمه مُنافياً للحكم المنسوخ.

فالحق: أن النسخ بالحديث، وهو أنه ﷺ أخبر أعرابياً بأن الله افترض عليه خمس صلوات في كل يوم وليلة، فقال الأعرابي: هل عليّ غيرها يا رسول الله؟ قال ﷺ: «لا إلا أن تطوع»^(٣) فقوله: «لا» نفى وجوب أي صلاة كانت غير الخمس.

(١) رواه السمرقندي في «تفسيره» (٥١٢/٣)، وقال العراقي: رواه ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند

ضعيف. انظر «إتحاف السادة المتقين» (٤٨٠/٥).

(٢) رواه أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢٥٦/٢).

(٣) رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١) عن سيدنا طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ﴾ مِمَّا خَلَفْتُمْ - و﴿هُوَ﴾ فصلٌ، وما بعده - وإن لم يكن معرفةً - يُشَبِّهُهَا لِمَتَنَاعِهِ مِنَ التَّعْرِيفِ - ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ (ما): شرطية، و﴿نَجِدُوهُ﴾: جواب الشرط، و﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: بيانٌ لـ(ما)، و﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: ظرف لـ﴿نَجِدُوهُ﴾، و﴿خَيْرٌ﴾: مفعول ثانٍ لـ﴿نَجِدُوهُ﴾.

قوله: (مِمَّا خَلَفْتُمْ) أي: وراءكم.

إن قلت: إنَّ الذي خَلَفَهُ وراءه ميراثٌ لغيره؛ فلا خيرَ فيه له، فالأحسنُ أن يقول: (مِمَّا أَنْفَقْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي الْعَاجِلِ).

قوله: و﴿هُوَ﴾ فصلٌ أي: ضميرٌ فصل.

قوله: (وما بعده... إلخ) أشار بذلك لسؤال، حاصله: أنَّ ضمير الفصل لا يقع إلا بين معرفتين، وهنا وقع بين معرفة ونكرة، فأجاب بقوله: (يشبهها)، وقوله: (لامتناعه من التعريف) أي: لأنَّه اسم تفضيل، وهو لا يجوز دخولُ (أل) عليه إذا كان معه (مِنْ) لفظاً أو تقديرًا، وهنا (مِنْ) مقدَّرة، كأنَّه قال: (هو معرفة لولا المانع، وهو كونه مقروناً بـ«مِنْ»).

قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ أي: اطلبوا مغفرته في جميع أحوالكم؛ فإنَّ الإنسان لا يخلو من تفریط يوجبُ حَجَبَهُ عن بركات الدنيا والآخرة، ولا يُزِيلُ ذلك الحجابَ إلا الاستغفارُ، كما قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ...﴾ [نوح: ١٠] الآيات، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وفي الحديث: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيُحْرَمَ الْخَيْرَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»^(١).



(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٧٧٥)، وابن ماجه (٤٠٢٢) عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه، وفيهما: (الرزق) بدل (الخير).

﴿يَتَأْتِيَ الْمُنَافِقُ﴾



مَكِّيَّةٌ، خَمْسٌ وَخَمْسُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٥) ﴿يَتَأْتِيَ الْمُنَافِقُ﴾ : النَّبِيُّ ﷺ - وَأَصْلُهُ : (الْمُنْتَدِرُ)

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْمُنَافِقَةِ

(مَكِّيَّةٌ) أَيُ : بِالْإِجْمَاعِ.

قوله : ﴿يَتَأْتِيَ الْمُنَافِقُ﴾ وقع خلافٌ طويلٌ في أوَّل ما نَزَلَ من القرآن، والصَّحِيحُ : أَنَّ أوَّل ما نَزَلَ على الإطلاق : ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ...﴾ إلى ﴿مَا لَمْ يَكُنْ بِعَمٍّ﴾، وأوَّل ما نَزَلَ بعد فترة الوحي : ﴿يَتَأْتِيَ الْمُنَافِقُ...﴾ إلى ﴿فَاهْجُرْ﴾.

والحاصل : أَنَّهُ ﷺ كان يتعبَّدُ في غار حراء، فنزل عليه جبريلُ بِآيَةِ ﴿أَقْرَأْ﴾ كما في حديث البخاري، فذهب بها يَرْجِفُ فؤاده فقال لخديجة : «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»^(١)، فنزل عليه : ﴿يَتَأْتِيَ الْمُنَافِقُ﴾^(٢)، ثُمَّ فترَ الوحي، فحزنَ ﷺ، وجعل يعلو شواهِقَ الجبال، ويريد أن يرميَ بنفسِهِ^(٣)، فتُودِي وهو بغار حراء : «يا مُحَمَّدُ؛ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ»، قال : «فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَيساري، فلم أرَ شيئاً، فَنَظَرْتُ فَوْقِي فإذا به قاعدٌ على عرشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ» يعني : المَلِكُ الذي ناداه، فرعبتُ ورجعتُ إلى خديجة، فقلت : «دَثُرُونِي دَثُرُونِي»، فنزل جبريلُ وقال : ﴿يَتَأْتِيَ الْمُنَافِقُ﴾^(٣). والتدثر : لبسُ الدُّثَارِ، وهو الثَّوبُ الذي فوق الشُّعَارِ، والشُّعَارُ : ما يلي الجسد.

(١) «صحيح البخاري» (٣)، ورواه مسلم (١٦٠) عن سيدتنا عائشة ؓ.

(٢) رواه البخاري (٦٩٨٢) من بلاغات الزهري رحمه الله تعالى، والسبب في ذلك كما في «إرشاد الساري» : (الإشفاق أن تكون الفترة لأمرٍ أو سببٍ منه، فتكون عقوبة من ربِّه، ففعل ذلك بنفسه، ولم يرد شرعٌ بالنهي عن ذلك فيعترض به، أو الحزن على ما فاته من الأمر الذي بشره به ورقة، ولم يكن حُوطِبَ عن الله أَنَّكَ رسول الله).

(٣) رواه البخاري (٤٩٢٢)، ومسلم (١٦١) عن سيدنا جابر بن عبد الله ؓ.

قُرْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾

أُدْغِمْتَ التَّاءَ فِي الدَّالِ - أَيِ: الْمُتَلَفُّ بِثِيَابِهِ عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ، ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾: خَوْفُ أَهْلِ مَكَّةَ النَّارَ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا، ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾: عَظَمَ عَنْ إِشْرَاكِ الْمُشْرِكِينَ، ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: عَنِ النَّجَاسَةِ، أَوْ قَصَرَهَا خِلَافَ جَرِّ الْعَرَبِ ثِيَابَهُمْ خِيَلَاءَ، فَرُبَّمَا أَصَابَتْهَا نَجَاسَةٌ، حَاشِيَةُ الصَّائِلِ.

قوله: (أُدْغِمْتَ التَّاءَ) أَيِ: بَعْدَ قَلْبِهَا دَالًا وَتَسْكِينِهَا.

قوله: (أَيِ: الْمُتَلَفُّ بِثِيَابِهِ) أَيِ: مِنَ الرَّعْبِ الَّذِي حَصَلَ لَهُ مِنْ رُؤْيَا الْمَلِكِ، وَقِيلَ: الْمَتَدَثِّرُ بِالنَّبُوءَةِ وَالْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ.

قوله: ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾ إِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَى الْإِنْذَارِ وَإِنْ كَانَ مَبْعُوثًا بِالتَّبَشِيرِ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَصْلُحُ لِلتَّبَشِيرِ إِلَّا مَا قَلَّ جَدًّا، فَلَمَّا اتَّسَعَ الْإِسْلَامُ.. نَزَلَ عَلَيْهِ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الْأَحْزَابُ: ٤٥].

قوله: ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ أَيِ: خُصَّ رَبُّكَ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّعْظِيمِ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَالْفَاءُ فِي هَذَا وَمَا بَعْدَهُ: لِإِفَادَةِ مَعْنَى الشَّرْطِ، كَأَنَّهُ قَالَ: مَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ.. فَكَبِّرْ، وَالْمَعْنَى: اعْتَقَدْ أَنَّ رَبَّكَ مُنَزَّاهٌ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، مُتَّصِفٌ بِكُلِّ كَمَالٍ.

قوله: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ عَنِ النَّجَاسَةِ) أَيِ: لِأَنَّ طَهَارَةَ الثِّيَابِ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الصَّلَاةِ، لَا تَصَحُّ إِلَّا بِهَا، وَهِيَ الْأُولَى وَالْأَحَبُّ فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ طَاهِرٌ طَيِّبٌ لَا يَلِيقُ مِنْهُ أَنْ يَحْمَلَ خَبْنًا، فَفِي هَذَا رَدٌّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَصُونُونَ ثِيَابَهُمْ عَنِ النَّجَاسَاتِ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخَالِفَهُمْ فِي ذَلِكَ.

قوله: (أَوْ قَصَرَهَا) أَيِ: لِأَنَّ تَطْوِيلَ الثِّيَابِ شَأْنُهُ إِصَابَةُ النَّجَاسَةِ، فَعَبَّرَ بِالْمَلْزُومِ عَنِ الْإِزَارِ، وَتَقْصِيرُ الثِّيَابِ مَطْلُوبٌ؛ لَمَّا فِي الْحَدِيثِ: «إِزَارُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، وَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ، وَمَا كَانَ عَلَى أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ.. فِي النَّارِ»^(١)، فَمِنْ السَّفْهِ أَنْ يُطِيلَ الرَّجُلُ ثِيَابَهُ ثُمَّ يَتَكَلَّفَ رَفْعَهَا بِيَدَيْهِ، وَوَرَدَ: «مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ خِيَلَاءَ.. لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّ أَحَدَ شَقَيَّ إِزَارِي يَسْتَرْخِي إِلَّا أَنِّي أَتَعَهَّدُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَسْتُ

(١) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «السنن الكبرى» (٩٦٣٢)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٥٧٣) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَفِيهِمَا: (إِزْرَةٌ) بَدَلُ (إِزَارٍ).

وَالرَّجَزَ فَأَهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ۝٦

﴿وَالرَّجَزَ﴾ فَسَرَّهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْأَوْثَانِ ﴿فَأَهْجُرْ﴾ أَي: دُمَّ عَلَى هَجْرِهِ.

(٦ - ٧) ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ - بِالرَّفْعِ حَالٌ -

حاشية الصاوي

مَنْ يَصْنَعُهُ خِيَلًا^(١)، فَيُؤْخَذُ مِنْ ذَلِكَ: أَنَّ تَطْوِيلَ الثِّيَابِ بِقَصْدِ الْخِيَلِ حَرَامٌ، وَأَمَّا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ بَلْ لِمَجَرَّدِ عَادَةِ أَهْلِ بَلَدِهِ مِثْلًا.. فهو مكروهٌ إِنْ كَانَ يَتَحَقَّقُ مِنَ النَّجَاسَةِ.

وما ذكره المفسرُ أحدُ أقوالٍ في تفسير الآية، وقيل: المراد: طَهَّرْ نَفْسَكَ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ؛ كَالْعَجَبِ وَالْكِبَرِ وَالرِّيَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، مَاخُذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: (فَلَانٌ طَاهِرُ الثِّيَابِ وَالذَّيْلِ): إِذَا أَرَادُوا وَصْفَهُ بِالنَّقَاءِ مِنْ أَدْنَسِ الْأَخْلَاقِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عِكْرَمَةَ: (لَا تَلْبَسْهَا عَلَى مَعْصِيَةِ وَلَا غَدْرٍ)^(٢)، وَقَالَ الْحَسَنُ: (خُلِقَ فَحَسِّنْ)^(٣)، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ: (قَلْبَكَ وَبَيْتَكَ فَطَهِّرْ)^(٤)، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (عَمَلَكَ فَاصْلِحْ)^(٥).

وقيل: المراد بالثياب: الأهل؛ أَي: طَهَّرْهُمْ عَنِ الْخَطَايَا بِالْمَوْعِظَةِ وَالتَّأْدِيبِ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْأَهْلَ ثَوْبًا وَلِبَاسًا وَإِزَارًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وَالْآيَةُ صَالِحَةٌ لِجَمِيعِ تِلْكَ الْمَعَانِي.

قوله: ﴿وَالرَّجَزَ﴾ بضمِّ الراء وكسرهما، سَبْعَتَانِ، وَالزَّاي مُنْقَلِبَةٌ عَنِ السَّيْنِ، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ^(٦).

قوله: (أَي: دُمَّ عَلَى هَجْرِهِ) دَفْعٌ بِذَلِكَ مَا يُقَالُ: ظَاهِرُ الْآيَةِ يَقْتَضِي أَنَّهُ كَانَ مُتَلَبِّسًا بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

قوله: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ الْمَنْ هُنَا: الْإِنْعَامُ، وَالْمَعْنَى: لَا تُعْطِ شَيْئًا مُسْتَكْثَرًا لَهُ، وَقَوْلُهُ: (حَالٌ) أَي: مِنْ فَاعِلٍ ﴿تَمْنُنْ﴾.

(١) رواه البخاري (٥٧٨٤) عن سيدنا عبد الله بن عمر ؓ.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/٢٣) عن سيدنا ابن عباس ؓ.

(٣) نقله عنه القرطبي في «تفسيره» (٦٤/١٩).

(٤) نقله عنه الثعلبي في «تفسيره» (٦٩/١٠).

(٥) نقله عنه الماوردي في «تفسيره» (١٣٦/٦)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/٢٣) عن أبي رزين.

(٦) قرأ حفص بضمِّ الراء، والباقون بكسرهما. انظر «الدر المصون» (٥٣٥/١٠).

وَلِرَبِّكَ فَاصِيرٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ

أي: لا تُعْطِ شَيْئاً لَتَطْلُبَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وهذا خاصٌّ بِهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِأَجْمَلِ الْأَخْلَاقِ وَأَشْرَفِ الْأَدَابِ، ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصِيرٌ﴾ عَلَى الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي.

﴿٨﴾ - ﴿١٠﴾ ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾: نُفِخَ فِي الصُّورِ - وَهُوَ الْقَرْنُ - النَّفْخَةُ الثَّانِيَّةُ،

﴿فَذَلِكَ﴾ أي: وَقْتُ النَّقْرِ

حاشية الصاوي

قوله: (لا تُعْطِ شَيْئاً لَتَطْلُبَ أَكْثَرَ مِنْهُ) أي: فَالاستكثار هنا عبارةٌ عَنْ طَلْبِ الْعَوَاضِ؛ بَأَن يَهَبَ شَيْئاً وَيَطْمَحَ أَنْ يَعَوِّضَ مِنَ الْمَوْهُوبِ لَهُ أَكْثَرَ مِنَ الشَّيْءِ الْمَوْهُوبِ.

وقيل: المعنى: لا تُعْطِ شَيْئاً مُسْتَكْثِراً لَهُ؛ أي: رَأْيَا مَا تُعْطِيهِ كَثِيراً، بَلْ عُدَّةٌ قَلِيلاً؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنَعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلاً﴾ [النساء: ٧٧]، وقال البوصيري^(١): [الخفيف]

مُسْتَقِيلٌ دُنْيَاكَ أَنْ يَنْسَبَ الْإِمْرُ سَاكٌ مِنْهَا إِلَيْهِ وَالْإِعْطَاءُ

وقوله: (أَكْثَرَ مِنْهُ) أي: وَلَا مُسَاوِياً، وَلَا أَقْلَ، فَالمرادُ: النَّهْيُ عَنْ طَلْبِ الْعَوَاضِ مُطْلَقاً؛ لِيَكُونَ عَطَاؤُهُ ﷺ خَالِياً عَنْ انْتِظَارِ الْعَوَاضِ، وَالتَّفَاتِ النَّفْسِ إِلَيْهِ.

وحكمةُ تَخْصِيصِهِ بِذَلِكَ: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي خَلْقِهِ دُنْيَا وَآخِرَى، يَقْسِمُ عَلَيْهِمْ مِنْ خَزَائِنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَجَمِيعُ مَا بَذَلَهُ لِعِبَادِهِ بِالنِّسْبَةِ لِمَا عِنْدَ اللَّهِ قَلِيلٌ؛ فَلَا يَلِيْقُ أَنْ يَرَاهُ كَثِيراً، وَلَا أَنْ يَطْلُبَ عَوَاضاً مِنَ الْفُقَرَاءِ وَهُوَ خَلِيفَةُ عَنِ الْغِنَى الْمَطْلُوقِ، فَتَدَبَّرْ.

قوله: (وهذا) أي: النَّهْيُ، وقوله: (خاصٌّ به) أي: وَأَمَّا أُمَّتُهُ.. فليس حراماً فِي حَقِّهِمْ.

قوله: ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ من: النَّقْرِ، وَهُوَ الْقَرْعُ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الصَّوْتِ، فَأُطْلِقَ السَّبَبُ وَأُرِيدَ الْمَسَبَّبُ، وَهُوَ التَّصْوِيتُ، وَالْمَعْنَى: إِذَا صَوَّتَ إِسْرَافِيلُ فِي الصُّورِ.

قوله: (وهو الْقَرْنُ) أي: وَهُوَ مُسْتَطِيلٌ، سَعَةٌ فِيهِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَفِيهِ تُقَبَّبُ بَعْدُ الْأَرْوَاحُ كُلُّهَا، وَتَجْمَعُ فِي تِلْكَ الثُّقْبَةِ، فَيُخْرَجُ بِالنَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ كُلِّ ثُقْبَةٍ رُوحٌ إِلَى الْجَسَدِ الَّذِي نَزَعَتْ مِنْهُ، فَيَعُودُ الْجَسَدُ حَيًّا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

قوله: (أي: وَقْتُ النَّقْرِ) أي: الَّذِي هُوَ مَعْنَى (إِذَا).

(١) فِي هَمْزِيَّتِهِ الْمَشْهُورَةِ. انظر «المنح المكية» (ص ٣٠٦).

يَوْمَ يَوْمٍ عَسِيرٍ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾

﴿يَوْمَ يَوْمٍ﴾ - بدل مِمَّا قبله المُبْتَدَأ، وَبُنِيَ لِإِضَافَتِهِ إِلَى غَيْرِ مُتَمَكِّن، وَخَبَرُ المُبْتَدَأ - ﴿يَوْمَ عَسِيرٍ﴾ - وَالْعَامِلُ فِي (إِذَا) مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْجُمْلَةُ - أَي: اشْتَدَّ الْأَمْرُ، ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ يَسِيرٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَي: فِي عُسْرِهِ.

(١١ - ١٥) ﴿ذَرْنِي﴾: اتركني ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ - عَطَفَ عَلَى الْمَفْعُولِ أَوْ مَفْعُولٍ مَعَهُ - ﴿وَحِيدًا﴾ - حَالٌ مِنْ (مَنْ) أَوْ مِنْ ضَمِيرِهِ الْمَحْذُوفِ مِنْ ﴿خَلَقْتُ﴾ -: أَي: مُنْفَرِدًا بِأَهْلِ وَلَا مَالٍ، هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِي،

حاشية الصاوي

قوله: (بدل مِمَّا قبله) أي: وهو اسم الإشارة، وقوله: (المبتدأ) بيان ل(ما)، وقوله: (وبني) أي: لفظ (يوم)، وقوله: (إلى غير متمكن) أي: وهو (إذ) وتنوينها عوض عن الجملة؛ أي: يوم إذ نُقِرَ فِي النَّاقُورِ، وقوله: (وخبر المبتدأ ﴿يَوْمَ عَسِيرٍ﴾) أي: لفظ ﴿يَوْمَ﴾، وقوله: ﴿عَسِيرٍ﴾: صفة أولى له، و﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾: صفة ثانية.

قوله: (ما دلت عليه الجملة) أي: جملة الجزاء، وهي قوله: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَ يَوْمٍ عَسِيرٍ﴾؛ فقد دلت على جملة فعلية فعلها عامل في (إذا)، فالتأصبُّ لها مدلول جوابها، لا جوابها نفسه.

قوله: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ متعلق بـ﴿عَسِيرٍ﴾، وقوله: (فيه دلالة) أي: في التقييد بهذا الجار والمجرور دلالة على أَنَّهُ يَسِيرٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وأشار به إلى جواب: ما فائدة قوله: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ و﴿عَسِيرٍ﴾ مُغْنِي عَنْهُ؟ ففيه زيادة وعيد وغيظ للكافرين، وبُشْرَى وتسلية للمؤمنين.

قوله: ﴿ذَرْنِي﴾ خطابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وفيه مزيدٌ إِجْلَالٍ وَتَعْظِيمٍ لَهُ، وإشعارٌ بِأَنَّ رَحْمَتَهُ ﷺ غَالِبَةٌ عَلَى غَضَبِهِ.

قوله: (على المفعول) أي: وهو الياء في ﴿ذَرْنِي﴾.

قوله: (أو مفعول معه) أي: فالواو للمعية.

قوله: (أو من ضميره المحذوف) أي: عائد المحذوف مِنْ ﴿خَلَقْتُ﴾ أي: خلقته، ويحتمل أَنَّهُ مِنَ التَّاءِ فِي ﴿خَلَقْتُ﴾ أي: خلقته وحدي لم يشاركني في خلقه أحدٌ، والأوَّلُ أَقْرَبُ.

قوله: (هو الوليد بن المغيرة) أي: المخزومي الذي تقدَّمتْ بعضُ أوصافِهِ فِي سُورَةِ (ن).

وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ ...

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾: واسعاً مُتَّصِلاً مِنَ الزُّرُوعِ وَالضُّرُوعِ وَالتَّجَارَةِ، ﴿وَبَيْنَ﴾ عَشْرَةٌ أَوْ أَكْثَرُ ﴿شُهُودًا﴾: يَشْهَدُونَ الْمَحَافِلَ وَتُسْمَعُ شَهَادَتُهُمْ، ﴿وَمَهَّدْتُ﴾: بَسَطْتُ ﴿لَهُ﴾ فِي الْعَيْشِ وَالْعُمُرِ وَالْوَلَدِ ﴿تَمْهِيدًا﴾ ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ﴾ عطف على ﴿خَلَقْتُ﴾.

قوله: ﴿مَالًا مَمْدُودًا﴾ اِخْتَلَفَ فِي مَبْلَغِهِ؛ فَقِيلَ: أَلْفُ دِينَارٍ، وَقِيلَ: سِتَّةُ آلَافٍ، وَقِيلَ: تِسْعَةُ آلَافٍ مِثْقَالِ فِضَّةٍ.

قوله: (من الزروع) أي: فكان له بستانٌ بالطائف، لا تنقطع ثماره شتاءً ولا صيفاً.

قوله: (والضروع) أي: المواشي.

قوله: (عشرة) أي: من الذكور، وقد عدَّ الخازن منهم سبعةً، وهم الوليد، وخالد، وعمارة، وهشام، والعاص، وقيس، وعبد شمس^(١)، وقوله: (أو أكثر) قيل: اثني عشر، وقيل: ثلاثة عشر، وقيل: سبعة عشر، وعلى كلِّ فقد أسلم منهم ثلاثة: خالد، وهشام، والوليد.

قوله: ﴿شُهُودًا﴾ جمع (شاهد) بمعنى: (حاضر).

قوله: (يشهدون المحافل) أي: مجامع النَّاسِ لِوَجَاهَتِهِمْ بَيْنَ النَّاسِ، أَوِ الْمَرَادِ: الْحُضُورِ مَعَ أَبِيهِمْ؛ لَعْدَمِ احتياجهم للسفر، فهو كنايةٌ عن كثرة النعم والخدم.

قوله: (وتسمع شهادتهم) أي: كلامهم.

قوله: ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ التمهيدُ في الأصل: التَّسْوِيَةُ وَالتَّهْيِئَةُ، أُطْلِقَ وَأُرِيدَ بِهِ بَسْطُ الْمَالِ وَالْجَاهِ.

قوله: (بسطت له في العيش والعمر والولد) أي: حَتَّى لُقِّبَ رِيحَانَةَ قَرِيشٍ، وَالْوَحِيدَ^(٢).

قوله: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ﴾ عطف على (جعلت) و(مهَّدت).

(١) انظر «تفسير الخازن» (٤/٣٦٣).

(٢) أي: باستحقاق الرياسة والتقدم. «فتوحات» (٤/٤٥٦).

كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا عِنْدًا ﴿١٦﴾ سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾

(﴿١٦﴾ - ﴿١٧﴾) ﴿كَلَّا﴾ لا أزيده على ذلك؛ ﴿إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا﴾: القرآن ﴿عِنْدًا﴾: مُعَانِدًا، ﴿سَأَرْهَقُهُ﴾: أَكْلَفَهُ ﴿صُعُودًا﴾: مَشَقَّةٌ مِنَ الْعَذَابِ أَوْ جَبَلًا مِنْ نَارٍ يَصْعَدُ فِيهِ ثُمَّ يَهْوِي أَبَدًا.

(﴿١٨﴾ - ﴿٢٥﴾) ﴿إِنَّهُ فَكَرَ﴾: فِيَمَا يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، ﴿وَقَدَّرَ﴾: فِي نَفْسِهِ ذَلِكَ،
حاشية الصاوي

قوله: (لا أزيده) أي: بل أنقصه، فقد ورد: أنه بعد نزول هذه الآية ما زال في نقصان ماله وولده حتى هلك فقيراً بخدشة سهم أصابته في رجله؛ كما قال البوصيري^(١): [الخفيف]

وأصاب الوليد خدشة سهم قصرت عنها الحية الرقطاء

قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا عِنْدًا﴾: تعليل للردع المستفاد من قوله: ﴿كَلَّا﴾.

قوله: (مُعَانِدًا) العناد ينشأ من كِبَرٍ فِي النَّفْسِ وَيُسِّ فِي الطَّعْمِ، أَوْ شِرَاسَةٍ فِي الْأَخْلَاقِ، أَوْ خَبَلٍ فِي الْعَقْلِ^(٢).

قوله: (يصعد فيه) أي: سبعين عاماً، كلما وضع يده عليه ذابت، فإذا رفعها عادت، وإذا وضعه رجله ذابت، وإذا رفعها عادت.

قوله: (ثم يهوي) أي: سبعين عاماً.

قوله: (أبدًا) راجع لكل من الصعود والهوي.

قوله: ﴿إِنَّهُ فَكَرَ﴾: أي: رده فكره فيما يطعن به في القرآن.

وذلك: أَنَّهُ ﷺ لَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ ﴿حَمِّ﴾ ﴿١٦﴾ تَنَزَّلَ الْكِتَابُ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَيْهِ

(١) في همزيته المشهورة، والحية الرقطاء: التي خالط سوادها نَقْطَ بَيْضٍ، وهي أعظم الحيات أذى. انظر «المنح المكية» (ص ٢٣٣).

(٢) وقد جمع ذلك كله إبليس لعنه الله تعالى؛ لأنه خُلِقَ مِنْ نَارٍ، وهي من طبعها اليُوسَ، وعدم الطواعية. وفي الآية إشارة إلى أَنَّ الْوَلِيدَ كَانَ مُعَانِدًا فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا: أَنَّهُ كَانَ يُعَانِدُ فِي دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ، وَصَحَّةِ النَّبَوَّةِ، وَصِحَّةِ الْبَعْثِ، وَمِنْهَا: أَنَّهُ كَفَرَهُ كَانَ عُنَادًا؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ بِقَلْبِهِ، وَيُنْكِرُهَا بِلِسَانِهِ. وَكَفَرُ الْعُنَادِ أَفْحَشُ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ، وَمِنْهَا: أَنَّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَانَ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ حَرْفَتُهُ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٣٠).

فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾

﴿فَقِيلَ﴾ : لَعْنٍ وَعُذْبٍ ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ : على أيِّ حال كان تقديره، ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾

حاشية الصاوي

الْمَصِيرُ ﴿غافر: ٣-١﴾ . . قام في المسجد والوليدُ بنُ المغيرة قريبٌ منه يسمع قراءته، فلَمَّا فَطَنَ النبي ﷺ لاستماعه لقراءته . . أعاد قراءة الآية، فانطلق الوليد بن المغيرة حتَّى أتى مجلسَ قومِهِ بني مخزوم فقال: والله؛ لقد سَمِعْتُ من مُحَمَّدٍ أَنفَاءً كلاماً ما هو من كلام البَشَر، ولا من كلام الجنِّ، إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُعْدَقٌ، وَإِنَّهُ يَعْلُو وَلَا يُغَلِّي عَلَيْهِ.

ثُمَّ انصرف إلى منزله، فقالت قريش: صَبَأَ والله الوليدُ، والله لَتَصْبَأَنَّ قريشٌ كُلُّهُمْ، فقام أبو جهل وقال: أنا أَكْفَيْكُمُوهُ، فانطلق فقَعَدَ إلى جنب الوليد حزيناً، فقال له الوليد: ما لي أراك حزيناً يا ابن أخي؟ قال: وما يَمْنَعُنِي إِلَّا أَحْزَنَ وهذه قريشٌ يَجْمَعُونَ لك نفقةً يُعِينُونَك بها على كبر سنِّكَ، ويزعمون أَنَّكَ زَيْنَتَ كلامَ مُحَمَّدٍ، وَأَنَّكَ دَاخِلٌ على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة تسألُ مِنْ فَضْلِ طَعَامِهِمْ، فغَضِبَ الوليد وقال: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهِمْ مَالاً وولداً؟! وهل شَبَعَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ مِنَ الطَّعَامِ فَيَكُونُ لَهُمْ فَضْلٌ؟!

ثُمَّ قام مع أبي جهل حتَّى أتى مجلسَ قومِهِ فقال لهم: تزعمون أَنَّ مُحَمَّدًا مجنونٌ، فهل رأيْتُمُوهُ يَخْنُقُ قَطُّ؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أَنَّهُ كَاهِنٌ، فهل رأيْتُمُوهُ قَطُّ تَكْهَنُ؟ فقالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أَنَّهُ شَاعِرٌ، فهل رأيْتُمُوهُ يتعاطى شعراً قَطُّ؟ قالوا: اللهم لا، قال: تزعمون أَنَّهُ كَذَابٌ، فهل جرَّبْتُمْ عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا: اللهم لا - وكان رسول الله ﷺ يَسْمَى الْأَمِينَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ من صدقِهِ - فقالت قريش للوليد: فما هو؟ فتفكَّرَ في نَفْسِهِ وَقَدَّرَ ثُمَّ قَالَ: ما هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤَثِّرُ^(١).

قوله: ﴿فَقِيلَ﴾ (أي: في الدنيا).

قوله: ﴿ثُمَّ قِيلَ﴾ (أي: فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة).

و(ثُمَّ): للدلالة على أَنَّ الثانية أبلغُ من الأولى، فهي في هذه المواضع للتراخي، و﴿كَيْفَ﴾: منصوبة على الحال من الضمير في ﴿قَدَّرَ﴾، وهي للاستفهام، والمقصودُ منه: توبيخُهُ والتعجبُ من تقديره.

(١) أورده بطلوه البغوي في «تفسيره» (١٧٦/٥)، وروى نحوه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٣).

ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾

في وُجُوهِ قَوْمِهِ أَوْ فِيمَا يَقْدَحُ بِهِ فِيهِ، ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾: قَبَضَ وَجْهَهُ وَكَلَّحَهُ ضَيْقًا بِمَا يَقُولُ، ﴿وَبَسَرَ﴾: زَادَ فِي الْقَبْضِ وَالْكُلُوحِ، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾: عَنِ الْإِيمَانِ ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾: تَكَبَّرَ عَنْ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ، ﴿فَقَالَ﴾: فِيمَا جَاءَ بِهِ: ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾: يُنْقَلُ عَنِ السَّحَرَةِ، ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾: كَمَا قَالُوا: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].
(٢٦ - ٣٠) ﴿سَأَصْلِيهِ﴾: أَدْخَلَهُ ﴿سَقَرٌ﴾: جَهَنَّمَ،

حاشية الصاوي

قوله: (في وُجُوهِ قَوْمِهِ) أي: نظرَ بعينِ الغضبِ من أجل الأمر الذي قالوه فيه، وقوله: (أو فيما يقْدَحُ به) أي: في القرآن، فالنَّظَرُ على هذا بمعنى التأمل، فيكون تأكيداً لقوله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾.

قوله: ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾) يقال: عَبَسَ عَبْسًا وَعُبُوسًا؛ أي: قَطَبَ وَجْهَهُ، وَالْعَبَسُ: يَطْلُقُ عَلَى مَا يَبْسُ فِي أَذْنَابِ الْإِبِلِ مِنَ الْبَعْرِ وَالْبَوْلِ، وقوله: ﴿وَبَسَرَ﴾) يقال: بَسَرَ يَبْسُرُ بَسْرًا وَبُسُورًا: إِذَا قَبَضَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَرَاهِيَةً لِلشَّيْءِ وَاسْوَدَّ وَجْهَهُ مِنْهُ، يقال: وَجْهُهُ وَجْهٌ بَاسِرٌ؛ أي: مُنْقَبَضٌ مُسَوِّدٌ، وَالْبُسُورُ: غَايَةُ فِي الْعُبُوسِ.

قوله: (وَالْكُلُوحِ) مرادفٌ للقبض.

قوله: ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾) عطف سبب^(١).

قوله: ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾) أي: أُمُورٌ تَخِيلِيَّةٌ لَا حَقَائِقَ لَهَا، وَهِيَ لِذَقَّتِهَا تَخْفَى أَسْبَابُهَا، وقوله: (يُنْقَلُ عَنِ السَّحَرَةِ) أي: كُمُسِيلِمَةٍ وَأَهْلِ بَابِلَ.

قوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾) نَتِيجَةُ حَصْرِهِ فِي السَّحَرِ.

قوله: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ﴾) بَدَلَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿سَأُزَيِّقُهُ صَعُودًا﴾، ثُمَّ إِنْ كَانَ الْمَرَادُ بِالصَّعُودِ الْمَشَقَّةَ.. فَالْبَدَلُ وَاضِحٌ، وَإِنْ كَانَ صُعُودُ الْجَبَلِ وَالْهَبُوطُ.. فَهُوَ بَدَلُ اشْتِمَالٍ، فَتَدَبَّرْ^(٢).

(١) أي: إِنَّ سَبَبَ إِدْبَارِهِ هُوَ الْاسْتِكْبَارُ عَنِ الْحَقِّ، أَوْ هُوَ عَطْفٌ مُسَاوٍ فِي الْمَعْنَى كَمَا يُفْهَمُ مِنْ تَقْرِيرِ الْمَفْسَّرِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَيَكُونُ تَأْكِيدًا. انظر «الفتوحات» (٤/٥٨٨).

(٢) عبارة العلامة السمين في «الدر المصون» (١٠/٥٤٥): (وَإِنْ كَانَ الْمَرَادُ صَخْرَةً فِي جَهَنَّمَ، كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ.. فَيَعْسِرُ الْبَدَلَ، وَيَكُونُ فِيهِ شَبْهُ مِنْ بَدَلِ الْاِشْتِمَالِ؛ لِأَنَّ جَهَنَّمَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى تِلْكَ الصَّخْرَةِ).

وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا بُقْي وَلَا نَذْرٌ ﴿٢٨﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرٌ﴾؟ تَعْظِيمٌ لِشَأْنِهَا، ﴿لَا بُقْي وَلَا نَذْرٌ﴾ شَيْئاً مِنْ لَحْمٍ وَلَا عَصَبٍ إِلَّا أَهْلَكَتُهُ، ثُمَّ يَعُودُ كَمَا كَانَ، ﴿لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾: مُحَرَّقَةٌ لِظَاهِرِ الْجِلْدِ، ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ﴾ مَلَكاً

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا سَقَرٌ﴾ (مَا): مبتدأ، و﴿سَقَرٌ﴾: خبره، والجملة سَدَّتْ مَسَدَ المفعول الثاني ل﴿أدري﴾.

قوله: (تعظيم لشأنها) أي: نظير ما تقدّم في (سورة الحاقة) ^(١).

قوله: ﴿لَا بُقْي وَلَا نَذْرٌ﴾ حالٌ، وفيها معنى التعظيم ^(٢)، والجملة بتان بمعنى واحدٍ، والعطف للتوكيد، هذا ما يقتضيه صنيع المفسّر.

قوله: ﴿لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ خبر مبتدأ محذوف، وقوله: (محرقه لظاهر الجلد) أي: فالمراد بالبشر: الجلد، ويُطلق البشر على الناس جميعاً، ومعنى ﴿لَوَاحَةٌ﴾: تَظْهَرُ لَهُمْ وتُلَوِّحُ قَبْلَ أَنْ يَسْقُطُوا فِيهَا، وَلَكِنَّ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ أَقْرَبَ.

قوله: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ﴾ ملكاً) أي: وهم مائة وثمانية عشر، وقيل: تسعة عشر نقيباً، وقيل: تسعة عشر ألف ملك، والقول الثاني موافق لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَقْلُرْ جُودَ رَيْكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، وفي «القرطبي»: (قلت: والصحيح إن شاء الله: أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء، وأما جملتهم.. فالعبارة تعجز عنها كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَقْلُرْ جُودَ رَيْكَ إِلَّا هُوَ﴾، وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُؤُنَهَا». اهـ ^(٣).

وقد وردَ في صفة الخزنة: «أَنَّ أَعْيُنَهُمْ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، وَأَنْيَابُهُمْ كَالصَّيَاصِي - أي: قرون البقر

(١) انظر (١٦٧/٧).

(٢) أي: إن العامل فيها معنى التعظيم، بمعنى: أن الاستفهام في قوله: ﴿وَمَا سَقَرٌ﴾ للتعظيم، فالمعنى: استعظمو سقر في هذه الحال، ومفعول (تبقي) و(تذر) محذوف؛ أي: لا تبقي ما ألقي فيها ولا تذرّه، بل تهلكه، وقيل: تقديره لا تبقي على من ألقي فيها، ولا تذر غاية العذاب إلا وصلته إليه. وقيل: الجملة مستأنفة. انظر «الدر المصون» (٥٤٥/١٠).

(٣) «تفسير القرطبي» (٨٠/١٩)، والحديث رواه مسلم (٢٨٤٢).

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً

خَزَنَتِهَا، قَالَ بَعْضُ الْكُفَّارِ - وَكَانَ قَوِيًّا شَدِيدَ الْبَاسِ -: أَنَا أَكْفِيكُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ وَاكْفُونِي أَنْتُمْ اثْنَيْنِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿٣١﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴿١﴾ أَي: فَلَا يُطَاقُونَ كَمَا يَتَوَهَّمُونَ، ﴿٢﴾ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ ﴿٣﴾ ذَلِكَ ﴿٤﴾ إِلَّا فِتْنَةً ﴿٥﴾: ضَلَالًا

حاشية الصاوي

- وأشعارهم تمسُّ أقدامهم، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، نُزِعَتْ منهم الرحمة، يدفع أحدهم سبعين ألفاً مرةً واحدةً، فيرميهم حيث شاء من جهنم^(١).

وفي رواية: «أَنَّ لأحدهم مثل قُوَّةِ الثَّقَلَيْنِ، يَسُوقُ أَحَدُهُم الْأُمَّةَ وَعَلَى رِقْبَتِهِ جَبَلٌ، فِيرْمِي بِهِمْ فِي النَّارِ، وَيُرْمِي الْجَبَلَ عَلَيْهِمْ»^(٢).

قوله: (خَزَنَتِهَا) أَي: يَتَوَلَّوْنَ أَمْرَهَا، وَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى أَهْلِهَا، وَلَا يَتَأَلَّمُونَ مِنْهَا، بَلْ هُمْ فِيهَا كَخَزَنَةِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ.

قوله: (قَالَ بَعْضُ الْكُفَّارِ) هُوَ أَبُو الْأَشَدِّ بْنِ كَلْدَةَ بْنِ خَلْفِ الْجُمَحِيِّ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿عَلَيْنَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.. قَالَ أَبُو جَهْلٍ لِقُرَيْشٍ: ثَكَلْتُمْ أُمَّهَاتِكُمْ، مُحَمَّدٌ يُخْبِرُ أَنَّ خَزَنَةَ النَّارِ تِسْعَةُ عَشَرَ وَأَنْتُمْ الشَّجْعَانُ؛ أَفِيَعْجِزُ كُلُّ عَشْرَةٍ مِنْكُمْ أَنْ يَبْطِشُوا بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ؟ فَقَالَ أَبُو الْأَشَدِّ: أَنَا أَكْفِيكُمْ مِنْهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ؛ عَشْرَةٌ عَلَى ظَهْرِي، وَسَبْعَةٌ عَلَى بَطْنِي، وَاكْفُونِي أَنْتُمْ اثْنَيْنِ^(٣).

وفي روايةٍ أَنَّهُ قَالَ: أَنَا أَمْشِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ، فَأُدْفَعُ عَشْرَةً بِمَنْكَبِي الْأَيْمَنِ، وَتِسْعَةً بِمَنْكَبِي الْأَيْسَرِ فِي النَّارِ، وَنَمْضِي فَنَدْخُلُ الْجَنَّةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ [المدثر: ٣١]^(٤).

قوله: (﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾) مَفْعُولٌ ثَانٍ لـ (جَعَلَ) عَلَى حَذْفِ مِضَافٍ؛ أَي: إِلَّا سَبَبَ فِتْنَةٍ، وَقَوْلُهُ:

(١) رَوَاهُ الشَّجَرِيُّ فِي «أَمَالِيهِ» (٤٠٢/٢) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صِفَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَأُورِدَهُ الْخَطِيبُ فِي «السَّراجِ الْمُنِيرِ» (٤٣٢/٤) عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(٢) أُورِدَهُ الْمَاورِدِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٤٦/٦)، وَالزَّمَخْشَرِيُّ فِي «كَشَّافِهِ» (٦٥١/٤)، وَقَالَ الزَّيْلَعِيُّ فِي تَخْرِيجِهِ: غَرِيبٌ،

(٣) أُورِدَهُ الْبَغَوِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٧٨/٥).

(٤) رَوَاهَا ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٩٠٤٠)، وَانْظُرْ سَبَبَ التَّنْزِيلِ فِي «زَادَ الْمَسِيرَ» (٣٦٤/٤).

لِلَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْفَأَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ

﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِأَن يَقُولُوا: لِمَ كَانُوا تِسْعَةَ عَشَرَ؟ ﴿لَيْسَتَيْنِ﴾: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: الْيَهُودُ صِدْقَ النَّبِيِّ ﷺ فِي كَوْنِهِمْ تِسْعَةَ عَشَرَ الْمُوَافِقِ لِمَا فِي كِتَابِهِمْ، ﴿وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿إِيمَانًا﴾: تَصَدِيقًا لِمُوَافَقَةِ مَا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ لِمَا فِي كِتَابِهِمْ، ﴿وَلَا يَرْفَأَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ مِنْ غَيْرِهِمْ فِي عَدَدِ الْمَلَائِكَةِ، ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: شَكٌّ بِالْمَدِينَةِ ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بِمَكَّةَ: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا الْعَدَدِ مَثَلًا﴾؟ سَمَّوْهُ لِعَرَابَتِهِ بِذَلِكَ - وَأَعْرَبَ حَالًا - ﴿كَذَلِكَ﴾ أَي: مِثْلُ إِضْلَالِ مُنْكَرِ هَذَا الْعَدَدِ

حاشية الصاوي

﴿لِلَّذِينَ﴾ صفة لـ ﴿فِتْنَةً﴾. وَإِنَّمَا صَارَ هَذَا الْعَدَدُ فِتْنَةً لَهُمْ مِنْ وَجْهَيْنِ: الْأَوَّلُ: أَنَّ الْكَافِرَ يَسْتَهْزِئُونَ ويقولون: لِمَ لَا يَكُونُونَ أَزِيدَ مِنْ ذَلِكَ؟ والثاني: أَنَّ هَذَا الْعَدَدَ الْقَلِيلَ كَيْفَ يَتَوَلَّى تَعْذِيبَ أَكْثَرِ الْعَالَمِ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ، مِنْ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ؟

قوله: ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿جَعَلْنَا﴾ الثَّانِي، وَالْمَعْنَى: لِيَكْتَسِبُوا الْيَقِينَ بِنَبْوَةِ مُحَمَّدٍ وَصِدْقِ الْقُرْآنِ لَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ مُوَافِقًا لِمَا فِي كِتَابِهِمْ.

قوله: (مِنْ غَيْرِهِمْ) أَي: غَيْرِ الْيَهُودِ، فَحَصَلَ التَّغَايُرُ، فَالْمُرَادُ بِ(الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ) أَوَّلًا الْيَهُودُ، وَالْمُرَادُ بِ(الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) ثَانِيًا هُمُ النَّصَارَى، وَالْمُؤْمِنُونَ الْمَذْكُورُونَ بَعْدَهُمْ مِنْ غَيْرِ الْيَهُودِ، بَلْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَاَنْدَفَعُ مَا يُقَالُ: إِنَّ فِي آيَةِ تَكَرَّرًا.

قوله: (بِالْمَدِينَةِ) حَالٌ مِنْ ﴿الَّذِينَ﴾ أَي: حَالٌ كَوْنِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، وَهَذَا مِنْ اللَّهِ إِخْبَارٌ بِمَا سَيَقَعُ؛ لِأَنَّ السُّورَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِمَكَّةَ.

قوله: ﴿﴿مَاذَا﴾... (إِلَخ)﴾: ﴿مَا﴾: اسْمٌ اسْتِفْهَامٌ، مُبْتَدَأٌ، وَ﴿ذَا﴾: مُوصُولٌ خَبَرُهُ، وَ﴿أَرَادَ اللَّهُ﴾: صِلَةُ الْمَوْصُولِ، وَ﴿مَثَلًا﴾: حَالٌ^(١)، وَالْمَعْنَى: مَا الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا لَا حَقِيقَةً؟ لِعَرَابَتِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْعَدَدَ أَمْرٌ غَرِيبٌ لَمْ تَسْعُهُ عُقُولُنَا.

قوله: (أَي: مِثْلُ إِضْلَالِ) أَشَارَ بِهِ إِلَى أَنَّ الْكَافِرَ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ، نَعَتْ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ؛ أَي: يُضِلُّ إِضْلَالًا مِثْلَ ذَلِكَ.

(١) ويجوز أن تكون (ماذا) بمنزلة اسم واحد في محل نصب بالفعل بعدها، تقديره: أي شيء أراد الله؟ ومحل هذه الجملة النصب بالقول، و(مثلاً): تمييز. انظر «الدر المصون» (١/٢٣١).

يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا
وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَصْفَرِ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾

وَهْدِي مُصَدِّقَهُ ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ﴾ أَي: الملائكة في قوتهم وأعوانهم ﴿إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ﴾ أَي: سقر ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾.

(٣٢ - ٣٧) ﴿كَلَّا﴾ - استفتاح بمعنى (ألا) - ﴿وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا﴾ - بفتح الدال - ﴿دَبَّرَ﴾ : جاء بعد النهار - وفي قراءة: ﴿إِذَا أَدْبَرَ﴾ بسكون الدال بعدها همزة - أَي: مضى، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَصْفَرَ﴾ : ظهر، ﴿إِنَّهَا﴾ أَي: سقر ﴿لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ : البلياء العظام،

حاشية الصاوي

قوله: (وَهْدِي مُصَدِّقَهُ) بوزن (رَمِي) بفتح أوله وسكون ثانيه، أو بضم أوله وفتح ثانيه.
قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ هذا جوابٌ لأبي جهل حين قال: أما لمحمد أعوانٌ إلا تسعة عشر؟^(١)

قوله: (أَي: سقر) أعاد الضمير على سقر، ويجوز أن يعود على الآيات المذكورة فيها.
قوله: ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ أَي: يتذكرون ويعلمون كمال قدرته تعالى.
قوله: (استفتاح بمعنى «ألا») أَي: فأتى بها تعظيماً للمقسم عليه، وحيث: فالوقف على ما قبلها، وقيل: إنها حرف ردع وزجر، وعليه: فيوقف عليها.

قوله: (بفتح الدال) أَي: ف(إذا): ظرف لما يستقبل، و(دَبَّرَ): فعلٌ ماضٍ بوزن (ضَرَبَ)، وقوله: (وفي قراءة... إلخ) أَي: ف﴿إِذَا﴾: ظرفٌ لما مضى من الزمان، و﴿أَدْبَرَ﴾ بوزن (أَكْرَمَ) والقراءتان سبعيتان، والرسم محتملٌ لكل منهما؛ إذ الصورة الخطيئة لا تختلف، وقرئ شذوذاً: (إذا أدبر) بالفتن، واختلفوا هل (دَبَّرَ) و(أَدْبَرَ) بمعنى واحد، أو (دبر) معناه: جاء، و(أدبر) بمعنى: مضى، وهو الذي مشى عليه المفسر^(٢).

قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ جواب القسم.

(١) انظر «تفسير البغوي» (١٧٨/٥).

(٢) قرأ نافع وحزمة وحفص: (إذا أدبر)، والباقون: (إذا دبر)، واختار أبو عبيد قراءة (إذا) قال: (لأن بعده «إذا أسفر»، وقال: وكذلك هي في حرف عبد الله). انظر «الدر المصون» (١٠/٥٥٠).

نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ
الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾

﴿نَذِيرًا﴾ - حالٌ من (إحدى)، وذُكِرَ لِأَنَّهَا بِمَعْنَى الْعَذَابِ - ﴿لِلْبَشَرِ﴾ ﴿٣٦﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ - بدل
من ﴿لِلْبَشَرِ﴾ - ﴿أَنْ يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الخير أو الجنة بِالإِيمَانِ، ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ إلى الشرِّ أو النَّارِ
بِالْكُفْرِ.

(﴿٣٨﴾ - ﴿٤٧﴾) ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾: مَرهُونَةٌ مَأْخُودَةٌ بِعَمَلِهَا فِي النَّارِ، ﴿إِلَّا
أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ فَنَاجُونَ مِنْهَا، كَانْتُونَ ﴿فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ﴾ بَيْنَهُمْ ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾
وَحَالِهِمْ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ بَعْدَ إِخْرَاجِ الْمُؤَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ:
حاشية الصاوي

قوله: (حال من «إحدى») هذا أحد احتمالات كثيرة نحو أحد عشر، وهو أظهرها^(١).

قوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾... إلخ) وعيدٌ وتهديدٌ، نظير قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾
[الكهف: ٢٩].

قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ أي: مُؤمنة أو كافرة، عاصية أو غير عاصية، فالاستثناء متصلٌ.

قوله: ﴿رَهِينٌ﴾ أي: على الدوام بالنسبة للكفار، وعلى وجه الانقطاع بالنسبة لِعصاة المؤمنين.

قوله: (مأخوذة بعملها) أشار بذلك إلى أَنَّ (ما) مصدرية، والكسب بمعنى: العمل.

قوله: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ قد علمت أَنَّ الاستثناء متصل، وأهل اليمين يعصم العصاة وغيرهم؛
لأنَّ الكلَّ ناجون من الرهينة؛ إما ابتداءً ودواماً، وإما دواماً.

قوله: (كانتون ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾) أشار بذلك إلى أَنَّ قوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ متعلقٌ بمحذوف خبرٍ مبتدأ مقدر؛
أي: هم، وهذه الجملة مستأنفة واقعةٌ في جواب سؤالٍ مقدرٍ، والتقدير: ما شأنهم وحالهم؟

قوله: ﴿يَسَاءَلُونَ﴾ أي: يسأل بعضهم بعضاً، وقوله: ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين، والكلام
على حذفٍ مضافٍ؛ أي: عن حالهم.

قوله: (ويقولون لهم) أي: للمجرمين، وهذا القول خطابٌ لأهل الجنة لأهل النار، وهو غير
السؤال المتقدم فيما بينهم.

(١) أوصلها العلامة السمين الحلبي إلى ستة عشر وجهاً. انظرها في «الدر المصون» (١٠/٥٥٢).

مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْوُضُ
مَعَ الْخَاطِئِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾

﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾: أَدْخَلَكُمْ ﴿فِي سَقَرٍ﴾ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾
وَكَُنَّا نَحْوُضُ ﴿فِي الْبَاطِلِ﴾ مَعَ الْخَاطِئِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾: الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، ﴿حَتَّى﴾
أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾: الْمَوْتُ.

(٤٨ - ٥١) ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ،
وَالْمَعْنَى: لَا شَفَاعَةَ لَهُمْ،

حاشية الصاوي

والحاصل: أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ حِينَ يَسْتَقَرُّونَ فِيهَا وَيُنَادِي الْمُنَادِي: «يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؛ خَلُودٌ بِلَا مَوْتٍ،
وَيَا أَهْلَ النَّارِ؛ خَلُودٌ بِلَا مَوْتٍ»^(١) يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنْ مَعَارِفِهِمُ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ خُلِدُوا فِي النَّارِ،
ثُمَّ يُكْشَفُ لَهُمْ عَنْهُمْ، يُخَاطَبُونَهُمْ بِقَوْلِهِمْ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾.

قوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾... إلخ الاستفهام للتوبيخ والتعجب من حالهم.

قوله: ﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾ أي: نَعْطِيهِ مَا يَجِبُ عَلَيْنَا إِعْطَاؤُهُ؛ كَزَكَاةٍ وَنَحْوِهَا.

قوله: ﴿وَكَُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَاطِئِينَ﴾ أي: فِي الْقُرْآنِ، فَنَقُولُ فِيهِ: إِنَّهُ لَسِحْرٌ وَشَعْرٌ وَكِهَانَةٌ، وَغَيْرُ
ذَلِكَ مِنَ الْبَاطِلِ الَّتِي كَانُوا يَخْوِضُونَ فِيهَا.

قوله: ﴿وَكَُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ تخصيصٌ بعد تعميمٍ؛ لِأَنَّ الْخَوْضَ فِي الْبَاطِلِ عَامٌّ شَامِلٌ لَتَكْذِيبِ
يَوْمِ الدِّينِ وَغَيْرِهِ.

وفي هذه الآية دليلٌ على أَنَّ الْكَفَّارَ مُخَاطَبُونَ بِفُرُوعِ الشَّرِيعَةِ، فَيُعَذَّبُونَ عَلَيْهَا زِيَادَةً عَلَى عَذَابِ
الْكَفْرِ.

قوله: ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ غَايَةُ فِي الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ.

قوله: (وَالْمَعْنَى: لَا شَفَاعَةَ لَهُمْ) أي: فَالْنَّفْيُ مُسَلِّطٌ عَلَى الْقَيْدِ وَالْمَقْيِدِ مَعًا، وَهَذَا خِلَافُ
الْقَاعِدَةِ؛ مِنْ أَنَّ النَّفْيَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَقْيِدٍ تَسَلَّطَ عَلَى الْقَيْدِ فَقَطْ، فَهَذَا لَيْسَ الْمُرَادُ: أَنَّهُ تَوْجَدَ شَفَاعَةٌ
لَكُنْهَا غَيْرُ نَافِعَةٍ، بَلِ الْمُرَادُ: لَا تَوْجَدَ شَفَاعَةٌ أَصْلًا.

(١) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيهما: (فلا موت) بدل (بلا موت).

فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ
أَمْرٍ . . .

﴿فَمَا﴾ - مُبْتَدَأٌ - ﴿لَهُمْ﴾ - خَبَرُهُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ انْتَقَلَ ضَمِيرُهُ إِلَيْهِ - ﴿عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ﴾ -
- حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ - وَالْمَعْنَى: أَيُّ شَيْءٍ حَصَلَ لَهُمْ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْإِعْظَامِ؟ ﴿كَانَهُمْ
حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾: وَحْشِيَّةٌ ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾: أَسَدٌ، أَيُّ: هَرَبَتْ مِنْهُ أَشَدُّ الْهَرَبِ.
..... ﴿٥٢﴾ - ﴿٥٣﴾ ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ أَمْرٍ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (انتقل ضميره) أي: الضمير الذي كان مستكنًا في المحذوف^(١)، وقوله: (إليه)
أي: إلى هذا الخبر الذي هو الجار والمجرور؛ لأن القاعدة: أَنَّ الجارَّ والمجرورَ إذا وقع خبراً
حُذِفَ مُتَعَلِّقُهُ وجوباً، وانتقل ضميره إليه، وسمي حينئذٍ ظرفاً أو جاراً ومجروراً مُستَقَرّاً؛ لاستقرار
الضمير فيه.

قوله: (حال من الضمير) أي: المجرور باللام.

قوله: ﴿كَانَهُمْ حُمُرٌ﴾ (حال من الضمير في ﴿مُعْرِضِينَ﴾، فهي حالٌ مُتداخلة.

قوله: ﴿مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ (بكسر الفاء وفتحها، سبعيتان^(٢))؛ أي: نافرة بنفسها من أجل الأسد،
أو نفرها الأسد، فقوله: (وحشية) ليس تفسيراً لـ(مستنفرة)، فكان المناسب تقديمه عليه.

قوله: (أسد) وقيل: القسورة: الجماعة الذين يصطادونها.

قوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ أَمْرٍ﴾ (إضراب انتقالي عن محذوف، كأنه قيل: لا سبب لهم

في الإعراض، بل يريد... إلخ

وسبب نزول الآية: أَنَّ أبا جهل وجماعةً من قُرَيْشٍ قالوا: يا مُحَمَّدُ؛ لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَأْتِيَ كُلَّ
وَاحِدٍ مِنَّا بِكِتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ، عنوانه: من ربِّ العالمين إلى فلان بن فلان، ونُؤْمِرُ فِيهِ بِاتِّبَاعِكَ، وَكَانُوا
يَقُولُونَ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا لَيُصْبِحَنَّ عِنْدَ رَأْسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا صَحِيفَةٌ فِيهَا بَرَاءَتُهُ مِنَ النَّارِ^(٣).

(١) والتقدير: أي شيء استقرَّ لهم؟

(٢) قرأ ابن عامر ونافع بفتح الفاء على أنه اسم مفعول، والباقون بكسرها بمعنى: نافرة. انظر «السراج المنير» (٤/٤٣٧).

(٣) أورده بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٧/٥٥٤) من حديث مجاهد رحمه الله تعالى، وقيل: سبب نزولها: أنهم قالوا:
كان الرجل إذا أذنب في بني إسرائيل... وجده مكتوباً إذا أصبح في رُقعة؛ فما بالنا لا نرى ذلك؟ وانظر «زاد المسير»
(٤/٣٦٦).

مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ أي: مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِاتِّبَاعِ النَّبِيِّ كَمَا قَالُوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ. ﴿كَلَّا﴾ - رَدْعٌ عَمَّا أَرَادُوهُ - ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: عَذَابَهَا. ﴿٥٤﴾ - ﴿٥٦﴾ ﴿كَلَّا﴾ - اسْتِفْتَا ح - ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الْقُرْآنَ ﴿تَذَكُّرٌ﴾: عِظَةٌ، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾: قَرَأَهُ فَاتَّعَظَ بِهِ، ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ - بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ - ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ (أي: مِنْ كَفَّارِ قُرَيْشٍ).

قوله: ﴿مُنَشَّرَةً﴾ (أي: طَرِيقَةً لَمْ تُطَوَّ، بَلْ تَأْتِينَا وَقْتَ كِتَابَتِهَا يَقْرُؤُهَا كُلُّ مَنْ رَأَاهَا).

قوله: ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ (إِضْرَابٌ انْتِقَالِيٌّ لِبَيَانِ سَبَبِ تَعَنُّتِهِمْ وَاقْتِرَاحِهِمْ؛ إِذْ لَوْ خَافُوا الْآخِرَةَ لَمَا تَعَنَّتُوا، بَلْ كَانُوا يَكْتَفُونَ بِأَيِّ دَلِيلٍ، وَيُؤْمِنُونَ).

قوله: (اسْتِفْتَا ح) أي: أَوْ رَدْعٌ وَزَجْرٌ.

قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ (مَنْ): شَرْطِيَّةٌ، وَ﴿شَاءَ﴾: شَرْطُهَا، وَ﴿ذَكَرْهُ﴾: جَوَابُهَا.

قوله: (بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ) أي: فَهَمَا سَبْعَتَانِ^(١).

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (أي: لَا يَحْصُلُ مِنْكُمْ ذِكْرٌ إِلَّا فِي حَالِ مَشِيئَةِ اللَّهِ لَهُ؛ أَيْ: إِرَادَتِهِ؛ لِأَنَّ مَا أَرَادَهُ يَقَعُ وَلَا بَدَأَ).

وفيه تسليةٌ للنبيِّ حيث ينظر للحقيقة، وأنَّ توحيدهم ليس بحولهم وقوتهم، قال بعض العارفين عن لسان الحضرة^(٢): [مجزوء الرمل]

أَيُّهَا الْمُعْرِضُ عَنَّا إِنَّ إِعْرَاضَكَ مِنَّنَا
لَوْ أَرَدْنَاكَ جَعَلْنَا كُلَّ مَا فِيكَ يُرَدُّنَا

(١) قرأ نافع بالخطاب، وهو التفات من الغيبة إلى الخطاب، والباقون بالغيبة حملاً على ما تقدم من قوله: ﴿كُلُّ آمْرِئٍ مِنْهُمْ﴾، ولم يؤثروا الالتفات. انظر «الدر المصون» (١٠/٥٥٩).

(٢) أوردهما شمس الدين ابن الجزري في «الزهر الفائح» (ص ٦٣).

هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ ﴿٥٦﴾

هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى ﴿٥٦﴾ بِأَنْ يُتَّقَى، ﴿وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾ بِأَنْ يَغْفِرَ لِمَنْ اتَّقَاهُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾ أي: حقيقٌ بأن تمثلَ عبادةً أو امره، وتجنبَ نواهيه.

قوله: ﴿وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾ أي: هو جديرٌ بأن يغفرَ لمن اتَّقاه.

ورَدَ في الحديث: أَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى، فَمَنْ اتَّقَى أَنْ يُشْرِكَ بِي غَيْرِي.. فَأَنَا أَهْلٌ أَنْ أَعْفَرَ لَهُ»^(١).

(١) رواه الترمذي (٣٣٢٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٦٦)، وابن ماجه (٤٢٩٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

مَكِّيَّة، أَرْبَعُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿لَا﴾ - زائدة في الموضعين - ﴿أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ: التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان. - وجواب القسم محذوف أي: لتبعثن، دل عليه -:

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

(مكية) أي: بالإجماع، وكذا قوله: (أربعون آية).

قوله: (زائدة في الموضعين) أي: لتأكيد القسم، ففيه دليل على أن (لا) تزداد كثيراً في الكلام؛ سواء كان في أوله أو وسطه، خلافاً لمن يقول: إنها تزداد في وسط الكلام، لا في أوله.

وقيل: إن (لا) نافية لكلام تقدمها، أتى بها ردًا على منكري البعث، كأنه قال: ليس الأمر كما زعموا أقسم... إلخ، كقولك: لا والله.

قوله: (التي تلوم نفسها) أي: في الدنيا؛ لما شهدت من حقيقتها وهي العدم، وعظيم حق الله عليها، فالعبد وإن قطع نفسه إرباً في عبادة الله... لا يفي بحق الله عليه؛ لأنَّ الفاني لا يقدر على القيام بحق الباقي.

واعلم: أنَّ الصوفيَّة قَسَّمُوا النَّفْسَ إِلَى سَبْعَةِ أَقْسَامٍ:

الأوَّل: الأَمَّارَةُ، وهي نفوس الكفار ومن هذا حذوهم، لا تأمر بخير أصلاً، ومع ذلك راضية بأفعالها، محسنة لها.

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَى قَدَرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ﴿٤﴾

(٣ - ٤) ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ أي: الكافر ﴿أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ لِلْبَعْثِ وَالْإِحْيَاءِ؟ ﴿بَلَى﴾ نَجْمَعُهَا ﴿قَدَرِينَ﴾ مَعَ جَمْعِهَا ﴿عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ﴾ وهو الأصابع، أي: نُعِيدُ عِظَامَهَا كما كانت مَعَ صِغَرِهَا فكيف بِالْكِبَرِ؟

حاشية الصاوي

الثاني: اللوامة، وهي التي تلوم صاحبها ولو كان مجتهداً في الطاعة، وهذا مبدأ الخير، وأصل الترقى.

الثالث: المُلْهَمَة، وهي التي أُلْهِمَتْ فجورَها وتقواها.

الرابع: المطمئنة، وهي التي اطمأنت بالله، وسكنت تحت مقاديره.

الخامس: الرّاضية، وهي التي رضيت عن الله في جميع حالاتها.

السادس: المرضية، وهي التي جُوزِيَتْ بالرضا من الله؛ لأنَّ مَنْ رَضِيَ له الرضا.

السابع: الكاملة، وهي غاية المراتب، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

ومأخذ الجميع من القرآن؛ فالأمارة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣]،

واللوامة من هذه الآية، والملهمة من قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨]، والمطمئنة

وما بعدها من قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَنَّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ...﴾ [الفجر: ٢٧] الآية.

قوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ استفهامٌ توبيخٍ وتقريع.

قوله: ﴿أَنْ نَجْمَعَ﴾ (أن): مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، و(لن) وما في حيزها

خبرها، وجملة (أن) واسمها وخبرها سادة مسدّ مفعولي (حسب)، وليس بين الهمزة واللام نون في الرسم، بل تكتب الهمزة موصولةً باللام.

قوله: ﴿بَلَى﴾ جوابٌ لما بعد النفي.

قوله: ﴿قَدَرِينَ﴾ حال من فاعل الفعل المقدّر الذي دلّ عليه (بلى)، والتقدير: نجمعها حال

كوننا قادرين.

قوله: ﴿بَنَانُهُ﴾ اسمٌ جمعٍ أو جمعٌ ل(بنانة).

قوله: (وهو الأصابع) أي: أطرافها، فالبنان: أطراف الأصابع.

قوله: (كما كانت) أي: في الدنيا.

بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرَهُ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَتَنَلَّأِيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ إِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾
وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْفَرَّ ﴿١٠﴾

(٥ - ٦) ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرَهُ﴾ - اللام زائدة، ونصبه بـ(أن) مقدرة - أي: أن يكذب ﴿أَمَامَهُ﴾ أي: يوم القيامة - دل عليه -: ﴿يَتَنَلَّأِيَّانَ﴾: متى ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ سؤال استهزاء وتكذيب.

(٧ - ١٠) ﴿إِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ﴾ - بكسر الراء وفتحها -: دَهِشَ وَتَحَيَّرَ لِمَا رَأَى مِمَّا كَانَ يُكَذِّبُهُ، ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾: أَظْلَمَ وَذَهَبَ ضَوْؤُهُ، ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ فطُلعا مِنَ الْمَغْرِبِ أَوْ ذَهَبَ ضَوْؤُهُمَا، وذلك في يوم القيامة، ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْفَرَّ﴾: الفرار؟ حاشية الصاوي

قوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ﴾ إضراب انتقالي.

قوله: (ونصبه بـ«أن» مقدرة) أي: والمصدر المنسبك منه ومن (أن) مفعول ﴿يُرِيدُ﴾.

قوله: ﴿أَمَامَهُ﴾ منصوبٌ على نزع الخافض؛ أي: بأمامه، والمعنى: يُريد دوام التكذيب بيوم القيامة.

قوله: ﴿يَتَنَلَّأِيَّانَ﴾ هذه الجملة إمّا بدلٌ من الجملة قبلها، أو مستأنفة بيانٌ لها، و﴿يَتَنَلَّأِيَّانَ﴾: خبرٌ مقدّم، و﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: مبتدأ مؤخر.

قوله: (بكسر الراء وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيتان ولغتان، معناهما: التحير والدهشة، وقيل: بَرَقَ بالكسر: تحير، وبالفتح: لَمَعَ مع شدة شخوصه، فقوله: (دَهِشَ وَتَحَيَّرَ) تفسيرٌ للقراءتين^(١).

قوله: (وذلك في يوم القيامة) إن قلت: إنَّ طلوعَ الشمس والقمر من مغربهما ليس في يوم القيامة، بل قبله بمئة وعشرين سنة.

أجيب: بأن المراد بـ(يوم القيامة): ما يشمل وقت مقدّماته من الأمور العظام.

قوله: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ جوابٌ (إذا).

قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ التنوين عوضٌ عن جُملي متعدّدة، والتقدير: يوم إذ بَرَقَ البصر... إلخ.

قوله: ﴿إِنَّ الْفَرَّ﴾ أي: من الله، أو من النار، احتمالان.

(١) قرأ نافع بفتح الراء، والباقون بالكسر. انظر «الدر المصون» (١٠/٥٦٧).

كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يُؤْمِدُ السُّعْفُ ﴿١٢﴾ يُبْتَوُّ الْإِنْسُنُ يَوْمَ قَدَمٍ وَأَخَرٍ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسُنُ عَلَىٰ
نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾

(١١ - ١٣) ﴿كَلَّا﴾ - رَدْعٌ عَنْ طَلَبِ الْفِرَارِ - ﴿لَا وَزَرَ﴾: لَا مَلْجَأَ يَتَحَصَّنُ بِهِ، ﴿إِلَىٰ
رَبِّكَ يُؤْمِدُ السُّعْفُ﴾: مُسْتَقَرُّ الْخَلَائِقِ، فَيُحَاسِبُونَ وَيُجَاوِزُونَ، ﴿يُبْتَوُّ الْإِنْسُنُ يَوْمَ قَدَمٍ وَأَخَرٍ﴾:
بِأَوَّلِ عَمَلِهِ وَآخِرِهِ.

(١٤ - ١٥) ﴿بَلِ الْإِنْسُنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾: شَاهِدٌ تَنْطِقُ جَوَارِحُهُ بِعَمَلِهِ، وَالْهَاءُ
لِلْمُبَالَغَةِ فَلَا بُدَّ مِنْ جَزَائِهِ، ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾: جَمَعَ (مَعْدِرَةً) عَلَىٰ غَيْرِ قِيَاسٍ، أَي: لَوْ
جَاءَ بِكُلِّ مَعْدِرَةٍ مَا قُبِلَتْ مِنْهُ.

(١٦ - ١٩) قَالَ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ: ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ﴾: بِالْقُرْآنِ قَبْلَ فَرَاغِ جَبْرِيلَ مِنْهُ ﴿لِسَانَكَ
لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ خَوْفٌ أَنْ يَنْفَلِتَ مِنْكَ، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ فِي صَدْرِكَ ﴿وَقُرْءَانَهُ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يُؤْمِدُ﴾ أي: يَوْمَ إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ الْمَذْكُورَةُ، وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ،
و﴿السُّعْفُ﴾: مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ.

قوله: ﴿بَلِ الْإِنْسُنُ﴾ مُبْتَدَأٌ، وَ﴿بَصِيرَةٌ﴾: خَبَرٌ، وَ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾: مُتَعَلِّقٌ بـ﴿بَصِيرَةٌ﴾، وَتَأْنِيثُ الْخَبَرِ
بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِنْسَانِ جَوَارِحُهُ، أَوْ أَنَّ الْهَاءَ لِلْمُبَالَغَةِ كَمَا قَالَ الْمَفْسَّرُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ
إِلَىٰ شَاهِدٍ غَيْرِ جَوَارِحِهِ، بَلْ هِيَ تَكْفِي فِي الشَّهَادَةِ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿بَصِيرَةٌ﴾، وَ(لَوْ): شَرْطِيَّةٌ قَدَّرَ الْمَفْسَّرُ
جَوَابَهَا بِقَوْلِهِ: (مَا قُبِلَتْ مِنْهُ).

قوله: (عَلَىٰ غَيْرِ قِيَاسٍ) أَي: وَقِيَاسَهُ (مَعَاذِرٍ) بِدُونِ يَاءٍ.

قوله: (أَي: لَوْ جَاءَ بِكُلِّ مَعْدِرَةٍ... إلخ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَىٰ أَنَّ فِي الْكَلَامِ اسْتِعَارَةً تَبَعِيَّةً؛ حَيْثُ
شَبَّهَ الْمَجِيءَ بِالْعَذْرِ بِالْقَاءِ الدَّلُو فِي الْبُتْرِ لِلِاسْتِقَاءِ بِهِ، وَاشْتَقَّ مِنَ الْإِلْقَاءِ (أَلْقَى) بِمَعْنَى: جَاءَ.

قوله: (قَبْلَ فَرَاغِ جَبْرِيلَ مِنْهُ) أَي: مِنْ الْإِلْقَاءِ عَلَيْكَ.

قوله: ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ أَي: بِقِرَاءَتِهِ وَحِفْظِهِ.

قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا﴾ تَعْلِيلٌ لِلنَّهْيِ عَنِ الْعَجَلَةِ.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْفَعْ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَيَذُرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾

قِرَاءَتِكَ إِيَّاهُ أَي: جَرَيَانَهُ عَلَى لِسَانِكَ، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ عَلَيْكَ بِقِرَاءَةِ جِبْرِيلَ ﴿فَانْفَعْ قُرْآنَهُ﴾: اسْتَمَعَ قِرَاءَتَهُ، فَكَانَ ﷺ يَسْتَمِعُ ثُمَّ يَقْرُؤُهُ، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ بِالتَّفْهِيمِ لَكَ، وَالْمُنَاسَبَةُ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَمَا قَبْلَهَا أَنَّ تِلْكَ تَضَمَّنَتْ الْإِعْرَاضَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَهَذِهِ تَضَمَّنَتْ الْمُبَادَرَةَ إِلَيْهَا بِحِفْظِهَا.

(٢٠ - ٢١) ﴿كَلَّا﴾ - اسْتِفْتَاخٌ بِمَعْنَى (أَلَا) - ﴿بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾: الدُّنْيَا - بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ فِي الْفِعْلَيْنِ - ﴿وَيَذُرُونَ الْآخِرَةَ﴾ فَلَا يَعْمَلُونَ لَهَا.

حاشية الصاوي

قوله: (قِرَاءَتِكَ إِيَّاهُ) أشار بذلك إلى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿قُرْآنَهُ﴾ مصدرٌ مضافٌ لمفعوله.

قوله: (بقراءة جبريل) أشار بذلك إلى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ من قبيل إسناد ما هو للمأمور للأمر.

قوله: (بالتفهم) أي: تفهيم ما أشكل عليك من معانيه.

قوله: (والمُنَاسَبَةُ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ) أي: قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾، والمراد بالآية: الجنس؛ إذ المذكور ثلاث آيات.

قوله: (وما قبلها) أي: وهو قوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ إلى قوله: ﴿مَعَاذِيرُهُ﴾.

قوله: (تَضَمَّنَتْ الْإِعْرَاضَ...) إلخ) أي: لأنها في مُنْكَرِ الْبَعْثِ، وهو كافر معرض عن القرآن، ومن المعلوم: أَنَّ الضَّدَّ أَقْرَبُ حُضُورًا بِالْبَالِ.

قوله: ﴿بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ الضَّمِيرُ رَاجِعٌ لِلْإِنْسَانِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾، وَجَمَعَ الضَّمِيرُ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِنْسَانِ الْجِنْسُ.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (يحبون) و(يذرون) بياء الغيبة حملاً على لفظ الإنسان المذكور أولاً؛ لأنَّ المراد به الجنس، والباقون بالخطاب فيهما؛ إما خطاباً لكفار قريش، وإما التفاتاً عن الإخبار عن الجنس المتقدم والإقبال عليه بالخطاب. انظر «الدر المصون» (١٠/٥٧٤).

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا ﴿٢٦﴾ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾

(٢٢ - ٢٥) ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: في يوم القيامة ﴿نَّاصِرَةٌ﴾: حَسَنَةٌ مُضِيئَةٌ، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: يَرَوْنَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآخِرَةِ، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾: كَالِحَةٌ شَدِيدَةُ الْعُبُوسِ، ﴿تَنْظُرُ﴾: تُوقِنُ ﴿أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾: دَاهِيَةٌ عَظِيمَةٌ تَكْسِرُ فَقَارَ الظَّهْرِ.
(٢٦ - ٣٠) ﴿كَلَّا﴾ - بِمَعْنَى (أَلَا) - ﴿إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ التَّرَاقِيَ﴾: عِظَامَ الْحَلَقِ، ﴿وَقِيلَ﴾: قَالَ مَنْ حَوْلَهُ: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ يَرْقِيهِ لِيَشْفَى؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾: مبتدأ، و﴿نَّاصِرَةٌ﴾: خبر، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرفٌ لـ﴿نَّاصِرَةٌ﴾، وسَوْغُ الْإِبْتِدَاءِ بِالنَّكْرَةِ وَقَوْعُهَا فِي مَعْرِضِ التَّفْصِيلِ، و﴿نَاظِرَةٌ﴾: خبرٌ ثانٍ، و﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾: متعلقٌ بـ﴿نَاظِرَةٌ﴾.

قوله: (أي: في يوم القيامة) تفسيرٌ لمعنى الظرفية، والتَّنْوِينُ فِي ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عَوْضٌ عَنْ جُمْلَةٍ؛ أي: يومٌ إِذْ تَقُومُ الْقِيَامَةُ.

قوله: (فَقَارَ الظَّهْرُ) بفتح الفاء: مَا يَتَّصِلُ مِنْ عِظَامِ الصُّلْبِ مِنَ الْكَاهِلِ إِلَى الْعَجَبِ.

قوله: ﴿إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ﴾ أي: مُؤَمَّنَةٌ أَوْ كَافِرَةٌ، وَالْمَعْنَى: أَخَذَتْ فِي النَّزْعِ وَقَتَ الْمَوْتِ.

قوله: ﴿التَّرَاقِيَ﴾ جمع تَرْقُوءَةٍ.

قوله: (عِظَامُ الْحَلَقِ) أَضَافَهَا إِلَيْهِ؛ لِقَرَبِهَا مِنْهُ، وَإِلَّا... فَالتَّرَاقِي: الْعِظَامُ الْمَكْتَنِفَةُ لِثَغْرِ النَّحْرِ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ تَرْقُوتَانِ.

قوله: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ مبتدأ وخبر، والجُمْلَةُ قَائِمَةٌ مَقَامَ الْفَاعِلِ، وَ(راقٍ): اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ: (رَقَى يَرْقِي) بِالْفَتْحِ فِي الْمَاضِي، وَالْكَسْرِ فِي الْمَضَارِعِ مِنَ الرُّقْيَةِ، وَهِيَ كَلَامٌ يُرْقَى بِهِ الْمَرِيضُ لِيَشْفَى، وَهُوَ مَا مَشَى عَلَيْهِ الْمَفْسَّرُ، وَقِيلَ: مَنْ: (رَقِيَ يَرْقَى) بِالْكَسْرِ فِي الْمَاضِي، وَالْفَتْحِ فِي الْمَضَارِعِ مِنَ الرُّقْيَةِ، وَهُوَ الصُّعُودُ؛ أَي: إِنَّ مَلِكَ الْمَوْتِ يُخَاطَبُ أَعْوَانَهُ يَقُولُ: (مَنْ يَصْعَدُ بِهَذِهِ النَّفْسِ؟)، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ أَعْوَانَهُ يَقُولُونَ لَهُ: (مَنْ يَرْقِي بِهَذِهِ النَّفْسِ؟ أَمْلَاكَةُ الرَّحْمَةِ أَمْ مَلَاكَةُ الْعَذَابِ؟).

وَقَدْ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْفَتَى السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَيْكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾
وَلَكِنْ كَذَبَ وَقَوْلُ ﴿٣٢﴾

﴿وَقَدْ﴾: أَيَقَنَ مَنْ بَلَغَتْ نَفْسُهُ ذَلِكَ ﴿أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾: فِرَاقُ الدُّنْيَا، ﴿وَالْفَتَى السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾
أي: إِحْدَى سَاقِيهِ بِالْأُخْرَى عِنْدَ الْمَوْتِ، أَوِ التَّفَتُّ شِدَّةُ فِرَاقِ الدُّنْيَا بِشِدَّةِ إِقْبَالِ الْآخِرَةِ،
﴿إِنَّ رَيْكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ أي: السَّوْقُ، - وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى الْعَامِلِ فِي ﴿إِذَا﴾ -، الْمَعْنَى:
إِذَا بَلَغَتْ النَّفْسُ الْحُلُقُومَ تُسَاقُ إِلَى حُكْمِ رَبِّهَا.

﴿٣١﴾ - ﴿٣٢﴾ ﴿فَلَا صَدَقَ﴾ الْإِنْسَانُ ﴿وَلَا صَلَّى﴾ أي: لَمْ يُصَدِّقْ وَلَمْ يُصَلِّ، ﴿وَلَكِنْ
كَذَبَ﴾ بِالْقُرْآنِ ﴿وَقَوْلُ﴾ عَنِ الْإِيمَانِ،

حاشية الصاوي

قوله: (أيقن) سَمَّى الْيَقِينَ ظَنًّا؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَا دَامَتْ رُوحُهُ مُتَعَلِّقَةً بِدَنِّهِ فَإِنَّهُ يَطْمَعُ فِي الْحَيَاةِ؛
لِشِدَّةِ حُبِّهَا.

قوله: ﴿أَنَّهُ﴾ أي: النَّازِلُ بِهِ.

قوله: ﴿وَالْفَتَى﴾ أي: التَّصَقَّتْ سَاقُ الْإِنْسَانِ عِنْدَ مَوْتِهِ بِالْأُخْرَى، قَالَ قَتَادَةُ: (أَمَّا رَأْيَتُهُ
إِذَا أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ.. يَضْرِبُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ بِالْأُخْرَى؟)، قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: (هُمَا سَاقَا
الْإِنْسَانِ إِذَا التَّفَتَا فِي الْكُفَنِ)، وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: (التَّفَتُّ سَاقُ الْمَيِّتِ بِسَاقِ الْكُفَنِ)^(١)،
وَكُلُّ صَحِيحٌ.

قوله: (أو التفت شدة فراق الدنيا... إلخ) أي: فَالْمُرَادُ بِالسَّاقِ: الشَّدَتَانِ؛ لِأَنَّ السَّاقَ يُطْلَقُ
عَلَى الشَّدَةِ، وَهَذَا الْمَعْنَى ظَاهِرٌ فِي الْكَافِرِ؛ لِأَنَّهُ يَنْتَقِلُ مِنْ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ إِلَى عَذَابِ الْقَبْرِ.

قوله: (وهذا يدل على العامل في إذا) أي: الَّذِي هُوَ جَوَابُهَا، وَقَدْ بَيَّنَّهَ بِقَوْلِهِ: (تَسَاقُ
إِلَى حُكْمِ رَبِّهَا).

قوله: ﴿فَلَا صَدَقَ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْعَ عِظَامِهِ﴾.

وَصَدَّقَ مَنْ: التَّصَدَّقَ، كَمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ الْمَفْسَّرُ؛ أَي: فَلَا صَدَقَ بِالْقُرْآنِ وَالنَّبِيِّ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا
مَنَّ﴾ أي: الصَّلَاةَ الشَّرْعِيَّةَ، فَهُوَ ذِمٌّ بِتَرْكِ الْعَقَائِدِ وَالْفُرُوعِ، وَلَمَّا كَانَ عَدَمُ التَّصَدِّيقِ يَضُدُّ بِالشَّكِّ

(١) ذَكَرَ الْأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ الطَّبْرِي فِي «تَفْسِيرِهِ» (٧٨/٢٤).

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمُطِّعُ ﴿٣٣﴾ أُولَٰئِكَ فَأُولَٰئِكَ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أُولَٰئِكَ فَأُولَٰئِكَ ﴿٣٥﴾ اِيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمُطِّعُ﴾: يَتَبَخَّرُ فِي مَشِيَّتِهِ إعجاباً.

(٣٤ - ٣٥) ﴿أُولَٰئِكَ لَكَ﴾ - فِيهِ الْفَتْحُ عَنْ الْغَيْبَةِ، وَالْكَلِمَةُ اسْمُ فِعْلٍ، وَاللَّامُ لِلتَّيْسِينَ -
 أَي: وَلَيْكَ مَا تَكْرَهُ، ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ أَي: فَهُوَ أَوْلَىٰ بِكَ مِنْ غَيْرِكَ، ﴿ثُمَّ أُولَٰئِكَ لَكَ فَأُولَٰئِكَ﴾ - تَأْكِيدٌ -
 (٣٦ - ٤٠) ﴿اِيْحَسِبُ﴾: يَظُنُّ ﴿الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾: هَمَلًا لَا يُكَلِّفُ بِالشَّرَائِعِ؟
 أَي: لَا يَحْسَبُ ذَلِكَ، ﴿أَلَمْ يَكُ﴾ أَي: كَانَ ﴿نُطْفَةً﴾

حاشية الصاوي

والسكوت والتكذيب.. استدرك على عمومته، وبيّن أنّ المراد منه خصوصُ التكذيب، فقال: ﴿وَلَكِنْ كَذَبَ وَقَوْلًا﴾.

قوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ حكايةٌ عمّا كان يتعلّق به هذا الكافر في دُنْيَاهُ، وجملة ﴿يَمُطِّعُ﴾ حاليةٌ من فاعل ﴿ذَهَبَ﴾.

وفي معناه قولان: أحدهما: أنّه من: المَطَا الذي هو الظهر، ومعناه: يَمُدُّ مَطَاهُ؛ أَي: ظهره ويلويه تبختراً في مشيه، والثاني: أنّ أصله: يَتَمَطَّطُ، من: تَمَطَّطَ؛ أَي: تَمَدَّدَ، ومعناه: أنّه يَتَمَدَّدُ في مشيته تبختراً، والمعنيان متقاربان.

قوله: (والكلمة اسم فعل) أَي: مبنية على السكون، لا محلّ لها من الإعراب، والفاعل ضميرٌ يعود على ما يُفْهَم من السياق، وهذه الكلمة تستعمل في الدعاء بالمكره، وقوله: (للتَّيْسِينَ) أَي: تيسين المفعول، فهي زائدة داخلية على المفعول، على حدّ: (سقياً لك)، وقوله: (أَي: وَلَيْكَ) بيانٌ لمعنى الفعل الذي سُمِّيَ.

قوله: (فهو أولى بك) أَي: فالكلمة الثانية (أفعل) تفضيل، فدلّت الأولى على الدعاء عليه بِقُرْبِ المكروه منه، والثانية: على الدُّعَاءِ عليه بأن يكون أولى به من غيره، هذا ما سلّكه المفسّر، وهو حسنٌ

قوله: (لا يَحْسِبُ ذَلِكَ) أَي: لا ينبغي ولا يليق منه هذا الحساب.

قوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً﴾ استدلال على قوله: ﴿قَدَرِينَ عَلَىٰ أَن تُسَوَّىٰ بِنَاءَهُ﴾، والاستفهام للتقرير.

مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَعَمَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتَ ﴿٤٠﴾

مِنْ مَنِيٍّ تُمْنَى - بِالتَّاءِ والياء -: تُصَبُّ فِي الرَّحِمِ، ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ الْمَنِيُّ ﴿عِلْقَةً فَخَلَقَ﴾ اللَّهُ مِنْهَا الْإِنْسَانَ، ﴿فَسَوَّى﴾: عَدَّلَ أَعْضَاءَهُ، ﴿فَعَمَلَ مِنْهُ﴾: مِنَ الْمَنِيِّ الَّذِي صَارَ عِلْقَةً قِطْعَةً دَمٍ، ثُمَّ مُضْغَةً أَيْ: قِطْعَةً لَحْمٍ ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ يَجْتَمِعَانِ تَارَةً وَيَنْفَرِدُ كُلُّ مِنْهُمَا عَنْ الْآخَرِ تَارَةً. ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾ الْفَعَالُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ ﴿يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتَ﴾؟ قَالَ ﷺ: «بَلَى».

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ثُمَّ﴾^(١) فائدته بعد قوله: ﴿مِنْ مَنِيٍّ﴾ الإشارةُ إلى حَقَارَةِ حاله، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنَ الْمَنِيِّ الَّذِي يَجْرِي مَجْرَى الْبَوْلِ.

قوله: (النَّوْعَيْنِ) أَي: لَا خُصُوصَ الْفَرْدَيْنِ، فَقَدْ تَحْمِلُ الْمَرْأَةُ بِذَكَرَيْنِ وَأُنْثَى، أَوْ بِالْعَكْسِ.

قوله: (قَالَ ﷺ: «بَلَى»)^(٢) رَوَى: أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا قَرَأَهَا.. قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، بَلَى»^(٣).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (مَنْ قَرَأَ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ إِمَاماً كَانَ أَوْ غَيْرَهُ.. فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى، وَمَنْ قَرَأَ ﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ إِلَى آخِرِهَا.. فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، بَلَى، إِمَاماً كَانَ أَوْ غَيْرَهُ)^(٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ مِنْكُمْ ﴿وَاللَّيْلِ وَالزُّيُوتِ﴾ فَاَنْتَهَى إِلَى آخِرِهَا ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْبَرَ الْحَكِيمِينَ﴾.. فَلْيَقُلْ: بَلَى، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَمَنْ قَرَأَ ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ فَبَلَغَ ﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.. فَلْيَقُلْ: آمَنَّا بِاللَّهِ»^(٤).



(١) قَرَأَ حَفْصٌ: ﴿يُمْنَى﴾ بِالْيَاءِ مِنْ تَحْتِ، وَفِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ عَلَى الْمَنِيِّ؛ أَي: يُصَبُّ، فَتَكُونُ الْجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ جَرٍّ، وَالثَّانِي: أَنَّهُ يَعُودُ لِلنَّطْفَةِ؛ لِأَنَّ تَأْنِيثَهَا مُجَازِي، وَلِأَنَّهَا فِي مَعْنَى الْمَاءِ، قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: (تُمْنَى) بِالتَّاءِ مِنْ فَوْقَ عَلَى أَنَّ الضَّمِيرَ لِلنَّطْفَةِ؛ فَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ وَعَلَى الْوَجْهِ الْمَذْكُورِ قَبْلُهَا: تَكُونُ الْجُمْلَةُ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ؛ لِأَنَّهَا صِفَةٌ لِمَنْصُوبٍ. انْظُرْ «الدَّر الْمَصُون» (٥٨٥/١٠).

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٨٨٧)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٥١٠/٢) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رَوَاهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٩٢/١٠) مِنْ حَدِيثِ أَبِي إِسْحَاقَ السَّيِّعِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٨٨٧) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ



مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ، إِحْدَى وَثَلَاثُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿هَلْ﴾: قَدْ ﴿أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾: آدَمَ ﴿حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾: أَرْبَعُونَ سَنَةً ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ فِيهِ

حَاشِيَةُ الصَّاوِي

سُورَةُ الْإِنْسَانِ

وَتَسْمَى سُورَةُ ﴿هَلْ أَتَى﴾، وَسُورَةُ الْأَمْشَاجِ، وَسُورَةُ الدَّهْرِ. وَمُنَاسِبَةٌ هَذِهِ السُّورَةُ لَمَّا قَبْلُهَا: أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الْبَعْثِ.

قوله: (مَكِّيَّةٌ) أَي: عَلَى قَوْلِ جَمَاعَةٍ، وَقَوْلُهُ: (أَوْ مَدَنِيَّةٌ) هُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ.

قوله: (قَدْ ﴿أَتَى﴾) أَي: فَلَيْسَتْ (هَلْ) لِلْإِسْتِفْهَامِ؛ لِأَنَّهُ مُحَالٌّ عَلَيْهِ تَعَالَى، وَقِيلَ: إِنَّهَا لِلْإِسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِيِّ، وَالْمَعْنَى: أَتَقَرُّونَ بِأَنَّهُ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ؟ وَجَوَابُهُ: نَعَمْ، فَالْمَقْصُودُ: إِلْزَامُ الْخَصِمِ الْمُنْكَرِ لِلْبَعْثِ، كَأَنَّهُ قَالَ: الْقَادِرُ عَلَى إِيجَادِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْعَدَمِ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ، وَهُوَ بِهَذَا الْمَعْنَى صَحِيحٌ أَيْضًا، فِيهِ الْآيَةُ تَقْرِيرِيَّةٌ.

قوله: (﴿عَلَى الْإِنْسَانِ﴾) عَلَى تَفْسِيرِهِ هُنَا بِآدَمَ ^(١)، وَفِيمَا يَأْتِي بِالْجِنْسِ؛ فِيهِ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ إِذَا أُعِيدَتْ مَعْرِفَةً كَانَتْ عَيْنًا، إِلَّا أَنْ يَجَابَ: بِأَنَّ الْقَاعِدَةَ أَغْلَبِيَّةً، أَوْ يُقَدَّرُ مِضَافٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أَي: ذَرِيَّتَهُ، وَالْإِضَافَةُ تَأْتِي لِأَدْنَى مَلَابَسَةٍ.

قوله: (أَرْبَعُونَ سَنَةً) أَي: مَرَّتْ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تُنْفَخَ فِيهِ الرُّوحُ، وَهُوَ مَلْقَى بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، رَوَى: «أَنَّ آدَمَ خُلِقَ مِنْ طِينٍ، فَأَقَامَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ مِنْ حَمَأٍ، فَأَقَامَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ مِنْ صَلْصَالٍ، فَأَقَامَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ خَلَقَهُ بَعْدَ مِئَةِ وَعِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ» ^(٢). إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ.. فَقَوْلُ

(١) وَقَعَتِ الْعِبَارَةُ فِي (ط ٢): (فَسَّرَهُ هُنَا بِآدَمَ، وَفِيمَا يَأْتِي بِالْجِنْسِ، وَفِيهِ... إلخ).

(٢) رَوَاهُ الْمَوَارِدِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٦/١٦٢) مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي رَوَايَةِ الضَّحَّاكِ.

شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ

﴿شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ كان فيه مُصَوَّرًا مِنْ طِينٍ لَا يُذَكَّرُ، أَوِ الْمَرَادُ بِالْإِنْسَانِ الْجِنْسُ وَبِالْحِينِ مُدَّةُ الْحَمْلِ.

﴿٢﴾ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾: الْجِنْسَ ﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾: أَخْلَاطٍ أَيْ: مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ وَمَاءِ الْمَرْأَةِ الْمُخْتَلِطَيْنِ الْمُتَمَرِّجَيْنِ ﴿نَبْتَلِيهِ﴾: نَخْتَبِرُهُ بِالتَّكْلِيفِ، - وَالْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ أَوْ حَالٌ حَاشِيَةُ الصَّائِي

المفسر: (أربعون سنة) أي: باعتبار كونه طيناً، وإلا.. فقد مرَّ عليه مئة وعشرون سنة لم يكن شيئاً مذكوراً.

إن قلت: مقتضى الآية أنه يسمَّى إنساناً في حال كونه طيناً، مع أنه في ذلك الوقت لم يكن شيئاً مذكوراً.

أجيب: بأن التسمية باعتبار ما آل إليه، نظير: ﴿إِنِّي أَرِنِّي أَخَصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦].

قوله: (أو المراد بـ«الإنسان»: الجنس) أي: الصَّادِقُ بِأَدَمَ وَأَوْلَادِهِ، وقوله: (وبـ«الحين»: مُدَّةُ الْحَمْلِ) أي: مَا يَشْمَلُ مُدَّةَ الْحَمْلِ بِالنِّسْبَةِ لِلذَّرِيَّةِ، والمئة والعشرين بالنسبة لآدم؛ لأنَّ الحين هو المدة المحدودة، كثيرة أو قليلة.

قوله: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ هي في الأصل: الماء القليل في الوعاء، ويُطلق على الماء الصافي، قلَّ أو كثر، سُمِّيَ بِهِ مَنِيُّ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ؛ لِيَسَارَتَهُمَا وَوَضَعَهُمَا فِي الرَّحِمِ.

قوله: ﴿أَمْشَاجٍ﴾ جمع (مَشَجٍ) بفتحين، أو (مَشَجٍ) بكسر فسكون، أو (مَشِيَجٍ) بفتح فكسر؛ كـ(شَرِيفٍ)، والمعنى: مِنْ نُطْفَةٍ قَدْ امْتَزَجَ فِيهَا الْمَاءَانِ، وَكُلُّهُمَا مُخْتَلَفُ الْأَجْزَاءِ، مُتَبَايِنُ الْأَوْصَافِ؛ فِي الرِّقَّةِ وَالثَّخَنِ، فَمَاءُ الرَّجُلِ غَلِيظٌ أَبْيَضٌ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ رَقِيقٌ أَصْفَرٌ، فَأَيُّهُمَا أَعْلَى كَانَ الشَّيْبُ لَهُ، وَإِنْ سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ.. كَانَ الْوَلَدُ ذَكَرًا، وَعَكْسُهُ أُنْثَى، وَإِنْ اسْتَوَيَا.. فَخُنْثَى مُشْكَلٌ.

قال ابن عباس: (يختلط ماء الرجل بماء المرأة، فيخلق منهما الولد، فما كان من عَصَبٍ وَعَظْمٍ وَقُوَّةٍ.. فَمِنْ نَظْفَةِ الرَّجُلِ، وَمَا كَانَ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ وَشَعْرِ.. فَمِنْ مَاءِ الْمَرْأَةِ)^(١).

قوله: (أخلاط) جمعه باعتبار تعدد الأوصاف في المائين كما علمت.

(١) انظر «تفسير البغوي» (١٨٩/٥).

فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ اِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ اِمَّا شَاكِرًا وَاِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ اِنَّا اَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ

مُقَدَّرَةٌ - أي: مُرِيدِينَ ابْتِلَاءَهُ حِينَ تَأْهُلُهُ، ﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾ بِسَبَبِ ذَلِكَ ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

﴿٣﴾ ﴿اِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾: بَيَّنَّا لَهُ طَرِيقَ الْهُدَى بِبَعْثِ الرُّسُلِ ﴿اِمَّا شَاكِرًا﴾ أي: مُؤْمِنًا ﴿وَاِمَّا كَفُورًا﴾ - حَالَانِ مِنَ الْمَفْعُولِ - أي: بَيَّنَّا لَهُ فِي حَالِ شُكْرِهِ أَوْ كُفْرِهِ الْمُقَدَّرَةَ - و﴿اِمَّا﴾ لِتَفْصِيلِ الْأَحْوَالِ ..

﴿٤﴾ ﴿اِنَّا اَعْتَدْنَا﴾: هَيَّأْنَا ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (أي: مُرِيدِينَ ابْتِلَاءَهُ) جوابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ الْاِبْتِلَاءَ - بمعنى: الاختبارِ بالتكاليف - إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ جَعْلِهِ سَمِيعًا بَصِيرًا لَا قَبْلَهُ، فَأُجَابَ: بِأَنَّهُ حَالٌ مُقَدَّرَةٌ مَوْوَلَةٌ بِقَوْلِهِ: (مُرِيدِينَ ابْتِلَاءَهُ)، وَإِرَادَةُ الْاِبْتِلَاءِ سَبَبٌ لَجَعْلِهِ سَمِيعًا بَصِيرًا، وَجَعْلُهُ سَمِيعًا بَصِيرًا سَبَبٌ لِلْاِبْتِلَاءِ بِالْفِعْلِ، فَلَمْ يَكُنْ فِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَلَا تَأْخِيرٌ.

قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾ بِسَبَبِ ذَلِكَ) أي: بِسَبَبِ إِرَادَتِنَا ابْتِلَاءَهُ.

قوله: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾) أي: عَظِيمَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَخَصَّهْمَا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمَا أَنْفَعُ الْحَوَاسِّ، وَقَدَّمَ السَّمْعَ؛ لِأَنَّهُ أَنْفَعُ فِي الْمَخَاطَبَاتِ، وَلِأَنَّ الْآيَاتِ الْمَسْمُوعَةَ أَبَيِّنُ مِنَ الْآيَاتِ الْمَرْتَبِيَّةِ، وَلِأَنَّ الْبَصَرَ يَعْمُ الْبَصِيرَةَ، وَهِيَ تَتَضَمَّنُ الْجَمِيعَ، فَيَكُونُ مِنْ ذِكْرِ الْعَامِّ بَعْدَ الْخَاصِّ.

قوله: ﴿اِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾) تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿تَبَتَّلِيهِ﴾، وَالْمَرَادُ بِالْهَدَايَةِ: الدَّلَالَةُ.

قوله: (بِإِثْبَاتِ الرُّسُلِ) أي: جَنَسِهِ الصَّادِقِ بِأَدَمَ وَبِمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الرُّسُلِ إِلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

قوله: ﴿وَاِمَّا كَفُورًا﴾) لَمْ يَقُلْ: (كَافِرًا) مُشَاكِلَةً لـ ﴿شَاكِرًا﴾؛ إِمَّا مَرَاعَاةً لِرُؤُوسِ الْآيِ، أَوْ لِأَنَّ الشَّاكِرَ قَلِيلٌ، وَالْكَافِرَ كَثِيرٌ، فَعَبَّرَ فِي جَانِبِ الْكُفْرِ بِصِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ.

قوله: (مِنَ الْمَفْعُولِ) أي: وَهُوَ الْهَاءُ فِي ﴿هَدَيْنَاهُ﴾.

قوله: ﴿اِنَّا اَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾... إلخ) لَفٌّ وَنَشْرٌ مُشَوِّشٌ، فَهَذِهِ الْآيَةُ رَاجِعَةٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَاِمَّا

كَفُورًا﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الْأَبْتَرَارَ...﴾ إلخ رَاجِعٌ لِقَوْلِهِ: ﴿اِمَّا شَاكِرًا﴾.

سَلْسِلًا وَأَغْلَلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا

سَلْسِلًا ﴿٤﴾ يُسْحَبُونَ بِهَا فِي النَّارِ ﴿وَأَغْلَلًا﴾ فِي أَعْنَاقِهِمْ تُشَدُّ فِيهَا السَّلَاسِلُ، ﴿وَسَعِيرًا﴾: نَارًا مُسْعِرَةً أَي: مُهَيَّجَةً يُعَذِّبُونَ بِهَا.

(٥ - ٦) ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾: جَمْعُ بَرٍّ أَوْ بَارٍّ وَهُمْ الْمُطِيعُونَ ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ هُوَ إِنَاءٌ شُرِبَ الْخَمْرُ وَهِيَ فِيهِ، وَالْمُرَادُ مِنْ خَمْرِ تَسْمِيَةِ لِلْحَالِ بِاسْمِ الْمَحَلِّ، - (وَمِنْ) لِلتَّبَعِيزِ - ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾: مَا تُمَزَّجُ بِهِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿سَلْسِلًا﴾ (إِنَّمَا بِمَنْعِ الصَّرْفِ كـ(مساجد)، أَوْ بِالصَّرْفِ؛ لِمُنَاسَبَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَأَغْلَلًا﴾، فَهَمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١).

قوله: ﴿وَأَغْلَلًا﴾ فِي أَعْنَاقِهِمْ أَي: فَتُجْمَعُ أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ.

قوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾... إلخ) لَمَّا ذَكَرَ حَالَ الْكَفَّارِ وَجَزَاءَهُمْ فِي الْآخِرَةِ.. أَتْبَعَهُ بِجَزَاءِ الشَّاكِرِينَ، وَأَطْنَبَ فِيهِ؛ تَرْغِيئًا لَهُمْ.

قوله: (جَمْعُ «بَرٍّ») أَي: كـ(رَبٍّ وَأَرْبَابٍ)، وَقَوْلُهُ: (أَوْ «بَارٍّ») أَي: كـ(شَاهِدٍ وَأَشْهَادٍ).

قوله: (وَهُمُ الْمُطِيعُونَ) أَي: الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ فِي إِيْمَانِهِمْ وَإِنْ اقْتَرَفُوا الذُّنُوبَ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ لَيْسَ مُسْتَوْجِبًا لِلْخُلُودِ فِي النَّارِ.. فَهُوَ مِنَ الْأَبْرَارِ؛ لِذِكْرِهِمْ فِي مُقَابِلَةِ الْفَجَّارِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾، وَهَذَا تَعْرِيفٌ لِمُطْلَقِ الْأَبْرَارِ، فَلَا يَنَافِي قَوْلُهُمْ: الْبَرُّ هُوَ الَّذِي لَا يُؤْذِي الدَّرَّ، أَوِ الَّذِي يُؤْذِي حَقَّ اللَّهِ وَيُوفِي بِالنَّذْرِ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ تَعْرِيفٌ لِلْأَبْرَارِ الْكَامِلِينَ كَمَا هُنَا.

قوله: (وَهِيَ فِيهِ) أَي: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَهُوَ إِنَاءٌ.

قوله: (وَالْمُرَادُ: مِنْ خَمْرٍ) دَفَعَ بِذَلِكَ مَا يُقَالُ: إِنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِزَاجُهَا﴾ عَائِدٌ عَلَى الْكَأْسِ، مَعَ أَنَّ الْكَافُورَ لَا يَمَزُجُ بِالْكَأْسِ بَلْ بِمَا فِيهِ، فَأَجَابَ الْمَفْسِّرُ: بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْكَأْسِ: الْخَمْرُ نَفْسُهَا، مِنْ بَابِ: تَسْمِيَةِ الْحَالِ بِاسْمِ الْمَحَلِّ.

(١) قَرَأَ نَافِعٌ وَالْكَسَائِيُّ وَهَشَامٌ وَأَبُو بَكْرٍ بِالتَّنْوِينِ، وَالباقون بغير تنوين، وَوَقَفَ هَؤُلَاءِ وَحَمْزَةٌ وَقُبِلَ عَلَيْهِ بِالْأَلْفِ بِلَا خِلَافٍ، وَابْنُ ذَكْوَانَ وَالبَزِي وَحَفْصٌ بِالْأَلْفِ وَبِدُونِهَا، فَعَنْ ثَلَاثِهِمُ الْخِلَافُ، وَالباقون وَقَفُوا بِدُونِ أَلْفٍ خِلَافَ. انظر «الدر المصون» (١٠/٥٩٦).

كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾

﴿كَافُورًا﴾ (٥) عَيْنًا - بدلٌ من ﴿كَافُورًا﴾ - فيها رائحته ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ : منها ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ : أولياؤه ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ : يَقُودُونَهَا حَيْثُ شَاؤُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ .
(٧ - ١٠) ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ في طاعةِ الله ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ :

حاشية الصاوي

قوله : ﴿كَافُورًا﴾ (إن قلت : إنَّ الكافور غيرٌ لذيذٍ، وشربه مرٌّ؛ فما وجه مزج شرابهم به؟ أجيب : بأنَّ المراد أنَّه كالكافور في بياضه وطيب رِيحه ويُرودته .

قوله : (بدل من ﴿كَافُورًا﴾) أي : على حذف مضاف ؛ أي : ماء عين ؛ لأنَّ العين اسمٌ لمنبع الماء، وهو لا يُبدل من الماء . وما ذكره المفسرُ أحدُ احتمالاتٍ في وجه نصب ﴿عَيْنًا﴾، ويصح أنه مفعول ﴿يَشْرَبُونَ﴾، وقوله : ﴿مِنْ كَأْسٍ﴾ حالٌ ؛ لأنَّه نعت نكرة قدَّم عليها، والأصل : يشربون عينا من كأسٍ - أي : خمرٍ - ممزوجٍ بالكافور، وهو أسهلُّها^(١) .

قوله : ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ (الجملة صفة لـ ﴿عَيْنًا﴾، وقوله : (منها) إشارةٌ إلى أنَّ الباء بمعنى (من) الابتدائية ؛ أي : يبتدئون الشربَ من العين .

قوله : (أولياؤه) أي : وهم المؤمنون .

قوله : (يَقُودُونَهَا) أي : فهي سهلةٌ لا تمتنع عليهم، وردَّ : «أنَّ الرجل منهم يمشي في بيوته، ويصعد إلى قصوره، ويبيده قضيب يشير به إلى الماء، فيجري معه حيثما دار في منازلها على الأرض المستوية، ويتبعه حيثما صعد إلى أعلى قُصوره»^(٢) .

قوله : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ (هذا بيانٌ لأعمالهم التي استوجبوا بها هذا النعيمَ الدائم، والمراد بالنذر : العهد ؛ أي : يُوفون بالعهد الذي أوجبه الله عليهم، أو الذي التزموه مع الله ومع عباده ؛ من صلاةٍ وزكاةٍ، وأمرٍ بمعروفٍ ونهيٍ عن منكرٍ، وغير ذلك .

قوله : ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾ (أشار بذلك إلى حُسن بواطنهم كظواهرهم .

قوله : ﴿كَانَ شَرُّهُ﴾ (أي : شدائدهُ ؛ مِنْ تَشَقُّقِ السَّمَاوَاتِ، وتناثر الكواكب، وتكوير الشمس والقمر، وغير ذلك من الأهوالِ والشدائد التي تقع في ذلك اليوم .

(١) أوصلها العلامة السمين الحلبي في «الدر المصون» (١٠/٥٩٩) إلى سبعة أوجه .

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (٦/١٢٦) .

وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾

مُنْتَشِرًا، ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ أي: الطعامِ وشهوتهم له ﴿مِسْكِينًا﴾: فقيرًا ﴿وَيَتِيمًا﴾: لا أب له ﴿وَأَسِيرًا﴾ يعني المَحْبُوسَ بِحَقٍّ، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾: لِطَلَبِ ثَوَابِهِ ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾: شكرًا، فيه عِلَّةُ الإطعام، وهل تَكَلَّمُوا بذلك أو عَلِمَهُ الله مِنْهُمْ فَأَنَّى حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (مُنْتَشِرًا) أي: وأما المستطيل باللام فمعناه: الممتدُّ، ومن هنا يقال: الفجر فجران: مستطيلٌ كذنب السرحان وهو الكاذب، ومُسْتَطِيرٌ وهو الصَّادِق؛ لانتشاره في الأفق.

قوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ﴾... إلخ) نزلت في عليٍّ بن أبي طالب وأهل بيته، وذلك أنه أَجَرَ نفسه ليلةَ لَيْسَقِي نَخْلًا بشيءٍ من شعيرٍ حتَّى أصبحَ وقبضَ الشعيرَ وطحنوا ثلثه، فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له: الحريرة، فلَمَّا تَمَّ نَضْجُهُ.. أتى مسكين، فأخرجوا إليه الطعام، ثمَّ صنعَ الثلثَ الثاني، فلَمَّا تَمَّ نَضْجُهُ أتى يَتِيمٌ، فأطعموه، ثمَّ الثالث، فلَمَّا تَمَّ نَضْجُهُ أتى أسيرٌ من المشركين، فسأل، فأطعموه، وطَوَّأَ يَوْمَهُمْ ذلك^(١).

قوله: ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ مصدرٌ مضافٌ لمفعوله، و(على) بمعنى (مع) أي: مع حُبِّه وشهوته، ففيه إيثارٌ على النَّفْسِ، ويصحُّ رجوعُ الضميرِ لله؛ أي: على حُبِّ الله؛ أي: لِوَجْهِه وابتغاء رضوانه، والأوَّلُ أَبْلَغُ في المدح^(٢).

قوله: ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ خَصَّ الثلاثة؛ لأنَّهم من العواجز المعدومين الكسب.

قوله: (يعني: المحبوس بحق) أي: وأولى المحبوس بباطل.

قوله: (فيه عِلَّةُ الإطعام) أي: بيانُ سببه.

قوله: (وهل تَكَلَّمُوا بذلك) أي: لِيَطْمَئِنَّ الفقير بذلك؛ لأنَّه قد يقول في نفسه: إِنَّه يطعمني ويريد أن يُخْدِمَنِي مثلاً.

(١) وقيل: إِنَّهَا نزلت في أبي الدحداح الأنصاري صام يوماً، فلَمَّا أراد أن يفطر.. جاء مسكين، ويَتِيمٌ، وأسير، فأطعمهم ثلاثة أرغفة، وبقي له ولأهله رغيفٌ واحد، فنزلت فيهم هذه الآية. انظر القولين في «زاد المسير» (٤/٣٧٧).

(٢) لأنَّ فيه الإيثار على النفس، والطعام محبوب للفقراء والأغنياء، وأما الثاني فقد يَفْعَلُهُ الأغنياء أكثر. «فتوحات» (٤/٤٧٥).

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقْنَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّْنَهُمْ

عَلَيْهِمْ بِهِ؟ قُولَانِ. ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾: تَكَلُّحُ الْوُجُوهِ فِيهِ أَيْ: كَرِيهَةُ الْمَنْظَرِ لِشِدَّتِهِ، ﴿قَتَطِيرًا﴾: شَدِيدًا فِي ذَلِكَ.

﴿١١﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿فَوَقْنَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّْنَهُمْ﴾: أَعْطَاهُمْ

حاشية الصاوي

قوله: (قُولَانِ) رَجَّحَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَمُجَاهِدُ الثَّانِي.

قوله: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا﴾ أَيْ: فَلِذَلِكَ نُنْعِمُكُمْ، وَلَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً، فَهُوَ تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا نُنْعِمُكُمْ...﴾ إلخ.

قوله: ﴿عَبُوسًا﴾ إِسْنَادُ الْعَبُوسِ لِلْيَوْمِ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ، وَالْمَرَادُ: أَهْلُهُ، مِنْ إِسْنَادِ الشَّيْءِ إِلَى زَمَانِهِ، ك: نَهَارُهُ صَائِمٌ.

قوله: (فِي ذَلِكَ) أَيْ: الْعَبُوسِ.

قوله: ﴿فَوَقْنَهُمْ اللَّهُ﴾ الْفَاءُ: سَبَبِيَّةٌ؛ أَيْ: فَسَبَبُ خَوْفِهِمْ دَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَشِدَّتَهُ، وَذَكَرَ الْقُرْطُبِيُّ فِي «تَذَكُّرَتِهِ» حَدِيثًا فِي بَيَانِ مَا يُنْجِي الْمُؤْمِنَ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ مَا رَوَى عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ عَجَبًا، رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَجَاءَهُ بَرٌّ وَالدِّيَةُ فَرَدَّ عَنْهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ بُسِطَ عَلَيْهِ عَذَابُ الْقَبْرِ، فَجَاءَهُ وَضُوؤُهُ فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ الشَّيَاطِينُ، فَجَاءَهُ ذَكَرُ اللَّهِ تَعَالَى فَخَلَّصَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ احْتَوَشَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ فَاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْهَثُ عَطْشًا؛ كُلَّمَا وَرَدَ حَوْضًا مُنِعَ مِنْهُ، فَجَاءَهُ صِيَامُهُ فَسَقَاهُ وَأَرَوَاهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي وَالنَّبِيُّونَ قَعُودٌ حَلَقًا حَلَقًا؛ كُلَّمَا دَنَا لِحَلَقَةٍ طُرِدَ، فَجَاءَهُ اغْتِسَالُهُ مِنَ الْجَنَابَةِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَأَقْعَدَهُ إِلَى جَنْبِي، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ، وَعَنْ يَمِينِهِ ظُلْمَةٌ، وَعَنْ شِمَالِهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ فَوْقِهِ ظُلْمَةٌ، وَمِنْ تَحْتِهِ ظُلْمَةٌ، فَهُوَ مُتَحَيِّرٌ فِيهَا، فَجَاءَهُ حُجَّةٌ وَعُمُرَتُهُ فَاسْتَخْرَجَاهُ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَأَدْخَلَاهُ فِي النَّورِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَكْلُمُ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا يُكَلِّمُونَهُ، فَجَاءَتْهُ صِلَةُ الرَّحِمِ فَقَالَتْ: يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ كَلِّمُوهُ؛ فَإِنَّهُ كَانَ وَاصِلًا لِلرَّحِمِ، فَكَلِّمُوهُ وَصَافِحُوهُ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَتَّقِي وَهَجَ النَّارِ وَشَرَّهَا بِيَدِهِ عَنْ وَجْهِهِ، فَجَاءَتْهُ صِدْقَتُهُ فَصَارَتْ سِتْرًا عَلَى وَجْهِهِ، وَظَلًّا عَلَى رَأْسِهِ، وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي قَدْ أَخَذَتْهُ الزَّبَانِيَةُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَجَاءَهُ أَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَاسْتَنْقَذَاهُ

نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاءُ مَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

﴿نَضْرَةً﴾: حُسْنًا وَإِضَاءَةً فِي وُجُوهِهِمْ ﴿وَسُرُورًا﴾ ﴿١١﴾ وَجَزَاءُ مَا صَبَرُوا: بِصَبْرِهِمْ عَنِ الْمَعْصِيَةِ
﴿جَنَّةً﴾ أَدْخَلُوهَا ﴿وَحَرِيرًا﴾ أَلْبِسُوهُ،

حاشية الصاوي

من أيديهم، وأدخلاه مع ملائكة الرحمة، ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين الله حجاب، فجاءه حُسنُ خلقه فأخذ بيده وأدخله على الله، ورأيت رجلاً من أمتي قد أهوت صحيفته من قبلي شماله، فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه، ورأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه، فجاءت أفراطه فثقلوا ميزانه، ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم، فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي هوى في النار، فجاءته دُموعه التي كان بكها من خشية الله في الدنيا، فاستخرجته من النار، ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السَّعْفَةُ في ریح عاصف، فجاءه حسنُ الظنِّ بالله تعالى، فسكن رعدته ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي على الصراط؛ يزحف أحياناً، ويحبو أحياناً، ويتعلق أحياناً، فجاءته صلاته عليّ، فأخذت بيده وأقامته، ومضى على الصراط، ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة، فأغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله، ففتحت له الأبواب كلها وأدخلته الجنة.

قلت: هذا حديث عظيم، ذكر فيه أعمالاً خاصة تنجي من أهوال خاصّة، والله أعلم^(١).

وروى الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لَقِمَ أخاه لقمةً حلوةً.. صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة»^(٢).

قوله: ﴿نَضْرَةً﴾ أي: بدل العُبوس.

قوله: ﴿وَسُرُورًا﴾ أي: فرحاً في قلوبهم بدل الخوف.

قوله: (بِصَبْرِهِمْ عَنِ الْمَعْصِيَةِ) أي: بترك فعلها، وكذا على الطاعة بفعلها، وعلى المصيبة بالاسترجاع وعدم الشكوى، فأقسام الصبر ثلاثة، وإنما اقتصر المفسر على الصبر عن المعصية؛ لأنه يستلزم القسمين الآخرين، فمن صبر على المعصية.. فقد أدام الطاعة، ولم يشك مولاه.

(١) «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص ٥٩٣)، والحديث عند الحكيم الترمذي في الأصل الحادي والخمسين والميتين من «نوادير الأصول» (٣٣/٦).

(٢) «مكارم الأخلاق» (١٦٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ

﴿مُتَّكِئِينَ﴾ - حالٌ من مرفوع (أَدْخَلُوهَا) الْمُقَدَّر - ﴿فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: الشَّرُّ فِي الْحِجَالِ، ﴿لَا يَرَوْنَ﴾: لَا يَجِدُونَ - حال ثانية - ﴿فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ أي: لَا حَرًّا وَلَا بَرْدًا، وَقِيلَ: الزَّمْهَرِيرُ الْقَمَرُ، فَهِيَ مُضِيئَةٌ مِنْ غَيْرِ شَمْسٍ وَلَا قَمَرٍ.

(١٤ - ١٨) ﴿وَدَانِيَةً﴾ قَرِيبَةً - عَطَفَ عَلَى مَحَلِّ ﴿لَا يَرَوْنَ﴾ - أي: غَيْرَ رَائِينَ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ مِنْهُمْ ﴿ظِلُّهَا﴾: شَجَرُهَا، ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾: أَدْنَيْتَ ثِمَارَهَا فَيَنَالُهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالْمُضْطَجِعُ، ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ فِيهَا

حاشية الصاوي

قوله: (حال من مرفوع «أَدْخَلُوهَا») أي: وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ مَفْعُولٍ (جَزَاهُمْ).

قوله: (في الحجال) واحده (حَجَلَةٌ) بفتحين، وهي المسمَّاة بالناموسية.

قوله: (حال ثانية) أي: من المقدر المذكور، أو من المفعول.

قوله: (أي: لَا حَرًّا وَلَا بَرْدًا) أي: فهي مُعْتَدِلَةٌ الْهَوَاءِ.

قوله: (وقيل: الزَّمْهَرِيرُ: الْقَمَرُ) أي: لِأَجْلِ مُقَابَلَةِ قَوْلِهِ: ﴿شَمْسًا﴾.

قوله: (من غير شمس ولا قمر) أي: بِلِ بِنُورِ الْعَرْشِ، وَهُوَ أَقْوَى مِنْ نُورِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ.

قوله: (عطف على محل ﴿لَا يَرَوْنَ﴾) أي: أَوْ عَطَفَ عَلَى ﴿مُتَّكِئِينَ﴾.

قوله: (شجرها) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالظَّلَالِ: الشَّجَرُ نَفْسُهُ، فَدَفَعَ بِذَلِكَ مَا يُقَالُ: إِنَّ الظِّلَّ

إِنَّمَا يَوْجَدُ حَيْثُ تَوْجَدَ الشَّمْسُ، وَلَا شَمْسَ فِي الْجَنَّةِ.

قوله: ﴿وَذُلَّتْ﴾ عطف على (دانية)، وَجُعِلَتْ فَعْلِيَّةٌ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ التَّذِيلَ مُتَجَدِّدٌ، بِخِلَافِ

التَّظْلِيلِ فَدَائِمٌ؛ وَلِذَا أَتَى فِيهِ بِجُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ.

قوله: (أَدْنَيْتَ ثِمَارَهَا) أي: سَهَّلَ تَنَاوُلَهَا تَسْهِيلًا عَظِيمًا لِكُلِّ أَحَدٍ.

قوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾... إلخ) هذا من جملة بيان وصف مشاربهم، وبُني الفعل للمجهول هنا؛

لأنَّ الْمَقْصُودَ بَيَانُ الْمَطَافِ بِهِ، لَا بَيَانُ الطَّائِفِ، وَفَاعِلُ الطَّوَافِ الْوُلَدَانُ الْمَذْكُورُونَ بَعْدَ فِي قَوْلِهِ:

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾، وَلَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْهَا بَيَانُ وَصْفِ الطَّائِفِ.. بَنَاهُ لِلْفَاعِلِ.

بَيَانِيَّةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقْدِيرًا ﴿١٦﴾

﴿بَيَانِيَّةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾: أَقْدَاحٌ بِلَا عُرَى ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ ﴿﴾ أَي: إِنَّهَا مِّنْ فِضَّةٍ يُرَى بَاطِنُهَا مِّنْ ظَاهِرِهَا كَالزُّجَاجِ، ﴿قَدَرُوهَا﴾ ﴿﴾ أَي: الطَّائِفُونَ ﴿نَقْدِيرًا﴾ ﴿﴾ عَلَى قَدْرِ رِيِّ الشَّارِبِينَ مِّنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿بَيَانِيَّةٍ﴾﴾ أصله: (أُنْيَّة) بهمزة: الأولى مفتوحة، والثانية ساكنة، أبدلت الثانية ألفاً، والجارُّ والمجرورُ نائبُ الفاعل.

قوله: ﴿﴿مِّنْ فِضَّةٍ﴾﴾ بيانٌ لِلْأَنِيَّةِ.

قوله: ﴿﴿وَأَكْوَابٍ﴾﴾ عطفٌ خاصٌّ على عامٍّ.

قوله: (أَقْدَاحٌ بِلَا عُرَى) أَي: فيسهلُ الشُّرْبُ مِنْهُ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ؛ فلا يحتاج لإدارته.

قوله: ﴿﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾﴾ جمع قَارُورَةٍ، وهي ما أُقِرَّ فِيهِ الشَّرَابُ ونحوه مِنْ كُلِّ إِنَاءٍ رَقِيقٍ صَافٍ، وقيل: هو خاصٌّ بِالزُّجَاجِ.

وكررَ لفظَ (قوارير) توطئةً للنعت بقوله: ﴿﴿مِّنْ فِضَّةٍ﴾﴾، فجمعتُ صفاءَ الزجاجِ وبريقَهُ، وبياضَ الفضةِ وَلِينَهَا، قال ابن عباس: (ليس في الدنيا شيءٌ مِّمَّا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا الْأَسْمَاءُ؛ إِذَ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ أَشْرَفُ وَأَعْلَى)^(١).

واعلم: أَنَّ الْقُرَّاءَ السَّبْعَةَ فِي هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ عَلَى خَمْسِ مَرَاتِبٍ: إِحْدَاهَا: تَنْوِينُهُمَا مَعًا، وَالْوَقْفُ عَلَيْهِمَا بِالْأَلْفِ، الثَّانِيَّةُ: عَدَمُ تَنْوِينُهُمَا، وَعَدَمُ الْوَقْفِ عَلَيْهِمَا بِالْأَلْفِ، الثَّالِثَةُ: عَدَمُ تَنْوِينُهُمَا، وَالْوَقْفُ عَلَيْهِمَا بِالْأَلْفِ، الرَّابِعَةُ: تَنْوِينُ الْأَوَّلِ وَالْوَقْفُ عَلَيْهِ بِالْأَلْفِ، وَالثَّانِي بَدُونِ تَنْوِينٍ وَلَا يَوْقِفُ عَلَيْهِ بِالْأَلْفِ، الْخَامِسَةُ: عَدَمُ تَنْوِينُهُمَا مَعًا، وَالْوَقْفُ عَلَى الْأَوَّلِ بِالْأَلْفِ، وَعَلَى الثَّانِي بَدُونِهَا، وَالتَّنْوِينُ لِلتَّنَاسُبِ نَظِيرَ مَا تَقَدَّمَ فِي ﴿سَلَسِلًا﴾، وَعَدَمُ التَّنْوِينِ لِمَجِيئِهِ عَلَى صِيغَةٍ مُتَّهِي الْجُمُوعِ^(٢).

قوله: (على قَدْرِ رِيِّ الشَّارِبِينَ) أَي: شَهَوَتِهِمْ؛ إِذْ لَا عَطَشَ فِي الْجَنَّةِ، وَالرِّيُّ بِكَسْرِ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا: كَفَايَةُ الشَّارِبِ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٩٢/١).

(٢) الأولى: لنافع والكسائي وأبي بكر، والثانية: لحمزة وحده، والثالثة: لهشام وحده، والرابعة: لابن كثير وحده، والخامسة: لأبي عمرو وابن ذكوان وحفص. انظر «الدر المصون» (٦٠٨/١٠).

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ

وذلك أَلَذُّ الشَّرَابِ، ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: خمرًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾: ما تُمَزَّجُ بِهِ ﴿زَنْجَبِيلًا﴾ ﴿١٧﴾ عَيْنًا - بدلٌ مِنْ ﴿زَنْجَبِيلًا﴾ - ﴿فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾ يعني أَنَّ ماءَهَا كَالزَّنْجَبِيلِ الَّذِي تَسْتَلِدُّ بِهِ الْعَرَبُ سَهْلَ الْمَسَاغِ فِي الْحَلْقِ.

(١٩ - ٢٢) ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ بِصِفَةِ الْوِلْدَانِ لَا يَشْيُبُونَ،

حاشية الصاوي

قوله: (وذلك أَلَذُّ الشَّرَابِ) أي: لِيَكُونَ لَا يَزِيدُ عَلَى الْحَاجَةِ فَيُسْتَقْدَرُ الزَّائِدُ، وَلَا يَنْقُصُ فَيَحْتَاجُ لِمَلَكَةٍ ثَانِيًا، وَهَذَا هُوَ التَّعِيمُ.

قوله: (بدلٌ مِنْ ﴿زَنْجَبِيلًا﴾) أي: وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولُ (يُسْقَوْنَ)، وَقَوْلُهُ: ﴿كَأْسًا﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى نَزْعِ الْخَافِضِ؛ أي: مِنْ كَأْسٍ، كَمَا تَقَدَّمَ نَظِيرُهُ.

قوله: ﴿تُسَمَّى﴾ أي: تِلْكَ الْعَيْنُ؛ لِسُهُولَةِ إِسَاغَتِهَا، وَلَذَّةِ طَعْمِهَا.

قوله: ﴿سَلْسِيلًا﴾ هُوَ مَا كَانَ فِي غَايَةِ السَّلَاسَةِ، وَهِيَ سُهُولَةُ الْانْحِدَارِ فِي الْحَلْقِ، زِيدَتْ الْبَاءُ فِي الْكَلِمَةِ حَتَّى صَارَتْ خَمَاسِيَّةً، وَقَالَ مُقَاتِلُ وَابْنُ حَبَانَ: سَمَّيْتُ سَلْسِيلًا؛ لِأَنَّهَا تَسِيلُ عَلَيْهِمْ فِي الطَّرْقِ وَفِي مَنَازِلِهِمْ، تَنْبُعُ مِنْ أَصْلِ الْعَرْشِ، مِنْ جَنَّةٍ عَدِنَ إِلَى أَهْلِ الْجَنَانِ، قَالَ الْبَغَوِيُّ: (شَرَابُ الْجَنَّةِ فِي بَرْدِ الْكَافُورِ، وَطَعْمُ الزَّنْجَبِيلِ، وَرِيحُ الْمَسْكِ، مِنْ غَيْرِ لَذَعٍ) ^(١).

قوله: (يعني: أَنَّ ماءَهَا كَالزَّنْجَبِيلِ) أي: فَهُوَ مِمَّاثِلٌ لَهُ فِي الْأَسْمِ، فَجَمِيعُ مَا فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالْقُصُورِ وَالْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ وَالْمَلْبُوسِ وَالْثَمَارِ لَا يَشْبَهُ مَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا فِي مَجَرَّدِ الْأَسْمِ، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرَغِّبُ النَّاسَ بِذِكْرِ أَحْسَنِ شَيْءٍ وَأَلَذَّهُ مِمَّا يَعْرِفُونَهُ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَجْلِ أَنْ يَسْعَوْا فِيمَا يُوصِلُهُمْ إِلَى هَذَا التَّعِيمِ الْمَقِيمِ.

قوله: ﴿وِلْدَانٌ﴾ بِكَسْرِ الْوَاوِ بِاتِّفَاقِ السَّبْعَةِ، وَهُمْ غُلَامَانِ يُنْشِئُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لَخِدْمَةِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَقِيلَ: هُمُ أَوْلَادُ الْمُؤْمِنِينَ الصِّغَارِ، وَرَدَّ: بِأَنَّهُمْ يُلْحَقُونَ بِآبَائِهِمْ تَأْنِسًا وَسُرُورًا بِهِمْ ^(٢)، وَقِيلَ: هُمُ أَوْلَادُ الْكَفَّارِ.

قوله: (لَا يَشْيِبُونَ) أي: لِعَدَمِ وَجُودِ الشَّعْرِ لَهُمْ.

(١) «تفسير البغوي» (٥/١٩٣)، وفيه: (مقاتل بن حيان).

(٢) انظر «تفسير الرازي» (٢٩/٣٩٣).

إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلُؤًا مَثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ
وَإِسْتَبْرَقٌ
.....

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لِحُسْنِهِمْ وانتِشارِهِمْ فِي الخِدْمَةِ ﴿لَوْلُؤًا مَثُورًا﴾ مِنْ سِلْكِهِ أَوْ مِنْ صَدْفِهِ، وَهُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ أَي: وَجِدْتَ الرُّوْيَةَ مِنْكَ فِي الْجَنَّةِ ﴿رَأَيْتَ﴾ - جَوَابُ (إِذَا) - ﴿نَعِيمًا﴾ لَا يُوصَفُ، ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾: وَاسِعًا لَا غَايَةَ لَهُ، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: فَوْقَهُمْ - فَتَصُبُّهُ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ، وَهُوَ خَيْرُ الْمُبْتَدَأِ بَعْدَهُ، وَفِي قِرَاءَةِ بِسُكُونِ الْيَاءِ مُبْتَدَأٌ وَمَا بَعْدَهُ خَيْرٌ، وَالضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ بِهِ لِلْمَعْطُوفِ عَلَيْهِمْ - ﴿ثِيَابٌ سُنْدُسٌ﴾: حَرِيرٌ ﴿خُضْرٌ﴾ - بِالرَّفْعِ - ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ - بِالْجَرِّ -: مَا غُلِظَ مِنَ الدِّيَبَاجِ فَهُوَ الْبَطَائِنُ وَالسُّنْدُسُ الظَّهَائِرُ - وَفِي قِرَاءَةِ حَاشِيَةِ الصَّائِلِينَ

قوله: (وهو أحسن منه في غير ذلك) جوابٌ عما يُقال: ما الحكمة في تشبيههم باللؤلؤ المنشور دون المنظوم؟ فأجاب: بأنه لحسنهم وانتشارهم في الخدمة شبَّههم باللؤلؤ المنشور.

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ الخطاب للأنبياء، أو لكلِّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ.

قوله: ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ أَي: مَا يُتَنَعَّمُ بِهِ؛ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ وَمَلْبَسٍ وَمَرْكَبٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قوله: (واسعاً لا غاية له) أَي: فِي الطُّولِ وَلَا فِي الْعَرْضِ؛ لَمَّا فِي الْحَدِيثِ: «أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ مَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ مَسِيرَةَ أَلْفِ عَامٍ، يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ»^(١)، وَمِنْ الْمَلِكِ الْكَبِيرِ: تَسْلِيمُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ، وَلِبْسُ التَّيْجَانِ عَلَى رُؤُوسِهِمْ كَمَا تَكُونُ عَلَى رُؤُوسِ الْمُلُوكِ، وَأَعْظَمُهُمْ مَنْزِلَةٌ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجهِ رَبِّهِ كُلَّ يَوْمٍ.

قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بفتح الياء وضم الهاء، وقوله: (وفي قراءة) أَي: سَبْعِيَّةً أَيْضاً^(٢).

قوله: (وهو خيرُ المبتدأ بعده) أَي: وَهُوَ ﴿ثِيَابٌ﴾، وَيَصْحُحُ الْعَكْسُ، وَهُوَ كَوْنُ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ مُبْتَدَأً، وَ﴿ثِيَابٌ﴾: خَيْرُهُ.

قوله: ﴿ثِيَابٌ سُنْدُسٌ﴾ (الإضافة على معنى (من))، وَالسُّنْدُسُ: مَا رَقٌّ مِنَ الْحَرِيرِ.

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٦٠٤)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٧٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما، وتماهه: «وينظر في خدمته وأزواجه وسريره، وإنَّ أفضلهم منزلةً لَمَنْ يَنْظُرُ فِي وَجهِ اللَّهِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ»، والحديث عند الحاكم في «المستدرک» (٥٠٩/٢) بلفظ: (ألفي سنة).

(٢) قرأ نافع وحزمة بسكون الياء وكسر الهاء، والباقون بفتح الياء وضم الهاء. انظر «الدر المصون» (٦١٥/١٠).

﴿وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

عكس ما ذكر فيهما، وفي أخرى برفعهما، وفي أخرى بجرهما - ﴿وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ وفي موضع آخر: ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ للإيذان بأنهم يُحَلَّون من النوعين معاً ومُفَرَّقاً، ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ مُبَالِغَةً في طَهَارَتِهِ وَنَظَافَتِهِ بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا، ﴿إِنَّ هَذَا﴾ النَّعِيمَ ﴿كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (عكس ما ذكر) أي: وهو جرّ (خضر)، ورفع (إستبرق)، فجرّ (خضِر) على الوصفية (لسندس)؛ لأنه اسم جنس، ووصفه بالجمع جائز، ورفع (إستبرق) عطف على (ثياب) على حذف مضاف؛ أي: وثياب إستبرق، فالقراءات أربع سبعيات: رفع (خضر) و(إستبرق)، وجرهما، ورفع الأول وجر الثاني، وعكسه^(١)، وأمّا (سندس) . . فمجرور لا غير؛ لإضافة (ثياب) إليه.

قوله: ﴿وَحُلُوا﴾ عبّر بالماضي؛ إشارة لتحقيق وقوعه.

قوله: (وفي موضع آخر . . إلخ) أي: فقال في (الحج) و(فاطر): ﴿يُحَلِّتُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: ٢٣] [فاطر: ٣٣].

قوله: (للإيذان) أي: للإعلام، وقوله: (معاً) أي: فيُجَمَّع في يد أحدهم سواران من ذهب، وسواران من فضة، وسواران من لؤلؤ، وقوله: (ومفروقاً) أي: فتارةً يلبسون الذهب فقط، وتارةً يلبسون الفضة فقط، وتارةً يلبسون اللؤلؤ فقط، على حسب ما يشتهون.

قوله: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أسند الإسقاء لنفسه؛ إشارة لعلو منزلتهم، ورفع قُدْرهم، وإلى أن الشَّراب الطَّهور نوع آخر يُفوق على ما تقدّم.

قوله: ﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: من الأقدار، لم تَمَسَّ الأيدي، ولم تُدْنَسْ الأرجل كخمر الدنيا.

قوله: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ . . إلخ) أي: يُقال لهم ذلك بعد دخولهم فيها، ومشاهدتهم نعيمها؛ لمزيد الأنس والسُرور.

قوله: ﴿مَّشْكُورًا﴾ أي: مقبولاً مرضياً.

قوله: (تأكيد لاسم ﴿إِنَّ﴾) أي: وَيَصِحُّ أن يعرب مبتدأ، و﴿نَزَّلْنَا﴾ خبره، والجملة خبر (إن).

(١) الأولى: رفعهما، لنافع وحفص فقط، الثانية: خفضهما، للأخوين فقط، الثالثة: رفع الأول وخفض الثاني، لأبي عمرو وابن عامر فقط، الرابعة عكس الثالثة، لابن كثير وأبي بكر فقط. انظر «الدر المصون» (١٠/٦١٩).

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءِثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾

(٢٣ - ٢٤) ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ - تأكيد لاسم (إِنَّ) أو فصلٌ - ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ - خبر (إِنَّ) - أي: فصلناه ولم نُنْزِلْهُ جُمْلَةً واحدةً، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عليك بِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ أي: الكُفَّار ﴿ءِثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي: عُتْبَةَ بَنِ رَبِيعَةَ والوَلِيدَ بَنِ الْمُغِيرَةَ، قَالَا لِلنَّبِيِّ ﷺ: ارجع عن هذا الأمرِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ كُلُّ آثِمٍ وَكَافِرٍ، أي: لَا تُطِعْ أَحَدَهُمَا أَيًّا كَانَ فِيمَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْ إِثْمٍ أَوْ كُفْرٍ.

حاشية الصاوي

قوله: (خبر (إِنَّ)) أي: سواءً جعلنا ﴿نَحْنُ﴾ تأكيداً أو فصلاً.

قوله: (أي: فصلناه... إلخ) أي: لِحِكْمَةِ بِالْغَةِ، وَهِيَ كَمَا فِي (الْفِرْقَانِ): ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾، وَالْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ: تَسْلِيَتُهُ ﷺ، وَشَرْحُ صَدْرِهِ، وَأَنْ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لَيْسَ بِشَعْرٍ وَلَا كَهَانَةٍ.

قوله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ مشى المفسر على أَنَّ المراد بـ(الحكم): التَّكْلِيفُ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، وَعَلَيْهِ: فَالْآيَةُ مُحْكَمَةٌ.

وقيل: إِنَّ المراد بـ(الحكم): القضاء، والمعنى: اصْبِرْ عَلَى أَذَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِي حَتَمَهُ اللَّهُ فِي الْأَزَلِ، فَلَا مَفْرَءَ لَكَ مِنْهُ حَتَّى يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْكَ، وَعَلَيْهِ: فَالْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ.

قوله: (أي: عُتْبَةُ بَنِ رَبِيعَةَ... إلخ) أشار بذلك إِلَى أَنَّ المراد بـ(الآثم): عُتْبَةُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُتَعَاظِيًّا لِأَنْوَاعِ الْفُسُوقِ، مُتَظَاهِرًا بِهَا، وَأَنَّ المراد بـ(الكفور): الْوَلِيدُ؛ فَإِنَّهُ كَانَ مُتَظَاهِرًا بِالْكَفْرِ، دَاعِيًا إِلَيْهِ، وَبِهَذَا ظَهَرَ التَّخْصِصُ لِكُلِّ وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا آثِمًا وَكَفُورًا.

قوله: (قالا للنبي: ارجع... إلخ) حاصله: أَنَّهُمَا قَالَا لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنْ كُنْتَ صَنَعْتَ مَا صَنَعْتَ لِأَجْلِ النِّسَاءِ وَالْمَالِ.. فَارْجِعْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، فَقَالَ عُتْبَةُ: أَنَا أَزْوَجُكَ ابْنَتِي وَأُسَوِّقُهَا إِلَيْكَ مِنْ غَيْرِ مَهْرٍ، وَقَالَ الْوَلِيدُ: أَنَا أُعْطِيكَ مِنَ الْمَالِ حَتَّى تَرْضَى وَارْجِعْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ^(١).

قوله: (أي: لَا تُطِعْ أَحَدَهُمَا... إلخ) أي: وَالنَّهْيُ عَنْ طَاعَتِهِمَا مَعًا مَعْلُومٌ بِالْأُولَى، فَ(أَوْ) أَبْلَغَ مِنَ الْوَائِ؛ لِأَنَّهَا لَنَفِي الْأَحَدِ الدَّائِرِ^(٢).

(١) انظر «تفسير البغوي» (١٩٤/٥).

(٢) أي: بَيْنَهَا؛ فَلَوْ قُلْتُ: لَا تُطِعْ زَيْدًا أَوْ عَمْرًا.. فَقَدْ دَلَّلْتُ بِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَهْلٌ أَنْ يَعْصِيَ، بِخِلَافِ: لَا تُطِعْ زَيْدًا وَعَمْرًا، فَلَوْ أَطَاعَ أَحَدُهُمَا.. كَانَ غَيْرَ عَاصٍ. انظر «الفتوحات» (٤٨١/٤).

وَأَذْكُرْ اِسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ
الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ
.....

(٢٥ - ٢٦) ﴿وَأَذْكُرْ اِسْمَ رَبِّكَ﴾ في الصَّلَاةِ ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ يَعْنِي الْفَجَرَ وَالظُّهَرَ
وَالْعَصْرَ، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يَعْنِي الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ، ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ صَلَّ
التَّطَوُّعَ فِيهِ كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ ثُلُثِيهِ أَوْ نِصْفِهِ أَوْ ثُلُثِهِ.

(٢٧ - ٢٨) ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾: الدُّنْيَا، ﴿وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ شَدِيدًا،
أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَعْمَلُونَ لَهُ، ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا﴾: قَوَّيْنَا ﴿أَسْرَهُمْ﴾: أَعْضَاءَهُمْ
حاشية الصاوي

قوله: (في الصلاة) أشار بذلك إلى أَنَّ المراد به (الذكر): الصلاة، والمعنى: دُمَّ على الصلاة.

قوله: (والظهر والعصر) إطلاقُ الأصيل على العصر ظاهرٌ، وعلى الظهر: باعتبارِ آخرِ وقتها،
والأ... فالزَّوال وما يَقْرُب منه لا يسمَّى أصيلًا.

قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ (مِنْ): تَبْعِيضِيَّةٌ، والمعنى: صَلَّ لَهُ بَعْضَ اللَّيْلِ، وقوله: ﴿فَاسْجُدْ لَهُ﴾.
الفاء: دَالَّةٌ عَلَى شَرْطٍ مُقَدَّرٍ، تقديره: مهما يكن من شيء فصلَّ من الليل... إلخ، وفيه زيادةٌ حَثٌّ
على صلاةِ الليل.

قوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾... إلخ) عِلَّةٌ لما قبله من النهي والأمر، والمعنى: لَا تُطْعِمُهُمْ
وَاشْتَغِلْ بِمَا أَمَرَكَ اللهُ بِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ تَرَكُوا الْآخِرَةَ وَاشْتَغَلُوا بِالدُّنْيَا، فَاتَرَكَ أَنْتَ الدُّنْيَا
وَاشْتَغَلْتَ بِالْآخِرَةِ.

قوله: ﴿وَرَاءَهُمْ﴾ (يَوْمًا) حال من ﴿يَوْمًا﴾ مُقَدَّمٌ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ نَعَتْ نَكْرَةً قَدَّمَ عَلَيْهَا، و(وراء): إمَّا باقٍ
على معناه، نظير: ﴿فَتَبَدُّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، كِنَايَةٌ عَنْ كَوْنِهِمْ لَا يَعْبَوْنَ بِهِ
وَلَا يَعْمَلُونَ لَهُ، أَوْ مُسْتَعَارٌ لِقَدَامٍ.

قوله: ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (مَفْعُولٌ (يَذْرُونَ)، وَوَصَفُهُ بِالثَّقَلِ مَجَازٌ؛ إِذِ الثَّقَلُ مِنْ صِفَاتِ الْأَعْيَانِ،
لَا الْمَعَانِي.

قوله: (قَوَّيْنَا أَسْرَهُمْ) أَي: رَبَطْنَا أَوْصَالَهُمْ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ بِالْعُرُوقِ وَالْأَعْصَابِ^(١).

(١) وقيل: الأسرُ: عَجَبُ الذَّنْبِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَفَتَّتُ فِي الْقَبْرِ، وَلَا تَنَافَى بَيْنَ الْآيَةِ هُنَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ
ضَعِيفًا﴾؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ - كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ - ضَعِيفُ الصَّبْرِ عَنِ النَّسَاءِ؛ لِذَلِكَ أَبَاحَ اللهُ لَهُ نِكَاحَ الْأُمَةِ.
«فتوحات» (٤/٤٨٢).

وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

ومفاصِلُهُمْ، ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا﴾: جعلنا ﴿أَمْثَلَهُمْ﴾ في الخلقة بدلاً مِنْهُمْ بِأَنْ نُهْلِكَهُمْ ﴿تَبْدِيلًا﴾ - تأكيد، ووقعت (إذا) موقع (إن) نحو: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [النساء: ١٣٣] لأنه تعالى لم يشأ ذلك، و(إذا) لما يقع..

(٢٩ - ٣١) ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ السُّورَةُ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عِظَةٌ لِلْخَلْقِ، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: طريقاً بالطَّاعَةِ، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ - بالتاء والياء - اتَّخَذَ السَّبِيلَ بِالطَّاعَةِ ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بِخَلْقِهِ، ﴿حَكِيمًا﴾ في فِعْلِهِ، ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جَنَّتِهِ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ، ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ - ناصِبُهُ فِعْلٌ مُقَدَّرٌ - أي: (أوعَد)، يُفَسِّرُهُ: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مؤلماً وَهُمْ الْكَافِرُونَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَمْثَلَهُمْ﴾ مفعول أول، والثاني محذوف، بيَّنه بقوله: (بدلاً مِنْهُمْ).

قوله: (ووقعت «إذا»... إلخ) جوابٌ عمّا يقال: إِنَّ (إذا) تُفيد التحقيق، مع أنه تعالى لم يشأ ذلك، فكان المقام ل(إن) التي تُفيد الاحتمال، فأجاب: بأنه استعمل (إذا) موضع (إن) مجازاً.

قوله: (عِظَةٌ لِلْخَلْقِ) أي: لأنَّ في تدبُّرها وتذكُّرها تنبيهاً للغافلين، وفوائداً للطالبيين المقبلين بكلِّيتهم على الله تعالى.

قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ﴾... إلخ) أي: فالطريق واضح، والحقُّ ظاهرٌ، فَمَنْ شَاءَ فليؤمِّنْ، ومن شاء فليكفر.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ منصوبٌ على الظرفية، والمعنى: إِلَّا وقتَ مشيئةِ الله تعالى، ففيه تسليّةٌ بالرجوع إلى الحقيقة.

قوله: (أي: أوعَد) أي: وهذا المقدَّر يُلاقِي المذكور في المعنى، فهو على حدٍّ زِيداً مرَّرت به^(٢).

(١) قرأ أبو عمرو وابن عامر وابن كثير بالياء على الغيبة، والباقون بالتاء على الخطاب. انظر «السراج المنير» (٤/ ٤٦١).

(٢) أي: فد(الظالمين) منصوب على الاشتغال بفعل يُفَسِّرُهُ ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ من حيث المعنى، لا من حيث اللفظ، تقديره: أوعَد الظالمين، ونحوه: زِيداً مرَّرت به؛ أي: جاوزت ولا بَسْتُ.

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾



مَكِّيَّة، خَمْسُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ أي: الرِّيحُ مُتَتَابِعَةٌ كَعُرْفِ الْفَرَسِ يَتَلَوُ بَعْضُهُ بَعْضًا

- وَنَصَبُهُ عَلَى الْحَالِ -

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

وفي نسخة: (سورة «المرسلات»)، وهذه السورة نزلت على النبي ﷺ ليلة الجن، قال ابن مسعود: (ونحن معه نسير حتى أَوَيْنَا إِلَى غَارٍ مِنِّي، فنزلت، فبينما نحن نَتَلَقَّاهَا مِنْهُ وَفَاهُ رَطْبٌ بِهَا؛ إِذْ وَشَتْ حَيَّةٌ فَوَثِنَا عَلَيْهَا لِنَقْتُلَهَا، فذهبت، فقال النبي ﷺ: «وَقَيْتُمْ شَرَّهَا كَمَا وَقَيْتُمْ شَرَّكُمْ»^(١)، والغَارُ المذكور مشهورٌ في مِنِّي، يُسَمَّى: غَارَ الْمُرْسَلَاتِ.

قوله: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾... إلخ) اعْلَمْ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقَسَمَ بِصِفَاتٍ خَمْسَةٍ، مَوْصُوفُهَا مُحذُوفٌ، فَقَدَّرَهُ بَعْضُهُمْ: (الرِّيحُ) فِي الْكُلِّ، وَبَعْضُهُمْ قَدَّرَهُ (الْمَلَائِكَةُ) فِي الْكُلِّ، وَبَعْضُهُمْ غَايِرٌ؛ فَجَعَلَهُ تَارَةً الرِّيحِ، وَتَارَةً الْمَلَائِكَةِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِّرُ.. فَلَمْ يُعْرَجْ عَلَيْهِ الْمَفْسِّرُونَ، وَهُوَ حَسَنٌ، وَحَاصِلُ صَنْيعِهِ: أَنَّهُ جَعَلَ الصِّفَاتِ الثَّلَاثَةَ الْأَوَّلَ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الرِّيحُ، وَالرَّابِعَةَ لِمَوْصُوفٍ ثَانٍ وَهُوَ الْآيَاتُ، وَالْخَامِسَةَ لِمَوْصُوفٍ ثَالِثٍ وَهُوَ الْمَلَائِكَةُ.

قوله: (أي: الرياح) أي: رياح العذاب؛ لِيُغَايِرَ قَوْلَهُ: ﴿وَالنَّارُ تُحَرِّقُ﴾.

قوله: (ونصبه على الحال) أي: مِنَ الضَّمِيرِ فِي (الْمُرْسَلَاتِ)، وَالْمَعْنَى: حَالُ كَوْنِهَا مُشَابِهَةً

(١) رواه البخاري (١٨٣٠).

﴿فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا﴾ ٢ ﴿وَالنَّشْرِتِ نَشْرًا﴾ ٣ ﴿فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا﴾ ٤ ﴿فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا﴾ ٥ ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ ٦
 ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفْعٌ﴾ ٧

﴿فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا﴾: الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ. ﴿وَالنَّشْرِتِ نَشْرًا﴾: الرِّيحُ تَنْشُرُ الْمَطَرَ.
 (٤ - ٧) ﴿فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا﴾ أي: آيات القرآن تَفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْحَلَالِ
 وَالْحَرَامِ، ﴿فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا﴾ أي: الْمَلَائِكَةُ تَنْزِلُ بِالْوَحْيِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ يُلْقُونَ الْوَحْيَ
 إِلَى الْأُمَمِ، ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ أي: لِلْإِعْذَارِ وَالْإِنْذَارِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى - وَفِي قِرَاءَةِ بَضْمٍ ذَالٍ
 (نُذْرًا)، وَقُرِئَ بِضْمٍ ذَالٍ (عُذْرًا) - ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ أَيُّ كُفَّارٍ مَكَّةَ مِنَ الْبَعْثِ وَالْعَذَابِ
 ﴿لَوَفْعٌ﴾: كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ.

حاشية الصاوي

لعرف الفرس؛ من حيث تتابعها وتلاحقها. والعُرف بالضَّم: شعر عُنُقِ الفرس، والمَعْرِفَةُ
 ك(مَرَمَلَة)^(١): موضع العُرفِ من الفرس.

قوله: ﴿فَالْعَصْفَتِ﴾ من: العَصْفِ، وهو الشَّدة، فهو مرَّتَبٌ على قوله: (المرسلات) الذي
 هو رِيحُ الْعَذَابِ.

قوله: (تنشر المطر) أي: تُفَرِّقُهُ حيث شاء الله تعالى.

قوله: (أو الرسل) هذا تفسِيرٌ ثَانٍ لـ (المُلْقِيَاتِ).

قوله: (أي: للإعذار... إلخ) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ مَفْعُولَانِ لِأَجَلِهِ، وَالْمَعْلَلُ
 بهما هو الْمُلقِيَاتِ، والمراد بالإعذار: إِزَالَةُ أَعْذَارِ الْخَلَائِقِ، وَبِالْإِنْذَارِ: التَّخْوِيفِ.

قوله: (وفي قراءة بضم ذال «نذراً») أي: وهما سَبْعَتَانِ^(٢)، وقوله: (وقرئ) هذه القراءة ليعقوب
 من العشرة، والحاصل: أَنَّ الضَّمَّ فِي (عُذْرًا) وَ(نُذْرًا) عَلَى أَنَّهُمَا جَمْعَانِ لـ: عَزِيزٍ، بِمَعْنَى:
 الْمَعْذَرَةُ، وَنَذِيرٍ، بِمَعْنَى: الْإِنْذَارِ، أَوْ بِمَعْنَى: الْعَازِرِ، وَالْمُنْذِرِ، وَالشُّكُونُ عَلَى أَنَّهُمَا مُصْدِرَانِ.

قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾... إلخ جوابُ الْقَسَمِ، وَ(مَا) بِمَعْنَى (الذي)، وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ؛
 أَي: إِنَّ الَّذِي تُوعَدُونَهُ.

(١) كذا في الأصول، ولعلها: (مَرْحَلَة) كما في «القاموس»، مادة (ع ر ف).

(٢) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بضم ذال، والباقون بسكونها. انظر «السراج المنير» (٤/٤٦٣).

فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَّتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾

(٨ - ١٤) ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: مُجِي نُورُهَا، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾: شُقَّتْ، ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ﴾: فُتَّتَتْ وَسُيِّرَتْ، ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَّتْ﴾ - بِالْوَاوِ وَبِالْهَمْزَةِ بَدَلًا مِنْهَا - أَي: جُمِعَتْ لَوَقْتٍ، ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿أُجِّلَتْ﴾ لِلشَّهَادَةِ عَلَى أَمَمِهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ بَيْنَ الْخَلْقِ - وَيُؤْخَذُ مِنْهُ جَوَابُ (إِذَا) - أَي: وَقَعَ الْفَصْلُ بَيْنَ الْخَلَائِقِ - ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ - تَهْوِيلٌ لِشَأْنِهِ ..

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ (النجوم: مرفوعة بفعلٍ محذوفٍ يُفسَّره ما بعده، من باب الاشتغال.

قوله: (وَسُيِّرَتْ) أي: بعد التفتيت.

قوله: ﴿أُقِنَّتْ﴾ أي: جُعِلَ لَهُمْ وَقْتُ الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَمَمِهِمْ، وهو يوم القيامة.

قوله: (بِالْوَاوِ) أي: على الأصل؛ لأنَّه من الوقت، وقوله: (وبالهمز) أي: لأنَّ الواو لَمَّا ضُمَّتْ قُلِبَتْ هَمْزَةً، وهما سبعيتان^(١).

قوله: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿أُجِّلَتْ﴾، والجملة مستأنفة، أو مَقُولَةٌ لِقَوْلٍ محذوفٍ؛ أي: يقال: (لأي يوم... إلخ)، والقول منصوب على الحال من مرفوع ﴿أُقِنَّتْ﴾، وقوله: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ بدل من (أي يوم) بإعادة العامل^(٢)، والاستفهام للتهويل والتعظيم.

قوله: (ويؤخذ منه) أي: من قوله: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾، وقوله: (جواب «إذا»): أي: المحذوف، والتقدير: وقع الفصل.

قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ (ما): استفهامية مبتدأ، وجملة ﴿أَدْرَاكَ﴾ خبرها، والكاف: مفعول أول، وقوله: ﴿مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ جملة من مبتدأ وخبر سادَّةٌ مسدَّةٌ للمفعول الثاني، والاستفهام الأول للاستبعاد والإنكار، والثاني للتعظيم والتهويل.

(١) قرأ أبو عمرو وبواو مضمومة، والباقون بهمزة مضمومة، وهما لغتان، والعرب تُعاقِبُ بين الواو والهمزة كقولهم: وَكَدَّتْ وَأَكَدَّتْ. انظر «السراج المنير» (٤/٤٦٣).

(٢) أي: وهو اللام، وقيل: بل تتعلَّقُ بفعلٍ مقدَّر؛ أي: أُجِّلَتْ لِيَوْمِ الْفَصْلِ، وقيل: اللام بمعنى (إلى). انظر «الدر المصون» (١٠/٦٣٣).

وَبَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾

(١٥ - ١٩) ﴿وَبَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا وَعِيدٌ لَهُمْ، ﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ بِتَكْذِيبِهِمْ؟
أي: أهلكناهم، ﴿ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ مِمَّنْ كَذَّبُوا كُفَّارٍ مَّكَّةَ فُتْهِلِكُهُمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَبَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: مبتدأ سَوَّغَ الابتداء به كونه دعاءً، و﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: خبره، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف لـ﴿وَبَلِّ﴾، وكررت هذه الجملة في هذه السورة عشر مرات؛ لمزيد الترغيب والترهيب، والمراد بالويل؛ قيل: العذاب والخزي، وقيل: وادٍ في جهنم فيه ألوان العذاب؛ لما روي أنه ﷺ قال: «عُرِضْتُ عَلَى جَهَنَّمَ، فلم أرَ فيها وادياً أعظم من الويل»^(١)، وقيل: إِنَّهُ مَجْمَعُ ما يَسِيلُ مِنْ قَيْحِ أَهْلِ النَّارِ وَصَدِيدِهِمْ.

قوله: ﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ الاستفهام تقريرِيٌّ، وهو طلبُ الإقرار بما بعد النفي، والمراد بـ(الأولين): الأممُ السَّابِقَةُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ؛ كقوم نوح وعاد وثمود، والمراد بـ(الآخرين): كُفَّارُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ.

قوله: (أي: أهلكناهم) أفاد بذلك أَنَّ الاستفهام داخلٌ على نفي، ونفي النفي إثباتٌ^(٢)، نظير ﴿أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

قوله: ﴿ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ العامة على رفع العين استثناءً، أو معطوفاً على جملة ﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾، وليس معطوفاً على الفعل والاستفهام مُسَلَّطٌ عليه؛ لَأَنَّهُ يَقْتَضِي أَنَّ المعنى: أهلكنا الأولين ثُمَّ اتَّبَعْنَاهُمْ الْآخِرِينَ فِي الْهَلَاكِ، وليس كذلك؛ لَأَنَّ هَلَاكَ الْآخِرِينَ لَمْ يَحْصُلْ حِينَئِذٍ، وَقُرِئَ شَذَوْدًا بِتَسْكِينِ الْعَيْنِ^(٣)؛ إِمَّا تَخْفِيفاً وَالْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ، أَوْ مَعْطُوفَةٌ عَلَى الْمَجْزُومِ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ بـ(الأولين): قوم نوح وعاد وثمود، وبـ(الآخرين): قوم شعيب ولوط وموسى، وحِينَئِذٍ: فالمراد بـ(المجرمين): كُفَّارُ أُمَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قوله: (فُتْهِلِكُهُمْ) أي: في الدنيا كَوَقْعَةٍ بَدْرٍ.

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٥٨/١٩)، وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٠/١٨) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ويلٌ وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغَ قعره».

(٢) لأنَّ الاستفهام إذا دخل على منفيٍّ.. قرَّره، ويعبر عن هذا الاستفهام بالإنكارى أيضاً، وهو داخل على نفي. انظر «الفتوحات» (٤٨٦/٤).

(٣) وبها قرأ الأعرج والعباس عن أبي عمرو. انظر «الدر المصون» (٦٣٥/١٠).

كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾

﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ما فعلنا بالمُكَذِّبِينَ ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ بِكُلِّ مَنْ أَجْرَمَ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ فَهَلِكُهُمْ. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ - تأكيد -

(٢٠ - ٢٤) ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾: ضَعِيفٍ وَهُوَ الْمَنِيُّ، ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾: حَرِيزٍ وَهُوَ الرَّحِمُ، ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾: وَهُوَ وَقْتُ الْوِلَادَةِ، ﴿فَقَدَرْنَا﴾ عَلَى ذَلِكَ ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ نَحْنُ، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

(٢٥ - ٢٨) ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ - مَصْدَرٌ (كَفَتَ) بِمَعْنَى: ضَمَّ - أَي: ضَامَّةً، ﴿أَحْيَاءً﴾ عَلَى ظَهْرِهَا ﴿وَأَمْوَاتًا﴾ فِي بَطْنِهَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ﴾... إلخ هذا تذكيرٌ من الله تعالى للكفار بعظيم إنعامه عليهم، وبقدرته على ابتداء خلقهم، والقادر على الابتداء قادرٌ على الإعادة، ففيها ردٌّ على مُنْكَرِي الْبَعْثِ.

قوله: (حَرِيزٍ) أَي: يُحْفَظُ فِيهِ الْمَنِيُّ مِنَ الْفَسَادِ.

قوله: ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ أَي: مِقْدَارُ مَعْلُومٍ مِنَ الْوَقْتِ، قَدَرُهُ تَعَالَى لِلْوِلَادَةِ.

قوله: ﴿فَقَدَرْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد، قراءتان سبعيتان؛ فَالتَّشْدِيدُ من: التَّقْدِيرِ، والتَّخْفِيفُ من: الْقُدْرَةِ^(١).

قوله: (على ذلك) أَي: الْخَلْقِ وَالتَّصْوِيرِ.

قوله: ﴿كِفَاتًا﴾ مَفْعُولٌ ثَانٍ لـ ﴿نَجْعَلِ﴾.

قوله: (مصدر «كفت») المناسب أن يقول: (اسم مكان)؛ لِأَنَّ (كَفَتَ) من باب (ضَرَبَ)، فمصدره: (الكَفْتُ)، فَالْمَعْنَى: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَوْضِعَ كَفْتٍ؛ أَي: جَمْعٍ وَضَمٍّ.

قوله: ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ أَي: تَضَمُّهُمْ فِي دُورِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ فِي حَالِ الْحَيَاةِ، وَتَضَمُّهُمْ فِي بَطْنِهَا

(١) قرأ نافع والكسائي بالتشديد، وهو موافق لقوله: ﴿مِنْ ثُلُفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرُوهُ﴾، والباقون بالتخفيف. انظر «الدر المصون»

وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسَى شَمِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَّهَبِ ﴿٣١﴾

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسَى شَمِخَاتٍ﴾: جبالاً مُرتَفَعَاتٍ ﴿وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾: عذباً. ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

(﴿٢٩﴾ - ﴿٣٤﴾) وَيُقَالُ لِلْمُكَذِّبِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ﴾ مِنَ الْعَذَابِ ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿هُوَ دُخَانُ جَهَنَّمَ إِذَا ارْتَفَعَ افْتَرَقَ ثَلَاثَ فُرُقٍ لِعَظَمَتِهِ، ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾: كَنِينٍ يُظِلُّهُمْ مِنْ حَرِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ، ﴿وَلَا يُغْنِي﴾: يَرُدُّ عَنْهُمْ شَيْئاً ﴿مِنَ الْلَّهَبِ﴾: النَّارِ،

حاشية الصاوي

في قبورهم حال الموت، ثم هي إما راضية عليه فتضمه ضمة الأم الشفوق، أو غير راضية فتضمه ضمة تختلف بها أضلاعه.

قوله: (جبالاً مرتفعات) أي: لولاها لتحركت بأهلها.

قوله: (﴿مَاءً فُرَاتًا﴾) أي: من العيون والأنهار، فتشربون منه أنتم ودوابكم، وتسقون منه زرعكم.

قوله: (من العذاب) بيان لـ(ما).

قوله: (﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ﴾) توكيد لـ﴿أَنْطَلِقُوا﴾ الأول.

قوله: (﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾) أي: فِرْقٍ: شعبة فوق الكافر، وشعبة عن يمينه، وشعبة عن يساره، ففيه إشارة لعظم الدخان؛ لأنَّ شأن الدخان العظيم إذا ارتفع يصير ثلاث شعَبٍ، وقيل: يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق، ويتشعب من دخانها ثلاث شعَبٍ، فتُظِلُّهم حتى يفرغ حسابهم، والمؤمنون في ظل العرش.

قوله: (﴿لَا ظَلِيلٍ﴾) صفة لـ﴿ظِلِّ﴾، و﴿لَا﴾ متوسطة بين الصفة والموصوف؛ لإفادة النفي، وهذا تهكم بهم، وردَّ لِمَا أَوْهَمَهُ لَفْظُ الظِّلِّ مِنَ الرَّاحَةِ.

قوله: (كنين) أي: ساتر.

إِنَّمَا تَرَى بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جُمِلَتْ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾

﴿إِنَّمَا﴾ أي: النَّارُ ﴿تَرَى بِشَكْرِ﴾ هو ما تَطَايَرَ مِنْهَا ﴿كَالْقَصْرِ﴾ مِنَ الْبِنَاءِ فِي عِظَمِهِ وَارْتِفَاعِهِ، ﴿كَأَنَّهُ جُمِلَتْ﴾: جَمْعُ (جِمَالَةٍ) جَمْعُ جَمَلٍ، - وفي قِرَاءَةِ: ﴿جُمِلَتْ﴾ - ﴿صُفْرٌ﴾ فِي هَيْئَتِهَا وَلَوْنِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «شَرَارُ النَّارِ أَسْوَدُ كَالْقَيْرِ»، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي سُودَ الْإِبِلِ صُفْرًا لِشَوْبِ سَوَادِهَا بِصُفْرَةٍ، فَقِيلَ: صُفْرٌ فِي الْآيَةِ بِمَعْنَى سُودٍ لِمَا ذُكِرَ، وَقِيلَ: لَا. وَالشَّرَرُ جَمْعُ شَرَرَةٍ، وَالشَّرَارُ جَمْعُ شَرَارَةٍ، وَالْقَيْرُ: الْقَارُ. ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾. (٣٥ - ٣٧) ﴿هَذَا﴾ أي: يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ فِيهِ بَشْيَاءٌ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بِشَكْرِ﴾ هكذا براءين من غير ألف بينهما، وهي قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بألف بين الرأين مع كسر الشين وفتحها^(١)، فالشَّرَرُ: جمع (شَرَرَةٍ)، والشَّرَارُ بكسر الشين: جمع (شَرَرَةٍ) أيضاً؛ ك: (رَقَبَةٍ وَرِقَابٍ)، وبفتح الشين: جمع (شَرَارَةٍ)، وهي على كلٍّ: ما تطاير من النار مُتَفَرِّقاً. قوله: ﴿كَأَنَّهُ﴾ أي: الشَّرَرُ، فشَبَّهه أولاً بالقصر في العِظَم والكبر، وثانياً بالجمال في اللون والكثرة والتتابع.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعة أيضاً.

قوله: (في هيئتها... إلخ) بيان لوجه الشبه.

قوله: (لشوب سوادها) أي: اختلاطه.

قوله: (فقيل... إلخ) تفريع على الحديث وصنع العرب.

قوله: (وقيل: لا) أي: ليس ﴿صُفْرٌ﴾ بمعنى (سود)، بل هو باقٍ على حقيقته.

قوله: (القار) أي: الزفت.

قوله: (أي: يوم القيامة) أي: المدلول عليه بقوله: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ... إلخ﴾.

قوله: ﴿لَا يَنْطِقُونَ﴾ أي: في بعض المواقف، وفي بعضها يتكلمون ويعتذرون، فلا منافاة بين ما هنا وبين قوله: ﴿يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ﴾ ونحوه.

(١) قرأ ابن عباس وابن مقسم بكسر الشين وألف بين الرأين، وعيسى كذلك إلا أنه فتح الشين. انظر «الدر المصون» (٦٣٩/١٠).

وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوْكَه مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ في العذر ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ - عطف على ﴿يُؤْذَنُ﴾ مِن غير تَسْبُب عنه، فهو داخل في حيز النفي - أي: لا إذن فلا اعتذار. ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿٣٨﴾ - ﴿٤٠﴾ ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ﴾ أيها المُكذِّبُونَ مِن هَذِهِ الْأُمَّةِ ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ مِنَ الْمُكذِّبِينَ قَبْلَكُمْ، فَتُحَاسِبُونَ وَتُعَذِّبُونَ جَمِيعاً، ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾: حيلة في دفع العذاب عنكم ﴿فَكِيدُونِ﴾ فافعلوها. ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿٤١﴾ - ﴿٤٣﴾ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ﴾ أي: تكائف أشجار؛ إذ لا شمس يُظَلُّ مِن حَرِّهَا، ﴿وَعُيُونٍ﴾ نَابِعَةٌ مِنَ الْمَاءِ، ﴿وَفَوْكَه مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ فيه إعلَامٌ بِأَنَّ الْمَأْكَلَ وَالْمَشْرَبَ

حاشية الصاوي

قوله: (من غير تَسْبُب عنه) جوابٌ عما يُقال: إِنَّ العطف بالفاء أو الواو على المنفي يقتضي نصبَ المعطوف؛ فلم رُفِعَ في الآية؟

وإيضاحه: أَنَّ محلَّ نصبه إذا كان متسبباً عن المنفي نحو: ﴿لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا﴾، وأما إذا لم يكن متسبباً كما هنا لَأَنَّ النفي متوجّهٌ للمعطوف والمعطوف عليه.. فإنه يُرْفَع.

قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ أي: بين المحقِّ والمبطل.

قوله: ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ إمَّا عطف على الكاف في ﴿جَمَعْنَاكُمْ﴾، أو مفعول معه، وهذه الجملة مقولة لقولٍ محذوف؛ أي: يُقال لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾.

قول: (حيلة) تسميتها كيداً تهكُّم بهم.

قوله: ﴿فَكِيدُونِ﴾ أي: فاحتالوا لأنفسكم وقاؤوني فلم تجدوا مفراً.

قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾... إلخ ذكر في سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ أحوال الكفَّار في الآخرة على سبيل الاختصار، وأطنب في أحوال المؤمنين، عكس ما فعل هنا؛ ليحصل التعادل بين السورتين.

قوله: (أي: تكائف أشجار) من إضافة الصِّفة للموصوف.

قوله: ﴿وَعُيُونٍ﴾ نَابِعَةٌ مِنَ الْمَاءِ أي: ومن العسل واللبن والخمر؛ كما في آية (القتال).

قوله: ﴿مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ راجعٌ للعيون والفواكه.

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾
كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾

في الْجَنَّةِ بِحَسَبِ شَهَوَاتِهِمْ، بِخِلَافِ الدُّنْيَا فَبِحَسَبِ مَا يَجِدُ النَّاسُ فِي الْأَغْلَبِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ - حال - أي: مُتَهَنِّئِينَ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مِنْ الطَّاعَةِ.

(٤٤ - ٤٧) ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كَمَا جَزَيْنَا الْمُتَّقِينَ ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ - خِطَابٌ لِلْكَفَّارِ فِي الدُّنْيَا - ﴿قَلِيلًا﴾ مِنْ الزَّمَانِ وَغَايَتِهِ إِلَى الْمَوْتِ، وَفِي هَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ، ﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ وَبَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (بِحَسَبِ شَهَوَاتِهِمْ) أي: فمتى اشتَهَوْا فاكهةً.. وجُدُّوها حاضرةً، فليست فاكهة الجنة مقيَّدةً بوقتٍ دونَ وقتٍ كما في أنواع فاكهة الدنيا، قال تعالى: ﴿أَكُلْهَا ذَائِبٌ وَظُلُمًا﴾ [الرعد: ٣٥].

قوله: (ويُقَالُ لَهُمْ) أي: مَنْ قَبِلَ اللَّهَ، أَوْ الْقَائِلَ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ إِكْرَامًا.

قوله: (كَمَا جَزَيْنَا الْمُتَّقِينَ) أي: بِالظَّلَالِ وَالْعُيُونِ وَالْفَوَاكِهَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ.

إن قلت: لا مغايرة بين المتقين والمحسينين، ففيه تشبيه الشيء بنفسه.

والجواب: أن يراد بالمتقين: الكاملين في الطاعة^(١)، وبالمحسينين: مَنْ عِنْدَهُمْ أَصْلُ الْإِيمَانِ، وَيَصِيرُ الْمَعْنَى: إِنَّ هَذَا الْجَزَاءَ كَمَا هُوَ ثَابِتٌ لِلْكَامِلِينَ فِي الطَّاعَةِ ثَابِتٌ لِمَنْ كَانَ عِنْدَهُ أَصْلُ الْإِيمَانِ، فَالْمِثَالَةُ فِي الْأَوْصَافِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي تِلْكَ الْآيَةِ، لَا فِي الْمَرَاتِبِ وَالدرَجَاتِ، فَتَدَبَّرْ.

قوله: (من الزمان) أي: ف﴿قَلِيلًا﴾ منصوبٌ على الظرفية.

قوله: (وغايته إلى الموت) أي: فهو مُدَّةُ الْعَمْرِ، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: (الْتَمَتُّ بِالدُّنْيَا مِنْ أَعْمَالِ الْكَافِرِينَ، وَالسَّعْيُ لَهَا مِنْ أَعْمَالِ الظَّالِمِينَ، وَالْإِطْمِئْنَانُ إِلَيْهَا مِنْ أَعْمَالِ الْكَاذِبِينَ، وَالسَّكُونُ فِيهَا عَلَى حَدِّ الْإِذْنِ وَالْأَخْذُ مِنْهَا عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ مِنْ أَعْمَالِ عَوَامِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْإِعْرَاضُ عَنْهَا مِنْ أَعْمَالِ الزَّاهِدِينَ، وَأَهْلُ الْحَقِيقَةِ أَجَلٌ خَطَرًا مِنْ أَنْ يُؤْثِرَ فِيهِمْ حُبُّ الدُّنْيَا وَبَغْضُهَا، وَجَمْعُهَا وَتَرْكُهَا)^(٢).

(١) في (ط ٢): (الكاملون في الطاعة) وهي ظاهرة، وما في الأصول جرى فيه المصنف رحمه الله تعالى على مذهب الكوفيين من جواز إقامة الجار والمجرور مع وجود المفعول، واستدلوا لذلك بقراءة أبي جعفر: (لِيُجْزَى قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ). انظر «شرح ابن عقيل» (١٢١/٢).

(٢) انظر «تفسير السلمي» (٣٦٧/٢).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

(٤٨ - ٥٠) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا﴾: صَلُّوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾: لَا يُصَلُّونَ، ﴿وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَهُ أَي: الْقُرْآنُ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؟ أَي: لَا يُمَكِّنُ إِيْمَانُهُمْ بغيرِهِ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ بَعْدَ تَكْذِيبِهِمْ بِهِ؛ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى الْإِعْجَازِ الَّذِي لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أَي: لَهُؤْلَاءِ الْمُجْرِمِينَ مِنْ أَيِّ قَائِلٍ كَانَ.

قوله: ﴿صَلُّوا﴾ أَي: فَسُمِّيتِ الصَّلَاةُ بِاسْمِ جَزئِهَا وَهُوَ الرُّكُوعُ، وَخَصَّ هَذَا الْجُزْءَ؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ عَلَى الْخُضُوعِ وَالطَّاعَةِ.

قوله: ﴿فَإِنِّي حَدِيثٌ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، قَالَ الرَّازِي: (إِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَالِغٌ فِي زَجْرِ الْكُفَّارِ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى آخِرِهَا بِهَذِهِ الْوُجُوهِ الْعَشْرَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَحَثَّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَالِانْقِيَادِ لِلدِّينِ الْحَقِّ. خَتَمَ السُّورَةَ بِالتَّعَجُّبِ مِنَ الْكُفَّارِ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذِهِ الدَّلَائِلِ الْعَظِيمَةِ مَعَ وُضُوحِهَا لَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْرِهَا) ^(١)، قَالَ الْبُوصِيرِيُّ فِي «هَمْزِيَّتِهِ» ^(٢): [الْخَفِيفُ]

وَإِذَا الْبَيِّنَاتُ لَمْ تُغْنِ شَيْئاً فَالْتِمَاسُ الْهُدَى بِهِنَّ عَنَاءٌ

قوله: (لِاشْتِمَالِهِ عَلَى الْإِعْجَازِ) أَي: فَقَدْ وَرَدَ: أَنَّ مُعْجَزَاتِ الْمُصْطَفَى مِثْلُ أَلْفٍ وَسَبْعُونَ أَلْفًا، فِي الْقُرْآنِ مِنْهَا مِثْلُ أَلْفٍ، وَسَبْعُونَ مِنْ غَيْرِهِ.

وَهَذَا التَّعْلِيلُ لَا يُنْتِجُ مَا قَالَهُ الْمَفْسِّرُ مِنْ عَدَمِ الْإِمْكَانِ؛ إِذْ يَجُوزُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِغَيْرِهِ مَعَ عَدَمِ إِعْجَازِهِ، وَيَكْفُرُوا بِالْقُرْآنِ الْمَعْجَزِ، فَلَوْ قَالَ فِي التَّعْلِيلِ: (لِأَنَّ الْقُرْآنَ مُصَدِّقٌ لِلْكِتَابِ الْقَدِيمَةِ، مُوَافِقٌ لَهَا فِي أَصُولِ الدِّينِ، فَيَلْزَمُ مِنْ تَكْذِيبِهِ تَكْذِيبُ غَيْرِهِ مِنَ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّ مَا فِي غَيْرِهِ مَوْجُودٌ فِيهِ؛ فَلَا يُمَكِّنُ الْإِيْمَانَ بِغَيْرِهِ مَعَ تَكْذِيبِهِ). لَكَانَ أَوْلَى.



(١) «تفسير الرازي» (٢٨٤/٣٠).

(٢) انظر «المنح المكية» (ص ٤٠٢).

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾



مَكِّيَّةٌ، إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿عَمَّ﴾: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾: يَسْأَلُ بَعْضُ قُرَيْشٍ بَعْضًا؟ ﴿عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ بَيَانٌ لِذَلِكَ الشَّيْءِ،

حَاشِيَةُ الصَّاوِي

(سورة التّساؤل)

وَتَسْمَى سُورَةُ (النَّبَأِ الْعَظِيمِ)، وَسُورَةُ (عَمَّ)، وَسُورَةُ (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ).

قَوْلُهُ: ﴿﴿عَمَّ﴾﴾ (عَنْ): حَرْفُ جَرٍّ، وَ(مَا): اسْتِفْهَامِيَّةٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ، حُذِفَتْ أَلْفُهَا لِلْقَاعِدَةِ الْمَقْرَّرَةِ الَّتِي أَشَارَ لَهَا ابْنُ مَالِكٍ بِقَوْلِهِ^(١): [الرَّجْز]

و(مَا) فِي الْاسْتِفْهَامِ إِنْ جُرَتْ حُذِفَتْ أَلْفُهَا، وَأَوَّلُهَا الْهَاءُ إِنْ تَقِفَ

وَوَقَفَ الْبَزِيُّ بِهَاءِ السَّكْتِ جَرِيًّا عَلَى الْقَاعِدَةِ، وَنُقِلَ عَنْ ابْنِ كَثِيرٍ إِثْبَاتُ الْهَاءِ فِي الْوَصْلِ أَيْضًا؛ إِجْرَاءً لَهَا مُجْرَى الْوَقْفِ، وَقُرِئَ شَذُوذًا بِإِثْبَاتِ الْأَلْفِ، وَالْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بـ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿﴿عَنِ النَّبَاِ﴾﴾ عَطْفٌ بَيَانٍ. وَسَبَبُ نَزُولِهَا: أَنَّهُ ﷺ لَمَّا بُعِثَ.. جَعَلَ الْمُشْرِكُونَ يَتَسَاءَلُونَ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُونَ: مَا الَّذِي أَتَى بِهِ؟ وَيَتَجَادَلُونَ فِيمَا بُعِثَ بِهِ^(٢).

وَمُنَاسِبَتُهَا لَمَّا قَبْلُهَا: أَنَّهُ لَمَّا قَالَ: ﴿فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ أَيُّ: بَعْدَ الْقُرْآنِ، فَكَانُوا يَتَجَادَلُونَ فِيهِ وَيَتَسَاءَلُونَ عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

قَوْلُهُ: (بَيَانٌ لِذَلِكَ الشَّيْءِ) أَيُّ: الْمَعْبَرُ عَنْهُ بِ(مَا) الْاسْتِفْهَامِيَّةِ، وَالْمُرَادُ بِالْبَيَانِ: عَطْفُ الْبَيَانِ.

(١) «الخلاصة»، باب (الوقف).

(٢) انظر «زاد المسير» (٣٨٧/٤).

الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ تُو كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

والاستفهام لتفخيمه، وهو ما جاء به النبي ﷺ من القرآن المُشتمِل على البعث وغيره، ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْلِفُونَ﴾ فالمؤمنون يُبشرونه والكافرون يُنكرونها.

(٤ - ٥) ﴿كَلَّا﴾ - ردع - ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ ما يحلُّ بهم على إنكارهم له، ﴿تُو كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ - تأكيد، وجيء فيه بِ(ثُمَّ) للإيذان بأنَّ الوعيد الثاني أشدُّ من الأوَّل - ثُمَّ أوماً تعالى إلى القدرة على البعث فقال:

حاشية الصاوي

قوله: (والاستفهام لتفخيمه) أي: فليس استفهاماً حقيقياً، بل هو كناية عن تفخيم الأمر وتعظيمه.
قوله: ﴿الَّذِي﴾ صفة لـ ﴿النَّبِيِّ﴾، و﴿هُمُ﴾: مبتدأ، و﴿مُخْلِفُونَ﴾: خبره، و﴿فِيهِ﴾: متعلق بـ ﴿مُخْلِفُونَ﴾، والجملة صلة ﴿الَّذِي﴾، وقوله: (فالمؤمنون... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير في ﴿هُمُ﴾ عائدٌ على ما يشمل المؤمنين والكفار، وجعل الواء في ﴿يَسَاءَلُونَ﴾ محمولةً على الكفار ليس بواضح؛ لأنه يلزم عليه تشتيت الضمائر، فالمناسب أن يُسوَّى بين الضميرين؛ بأن يجعلهما عائدين على الكفار، واختلافهم فيه من حيث إنَّ بعضهم يقول فيه: شعر، وبعضهم يقول فيه: كهانة، وغير ذلك^(١).

قوله: (ردع) أي: فيه معنى الوعيد والتهديد.

قوله: (ما يحلُّ بهم) مفعول (يعلمون)، والمعنى: ما ينزل بهم عند النزاع، أو في القيامة؛ لكشف الغطاء عنهم في ذلك الوقت. وحلَّ يحلُّ - بالكسر والضم في المضارع - بمعنى: نزل.

قوله: (تأكيد) أي: لفظي، وقيل: عطف نسقٍ فيه معنى التأكيد.

قوله: (للإيذان بأنَّ الوعيد الثاني... إلخ) أي: فتغاييراً بهذا الاعتبار، ومن هنا قيل: إنَّ الأوَّل عند النزاع، والثاني في القيامة، وقيل: الأوَّل للبعث، والثاني للجزاء.

قوله: (ثمَّ أوماً تعالى) أي: أشار إلى الأدلَّة الدالة عليها، وذكر منها تسعة، ووجه الدلالة أن يقال: إنَّه تعالى حيث كان قادراً على هذه الأشياء... فهو قادرٌ على البعث.

(١) ما سلكه المفسر رحمه الله تعالى تليقاً بين قولين؛ ففي «السراج المنير» (٤/٤٦٩): (وقيل: الضمير للمسلمين والكافرين جميعاً، وكانوا جميعاً يتساءلون عنه؛ أمَّا المسلم فليرداد خشيةً واستعداداً، وأمَّا الكافر فليرداد استهزاءً). «فتوحات» (٤/٤٩١).

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ

(٦ - ١٦) ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾: فراشاً كالْمِهْدِ، ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: تُثَبَّتُ بِهَا الأرضُ كما تُثَبَّتُ الخِيَامُ بِالْأَوْتَادِ. والاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ، ﴿وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا﴾: ذُكُوراً وَإِنَاثاً، ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾: راحةً لِأَبْدَانِكُمْ، ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا﴾: سَاتِراً بِسَوَادِهِ، ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾: وقتاً لِلْمَعَاشِ، ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾: سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴿شِدَادًا﴾: جَمْعُ شَدِيدَةٍ أَي: قُوَّةٍ مُحْكَمَةٍ لَا يُؤَثِّرُ فِيهَا مُرُورُ الزَّمَانِ، ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا مُنِيرًا﴾: وَهَّاجًا، يَعْنِي الشَّمْسُ، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾: السَّحَابَاتِ الَّتِي حَانَ لَهَا أَنْ تُمِطَرَ كَالْمُعْصِرِ الْجَارِيَةِ الَّتِي دَنَتْ مِنَ الْحَيْضِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾: ﴿الْأَرْضَ﴾: مفعولٌ أوَّل، و﴿مِهْدًا﴾: مفعول ثانٍ إنْ جُعِلَتْ بمعنى التصيير، وإنْ جُعِلَتْ بمعنى الخلق.. فيكون ﴿مِهْدًا﴾ حالاً، وكذا يقال في قوله: ﴿أَوْتَادًا﴾ وما بعده.

قوله: (كالْمِهْدِ) أي: للصَّبِيِّ، وهو ما يُفَرَّشُ لَهُ لِيَنَامَ عَلَيْهِ.

قوله: (لِلتَّقْرِيرِ) أي: بما بعد التَّفْيِ.

قوله: ﴿سُبَاتًا﴾ (بالضَّمِّ كـ(غُرَابٍ)): النَّوْمُ الثَّقِيلُ، وَأَصْلُهُ: الرَّاحَةُ، وَفَعْلُهُ: (سَبَتَ) كـ(قَتَلَ).

قوله: (ساتراً بِسَوَادِهِ) أي: ظُلْمَتِهِ، ففيه تشبيهٌ بليغٌ بحذف الأداة؛ أي: كَاللِّبَاسِ، بِجَامِعِ السَّتْرِ فِي كُلِّ.

قوله: (وقتاً لِلْمَعَاشِ) أي: تتصَرَّفُونَ فِيهِ فِي حَوَائِجِكُمْ.

قوله: ﴿وَهَّاجًا﴾ (أي: مُضِيئاً).

قوله: (يعني: الشَّمْسُ) أي: لِأَنَّهَا كَوَكَبٌ نَهَارِيٌّ، يَنْسَخُ ضَوْؤُهُ ظِلْمَةَ اللَّيْلِ.

قوله: (التي حَانَ لَهَا أَنْ تُمِطَرَ) أي: جَاءَ وَقْتُ إِمْطَارِهَا الْمَقْدَرُ لَهَا.

قوله: (الجارية) المراد بها: مطلق الأنثى.

مَاءٌ نَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا أَلْفَاظًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾

﴿مَاءٌ نَجَّاجًا﴾: صَبَابًا، ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾: كَالْحِنْطَةِ ﴿وَنَبَاتًا﴾: كَالثَّبَنِ، ﴿وَجَعَلْنَا﴾: بَسَاتِينَ ﴿أَلْفَاظًا﴾: مُلْتَفَّةً، جَمْع (لَفِيف) ك(شَرِيف وَأَشْرَافِ)؟

﴿١٧﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بَيْنَ الْخَلَائِقِ ﴿كَانَ مِيقَتًا﴾: وَقْتُاً لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: الْقَرْنِ - بَدَلٍ مِنْ ﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ أَوْ بَيَانٍ لَهُ - وَالنَّافِخُ إِسْرَافِيلُ، ﴿فَتَأْتُونَ﴾ مِنْ قُبُورِكُمْ إِلَى الْمَوْقِفِ ﴿أَفْوَاجًا﴾: جَمَاعَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ،

حاشية الصاوي

قوله: (صَبَابًا) أي: بشدة وقوة.

قوله: ﴿حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ أي: فالمراد: ما يُقَاتُ بِهِ، وما يُعْلَفُ مِنَ الثَّبَنِ والحشيش.

قوله: (جَمْع «لَفِيفِ») وقيل: جمع «لِفَ» بكسر اللام، وقيل: لا واحد له.

قوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾... إلخ) كلامٌ مستأنفٌ واقعٌ في جواب سؤالٍ مقدَّر، تقديره: ما وقتُ البعث الذي أُثبت بالأدلة المتقدمة؟ فقال: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾، وأكَّده بـ(إِنَّ)؛ لتردُّد الكفار فيه.

قوله: ﴿كَانَ مِيقَتًا﴾ أي: في علمه وقضائه.

قوله: (وَقْتُاً لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ) أشار بذلك إلى أَنَّ الميقاتَ زمانٌ مقيَّدٌ بكونه وقتَ ظهورٍ ما وعدَّ الله به مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

قوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي: النَّفْخَةُ الثَّانِيَّة.

قوله: (جَمَاعَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ) رُوي عن معاذ بن جبل: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَل؛ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ»، ثُمَّ أَرْسَلَ عَيْنِيهِ بَاكِئًا ثُمَّ قَالَ: «يُحْشَرُ عَشْرَةُ أَصْنَافٍ مِنْ أُمَّتِي أَشْتَاتًا قَدْ مَيَّزَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ جَمَاعَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَبَدَّلَ صُورَهُمْ؛ فَبَعْضُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقِرْدَةِ، وَبَعْضُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْخَنَازِيرِ، وَبَعْضُهُمْ مَنْكُسُونَ أَرْجُلَهُمْ فَوْقَ وُجُوهِهِمْ، وَوُجُوهُهُمْ يَسْحَبُونَ عَلَيْهَا، وَبَعْضُهُمْ عُمِّيٌّ مَتَرَدِّدُونَ، وَبَعْضُهُمْ صَمٌّ بِكُمْ عَمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ، وَبَعْضُهُمْ يَمْضَغُونَ أَلْسِنَتَهُمْ فَهِيَ مَدْلَاةٌ عَلَى صُدُورِهِمْ، يَسِيلُ الْقَيْحُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ لِعَابًا، يَتَقَدَّرُهُمْ أَهْلُ الْجَمْعِ، وَبَعْضُهُمْ مُقَطَّعَةُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ، وَبَعْضُهُمْ مُصْلَبُونَ عَلَى جَذْوَعٍ مِنَ النَّارِ، وَبَعْضُهُمْ أَشَدُّ تَنَنًّا مِنَ الْجَيْفِ، وَبَعْضُهُمْ يَلْبَسُونَ جَلَابِيبَ سَابِغَةً مِنَ الْقَطْرَانِ، لَا صَقَّةَ بَجُلُودِهِمْ.

وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ - بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ -: شُقِّقَتْ لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾: ذَاتَ أَبْوَابٍ، ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾: ذُهِبَ بِهَا عَنْ أَمَاكِنِهَا ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾: هَبَاءٌ أَيْ: مِثْلُهُ فِي خِفَّةِ سَيْرِهَا.

حاشية الصاوي

فَأَمَّا الَّذِينَ عَلَى صُورَةِ الْقُرْدَةِ.. فَالْقَتَاتُ مِنَ النَّاسِ - يَعْنِي: النَّمَامِ - وَأَمَّا الَّذِينَ عَلَى صُورَةِ الْخَنَازِيرِ.. فَأَهْلُ السُّحْتِ وَالْحَرَامِ وَالْمَكْسِ، وَأَمَّا الْمُنْكَسُونَ رُؤُوسَهُمْ وَوُجُوهَهُمْ.. فَأَكْلَةُ الرِّبَا، وَأَمَّا الْعُمَى.. فَهُمْ مَنْ يَجُورُونَ فِي الْحَكْمِ، وَأَمَّا الصَّمُّ الْبِكْمُ.. فَهُمْ الَّذِينَ يُعْجَبُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَأَمَّا الَّذِينَ يَمْضَغُونَ أَلْسِنَتَهُمْ.. فَالْعُلَمَاءُ وَالْقُصَّاصُ الَّذِينَ يُخَالِفُ قَوْلَهُمْ فَعَلَهُمْ، وَأَمَّا الْمَقْطَعَةُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ.. فَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْجِيرَانَ، وَأَمَّا الْمَصْلَبُونَ عَلَى جَذُوعٍ مِنَ النَّارِ.. فَالْسُّعَاةُ بِالنَّاسِ إِلَى السُّلْطَانِ، وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ أَشَدُّ نَتْنًا مِنَ الْجَيْفِ.. فَالَّذِينَ يَتَمَتَّعُونَ بِالشَّهَوَاتِ وَيَمْنَعُونَ حَقَّ اللَّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَأَمَّا الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الْجَلَابِيبَ.. فَأَهْلُ الْكِبَرِ وَالْفَخْرِ وَالْخِيَلَاءِ^(١).

قوله: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ عطف على قوله: ﴿فَنَأْتُونَ﴾، وعبرَ بالماضي؛ لتحقيق الوقوع.

قوله: (بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ) أي: فهما قراءتان سبعتان^(٢).

قوله: (شُقِّقَتْ) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالفتح ما عُرفَ من فتح الأبواب، بل هو التَّشْقُّقُ؛ لِمُوَافَقَةِ قَوْلِهِ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾.

وَحَيْرُ مَا فَسَّرْتَهُ بِالْوَارِدِ^(٣)

قوله: (لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ) أي: لِأَنَّهُمْ يُمُوتُونَ بِالنَّفْخَةِ الْأُولَى، وَيَحْيَوْنَ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ، وَيَنْزِلُونَ جَمِيعًا يُحِيطُونَ بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ وَجِهَاتِهَا، يَسُوقُونَ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ.

قوله: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ أي: فِي الْهَوَاءِ بَعْدَ تَفْتِيَّتِهَا.

قوله: (هَبَاءٌ) الْمُنَاسِبُ إِبْقَاءُ السَّرَابِ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى عَلَى التَّشْبِيهِ؛ أَيْ: فَكَانَتْ مِثْلَ

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١١٥/١٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥٠١/٦) إلى ابن مردويه عن سيدنا

البراء بن عازب رضي الله عنه: أَن مَعَاذَ بَنِ جَبَلٍ... إلخ، وانظر «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١٤٤/٤).

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسافي بتخفيف التاء بعد الفاء، والباثون بتشديدها. انظر «السراج المنير» (٤٧١/٤).

(٣) تمامه كما في «ألفية العراقي»، باب (غريب ألفاظ الحديث):

كَالِدُخٍّ بِالدُّخَانِ لِإِبْنِ صَائِدٍ

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّغِينِ مَنَابًا ﴿٢٢﴾ لِّيَبْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾

(٢١ - ٢٦) ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ : راصدة أو مُرْصِدة، ﴿لِلطَّغِينِ﴾ : الكافرين فلا يَتَجَاوَزُونَهَا ﴿مَنَابًا﴾ : مَرَجِعًا لَهُمْ فَيَدْخُلُونَهَا، ﴿لِّيَبْثِينَ﴾ - حال مُقَدَّرَة - أي : مُقَدَّرًا لُبْثُهُمْ ﴿فِيهَا أَحْقَابًا﴾ : دُهورًا لا نِهَايةَ لَهَا، جَمْعُ حُقْب - بِضَمٍّ أَوَّلُهُ - ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ : نَوْمًا فَإِنَّهُمْ لَا يَذُوقُونَهُ، ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ : مَا يُشْرَبُ تَلَذُّذًا،

حاشية الصاوي

السَّرَابُ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْمَرْتِيَّ خِلَافَ الْوَاقِعِ، فَكَمَا يُرَى السَّرَابُ كَأَنَّهُ مَاءٌ، كَذَلِكَ الْجِبَالُ تُرَى كَأَنَّهَا جِبَالٌ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ فِي الْوَاقِعِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، وَإِلَّا... فَتَفْسِيرُ (السَّرَابِ) بِ(الْهَبَاءِ) لَمْ يُوجَدْ فِي اللُّغَةِ.

قوله: (راصدة أو مرصدة) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿مِرْصَادًا﴾ مِنْ: رَصَدْتُ الشَّيْءَ أَرْصُدُهُ: إِذَا تَرَقَّبْتَهُ، فَهِيَ رَاصِدَةٌ لِلْكَفَّارِ مُتَرَقِّبَةٌ لَهُمْ، أَوْ مُرْصِدَةٌ بِمَعْنَى: مُعَدَّةٌ وَمُهَيَّأَةٌ لَهُمْ، يَقَالُ: أَرْصَدْتُ لَهُ: أَعَدَدْتُ لَهُ.

قوله: ﴿أَحْقَابًا﴾ (ظرفٌ لـ ﴿لِّيَبْثِينَ﴾).

قوله: (لا نهاية لها) أي: بمجموعها وإن كان كلٌّ منها مُتَنَاهِيًا، وَإِنَّمَا قَالَ: (لا نهاية لها)؛ لِتُؤَافِقَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

قوله: (بِضَمٍّ أَوَّلُهُ) أي: وسكونٍ ثانيه، هو ثمانون سنةً، كلُّ سنةٍ اثنا عشر شهرًا، كلُّ شهرٍ ثلاثون يومًا، كلُّ يومٍ ألف سنةٍ.

عن الحسن قال: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ لِأَهْلِ النَّارِ مُدَّةً، بَلْ قَالَ: ﴿لِّيَبْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنَّهُ إِذَا مَضَى حُقْبٌ دَخَلَ حُقْبٌ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَيْسَ لِلْأَحْقَابِ عِدَّةٌ إِلَّا الْخُلُودُ)، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: (لَوْ عَلِمَ أَهْلُ النَّارِ أَنَّهُمْ يَلْبَثُونَ فِي النَّارِ عِدَّةَ حَصَى الدُّنْيَا... لَفَرَحُوا، وَلَوْ عَلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ أَنَّهُمْ يَلْبَثُونَ فِي الْجَنَّةِ عِدَّةَ حَصَى الدُّنْيَا... لَحَزَنُوا)^(١).

قوله: (نومًا) سَمِيَ النَّوْمُ بَرْدًا؛ لِأَنَّهُ يُبْرَدُ صَاحِبُهُ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْعَطْشَانَ إِذَا نَامَ سَكَنَ عَطْشُهُ،

(١) أوردَهُمَا الْبَغَوِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٠١/٥).

إِلَّا حِمِيمًا وَعَسَافًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ

﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿حِمِيمًا﴾: ماءٌ حارًّا غايةَ الحرارة، ﴿وَعَسَافًا﴾: بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ -: مَا يَسِيلُ عَنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ فَإِنَّهُمْ يَذُوقُونَهُ، جُوزُوا بِذَلِكَ ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾: مُوَافِقًا لِعَمَلِهِمْ، فَلَا ذَنْبَ أَعْظَمَ مِنَ الْكُفْرِ وَلَا عَذَابَ أَعْظَمَ مِنَ النَّارِ.

(﴿٢٧﴾ - ﴿٣٠﴾) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾: يَخَافُونَ ﴿حِسَابًا﴾ لِإِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ، ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: الْقُرْآنَ ﴿كِذَابًا﴾: تَكْذِيبًا، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾: مِنَ الْأَعْمَالِ ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾: ضَبَطْنَاهُ

حاشية الصاوي

وهي لغة هذيل، وقال ابن عباس: (البرد: بَرْدُ الشَّرَابِ)^(١)، وقال الزجاج: (أي: لا يذوقون فيها برد ریح، ولا ظل نوم)^(٢)، فجعل البرد بَرْدَ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ رَاحَةٌ، فَأَمَّا الزَّمْهَرِيرُ.. فهو برد عذاب لا راحة فيه.

قوله: (لَكِنْ ﴿حِمِيمًا﴾) قِضِيَّةٌ كَلَامُهُ: أَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ مُنْقَطِعٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُتَصِلًا مِنْ عُمُومِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا شَرَابًا﴾، وَالْأَحْسَنُ أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ ﴿شَرَابًا﴾؛ لِأَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ مِنْ كَلَامٍ غَيْرٍ مُوجِبٍ.

قوله: (بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ) أَي: فَهُمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعَتَانِ^(٣).

قوله: (﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾) مُنْصَوِّبٌ عَلَى الْمَصْدَرِيَّةِ لِمَحْذُوفٍ، قَدَّرَهُ الْمُفَسِّرُ بِقَوْلِهِ: (جُوزُوا بِذَلِكَ... إلخ).

قوله: (مُوَافِقًا لِعَمَلِهِمْ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿وَفَاقًا﴾ صِفَةٌ لـ ﴿جَزَاءً﴾ بِتَأْوِيلِهِ بِاسْمِ الْفَاعِلِ^(٤).

قوله: (﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾) تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾.

قوله: (﴿كِذَابًا﴾) بِالتَّشْدِيدِ بِاتِّفَاقِ السَّبْعَةِ.

قوله: (﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾) مُنْصَوِّبٌ عَلَى الْإِسْتِغَالِ؛ أَي: وَأَحْصَيْنَا كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ.

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١٨٠/١٩).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٢٧٣/٥).

(٣) قرأ حمزة والكسائي وحفص وخلف بتشديد السين، والباقون بتخفيفها. انظر «السراج المنير» (٤٧٢/٤).

(٤) ويصح أن يكون على حذف مضاف؛ أَي: ذَا وَفَاقٍ، أَوْ يَبْقَى عَلَى مَصْدَرِيَّتِهِ؛ لِقَصْدِ الْمُبَالَغَةِ. «فتوحات» (٤٩٤/٤).

﴿كِتَابًا﴾ ٢٩ ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ٣٠ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ ٣١ ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ ٣٢ ﴿وَكَوَاعِبَ﴾

﴿كِتَابًا﴾: كِتَابًا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ لِتُجَازِي عَلَيْهِ، وَمِنْ ذَلِكَ تَكْذِيبُهُمْ بِالْقُرْآنِ، ﴿فَذُوقُوا﴾ أَي: فَيُقَالُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ وَقُوعِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ: ذُوقُوا جَزَاءَكُمْ ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فَوْقَ عَذَابِكُمْ.

(٣١ - ٣٥) ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾: مَكَانَ فَوْزٍ فِي الْجَنَّةِ، ﴿حَدَائِقَ﴾: بَسَاتِينَ - بَدَلٍ مِنْ ﴿مَفَازًا﴾ أَوْ بَيَانٍ لَهُ - ﴿وَأَعْنَابًا﴾ - عَطَفَ عَلَى ﴿مَفَازًا﴾ - ﴿وَكَوَاعِبَ﴾: جَوَارِي تَكَعَّبَتْ تُدْيِهْنَ جَمْعَ (كَاعِبٍ)،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿كِتَابًا﴾ أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿كِتَابًا﴾ مصدرٌ من معنى الإحصاء، على حدٍّ: جَلَسْتُ قُعُودًا، فمعنى ﴿كِتَابًا﴾: إحصاء.

قوله: ﴿فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ﴾ وقيل: فِي صُحُفِ الْحَفْظَةِ عَلَى بَنِي آدَمَ.

قوله: ﴿وَمِنْ ذَلِكَ﴾ أَي: كُلُّ شَيْءٍ.

قوله: ﴿فَذُوقُوا﴾ أمرٌ إهانةٍ وتحقيرٍ، والجملةُ معمولَةٌ لمقدَّرٍ كما أشار له المفسِّر.

قوله: ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قيل: هَذِهِ أَشَدُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، كُلَّمَا اسْتَغَاثُوا بَنُوْعٍ مِنَ الْعَذَابِ.. أَغِيثُوا بِأَشَدِّ مِنْهُ.

قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ مُقَابِلُ قَوْلِهِ: ﴿لِلظَّالِمِينَ مَذَابًا﴾، والمراد بـ(المتقين): مَنْ اتَّقَى الشُّرَكَ؛ بَأَن لَمْ يَمُوتُوا كَفَّارًا.

قوله: ﴿مَكَانَ فَوْزٍ﴾ أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿مَفَازًا﴾ مصدرٌ ميميٌّ بمعنى المكان، وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْحَدَثِ؛ أَي: نَجَاةٌ وَظَفَرًا بِالْمَقْصُودِ.

قوله: ﴿بَدَلٍ مِنْ ﴿مَفَازًا﴾﴾ أَي: بَدَلُ بَعْضٍ مِنْ كُلِّ.

قوله: ﴿عَطَفَ عَلَى ﴿مَفَازًا﴾﴾ الْمُنَاسِبُ عَطَفَهُ عَلَى ﴿حَدَائِقَ﴾ عَطَفَ خَاصٌّ عَلَى عَامٍّ؛ لِمَزِيدِ شَرَفِ الْأَعْنَابِ.

قوله: ﴿تَكَعَّبَتْ﴾ أَي: اسْتَدَارَتْ مَعَ ارْتِفَاعٍ يَسِيرٍ كَالْكَعْبِ.

قوله: ﴿تُدْيِهْنَ﴾ بضم المثلثة، وكسر الدال المهملة، وتشديد الياء التحتية، جمع (تُدْيٍ).

﴿أَرْبَابًا﴾ ٣٣ ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ ٣٤ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾ ٣٥ ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ﴾

﴿أَرْبَابًا﴾: على سِنٍّ واحد، جَمْع (ترب) - بِكسر التاء وسكون الراء - ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾: خَمْرًا مَالِئَةٌ مَحَالَّهَا، وفي (القتال): ﴿وَأَنْهَرُ مِّنْ خَمْرٍ﴾ [محمد: ١٥]، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي: الْجَنَّةُ عِنْد شُرْبِ الْخَمْرِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَحْوَالِ ﴿لَغْوًا﴾: بِإِطْلَاقٍ مِنَ الْقَوْلِ، ﴿وَلَا كِذَابًا﴾ - بِالتَّخْفِيفِ أَي: كَذِبًا، وَبِالتَّشْدِيدِ أَي: تَكْذِيبًا مِنْ وَاحِدٍ لِغَيْرِهِ - بِخِلَافِ مَا يَقَعُ فِي الدُّنْيَا عِنْد شُرْبِ الْخَمْرِ.

﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ﴾ أَي: جَزَاؤُهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ جَزَاءً ﴿٣٦﴾

حاشية الصاوي

قوله: (على سِنٍّ واحد) أي: فلا اختلافَ بَيْنَهُنَّ فِي الشَّكْلِ وَلَا فِي الْعَمْرِ؛ لِثَلَاثِ مَا يَحْصُلُ الْحَزَنُ إِنْ وُجِدَ التَّخَالُفُ، وَلَا حَزَنٌ فِي الْجَنَّةِ.

قوله: (خمرًا مَالِئَةً مَحَالَّهَا) فَسَّرَ الْكَأْسَ بِالْخَمْرِ، وَالدَّهَاقَ بِالمَالِئَةِ، وَالمُنَاسِبُ: إِبْقَاءُ الْكَأْسِ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَتَفْسِيرُ الدَّهَاقِ بِالمُمْتَلِئَةِ؛ لِمَا فِي «القَامُوسِ»: (دَهَقَ الْكَأْسُ: مَلَأَهَا) ^(١)، وَفِي «المَخْتَارِ»: (أَذْهَقَ الْكَأْسُ: مَلَأَهَا، وَكَأَسُ دِهَاقٌ؛ أَي: مُمْتَلِئَةٌ) ^(٢).

قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ (حَالٌ مِنَ الْمُتَقِينَ).

قوله: (وغيرها) الضمير عائِدٌ عَلَى (الشُّرْبِ)، وَاكْتَسَبَ التَّأْنِيثُ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَهُوَ (الْخَمْرُ)؛ لِأَنَّهَا تَذْكَرُ وَتَوَثَّنُ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: (وغيره)، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ.

قوله: (بِالتَّخْفِيفِ) أَي: بِوَزْنِ (كِتَابٍ) مُصَدَّر (كَذَبَ) ك(كَتَبَ)، وَقَوْلُهُ: (وَبِالتَّشْدِيدِ) أَي: فَهُوَ مُصَدَّر (كَذَّبَ) المُشَدَّدُ، قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ هُنَا؛ لِعَدَمِ التَّصْرِيحِ بِفَعْلِهِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾.. فَهُوَ بِالتَّشْدِيدِ بِاتِّفَاقِ السَّبْعَةِ؛ لِوُجُودِ التَّصْرِيحِ بِالفِعْلِ المُشَدَّدِ ^(٣).

قوله: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ﴾ أَي: بِمُقْتَضَى وَعْدِهِ الْحَسَنِ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ، وَهَذَا مِنْ مَزِيدِ الْإِكْرَامِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، كَمَا يَقُولُ الشَّخْصُ الْكَرِيمُ إِذَا بَالَغَ فِي إِكْرَامِ ضَيْفِهِ: هَذَا مِنْ فَضْلِكَ وَإِحْسَانِكَ مِثْلًا، وَإِلَّا.. فَأَيُّ حَقٍّ لِلْمَخْلُوقِ عَلَى خَالِقِهِ؟!

(١) «القَامُوسُ الْمُحِيطُ»، مَادَّةُ (د ه ق)، (ص ٨٨٤).

(٢) «مَخْتَارُ الصَّحَاحِ»، مَادَّةُ (د ه ق)، (ص ١٠٨).

(٣) قَرَأَ الْكِسَائِيُّ بِالتَّخْفِيفِ، وَالبَاقُونَ بِالتَّثْقِيلِ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُونُ» (١٠/٦٦٢).

عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا

﴿عَطَاءٌ﴾ - بَدَلٌ مِّنْ ﴿جَزَاءٍ﴾ - ﴿حِسَابًا﴾ أَي: كَثِيرًا، مِّنْ قَوْلِهِمْ: أَعْطَانِي فَأَحْسَبُنِي أَي: أَكْثَرَ عَلَيَّ حَتَّى قُلْتُ: حَسْبِي.

﴿٣٧﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ - بِالْجَرِّ وَالرَّفْعِ - ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ - كذلك، وِبرَفْعِهِ مَعَ جَرٍّ ﴿رَبِّ﴾ - ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: الخلق ﴿مِنْهُ﴾ تعالى ﴿خَطَابًا﴾ أي: لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُخَاطِبَهُ خَوْفًا مِنْهُ.

﴿٣٨﴾ - يَوْمَ - ظَرْفُ لَا يَلِكُونَ - ﴿يَقُومُ الرُّوحُ﴾ : جِبْرِيلُ أَوْ جُنْدُ اللَّهِ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾
- حال - أي: مُصْطَفَيْنَ

حاشية الصاوي

قوله: (بدل من ﴿جَزَاءً﴾) أي: بدل كل من كل.

قوله: ﴿حِسَابًا﴾ صفة لـ ﴿عَطَاءٍ﴾، وهو إمَّا مصدرٌ أُقيم مُقَامَ الوصف، أو باقٍ على مصدرِيته مبالغةً، أو على حذف مضاف؛ أي: دُو كفاية، على حدِّ: (زيدٌ عدلٌ).

قوله: (بالجرّ) أي: جرّ ﴿رَبِّ﴾ على أنّه بدلٌ من ﴿رَبِّكَ﴾، وقوله: (والرّفْع) أي: على أنّه خبرٌ مبتدأٌ محذوفٌ؛ أي: هو ربُّ.

قوله: (كذلك) أي: بالجرِّ والرفعِ، فالجرُّ على أنَّه بدلٌ من ﴿رَبِّ﴾ الأوَّل، أو صفةٌ للثاني، والرفعُ على أنَّه خبرٌ مُبتدأٌ محذوفٍ، والجملةُ مُستأنفةٌ، وقوله: (وبرفعه) أي: (الرحمن) على أنَّه خبرٌ لمحذوفٍ، فالقراءاتُ ثلاثٌ سبعِيَّاتٌ: رفعُهما، وجرُّهما، ورفعُ (الرحمن) مع جرِّ (ربِّ) ^(١).

قوله: (أي: الخلق) أي: مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ لِعَلَّةِ الْجَلَالِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى خِطَابِهِ تَعَالَى فِي دَفْعِ بَلَاءٍ، وَلَا فِي رَفْعِ عَذَابٍ.

قوله: ﴿مِنْهُ﴾ (مِنْ): ابتدائية متعلقة بـ ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أو بـ ﴿خَطَابًا﴾.

قوله: (أو جند الله) ذكر المفسّر في معنى (الروح) قولين من جملة أقوال ثمانية؛ فقوله:

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو برفع (ربُّ السماوات) و(الرحمن)، وابن عامر وعاصم بخفضها، وحمزة والكسائي بخفض الأول، ورفع الثاني. انظر «الدر المصون» (١٠/٦٦٤).

لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْتَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ

﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي: الحَلْقُ ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ﴾ قولاً ﴿صَوَابًا﴾ من المؤمنين والملائكة، كأن يشفعوا لمن ارتضى.

﴿٣٩﴾ ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ﴾: الثَّابِتُ وَقُوعُهُ وهو يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾: مَرْجِعاً أي: رَجَعَ إِلَى اللَّهِ بِطَاعَتِهِ لِيَسْلَمَ مِنَ الْعَذَابِ فِيهِ.

﴿٤٠﴾ ﴿إِنَّا أَنْذَرْتَكُمْ﴾ أي كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أي: عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْآتِي، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ، ﴿يَوْمَ﴾ - ظَرْفٌ لـ ﴿عَذَابًا﴾ بِصِفَتِهِ - ﴿يَنْظُرُ الْمَرْءُ﴾: كُلُّ امْرِئٍ

حاشية الصاوي

(جند الله) أي: جندٌ من جُنُودِ اللَّهِ، ليسُوا ملائكة، لهم رؤوسٌ وأيدي وأرجل، يأكلون الطعام، على صورة بني آدم كالنَّاسِ، وليسُوا بناسٍ.

ثالثها: أَنَّهُ مَلَكٌ لَيْسَ بَعْدَ الْعَرْشِ أَعْظَمُ مِنْهُ، فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، يَسْبَحُ اللَّهَ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ تَسْبِيحَةٍ، يَخْلُقُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ تَسْبِيحَةٍ مَلَكًا، فَيَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَحْدَهُ صَفًّا.

رابعها: أَنَّهُمْ أَشْرَافُ الْمَلَائِكَةِ. خامسها: أَنَّهُمْ بَنُو آدَمَ. سادسها: أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ تَقُومُ صَفًّا بَيْنَ النَّفَخَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تُرَدَّ إِلَى الْأَجْسَادِ. سابعها: الْقُرْآنُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا﴾ [الشورى: ٥٢]. ثامنها: أَنَّهُمْ الْحَفَظَةُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ.

قوله: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾... إلخ تأكيد لقوله: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾، والمعنى: أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَفْضَلُ الْخَلَائِقِ وَأَقْرَبُهُمْ مِنَ اللَّهِ؛ إِذَا لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَشْفَعُوا إِلَّا بِإِذْنِهِ.. فَكَيْفَ يَمْلِكُ غَيْرُهُمْ؟!

قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ مفعوله محذوف، دلَّ عليه قوله: ﴿اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾، و(مَنْ): شَرْطِيَّةٌ، وجوابها قوله: ﴿اتَّخَذَ...﴾ إلخ، أو محذوف تقديره: (فعل).

قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ أي: إِلَى ثَوَابِهِ، وهو متعلق بـ ﴿مَآبًا﴾.

قوله: (كُلُّ امْرِئٍ) أي: مُسْلِمًا أَوْ كَافِرًا، وَأَخَذَ الْعُمُومَ مِنْ (أَل) الْاسْتِغْرَاقِيَّةِ، وَالنَّظَرُ بِمَعْنَى الرُّؤْيَةِ، وَالْمَعْنَى: يَرَى كُلُّ مَا قَدَّمَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ثَابِتًا فِي صَحِيفَتِهِ. وَخَصَّ الْيَدَيْنِ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَفْعَالِ تُزَاوِلُ بِهِمَا.

مَا قَدَمْتُ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

﴿مَا قَدَمْتُ يَدَاهُ﴾ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا﴾ - حَرْفُ تَنْبِيهِ - ﴿لِيَتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ يَعْنِي فَلَا أُعَذِّبُ، يَقُولُ ذَلِكَ عِنْدَمَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْبَهَائِمِ بَعْدَ الْاِقْتِصَاصِ مِنْ بَعْضِهَا لِبَعْضٍ: كُونِي تُرَابًا.

حاشية الصاوي

قوله: (يقول ذلك عندما يقول الله للبهايم... إلخ) هذا أحد احتمالات ثلاث، ثانيها: أنه يتمنى أن لو كان تراباً في الدنيا، فلم يخلق إنساناً ولم يكلف، ثالثها: أنه يتمنى أن لو كان تراباً في يوم القيامة، فلم يُبعث ولم يحاسب.

قوله: (بعد الاقتصاص من بعضها لبعض) أي: فيقتص للجماء من القرناء؛ إظهاراً للعدل، وأمّا الجنُّ فهم مُكَلَّفُونَ كالإنس، يُثَابُونَ وَيُعَاقَبُونَ، فالْمُؤْمِنُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَالْكَافِرُ يَدْخُلُ النَّارَ عَلَى الصَّحِيحِ.



﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا﴾ (١)



مكيّة، سِتُّ وأربعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٥) ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾: الملائكة تنزِعُ أرواحَ الكُفَّارِ ﴿غَرَقًا﴾: نَزَعًا بِشِدَّةٍ،

حاشية الصاوي

سُورَةُ النَّازِعَاتِ ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾

وفي بعض النسخ: (سورة النازعات) بغير واو.

قوله: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾... إلخ) اعلم: أن الله تعالى أقسم بخمسة أقسام، موصوفها محذوف، فاختلف المفسرون في تقدير الموصوف في الأربعة الأول، فبعضهم قدره: (الملائكة)، وبعضهم قدره: (النجوم)، وأمّا الخامس فالمراد بهم: الملائكة بالإجماع.

والتأنيث في الأوصاف ظاهرٌ إن كان المراد النجوم، وإن كان الملائكة.. فالتأنيث باعتبار الطائفة، كأنه قال: (والطائفة النازعات)، ومشى المفسر على أن المراد بها الملائكة، وهو ظاهرٌ.

قوله: (الملائكة تنزع أرواح الكفار... إلخ) قال ابن مسعود: (إن ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما يُنزع السَّقُودُ الكثيرُ الشَّعْبِ من الصوف المبتل)^(١).

قوله: ﴿غَرَقًا﴾) إمّا مصدرٌ على حذف الزوائد؛ بمعنى: إغراقاً، فهو مُلاقٍ لِعامله في المعنى، ك: (قُمت وقوفاً)، أو حالٌ؛ أي: ذوات إغراق، يقال: أغرق في الشيء: إذا بلغ أقصى غايته.

قوله: (نزعاً بشدّة) أي: لما ورد: أن كلَّ نزعَةٍ أعظمُ من سبعين ألف ضربة بالسيف، ويرى أن السماوات السبع انطبقت على الأرض وهو بينهما.

(١) أورده البغوي في «تفسيره» (٢٠٤/٥)، ورواه مرفوعاً الإمام أحمد في «المسند» (٢٩٦/٤) عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنه، والسَّقُود بوزن (التنور): الحديدية التي يُشوى بها اللحم.

وَالنَّشِيطَاتِ نَشَاطًا ﴿٢﴾ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْعًا ﴿٣﴾ فَالسَّيِّقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدِيرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾

﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشَاطًا﴾: الملائكة تنشط أرواح المؤمنين أي: تسألها برفق، ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْعًا﴾: الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى أي: تنزل، ﴿فَالسَّيِّقَاتِ سَبْقًا﴾: الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة، ﴿فَالْمُدِيرَاتِ أَمْرًا﴾: الملائكة تدبر أمر الدنيا أي: تنزل بتدبيره - وجواب هذه الأقسام محذوف أي: لتبعثن يا كفار مكة، وهو عامل في -.

حاشية الصاوي

قوله: (تنشط أرواح المؤمنين) بفتح أوله، وكسر ثالثه، من باب (ضرب)، يقال: نشط في عمله: خف وأسرع فيه، وأنشطت البعير من عقاله: أطلقته. و﴿نَشَاطًا﴾ وما بعده: مصادر مؤكدة لِعَوَامِلِهَا. والسبب في شدة نزع أرواح الكفار، وسهولة نزع أرواح المؤمنين: أن كلاً يرى قبل الموت مقعده الذي أعده له؛ فالؤمن يزداد فرحاً وشوقاً، فلا يشاهد ألماً ولا يحسُّ به، والكافر تأبى روحه الخروج؛ لِمَزِيدِ الحزن والكرب الذي تجده عند رؤية مقعدها في النار، فتتزعج كرهاً بشدة، فيجدها الكافر.

قوله: ﴿وَالسَّيِّحَاتِ﴾ أي: الملائكة النازلين برفق ولطف كالسباح في الماء، وكالفرس الجواد إذا أسرع في جريه؛ لقبض الأرواح، فملائكة الرحمة تذهب للمؤمن، وملائكة العذاب تذهب للكافر، فقول المفسر: (بأمره تعالى) محمول على أمر خاص وهو قبض الأرواح كما علمت؛ لترتب قوله: ﴿فَالسَّيِّقَاتِ﴾ عليه، وأما التدبير العام.. فيأتي في قوله: ﴿فَالْمُدِيرَاتِ أَمْرًا﴾.

قوله: (تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة) أي: وبأرواح الكفار إلى النار؛ ففي الكلام اكتفاء، وحينئذ: فتلك الأوصاف الأربعة للملائكة التي تقبض الأرواح.

قوله: (الملائكة تدبر أمر الدنيا... إلخ) أي: وهم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل؛ فجبريل موكل بالرياح والجنود، وميكائيل موكل بالقطر والنبات، وعزرائيل موكل بقبض الأرواح، وإسرافيل موكل بالصّور.

قوله: (أي: تنزل بتدبيره) أشار بذلك إلى أن إسناد التدبير إلى الملائكة مجاز، والمدبر حقيقة هو الله تعالى، فهم أسباب عادية مظهر للتدبير.

قوله: (لتبعثن يا كفار مكة) خصهم وإن كان البعث عاماً للمسلم والكافر؛ لأن القسم إنما يكون للمُنكر، والمسلم مُصدق بمجرد الإخبار، فلا يحتاج للإقسام.

يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ
أَوْنَانَا

(٦ - ٧) ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾: النَّفْخَةُ الْأُولَى بِهَا يَرْجُفُ كُلُّ شَيْءٍ أَي: يَتَزَلْزَلُ، فُوصِفَتْ بِمَا يَحْدُثُ مِنْهَا، ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾: النَّفْخَةُ الثَّانِيَّةُ وَبَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ سَنَةً - وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنَ ﴿الرَّاجِفَةُ﴾، فَالْيَوْمُ وَاسِعٌ لِلنَّفْخَتَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، فَصَحَّ ظَرْفُيْتُهُ لِلْبَعَثِ الْوَاقِعِ عَقِبَ الثَّانِيَةِ ..

(٨ - ١٢) ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾: خَائِفَةٌ قَلِقَةٌ، ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾: ذَلِيلَةٌ لِهَوْلٍ مَا تَرَى، ﴿يَقُولُونَ﴾ أَي: أَرْبَابُ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ اسْتِهْزَاءً وَإِنْكَاراً لِلْبَعَثِ: ﴿أَوْنَانَا﴾ - بِتَحْقِيقِ الهمزتين، وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ، وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهَيْنِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ -
حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (بها يرجف كل شيء) أي: فهذا وجه تسميتها راجفة.

قوله: ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ سُمِّيتَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تَرُدُّفُهَا وَتَأْتِي بَعْدَهَا، وَلَا شَيْءَ بَيْنَهُمَا.

قوله: (واليوم واسع... إلخ) جوابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ وَقْتَ الرَّاجِفَةِ مَوْتُ لَا بَعَثَ؛ فَكَيْفَ يَجْعَلُ ظَرْفًا لـ ﴿تُبْعَثُنَّ﴾ الْمَقْدَّرَ؟

وإيضاح جوابه: أَنَّ الْبَعَثَ يَحْصُلُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَجْمَعُ النَّفْخَتَيْنِ؛ إِذْ هُوَ مُتَّسِعٌ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: تُبْعَثُنَّ وَقْتَ حَصُولِ النَّفْخَةِ الْأُولَى الْمَتَّبِعَةِ بِالنَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ.

قوله: (للبعث) أي: المقدَّر جواباً للقسم.

قوله: ﴿قُلُوبٌ﴾ مَبْتَدَأٌ، وَ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظَرْفٌ لـ ﴿وَاجِفَةٌ﴾، وَ﴿وَاجِفَةٌ﴾: صِفَةٌ لـ ﴿قُلُوبٌ﴾، وَهُوَ الْمَسْوُوعُ لِلْإِبْتِدَاءِ بِالنُّكْرَةِ، وَ﴿أَبْصَرُهَا﴾: مَبْتَدَأٌ ثَانٍ، وَ﴿خَشِيعَةٌ﴾: خَبْرُهُ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ الْأَوَّلِ.

قوله: ﴿أَبْصَرُهَا﴾ أَي: أَبْصَارُ أَصْحَابِ الْقُلُوبِ.

قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ حِكَايَةٌ لِحَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ اسْتِعَاذٌ مِنْهُمْ.

قوله: (وإدخال ألف بينهما) أي: وتركه، فالقراءات أربع سبعيات في الموضع الأول، وأما الثاني ففيه التسهيل بوجهيه، والتَّحْقِيقُ مَعَ عَدَمِ الْإِدْخَالِ، فَتِلْكَ ثَلَاثٌ، خِلَافًا لِمَا يُوْهَمُهُ الْمَفْسِّرُ^(١).

(١) قرأ: (أثنا) و(إذا) نافع وابن عامر والكسائي بالاستفهام في الأول، والخبر في الثاني، والباقون بالاستفهام فيهما، =

لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَيْ ذَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾

﴿لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ أي: أُنزِلُ بعدَ المَوْتِ إلى الحَيَاةِ؟ والحَافِرَةُ اسمٌ لِأَوَّلِ الأمرِ، وَمِنْهُ: (رَجَعَ) فُلَانٌ فِي حَافِرَتِهِ: إِذَا رَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ، ﴿أَيْ ذَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً﴾ - وَفِي قِرَاءَةٍ: (نَاخِرَةٌ) -: بِأَلِيَّةٍ مُتَفَتِّتَةٍ نَحِيًّا؟ ﴿قَالُوا تِلْكَ﴾ أي: رَجَعْنَا إِلَى الْحَيَاةِ ﴿إِذَا﴾ إِنْ صَحَّتْ ﴿كَرَّةٌ﴾: رَجَعَةُ ﴿خَاسِرَةٌ﴾: ذَاتُ خُسْرَانٍ، قَالَ تَعَالَى:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فِي الْحَافِرَةِ﴾ متعلق بـ(مردودون).

قوله: (إلى الحياة) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿فِي﴾ بمعنى (إلى)، وَأَنَّ ﴿الْحَافِرَةَ﴾ بمعنى: الحياة.

قوله: (والحافرة اسمٌ لِأَوَّلِ الأمرِ) أي: والأصلُ فيها أَنَّ الإنسانَ إِذَا رَجَعَ فِي طريقه.. أَثَرَتْ قَدَمَاهُ فِيهَا حَفْرًا، فَهُوَ مَثَلٌ لِمَنْ يُرَدُّ مِنْ حَيْثُ جَاءَ.

قوله: ﴿أَيْ ذَا كُنَّا عِظْمًا﴾ العاملُ فِي (إِذَا) محذوفٌ يدلُّ عَلَيْهِ (مردودون)، والمعنى: أَثَرَا كُنَّا عِظَامًا بِأَلِيَّةٍ نُرَدُّ وَنُبْعَثُ؟ والاستفهامُ لِتَأْكِيدِ الإنْكَارِ.

قوله: ﴿نَخْرَةً﴾ من: نَخَرَ العِظْمُ، فَهُوَ نَخْرٌ وَنَاخِرٌ، وَهُوَ الْبَالِي الْأَجُوفُ الَّذِي تَمَرُّ بِهِ الرِّيحُ فَيُسْمَعُ لَهُ نَخِيرٌ؛ أَي: تَصَوِّتٌ.

قوله: ﴿قَالُوا تِلْكَ﴾... إلخ) حكايةٌ لِكُفْرِ آخَرِ مَفْرَعٍ عَلَى كُفْرِهِمُ السَّابِقِ. وَ﴿تِلْكَ﴾: مُبْتَدَأٌ مُشَارٌ بِهَا لِلرَّجْفَةِ وَالرَّدِّ فِي الْحَافِرَةِ، وَ﴿كَرَّةٌ﴾: خَبَرُهَا، وَ﴿خَاسِرَةٌ﴾: صَفَةٌ؛ أَي: ذَاتُ خُسْرَانٍ، وَالْمَعْنَى: إِنْ كَانَ رَجُوعُنَا إِلَى الْقِيَامَةِ حَقًّا كَمَا تَقُولُ.. فَتِلْكَ الرَّجْعَةُ رَجْعَةٌ خَاسِرَةٌ؛ لِعَدَمِ عَمَلِنَا لَهَا.

قوله: ﴿إِذَا﴾ حرفُ جوابٍ وَجِزَاءٍ عِنْدَ الْجُمْهُورِ دَائِمًا، وَقِيلَ: قَدْ لَا تَكُونُ جَوَابًا^(١).

قوله: (ذاتُ خُسْرَانٍ) أي: أَوِ الْمَرَادِ: خُسْرَانُ أَصْحَابِهَا.

قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أَنَّ هَذَا مِنْ كَلَامِهِ تَعَالَى رَدًّا عَلَيْهِمْ.

= وَسَهَّلَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو، وَالباقونَ بِالتَّحْقِيقِ، وَأَدْخَلَ بَيْنَ الْهَمْزَتَيْنِ قَالُونَ وَأَبُو عَمْرٍو وَهشامٌ بِخِلَافِ عَنْهُ أَلْفًا، وَالباقونَ بِغَيْرِ إِدْخَالٍ. انظر «السراج المنير» (٤/٤٧٧)، وَفِي (ط٢): (أربعٌ سَبْعِيَّاتٌ فِي كُلِّ مِنَ الْمَوْضِعَيْنِ)، وَقَدْ شَطَبَ عَلَيْهَا فِي (أ).

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ: (لَا تَكُونُ جِزَاءً)؛ فَإِنَّ (إِذْنَ) قَدْ تَمَحَّضَ لِلْجَوَابِ؛ بِدَلِيلِ أَنَّهُ يُقَالُ لَكَ: أَجَبْتُكَ، فَتَقُولُ: إِذْنًا أَطْنُكَ صَادِقًا؛ إِذْ لَا مُجَازَاةَ هُنَا. انظر «مغني اللبيب» (ص٣٠).

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِأَلْوَادِ
الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾

(١٣ - ١٤) ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ أي: الرّادفة التي يعقبها البعث ﴿زَجْرَةٌ﴾: نفخة ﴿وَاحِدَةٌ﴾
فإذا نفخت ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أي: كلّ الخلائق ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: بوجه الأرض أحياء بعد ما كانوا
يبتطنها أمواتاً.

(١٥ - ١٩) ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ﴾ يا مُحَمَّد ﴿حَدِيثَ مُوسَى﴾ - عامل في - ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِأَلْوَادِ
الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ - اسم الوادي
حاشية الصاوي

قوله: (نفخة) سميت زجرة؛ لأنها صيحة لا يمكن التخلف عنها.

قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ جواب شرط محذوف، قدره بقوله: (فإذا نفخت)، وسميت ساهرة؛
لأنه لا نوم عليها من أجل الخوف والحزن.

قوله: (بوجه الأرض) وقيل: أرض من فضة يخلقها الله تعالى، وقيل: جبل بالشّام يمدّه الله
تعالى يوم القيامة؛ لحشر الناس عليه، وقيل غير ذلك.

قوله: (أحياء) خبر عن ﴿هُمْ﴾، وقوله: ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ متعلق بـ(أحياء)، ولو قال: (فإذا هم أحياء
بالساهرة) .. لكان أولى.

قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ﴾... إلخ المقصود منه: تسليته ﷺ، وتحذير قومه من مخالفته، فيحصل
لهم ما حصل لفرعون، كأن الله تعالى يقول لنبيه: اصبر كما صبر موسى؛ فإن قومك وإن بلغوا
في الكفر مهما بلغوا لم يصلوا في العتوّ كفرعون، وقد انتقم الله منه مع شدة بأسه، وكثرة جنوده.
(هل) بمعنى (قد) إن ثبت أنه أتاه ذلك الحديث قبل هذا الاستفهام، وأمّا إذا لم يكن أتاه قبل
ذلك .. فالاستفهام لحمل المخاطب على طلب الإخبار.

قوله: (عامل في ﴿إِذْ نَادَاهُ﴾) أي: فـ ﴿إِذْ﴾ معمول لـ ﴿حَدِيثُ﴾، لا لـ ﴿أُنَبِّئُكَ﴾؛ لاختلاف الوقت.

قوله: ﴿الْمُقَدَّسِ﴾ أي: المطهر؛ حيث شرفه الله تعالى بإنزال النبوة فيه على موسى.

قوله: (اسم الوادي) أي: وسمي (طوى)؛ لطبي الشدائد عن بني إسرائيل، وجمع الخيرات
لموسى^(١)، وهو وادٍ بالطّور بين أيلة ومصر.

(١) وذكر المهدوي عن سيدنا ابن عباس ؓ: أنه قيل له: (طوى)؛ لأن سيدنا موسى عليه السلام طواه بالليل؛ إذ مرّ به

فارتفع إلى أعلى الوادي. انظر «تفسير القرطبي» (١١/١٧٥).

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ

بِالتَّنْوِينِ وَتَرْكِهِ - فقال: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾: تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ، ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ﴾ أَدْعُوكَ ﴿إِلَّا أَن تَزُكَّ﴾ - وفي قِرَاءَةِ بَشْدِيدِ الزَّاي بِإِدْغَامِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الْأَصْلِ فِيهَا -: تَطَهَّرَ مِنَ الشُّرْكِ بِأَن تَشْهَدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ﴾: أَذْلَكَ عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِبُرْهَانٍ

حاشية الصاوي

قوله: (بالتنوين وتركه) أي: فالتنوين باعتبار المكان وكونه نكرة، وتركه باعتبار البقعة وكونه معرفة، وهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (فقال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ معمولٌ لقولٍ محذوفٍ، ويصح أن يكون على حذف (أن) التفسيرية، أو المصدرية.

قوله: ﴿إِلَّا فِرْعَوْنَ﴾ كان طوله أربعة أشبارٍ، ولحيته أطول منه، وكانت خضراء، فاتخذ القبقاب ليمشي عليه؛ خوفاً من أن يمشي على لحيته، وهو أول من اتَّخذه. قوله: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ تعليلٌ للأمر.

قوله: (تجاوز الحد في الكفر) أي: بتكبره على الله، واستعباده خلقه.

قوله: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ﴾... إلخ) أمر الله تعالى موسى عليه السلام بأن يقول له قولاً ليناً؛ لعله يتذكر أو يخشى، فخاطبه بالاستفهام الذي معناه العَرْضُ؛ لِيَجْزُهُ إِلَى الْهَدْيِ بِاللُّطْفِ وَالرَّفْقِ.

قوله: (أدعوك... إلخ) هذا حلٌ معني، لا حلٌ إعراب، وإعرابه أن ﴿هَلْ لَكَ﴾ خبرٌ مبتدأ محذوف، و﴿إِلَّا أَن تَزُكَّ﴾ متعلقٌ بذلك المبتدأ، والتقدير: هل ثبت لك سبيلٌ وميلٌ إلى التزكية.

قوله: (وفي قراءة بتشديد الزاي) أي: سبعة أيضاً، وقوله: (بإدغام التاء الثانية) أي: على التشديد، وأمّا على التخفيف.. ففيه حذف إحدى التَّائِينَ^(٢).

قوله: ﴿وَأَهْدِيكَ﴾ معطوفٌ على ﴿تَزُكَّ﴾، وقوله: (أدلك على معرفته بالبرهان... إلخ) إشارةٌ إلى أَنَّ الدَّلَالَهَ عَلَى الْمَعْرِفَةِ تَحْصُلُ بَعْدَ التَّطَهُّرِ مِنَ الشُّرْكِ، فَهِيَ وَاجِبَةٌ وَجُوبُ الْفُرُوعِ، وَأَمَّا التَّطَهُّرُ بِالْدُخُولِ فِي الْإِسْلَامِ.. فَمِنْ وَجُوبِ الْأُصُولِ.

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بغير تنوين في الوصل، والباقون بالتنوين. انظر «السراج المنير» (٤/٤٧٩).

(٢) قرأ نافع وابن كثير بتشديد الزاي، والباقون بتخفيفها. انظر «السراج المنير» (٤/٤٧٩).

فَنَخْشَى ﴿١٩﴾ فَأَرْنَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾

﴿فَنَخْشَى﴾ : فَتَخَافُهُ .

(﴿٢٠﴾ - ﴿٢٤﴾) ﴿فَأَرْنَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ مِنْ آيَاتِهِ التَّسْعِ وَهِيَ الْيَدُ أَوْ الْعَصَا، ﴿فَكَذَّبَ﴾ فِرْعَوْنُ مُوسَى ﴿وَعَصَى﴾ اللَّهُ تَعَالَى، ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿يَسْعَى﴾ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ، حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: ﴿فَنَخْشَى﴾ جعل الخشية غايةً للهدى؛ لأنها ملاك الأمور؛ إذ هي خوفٌ مع تعظيم، فمن خشي ربه أتى منه كلُّ خيرٍ، فالخشيةُ أعظمُ من الخوف. واعلم: أنَّ أوائل العلم بالله: الخشية من الله، ثمَّ الإجلال، ثمَّ الهيبة، ثمَّ الفناء عمَّا سواه^(١).

قوله: ﴿فَأَرْنَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ عطفٌ على محذوفٍ، تقديره: فذهب إليه، وقال له ما ذكر، فطلب منه آية، فأراه... إلخ، والضمير المستتر فيه عائد على موسى، والبارز عائد على فرعون، وهو المفعول الأول، والثاني قوله: ﴿الآيَةَ﴾، و﴿الْكُبْرَى﴾: صفةٌ لـ ﴿الآيَةَ﴾.

قوله: (أو العصا) هذا هو التحقيق؛ إذ كلُّ ما في اليد حاصلٌ في العصا، وتزيدُ أموراً أخرى، فغايةُ ما في اليد انقلابٌ لونها، ولا شكَّ أنَّ العصا لما انقلبت حيَّةً لا بدَّ وأن يتغيَّرَ لونها، وتزيدُ القوةُ الشديدة، وابتلاعها أشياء كثيرةً، وكونها تصيرُ حيواناً، ثمَّ تصيرُ جماداً، وغير ذلك؛ إذ كلُّ واحدٍ من هذه الوجوه مُعْجَزٌ، ولا يصحُّ أن يراد بـ (الآية الكبرى) مجموعُ معجزاته؛ لأنَّ ما ظهر على يده من بَقِيَّةِ الآيات إنَّما كان بعدما غلب السَّحرة.

قوله: ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعونُ موسى) أي: في كون ما أتى به من عند الله.

قوله: ﴿وَعَصَى﴾ أي: بعدما رأى الآيات.

قوله: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ أي: تولَّى وأعرض عن الإيمان.

قوله: ﴿يَسْعَى﴾ حالٌ من الضمير في ﴿أَذْبَرَ﴾.

(١) فالعلم حيثما تكرَّر في الكتاب العزيز، أو في السَّنة... إنَّما المراد به: العلمُ النَّافع الذي تُقارنه الخشية، وتكتنفه المخافة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، فبيَّن أنَّ الخشية تُلازم العلم، وفُهم من هذا: أنَّ العلماء إنما هم أهل الخشية، وأنَّ المراد بالعلم: العلم النَّافع، القاهر للهِوى القامع، وذلك مُتَعَيَّنٌ بالضرورة؛ لأنَّ كلام الله تعالى، وكلام رسول الله عليه الصلاة والسلام أجلُّ من أن يُحمل على غير هذا. انظر «التنوير في إسقاط التدبير» (ص ١٢١).

فَحْشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٢٦﴾ ءَأَنْتُمْ

﴿فَحْشَرَ﴾: جَمَعَ السَّحَرَةَ وَجُنْدَهُ ﴿فَنَادَى﴾ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ لَا رَبَّ فَوْقِي .
 ﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾ ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾: أَهْلَكَهُ بِالْغَرَقِ ﴿نَكَالَ﴾: عُقُوبَةً ﴿الْآخِرَةِ﴾ أَي: هَذِهِ
 الْكَلِمَةُ ﴿وَالْأُولَى﴾ أَي: قَوْلُهُ قَبْلُهَا: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]
 وَكَانَ بَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ سَنَةً، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورِ ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ اللَّهُ تَعَالَى .
 ﴿٢٧﴾ - ﴿٢٩﴾ ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ - بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ وَإِبْدَالِ الثَّانِيَةِ أَلِفًا وَتَسْهِيلِهَا وَإِدْخَالَ أَلِفِ

حاشية الصاوي

قوله: (جمع السحرة) أي: لِلْمُعَارَضَةِ، وقوله: (وجنده) أي: للقتال، وكان السحرة اثنين وسبعين، اثنان من القبط، والسبعون من بني إسرائيل، وتقدم في (الأعراف) جملة أقوال في عددهم^(١)، وكانت عدة بني إسرائيل ست مئة ألف وسبعين ألفاً، وعدة جيش فرعون ألف ألف وست مئة ألف.

قوله: ﴿فَنَادَى﴾ أي: بِنَفْسِهِ، أَوْ بِمُنَادِيهِ.

قوله: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ أي: بعدما قال له موسى: رَبِّ أَرْسَلْنِي إِلَيْكَ؛ فَإِنْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ تَكُونُ أَرْبَع مئة سنة في النعيم والسرور، ثُمَّ تَمُوتُ فَتَدْخُلُ الْجَنَّةَ، فقال: حَتَّى أَسْتَشِيرَ هَامَانَ، فَاسْتَشَارَهُ، فقال: أَتَصِيرُ عَبْدًا بعدما كُنتَ رَبًّا، فعند ذلك جمع السحرة والجنود، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا.. قام عدو الله على سريرهِ فقال: (أنا ربكم الأعلى)^(٢).

قوله: ﴿نَكَالَ﴾ منصوب على أنه مصدر لـ (أخذ)، والمعنى: أَخَذَهُ أَخْذَ نَكَالٍ، أَوْ مَفْعُولٍ لِأَجْلِهِ؛ أَي: لِأَجْلِ نَكَالِهِ.

قوله: (أي: هذه الكلمة) أي: وهي قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾.

قوله: (المذكور) أي: من التكذيب والعصيان والإدبار والحشر والنِّدَاءِ الواقع من فرعون.

قوله: ﴿لِمَن كَانَ مِنْ شَأْنِهِ الْخَشْيَةُ﴾، وَخَصَّهُم بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِذَلِكَ.

قوله: ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ استفهامٌ تَقْرِيعٌ وَتَوْبِيخٌ لِمُنْكَرِي الْبَعْثِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ.

(١) انظر (٢/٥٨٢).

(٢) أورده البقاعي في «نظم الدرر» (٢١/٢٣٣) عن حمزة الكرماني.

أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَنكَهَا فَسَوَّيْنَهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾

بَيْنَ الْمُسْهَلَةِ وَالْأُخْرَى وَتَرْكِهِ - أَي: مُنْكَرُو الْبَعْثِ ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ أَشَدُّ خَلْقًا؟ ﴿بَنَاهَا﴾ بَيَانٌ لِكَيْفِيَّةِ خَلْقِهَا، ﴿رَفَعَ سَنَكَهَا﴾ تَفْسِيرٌ لِكَيْفِيَّةِ الْبِنَاءِ، أَي: جَعَلَ سَمَتَهَا فِي جِهَةِ الْعُلُوِّ رَفِيعًا، وَقِيلَ: سَمَكُهَا سَقْفُهَا ﴿فَسَوَّيْنَهَا﴾: جَعَلَهَا مُسْتَوِيَةً بِلا عِيبٍ، ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾: أَظْلَمَهُ ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾: أَبْرَزَ نُورَ شَمْسِهَا، وَأُضِيفَ إِلَيْهَا اللَّيْلُ لِأَنَّهُ ظَلَّمَهَا وَالشَّمْسُ لِأَنَّهَا سِرَاجُهَا.

حاشية الصاوي

قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي: مع إدخال ألف وتركه، فالقراءات خمسٌ سبعيات: التحقيق والتسهيل؛ إمَّا مع ألف، أو تركها، والإبدال^(١).

قوله: ﴿أَمِ السَّمَاءُ﴾ أي: فَمَنْ قَدَرَ عَلَى خَلْقِهَا مَعَ عَظَمَتِهَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِعَادَةِ، وَهُوَ عَظْفٌ عَلَى ﴿ءَأْتَمْتُمْ﴾، فَالْوَقْفُ عَلَى ﴿السَّمَاءُ﴾، وَالْإِبْتِدَاءُ بِمَا بَعْدَهَا.

قوله: ﴿أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أشار بذلك إلى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿أَمِ السَّمَاءُ﴾ مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ مَحذُوفٌ، دَلٌّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ. قوله: ﴿رَفَعَ سَنَكَهَا﴾ أي: ثَخَنَهَا وَغَلَّظَهَا، وَهُوَ الِارْتِفَاعُ الَّذِي بَيْنَ سَطْحِ السُّفْلَى الْأَسْفَلِ وَسَطْحِهَا الْأَعْلَى، وَقَدْرُهُ خَمْسُ مِائَةٍ عَامٍ.

قوله: (أي: جعل سَمَتَهَا) أي: مِقْدَارُ ذَهَابِهَا فِي سَمَتِ الْعُلُوِّ، فَالْمُرَادُ بِالسَّمَتِ: السَّمْكُ.

قوله: (وقيل: سمكها: سَقْفُهَا) أي: فَمَعْنَى: ﴿رَفَعَ سَنَكَهَا﴾ عَلَى هَذَا: جَعَلَهَا مَرْفُوعَةً عَنِ الْأَرْضِ.

قوله: (جَعَلَهَا مُسْتَوِيَةً) أي: مِلْسَاءً لَيْسَ فِيهَا ارْتِفَاعٌ وَلَا انْخِفَاضٌ.

قوله: (أَظْلَمَهُ) أي: جَعَلَهُ مَظْلَمًا بِمَغِيبِ شَمْسِهَا.

قوله: (أَبْرَزَ نُورَ شَمْسِهَا) الْمُرَادُ بِنُورِ الشَّمْسِ: النَّهَارُ؛ لِوُقُوعِهِ فِي مُقَابَلَةِ اللَّيْلِ، فَكُنِيَ بِالنُّورِ عَنِ النَّهَارِ، وَعَبَّرَ عَنِ النَّهَارِ بِالضَّحَى لِأَنَّهُ أَكْمَلُ أَجْزَائِهِ.

قوله: (لَأَنَّهُ ظَلَّمَهَا) أي: لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَظْهَرُ عِنْدَ الْغُرُوبِ مِنْ أَفْقِ السَّمَاءِ.

قوله: (لَأَنَّهَا سِرَاجُهَا) أي: الشَّمْسُ سِرَاجُ السَّمَاءِ، وَفِيهِ: أَنَّهُ يَقْتَضِي أَنَّ ضَوْءَ الشَّمْسِ يَظْهَرُ

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، والباقون بتحقيقهما، وأدخل بينهما ألفاً قالون وأبو عمرو وهشام، والباقون بغير إدخال. انظر «السراج المنير» (٤/٤٨٠).

وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحْنَهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَهَا ﴿٣٢﴾ مَنَّا

(٣٠ - ٣٣) ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحْنَهَا﴾: بَسَطَهَا وَكَانَتْ مَخْلُوقَةً قَبْلَ السَّمَاءِ مِنْ غَيْرِ دَحْوٍ، ﴿أَخْرَجَ﴾ - حال بِإِضْمَارٍ (قَدْ) - أَي: مُخْرِجاً ﴿مِنْهَا مَاءَهَا﴾ بِتَفْجِيرِ عُيُونِهَا ﴿وَمَرْعَهَا﴾: مَا تَرَعَاهُ النَّعَمُ مِنَ الشَّجَرِ وَالْعُشْبِ وَمَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ مِنَ الْأَقْوَاتِ وَالثَّمَارِ، وَإِطْلَاقُ الْمَرْعَى عَلَيْهِ اسْتِعَارَةٌ، ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَهَا﴾: أَثْبَتَهَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لِتَسْكُنَ؛ ﴿مَنَّا﴾ - مَفْعُولٌ لَهُ لِمُقَدَّرٍ - أَي: فَعَلَ ذَلِكَ مُتَعَةً، أَوْ مَصْدَرٌ أَي: تَمْتِيعاً

حاشية الصاوي

في السماء مع أَنَّ المقرَّرَ خلافه، وهو أَنَّ نورها إِنَّمَا يَظْهَرُ فِي الْأَرْضِ، فنور السماوات بنور العرش، ويجبُ: بَأَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهَا مَوْضِعَ سَرَّاجٍ لَهَا أَنْ يَكُونَ نُورُهَا بِهِ.

قوله: ﴿وَالْأَرْضَ﴾ منصوبٌ على الاشتغال.

قوله: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أَي: بِالْفِي عامٍ، وقوله: ﴿دَحْنَهَا﴾ يقال: دَحَا يَذْخُو دَحْواً وَدَحِيّاً؛ ك(دعا)^(١): بَسَطَ وَمَدَّدَ، فهو من ذواتِ الواو والياء.

قوله: (وكانت مخلوقة... إلخ) أَي: فَلَا مُعَارَضَةَ بَيْنَ مَا هُنَا وَآيَةِ (فصلت)^(٢)؛ لِأَنَّهُ ابْتَدَأَ خَلْقَ الْأَرْضِ غَيْرَ مَدْحُوءَةٍ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاءَ، ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ.

قوله: (وإطلاق المرعى عليه) أَي: عَلَى مَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ.

قوله: (استعارة) أَي: مُجَازٌ، فَاسْتَعْمَلَ الْمَرْعَى فِي مُطْلَقِ الْمَأْكُولِ لِلْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، مِنْ اسْتِعْمَالِ الْمُقَيَّدِ فِي الْمَطْلَقِ، أَوْ هُوَ اسْتِعَارَةٌ تَصْرِيحِيَّةٌ؛ حَيْثُ شَبَّهَ أَكْلَ النَّاسِ بِمَرْعَى الدَّوَابِّ.

قوله: (مفعولٌ له لمقدَّر) أَي: لِفِعْلِ مُقَدَّرٍ، وقوله: (أو مصدر) أَي: تَمْتِيعاً؛ ك(السَّلام) بِمَعْنَى (التَّسْلِيمِ)، وَهُوَ لِفِعْلِ مُقَدَّرٍ أَيْضاً، تَقْدِيرُهُ: (مَتَّعْنَاكُمْ بِهَا تَمْتِيعاً).

(١) كذا في الأصول، ولعلَّها: ك(عدا)، وانظر «المختار»، مادة (د ح ا).

(٢) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وَيَجْعَلُ فِيهَا رُؤُوسَ مِنْ قَوْفِهَا وَيُكَرِّمُ فِيهَا قَوْمًا فِيهَا أَقْوَاتُهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمِئِذٍ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنْتِمَا طَوْعاً أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْنُوعٍ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.

لَكُمْ وَلِأَنْعِمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ

﴿لَكُمْ وَلِأَنْعِمِكُمْ﴾ : جَمَعَ نَعَمَ وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالغَنَمُ .

﴿٣٤﴾ - ﴿٣٦﴾ : ﴿إِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ : النَّفْخَةُ الثَّانِيَّةُ ، ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ - بَدَلُ مِنْ (إِذَا) - ﴿مَا سَعَى﴾ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، ﴿وَبُرْزَتِ﴾ : أَظْهَرَتْ ﴿الْجَحِيمُ﴾ : النَّارُ الْمُحْرَقَةُ ﴿لِمَن يَرَى﴾ : لِكُلِّ رَأْيٍ . وَجَوَابُ (إِذَا) :

﴿٣٧﴾ - ﴿٤١﴾ : ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ : كَفَرَ ، ﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ ، ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ : مَأْوَاهُ ؛ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ : قِيَامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ﴿وَنَهَى النَّفْسَ الْأَمَّارَةَ﴾

حاشية الصاوي

قوله : ﴿لَكُمْ وَلِأَنْعِمِكُمْ﴾ : خَصَّ الْأَنْعَامَ ؛ لِشَرْفِهَا ، وَإِلَّا . . . فَهُوَ مَتَاعٌ لِسَائِرِ دَوَابِّ الْأَرْضِ .

قوله : ﴿إِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ : الْفَاءُ : فَاءُ الْفَصِيحَةِ ، أَفْصَحَتْ عَنْ جَوَابِ شَرْطِ مُقَدَّرٍ ، تَقْدِيرُهُ : إِذَا عَلِمْتَ مَا تَقَدَّمَ . . . إلخ .

قوله : ﴿الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ : أَيُ : الدَّاهِيَةُ الَّتِي تَعْلُو عَلَى الدَّوَاهِي ، فَهِيَ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ عَظِيمٍ ، وَخَصَّ مَا هُنَا بِ(الطَّامَّةِ الْكُبْرَى) ؛ مُوَافَقَةً لِقَوْلِهِ قَبْلُ : ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ ، بِخِلَافِ مَا فِي (عَبَسَ) ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، فَخَصَّتْ بِ(الصَّاحَةِ) ، وَهِيَ الصَّوْتُ الشَّدِيدُ الْوَاقِعُ بَعْدَ الدَّاهِيَةِ الْكُبْرَى ، فَنَاسِبٌ جَعَلَ الطَّمَّ لِلْسَّابِقَةِ ، وَالصَّخَّ لِلْآخَةِ .

قوله : (بَدَلُ مِنْ «إِذَا») أَيُ : بَدَلُ كُلِّ ، أَوْ بَعْضُ .

قوله : ﴿وَبُرْزَتِ﴾ : عَطَفَ عَلَى ﴿جَاءَتِ﴾ ، وَالْعَامَّةُ عَلَى بَنَائِهِ لِلْمَفْعُولِ مُشَدَّدًا ، وَ﴿لِمَن يَرَى﴾ : بَيَاءُ الْغِيَةِ مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ ، وَمَعْنَاهُ : يُبْصِرُ ، وَهُوَ مِثْلُ فِي الْأَمْرِ الْمُنْكَشِفِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ .

قوله : (لِكُلِّ رَأْيٍ) أَيُ : مِنْ كُلِّ مَنْ لَهُ عَيْنٌ وَبَصَرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِ ، لَكِنِ النَّاجِي لَا يَصْرِفُ بَصَرَهُ إِلَيْهَا ، فَلَا يَرَاهَا بِالْفِعْلِ ، وَالْكَافِرُ هِيَ مَأْوَاهُ .

قوله : (وَجَوَابُ «إِذَا» : ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ . . . إلخ) فِيهِ نَوْعٌ تَسَاهُلٍ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ : ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ . . . إلخ : بَيَانٌ لِحَالِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا ، وَقَوْلُهُ : ﴿إِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ﴾ . . . إلخ : بَيَانٌ لِحَالِهِمْ فِي الْآخِرَةِ ،

عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾

﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾ المُرْدِي بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ، ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ وَحَاصِلُ الْجَوَابِ: فَالْعَاصِي فِي النَّارِ وَالْمُطِيعُ فِي الْجَنَّةِ.

(٤٢ - ٤٤) ﴿يَسْتَلُونَكَ﴾ أَي: كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾: مَتَى وَقُوعُهَا وَقِيَامُهَا؟

حاشية الصاوي

فَالأَوَّلَى مَا سَلَكَه غَيْرُهُ مِنْ أَنَّ الْجَوَابَ مَحذُوفٌ، يَدُلُّ عَلَيْهِ التَّفْصِيلُ الْمَذْكُورُ، تَقْدِيرُهُ: (دَخَلَ أَهْلُ النَّارِ النَّارَ، وَأَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ).

قوله: (باتباع الشهوات) أي: المحرمات.

قوله: (ماواه) أي: فذل) عوضٌ عن الضمير العائد على ﴿مَنْ طَغَى﴾.

قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ مُقَابِلُ قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى...﴾ إلخ.

واعلم: أَنَّ الخوف من الله تعالى مَرْتَبَتَانِ: مَرْتَبَةُ الْعَامَّةِ، وَهِيَ الْخَوْفُ مِنَ الْعَذَابِ، وَمَرْتَبَةُ الْخَاصَّةِ، وَهِيَ الْخَوْفُ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْآيَةُ صَادِقَةٌ بِهِمَا.

وأُضِيفَ الْمَقَامُ لِلَّهِ تَعَالَى وَإِنْ كَانَ وَصْفًا لِلْعَبْدِ؛ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَقَامًا لِحِسَابِهِ.

قوله: (الأمارة) قِيدَ بِهَا؛ لِأَنَّهَا هِيَ تَكُونُ مَذْمُومَةً الْهَوَى، وَأَمَّا غَيْرُهَا.. فَهَوَاهَا مَحْمُودٌ؛ لِمَا فِي الْحَدِيثِ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَابِعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»^(١).

قوله: (المُرْدِي) أي: المَهْلِكُ، وَقَوْلُهُ: (باتباع الشهوات) متعلق بـ(المُرْدِي)، والباء: سببية.

قوله: (وَحَاصِلُ الْجَوَابِ... إلخ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (أَمَّا) لِمَجَرَّدِ التَّأْكِيدِ، وَلَيْسَتْ لِلتَّفْصِيلِ؛ لِعَدَمِ تَقَدُّمِ مُقْتَضِيهِ، وَصَارَ الْمَعْنَى: فَالْعَاصِي فِي النَّارِ... إلخ، وَفِيهِ: أَنَّهُ يُحَوِّجُ لَتَكْلُفٍ، فَالْأَحْسَنُ مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ أَنَّ الْجَوَابَ مَحذُوفٌ، وَالْآيَةُ دَلِيلٌ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ تَفْسِيرٌ لِسُؤَالِهِمْ.

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وقال الإمام النووي في «الأربعين»: (حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح)، وفيهما: (تبعاً) بدل (تابعاً).

فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِنْكَ رَبِّكَ مُنْهَهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

﴿فِيمَ﴾: في أي شيء ﴿أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ أي: لَيْسَ عِنْدَكَ عِلْمُهَا حَتَّى تَذْكُرَهَا، ﴿إِنْكَ رَبِّكَ مُنْهَهَا﴾: مُنْهَى عِلْمِهَا لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ.

(٤٥ - ٤٦) ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾: إِنَّمَا يَنْفَعُ إِنْذَارُكَ ﴿مَنِ يَخْشَاهَا﴾: يَخَافُهَا، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في قُبُورِهِمْ ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ أي: عَشِيَّةً يَوْمَ أَوْ بُكْرَتَهُ، وَصَحَّ إِضَافَةُ الضُّحَى إِلَى الْعَشِيَّةِ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُلَابَسَةِ؛ إِذْ هُمَا طَرَفَا النَّهَارِ، وَحَسَّنَ الْإِضَافَةَ.....
حاشية الصاوي

قوله: ﴿فِيمَ أَنْتَ﴾ ﴿فِيمَ﴾: خبرٌ مقدَّم، و﴿أَنْتَ﴾: مُبْتَدَأٌ مؤخَّر، وقوله: ﴿مَنِ يَخْشَاهَا﴾: متعلِّقٌ بما تعلَّقَ به الخبر، والاستفهام إنكاريٌّ، والمعنى: ما أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا لَكُمْ وَتَبَيَّنَ وَقْتُهَا فِي شَيْءٍ، فَلَيْسَ لَكَ عِلْمٌ بِهَا حَتَّى تُخَبِّرَهُمْ بِهِ، وَهَذَا قَبْلَ إِعْلَامِهِ بِوَقْتِهَا، فَلَا يُنَافِي أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِجَمِيعِ مُغَيِّبَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَكِنْ أَمَرَ بِكُتْمِ أَشْيَاءٍ مِنْهَا، كَمَا تَقَدَّمَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ غَيْرَ مَرَّةٍ (١).

قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ أي: إِنَّكَ مَرْسَلٌ بِالْإِنْذَارِ لِمَنْ يَخَافُهَا، وَهُوَ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى عِلْمِ الْمُنْذِرِ بِوَقْتِ قِيَامِهَا. وَخَصَّ مَنْ يَخْشَى بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ الْمُنْتَفِعُ بِهَا، وَقَدْ أَشَارَ لَهُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (إِنَّمَا يَنْفَعُ إِنْذَارُكَ).

قوله: (يَخَافُهَا) أي: يَخَافُ هَوْلَهَا.

قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ أي: كَفَارَ قَرِيشٍ.

قوله: ﴿إِلَّا عَشِيَّةً﴾ هي مِنَ الزَّوَالِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، وقوله: ﴿أَوْ ضُحَاهَا﴾ أي: ضُحَى عَشِيَّةٍ مِنَ الْعِشَايَا، وَهِيَ الْبُكْرَةُ إِلَى الزَّوَالِ، وَالْمُرَادُ: سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، مِنْ أَوَّلِهِ أَوْ آخِرِهِ؛ لَا عَشِيَّةً بَتَمَامِهَا، أَوْ ضُحَاةً بَتَمَامِهَا.

قوله: (أي: عَشِيَّةً يَوْمٍ... إلخ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ التَّنْوِينَ عَوْضٌ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ.

قوله: (وَصَحَّ إِضَافَةُ الضُّحَى... إلخ) جَوَابٌ عَنْ سُؤَالِ مُقَدِّرٍ، تَقْدِيرُهُ: الْعَشِيَّةُ لَا ضُحَى لَهَا،

(١) وَهُوَ الَّذِي نَقَلَهُ الْإِمَامُ اللَّقَافِي فِي «هُدَايَةِ الْمُرِيدِ لِجَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ» (٢/٩٧٥) عَنْ جَمْعٍ، وَانْظُرْ (٥/٢٧٤).

وُقُوعُ الْكَلِمَةِ فَاصِلَةً.

حاشية الصاوي

وَأَنَّمَا الضَّحَى لِلْيَوْمِ؛ فَمَا وَجْهُ إِضَافَةِ (الضَّحَى) لضمير (العشية)؟ فَأَجَابَ: بِأَنَّهِنَّ لَمَّا كَانَتَا مِنْ يَوْمٍ وَاحِدٍ.. . كَانَ بَيْنَهُمَا مُلَابَسَةٌ، فَصَحَّ إِضَافَةُ إِحْدَاهُمَا لِلْأُخْرَى.

قوله: (وُقُوعُ الْكَلِمَةِ فَاصِلَةً) أَي: رَأْسَ آيَةٍ، تَنَاسُبُ رُؤُوسِ الْآيِ قَبْلَهَا.



﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾



مَكِّيَّة، اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿عَبَسَ﴾ النَّبِيُّ: كَلَحَ وَجْهَهُ ﴿وَتَوَلَّى﴾: أَعْرَضَ لِأَجْلِ ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾
عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ
حاشية الصاوي

سُورَةُ عَبَسَ

وُتُسَمَّى سُورَةُ (السَّفَرَةِ)، وَسُورَةُ (الأَعْمَى).

قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾... إلخ) إِنَّمَا أَتَى بِضُمَائِرِ الْغَيْبَةِ؛ تَلَطَّفًا بِهِ ﷺ، وَإِجْلَالًا لَهُ؛ لِمَا فِي الْمَشَافَهَةِ بِنَاءِ الْخُطَابِ مَا لَا يَخْفَى مِنَ الشَّدَّةِ وَالصَّعُوبَةِ، وَهَذَا نَظِيرُ تَقْدِيمِ الْعَفْوِ عَلَى الْعِقَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ...﴾ [الأنفال: ٦٨] إلخ، وَنَاهِيكَ بِذَلِكَ مُحَبَّةً وَشَرَفًا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَائِشَةَ: (مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاك) ^(١)، فَسَيِّئَاتِ الْمَحْبُوبِ حَسَنَاتٍ، قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الشَّاذِلِيُّ: (وَاجْعَلْ سَيِّئَاتِنَا سَيِّئَاتٍ مِّنْ أَحَبِّتِ) ^(٢).

قوله: (كَلَحَ) بِالْتَخْفِيفِ، مِنْ بَابِ (خَضَعَ)، وَ(وَجْهُهُ): فَاعِلٌ.

قوله: ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ (تَنَازَعَهُ كُلُّ مَنْ ﴿عَبَسَ﴾ وَتَوَلَّى)، أَعْمَلُ الْأَوَّلِ عَلَى مَذْهَبِ الْكُوفِيِّينَ، أَوِ الثَّانِي عَلَى مَذْهَبِ الْبَصَرِيِّينَ، وَأَضْمَرَ فِي الْمَهْمَلِ، وَحَذَفَ.

قوله: (عَبْدُ اللَّهِ) أَي: ابْنُ شَرِيحِ بْنِ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ الْفَهْرِيِّ، مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤْيٍ، اشتهر

(١) رواه البخاري (٤٧٨٨).

(٢) قِطْعَةٌ مِنْ وَرْدِهِ الْمُبَارَكِ الْمُسَمَّى بِالْحَزْبِ الْكَبِيرِ، أَوْ حَزْبِ الْبَرِّ.

فَقَطَّعَهُ عَمَّا هُوَ مَشْغُولٌ بِهِ مِمَّنْ يَرْجُو إِسْلَامَهُ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ الَّذِي هُوَ حَرِيصٌ عَلَى إِسْلَامِهِمْ، وَلَمْ يَدْرِ الْأَعْمَى أَنَّهُ مَشْغُولٌ بِذَلِكَ، فَنَادَاهُ: عَلَّمَنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ، فَعُوتِبَ فِي ذَلِكَ بِمَا نَزَلَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ إِذَا جَاءَ: «مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي»،

حاشية الصاوي

بِأَمِّ أَبِيهِ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَاسْمُهَا: عَاتِكَةُ بِنْتُ عَامِرٍ الْمَخْزُومِيِّ، أَسْلَمَ قَدِيمًا بِمَكَّةَ، وَكَانَ ابْنُ خَالَةِ حَدِيدِجَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَاسْتَخْلَفَهُ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ مَرَّةً فِي غَزَوَاتِهِ، قُتِلَ شَهِيدًا بِالْقَادِسِيَّةِ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: (رَأَيْتُهُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ، وَمَعَهُ رَايَةُ سُودَاءِ) ^(١).

قوله: (فَقَطَّعَهُ عَمَّا هُوَ مَشْغُولٌ بِهِ) (ما): واقعةٌ على القوم؛ بدليل قوله: (مَنْ يَرْجُو إِسْلَامَهُ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ)، ففيه إطلاق (ما) على العاقل، وهو مذهب سيّويه ^(٢).

قوله: (الَّذِي هُوَ حَرِيصٌ عَلَى إِسْلَامِهِمْ) نعت لـ (أشرف قريش)، وكان المناسب التعبير بـ (الذين).

قوله: (فَنَادَاهُ) أي: وكرّر ذلك، وقوله: (مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ) أي: وهو القرآن والإسلام.

وإيضاح ما قاله المفسر: أَنَّ الْأَعْمَى جَاءَهُ وَعِنْدَهُ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ؛ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ، وَأَبُو جَهْلٌ بْنُ هِشَامٍ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ رَجَاءً أَنْ يُسَلِّمَ أُولَئِكَ الْأَشْرَافَ الَّذِينَ كَانَ يُخَاطِبُهُمْ، فَيَتَأَيَّدَ بِهِمُ الْإِسْلَامَ، وَيُسَلِّمَ بِإِسْلَامِهِمْ أَتْبَاعَهُمْ، فَتَعَلُّوْا كَلِمَةَ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَقْرِئْنِي وَعَلَّمَنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ تَعَالَى)، وَكَرَّرَ ذَلِكَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَتَشَاغَلَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْقَوْمِ، فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَطْعَهُ لِكَلَامِهِ وَعَبَسَ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: يَقُولُ هَؤُلَاءِ الصَّنَادِيدُ إِنَّمَا اتَّبَعَهُ الْعُمَيَّانُ وَالْعَبِيدُ وَالسُّفَلَةُ، فَعَبَسَ وَجْهَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ يُكَلِّمُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ ^(٣).

إِنْ قُلْتُ: إِنَّ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ السَّمْعِ مَا يُغْنِي عَنِ الْبَصَرِ، فَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَرَ الْقَوْمَ لَكِنَّهُ لَشِدَّةَ سَمْعِهِ كَانَ يَسْمَعُ مَخَاطَبَةَ النَّبِيِّ ﷺ مَعَهُمْ، وَحِينَئِذٍ: فَيَكُونُ إِقْدَامُهُ عَلَى قَطْعِ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا لَهَ، فَيَكُونُ مَعْصِيَةً؛ فَكَيْفَ يُعَاتَبُ عَلَيْهِ ﷺ؟ وكيف يقول المفسر: (ولم يدر الأعْمَى... إلخ)؟

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٣١٢٣)، وابن سعد في «الطبقات» (٢١٢/٤).

(٢) وإن كان المشهور خلافه الذي هو مذهب الجمهور، وعليه: يُلتَمَسُ لإطلاقها على العقل هنا وجهٌ وضرب من التجوز؛ ككونهم بمنزلة غير العاقل؛ لِعَدَمِ إيمانهم. «فتوحات» (٥٠٧/٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١٨/٢٤)، وانظر «السراج المنير» (٤٨٤/٤).

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ أَمَّا مَنْ أَسْتَفْنَى ﴿٥﴾

وَيَبْسُطُ لَهُ رِداًءَهُ.

(٣ - ٤) ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾: يُعْلِمُكَ ﴿لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ - فيه إدغامُ التَّاءِ في الأصل في الزَّاي - أي: يَنْطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ بِمَا يَسْمَعُ مِنْكَ، ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ - فيه إدغامُ التَّاءِ في الأصل في الذَّال - أي: يَتَعَطَّرُ ﴿فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى﴾: الْعِظَةُ الْمَسْمُوعَةُ مِنْكَ. - وفي قِرَاءَةِ بِنَصْبٍ (تَنْفَعُهُ) جَوَابُ التَّرْجِي -.

(٥ - ٧) ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَفْنَى﴾ بِالْمَالِ

حاشية الصاوي

أجيب: بأنَّ عدمَ علمِهِ لَعَلَّه من أجل دهْشَتِهِ بِقُدُومِهِ على رسول الله، ولا شكَّ أنَّ جلاله ﷺ وجماله يُدهِشُ العقولَ، ولا سيَّما بالمحبِّ المشتاق الرَّاغِبِ في التَّعليمِ، وعتابُهُ ﷺ بالنَّظرِ لِمَا علمه الله مِنْ طَرْدِهِمْ عن رحمته، لا بالنَّظرِ لظاهر شرعِهِ، وإلَّا.. فهو ﷺ لم يفعل مَكْرُوهًا، ولا خِلافَ الأولى؛ إذ الأهمُّ مُقَدِّمٌ على المهمِّ، وإثما ذلك من باب: (حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ).

قوله: (يَبْسُطُ لَهُ رِداًءَهُ) أي: ويقولُ له: «هل لك من حاجة؟»^(١).

قوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فيه التَّفَاتُ من الغيبةِ إلى الخطاب.

و(ما): استفهاميَّةٌ مبتدأ، وجملة ﴿يُدْرِيكَ﴾: خبره، والكاف: مفعول أوَّل، وجملة قوله: ﴿لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ سادَّةٌ مسدَّةٌ للمفعول الثاني.

قوله: (أي: يَنْطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ) أي: لا مِنْ الشُّرْكِ؛ لَأَنَّهُ أَسْلَمَ قَدِيمًا بِمَكَّةَ.

قوله: ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ عطفٌ على ﴿يَزَكِّي﴾.

قوله: ﴿فَتَنْفَعُهُ﴾ بالرفعِ عطفٌ على ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾.

قوله: (وفي قِرَاءَةٍ) أي: وهي سَبْعِيَّةٌ أيضًا^(٢).

قوله: ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَفْنَى﴾ أي: عَمَّا عِنْدَكَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ وَالْعُلُومِ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/٢١٨)، والديلمي في «الفردوس» (٦٥١٠) بنحوه عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) قرأ عاصم بِنَصْبِهِ، والباقون بِرَفْعِهِ. انظر «الدر المصون» (١٠/٦٨٦).

فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ
لَلْهُىَّ ﴿١٠﴾ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾

﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ - وفي قراءة بتشديد الصاد بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها -: تُقْبِلُ وَتَتَعَرَّضُ. ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ﴾: يُؤْمِنَ.

(٨ - ١٠) ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ - حال من فاعِل (جاء) - ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ الله - حال من فاعِل ﴿يَسْعَى﴾ وهو الأعمى - ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ لَلْهُىَّ﴾ - فيه حذف التاء الأخرى في الأصل - أي: تتشاغل.

(١١ - ١٦) ﴿كَلَّا﴾ لا تفعل مثل ذلك، ﴿إِنَّهَا﴾ أي: السورة أو الآيات ﴿تَذْكِرَةٌ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ الجار والمجرور متعلق بـ ﴿تَصَدَّى﴾، قُدم عليه؛ رعاية للفاصلة. وأصل (تَصَدَّى): (تَصَدَّد)، أبدلت الدال الثانية حرف علة.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (تُقبل) أي: بالإصغاء إلى كلامه.

قوله: ﴿وَمَا عَلَيْكَ... إلخ﴾ (ما): نافية، و﴿عَلَيْكَ﴾: خبر مبتدأ محذوف، وقوله: ﴿أَلَّا يَرْكَبَ﴾ متعلق بالمبتدأ المحذوف، والتقدير: ليس عليك بأسٌ في عدم تركيته^(٢).

قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ أي: يُسرع ويمشي في طلب الخير.

قوله: (وهو الأعمى) تفسير (لَمَنْ).

قوله: (أي: تتشاغل) أي: بدعاء قريش إلى الإسلام، وهذا الشغل وإن كان واجباً عليه إلا أنه عُوتب عليه؛ نظراً للحقيقة كما علمت.

قوله: (لا تفعل مثل ذلك) رُوي: «أنه ما عبس بعد ذلك في وجه فقيرٍ قط، ولا تصدَّى لغني»^(٣).

(١) قرأ نافع وابن كثير بتشديد الصاد بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، والباقون بالتخفيف. انظر «السراج المنير» (٤٨٤/٤).

(٢) ويجوز أن تكون (ما) استفهامية للإنكار؛ أي: أي شيء عليك في ألا يتزكى؟ ومآله التفي أيضاً. انظر «البحر المحيط» (٤٠٧/١٠).

(٣) انظر «تفسير النيسابوري» (٤٤٦/٦)، و«تفسير أبي السعود» (١٠٨/٩).

فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُلْ
الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ﴿١٧﴾

عِظَةُ لِلْخَلْقِ، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾: حَفِظَ ذَلِكَ فَاتَّعَظَ بِهِ، ﴿فِي صُحُفٍ﴾ - خَبَرَ ثَانٍ لـ ﴿إِنْتَهَا﴾، وما قبله
اعتراض - ﴿مُكْرَمَةٍ﴾ عند الله، ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ فِي السَّمَاءِ ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾: مُنْزَهَةٌ عَنْ مَسِّ الشَّيَاطِينِ،
﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾: كَتَبَتْ يَنْسَخُونَهَا مِنَ اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾: مُطِيعِينَ لِلَّهِ تَعَالَى وَهُمْ
الْمَلَائِكَةُ.

(﴿١٧﴾ - ﴿٢٢﴾) ﴿قُلْ الْإِنْسَانُ﴾: لُعِنَ الْكَافِرُ ﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾ - اسْتَفْهَامُ تَوْبِيخٍ -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ذَكَرْهُ﴾ (أي: التذكرة، وذكر الضمير؛ لأنَّ التذكرة بمعنى: التذكُّر والوعظ).

قوله: ﴿فِي صُحُفٍ﴾ (أي: مثبتة في صحف مع الملائكة، منقولة من اللوح المحفوظ).

قال المفسِّرون: إنَّ القرآن أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، في ليلة
القدر، أملاه جبريل على ملائكة السماء الدنيا، فكتبوه كلَّه، وبقيت تلك الصُّحُف عندهم، فصار
جبريل يُنزل منها بالآية والآيتين على النبي عليه الصلاة والسلام، حتَّى استكمل إنزال القرآن في ثلاث
وعشرين سنة.

قوله: (وما قبله اعتراض) أي: بين الخبرين.

قوله: ﴿سَفَرَةٍ﴾ (جمع (سَافِرٍ)؛ كـ (كَتَبَتْ وَكَاتِبٍ) وزناً ومعنى).

قوله: ﴿كِرَامٍ﴾ (أي: مُكْرَمِينَ معظمين عند الله).

قوله: ﴿لُعِنَ الْكَافِرُ﴾ أي: طُرِدَ عن رحمة الله، وفيه إشارة إلى أنَّ المراد بالإنسان الكافر، لا كلُّ
إنسان، وقوله: ﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾ تعجُّب من إفراط كفره مع كثرة إحسان الله عليه.

وفي الآية إشكال من وجهين: الأوَّل: أنَّ قوله: ﴿قُلْ الْإِنْسَانُ﴾ يؤهم الدعاء، وهو إنَّما يكون
من العاجز؛ فكيف يليق ذلك بالقادر على كل شيء؟

الثاني: أنَّ التعجُّب استعظام أمرٍ خَفِيَ سببُه، وهذا المعنى محالٌّ على الله تعالى؛ إذ هو العالم
بالأشياء إجمالاً وتفصيلاً.

أجيب: بأنَّ هذا الكلام جارٍ على أسلوب العرب؛ لبيان استحقاقه لأعظم العقاب حيث
أتى بأعظم القبائح؛ كقولهم إذا تعجُّبوا من شيء: (قَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَخْبَتْهُ!).

مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّيْلَ يَسْرُهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾

أي: ما حمّله على الكفر؟ ﴿مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ - استفهام تقرير، ثُمَّ يَبَيِّنُهُ فَقَالَ -: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ عَلاقَةٌ ثُمَّ مُضْغَةً إِلَى آخِرِ خَلْقِهِ، ﴿ثُمَّ السَّيْلَ﴾ أي: طَرِيقَ خُرُوجِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ﴿يَسْرُهُ﴾ ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ: جَعَلَهُ فِي قَبْرِ يَسْرُهُ،

حاشية الصاوي

وأجيب أيضاً: بأنَّ الأوَّل ليس دعاءً، بل هو إخبارٌ من الله بأنَّه طَرَدَهُ عَنْ رَحْمَتِهِ، وليس الثاني تعجباً، بل استفهامٌ توبيخ، وعليه درج المفسِّر، فهما تقريران.

قوله: (أي: ما حمّله على الكفر؟) أي: أيُّ شَيْءٍ دَعَاهُ إِلَيْهِ؟

قوله: (استفهامٌ تقرير) أي: وتحقير؛ لِحَقَارَةِ النُّطْفَةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُهُ؛ وَلِذَا قَالَ بَعْضُهُمْ: (ما لابن آدمَ والفخر؟! أوَّلُهُ نُطْفَةٌ مَذْرُوءَةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ قَدْرَةٌ، وَهُوَ بَيْنَهُمَا حَامِلٌ لِلْعَذْرَةِ)^(١).

قوله: (ثُمَّ يَبَيِّنُهُ) أي: الشَّيْءَ الْمَخْلُوقَ هُوَ مِنْهُ.

قوله: ﴿فَقَدَرَهُ﴾ أي: قَدَّرَ أَطْوَارَهُ، وَهُوَ تَفْصِيلٌ لِمَا أُجْمِلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾.

قوله: ﴿ثُمَّ السَّيْلَ﴾ منصوبٌ عَلَى الْإِشْتِغَالِ بِفَعْلٍ يُفَسِّرُهُ الْمَذْكُورُ، وَلَمْ يَقُلْ: (ثُمَّ سَبِيلَهُ) بِالإِضَافَةِ إِلَى ضَمِيرِهِ؛ إِشْعَاراً بِأَنَّهُ سَبِيلٌ عَامٌّ.

قوله: (أي: طَرِيقَ خُرُوجِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ) قَالَ بَعْضُهُمْ: (إِنَّ رَأْسَ الْمَوْلُودِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ مِنْ فَوْقَ، وَرِجْلَيْهِ مِنْ تَحْتِ، فَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ عَلَى الْإِنْتِصَابِ، فَإِذَا جَاءَ وَقْتُ خُرُوجِهِ.. انْقَلَبَ بِإِلْهَامٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى).

قوله: ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ...﴾ (إِلَخ) عَدَّ الْإِمَانَةَ مِنَ النَّعِيمِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا وَصْلَةٌ فِي الْجُمْلَةِ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَالنَّعِيمِ الدَّائِمِ.

قوله: ﴿فَأَقْبَرَهُ﴾ أي: أَمَرَ بِقَبْرِهِ، يُقَالُ: قَبَرَ الْمَيِّتَ: إِذَا دَفَنَهُ بِيَدِهِ، وَأَقْبَرَهُ: إِذَا أَمَرَ غَيْرَهُ بِهِ، فَالْقَابِرُ هُوَ الدَّافِنُ بِالْيَدِ، وَالْمَقْبَرُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى؛ لِأَمْرِ بِهِ.

قوله: (جَعَلَهُ فِي قَبْرِ يَسْرِهِ) أي: وَلَمْ يُجْعَلْ مِمَّنْ يُلْقَى لِلطُّيُورِ وَالسَّبَاعِ؛ إِكْرَاماً لَهُ.

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٨٦١) عن سيدنا علي رضي الله عنه، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٨٤/٢) من كلام الإمام مالك بن دينار مخاطباً المُهَلَّبَ بن أبي صُفْرَةَ.

ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرْنَاهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرْتُهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَبْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبْنَا وَقَضَبًا ﴿٢٨﴾

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرْنَاهُ﴾ لِلْبَعَثِ.

(٢٣ - ٢٢) ﴿كَلَّا﴾: حَقًّا ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾: لَمَّا يَفْعَلْ ﴿مَا أَمَرْتُهُ﴾ بِهِ رَبُّهُ، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ نَظَرَ اعْتِبَارٍ ﴿إِلَى طَعَامِهِ﴾ كَيْفَ قُدِّرَ وَدُبِّرَ لَهُ؟ ﴿إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ﴾ مِنَ السَّحَابِ ﴿صَبًّا﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ ﴿شَقًّا﴾ ﴿٢٦﴾ فَأَبْنَا فِيهَا حَبًّا كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ، ﴿وَعَبْنَا وَقَضَبًا﴾ هُوَ الْقَتُّ الرُّطْبُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ﴾ مفعول المشيئة محذوف، والتقدير: إذا شاء إنشأه أنشأه.

قوله: (حقًا) أي: فتكون متعلقة بما بعدها؛ أي: حقًا لم يفعل ما أمره به ربُّه، وحينئذٍ: فلا يحسن الوقف على ﴿كَلَّا﴾، ويصحُّ أن تكون حرف ردع وزجر للإنسان عما هو عليه من التكبر والتجبر، وقوله: ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾ بيان لسبب الردع والزجر.

قوله: ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾ أي: لم يفعل الإنسان من أوَّل مُدَّةِ تكليفه إلى حين إقباره ما فرضه الله عليه.

قوله: ﴿مَا أَمَرْتُهُ﴾ به ربُّه) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿مَا﴾ موصولة بمعنى (الذي)، والعائد محذوف، والضمير عائد على الإنسان المتقدم ذكره، وهو الكافر.

قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾... إلخ) بيان لتعداد النعم التي تقوِّم بها في الدنيا إثر بيان النعم المتعلقة بإيجاده^(١).

قوله: (من السحاب) أي: بعد نزوله من السماء.

قوله: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ﴾ بالنبات) أي: الذي هو أضعف الأشياء.

قوله: ﴿وَعَبْنَا﴾ عطف على ﴿حَبًّا﴾.

قوله: (هو القَتُّ الرطْب) أي: علف الدواب الرطْب، وسمي قضبًا؛ لأنَّه يُقْضَب - أي: يُقَطَّع -

مرةً بعد أخرى.

(١) وقعت العبارة في (ط٢): (بيان لتعداد النعم المتعلقة بحياته إثر بيان النعم المتعلقة بإيجاده).

وَزَيَّنُونَا وَتَحَلَّا ﴿٢٩﴾ وَحَدَّائِقَ ﴿٣٠﴾ غُلَبًا ﴿٣١﴾ وَفَنَكِهَةً وَأَبَابًا ﴿٣٢﴾ مَتْنَعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِيكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ
الْصَّاحَّةُ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٥﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَحْبِهِ

﴿وَزَيَّنُونَا وَتَحَلَّا﴾ (٢٩) وَحَدَّائِقَ غُلَبًا: بَسَاتِينَ كَثِيرَةَ الْأَشْجَارِ، ﴿وَفَنَكِهَةً وَأَبَابًا﴾: مَا تَرَعَاهُ الْبَهَائِمُ، وَقِيلَ: التَّنْبَنُ، ﴿مَتْنَعًا﴾: مُتْعَةً أَوْ تَمْتِيعًا كَمَا تَقَدَّمَ فِي السُّورَةِ قَبْلُهَا، ﴿لَكُمْ وَلِأَنْعَمِيكُمْ﴾ تَقَدَّمَ فِيهَا أَيْضًا.

(﴿٣٣﴾ - ﴿٣٧﴾) ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾: النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَحْبِهِ: زَوْجَتِهِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿غُلَبًا﴾ (جمع (أغلب وغلباء) ك(أحمر وحمراء)).

قوله: (كثيرة الأشجار) أي: فإسناد الغلب لها مجاز؛ إذ هو وصف الأشجار.

قوله: ﴿وَفَنَكِهَةً﴾ (إمّا عطف على (عنباً) من عطف العام على الخاص، أو على (حدائق) فهو عطف خاص على عام).

قوله: ﴿وَأَبَابًا﴾ (إمّا من: أبه: إذا أمه وقصده؛ لأنه يُقصد للرعي، أو من: أب لكذا: إذا تهيأ له؛ لأنه مُتَّهَى للرعي).

قوله: (ما ترعاه البهائم) أي: رطباً أو يابساً، فهو أعم من القضب.

قوله: (وقيل: التنب) أي: وعليه فالمغايرة بينه وبين القضب ظاهرة.

قوله: (متعة أو تمتيعاً) أشار بذلك إلى أنّ ﴿مَتْنَعًا﴾ يصح أن يكون مفعولاً لأجله، أو مفعولاً مطلقاً عاملاً محذوف، تقديره: فعل ذلك متاعاً، أو متّعكم تمتيعاً.

قوله: (تقدّم فيها أيضاً) أي: وهو تفسير النعم بأنها البقر والإبل والغنم، وتقدّم لنا أنّه خصّها لشرفها.

قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾ (شروع في بيان أحوال معادهم إثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم).

والصَّاحَّة: الداهية التي تصحُّ آذان الخلائق - أي: تُصمُّها - لشدة وقعتها، وصفت بذلك مجازاً؛ لأنّ النَّاسَ يصخون منها.

قوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾... (الخ) أي: وسبب هروبه؛ إمّا حذراً من مُطالبتهم له بحقوقهم، فالأخ يقول: لم تُواسني بمالك، والأبوان يقولان: قصّرت في برّنا، والصاحبة تقول: لم تُوفني

وَبَيْنَهُ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَ يُدْعَىٰ شَأْنُ يُعْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

﴿وَبَيْنَهُ﴾ - ﴿يَوْمٌ﴾ بدل من (إذا)، وجوابها دلّ عليه -: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَ يُدْعَىٰ شَأْنُ يُعْنِيهِ﴾: حال يشغله عن شأن غيره، أي: اشتغل كل واحد بنفسه.

(﴿٣٨﴾ - ﴿٤٢﴾) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾: مُضِيئَةٌ، ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾: فرحة وهم المؤمنون، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾: غبار، ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾: تغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾: ظلمة وسواد، ﴿أُولَٰئِكَ﴾: أهل هذه الحالة ﴿هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ أي: الجامعون بين الكفر والفجور.

حاشية الصاوي

حقّي، والبنون يقولون: ما علمتنا، وما أرشدتنا، أو لما يتبين له من عجزهم وعدم نفعهم له، أو لكثرة شغل الإنسان بنفسه، فيدهش عن غيره، وكلّ واقع.

قوله: (بدل من «إذا») أي: بدل كل أو بعض، والعائد محذوف؛ أي: يفرّ فيه.

قوله: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ﴾ جملة مستأنفة لبيان سبب الفرار.

قوله: (أي: اشتغل... إلخ) بيان لجواب (إذا) المحذوف.

قوله: ﴿وُجُوهٌ﴾ مبتدأ سوّغ الابتداء به وقوعه في معرض التفصيل، و﴿مُسْفِرَةٌ﴾: خبره، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾: متعلّق به، وهذا بيان لمآل الخلائق وانقسامهم إلى أشقياء وسعداء بعد وقوعهم في الداهية العظيمة.

قوله: (مُضِيئَةٌ) أي: إمّا من قيام الليل، أو من آثار الضوء، أو من طول ما اغبرت في سبيل الله، وكلّ صحيح.

قوله: (فَرِحَةٌ) أي: بما رآته من كرامة الله ورضوانه.

قوله: (ظلمة وسواد) هذا قول ابن عباس، وقيل: القترة والغبرة معناهما واحد وهو الغبار، لكنّ القترة: ما ارتفع منه إلى السماء، والغبرة: ما انحطّ إلى الأرض.

قوله: ﴿الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ جمع كافر وفاجر، وهو الكاذب المُفْتَرِي على الله تعالى، فجمع الله تعالى إلى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الكفر إلى الفجور.

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١) ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (٢) ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (٣)



مَكِّيَّة، تِسْعٌ وَعَشْرُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٥) ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: لُفَّتْ وَذُهِبَ بِنُورِهَا، ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾: انْقَضَتْ وَتَسَاقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ، ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾: ذُهِبَ بِهَا عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ

حاشية الصاوي

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

مُنَاسِبَتُهَا لِمَا قَبْلُهَا: أَنَّ كُلًّا فِيهِ ذِكْرُ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.. فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾»^(١).

قَوْلُهُ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: الْأَرْجَحُ عِنْدَ جُمْهُورِ النُّحَاةِ: أَنَّ الْأِسْمَ الْمَرْفُوعَ الْوَاقِعَ بَعْدَ (إِذَا) الشَّرْطِيَّةِ مَرْفُوعٌ بِفَعْلٍ مَحْذُوفٍ يُفَسِّرُهُ الْمَذْكُورُ، وَيَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعاً بِالْإِبْتِدَاءِ؛ لِأَنَّ أَدَوَاتِ الشَّرْطِ لَا يَلِيهَا إِلَّا الْأَفْعَالُ لَفْظاً أَوْ تَقْدِيرًا، وَأَجَازُ الْأَخْفَشِ وَالْكَوْفِيَّونَ إِيْلَاءَهَا الْأِسْمَ؛ فَيَرْفَعُ الْأِسْمَ مُبْتَدَأً، وَمَا بَعْدَهُ خَبَرٌ.

و(إِذَا) فِي الْمَوَاضِعِ الْإِثْنِي عَشَرَ شَرْطِيَّةً، جَوَابُهَا قَوْلُهُ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾، وَلَا يَجُوزُ الْوَقْفُ اخْتِيَارًا قَبْلَ الْجَوَابِ.

قَوْلُهُ: (لُفَّتْ) الْمُنَاسِبُ أَنْ يَقُولَ: (لُفَّتْ)، وَالْمَعْنَى: لُفَّ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَرُمِيَ بِهَا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهَا رِيحًا دُبُورًا فَتَضْرِبُهَا، فَتَصِيرُ نَارًا.

قَوْلُهُ: (بِنُورِهَا) أَيُّ: ضَوْئِهَا.

قَوْلُهُ: ﴿سُيِّرَتْ﴾ أَيُّ: فِي الْهَوَاءِ بَعْدَ تَفْتِيْتِهَا.

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٣٣) عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ؓ.

وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾

فصارت هباءً منبثاً، ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾: النُّوقُ الْحَوَامِلُ ﴿عُطِّلَتْ﴾: تَرَكْتُ بِلَا رَاعٍ أَوْ بِلَا حَلَبٍ لِمَا دَهَاهُمْ مِنَ الْأَمْرِ، وَلَمْ يَكُنْ مَالٌ أَعْجَبَ إِلَيْهِمْ مِنْهَا، ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: جُمِعَتْ بَعْدَ الْبَعْثِ لِيُقْتَصَرَ لِبَعْضٍ مِنْ بَعْضٍ، ثُمَّ تَصِيرُ تُرَاباً.

(٦ - ٩) ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ -: أَوْقَدَتْ فَصَارَتْ نَاراً،

حاشية الصاوي

قوله: (فصارت هباءً) أي: بعد صيرورتها كالصُوف المندوف، فأولاً تَفَتَّتْ ثُمَّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ المندوف.

قوله: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾ جمع (عُشْرَاء) ك(النَّفَاس) جمع (نُفَسَاء)، وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر إلى أن تَضَع، وخصَّها بالذكر؛ لأنها أعلى ما يكون عند أهلها، وأنفس أموالهم؛ لما ورد: أَنَّهُ ﷺ مَرَّ فِي أَصْحَابِهِ بِعِشَارٍ مِنَ النُّوقِ، فَغَضَّ بِصَرِّهِ، فَقِيلَ لَهُ: هَذِهِ أَنْفُسُ أَمْوَالِنَا فَلَمْ لَا تَنْظُرْ إِلَيْهَا؟ فَقَالَ: «قَدْ نَهَانِي اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ» ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ...﴾ الْآيَةُ^(١)، وَإِذَا كَانَ هَذَا حَالَهُمْ مَعَ أَنْفُسِ أَمْوَالِهِمْ.. فَحَالَهُمْ مَعَ غَيْرِهِ أَوْلَى، وَإِلَى هَذَا يَشِيرُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (وَلَمْ يَكُنْ مَالٌ أَعْجَبَ إِلَيْهِمْ مِنْهَا).

قوله: (تَرَكْتُ بِلَا رَاعٍ) أي: مهملةً، وقوله: (أَوْ بِلَا حَلَبٍ) بفتح اللام: مصدر (حَلَبَ يَحْلُبُ) بِالضَّمِّ، وَيُقَالُ بِالسُّكُونِ، مِنْ بَابِ (قَتَلَ).

قوله: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ﴾ أي: دوابُّ البرِّ، وقوله: (جمعت) أي: من كلِّ ناحية.

قوله: (بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (أَوْقَدَتْ فَصَارَتْ نَاراً) هذا أحدُ أقوالٍ في تفسير التَّسْجِيرِ، وَقِيلَ: سُجِّرَتْ: مُلِئَتْ مِنَ الْمَاءِ، وَقِيلَ: اخْتَلَفَ عَذْبُهَا بِمَالِحِهَا حَتَّى صَارَتْ بَحْراً وَاحِداً، وَقِيلَ: يَبَسَتْ، وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ تِلْكَ الْأَقْوَالِ؛ فَأَوَّلًا يَفِيضُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ، ثُمَّ تَبَيَّنَ، ثُمَّ تُقَلَّبُ نَاراً.

ثُمَّ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْآيَاتِ السَّيِّئَةِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُقَدِّمَةً لِلنَّفْخَةِ الْأُولَى، فَالْأَحْيَاءُ يُشَاهِدُونَ ذَلِكَ؛ لَمَا رَوَى عَنْ أَبِي بَنْيٍّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: (سُتُّ آيَاتٍ مِنْ قَبْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: بَيْنَمَا النَّاسُ فِي أَسْوَاقِهِمْ ذَهَبَ

(١) أورده أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (١/٣٥٥).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف الجيم، والباثون بتشغيلها على المبالغة والتكثير. انظر «الدر المصون» (١٠/٧٠١).

وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: قُرِنَتْ بِأَجْسَادِهَا، ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ﴾: الْجَارِيَةُ تُدْفَنُ حَيَّةً خَوْفَ الْعَارِ
وَالْحَاجَةِ

حاشية الصاوي

ضوء الشمس وبدت النجوم، فتحيرُوا ودهشُوا، فبينما هم كذلك؛ إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحرَّكت واضطربت واحترقت فصارت هباءً منثوراً، ففزع الإنسان إلى الجنِّ، والجنُّ إلى الإنسان، واختلطت الدَّوابُّ والوحوش والهوامُّ والطير، وهاج بعضها في بعض، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، ثمَّ قالت الجنُّ للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحار؛ فإذا نارٌ تتأجج، فبينما هم كذلك انصدعت الأرض صدعةً واحدةً إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، فبينما هم كذلك؛ إذ جاءتهم ريحٌ فأماتتهم^(١)، ويجوز أن يكون في النفخة الثانية، ويُقال في تعطيل العِشار: يحتمل أنه كناية عن شدة الهول حتَّى لا يلتفت الشخص إلى نفس أمواله، أو تبعث مُعْطَلَةً بلا راعٍ، ولا يلتفت لها صاحبها؛ لأنَّ البهائم تُحشر لِلْقَصَاصِ من بعضها لبعض، وأمَّا السُّتُّ الباقية.. فتحصل بالنفخة الثانية اتفاقاً.

قوله: (قرنت بأجسادها) أي: رَدَّتْ الأرواح إلى أجسادها؛ فالتَّزْوِيجُ على هذا: جعلُ الشيء زوجاً، والنفوس بمعنى: الأرواح، وقيل: قُرِنَ كُلُّ امرئٍ بشيعته؛ فاليهوديُّ يضمُّ لليهود، والنَّصراني للنَّصارى وهكذا، وقيل: قُرِنَ الرجل الصَّالح بالرجل الصَّالح في الجنَّة، والرجل السَّوء بالرجل السَّوء في النَّار، وقيل: زُوِّجَتْ نفوس المؤمنين بالحُور العين، وقُرِنَتْ الكفار بالشياطين، وكذلك المنافقون، وفي الحقيقة يحصل كُلُّ.

قوله: (الجارية) المراد بها: مُطلق الأنثى، وقوله: (والحاجة) أي: الفقر، فكان الرجل في الجاهلية إذا وُلِدَتْ له بنتٌ فأراد أن يَسْتَحْيِيَهَا.. ألبسها جُبَّةً من صوفٍ أو شعرٍ ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قَتْلَهَا.. تركها حتَّى إذا كانت بنتٌ ستِّ سنين.. يقول لأمِّها: طَيِّبِهَا وزَيِّنِهَا حتَّى أذهبَ إلى أحمائها، وقد حَفَرَ لها بئراً في الصحراء، فيذهب بها إلى البئر، فيقول لها: انظري فيها، ثمَّ يَدْفَعُها من خلفها، ويُهَيِّلُ عليها التراب حتَّى تَسْتَوِيَ بالأرض^(٢).

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩١٤٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣٧/٢٤).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٨٣/٣).

سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾

﴿سُئِلَتْ﴾ تَبَكِّيئاً لِقَاتِلِهَا: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ - وَقُرِئَ بِكسْرِ التَّاءِ حِكَايَةً لِمَا تُخَاطَبُ بِهِ، وَجَوَابُهَا أَنْ تَقُولَ: قُتِلْتُ بِلا ذَنْبٍ ..

(﴿١٠﴾ - ﴿١٤﴾) ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ﴾: صُحُفُ الْأَعْمَالِ ﴿نُشِرَتْ﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ -: فَتِحَتْ وَبُسِطَتْ، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾: نُزِعَتْ عَنْ أَمَاكِنِهَا كَمَا يُنْزَعُ الْجِلْدُ عَنِ الشَّاةِ،
حاشية الصاوي

وقال ابن عباس: (كانت الحامل إذا قربت ولادتها .. حَفَرَتْ حُفْرَةً فَتَمَخَّضَتْ عَلَى رَأْسِ تِلْكَ الْحُفْرَةِ، فَإِذَا وَلَدَتْ بَنْتًا .. رَمَتْ بِهَا فِي الْحُفْرَةِ، وَإِذَا وَلَدَتْ وَلَدًا .. أَبَقَتْه) ^(١).

قوله: (تَبَكِّيئاً لِقَاتِلِهَا) جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ: مَا مَعْنَى سُؤَالِ الْمَوْءُودَةِ مَعَ أَنَّ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ سُؤَالُ الْقَاتِلِ عَنْ قَتْلِهِ إِيَّاهَا؟ فَأَجَابَ: بِأَنَّ سُؤَالَهَا هِيَ لافْتِضَاحُ الْقَاتِلِ وَتَبَكِّيَّتِهِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنَ السُّؤَالِ تَعْذِيبُ الْقَاتِلِ؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ: إِنْ كَانَ الْقَاتِلُ مِنْ أَهْلِ الْفِتْرِ فَلَا يُعَذَّبُ، وَإِنَّمَا يَرْضَى اللَّهُ الْمَقْتُولَ بِإِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مِمَّنْ بَلَغَتْهُ الدَّعْوَةُ .. فَهُوَ آثِمٌ يُعَذَّبُ عَلَى الْقَتْلِ إِنْ لَمْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ.

قوله: (وَقُرِئَ بِكسْرِ التَّاءِ) أَيِ: الثَّانِيَةِ عَلَى أَنَّهَا تَاءُ الْمُؤَنَّثَةِ الْمُخَاطَبَةِ، وَالْفِعْلُ مَبْنِيٌّ لِلْمَفْعُولِ، وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ شَاذَّةٌ، وَقُرِئَ شذوذاً أَيْضاً بِنِجَاءِ (سَأَلْتُ) لِلْفَاعِلِ مَعَ (قُتِلْتُ) بضم التَّاءِ لِلْمَتَكَلِّمِ، وَيَسْكُونُهَا عَلَى التَّأْنِيثِ، فَالْقِرَاءَاتُ الشَّاذَّةُ ثَلَاثٌ ^(٢).

قوله: (صَحَفُ الْأَعْمَالِ) أَيِ: فَإِنَّهَا تُطَوَّى عِنْدَ الْمَوْتِ، وَتُنْشَرُ عِنْدَ الْحِسَابِ.

قوله: (بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ) سَبْعَتَانِ ^(٣).

قوله: (فُتِحَتْ وَبُسِطَتْ) أَيِ: بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَطْوِيَّةً.

قوله: (نُزِعَتْ عَنْ أَمَاكِنِهَا) أَيِ: أُزِيلَتْ عَنْهُ، فَالْكَشَطُ: الْقَلْعُ عَنْ شِدَّةِ التَّزَاقِ، وَالْقَسْطُ لُغَةٌ فِيهِ،

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩١٤٥).

(٢) قرأ الحسن بكسر التَّاءِ، وقرأ علي وابن مسعود وابن عباس: (سَأَلْتُ) مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ، (قُتِلْتُ) بضم التَّاءِ الْآخِرَةِ الَّتِي لِلْمَتَكَلِّمِ حِكَايَةً لِكَلَامِهَا. وَعَنْ أَبِي وَابْنِ مَسْعُودٍ أَيْضاً وَابْنِ يَعْمَرَ: (سَأَلْتُ) مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ، (قُتِلْتُ) بِنَاءِ التَّأْنِيثِ السَّاكِنَةِ كَقِرَاءَةِ الْعَامَّةِ. انظر «الدر المصون» (٧٠٤/١٠).

(٣) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بتخفيف الشين، والباقون بتشديدها على تكرير النُّشْرِ لِلْمَبَالِغَةِ فِي تَقْرِيعِ الْعَاصِي، وَتَبْشِيرِ الْمُطِيعِ، وَقِيلَ: لِتَكْرِيرِ ذَلِكَ مِنَ الْإِنْسَانِ. انظر «السراج المنير» (٤٩٢/٤).

وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أَقِيمُ بِالْخَنَسِ ﴿١٥﴾
الْجَوَارِ الْكُنَسِ ﴿١٦﴾

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ﴾: النَّارُ ﴿سُعِرَتْ﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ -: أُجِّجَتْ، ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾: قُرِبَتْ لِأَهْلِهَا لِيَدْخُلُوهَا، وَجَوَابُ ﴿إِذَا﴾ أَوَّلُ السُّورَةِ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهَا: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أَي: كُلُّ نَفْسٍ وَقْتَ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿مَّا أَحْضَرَتْ﴾ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

(١٥ - ١٨) ﴿فَلَا أَقِيمُ﴾ - (لا) زائدة - ﴿بِالْخَنَسِ﴾ ﴿الْجَوَارِ الْكُنَسِ﴾ هِيَ النُّجُومُ الْخَمْسَةُ: زُحْلُ وَالْمُشْتَرِي وَالْمَرِّيخُ وَالزُّهْرَةُ وَعُطَارِدُ، تَخُنُسُ - بِضَمِّ النُّونِ -

حاشية الصاوي

وبها قرئ شدوذا^(١)، فالسَّماءُ تُنَزَّعُ عَنْ أَمَاكِنِهَا كَمَا يُنَزَّعُ الْغَطَاءُ عَنِ الشَّيْءِ، وَقِيلَ: تُظَوَّى كَمَا يُظَوَّى السَّجَلُ.

قوله: (بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ) أَي: فَهْمَا سَبْعِيَّتَانِ^(٢).

قوله: (أُجِّجَتْ) أَي: أَوْقِدَتْ لِلْكَفَّارِ.

قوله: (قُرِبَتْ لِأَهْلِهَا لِيَدْخُلُوهَا) أَي: هُيِّئَتْ وَأَحْضِرَتْ لَهُمْ، وَسُهِّلَ طَرِيقُهَا، لَا أَنَّهَا تَزُولُ عَنْ مَوَاضِعِهَا.

قوله: (أَوَّلُ السُّورَةِ) أَي: الْوَاقِعَةُ فِي أَوَّلِهَا، وَقَوْلُهُ: (وَمَا عُطِفَ عَلَيْهَا) أَي: وَهُوَ أَحَدُ عَشَرَ.

قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ (إِنْ قُلْتَ: إِنَّ ﴿نَفْسٌ﴾ نَكْرَةٌ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ وَهِيَ لَا تَعْمُ؟

أَجِيبُ بِجَوَابَيْنِ: الْأَوَّلُ: أَنَّ الْعَمُومَ اسْتُفِيدَ مِنْ قَرِينَةِ الْمَقَامِ وَالسِّيَاقِ. الثَّانِي: أَنَّ وَقْعَهَا فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ كَوُقُوعِهَا فِي سِيَاقِ النَّفْيِ أَيْضاً.

وَمَعْنَى الْعِلْمِ بِمَا أَحْضَرَتْ: أَنَّهَا تُشَاهِدُ أَعْمَالَهَا مَكْتُوبَةً فِي الصَّحْفِ.

قوله: (وَهُوَ) أَي: وَقْتُ حُصُولِ هَذِهِ الْأُمُورِ.

قوله: (هِيَ النُّجُومُ... إلخ) أَي: السِّيَّارَةُ غَيْرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ.

(١) قرأ بالقاف سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر «الدر المصون» (١٠/٧٠٥).

(٢) قرأ نافع وابنُ ذَكْوَانَ وَعَاصِمٌ بِتَشْدِيدِ الْعَيْنِ، وَالباقون بِتَخْفِيفِهَا. انظر «السراج المنير» (٤/٤٩٢).

وَأَتِلْ إِذَا عَسَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحَ إِذَا نَفَسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ

أي: تَرَجِعْ فِي مَجْرَاهَا وَرَاءَهَا، بَيْنَمَا تَرَى النُّجْمَ فِي آخِرِ الْبُرْجِ إِذْ كَرَّ رَاجِعاً إِلَى أَوَّلِهِ، وَتَكْنَسُ - بِكَسْرِ النُّونِ - تَدْخُلُ فِي كِنَاسِهَا أَي: تَغِيبُ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَغِيبُ فِيهَا، ﴿وَأَيَّلْ إِذَا عَسَّسَ﴾: أَقْبَلَ بِظُلَامِهِ أَوْ أَدْبَرَ، ﴿وَالضُّبْحَ إِذَا نَفَسَ﴾: امْتَدَّ حَتَّى يَصِيرَ نَهَاراً بَيِّنًا.

(١٩ - ٢١) ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على الله تعالى وهو جبريل، أٌصِيفَ إِلَيْهِ لِنُزُولِهِ بِهِ، ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي: شَدِيدِ الْقُوَى ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ أي: الله تعالى ﴿مَكِينٍ﴾: ذِي مَكَانَةٍ - مُتَعَلِّقٌ بِهِ ﴿عِنْدَ﴾ -، ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾

حاشية الصاوى

قوله: (أي: ترجع في مجراها) أي: من آخر الفلك القهقري إلى أوّله، وخصّها بالذكر؛ لأنها تستقبل الشمس؛ فتحبس بالنهار، وتظهر بالليل، وتخفى وقت غروبها عن البصر.

قوله: (إذ كرّ راجعاً) هو العامل في (بينما)، وقوله: (إلى أوّله) أي: البرج.

قوله: (في كِنَاسِهَا) أي: محلّ اختفائها؛ من: كَنَسَ الوحش: إذا دخل كِنَاسَهُ، وهو بيته الذي يتّخذه من أغصان الشَّجر.

قوله: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ مُنَاسَبَتُهُ لِمَا قَبْلَهُ ظَاهِرَةٌ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْمُرَادُ إِقْبَالَهُ.. فَهُوَ أَوَّلُ اللَّيْلِ، وَهَذَا أَوَّلُ النَّهَارِ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ إِدْبَارَهُ.. فَهَذَا مَجَاوِزَ لَهُ.

قوله: ﴿إِذَا نَفَسَ﴾ التَّنَفُّسُ في الأصل: خُرُوجُ النَّفْسِ مِنَ الْجَوْفِ، وَصِفَ بِهِ الصَّبْحُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ إِذَا أَقْبَلَ . . ظَهَرَ رَوْحٌ وَنَسِيمٌ، فَجُعِلَ نَفْسًا لَهُ.

قوله: ﴿إِذْ يُفَوِّقُ﴾ أي: فكان من قوّته أنّه اقتلع قُرى قوم لوط من الماء الأسود، وحملها على جناحه، فرفعها إلى السماء، ثمّ قلبها، وأنّه أبصر إبليس يُكلّم عيسى عليه السلام، فنفّخه بجناحه نفخةً ألقاه إلى أقصى جبل خلف الهند، وأنّه صاح صيحةً بشمود، فأصبحوا جائمين، وأنّه يهبّط من السماء إلى الأرض، ثمّ يصعد في أسرع من ردّ الطّرف.

قوله: (ذِي مَكَانَةٍ) أَي: إِكْرَامٍ وَتَشْرِيفٍ.

قوله: (متعلق به ﴿عِنْدَ﴾) أي: فهو حالٌ من ﴿مَكِينٍ﴾، وأصله وصفٌ، فلَمَّا قَدَّمَ نُصِبَ حالاً،
وقوله: (﴿ثُمَّ﴾) ظرف مكانٍ للبعيد، والعاملُ فيه ﴿مُطَاعٌ﴾.

أَمِينٌ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾

أي: تُطِيعُهُ الْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاوَاتِ ﴿أَمِينٌ﴾ عَلَى الْوَحْيِ.

(٢٢ - ٢٦) ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ : مُحَمَّدٌ ﷺ ، - عُطِفَ عَلَى ﴿إِنَّهُ﴾ إِلَى آخِرِ الْمُقَسِّمِ عَلَيْهِ - ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كَمَا زَعَمْتُمْ ، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ : رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ جِبْرِيلَ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ : الْبَيِّنُ وَهُوَ الْأَعْلَى بِنَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ ، ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي : مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ : مَا غَابَ مِنَ الْوَحْيِ وَخَبَرَ السَّمَاءِ ﴿بِظَنِينٍ﴾ : بِمُتَّهَمٍ ،

حاشية الصاوي

قوله: (أي: تُطِيعُهُ الْمَلَائِكَةُ) تفسيراً لقوله: ﴿مُطَاعٌ﴾، وقوله: (في السماوات) تفسيراً لقوله: ﴿نَمَّ﴾.

قوله: (عطف على ﴿إِنَّهُ﴾... إلخ) أي: فهو من جُمْلَةِ الْمُقَسِّمِ عَلَيْهِ بِالْأَقْسَامِ السَّابِقَةِ، وَفِي الْحَقِيقَةِ ذَكَرَ جِبْرِيلَ بِالْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ؛ تَوَطُّعًا لَذِكْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهُ رَدُّ قَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، ﴿أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سبا: ٨]، لَا تَعْدَادُ فُضَائِلِ جِبْرِيلَ وَمُحَمَّدَ، خِلَافًا لِلزَّمْخَشَرِيِّ الرَّاعِمِ أَنَّ تِلْكَ الْآيَةَ تَشْهَدُ بِتَفْضِيلِ جِبْرِيلَ عَلَى مُحَمَّدٍ^(١)، بَلْ إِذَا أَمَعَنْتَ النَّظَرَ.. وَجَدْتَ أَنَّ إِجْرَاءَ تِلْكَ الصِّفَاتِ عَلَى جِبْرِيلَ فِي هَذَا الْمَقَامِ دَالٌّ عَلَى بُلُوغِ الْغَايَةِ فِي تَعْظِيمِ مُحَمَّدٍ؛ حَيْثُ جَعَلَ السِّفِيرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ هَذَا الْمَلَكُ الْمُوصُوفُ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ، وَفَضَّلُ الْمُصْطَفَى مُصَرَّحٌ بِهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَفِي سَائِرِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَةِ؛ كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ. هَذَا زُبْدَةٌ مَا أَفَادَهُ الْأَثْمَةُ فِي هَذَا الْمَقَامِ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أيضاً، فهو من جُمْلَةِ الْمُقَسِّمِ عَلَيْهِ، وَهَذِهِ الرُّؤْيَا كَانَتْ فِي غَارٍ جِرَاءٍ؛ حِينَ رَأَاهُ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فِي صُورَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ، وَكَانَ قَدْ سَأَلَهُ أَنْ يُرِيَهُ نَفْسَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، فَوَعَدَهُ بِحِرَاءٍ، ثُمَّ أَنْجَزَ لَهُ الْوَعْدَ، وَتَقَدَّمَ بِسُطَّةٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَوَى ﴿١﴾ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى...﴾ [النجم: ٧] إلخ^(٢).

قوله: ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ متعلقٌ بـ(ظنين).

(١) «الكشاف» (٧١٣/٤).

(٢) انظر (٤٤٩/٦).

وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

- وفي قراءة بالضاد أي: ببخيل فينقص شيئاً منه - ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿يَقُولُ شَيْطَانٍ﴾ مُسْتَرْقِ السَّمْعِ ﴿رَّجِيمٍ﴾: مَرْجُومٌ، ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾: فأيَّ طريقٍ تَسْلُكُونَ في إنكارِكُم القرآن وإعراضِكُم عنه؟

(﴿٢٧﴾ - ﴿٢٩﴾) ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عِظَةٌ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾: الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾ - بَدَلٌ مِنَ (الْعَالَمِينَ) بِإِعَادَةِ الْجَارِّ - ﴿أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ الْإِسْتِقَامَةَ عَلَى الْحَقِّ ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: الْخَلَاتِقِ اسْتِقَامَتَكُمْ عَلَيْهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (أي: ببخيل) أي: فلا يبخل به عليكم، بل يُخبركم به على طبق ما أمر، ولا يكتُمه كما يكتُم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلواناً.

قوله: ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ﴾... إلخ) نفى لقولهم: إِنَّهُ كَهَانَةٌ وسحر.

قوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (أَيْنَ): ظرف مكان مُبْهَم، منصوب بـ ﴿تَذْهَبُونَ﴾ كما قال المفسر: (فأي طريق تَسْلُكُونَ)؛ حيث نَسَبْتُمُوهُ لِلْجِنِّ أَوْ الْكُهَانَةِ أَوْ السَّحَرِ أَوْ الشَّعْرِ، وهو بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؛ كما تقول لِمَنْ تَرَكَ الطَّرِيقَ الْجَادَّةَ بعد ظهورها: هَذَا الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ فَأَيْنَ تَذْهَبُ؟!

قوله: ﴿أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ أي: فالطريق واضحٌ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ.

قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ رجوعٌ للحقيقة، وإعلامٌ بأنَّ الْعَبْدَ مَخْتَارٌ فِي الظَّاهِرِ، مُجْبُورٌ فِي الْبَاطِنِ عَلَى مَا يُرِيدُهُ اللَّهُ مِنْهُ.



(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالطاء بمعنى: مَتَّهَمٌ، مِنْ: ظَنٌّ بِمَعْنَى: اتَّهَمَ، فَيَتَعَدَّى لِوَاحِدٍ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: بضعيف القوة عن التبليغ، مِنْ قولهم: (بئر ظُنُون) أي: قليلة الماء، وفي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ، وَالْبَاقُونَ بِالضَّادِ بِمَعْنَى: يَبْخُلُ بِمَا يَأْتِيهِ مِنْ قَبْلِ رَبِّهِ. انظر «الدر المصون» (٧٠٧/١٠).

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (١) ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انثَرَتْ﴾ (٢) ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ (٣)



مَكِّيَّة، تِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٥) ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ : انشَقَّتْ، ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انثَرَتْ﴾ : انقَضَّتْ
وتساقطت، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ :
حاشية الصاوي

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

مناسبتها لما قبلها وما بعدها ظاهرة؛ لأنَّ كلاً مُتعلِّقٌ بيوم القيامة.

قوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾... إلخ) اعلم: أنَّ المُراد بهذه الآيات: بيانُ تخريب العالم، وفناء الدنيا^(١).

قوله: (انشقت) أي: لِنُزُولِ الملائكة.

قوله: (انقضت وتساقطت) أي: فالانتشار استعارةٌ لإزالة الكواكب، فشبهت بجواهرٍ قُطِعَ سلكها، وطُويَ ذكرُ المشبه به، ورُمِزَ له بشيءٍ من لوازمه وهو الانتشار، فإثباته تخييل على طريق الاستعارة المكنية.

قوله: ﴿فُجِرَتْ﴾) العامة على قراءته مبنياً للمفعول مُشْددًا، وقرئ شذوذًا بالبناء للفاعل وللمفعول مع التخفيف^(٢).

(١) في (ط٢): (وذلك أنَّ السماء كالسقف، والأرض كالبناء، ومن أراد تخريب دار.. فإنه يبدأ أولاً بتخريب السقف، ثمَّ يلزم من تخريب السماء انتشار الكواكب، ثمَّ بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الأرض من البحار، ثمَّ بعد ذلك تخرب الأرض التي فيها الأموات)، وقد شطب عليها في (أ).

(٢) قرأ مجاهد مبنياً للفاعل مُخَفَّفًا، من الفجور؛ نظراً إلى قوله: ﴿يَنْهَيَا بَرْزَخًا لَا يَبْقِيَانِ﴾، فلَمَّا زَالَ البرزخ.. بغيا، وقرأ مجاهد أيضاً والربيع ابن خثيم والزعفراني والثوري مبنياً للمفعول مُخَفَّفًا. انظر «الدر المصون» (١٠/٧٠٩).

وَلِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ ﴿٥﴾ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَّا غَرَّكَ بِرَبِّكَ
الْكَرِيمِ ﴿٦﴾

فُتِّحَ بَعْضُهَا فِي بَعْضِ فَصَارَتْ بَحْرًا وَاحِدًا وَاخْتَلَطَ الْعَذْبُ بِالْمِلْحِ ، ﴿وَلِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ :
قَلْبَ تَرَابِهَا وَبُعِثَ مَوْتَاهَا ، - وَجَوَابُ ﴿إِذَا﴾ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهَا - : ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ﴾ أَيُّ : كُلُّ
نَفْسٍ وَقْتَ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿مَّا قَدَّمْتَ﴾ مِنَ الْأَعْمَالِ ، ﴿وَوَ﴾ مَا ﴿أَخَّرْتَ﴾
مِنْهَا فَلَمْ تَعْمَلْهُ .

(٦ - ٨) ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ﴾ : الْكَافِرُ ﴿مَّا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾

حاشية الصاوي

قوله : ﴿فُتِّحَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ﴾ (أي : لِزَوَالِ الْبَرْزَخِ الْحَاجِزِ .

قوله : ﴿بُعِثَتْ﴾ (يُرَادُ فِيهِ فِي مَعْنَاهُ (بَحْثُ) بِالْحَاءِ ، فَهِيَ مُرْكَبَانِ مِنَ الْبَعْثِ وَالْبَحْثِ مَضْمُومًا إِلَيْهَا

راء .

قوله : (قلب ترابها) أي : الذي أهيل على الموتى وقت الدفن ، وصار ما كان في باطن الأرض

ظاهراً على وجهها .

قوله : ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ﴾ (أي : علماً تفصيلياً ، وإلا . . فـالعلمُ الإجماليُّ حصلَ لهم عند الموت ؛

حين يرى كلُّ مَقْعَدِهِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ .

واعلم : أنَّ الْإِنْسَانَ يَعْلَمُ مَا قَدَّمَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا إجمالِيًّا ، فيعلم أنَّه من أهل

السَّعَادَةِ أَوْ الشَّقَاوَةِ ، فإذا بُعِثَ وَقُرَأَ صَحِيفَتُهُ . . عَلمَ ذَلِكَ تَفْصِيلاً .

قوله : ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ﴾ (الْكَافِرُ) هَذَا أَحَدُ قَوْلَيْنِ ، وَالْآخَرُ : أَنَّ الْمُرَادَ بِ(الْإِنْسَانِ) : مَا يَشْمَلُ

الْكَافِرَ وَالْمُؤْمِنَ الْمُنْهَمِكَ فِي الْمَعَاصِي .

قوله : ﴿مَّا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (﴿مَا﴾ : اسْتِفْهَامِيَّةٌ ، وَالْمَعْنَى : أَيُّ شَيْءٍ خَدَعَكَ وَجَرَّأَكَ

عَلَى عَصْيَانِ الْكَرِيمِ الَّذِي مِنْ حَقِّهِ عَلَيْكَ أَنْ تَمَثَّلَ أَوْامِرُهُ ، وَتَجْتَنِبَ نَوَاهِيَهُ ، وَلَا تَغْتَرَّ بِحُكْمِهِ وَكَرَمِهِ .

إِنْ قُلْتَ : كَوْنَهُ كَرِيماً يَقْتَضِي أَنَّ يَغْتَرَّ الْإِنْسَانُ بِكَرَمِهِ ؛ لِأَنَّهُ جَوَادٌ ، وَهُوَ يَسْتَوِي عِنْدَهُ طَاعَةُ

الْمَطِيعِ وَعِصْيَانِ الْمَذْنِبِ ، فَهَذَا يَقْتَضِي الْإِغْتِرَارَ بِهِ ؛ فَكَيْفَ جَعَلَهُ هُنَا مَانِعاً مِنْهُ ؟

أُجِيبُ : بِأَنَّ الْآيَةَ لِتَهْدِيدِ الْكَافِرِ وَالْعَاصِي ؛ حَيْثُ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِتِلْكَ النِّعَمِ ، وَكَلَّفَهُ بِشُكْرَهَا ،

وَأَوْعَدَ مَنْ كَفَرَ بِالْعَذَابِ الدَّائِمِ ، فَلَمْ يَقُمْ بِشُكْرِهَا ، فَتَضَمَّنَتْ مُخَالَفَتَهُ اسْتِخْفَافَهُ بِالنِّعْمَةِ وَبِأَوْامِرِ الْمُنْعَمِ

الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾

حَتَّىٰ عَصَيْتَهُ؟ ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ ﴿فَسَوَّنَكَ﴾: جَعَلَكَ مُسْتَوِيَّ الْخَلْقَةِ سَالِمَ الْأَعْضَاءِ، ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ -: جَعَلَكَ مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ مُتَنَاسِبَ الْأَعْضَاءِ لَيْسَتْ يَدٌ أَوْ رِجْلٌ أَطْوَلَ مِنَ الْأُخْرَى، ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا﴾ - زَائِدَةٌ - ﴿شَاءَ رَكَّبَكَ﴾. ﴿٩ - ١٢﴾ ﴿كَلَّا﴾ - رَدَعَ عَنِ الْاِغْتِرَارِ بِكَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى - ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾ أَيُّ: كُفَّارٍ مَكَّةَ ﴿بِالَّذِينَ﴾: الْجَزَاءُ عَلَى الْأَعْمَالِ،
 حاشية الصاوي

وَنَوَاهِيهِ، فَلَيْسَ فِي الْآيَةِ مَا يَقْتَضِي الْاِغْتِرَارَ كَمَا تَزْعُمُهُ الْحَشْوِيَّةُ؛ حَيْثُ يَقُولُونَ: إِنَّمَا قَالَ: ﴿بَرِّكَ الْكَرِيمِ﴾ دُونَ سَائِرِ صِفَاتِهِ؛ لِيَلْقَنَ عَبْدَهُ الْجَوَابَ حَتَّى يَقُولَ: غَرَّنِي كَرَمُ الْكَرِيمِ؛ فَفِي الْحَدِيثِ: لَمَّا تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ.. قَالَ: «غَرَّهُ جَهْلُهُ»^(١)، وَقَالَ عُمَرُ: (غَرَّهُ حُمُقُهُ وَجَهْلُهُ)^(٢)، وَقَالَ الْحَسَنُ: (غَرَّهُ وَاللَّهُ شَيْطَانُهُ الْخَبِيثُ)^(٣).

قوله: (حتى عصيته) أي: بالكفر، وجحد الرسل، وإنكار ما أتوا به.

قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ أي: أوجدك من العدم.

قوله: ﴿فَسَوَّنَكَ﴾ أي: جعل أعضائك سليمةً مستويةً تامةً المنافع.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما سبعيتان^(٤)، فالتسوية ترجع إلى عدم النقصان في الأعضاء، والتعديل يرجع إلى نفي العوج والقبح.

قوله: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾، و﴿شَاءَ﴾: صفة لـ ﴿صُورَةٍ﴾، والمعنى: رَكَّبَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مِنَ الصُّورِ الَّتِي اقْتَضَتْهَا مَشِيَّتُهُ؛ مِنْ طَوِيلٍ وَقَصِيرٍ، وَذَكَوْرَةٍ وَأُنُوْثَةٍ.

قوله: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾ إضرابٌ انتقاليٌّ إلى بيان ما هو السببُ الأصلي في اغترارهم، كأنه قال: إِنَّكُمْ لَا تَسْتَقِيمُونَ عَلَى مَا تُوجِبُهُ نَعْمِي عَلَيْكُمْ وَإِرْشَادِي لَكُمْ، بَلْ تُكَذِّبُونَ.

(١) رواه أبو عُبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص ١٥١)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (١٤٦/١٠) عن صالح بن مسمار بلاغاً.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩١٧٤)، وانظر «تفسير القرطبي» (٢٤٥/١٩).

(٣) أورده القرطبي في «تفسيره» (٢٤٥/١٩).

(٤) قرأ عاصم وحمة والكسائي بتخفيف الدال، والباقون بالتشديد. انظر «السراج المنير» (٤٩٧/٤).

وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينًا ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَأَنَّ
الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا
.....

﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِأَعْمَالِكُمْ، ﴿كِرَامًا﴾ عَلَى اللَّهِ ﴿كُنِينًا﴾ لَهَا، ﴿يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ جَمِيعَهُ.

(١٣ - ١٨) ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾: الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ فِي إِيمَانِهِمْ ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾: جَنَّةٌ،
﴿وَأَنَّ الْفُجَّارَ﴾: الْكُفَّارَ ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾: نَارٌ مُّحْرِقَةٌ، ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يَدْخُلُونَهَا وَيُقَاسُونَ حَرَّهَا
حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ﴾ الخطاب وإن كان مشافهةً إِلَّا أَنَّ الآيةَ عامَّةٌ بِالْإِجْمَاعِ لِجَمِيعِ
الْمُكَلَّفِينَ، وَالْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ مِنَ الْوَاوِ فِي ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.

قوله: (مِنَ الْمَلَائِكَةِ) أَي: فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَدْمِيِّينَ لَهُ مَلَكٌ: مَلَكٌ عَنْ يَمِينِهِ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ،
وآخَرُ عَنْ يَسَارِهِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ، وَقِيلَ: اثْنَانِ بِاللَّيْلِ، وَاثْنَانِ بِالنَّهَارِ.
وَاخْتَلَفُوا فِي الْكُفَّارِ؛ فَقِيلَ: لَيْسَ عَلَيْهِمْ حَفَظَةٌ؛ لِأَنَّ أَمْرَهُمْ ظَاهِرٌ، وَعَمَلُهُمْ وَاحِدٌ، وَقِيلَ:
عَلَيْهِمْ حَفَظَةٌ؛ لِظَاهِرِ هَذِهِ الْآيَةِ.

إِنْ قُلْتُ: فَأَيُّ شَيْءٍ يَكْتُبُ الَّذِي عَلَى يَمِينِهِ مَعَ أَنَّهُ لَا حَسَنَةَ لَهُ؟

أَجِيبُ: بِأَنَّ الَّذِي عَنْ شِمَالِهِ يَكْتُبُ بِإِذْنِ صَاحِبِ الْيَمِينِ، فَيَكُونُ شَاهِدًا عَلَى ذَلِكَ، فَالْمُرَادُ
بِالْحَفَظَةِ هُنَا: حَفَظَةُ الْأَعْمَالِ الْكَاتِبُونَ لَهَا، وَأَمَّا حَفَظَةُ الْبَدَنِ . . فهُمْ الْمَذْكُورُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ
عَلَى أَنَّ الشَّاهِدَ لَا يَشْهَدُ إِلَّا بَعْدَ الْعِلْمِ؛ لَوْصَفِ الْمَلَائِكَةِ بِكَوْنِهِمْ حَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ
مَا تَفْعَلُونَ.

قوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ شُرُوعٌ فِي بَيَانِ مَا يَكْتُبُونَ لِأَجَلِهِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: يَكْتُبُونَ الْأَعْمَالِ؛
لِيُجَازِيَ الْأَبْرَارَ بِالنَّعِيمِ . . . إلخ.

قوله: ﴿وَأَنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ «أَل» فِي ﴿الْفُجَّارَ﴾ لِلْعَهْدِ الذِّكْرِيِّ؛ أَي: الْمَتَقَدِّمِ ذِكْرَهُمْ
فِي قَوْلِهِ: ﴿بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ﴾.

قوله: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ الْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ، أَوْ حَالِيَّةٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي خَبَرِ ﴿إِنَّ﴾.

يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: الجزاء، ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾: بِمُخْرَجِينَ. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أَعْلَمَكَ ﴿مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾ - تَعْظِيمٌ لِشَأْنِهِ - .
﴿يَوْمَ﴾ ﴿١٩﴾ - بِالرَّفْعِ أَي: هُوَ يَوْمٌ - ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾: مِنَ الْمَنْفَعَةِ، ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ لا أَمْرَ لغيره فيه، أي: لَمْ يُمْكِنْ أَحَدًا مِنَ التَّوَسُّطِ فِيهِ بِخِلَافِ الدُّنْيَا.

حاشية الصاوي

قوله: (الجزاء) أي: الذي كانوا يكذبون به.

قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ (ما): اسم استفهام مبتدأ، وجملة ﴿أَدْرَاكَ﴾: خبره، والكاف: مفعول أول، وجملة ﴿مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ من المبتدأ والخبر: سادة مسدّ المفعول الثاني، والاستفهام الأول للإنكار، والثاني: للتعظيم والتهويل، والمعنى: وأي شيء أدراك عظم يوم الدين وشدة هوله؟! أي: لا علم لك به إلا بإعلام منا.

قوله: ﴿يَوْمَ﴾ بالرفع والنصب، قراءتان سبعيتان، فالرفع على أنه خبرٌ لمحذوف؛ أي: هو يوم، والنصب على أنه مفعول لفعل محذوف، وقرئ شذوذاً برفعه مُنَوَّنًا؛ لِقَطْعِهِ عَنِ الْإِضَافَةِ، وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهُ نَعْتٌ لَهُ^(١).

قوله: ﴿شَيْئًا﴾ (من المنفعة) جوابٌ عمّا يُقال: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ الْمُقْبُولِينَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ لغيرهم، فالجواب: أَنَّ الْمُنْفِيَّ ثَبُوتُ الْمَلِكِ بِالْإِسْتِقْلَالِ، وَالشَّفَاعَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ، بَلْ لَا تَكُونُ إِلَّا بِإِذْنِ خَاصٍّ.

قوله: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ أي: ظاهراً وباطناً، فلا تصرفٌ لغيره فيه أصلاً.

قوله: (بخلاف الدنيا) أي: فالعبيد مُتَصَرِّفُونَ فِيهَا، وَيُنَسَّبُ لَهُمُ الْمَلِكُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ ظَاهِرًا.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع (يوم) على أنه خبر مبتدأ مُضْمَرٌ؛ أي: هو يوم، وجوز الزمخشري أن يكون بدلاً مما قبله، يعني قوله: ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾، وقرأ أبو عمرو في رواية: (يوم) مرفوعاً مُنَوَّنًا على قَطْعِهِ عَنِ الْإِضَافَةِ، وجعل الجملة نعتاً له، والعائد محذوف؛ أي: لا يملك فيه، وقرأ الباقر (يوم) بالفتح، وقيل: هي فتحة إعراب، ونصبه بإضمار (اعني) أو (يتجاوزون)، أو بإضمار (اذكر)، فيكون مفعولاً به، وعلى رأي الكوفيين يكون خبراً لمبتدأ مُضْمَرٍ، وإنما بُنِيَ لِإِضَافَتِهِ لِلْفِعْلِ وَإِنْ كَانَ مُعْرَبًا، كقوله: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ﴾. انظر «الدر المصون» (١٠/٧١٣).



مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ، سِتُّ وَثَلَاثُونَ آيَةً.

حاشية الصاوي

(سورة التطفييف)

وتسمَّى (سورة المطففين).

قوله: (مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ) «أو»: لحكاية الخلاف؛ فالأوَّل: قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل في أحد قوليه، والثاني: قول الحسن وابن عباس وعكرمة ومقاتل في قوله الآخر، وهذان قولان من أربعة أقوال، ثالثها: أنها نزلت بين مكة والمدينة، رابعها: كلها مدنيَّة إلا قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا...﴾ إلى آخر السورة فمكيَّة، والمشهور: أنها مدنيَّة؛ لما روي عن ابن عباس قال: (لما قدم النبي ﷺ المدينة.. كانوا من أحبَّ الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، فأحسنوا الكيل بعد ذلك)^(١)، قال الفراء: (فهم أوفى من النَّاس كيلاً إلى يومهم هذا)^(٢)، وروي عنه أيضاً قال: (هي أوَّل سورة نزلت على رسول الله ساعة نزل بالمدينة، وكان هذا فيهم؛ كانوا إذا اشتروا.. استوفوا بكيل راجح، وإذا باعوا.. بخسوا المكيال والميزان، فلمَّا نزلت هذه السورة.. انتهوا، فهم أوفى النَّاس كيلاً إلى يومهم هذا)^(٣).

وقال جماعة: نزلت في رجل يُعرف بأبي جهينة، واسمه عمرو، كان له صاعان، يأخذ بواحد، ويُعطي بآخر^(٤).

ومناسبتها لما قبلها: أنه لما ذكر حال السعداء والأشقياء فيما قبلها.. ذكر هنا ما أعدَّ لبعض العصاة، وذكرهم بأخس ما يقع من المعصية، وهي التطفييف الذي لا يكاد يُغني أحدهما، ويُفقر الآخر، ثم ذكر فيها ما أعدَّ للكفار عموماً، وللمطيعين عموماً.

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٩٠)، وابن ماجه (٢٢٢٣).

(٢) أورده الماوردي في «تفسيره» (٢٢٥/٦).

(٣) أورده القرطبي في «تفسيره» (٢٥٠/١٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) انظر «زاد المسير» (٤١٣/٤).

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿وَيْلٌ﴾: كَلِمَةُ عَذَابٍ أَوْ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ ﴿لِّلْمُطَفِّينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَيْلٌ﴾ مبتدأ، سورَغ الابتداء به كونه دعاءً، و﴿لِّلْمُطَفِّينَ﴾: خبره، وهذا على أنه كلمة عذاب، وعلى أنه اسمٌ للوادي فهو معرفة، ويجوز نصبه في غير هذا الموضع، ويختار فيما إذا كان مضافاً أو معرفاً^(١).

قوله: (كلمة عذاب) أي: مُعْلِمَةٌ بشدة عذابهم في الآخرة، فهو دعاءٌ عليهم بالهلاك، وقوله: (أو واد في جهنم) أي: يَهْوِي فِيهِ الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفاً قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ، فهما قولان، ويمكن الجمع: بأنَّ الويل له إطلاقان.

قوله: ﴿لِّلْمُطَفِّينَ﴾ جمع (مطفف)، وهو الذي يأخذ في كيل أو وزن شيئاً قليلاً، ومنه قولهم: (دون الطفيف) أي: الشيء التافه؛ لِقِلَّتِهِ، وهذا الوعيد يلحق كلَّ مَنْ يأخذ لنفسه زائداً، ويدفع إلى غيره ناقصاً، قليلاً أو كثيراً، لكن إن لم يَتُبْ منه، فإن تاب.. قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَأَصْرَّ عَلَيْهِ.. كَانَ مُصِرّاً عَلَى كِبِيرَةٍ مِنَ الْكِبَائِرِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ عَامَّةَ الْخَلْقِ مُحْتَاجُونَ إِلَى الْمَعَامَلَاتِ، وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَمْرِ الْكَيْلِ وَالْوِزْنِ وَالذَّرْعِ، فَلهَذَا السَّبَبُ عَظَّمَ اللَّهُ أَمْرَ الْكَيْلِ وَالْوِزْنِ، قَالَ نَافِعٌ: (كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَمُرُّ بِالْبَائِعِ فَيَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ، وَأَوْفِ الْكَيْلَ وَالْوِزْنَ؛ فَإِنَّ الْمُطَفِّينَ يُوقَفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُلْجِمَهُمُ الْعِرْقُ، فَيَكُونُ عِرْقُهُمْ عَلَى قَدَرِ تَفَاوُثِهِمْ فِي التَّطْفِيفِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رِكْبَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعِرْقُ إِلْجَاماً)^(٢)، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «خَمْسٌ بِخَمْسٍ: مَا نَقَضَ الْعَهْدَ قَوْمٌ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الْفَقْرُ، وَمَا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْفَاحِشَةُ - أَيْ: الزَّانَا - إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الْمَوْتُ، وَلَا طَفَّفُوا الْكَيْلَ إِلَّا مُنِعُوا النَّبَاتَ وَأَخْذُوا بِالسِّنِينَ مِنَ الْقَحْطِ، وَلَا مَنَعُوا الزَّكَاةَ إِلَّا حُبِسَ عَنْهُمْ الْقَطَرُ»^(٣).

(١) قال مكي: (والمختار في «ويل» وشبهه إذا كان غير مضاف الرفع، ويجوز النصب، فإن كان مضافاً أو معرفاً.. كان الاختيار فيه النصب نحو: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَقْرَأُوا﴾. انظر «الدر المصون» (١٠/٧١٥).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٥/٢٢٢).

(٣) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ» (١٠٩٩٢) عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾

عَلَى: أي: مِنَ ﴿النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ الكَيْلَ، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ أي: كَالُوا لَهُمْ ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ أي: وَزَنُوا لَهُمْ ﴿يُخْسِرُونَ﴾ يُقْصُونَ الكَيْلَ أَوْ الْوِزْنَ.

﴿٤ - ٦﴾ ﴿أَلَا﴾ - اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخٌ - ﴿يَظُنُّ﴾: ﴿أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ أي: فِيهِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ،

حَاشِيَةُ الصَّائِي

قوله: ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ متعلق بـ ﴿كَالُوا﴾، و(على) بمعنى (من) كما قال المفسر، ويصح أن يكون متعلقاً بـ ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾، قَدْماً لإفادة الاختصاص، والمعنى: يَسْتَوْفُونَ عَلَى النَّاسِ خَاصَّةً، وَأَمَّا لِأَنْفُسِهِمْ.. فَيَسْتَوْفُونَ لَهَا.

قوله: ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ أي: يَزِيدُونَ عَلَى حَقِّهِمْ، وليس المراد: يَسْتَوْفُونَ حَقَّهُمْ فقط؛ إذ ليس في ذلك نهْيٌ.

قوله: (أي: كَالُوا لَهُمْ) أشار بذلك إلى أَنَّ ضَمِيرَ (هُمْ) في محلِّ نصب مفعول لـ (كَالُوا) تعدَّى إليه الفعل بِنَفْسِهِ بعد حذف اللام، وليس ضمير رفع مؤكداً للواو.

قوله: ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ حذفه ممَّا تقدَّم؛ لإدالة هذا عليه.

قوله: ﴿يُخْسِرُونَ﴾ جواب (إذا).

قوله: (استفهام توبيخ) أي: ف(لا): نافية، دخلت عليها همزة الاستفهام، فـ ﴿أَلَا﴾ هنا ليست استفهامية، بل هي همزة الاستفهام دخلت على (لا) النافية، فأفادت التوبيخ والإنكار.

قوله: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ﴾... إلخ) أشار المفسر إلى أَنَّ الظَّنَّ بمعنى اليقين؛ أي: لا يُوقِنُ أولئك؛ إذ لو أيقنوا.. ما نقصوا في الكيل والوزن، وقيل: الظَّنُّ بمعنى: التردد، والمعنى: إن كانوا لا يَسْتَيْقِنُونَ بالبعث.. فهَلَّا ظَنُّوهُ حَتَّى يَتَدَبَّرُوا وَيَأْخُذُوا بِالْأَحْوَطِ؟

و﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة للمطففين، أتى بها نظراً إلى بعدهم عن مرتبة الأبرار، وعدَّهم من الأشرار.

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾

﴿يَوْمَ﴾ - بدل من محلّ ﴿يَوْمَ﴾، فناصبه ﴿مَبْعُوثُونَ﴾ - ﴿يَقُومُ النَّاسُ﴾ من قبورهم ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: الخلائق لأجل أمره وحسابه وجزائه؟

(٧ - ٩) ﴿كَلَّا﴾: حقاً ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ﴾ أي: كُتِبَ أعمال الكُفَّار ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة،
حاشية الصاوي

قوله: (فناصبه «مبعوثون») أي: مقدراً؛ لأنَّ البدل على نيّة تكرار العامل^(١).

قوله: (حقاً) أي: فـ ﴿كَلَّا﴾: كلامٌ مستأنفٌ، فالوقف على ما قبلها، وقيل: إنها كلمة ردع وزجر، والمعنى: ليس الأمر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان، فعلى هذا: يكون الوقف عليها.

قوله: ﴿الْفَجَارِ﴾ أظهر في مقام الإضمار؛ تسجيلاً عليهم بهذا الوصف الشنيع^(٢).

قوله: (أي: كُتِبَ أعمال الكفار) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿كِتَبَ﴾ بمعنى (كُتِبَ)، والكلام على حذف مضاف، وبذلك اندفع ما يلزم من ظرفيّة الشيء في نفسه^(٣).

قوله: ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ اختلف في نونه؛ فقيل: أصليّة، مشتقٌّ من السجن، وهو الحبس، وقيل: بدلٌ من اللام، مُشتقٌّ من السجل، وهو الكتاب.

قوله: (قيل: هو كتاب جامع) أي: دوّن الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الثقلين، موضوع تحت الأرض السابعة، في مكانٍ مظلمٍ موحشٍ، هو مسكن إبليس وذريته، يذهبون إليه لِيَسْتَوْفُوا جزاء أعمالهم.

(١) أو (مبعوثون) المذكور، ويكون العاملُ في البدل نفسَ العامل في المبدل منه.

(٢) أي: تشيئاً وتحقيقاً حتى لا يتأتى منهم الإنكار.

(٣) أي: فقد استشكل: بأنَّ الله تعالى قد أخبر عن كتاب الفجار بأنَّه في سجين، وفُسِّرَ سجيناً بـ ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾، فكأنَّه قيل: إنَّ كتابهم في كتاب مَرْقُومٍ؛ فما معناه؟

فأجاب المفسر رحمه الله تعالى: أنَّ المراد بـ (الكتاب) المصدر، فيكون المعنى: إنَّ كتابة أعمالهم في سجين، ثمَّ وصف السجين بأنه كتاب مَرْقُومٍ فيه جميعُ أعمال الفجار.

وقال الإمام الرازي رحمه الله تعالى: (وأيُّ استبعادٍ في كون أحد الكتابين في الآخر؟ إمَّا بأن يوضع كتاب الفجار في الكتاب الذي هو الأصل المرجوع إلى في تفصيل أحوال الأشقياء، أو بأن يُنقل ما في كتاب الفجار إلى ذلك الكتاب المسمّى بالسجين). انظر «تفسير الرازي» (٨٧/٣١).

وَمَا أَذْرَكَ مَا سَجَّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ

وقيل: هو مكان أسفل الأرض السابعة، وهو محل إبليس وجنوده، ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا سَجَّينٌ﴾: ما كتاب سَجَّين؟ ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾: مكتوم.

(١٠ - ١٣) ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ: الجزء، - بدل أو بيان للمُكَذِّبِينَ، - ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾: مُتَجَاوِزِ الْحَدِّ ﴿أَثِيمٍ﴾ - صِيغَةُ مُبَالِغَةٍ - ﴿إِذَا تُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾: الْقُرْآنُ ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: الْحِكَايَاتِ الَّتِي سَطَّرَتْ قَدِيمًا، جَمْعُ (أَسْطُورَةٍ) بِالضَّمِّ أَوْ (إِسْطَارَةٍ) بِالْكَسْرِ.

(١٤ - ١٧) ﴿كَلَّا﴾ - رَدَعٌ وَزَجْرٌ لِقَوْلِهِمْ ذَلِكَ - ﴿بَلْ رَانَ﴾: غَلَبَ

حاشية الصاوي

قوله: (وقيل: هو مكان... إلخ) أي: فهو اسم موضع، وعليه: فقوله الآتي: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا سَجَّينٌ﴾ على حذف مضاف، والتقدير: ما كتاب سَجَّين؟ كما ذكره المفسر، والإضافة على معنى (في)، وقد يُجمع: بأنَّ ﴿سَجَّينٌ﴾ اسم للكتاب والموضع معاً.

قوله: (وهو محل إبليس... إلخ) أي: وفيه أرواح الكفار.

قوله: ﴿وَمَا أَذْرَكَ﴾ (ما): اسم استفهام مبتدأ، و﴿أَذْرَكَ﴾ خبره، و﴿مَا سَجَّينٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة ساذة مسدَّة المفعول الثاني، والاستفهام الأول للإنكار، والثاني للتفخيم والتعظيم.

قوله: ﴿مَرْقُومٌ﴾ بيانٌ لـ ﴿كِتَابٌ﴾ المذكور في قوله: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْقَبَارِ﴾، والمعنى: إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ مَكْتُوبٌ فِيهِ أَعْمَالُهُمْ، مثبتة كالرَّقْمِ فِي الثَّوْبِ، لَا يُنْسَى وَلَا يَمْحَى، وقيل: الرَّقْمُ: الختم بلغة حمير، وعليه مشى المفسر، والمعنى: أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ مَرْقُومٌ بِعَلَامَةٍ يَعْرِفُ أَنَّهُ كَافِرٌ.

قوله: (أو بيان) أي: أو نعت.

قوله: (ردع وزجر) أي: لِلْمُعْتَدِي الْأَثِيمِ عَنْ ذَلِكَ الْقَوْلِ الْبَاطِلِ، فهي حرف، وقال الحسن: (إِنَّ «كَلَّا» بِمَعْنَى «حَقًّا»)^(١).

قوله: ﴿بَلْ رَانَ﴾ أي: أَحَاطَ وَغَطَّى كَتَغْطِيَةِ الْغَيْمِ لِلسَّمَاءِ، وَرَدَ: «أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا..»

عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ

﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فَعَشِيهَا ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ مِنَ الْمَعَاصِي، فَهُوَ كَالصَّدَأِ، ﴿كَلَّا﴾: حَقًّا ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿لَمَحْجُورُونَ﴾ فَلَا يَرُونَهُ، ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾: لَدَاخِلُوا النَّارِ الْمُحْرِقَةِ، ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لَهُمْ: ﴿هَذَا﴾ أَي: الْعَذَابُ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ.

(١٨ - ٢١) ﴿كَلَّا﴾: حَقًّا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ أَي: كُتِبَ أَعْمَالُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ

حاشية الصاوي

نُكِنَتْ نُكْتَةُ سُودَاءٍ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ. صُقِلَ قَلْبُهُ مِنْهَا، وَإِذَا زَادَ. زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبُهُ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ^(١).

وَقَالَ أَبُو مَعَاذٍ: (الرَّيْنُ: أَنْ يَسْوَدَّ الْقَلْبُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالطَّبْعُ: أَنْ يُطْبَعَ عَلَى الْقَلْبِ، وَهُوَ أَشَدُّ مِنَ الرَّيْنِ، وَالْإِقْفَالُ أَشَدُّ مِنَ الطَّبْعِ، وَهُوَ أَنْ يُقْفَلَ عَلَى الْقَلْبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَرَ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالَهُآ﴾^(٢).

قوله: (حَقًّا) وقيل: حرف ردع وزجر؛ أي: ليس الأمر كما يقولون، بل إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ... إلخ.

قوله: (فَلَا يَرُونَهُ) هذا هو الصحيح، وقيل: يَرُونَهُ ثُمَّ يَحْجُبُونَ حَسْرَةً وَنَدَامَةً.

قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ ﴿ثُمَّ﴾: لِلتَّرَاخِي فِي الرُّتْبَةِ؛ فَإِنَّ صَلَى الْجَحِيمِ أَشَدُّ مِنَ الْإِهَانَةِ، وَالْجِرْمَانِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْكَرَامَةِ.

قوله: ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لَهُمْ أَي: مِنْ طَرَفِ الْخَزَنَةِ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ.

قوله: ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ أَي: فِي الدُّنْيَا.

قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ بَيَانٌ لِمَحَلِّ كِتَابِ الْأَبْرَارِ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ الدَّائِمِ إِثْرَ بَيَانِ كِتَابِ الْفَجَّارِ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الدَّائِمِ.

قوله: (حَقًّا) وقيل: حرف ردع وزجر، فَتَحْصُلُ أَنَّ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْأَرْبَعَةِ الْوَاقِعَةِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ قَوْلَيْنِ.

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر «تفسير الرازي» (٨٨/٣١)، وأبو معاذ هو النحوي اللغوي المقرئ المروزي، واسمه الفضل بن خالد، والرَيْنُ والرَّانُ سَوَاءٌ، كَالذَّامِ وَالذَّيْمِ، وَالْعَابِ وَالْعَيْبِ.

لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾

في إيمانهم ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومُؤمِنِي الثَّقَلَيْنِ، وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أَعْلَمَكَ ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾: ما كتاب عليين؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ اسم مفرد على صيغة الجمع، لا واحد له من لفظه^(١)، سُمِّي بذلك إمَّا لأنه سببُ العلوِّ إلى أعالي الدرجات في الجنة، وإمَّا لأنه مرفوع في السماء السابعة؛ لما ورد مرفوعاً: ﴿عِلِّيِّينَ﴾ في السماء السابعة تحت العرش^(٢).

قوله: (قيل: هو كتاب... إلخ) أي: فهو علم على ديوان الخير الذي دُوِّن فيه كلُّ عملٍ صالحٍ للثَّقَلَيْنِ، ورد: «إِنَّ الملائكةَ لتصعد بعمل العبد، فيستقبلونه، فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله من سلطانه... أوحى إليهم: أنتم حفظة على عبيدي، وأنا الرقيب على ما في قلبه، وإنه أخلص عمله؛ فاجعلوه في عليين، وقد غفرتُ له، وإنها لتصعد بعمل العبد فتزكيه، فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله... أوحى إليهم: أنتم الحفظة على عبيدي، وأنا الرقيب على قلبه، وإنه لم يخلص لي عمله؛ فاجعلوه في سجين»^(٣).

قال ابن عباس: (هو لوح من زبرجدة خضراء، معلق تحت العرش، أعمالهم مكتوبة فيه)، وقال كعب وقتادة: (هو قائمة العرش اليمين)، وقال بعض أهل المعاني: (هو علو بعد علو، وشرف بعد شرف)^(٤).

قوله: (من الملائكة) ظاهره: أَنَّ الملائكة تُكْتَبُ أعمالُهم، ويثابون عليها، وانظر في ذلك.

قوله: (وقيل: هو مكان... إلخ) قد يُجمع بأنَّ عليين اسم لكل من الكتاب والمكان.

قوله: (ما كتاب عليين) هذا التقدير إنما يُحتاجُ له على القول الثاني في تفسير (عليين)، لا على الأوَّل.

(١) أو هو جمع (علي) من العلو. «فتوحات» (٥٢٦/٤).

(٢) رواه البغوي في «تفسيره» (٢٢٣/٥) عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنه، وفيه: (عليون) بدل (عليين)، ولعل ما في الأصول على الحكاية، وينحوه عند الإمام أحمد في «المسند» (٢٨٧/٤)، والحاكم في «المستدرک» (٣٧/١).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (٤٥٢) عن ضمرة بن حبيب مرسلًا.

(٤) انظر الأقوال الثلاثة في «تفسير البغوي» (٢٢٥/٥)، و«زاد المسير» (٤١٦/٤).

كِتَبٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُ الْمُفْرُوقَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ

هو ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾: مَخْتُومٌ، ﴿يَشْهَدُ الْمُفْرُوقَ﴾: مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

(٢٢ - ٢٨) ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾: جَنَّةٌ، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: السَّرُورُ فِي الْحِجَالِ
﴿يَنْظُرُونَ﴾: مَا أُعْطُوا مِنَ النَّعِيمِ، ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾: بِهَجَةِ التَّنْعَمِ وَحُسْنِهِ،
﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾: خَمْرٍ خَالِصَةٌ مِنَ الدَّنَسِ،

حاشية الصاوي

قوله: (مختوم) وقيل: الرِّقْمُ: الكتابة، والمعنى: مكتوبٌ فيه: أَنَّ فَلاناً آمِنٌ مِنَ النَّارِ.

قوله: ﴿يَشْهَدُ الْمُفْرُوقَ﴾ أي: يَحْضُرُونَهُ، وَيَحْفَظُونَهُ، وَيَشْهَدُونَ بِمَا فِيهِ.

قوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ شروعٌ في بيان عاقبة أمرهم إثر بيان حال كتابهم، على سَنَنِ مَا مَرَّ
فِي شَأْنِ الْفَجَارِ.

قوله: (السَّرُورُ فِي الْحِجَالِ) جمع (حَجَلَةٍ) بفتحيتين: بَيْتٌ مَرْبَعٌ مِنَ الثِّيَابِ الْفَاخِرَةِ، يُرْخَى
عَلَى السَّرِيرِ، يَسْمَى فِي الْعُرْفِ: النَّامُوسِيَّةُ.

قوله: ﴿يَنْظُرُونَ﴾ الجملة حَالِيَّةٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي خَبَرٍ ﴿إِنَّ﴾، أَوْ مُسْتَأْنَفَةٌ، وقوله: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾
مُتَعَلِّقٌ بِهِ ﴿يَنْظُرُونَ﴾.

قوله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ﴾... إلخ) أي: إِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تَعْرِفُ أَنَّهُمْ أَهْلُ النَّعْمَةِ؛ لِمَا تَرَى
فِي وُجُوهِهِمْ مِنَ الْحُسْنِ وَالْبَيَاضِ، وَفِي قُلُوبِهِمْ مِنَ السَّرُورِ وَالْفَرَحِ.

والخطابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، أَوْ لِكُلِّ مَنْ تَصَحَّحَ مِنْهُ الْمَعْرِفَةُ، وَهَذِهِ قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ بِالتَّاءِ
مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ، وَ(نَضْرَةٌ) بِالرَّفْعِ: نَائِبٌ فَاعِلٌ، وَقَرِئَ بِالْيَاءِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ أَيْضاً، مَعَ رَفْعِ (نَضْرَةٌ) نَظْراً
إِلَى أَنَّ التَّائِيثَ مَجَازِيٌّ^(١).

قوله: (بهجة التَّنْعَمِ... إلخ) أي: لِعَدَمِ مَا يُكَدِّرُهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْعَلَلِ وَخَوْفِ الزَّوَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قوله: (خالصة من الدَّنَسِ) أي: الْكَدَرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ﴾

[الصفات: ٤٧].

مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خَتَمَهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

﴿مَخْتُومٍ﴾ على إنائها لا يَفُكُّ خَتَمَهُ إِلَّا هُمْ، ﴿خَتَمَهُ مِسْكٌ﴾ أي: آخرُ شُرْبِهِ يَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمِسْكِ، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾: فَلْيَرْعَبُوا بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، ﴿وَمِزَاجُهُ﴾ أي: ما يُمَزَّجُ بِهِ ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ فُسِّرَ بِقَوْلِهِ: ﴿عَيْنًا﴾ - فنصبه بـ (أمدح) مُقَدَّرًا - ﴿يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: مِنْهَا، أَوْ ضَمَّنَ ﴿يَشْرَبُ﴾ مَعْنَى: يَلْتَذُّ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿مَخْتُومٍ﴾ على إنائها﴾ أي: لِشَرَفِهَا وَنَفَاسَتِهَا.

إن قلت: قد قال في سورة (محمَّد ﷺ): ﴿وَأَنهَرُ مِنْ خَمْرٍ﴾ [محمد: ١٥]، والنَّهْرُ لا خَتَمَ فِيهِ؛ فكيف طريقُ الجمع بين الآيتين؟

أجيب: بأنَّ هذه الأواني غيرُ خمرِ الأنهار.

قوله: ﴿﴿خَتَمَهُ مِسْكٌ﴾﴾ صفةٌ ثانيةٌ لـ ﴿رَحِيقٍ﴾، وفي قراءة سبعةٍ أيضاً: (خَاتَمُهُ) بناءً مفتوحة بعد الألف، بيانٌ لجنسِ الخاتم، وقرئ شذوذاً بكسر التاء، والمعنى: خَاتِمُ رَائِحَتِهِ مِسْكٌ^(١).

قوله: (يفوحُ منه رائحةُ المِسْكِ) أي: إنَّ رائحةَ المِسْكِ تَظْهَرُ فِي آخِرِ الشَّرَابِ، فوجهُ التخصيص: أَنَّ فِي الْعَادَةِ يُمَلُّ آخِرُ الشَّرَابِ فِي الدُّنْيَا، فَأَفَادَ أَنَّ آخِرَ الشَّرَابِ يَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمِسْكِ؛ فَلَا يُمَلُّ مِنْهُ.

قوله: ﴿﴿وَفِي ذَلِكَ﴾﴾ إشارةٌ للرحيق وما بعده، أو إلى ما ذكر من أحوال الأبرار.

قوله: ﴿﴿الْمُتَنَافِسُونَ﴾﴾ أي: الَّذِينَ شَأْنُهُمُ الْمُنَافَسَةُ بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالنِّيَّاتِ الْخَالِصَةِ؛ لِعُلُوِّ هَمَّتِهِمْ، وَطَهَارَةِ نَفُوسِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُنْزِلَ هَذَا فليَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

قوله: ﴿﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾﴾ اسْمٌ لِلْعَيْنِ، سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِمَا رُوي: «أَنَّهَا تَجْرِي فِي الْهَوَاءِ مَسْنَمَةً، فَتُصَبُّ فِي أَوَانِي أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى مِقْدَارِ الْحَاجَةِ، فَإِذَا امْتَلَأَتْ أَمْسَكَتْ»^(٢)، فَاَلْمُقَرَّبُونَ يَشْرَبُونَهَا صِرْفًا، وَتُمَزَّجُ لِسَائِرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

قوله: (أَوْ ضَمَّنَ) أشار بذلك إلى أَنَّ التَّضْمِينَ إمَّا فِي الْحَرْفِ، أَوْ فِي الْفِعْلِ.

(١) قرأ الكسائي: (خاتمه) بفتح التاء بعد الألف، والباقون بتقديمها على الألف، ورُوي عن الكسائي أيضاً كسر التاء. انظر «الدر المصون» (١٠/٧٢٥).

(٢) أورده الإمام الرازي في «تفسيره» (٩٣/٣١).

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾

(٢٩ - ٣٢) ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ كَأَبِي جَهْلٍ وَنَحْوِهِ ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كَعَمَّارٍ وَبِلَالٍ وَنَحْوِهِمَا ﴿يَضْحَكُونَ﴾ اسْتِهْزَاءٌ بِهِمْ، ﴿وَإِذَا مَرُّوا﴾ أَي: الْمُؤْمِنُونَ ﴿بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ أَي: يُشِيرُ الْمُجْرِمُونَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَفَنِ وَالْحَاجِبِ اسْتِهْزَاءً، ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾: رَجَعُوا ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ - وفي قِرَاءَةٍ: ﴿فَكِهِينَ﴾ -: مُعْجِبِينَ بِذِكْرِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾... إلخ) لما ذكر الله تعالى كرامة الأبرار في الآخرة.. ذكر بعد ذلك قبح معاملته الكفار معهم في الدنيا؛ تسليةً للمؤمنين، وتقويةً لقلوبهم.

قوله: (كأبي جهل ونحوه) أي: وهو الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وأصحابهم من أهل مكة.

قوله: (ونحوهما) أي: كخبَّابٍ، وصهيبٍ، وأصحابهم من فقراء المؤمنين.

قوله: (رجعوا) أي: من مجالسهم.

قوله: ﴿انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾) أي: مُتَلَذِّذِينَ بِرَفْعَتِهِمْ وَمَكَانَتِهِمْ الْمُوصِلَةَ إِلَى الاستِسْخَارِ بغيرهم؛ ففي الحديث: «إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، يَكُونُ الْقَابِضُ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ»^(١)، وفي رواية: «يَكُونُ الْمُؤْمِنُ فِيهِمْ أَذَلٌّ مِنَ الْأَمَةِ»^(٢)، وفي أخرى: «العالم فيهم أَتَنُّ مِنْ جِيْفَةِ حِمَارٍ»^(٣)، والله المستعان.

قوله: (وفي قِرَاءَةٍ) أي: وهي سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا^(٤).

قوله: (معجبين) راجعٌ للقراءتين؛ أي: مُتَلَذِّذِينَ بِذِكْرِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، وبالضحك.

(١) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١١٦٤).

(٢) رواها أبو داود في «الزهد» (١٧٦)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (٥٠١) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٨١/٥) من حديث مكحول رحمه الله تعالى. وانظر الروايات في «السراج المنير» (٥٠٥/٤).

(٤) قرأ حفص: ﴿فَكِهِينَ﴾ دون ألف، والباثون بها؛ فقيـل: هما بمعنى، وقيل: فكهين: أشيرين، وفاكهين: من التَّفَكُّه، وقيل: فكهين: فرحين، وفاكهين: ناعيين، وقيل: فاكهين: أصحاب فاكهة ومزاج. انظر «الدر المصون» (٧٢٧/١٠).

وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءَ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾: رأوا المؤمنين ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءَ لَضَالُونَ﴾ لإيمانهم بمحمد ﷺ.
 (٣٢ - ٣٦) قال تعالى: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا﴾ أي: الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾: على المؤمنين ﴿حَافِظِينَ﴾ لهم أو لأعمالهم حتى يردوهم إلى مصالحهم، ﴿فَالْيَوْمَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ على الأرائك ﴿يَنْظُرُونَ﴾ من منازلهم إلى الكفار وهم يُعَذِّبُونَ، فيضحكون منهم كما ضحك الكفار منهم في الدنيا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ الضمير المرفوع عائد على المجرمين، والمنصوب عائد على المؤمنين؛ أي: إذا رأى المجرمون المؤمنين ينسبونهم إلى الضلال.

قوله: ﴿لإيمانهم بمحمد﴾ أي: فهم يرون أنهم على هدى، والمؤمنون على ضلال؛ حيث تركوا النعيم الحاضر بسبب شيء غائب لا يرونه.

قوله: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ حال من الواو؛ أي: قالوا ذلك والحال أنهم ما أُرْسِلُوا من قبل الله موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم وأعمالهم.

قوله: ﴿حتى يردوهم إلى مصالحهم﴾ أي: بل أمرُوا بإصلاح أنفسهم، لا بإصلاح المؤمنين.

قوله: ﴿فَالْيَوْمَ﴾ منصوب بـ ﴿يَضْحَكُونَ﴾ الواقع خبراً عن المبتدأ، ولا يضر تقدمه على المبتدأ؛ لأن اللبس، وذلك أن الظرف المبهم لا يصح وقوعه خبراً عن المبتدأ، بخلاف: ﴿في الدار زيد قام﴾؛ فلا يجوز تقديم الجار والمجرور على المبتدأ؛ لصلاحيته للخبرية.

قوله: ﴿يَنْظُرُونَ﴾ حال من ضمير ﴿يَضْحَكُونَ﴾.

قوله: ﴿مِنْ منازلهم﴾ قال كعب: (لأهل الجنة كوى ينظرون منها إلى أهل النار)^(١)، وقيل: حصن شفاف بينهم، يرون منه حالهم.

وفي سبب هذا الضحك وجوه: منها: أن الكفار كانوا في ترفه ونعيم، فيضحكون من المؤمنين بسبب ما هم فيه من البؤس والضرر، وفي الآخرة ينعكس الحال، فيكون المؤمنون في النعيم، والكفار في الجحيم.

(١) أورده ابن جزي في «تفسيره» (٥/٤٥٤).

هَلْ تُؤَبِّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

﴿هَلْ تُؤَبِّ﴾ : جُوزِي ﴿الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ؟ نَعَمْ .

حاشية الصاوي

ومنها : أنه يقال لأهل النار وهم فيها : اخرجوا ، وتُفْتَحُ لهم أبوابها ، فإذا رأوها وقد فُتِحَتْ أبوابها . . أقبِلُوا إليها يريدون الخروج ، والمؤمنون ينظرون إليهم ، فإذا انتهوا إلى أبوابها . . أُغْلِقَتْ دونهم ، يُفْعَلُ ذلك بهم مراراً .

ومنها : أنهم إذا دخلوا الجنة وأجلسوا على الأرائك . . ينظرون إلى الكفار كيف يعذبون في النار ، ويرفعون أصواتهم بالويل والثبور ، ويلعن بعضهم بعضاً ، فهذا سبب ضحكهم .

قوله : ﴿هَلْ تُؤَبِّ الْكُفَّارُ﴾ . . . إلخ) يحتمل أنه مَقُول قول محذوف ، والتقدير : يقول الله لأهل الجنة ، أو يقول بعض المؤمنين لبعض : هل تُؤَبِّ . . . إلخ ، ويحتمل أنه متعلق بـ ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ، والمعنى : ينظرون هل جُوزِي الكفار ، فمحلُّها نصبٌ إمَّا بالقول المحذوف ، أو بـ ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ، وقوله : (جوزي) إشارة إلى أنَّ التَّثْوِيْبَ بمعنى الجزاء ، وهو يكون في الخير والشرِّ ، والمراد هنا الثاني ، وقوله : (نعم) جوابُ الاستفهام على كلِّ .



﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣)



مَكِّيَّة، ثلاثٌ أو خمسٌ وعِشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٥) ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (١) وَأَذِنَتْ : سَمِعَتْ وَأَطَاعَتْ فِي الْاِنْشِقَاقِ ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أَي : وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ ، ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ : زِيدَ فِي سَعَتِهَا

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

قوله : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ أَي : انصدعت بغمام يخرج منها ، وهو البياض في جوانب السماء لتزُلِّ الملائكة ، قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّعْمِ وَرَزَّ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان : ٢٥] .
قوله : ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أَي : انقادت لأمره .

قوله : (سمعت وأطاعت) أَي : فشبه حال السماء في انقيادها لتأثير قدرة الله تعالى حيث أراد انشقاقها بانقياد المستمع المطيع لأمره ؛ وذلك أَنَّ السماوات لما علمت مراد الله وتعلَّقَ إرادته بانشقاقها .. سلَّمت وفوضت أمرها ، ولم تنازع في ذلك .

قوله : ﴿وَحُقَّتْ﴾ بالبناء للمفعول ، والفاعل في الأصل محذوف وهو الله تعالى ، وكذا المفعول ، والأصل : وَحُقَّ اللَّهُ عَلَيْهَا اسْتِمَاعُهَا ، فحذف الفاعل ، ثُمَّ المفعول ، وأسند الفعل إلى ضمير السماوات ، والمعنى : وَحُقَّ لَهَا اسْتِمَاعُهَا ؛ لعلمها بأنَّ مراد الله نافذٌ ، فهي أهلٌ لأن تسمع وتطيع ، قال تعالى : ﴿قَالَتَا أَأَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت : ١١] .

قوله : ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أَي : بُسِطَتْ ، وَدُكَّتْ جبالها .

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ

كما يُمَدُّ الأديم ولم يَبْقَ عليها بناءٌ ولا جبل، ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من المَوْتَى إلى ظاهرها ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ عنه، ﴿وَأَذِنَتْ﴾: سَمِعَتْ وأطاعت في ذلك، ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ وذلك كُلُّهُ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، - وجواب ﴿إِذَا﴾ وما عُطِفَ عليها مَحذُوفٌ دَلٌّ عَلَيْهِ ما بَعْدَهُ، تَقْدِيرُهُ: لَقِيَ الْإِنْسَانُ عَمَلَهُ ..

﴿٦﴾ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴿٦﴾: جَاهِدٌ فِي عَمَلِكَ

حاشية الصاوي

قوله: (كما يُمَدُّ الأديم) أي: وهو الجلد؛ لأنه إذا مُدَّ زال كُلُّ انثناء فيه، وامتدَّ، واستوى.

قوله: (ولم يَبْقَ عليها بناءٌ ولا جبل) أي: فَيُزَادُ في سعتها؛ لوقوف الخلائق عليها للحساب، حتَّى لا يكون لأحدٍ من البشر إِلَّا موضعُ قدميه؛ لكثرة الخلائق فيها، وظاهر الآية: أَنَّ الأرضَ تَمُدُّ مع بقائها، وليس كذلك، بل تُبَدَّلُ بأرضٍ أخرى، بدليل آية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قوله: (من الموتى) أي: والكنوز والمعادن والزروع.

قوله: ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ أي: خلا جوفها، فلم يَبْقَ في بطنها شيءٌ.

قوله: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ ليس تكراراً؛ لأنَّ هذا في الأرض، وما تقدَّم في السماوات.

قوله: (وأطاعت في ذلك) أي: الإلقاء والتَّخْلِي.

قوله: (دَلٌّ عليه ما بعده) أي: وهو قوله: ﴿فَمُلْقِيهِ﴾.

قوله: (تقديره: لقي الإنسان... إلخ) قدره غيره: (علمت نفس)، وهو أحسن؛ لأنَّه تقدَّم في (التكوير) و(الانفطار)،

وَحَيْرُ مَا فَسَّرْتَهُ بِالْوَارِدِ

قوله: ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَنُ﴾... إلخ) يحتمل أَنَّ المراد به الجنس، وبه قال سعيد وقتادة، ويحتمل أَنَّهُ مَعِينٌ وهو الأسود بن عبد الأسد، وقيل: أبي بن خلف، وقيل: جميع الكفار^(١).
قوله: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ الكدح: العمل والكسب والسَّعي.

(١) وقيل: المراد منه رجل بعينه، فقيل: هو مُحَمَّدٌ ﷺ، والمعنى: إِنَّكَ كَادِحٌ في إبلاغ رسالات الله تعالى، وإرشاد عباده، وتحمل الضرر من الكفار، فأبشر فإنك تلقى الله تعالى بهذا العمل، وقال ابن عباس: هو أبي بن خلف، وكدحه هو جدُّه واجتهاده في طلب الدنيا، وإيذاء النبي ﷺ، والإصرار على الكفر. انظر «السراج المنير» (٥٠٧/٤).

إِلَىٰ رَبِّكَ كَذًّا فَمُلْقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَبَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾

﴿إِلَىٰ﴾ لقاء ﴿رَبِّكَ﴾ وهو الموت ﴿كَذًّا فَمُلْقِيهِ﴾ أي: مُلاقٍ عَمَلِكَ المَذْكُورِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٧ - ٩) ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَبَهُ﴾: كِتَابُ عَمَلِهِ ﴿بِيَمِينِهِ﴾ هو الْمُؤْمِنُ، ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ هو عَرْضُ عَمَلِهِ عَلَيْهِ كَمَا فُسِّرَ فِي حَدِيثِ «الصَّحِيحِينَ»، وفيه: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ»، وبعدَ العَرْضِ يُتَجَاوَزُ عَنْهُ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: حرف غاية، والمعنى: غاية كدحك في الخير أو الشر ينتهي بقاء ربك، وهو الموت.

قوله: ﴿فَمُلْقِيهِ﴾: إمَّا معطوفٌ على ﴿كَادِحٌ﴾، أو خبرٌ مبتدأٌ محذوف؛ أي: فانت مُلاقٍ، والجملة معطوفة على جملة ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾.

قوله: (أي: مُلاقٍ عَمَلِكَ) أشار بذلك إلى أَنَّ الضمير في (مُلاقٍ) عائِدٌ على الكدح الذي هو بمعنى العمل، والكلام على حذف مضاف؛ أي: مُلاقٍ حسابُهُ وجزاءه، ويصحُّ أن يكون عائداً على الله تعالى، والمعنى: مُلاقٍ رَبِّهِ، فلا مفرَّ له منه.

قوله: (هو المؤمن) أي: ولو عاصياً مستحقاً للنَّار.

قوله: (هو عرض عمله عليه) أي: بأن تعرض أعماله، ويعرف أنَّ الطاعة منها هذه، وأنَّ المعصية هذه، ثمَّ يثاب على الطاعة، ويتجاوز عن المعصية، فهذا هو الحساب اليسير؛ لأنَّه لا شدَّة فيه على صاحبه، ولا مناقشة، ولا يُقال له: لم فعلتَ هذا؟ ولا يطالب بالعدر، ولا بالحجَّة عليه.

قوله: (كما فُسِّرَ في حديث «الصَّحِيحِينَ») أي: وهو ما وردَ عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَوسِبَ عُذْبَ»، قالت عائشة: فقلتُ: أوليس يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ فقال: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ»^(١)، وفي رواية: «عُذْبَ»^(٢).

(١) «صحيح البخاري» (٤٩٣٩)، و«صحيح مسلم» (٢٨٧٦).

(٢) رواها البخاري (٦٥٣٧)، ومسلم (٧٩/٢٨٧٦).

وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَن لَّنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ﴾ فِي الْجَنَّةِ ﴿مَسْرُورًا﴾ بِذَلِكَ.

(١٠ - ١٥) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ هُوَ الْكَافِرُ، تُغَلُّ يُمْنَاهُ إِلَى عُنُقِهِ وَتُجَعَلُ يُسْرَاهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، فَيَأْخُذُ بِهَا كِتَابَهُ، ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا﴾ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ مَا فِيهِ ﴿ثُبُورًا﴾: يُنَادِي هَلَاكِهِ يَقُولُهُ: يَا ثُبُورَاهُ، ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ يَدْخُلُ النَّارَ الشَّدِيدَةَ، - وَفِي قِرَاءَةِ بَضْمِ الْيَاءِ وَفَتْحِ الصَّادِ وَاللَّامِ الْمُشَدَّدَةِ -، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِ﴾: عَشِيرَتِهِ فِي الدُّنْيَا ﴿مَسْرُورًا﴾: بَطْرًا بِاتِّبَاعِهِ هَوَاهُ، ﴿إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَن﴾ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمُهَا مَحذُوفٌ - أَي: أَنَّهُ ﴿لَّنْ يَحُورَ﴾: يَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ، ﴿بَلَى﴾ يَرْجِعُ إِلَيْهِ ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾: عَالِمًا بِرُجُوعِهِ إِلَيْهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَيَنْقَلِبُ﴾ أي: يرجع بنفسه.

قوله: ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ أي: من الآدميات، والحدود العينية، وأصوله وفروعه.

قوله: ﴿وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ منصوبٌ بنزع الخافض.

قوله: (تُغَلُّ يُمْنَاهُ... إلخ) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يَشْمَلُ﴾

[الحاقة: ٢٥].

قوله: (يُنَادِي هَلَاكَهُ) أي: يتمناه؛ إذ نداء ما لا يفعل هو تمنيه.

قوله: (بَطْرًا) أي: فخرًا ورياءً، فأبدله الله بذلك حزنًا وغمًا لا ينقطع أبدًا.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ أي: تيقن وعلم.

قوله: (مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ) أي: ولا يصح أن تكون مصدرية؛ لما يلزم عليه من دخول الناصب

على مثله. والجملة ساذغة مسددة مفعولي ﴿ظَنُّوا﴾.

قوله: (يرجع إلى ربّه) أي: فالحور: الرجوع والتردد في الأمر، وبابه (قال) و(دخل).

قوله: ﴿بَلَى﴾ جواب النفي، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُ﴾... إلخ) جواب قسم مقدر، فهو بمنزلة

التعليل للجملة المستفادة من (بلى).

فَلَا أُقْسِمُ بِالْشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾

(١٦ - ١٩) ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ - (لا) زائدة - ﴿بِالشَّفَقِ﴾ هو الحُمرة في الأفق بعد غروب الشمس، ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾: جَمَعَ ما دَخَلَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾: اجْتَمَعَ وَتَمَّ نُورُهُ، وذلك في اللَّيَالِي الْبَيْضِ، ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ، - أصله: (تَرْكَبُونَن) حُذِفَتْ نُونُ الرَّفْعِ لِتَوَالِي الْأَمْثَالِ وَالْوَاوُ لِلتَّقَاءِ السَّاكِنِينَ - ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: حالاً بَعْدَ حَالٍ وَهُوَ الْمَوْتُ ثُمَّ الْحَيَاةُ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ الفاء واقعة في جواب شرطٍ مقدّر؛ أي: إذا عرفتَ هذا... فلا أقسم... إلخ.

قوله: ﴿بِالشَّفَقِ﴾ أي: وهو اختلاط ضوء النَّهَارِ بِسَوَادِ اللَّيْلِ عند غروب الشمس، وهو الحمرة التي تكون عند ذلك، سُمِّيَ شَفَقًا؛ لِرُقَّتِهِ، ومنه: الشَّفَقَةُ على الإنسان، وهي رَقَّةُ الْقَلْبِ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ (ما): موصولٌ اسميٌّ، أو نكرةٌ موصوفةٌ، أو مصدريةٌ^(١).

قوله: (جَمَعَ ما دخل عليه) أي: ضَمَّ ما كان منتشرًا بالنَّهَارِ مِنَ الْخَلْقِ وَالْدَّوَابِّ وَالْهَوَامِّ.

قوله: (وغيرها) أي: كالأشجار والبحار؛ فَإِنَّهُ إِذَا دَخَلَ اللَّيْلُ... انضَمَّ وَسَكَنَ.

قوله: (وذلك في الليالي البيض) أي: وهي ليلة الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من الشَّهْرِ.

قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ جواب القسم، بضمِّ الباء خطابٌ للجمع، وبفتحها خطابٌ للواحد، قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: ﴿طَبَقًا﴾ مفعولٌ به، أو حالٌ.

قوله: (بعد حال) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿عَن﴾ بمعنى (بعد) صفةٌ لـ ﴿طَبَقًا﴾.

قوله: (وهو الموت ثم الحياة... إلخ) هذا قول ابن عَبَّاسٍ، وقال عكرمة: (رضيعٌ، ثم فطيمٌ، ثم غلامٌ، ثم شابٌّ، ثم شيخٌ)، وقيل: المعنى: لتركبنَّ سننَ مَنْ قَبْلَكُمْ وَأَحْوَالَهُمْ.

(١) وعلى كونها موصولةً أو نكرةً فعائد الصلة أو الصفة محذوفٌ؛ أي: جمعه. «فتوحات» (٥٣٢/٤).

(٢) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بفتح الباء الموحدة على خطاب الإنسان، والباقيون بضمِّها على خطاب الجمع، وهو معنى الإنسان؛ إذ المراد به الجنس. انظر «السراج المنير» (٥٠٨/٤).

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

(٢٠ - ٢١) ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ أي: الكُفَّار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أيُّ مانعٍ مِنَ الإيمانِ،
أو أيُّ حُجَّةٍ لَهُمْ فِي تَرْكِهِ مَعَ وُجُودِ بَرَاهِينِهِ؟ ﴿و﴾ مَا لَهُمْ ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا
يَسْجُدُونَ﴾: يَخْضَعُونَ بِأَن يُؤْمِنُوا بِهِ لِإِعْجَازِهِ؟

(٢٢ - ٢٥) ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ بِالْبَعْثِ وَغَيْرِهِ، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾:
يَجْمَعُونَ فِي صُحُفِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ وَأَعْمَالِ الشُّوءِ، ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾: أَخْبِرْهُمْ ﴿بِعَذَابِ
أَلِيمٍ﴾: مُؤْلِمٍ، ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غَيْرُ مَقْطُوعٍ
وَلَا مَنْقُوصٍ وَلَا يُمْنٌ بِهِ عَلَيْهِمْ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ الفاء: لترتيب ما بعدها من الإنكار، والتعجيب على ما قبلها من أحوال يوم
القيامة وأهواله الموجبة للإيمان؛ لظهور الحجة؛ لأنَّ ما أقسم به من التغيرات العلوِّية والسفلية يدلُّ
على خالقٍ عظيمٍ القدرة، يبعدُ عَمَّنْ لَهُ عَقْلٌ عَدَمُ الْإِيمَانِ بِهِ وَالانْقِيَادَ لَهُ.

قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ﴾ أي: مِنْ أَيِّ قَارِئٍ، وهذا شرطٌ، وجوابه: ﴿لَا يَسْجُدُونَ﴾، وهذه
الجملة الشرطية في محلِّ نصبٍ على الحال، معطوفة على الحال السابقة، وهي قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قوله: ﴿يَخْضَعُونَ﴾ أي: فالمراد بالسجود: اللغويُّ، لا العرفيُّ، وهذا أحدُ قولين، والآخر:
أنَّ المراد به: السجودُ الحقيقيُّ الذي هو سجود التلاوة، وقد اختلفت الأئمة في ذلك^(١).

قوله: ﴿فِي صُحُفِهِمْ﴾ الأوضح أن يقول: (في صدورهم)؛ لأنَّ الوعي معناه لغةً: الحفظُ.

قوله: ﴿لَكِنْ﴾ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء منقطعٌ؛ لأنَّ ما قبل (إلا) في الكُفَّار لا غير.

قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ استثناءٌ مقررٌ لما أفاده الاستثناء.



(١) فليست من سُجُودِ التلاوة عند المالكية، خلافاً للحنفية والشافعية والحنابلة. انظر «شرح مختصر خليل» (٢٣٦/٤)،
و«تحفة المحتاج» (٢٠٤/٢)، و«حاشية الطحطاوي» (٤٨٣/١)، و«المغني» لابن قدامة (٤٤٣/١).

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ① وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ② وَشَاهِدٍ



مَكِّيَّةٌ، ثِنْتَانِ وَعِشْرُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(① - ③) ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾: لِلْكَوَاكِبِ اثْنَا عَشَرَ بُرْجًا تَقَدَّمَتْ فِي (الْفُرْقَانِ)،
 ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ﴿وَشَاهِدٍ﴾: يَوْمُ الْجُمُعَةِ

حَاشِيَةُ الصَّائِلِينَ

سُورَةُ الْبُرُوجِ

حِكْمَةُ نَزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ: تَثْبِيتُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَصَبْرِهِمْ عَلَى أَذَى الْكُفَّارِ؛ بِتَذْكِيرِهِمْ بِمَا جَرَى لِمَنْ تَقَدَّمَ لَهُمْ.

قَوْلُهُ: ﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ أَيُّ: صَاحِبَةِ الطَّرِيقِ وَالْمَنَازِلِ الَّتِي تَسِيرُ فِيهَا الْكَوَاكِبُ السَّبْعَةُ، سُمِّيَتْ بِرُوجًا؛ لِظَهْوَرِهَا؛ لِأَنَّ الْبُرْجَ فِي الْأَصْلِ: الْأَمْرُ الظَّاهِرُ، مِنْ: التَّبَرُّجِ، ثُمَّ صَارَ حَقِيقَةً عَرَفِيَّةً لِلْقَصْرِ الْبَالِي؛ لِظَهْوَرِهِ.
 قَوْلُهُ: (تَقَدَّمَتْ فِي «الْفُرْقَانِ») نَصُّهُ هُنَاكَ: ﴿نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثْنِي عَشَرَ: الْحَمَلُ، وَالثَّوْرُ، وَالْجُوزَاءُ، وَالسَّرَطَانُ، وَالْأَسَدُ، وَالسَّنْبِلَةُ، وَالْمِيزَانُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالْقَوْسُ، وَالْجَدْيُ، وَالْدَلْوُ، وَالْحَوْتُ، وَهِيَ مَنَازِلُ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ السَّيَّارَةِ: الْمَرِّيخُ وَلَهُ الْحَمَلُ وَالْعَقْرَبُ، وَالزُّهْرَةُ وَلَهَا الثَّوْرُ وَالْمِيزَانُ، وَعِطَارْدُ وَلَهُ الْجُوزَاءُ وَالسَّنْبِلَةُ، وَالْقَمَرُ وَلَهُ السَّرَطَانُ، وَالشَّمْسُ وَلَهَا الْأَسَدُ، وَالْمَشْتَرِيُّ وَلَهُ الْقَوْسُ وَالْحَوْتُ، وَزَحْلُ وَلَهُ الْجَدْيُ وَالْدَلْوُ. انتهى^(١).

قَوْلُهُ: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ أَيُّ: الْمَوْعُودُ بِهِ، فِيهِ الْحَذْفُ وَالْإِيصَالُ.

قَوْلُهُ: (يَوْمُ الْجُمُعَةِ) خَصَّ مَعَ أَنَّ بَاقِيَ الزَّمَانِ يُشْهَدُ كَذَلِكَ؛ لِاخْتِصَاصِهِ بِمَزِيَّةٍ، وَهِيَ كَوْنُهُ فِيهِ سَاعَةٌ إِبَاجِيَّةٌ، وَاجْتِمَاعُ النَّاسِ.

وَمَشْهُودٌ ﴿٣﴾ قِيلَ أَضْحَبُ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾

﴿وَمَشْهُودٌ﴾ يَوْمَ عَرَفَةَ، كَذَا فُسِّرَتِ الثَّلَاثَةُ فِي الْحَدِيثِ؛ فالأَوَّلُ مَوْعُودٌ بِهِ، والثَّانِي شَاهِدٌ بِالْعَمَلِ فِيهِ، والثَّالِثُ تَشْهَدُهُ النَّاسُ وَالْمَلَائِكَةُ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ مَحْذُوفٌ صَدْرُهُ تَقْدِيرُهُ: لَقَدْ (٤ - ٧) ﴿قِيلَ﴾: لُعِنَ ﴿أَضْحَبُ الْأَخْدُودِ﴾: الشَّقُّ فِي الْأَرْضِ، ﴿النَّارِ﴾ - بَدَلِ اشْتِمَالٍ مِنْهُ - ﴿ذَاتِ الْوُقُودِ﴾: مَا تُوقَدُ بِهِ، ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ أَي: حَوْلَهَا عَلَى جَانِبِ الْأَخْدُودِ عَلَى الْكَرَاسِيِّ ﴿قُعُودٌ﴾
 حاشية الصاوي

قوله: (كذا فُسِّرَتِ الثَّلَاثَةُ فِي الْحَدِيثِ) أي: وهو ما رُوي: «اليوم الموعود: يوم القيامة، واليوم المشهود: يوم عرفة، والشاهد: يوم الجمعة» خرَّجه الترمذي^(١).

واختلف في تفسير الشاهد والمشهود على أقوال كثيرة؛ منها: ما ذكره في الحديث، ومنها: الشاهد: يوم التروية، والمشهود: يوم عرفة، ومنها: الشاهد: هو الله، والمشهود: يوم القيامة، ومنها: الشاهد: هم الأنبياء، والمشهود عليهم: هم الأمم، ومنها: الشاهد: أعضاء الإنسان، والمشهود عليه: هو ابن آدم، ومنها غير ذلك، والأحسن أن يراد ما هو أعظم؛ ولذلك نكَّرهما؛ ليعمَّ كلَّ شاهدٍ ومشهودٍ.

قوله: (محذوفٌ صدره) أي: لأنَّ المشهور عن النحاة: أنَّ الماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدَّم معموله؛ إذا وقع جواباً للقسم.. تَلَزَمَ اللام (قد)، ولا يجوز الاقتصار على أحدهما إلاَّ عند طول الكلام، أو في ضرورة.

قوله: (تقديره: لقد قتل... إلخ) أي: وعليه: فالجملة خبرية، والأصل فيها الدعاء.

قوله: (الشَّقُّ فِي الْأَرْضِ) أي: فالأخدود مفرد، جمعه: أخاديد.

قوله: (بدل اشتمال منه) أي: لأنَّ الأخدود مشتملٌ على النَّارِ.

قوله: (ما تُوقَدُ بِهِ) أي: فالوُقُود بالفتح: الاسم، وأما بالضمِّ.. فهو المصدر.

قوله: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ ظَرْفٌ لـ ﴿قِيلَ﴾، والمعنى: حين حرقوا بالنَّارِ قاعدين عليها في مكانٍ مُشْرِفٍ عليها من حافات الأخدود.

(١) «سنن الترمذي» (٣٣٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾

وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ بِاللَّهِ مِنْ تَعْذِيبِهِمْ بِالْإِلْقَاءِ فِي النَّارِ إِنْ لَمْ يَرْجِعُوا عَنْ إِيْمَانِهِمْ ﴿شُهُودٌ﴾: حُضُورٌ، رُويَ أَنَّ اللَّهَ أَنْجَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُتْلِقِينَ فِي النَّارِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ قَبْلَ وَقُوعِهِمْ فِيهَا، وَخَرَجَتْ النَّارُ إِلَى مَنْ تَمَّ فَأَحْرَقَتْهُمْ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿شُهُودٌ﴾ أي: يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنَّ أحداً لم يقصر فيما أمر به، فهو من الشهادة بمعنى: تأدية الخبر، أو المراد: شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين، فهو من الشهادة بمعنى: الحضور، وعليه اقتصر المفسر.

قوله: (روي: أَنَّ اللَّهَ أَنْجَى الْمُؤْمِنِينَ... إلخ) أي: وكانوا سبعة وسبعين، وهؤلاء لم يرجعوا عن دينهم، والذين رجعوا عشرة، أو أحد عشر، وقوله: (إِلَى مَنْ تَمَّ) أي: إِلَى مَنْ هُمْ قَعُودٌ عَلَى الْأَخْدُودِ، وَلَمْ يَرِدْ نَصٌّ بِتَعْيِينِهِمْ.

واعلم: أَنَّهُ اخْتَلَفَ الْمَفْسَّرُونَ فِي أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ؛ فروي عن صهيب: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ.. قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحْرَ، فَبِعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ إِلَيْهِ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ، وَسَمِعَ كَلَامَهُ، وَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مِنَ الرَّاهِبِ.. وَقَفَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ.. ضَرَبَهُ، وَإِذَا رَجَعَ مِنَ السَّاحِرِ.. قَعَدَ إِلَى الرَّاهِبِ، وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ.. ضَرَبُوهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ.. فَقُلْ: حَبْسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ.. فَقُلْ: حَبْسَنِي السَّاحِرَ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ؛ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ الرَّاهِبُ أَفْضَلَ أَمْ السَّاحِرَ؟ فَأَخَذَ حَجْرًا ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ؛ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ.. فَاقْتُلْ هَذِهِ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، فَمَضَى النَّاسُ، فَاتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِيٍّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتَلَيْتَ.. فَلَا تَدَلَّ عَلَيَّ، فَكَانَ الْغُلَامُ يَبْرئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسُ الْمَلِكِ وَكَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهِدَايَا كَثِيرَةً فَقَالَ: مَا هَذَا هُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، قَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ آمَنْتَ بِاللَّهِ.. دَعَوْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَشَفَاكَ، فَأَمَّنَ بِاللَّهِ، فَشَفَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَاتَى الْمَلِكَ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ

حاشية الصاوي

بصرك؟ قال: ربِّي، قال: ولك ربٌ غيري؟ قال: الله ربِّي وربُّك، فأخذه فلم يزل يعذُّبُه حتَّى دلَّه على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أيُّ بني؟ قد بلغ من سحرِكَ ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل! فقال: إنِّي لا أشفي أحداً، إنَّما يشفي الله عزَّ وجلَّ، فأخذه فلم يزل يعذُّبُه حتَّى دلَّ على الراهب، فجيء بالراهب، فقبل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مَفْرِقِ رأسه، فشَقَّه به حتَّى وقع شَقَّاه، ثمَّ جيء بجلِيس الملك، فقبل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مَفْرِقِ رأسه، فشَقَّه به حتَّى وقع شَقَّاه، ثمَّ جيء بالغلام، فقبل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه، فقال لهم: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتُم دُرُوتَهُ؛ فإن رجع عن دينه، وإلَّا . . فاطرحوه، فذهبوا به، فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم! اكفنيهم بما شئت، فَرَجَفَ بهم الجبلُ، فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه، فقال: اذهبوا به، فاحملوه في قُرُقُورٍ، فتوسَّطُوا به البحر، فإن رجع عن دينه، وإلَّا . . فاقدِّفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم! اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السَّفينَة، فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى، فقال للملك: إنَّكَ لَسْتَ بقاتلي حتَّى تفعلَ ما أمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمعُ النَّاسَ في صعيدٍ واحدٍ، وتصلُّبُنِي على جذعٍ، ثمَّ تأخذ سهماً من كنانتي، ثمَّ ضع السَّهمَ في كبد القوس، ثمَّ قل: باسم الله ربِّ الغلام، ثمَّ ارمني؛ فإنَّكَ إذا فعلتَ ذلك . . قتلتنِي، فجمع النَّاسَ في صعيدٍ واحدٍ، وصلبه على جذعٍ، ثمَّ أخذ سهماً من كنانته، ثمَّ وضع السَّهمَ في كبد القوس، ثمَّ قال: باسم الله ربِّ الغلام، ثمَّ رماه، فوقع السَّهمُ في صُدْغِه، فوضع يده على صُدْغِه موضع السَّهم، فمات، فقال النَّاسُ: آمناً برَبِّ الغلام - ثلاثاً - فأُتِيَ الملكُ، فقبل له: أَرَأَيْتَ ما كُنْتُ تحذر، فقد والله نزل بك حذرُكَ، قد آمن النَّاسُ، فأمرَ بالأخدود، فحُدَّتْ بأفواه السُّكَّك، وأضرَمَ النَّيرانَ وقال: مَنْ لم يرجع عن دينه . . فأحمُوه، ففعلوا، حتَّى جاءت امرأةٌ معها صبيٌّ لها، فتقاعستُ أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمَّاه؛ اصبري، فإنَّكَ على الحقِّ^(١).

ورُوي عن مقاتل: (كانت الأخاديد ثلاثة: واحدة بنجران باليمن، وأخرى بالشام، وأخرى بفارس، حُرِّقَ أصحابها بالنَّار؛ أمَّا التي بالشام والتي بفارس . . فلم يُنزل الله فيهما قرآناً، وأنزل

وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾

(٨ - ٩) ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ فِي مُلْكِهِ ﴿الْحَمِيدِ﴾: الْمَحْمُود، ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أَي: مَا أَنْكَرَ الْكُفَّارَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا إِيْمَانَهُمْ.

حاشية الصاوي

في التي كانت بنجران؛ وذلك أَنَّ رجلاً مسلماً مَمَّنْ يقرأ الإنجيل أَجَّرَ نفسه في عملٍ، وجعل يقرأ الإنجيل، فرأت بنت المستأجر النور - يعني: من قراءة الإنجيل - فذكرت لأبيها، فسأله، فلم يُخبره، فلم يزل به حتَّى أخبره بالدين والإسلام، فتابعه على دينه هو وسبعة وثمانون إنساناً ما بين رجل وامرأة، وهذا بعدما رُفِعَ عيسى إلى السماء، وقبل مبعث النَّبِيِّ ﷺ بسبعين سنة، فسمع ذلك رجلٌ اسمه يوسف بن ذي نواس، فخذَّ لهم في الأرض، وأوقد لهم فيها، فعرضهم على الكفر، فَمَنْ أبى أن يكفر.. قَذَفَه في النَّار، وَمَنْ رجع عن دين عيسى.. لم يقذفه.

وروي: أَنَّ امرأةً جاءت ومعهما ولدٌ صغير لا يتكلم، فلَمَّا قامت في شفير الخندق.. نظرت إلى ابنها، فرجعت عن النَّار، فَضْرِبَتْ حتَّى تقدَّمت، فلم تزل كذلك ثلاث مرات، فلَمَّا كانت في الثالثة.. ذهبت ترجع، فقال لها ابنها: يا أمَّاه؛ إِنِّي أرى أمامك ناراً لا تطفئ - يعني: نار جهنم - إن لم تقعي في هذه النَّار، فلَمَّا سمعت ذلك.. قذفا جميعاً أنفسهما في النَّار، فجعلهما الله في الجنة، فَقَذِفَ في النَّار في يومٍ واحدٍ سبعة وسبعون إنساناً^(١)، وروي غير ذلك.

قوله: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾... (الخ) أي: ما عابوا منهم إِلَّا إِيْمَانَهُمْ، وإنَّما عبَّرَ بالمستقبل مع أَنَّ الإِيْمَانَ وقع منهم في الماضي؛ لأنَّ تعذيبهم والإنكار ليس للإِيْمَانِ الذي وُجِدَ منهم في الماضي، بل لدوامهم عليه في المستقبل؛ إذ لو كفروا في المستقبل.. لما عُذِّبُوا على ما مضى، فكأنَّه قال: إِلَّا أَنْ يَسْتَمِرُّوا على إِيْمَانِهِمْ.

قوله: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بيان لكونه العزيز الحميد.

قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فيه وعد ووعد.

إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾

(١٠ - ١١) ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ بِالإحراقِ ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بِكُفْرِهِمْ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ أَي: عَذَابُ إِحْرَاقِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ، وَقِيلَ: فِي الدُّنْيَا بِأَنْ خَرَجَتِ النَّارُ فَأَحْرَقَتْهُمْ كَمَا تَقَدَّمَ. ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾.

(١٢ - ١٦) ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ بِالْكَفَّارِ ﴿لَشَدِيدٌ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ﴾... (إلخ) أي: حَرَّقُوهُمْ بِالنَّارِ، يُقَالُ: فَتَنْتُ فُلَانًا: إِذَا حَرَقْتَهُ.
قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ أي: لَمْ يَرْجِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ تَابُوا وَآمَنُوا.. قَبْلَهُمْ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ هَذَا الْوَعِيدِ. وَالتَّعْبِيرُ بِ(ثُمَّ) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ التَّوْبَةَ مَقْبُولَةٌ وَإِنْ طَالَ الزَّمَنُ، مَا لَمْ تَحْصُلِ الْغُرُورَةُ.
قوله: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ هو خبر ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا﴾، وَدَخَلَتِ الْفَاءُ؛ لِمَا تَضَمَّنَهُ الْمَبْتَدَأُ مِنَ الشَّرْطِ.

قوله: ﴿عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ من إضافة المسبَّب للسبب؛ أي: عَذَابٌ سَبَبُهُ إِحْرَاقُ الْمُؤْمِنِينَ.
قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لَمَّا ذَكَرَ وَعِيدَ الْكَفَّارِ.. أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ مَا أَعَدَّ لِلْمُؤْمِنِينَ.
قوله: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا وَعُزْفِهَا، يَتَلَذَّذُونَ بِبَرْدِهَا فِي نَظِيرِ الْحَرِّ الَّذِي صَبَرُوا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، وَيُزِيلُ عَنْهُمْ بِرُؤْيَا ذَلِكَ مَعَ خَضِرَةِ الْجَنَّاتِ جَمِيعُ الْمَضَارِّ وَالْأَحْزَانِ.
قوله: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ اسْمُ الْإِشَارَةِ عَائِدٌ عَلَى مَا ذَكَرَ مِنْ حَيَازَتِهِمُ لِلْجَنَّاتِ، وَعَبَّرَ بِالْإِشَارَةِ الْمَفِيدَةِ لِلْبَعْدِ؛ لَعَلَّوْا دَرَجَتَهُمْ فِي الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ.

قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ الْبَطْشُ: الْأَخْذُ بِعَنْفٍ، فَإِذَا وُصِفَ بِالشَّدَّةِ.. كَانَ مُتَضَاعَفًا جَدًّا، وَهُوَ انْتِقَامُهُ وَتَعْذِيبُهُ لِلْكَافِرَةِ.

إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَبَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾

بِحَسَبِ إِرَادَتِهِ، ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ﴾ الْخَلْقِ ﴿وَبَعِيدُ﴾ فَلَا يُعْجِزُهُ مَا يُرِيدُ، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لِلْمُذْنِبِينَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿الْوَدُودُ﴾: الْمُتَوَدِّدُ إِلَى أَوْلِيَائِهِ بِالْكَرَامَةِ، ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾: خَالِقُهُ وَمَالِكُهُ، ﴿الْمَجِيدُ﴾ - بِالرَّفْعِ -: الْمُسْتَحِقُّ لِكَمَالِ صِفَاتِ الْعُلُوِّ، ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

حاشية الصاوي

قوله: (بحسب إرادته) ردٌّ بذلك على الفلاسفة القائلين بأنه واجبٌ بالذات؛ كيف وقد قال تعالى: ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]؟

قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَبَعِيدُ﴾ أي: وَمَنْ كَانَ قَادِرًا عَلَى ذَلِكَ.. كَانَ بَطْشُهُ فِي غَايَةِ الشَّدَّةِ.

قوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ أي: الماحي لذنوب المؤمنين وإن لم يتوبوا؛ لِأَنَّ الْآيَةَ مَذْكُورَةٌ فِي مَعْرَضِ التَّمْدِيحِ، وَالتَّمْدِيحُ بِكَوْنِهِ غَفُورًا مُطْلَقًا أَتَمُّ، فَالْحَمْلُ عَلَيْهِ أَوْلَى.

قوله: (المتودد إلى أوليائه بالكرامة) أشار بذلك إلى أَنَّ (فعولاً) بمعنى (فاعل)، ويصحُّ أن يكون بمعنى (مفعول) أي: يودُّه عباده ويحبُّونه.

قوله: ﴿الْمَجِيدُ﴾ بالرفع) أي: وبالجبرِّ، قراءتان سبعيتان، فالرفع على أَنَّهُ نَعَتْ لـ ﴿الْغَفُورُ﴾، والجبرُّ على أَنَّهُ نَعَتْ لـ ﴿الْعَرْشِ﴾، ومجده: علوه وعظمته^(١).

قوله: ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ أتى بصيغة (فعل) إشارةً للكثرة، وختَمَ بِهِ الصِّفَاتِ؛ لِكَوْنِهِ كَالنَّاتِجَةِ لَهَا، وَالْمَعْنَى: يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، لَا يُعْتَرِضُ عَلَيْهِ، وَلَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، فَيُدْخِلُ أَوْلِيَائِهِ الْجَنَّةَ، لَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ، وَيَدْخُلُ أَعْدَاءُ النَّارِ، لَا يَنْصُرُهُمْ مِنْهُ نَاصِرٌ.

وفي هذه الآية دليلٌ على أَنَّ جَمِيعَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّ أَعْمَالَهُ بِحَسَبِ إِرَادَتِهِ.

(١) قرأ حمزة والكسائي بجراً الدال على أَنَّهُ نَعَتْ لـ (العرش)، أو لـ (ربك) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾، وقرأ الباقون برفع الدال على أَنَّهُ خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ، وَقِيلَ: هُوَ نَعْتُ لـ (ذو)، وَاسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى تَعَدُّدِ الْخَبَرِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَمَنْ مَنَعَ.. قَالَ: لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى خَبَرٍ وَاحِدٍ؛ أَي: جَامِعٌ بَيْنَ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الشَّرِيفَةِ، أَوْ كُلٌّ مِنْهَا خَبَرٌ لِمَبْتَدَأٍ مُضْمَرٍ. انظر «السراج المنير» (٤/٥١٤).

هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ
مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ

(١٧ - ٢٠) ﴿هَلْ أَنْتَ﴾ يا مُحَمَّد ﴿حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ - بَدَلٍ مِنَ
﴿الْجُنُودِ﴾ - ، واستغنيَ بِذِكْرِ فِرْعَوْنَ عَنْ أَتْبَاعِهِ وَحَدِيثِهِمْ أَنَّهُمْ أَهْلَكُوا بِكُفْرِهِمْ ، وهذا تَنْبِيْهِ
لِمَنْ كَفَرَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَالْقُرْآنَ لِيَتَّعِظُوا ، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ بِمَا ذَكَرَ ، ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ
مُحِيطٌ﴾ لَا عَاصِمَ لَهُمْ مِنْهُ .

(٢١ - ٢٢) ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ : عَظِيمٌ ﴿فِي لَوْحٍ﴾ هُوَ فِي الْهَوَاءِ فَوْقَ السَّمَاءِ
السَّابِعَةِ ،

حاشية الصاوي

قوله : ﴿هَلْ أَنْتَ﴾ ... إلخ) يصحُّ أَنْ تَكُونَ ﴿هَلْ﴾ بمعنى (قد) إِنْ كَانَ سَبْقُ لَهُ إِيْتَانٌ ، أَوْ لَطْلُبُ
الْإِخْبَارِ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَتَاهُ كَمَا تَقَدَّمَ .

قوله : (بَدَلٌ مِنْ ﴿الْجُنُودِ﴾) أي : عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ ؛ أي : جُنُودُ فِرْعَوْنَ ، وَهُوَ بَدَلُ كُلِّ مَنْ كُلٌّ ،
أَوْ الْمَرَادُ بِ(فِرْعَوْنَ) : هُوَ وَقَوْمُهُ ، وَاكْتَفَى بِذِكْرِهِ عَنْهُمْ ؛ لِأَنَّهُمْ أَتْبَاعُهُ ، وَعَلَيْهِ اِقْتَصَرَ الْمَفْسَّرُ ، وَخَصَّ
فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ بِالذِّكْرِ ؛ لَشَهْرَتِهِمَا عِنْدَ الْعَرَبِ .

قوله : (وَحَدِيثُهُمْ أَنَّهُمْ ... إلخ) أي : فَهُوَ مَا صَدَرَ عَنْهُمْ مِنَ التَّمَادِي فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ ،
وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ .

قوله : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾) أي : مِنْ قَوْمِكَ ، وَهُوَ إِضْرَابٌ اِنْتِقَالِيٌّ لِلْأَشَدِّ ، كَأَنَّهُ قِيلَ : لَيْسَ حَالُ
هَؤُلَاءِ بِأَعْجَبَ مِنْ حَالِ قَوْمِكَ ؛ فَإِنَّهُمْ مَعَ عِلْمِهِمْ بِمَا حَلَّ بِهِمْ لَمْ يَنْزَجِرُوا .

قوله : ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ بِمَا ذَكَرَ) أي : النَّبِيُّ وَالْقُرْآنُ .

قوله : ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾) أي : هُمْ فِي قَبْضَةِ قُدْرَتِهِ وَتَصْرِيفِهِ كَالشَّيْءِ الْمَحَاطِ بِهِ الَّذِي
لَا يَجْدُ مَخْلَصًا وَلَا مَفْرَأً ، فَيَجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ .

قوله : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾) إِضْرَابٌ عَنْ شِدَّةِ تَكْذِيبِهِمْ وَعَدَمِ كَفْهِمْ عَنْهُ إِلَى وَصْفِ الْقُرْآنِ بِمَا
ذُكِرَ ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَا رَيْبَ وَلَا شَكَّ فِيهِ ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ تَكْذِيبُ هَؤُلَاءِ .

قوله : (فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ) أي : مُعَلَّقٍ بِالْعَرْشِ .

تَحْفُوظٌ (٢٢)

﴿تَحْفُوظٌ﴾ - بِالْجَرِّ - مِنَ الشَّيَاطِينِ وَمِنْ تَغْيِيرِ شَيْءٍ مِنْهُ، طُولُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَعَرْضُهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَهُوَ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه.

حاشية الصاوي

قوله: (بِالْجَرِّ) أي: والرفع، فهما سبعتان؛ فالجرُّ على أَنَّهُ نَعْتُ لـ ﴿لَوْجٍ﴾، والرفع على أَنَّهُ نَعْتُ للقرآن^(١).

قوله: (طُولُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ... إلخ) أي: وهو عن يمين العرش، مكتوبٌ في صدره: (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، دِينُهُ الْإِسْلَامُ، وَمُحَمَّدٌ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ فَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَصَدَّقَ بِوَعْدِهِ، وَاتَّبَعَ رِسْلَهُ.. أَدْخَلَهُ جَنَّتهِ)^(٢).

قوله: (وهو من دُرَّةٍ بَيْضَاءَ) أي: وحافته الدرُّ والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه النور، وكتابه نورٌ معقودٌ بالعرش، وأصله في حجر ملك^(٣).



(١) قرأ نافع بالرفع، والباقون بالجر. انظر «الدر المصون» (١٠/٧٥٠).

(٢) رواه البغوي في «تفسيره» (٥/٢٣٨) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) أورده البغوي في «تفسيره» (٥/٢٣٨) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنه.

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾



مَكِّيَّة، سَبْعَ عَشْرَةَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ أَصْلُهُ كُلُّ آتٍ لَيْلًا، وَمِنْهُ النُّجُومُ لِطُلُوعِهَا لَيْلًا، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أَعْلَمَكَ ﴿مَا الطَّارِقُ﴾ - مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ فِي مَحَلِّ الْمَفْعُولِ الثَّانِي لِـ (أَدْرَى)، وَمَا بَعْدَ (مَا) الْأُولَى خَبَرُهَا -، وَفِيهِ تَعْظِيمٌ لِشَأْنِ الطَّارِقِ الْمُفَسَّرِ بِمَا بَعْدَهُ.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الطَّارِقِ

قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾... إلخ) قد كثر منه تعالى في كتابه المجيد ذكرُ السَّمَاءِ والشمس والقمر والنجوم؛ لأنَّ أحوالها في أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبةٌ دالَّةٌ على انفراد صانعها بالكمالات؛ لأنَّ الصَّنْعَةَ تدلُّ على الصَّانِعِ، قال بعضهم^(١): [الخفيف]

هذه آثارنا نَدُّ عَلَيْنَا فَانظُرُوا بَعْدَنَا إِلَى الْآثَارِ

قوله: (أصله: كلُّ آتٍ... إلخ) أي: ثُمَّ تُوسَّعُ فِيهِ فَسَمِّيَ بِهِ كُلُّ مَا ظَهَرَ بِاللَّيْلِ كَأَنَّ مَا كَانَ، ثُمَّ تُوسَّعُ بِهِ فَسَمِّيَ بِهِ كُلُّ مَا ظَهَرَ مُطْلَقًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا، ومنه: حديث: «أعوذ بك من شرِّ طارق الليل والنَّهار، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ»^(٢).

والطارق: مأخوذٌ من الطَّرْقِ، وهو الدَّقُّ، سَمِّيَ بِهِ الْآتِي لَيْلًا؛ لاحتياجه إلى طَرُقِ الْبَابِ غَالِبًا، ومنه: المِطْرَقَةُ - بالكسر - وهي: مَا يُطْرَقُ بِهِ الْحَدِيدُ.

قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ الاستفهام للإنكار، وقوله: ﴿مَا الطَّارِقُ﴾ الاستفهام للتَّعْظِيمِ والتَّفْخِيمِ.

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣٧٠/٩)، وفيه: (إن آثارنا) بدل (هذه آثارنا).

(٢) رواه النسائي في «السُّنَنِ الْكُبْرَى» (١٠٧٢٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

النَّجْمُ النَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾

هو ﴿النَّجْمُ﴾ أي: الثُّرَيَّا أو كُلُّ نَجْمٍ ﴿النَّاقِبُ﴾: المُضِيءُ لِثَقْبِهِ الظَّلَامَ بِضَوْئِهِ. وَجَوَابُ الْقَسَمِ:

﴿٤﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ - بِتَخْفِيفِ (ما) فهي مَزِيدَةٌ، و﴿إِنَّ﴾ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ واسمها مَحذُوفٌ أَي: إِنَّهُ، وَاللَّامُ فَارِقَةٌ، وَبِتَشْدِيدِهَا؛ ف﴿إِنَّ﴾ نَافِيَةٌ و﴿لَّمَّا﴾ بِمَعْنَى (إِلَّا)، وَالْحَافِظُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُ عَمَلَهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿النَّجْمُ﴾ خبرٌ لمحذوفٍ، قدّره المفسّر بقوله: (هو).

واعلم: أَنَّهُ تعالى أقسم أولاً بما يشترك فيه النّجم وغيره وهو (الطارق)، ثُمَّ أتى بالاستفهام عنه تفخيماً وتعظيماً، ثُمَّ فسّره بـ(النّجم)؛ إزالةً لذلك الإبهام الحاصل بالاستفهام.

قوله: (الثُّرَيَّا، أو: كُلُّ نَجْمٍ) هذان قولان من ثلاثة، ثالثها: أَنَّ المراد به: زُحَل، ومحلّه في السَّمَاء السَّابِعَةِ، لَا يَسْكُنُهَا غَيْرُهُ مِنَ النُّجُومِ، فَإِذَا أَخَذَتِ النُّجُومُ أَمَكْنَتَهَا مِنَ السَّمَاءِ.. هبط فكان معها، ثُمَّ يرجع إلى مكانه من السَّمَاء السَّابِعَةِ، فهو طارقٌ حينَ ينزل، وحينَ يَصْعَدُ.

قوله: (وجواب القسم... إلخ) أي: وما بينهما اعتراضٌ، جيء به تفخيماً للمقسم به.

قوله: (فهي مَزِيدَةٌ) أي: و﴿كُلُّ﴾: مبتدأ، و﴿عَلَيْهَا﴾: خبرٌ مقدّم، و﴿حَافِظٌ﴾: مبتدأ مؤخّر، والجملة خبرٌ ﴿كُلُّ﴾^(١).

قوله: (واسمها محذوف) فيه نظرٌ، بل هي مهملةٌ لا عمل لها؛ لأنَّ لامَ الفرقِ يؤتى بها عند الإهمال، لا عند الإعمال؛ كما قال ابن مالك^(٢): [الرجز]

وَحُفِّفَتْ (إِنَّ) فَقَلَّ الْعَمَلُ وَتَلَزَمَ اللَّامُ إِذَا مَا تُهْمَلُ

قوله: (واللام فارقة) أي: بين المخففة المهملة والنافية.

قوله: (وبتشديدها) أي: وهما قراءتان سبعيتان^(٣).

(١) ويجوز أن يكون (كل) متبداً، و(حافظ) خبره، و(عليها) متعلق به، و(ما) مَزِيدَةٌ أيضاً، وهذا كله تفريعٌ على قول البصريين. انظر «الدر المصون» (١٠/٧٥٢).

(٢) «الخلاصة»، باب (إن وأخواتها).

(٣) قرأ ابن عامر وعاصمٌ بتشديد الميم، والباقون بتخفيفها. انظر «السراج المنير» (٤/٥١٦).

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾

(٥ - ٧) ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ نَظَرَ اعْتَبَارَ ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ؟ جَوَابُهُ: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾: ذِي اندِفَاقٍ مِنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ فِي رَحِمِهَا، ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ لِلرَّجُلِ ﴿وَالْتَّرَائِبِ﴾ لِلْمَرْأَةِ، وَهِيَ عِظَامُ الصَّدْرِ.

حاشية الصاوي

قوله: (والحافظ من الملائكة) يحتمل أنه يراد الحفاظ من العاهات والآفات، وهم عشرة بالليل، وعشرة بالنهار لكل آدمي، فإن كان مؤمناً... وكُلَّ الله به مئة وستين ملكاً يذبون عنه كما يذبُّ عن قصعة العسل الذباب، ولو وُكِّلَ العبدُ إلى نفسه طرفة عين... لا خَظَفَتْهُ الشَّيَاطِينُ، أو حفظ الأعمال، وهما رقيب وعتيد، وعليه درج المفسر، وقيل: المراد بالحافظ: الله تعالى، فتحصَّل أنَّ الحافظ؛ قيل: الكاتب، أو مطلق الملائكة الحفظة، أو الله تعالى، والأحسن أن يُراد ما هو أعم.

قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾... إلخ) لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَافِظٌ... أَتْبَعَ ذَلِكَ بَوْصِيَّةَ الْإِنْسَانِ بِالنَّظَرِ فِي أَوَّلِ نَشَأَتِهِ، وَالْأَمْرُ لِلْإِجَابِ.

قوله: ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ الجارُّ والمجرور متعلِّقٌ بـ﴿خُلِقَ﴾، والجملة في محلِّ نصبٍ بقوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ﴾ المتعلِّقِ عنها بالاستفهام.

قوله: (ذِي اندِفَاقٍ) أي: انصبابٍ، وأشار بذلك إلى أنَّ ﴿دَافِقٍ﴾ صِيغَةُ نَسَبٍ ك: لَابِنٍ وَتَامِرٍ، فَالْمَعْنَى: خُلِقَ مِنْ مَاءٍ مُتَدَفِّقٍ أَوْ مَدْفُوقٍ.

قوله: (في رحمها) متعلِّقٌ بـ﴿دَافِقٍ﴾.

قوله: ﴿مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ أي: وهو عِظَامُ الظَّهْرِ، وَ(بَيْنَ) زَائِدَةٌ؛ لِأَنَّ (بَيْنَ) إِنَّمَا تَضَافُ لِمُتَعَدِّدٍ، وَهَذَا لَيْسَ كَذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يُقَالَ: الْمَرَادُ مِنْ بَيْنِ أَجْزَاءِ الصُّلْبِ... إلخ.

قوله: ﴿وَالْتَّرَائِبِ﴾ لِلْمَرْأَةِ وَقَالَ الْحَسَنُ: (الْمَعْنَى: يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَرَائِبِ الرَّجُلِ، وَصُلْبِ الْمَرْأَةِ وَتَرَائِبِ الْمَرْأَةِ)^(١).

قوله: (وهي عِظَامُ الصَّدْرِ) أي: وهي محلُّ القِلَادَةِ، وَهَذَا أَحَدُ أَقْوَالٍ، وَقِيلَ: التَّرَائِبُ: مَا بَيْنَ ثَدْيَيْهَا، وَقِيلَ: التَّرَائِبُ التَّرَاقِي، وَقِيلَ: التَّرَائِبُ: أَرْبَعَةُ أَضْلَاعٍ مِنْ يَمْنَةِ الصَّدْرِ، وَأَرْبَعَةُ أَضْلَاعٍ مِنْ يَسَرَةِ الصَّدْرِ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: (إِنَّ مَاءَ الرَّجُلِ يَنْزِلُ مِنَ الدِّمَاغِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ فِي الْأَنْثَيْنِ، وَلَا يُعَارِضُهُ

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٧/٢٠).

إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

(٨ - ١٠) ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ : بَعَثَ الإنسانَ بَعْدَ مَوْتِهِ ﴿لَقَادِرٌ﴾ ، فإذا اعتَبَرَ أصلَهُ عَلِمَ أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى ذَلِكَ قَادِرٌ عَلَى بَعْثِهِ ، ﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾ : تُخْتَبَرُ وتُكْشَفُ ﴿السَّرَائِرُ﴾ : ضَمَائِرُ الْقُلُوبِ فِي الْعَقَائِدِ وَالنِّيَّاتِ ، ﴿فَمَا لَهُ﴾ : لِمُنْكَرِ الْبَعْثِ ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ يَمْتَنِعُ بِهَا مِنَ الْعَذَابِ ، ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يَدْفَعُهُ عَنْهُ .

حاشية الصاوي

قوله تعالى : ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ ؛ لَأَنَّهُ يَنْزِلُ مِنَ الدِّمَاغِ إِلَى الصُّلْبِ ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ فِي الْأَنْثَيْنِ^(١) .

قوله : ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ نتيجة النظر المذكور ؛ لَأَنَّ الْأَمْرَ بِالنَّظَرِ إِنَّمَا هُوَ لِأَجْلِ التَّفَكُّرِ فِي الْمَعَادِ وَالْبَعْثِ .

قوله : (بَعَثَ الإنسانَ . . . إلخ) هذا هو الصَّحِيحُ اللَّائِقُ بِمَعْنَى الْآيَةِ ؛ بِدَلِيلِ مَا بَعْدَهُ ، وَفِي الْآيَةِ تَفَاسِيرٌ أُخَرُ :

منها : أَنَّ الضَّمِيرَ يَعُودُ عَلَى الْإِنْسَانِ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ عَلَى رَجْعِ الْإِنْسَانِ لِحَالَةِ النُّطْفَةِ لِقَادِرٌ ؛ بِأَنَّهُ يَرُدُّهُ مِنَ الشُّيُوخَةِ لِلشُّبُوبَةِ ، وَمِنْهَا لِلصُّبَا ، وَمِنْهُ إِلَى كَوْنِهِ حَمَلًا ، إِلَى مُضْغَةٍ ، إِلَى عِلْقَةٍ ، إِلَى نُطْفَةٍ . وَمِنْهَا : أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ عَلَى الْمَاءِ الدَّافِقِ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ عَلَى رَجْعِ الْمَاءِ لِلصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ بَعْدَ انْفِصَالِهِ لِلرَّحِمِ وَصَيُورِهِ وَلَدًا لِقَادِرٌ .

قوله : ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ ظَرَفٌ لـ ﴿رَجْعِهِ﴾ ، لَا لـ (قادر) ؛ لَأَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ ، لَا تَخْتَصُّ قُدْرَتُهُ بِوَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ .

قوله : (ضمائر القلوب) أي : مَا أَخْفَى فِيهَا ، وَقِيلَ : السَّرَائِرُ : فَرَائِضُ الْأَعْمَالِ ؛ كَالصَّلَاةِ وَالصُّومِ وَالْوُضُوءِ وَالْغَسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ ؛ فَإِنَّهَا سَرَائِرُ بَيْنِ اللَّهِ وَبَيْنِ الْعَبْدِ ، وَلَوْ شَاءَ الْعَبْدُ . . لَقَالَ : صُمْتُ وَلَمْ يَصُمْ ، وَصَلَّيْتُ وَلَمْ يَصَلِّ ، وَاغْتَسَلْتُ مِنَ الْجَنَابَةِ وَلَمْ يَغْتَسِلْ ، فَيَخْتَبِرُ حَتَّى يَظْهَرَ مَنْ أَدَاها مِمَّنْ ضَيَّعَهَا ، فَيَبْيُضُّ وَجْهُ الْمُؤَدِّي ، وَيَسْوَدُّ وَجْهُ الْمَضِيْع .

قوله : ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ﴾ أي : فِي نَفْسِهِ ، وَقَوْلُهُ : ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ أي : مِنْ غَيْرِهِ .

قوله : (المطر) هذا أَحَدُ أَقْوَالٍ ، وَقِيلَ : الرَّجْعُ : الْأَحْوَالُ الَّتِي تَجِيءُ وَتَذْهَبُ ؛ كَاللَّيْلِ ، وَالنَّهَارِ ،

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّعْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّكُمْ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا نَزْلٌ ﴿١٤﴾ لَكُمْ يَكِيدُونَ
كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾

(١١ - ١٤) ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾: الْمَطَرُ لِعَوْدِهِ كُلَّ حِينٍ، ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّعْعِ﴾: الشَّقُّ
عَنِ النَّبَاتِ، ﴿إِنَّكُمْ﴾ أَي: الْقُرْآنَ ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا نَزْلٌ﴾:
بِاللَّعِبِ وَالْبَاطِلِ.

(١٥ - ١٧) ﴿لَكُمْ﴾ أَي: الْكُفَّارَ ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾: يَعْمَلُونَ الْمَكَايِدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ،
﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾: أَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ،

حاشية الصاوي

والأمطار، والفصول من الشتاء وما فيه من برد ونحوه، والصَّيف وما فيه من حرٍّ ونحوه، وقيل:
المراد: ذات النَّفْعِ، وقيل: ذات الملائكة؛ لِرُجوعهم فيها بأعمال العباد.

قوله: (الشَّقُّ عَنِ النَّبَاتِ) وقيل: ذات الحرث؛ لأنه يصدعها، وقيل: ذات الطريق التي تصدعها
المشاة، وقيل: غير ذلك.

واعلم: أنه تعالى كما جعل كَيْفِيَّةَ خَلْقِ الْحَيَوَانَ دَلِيلًا عَلَى مَعْرِفَةِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ.. ذَكَرَ فِي هَذَا
الْقِسْمِ كَيْفِيَّةَ خَلْقِ النَّبَاتِ؛ فَقَوْلُهُ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ أَي: هِيَ كَالْأَبِ، ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّعْعِ﴾ هِيَ
كَالْأُمِّ؛ تَتَوَلَّدُ مِنْ بَيْنَهُمَا النُّعْمُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي يُتَنَفَّعُ بِهَا مَا دَامَتِ الدُّنْيَا.

قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ جوابُ الْقِسْمِ الَّذِي هُوَ: ﴿وَالسَّمَاءِ...﴾ إلخ، والمراد بـ(الفصل):
الْحُكْمُ الَّذِي يَنْفَصِلُ بِهِ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ.

قوله: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا نَزْلٌ﴾ أَي: بَلْ هُوَ جِدُّ كُلِّهِ، فَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ مَهَابًا فِي الصَّدُورِ، مَعْظَمًا
فِي الْقُلُوبِ؛ كَيْفَ وَهُوَ خُطَابُ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِعِبَادِهِ؟! فَالْإِصْغَاءُ إِلَيْهِ، وَالِاسْتِمَاعُ لَهُ، وَالِاتِّمَارُ
بِأَوَامِرِهِ، وَالِانْتِهَاءُ بِنَوَاهِيهِ.. فَفَرَضُ.

قوله: ﴿لَكُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ اخْتَلَفَ فِيهَا؛ فَقِيلَ: هِيَ إِلقاءُ الشَّبَهَاتِ؛ كَقَوْلِهِمْ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٢٩]، ﴿مَنْ يُعِى الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] ونحو ذلك، وقيل: قَصْدُ قَتْلِهِ ﷺ،
وَالْأَحْسَنُ: أَنْ يُرَادَ مَا هُوَ أَعَمُّ.

قوله: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أَي: أُجَازِيهِمْ عَلَى كَيْدِهِمْ، وَسَمِّيَ الْجَزَاءُ كَيْدًا؛ مَشَاكَلَةً، وَقِيلَ:
الْمَعْنَى: أُعَامِلُهُمْ مُعَامَلَةً ذِي الْكَيْدِ؛ بِأَنْ أُمِدَّهُمْ ظَاهِرًا بِالنُّعْمِ اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ، وَعَلَيْهِ اقْتَصَرَ الْمَفْسَّرُ.

قوله: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ﴾ أَي: لَا تَسْتَعْجِلْهُمْ بِالْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ، وَلَا بِالْإِدْعَاءِ عَلَيْهِمْ.

فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُودًا ﴿١٧﴾

﴿فَهَلِ﴾ يا مُحَمَّدُ ﴿الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ﴾ - تَأْكِيدُ حَسَنُهُ مُخَالَفَةُ اللَّفْظِ - أَي: أَنْظِرْهُمْ ﴿رُودًا﴾ قَلِيلًا، - وَهُوَ مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ لِمَعْنَى الْعَامِلِ مُصَغَّرٌ (رُود)، أَوْ (إِرْوَادٌ) عَلَى التَّرْخِيمِ -، وَقَدْ أَخَذَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِبَدْرِ وَنَسَخَ الْإِمْهَالَ بِآيَةِ السِّيفِ، أَي: الْأَمْرَ بِالْقِتَالِ وَالْجِهَادِ.

حاشية الصاوي

قوله: (مُخَالَفَةُ اللَّفْظِ) أَي: مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْأَوَّلَ مُسْنَدٌ لِلظَّاهِرِ مَعَ التَّضْعِيفِ، وَالثَّانِي مُسْنَدٌ لِلتَّضْمِيرِ مَعَ الْهَمْزِ.

قوله: (عَلَى التَّرْخِيمِ) رَاجِعٌ لِقَوْلِهِ: (أَوْ إِرْوَادٌ) أَي: تَصْغِيرِ تَرْخِيمٍ، وَهُوَ حَذْفُ الزَّوَادِ. وَاعْلَمْ: أَنَّ (رُودًا) يَسْتَعْمَلُ مَصْدَرًا بَدَلًا مِنَ اللَّفْظِ بِفَعْلِهِ، فَيُضَافُ تَارَةً كَقَوْلِهِ: ﴿فَضْرَبَ الرِّقَابَ﴾ [مُحَمَّد: ٤]، وَلَا يُضَافُ أُخْرَى نَحْو: (رُودًا زِيدًا)، وَيَقَعُ حَالًا نَحْو: (سَارُوا رُودًا) أَي: مُتَمَهِّلِينَ، وَنَعْتًا لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ نَحْو: (سَارُوا رُودًا) أَي: سِيرًا رُودًا. قوله: (وَنَسَخَ الْإِمْهَالَ بِآيَةِ السِّيفِ) أَي: عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى: أَتْرَكَ الْكَافِرِينَ، وَلَا تَتَعَرَّضُ لَهُمْ، وَاصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ.



﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ...﴾



مَكِّيَّة، تِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٥) ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: نَزَّهَ رَبُّكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، - و﴿اسْمَ﴾ زَائِدٌ - ...

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْأَعْلَى

(مَكِّيَّة) أي: في قول الجمهور، وقال الضحَّاك: (مَدَنِيَّة)، وكان النبي ﷺ يحبُّها؛ لِكَثْرَةِ ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات، وفي الحديث: سُئِلَتْ عَائِشَةُ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يُوتَرُّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: (يَقْرَأُ فِي الْأُولَى ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وفي الثَّانِيَةِ ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ﴾، وفي الثَّالِثَةِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمَعْوِذَتَيْنِ)^(١)، ومن جملة فوائدها: أَنَّ الْإِكْثَارَ مِنْ تِلَاوَتِهَا يُورِثُ الْحِفْظَ.

قوله: (﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾) الْأَمْرُ وَإِنْ كَانَ لِلنَّبِيِّ إِلَّا أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ الْعُمُومُ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ عَدَمُ الْخُصُوصِيَّةِ إِلَّا لِلدَّلِيلِ.

قوله: (أي: نَزَّهَ رَبُّكَ) أي: اعتَقَدُ أَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ؛ فِي ذَاتِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَسْمَائِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَأَحْكَامِهِ، فَتَنْزِيهِهِ الذَّاتِ: اعتَقَادُ أَنَّهَا لَيْسَتْ كَالذَّوَاتِ؛ فَلَا تُوصَفُ بِالْجَوْهَرِيَّةِ، وَلَا بِالْعَرَضِيَّةِ، وَلَا بِالْكِبَرِ، وَلَا بِالصُّغَرِ، وَلَا بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَوْصَافِ الْحُدُوثِ. وَتَنْزِيهِهِ الصِّفَاتِ: اعتَقَادُ أَنَّهَا لَيْسَتْ حَادِثَةً وَلَا مُتَنَاهِيَةً وَلَا نَاقِصَةً. وَتَنْزِيهِهِ الْأَفْعَالِ: اعتَقَادُ أَنَّهُ تَعَالَى لَيْسَتْ أَفْعَالُهُ كَأَفْعَالِ الْمَخْلُوقِينَ. وَتَنْزِيهِهِ الْأَسْمَاءِ: عَدَمُ ذِكْرِهِ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي تُوهَمُ نَقْصًا بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ. وَتَنْزِيهِهِ الْأَحْكَامِ: عَدَمُ الْأَغْرَاضِ فِيهَا، فَتَكْلِيفُنَا لَأَنْفُسِنَا لَا لِنَفْعٍ يَعُودُ عَلَيْهِ.

قوله: (ولفظ «اسم» زائد) ليس بمتعين، بل كما تُنَزَّهُ الذَّاتُ يُنَزَّهُ الْاسْمُ أَيْضًا عَنْ أَنْ يُسَمَّى بِهِ

الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً

﴿الْأَعْلَى﴾ - صِفة لـ ﴿رَبِّكَ﴾ - ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى﴾ مَخْلُوقَه، جَعَلَه مُتَنَاسِبَ الأجزاء غَيْرَ مُتَفَاوِتٍ، ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شَاءَ ﴿فَهَدَى﴾ إلى ما قَدَّرَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾: أَنْبَتَ الْعُشْبَ، ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بَعْدَ الْخُضْرَةِ ﴿غُثَاءً﴾: جَافًا هَشِيمًا

حاشية الصاوي

غيره، ومن جملة تنزيه الاسم: أَلَّا يُذْكَرَ في مواضع الأقدار، بأن يُذْكَرَ على وجه التَّعْظِيمِ والتَّفْخِيمِ في المواضع الطَّاهِرَةِ الفَاخِرَةِ، ومن جملة تنزيه الاسم: استحْضَارُكَ عِظَمَةَ الْمَسْمُومِ عند ذِكْرِهِ.

قوله: ﴿الْأَعْلَى﴾ (مِنْ: الْعُلُوُّ، وهو الارتفاع، بمعنى: الْقَهْرُ والغلبة والسلطنة، فهو علوُّ مكانةٍ، لا مكانٍ.

قوله: (صِفة لـ ﴿رَبِّكَ﴾) أي: فهو مجرورٌ بكسرةٍ مقدَّرةٍ على الألف، وهذه الصِفة جاريةٌ مجرى التعليل، كأنه قال: (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ؛ لكونه مرتفع المكانة، منزهاً عن النقائص أزلاً وأبداً)، ولا يصحُّ أن يكون صِفةً لـ ﴿أَسْمَ﴾ منصوباً بالفتحة المقدرة مع جعل ﴿الَّذِي خَلَقَ...﴾ إلخ صِفةً لـ ﴿رَبِّكَ﴾؛ لما يلزم عليه من الفصل بين الصِفة والموصوف بصفةٍ غيره، نظير قولك: (جاءني غلام هند العاقل الحسنة)، وهو ممتنع، فإن جعل الموصول نعتاً مقطوعاً... جاز.

قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى﴾ جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّرٍ، كأنه قيل: الاشتغال بالتَّسْيِيحِ إنما يكون بعد معرفة المولى؛ فما الدليل على وجوده؟ فأجاب بما ذكر، ومفعول (خلق) محذوف؛ أي: كلُّ شيءٍ. قوله: (مُتناسب الأجزاء... إلخ) أي: فجعله معتدل القامة، تامَّ المنافع.

قوله: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ مفعوله محذوف، قدَّره بقوله: (ما شاء) أي: مِنْ أنواعِها وأشخاصِها ومقاديرِها وصفاتِها وأفعالِها وغير ذلك مِنْ أحوالِها.

قوله: ﴿فَهَدَى﴾ أي: أرشد ما قدَّره لمصالحه؛ فهدى الإنسان ودلَّه على سبيل الخير والشرِّ، وهدى الأنعام لِمَرَاعِيها، وجميع الدوابِّ لمعاشِها ومصالحِها.

قوله: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أي: ما يُرْعَى، كالحشيش ونحوه.

قوله: ﴿غُثَاءً﴾ بضم الغين والمدِّ، من باب (قَعَدَ)^(١)، وهذا مثلُ ضربِ اللهِ للكُفَّارِ بذهاب الدنيا

بعد نضارتها.

(١) في «المصباح المنير» مادة (غ ث ي): (غناء السيل: حَمِيلُهُ، وغثا الوادي غثواً من باب «قَعَدَ»: امتلاً من الغناء).

أَحْوَى ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾

﴿أَحْوَى﴾ : أسودَّ يابساً .

(٦ - ٧) ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ القرآن ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ ما تَقْرُؤُهُ، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن تَنْسَاهُ بِنَسْخِ تِلَاوَتِهِ وَحُكْمِهِ، وَكَانَ ﷺ يَجْهَرُ بِالْقِرَاءَةِ مَعَ قِرَاءَةِ جِبْرِيلَ خَوْفَ النَّسْيَانِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: لَا تَعْجَلْ بِهَا إِنَّكَ لَا تَنْسَى فَلَا تُتْعِبُ نَفْسَكَ بِالْجَهْرِ بِهَا، ﴿إِنَّهُ﴾ تَعَالَى ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ مِنْهُمَا .

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَحْوَى﴾﴾ نعت لـ ﴿غُثَاءً﴾، وهو ما يشير له المفسر، وقوله: (أسود بالياً) أي: بعد وصفه بالغثاء يكون أسود بالياً، كما هو العادة في الزرع الجاف إذا تقادم، ويُطلق الأحوى على الأسود الذي يضرب إلى الخضرة، أو الأخضر الذي يضرب إلى السواد، وعليه: فيكون حالاً من ﴿الزَّيْتِ﴾، والأصل: أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، والفاء لمجرد الترتيب، والمعنى: (فمضت مدّة، فجعله... إلخ)؛ إذ لا يصير غثاء عقب إخراجِه، بل بعده بمدّة.

قوله: ﴿﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾﴾ بيانٌ لهداية الله تعالى الخاصّة برسوله إثر بيان هدايته العامّة لجميع الخلق، وهذه الآية تدلُّ على المعجزة من وجهين: الأوّل: الإخبار من الله تعالى بما يحصل في المستقبل، الثاني: كونه يحفظ هذا الكتاب العظيم من غير دراسة ولا تكرار، ولا ينساه أبداً.

قوله: ﴿﴿فَلَا تَنْسَى﴾﴾ ما تَقْرُؤُهُ أي: منسوخاً أو غيره؛ ليظهر كون الاستثناء متصلاً، وقوله: ﴿﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾﴾ استثناء مفرغ.

قوله: (بنسخ تِلاوته وحكمه) الباء: سببية، والمعنى: أن نسخ تِلاوته وحكمه معاً سببٌ في جواز نسيانك له، وأمّا ما نُسخَتْ تِلاوته فقط، أو حكمه فقط... فلا ينسَاهُ؛ للاحتياج إلى تبليغ حكمه، أو تِلاوته.

قوله: (فكأنه قيل... إلخ) أي: فهو نظير قوله: ﴿﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾﴾ [القيامة: ١٧].

قوله: ﴿﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾﴾... إلخ) تعليل لما قبله، جيء به تسليّة له ﷺ، كأنه قيل: لا تخشى ضياع ما ألقى عليك؛ فإنه تعالى يعلم الجهر وما يخفى، ومنه: ما ألقى عليك، فَيُبَيَّنُ في فؤادك ما ينفع، وصنيع المفسر يقتضي أنه تعليلٌ لمحذوف، قدره بقوله: (فلا تتعب نفسك).

قوله: ﴿﴿وَمَا يَخْفَى﴾﴾ «ما»: اسم موصول، وعائده محذوف، ولا يصح أن تكون مصدرية؛ لثلا يلزم خلوه الفعل عن فاعل، ولا يقال: يُجْعَلُ ضميراً؛ لأننا نقول: يَمْنَعُ منه عدم وجود ما يعود عليه.

وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ فَذَكَرْ إِن نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿٩﴾ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ﴿١٠﴾ وَنَجِّنْهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي
يَصَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾

(٨ - ٩) ﴿وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى﴾: لِلشَّرِيعَةِ السَّهْلَةِ وَهِيَ الْإِسْلَامُ، ﴿فَذَكَرْ﴾: عِظْ
بِالْقُرْآنِ ﴿إِن نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ مَنْ تُذَكِّرُهُ الْمَذْكُورُ فِي ﴿سَيَذَكِّرُ﴾، يَعْنِي وَإِنْ لَمْ تَنْفَعْ وَنَفَعَهَا
لِإِعْضٍ وَعَدَمِ النَّفْعِ لِإِعْضٍ آخَرَ.
(١٠ - ١٣) ﴿سَيَذَكِّرُ﴾ بِهَا ﴿مَنْ يَخْشَى﴾: يَخَافُ اللَّهَ تَعَالَى، كَأَيَّةِ ﴿فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ
يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، ﴿وَنَجِّنْهَا﴾ أَي: الذِّكْرَى أَي: يَتْرُكُهَا جَانِبًا لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا
﴿الْأَشْقَى﴾ بِمَعْنَى الشَّقِيَّيْ أَي: الْكَافِرِ ﴿الَّذِي يَصَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ هِيَ نَارُ الْآخِرَةِ، وَالصُّغْرَى

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ عطفٌ على (نقرئك)، وما بينهما اعتراضٌ جيء به للتعليل، والمعنى:
نوفِّقك توفيقاً مستمراً للطريقة اليسرى في كلِّ بابٍ من أبواب الدِّين؛ علماً وتعليماً، واهتداءً وهدايةً
وغير ذلك؛ ولذلك ورد: «ما خَيْرَ بين أمرين... إلَّا اختارَ أيسرهما ما لم يكن مأثماً»^(١)، وورد:
«بُعِثْتُ بِالْحَنِيفَةِ السَّمْعَاءِ»^(٢).

وحكمةُ إسنادِ التيسيرِ لذاته، ولم يقل: (ونيسر اليسرى لك): الإيذانُ بقوةِ تمكُّنه عليه السَّلام
من اليسرى والتَّصرفِ فيها؛ بحيثُ صار ذلك جِبِلَّةً له ﷺ، فبينَ طبعه ودينه موافقةً في السهولة.
قوله: (لِلشَّرِيعَةِ السَّهْلَةِ) أَي: الطَّرِيقَةِ اليسرى في حفظِ الوحي والتَّدبُّرِ.

قوله: ﴿إِن نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ إِن قُلْتُ: هُوَ ﷺ مأموراً بأن يذكِّرهم؛ سواءً نفعَتْهم الذِّكْرَى أم لم
تنفعهم؛ ليكون حِجَّةً لهم أو عليهم.

أجيب: بأنَّ في الآية اكتفاءً؛ أَي: أو لم تنفع؛ على حدِّ: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]
أَي: والبرد، ويؤيِّدهُ قوله: ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ ﴿وَنَجِّنْهَا الْأَشْقَى﴾، فتدبر!

قوله: ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ أَي: مَنْ خلق الله في قلبه الخشية، وهذا وعدٌ من الله تعالى بأنَّ مَنْ
يخشى يحصل له الاتِّعَاضُ، وينتفعُ به، والوعدُ لا يتخلَّفُ.

قوله: (هي نارُ الآخرة... إلخ) هذا قول الحسن، ويدلُّ له ما ورد: «نارُكم هذه جزءٌ من سبعين

(١) رواه البخاري (٦٧٨٦)، ومسلم (٢٣٢٧) عن سيدتنا عائشة ؓ.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٦٦/٥) عن سيدنا أبي أمامة الباهلي ؓ، وفيه: (السَّمْعَةُ) بدل (السمحاء).

ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ

نَارُ الدُّنْيَا، ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فَيَسْتَرِيح ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ حَيَاةً هَيْئَةً.

﴿١٤ - ١٥﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾: فَازَ ﴿مَنْ تَزَكَّى﴾: تَطَهَّرَ بِالْإِيمَانِ، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ مُكْبِرًا ﴿فَصَلَّى﴾ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ، وَكُفَّارُ مَكَّةَ مُعْرِضُونَ عَنْهَا.

﴿١٦ - ١٩﴾ ﴿بَلْ يُؤْثِرُونَ﴾ - بِالتَّحْتَانِيَّةِ وَالْفُوقَانِيَّةِ - ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ عَلَى الْآخِرَةِ، ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ الْمُشْتَمِلَةَ عَلَى الْجَنَّةِ

حاشية الصاوي

جزءاً من نار جهنم^(١)، وقيل: يكون في الآخرة نيراناً ودركات متفاوتة؛ فالكاfer يَصَلِّي أعظم النيران، وقيل: النار الكبرى هي السفلى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ﴾ [النساء: ١٤٥]. قوله: (فَيَسْتَرِيح) جوابٌ عما يُقال: لا واسطة بين الحياة والموت؛ فكيف وصف الله الأشقي بأنه يحيا حياة ينتفع بها؟^(٢)

قوله: (مكبراً) أي: تكبيرة الإحرام التي هي أحد أجزاء الصلاة.

قوله: (وذلك من أمور الآخرة) تمهيدٌ لارتباط هذه الآية بما بعدها؛ فقوله: ﴿بَلْ يُؤْثِرُونَ...﴾ إلخ: إضرابٌ عن مُقَدَّرٍ يَسْتَدْعِيهِ الْمَقَامُ^(٣).

قوله: (بالتحتانية) أي: وعليه فالضمير راجعٌ لـ ﴿الْأَشْقَى﴾، وقوله: (والفوقانية) أي: وعليه فهو التفاتٌ، والخطابُ إمَّا للكفار فقط، أو لعموم الناس، والقراءتان سبعيتان^(٤).

قوله: ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أي: لاشتمالها على السعادة الجسمانية والروحانية، ولذاتها غير مخلوطة بالآلام، وهي دائمة باقية، والدنيا ليست كذلك.

(١) رواه مسلم (٢٨٤٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر قول الحسن في «السراج المنير» (٥٢٢/٤).

(٢) وإيضاح الجواب: أن المعنى: لا يموت موتاً يَسْتَرِيح به، ولا يحيا حياة ينتفع بها؛ كقوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُحْيَفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا﴾، وقيل: معناه: تَصْعَدُ نَفْسُهُ إِلَى الْحُلُقُومِ ثُمَّ لَا تُفَارِقُهُ فَيَمُوتُ، وَلَا تَرْجِعُ إِلَى مَوْضِعِهَا مِنَ الْجِسْمِ فَيَحْيَا. «فتوحات» (٥٤٥/٤).

(٣) كأنه قيل إثر بيان ما يؤدي إلى الفلاح: لا تَقْلَعُونَ ذَلِكَ، بَلْ تُؤْثِرُونَ اللذات العاجلة الفانية، فَتَسْعَوْنَ لِتَحْصِيلِهَا. انظر «تفسير أبي السعود» (١٤٦/٩).

(٤) قرأ أبو عمرو بياء الغيبة، والباقون بياء الخطاب. انظر «السراج المنير» (٥٢٣/٤).

خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا: أي: إفلاحٌ مَنْ تَزَكَّى وكونُ الآخرة خيراً ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أي: المُنزَلَةِ قَبْلَ الْقُرْآنِ، ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ وهي عَشْرُ صُحُفٍ لِإِبْرَاهِيمَ وَالتَّوْرَةُ لِمُوسَى.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: إفلاحٌ مَنْ تَزَكَّى... إلخ) أي: فالإشارة لقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ إلى قوله: ﴿وَأَبْقَى﴾ وما ذُكِرَ فِي الصُّحُفِ الْأُولَى بِالْمَعْنَى، لَا بِهَذَا اللَّفْظِ؛ فَالشَّرَائِعُ الْمُتَقَدِّمَةُ مُتَّفَقَةٌ عَلَى مَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ.

وَرَدَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلْمَسْجِدِ تَحِيَّةً» فَقُلْتُ: وَمَا تَحِيَّتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «رَكْعَتَانِ تَرْكَعُهُمَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ هَلْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ شَيْئاً مِمَّا كَانَ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى؟ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ؛ اقْرَأْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَمَا كَانَتْ صُحُفُ مُوسَى؟ قَالَ: «كَانَتْ عِبَرًا كُلُّهَا: عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ! عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالنَّارِ كَيْفَ يَضْحَكُ! عَجِبْتُ لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلَّبَهَا بِأَهْلِهَا كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا! عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ ثُمَّ يَغْضِبُ! عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالحِسَابِ ثُمَّ لَا يَعْمَلُ!»^(١).

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ أَيْضاً قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَمَا كَانَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: «كَانَتْ أَمْثَالاً كُلُّهَا: أَثَرُ الْمَلِكِ الْمَسْلُطِ الْمَبْتَلَى الْمَغْرُورِ، إِنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ لِتَجْمَعَ الدُّنْيَا بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلَكِنِّي بَعَثْتُكَ لِتَرُدَّ عَنِّي دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنِّي لَا أَرُدُّهَا وَلَوْ كَانَتْ مِنْ فَمِ كَافِرٍ، وَكَانَ فِيهَا أَمْثَالٌ: وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يَفْكُرُ فِيهَا فِي صَنْعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا لِحَاجَتِهِ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ، وَعَلَى الْعَاقِلِ أَلَّا يَكُونَ طَامِعاً إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ، وَمَرَمَةٍ لِمَعَاشٍ، وَلَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ، وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيراً بِزَمَانِهِ، مُقْبِلاً عَلَى شَأْنِهِ، حَافِظاً لِسَانِهِ، وَمَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ... قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنيهِ» قَالَ: قُلْتُ: فَمَا كَانَتْ صُحُفُ مُوسَى؟ قَالَ: «كَانَتْ عِبَرًا... إلخ»^(٢)، وقوله: (وَمَرَمَةٍ لِمَعَاشٍ) أي: إصلاحٍ له.



(١) رواه يَطُولُهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حُلِيِّ الْأَوْلِيَاءِ» (١/١٦٦)، وَبَنَحُوهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٢/٥٩٦).

(٢) انظر المصدر السابق.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (١) وَ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ (٢)



مَكِّيَّة، سِتُّ وَعِشْرُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿هَلْ﴾: قَدْ ﴿أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾: الْقِيَامَةُ لِأَنَّهَا تَغْشَى الْخَلَائِقَ بِأَهْوَالِهَا.
﴿٢﴾ - ﴿٧﴾ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ عَبَّرَ بِهَا عَنِ الذَّوَاتِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ ﴿خَشِيعَةٌ﴾: ذَلِيلَةٌ،

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

(مَكِّيَّة) أَي: بِالْإِجْمَاعِ.

قوله: ﴿﴿هَلْ أَتَاكَ﴾﴾ أَشَارَ الْمَفْسِّرُ إِلَى أَنَّ ﴿﴿هَلْ﴾﴾ بِمَعْنَى (قَدْ)، وَقَوْلُهُ: ﴿﴿أَتَاكَ﴾﴾ أَي: فِي هَذِهِ السُّورَةِ، فَالْمَاضِي إِخْبَارٌ عَمَّا وَقَعَ لَهُ فِي الْحَالِ، وَيَصِحُّ أَنْ يُرَادَ بِالِاسْتِفْهَامِ التَّعْجِيبُ وَالتَّشْوِيقُ إِلَى اسْتِمَاعِ حَدِيثِهَا الْمَذْكُورِ بِقَوْلِهِ: ﴿﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ...﴾﴾ إلخ.

قوله: ﴿﴿الْغَاشِيَةِ﴾﴾ مِنْ: الْغَشَاءِ، وَهُوَ الْغَطَاءُ، وَمِنْهُ: الْغِشَاوَةُ، وَهِيَ شَيْءٌ يَغْطِي الْعَيْنَ.

قوله: ﴿﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ...﴾﴾ إلخ استئنافٌ وَقَعَ فِي جَوَابِ سَوْأَلٍ مُقَدَّرٍ، تَقْدِيرُهُ: وَمَا حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ؟ (وَجُوهٌ): مَبْتَدَأٌ سَوَّغَ الْإِبْتِدَاءَ بِهِ وَقَوَّعُهُ فِي مَعْرِضِ التَّفْصِيلِ، وَ﴿﴿خَشِيعَةٌ﴾﴾: خَبْرُهُ، وَ﴿﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾﴾ خَبَرَانِ آخِرَانِ.

قوله: ﴿﴿يَوْمَئِذٍ﴾﴾ أَي: يَوْمَ إِذْ غَشِيَتْ، فَالتَّنْوِينُ عَوْضٌ عَنْ جُمْلَةٍ.

إِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْهَا جُمْلَةٌ يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ التَّنْوِينُ عَوْضًا عَنْهَا؟

أَجِيب: بِأَنَّهُ تَقَدَّمَهَا لَفْظُ (الْغَاشِيَةِ)، وَهُوَ فِي مَعْنَى الْجُمْلَةِ؛ لِأَنَّ (أَل) مُوَصُولَةٌ بِاسْمِ الْفَاعِلِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: الَّتِي غَشِيَتْ، فَالتَّنْوِينُ عَوْضٌ عَنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ الَّتِي انْحَلَّ لَفْظُ (الْغَاشِيَةِ) إِلَيْهَا.

قوله: ﴿﴿عَبَّرَ بِهَا عَنِ الذَّوَاتِ﴾﴾ أَي: فَهُوَ مُجَازٌ مَرْسَلٌ، مِنَ التَّعْبِيرِ عَنِ الْكُلِّ بِالْجُزْءِ، وَخَصَّ الرَّجُلَ؛ لِأَنَّهُ أَشْرَفُ الْأَعْضَاءِ، وَلِأَنَّهُ يَظْهَرُ عَلَيْهِ ذَلِكَ أَوَّلًا.

عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُشْقَى مِنْ عَيْنٍ آَنِيةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾: ذاتُ نَصَبٍ وَتَعَبٍ بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ، ﴿تُصَلَّى﴾ - بِضَمِّ التَّاءِ وَفَتْحِهَا -
﴿نَارًا حَامِيَةً﴾ ﴿٤﴾ تُشْقَى مِنْ عَيْنٍ آَنِيةٍ: شَدِيدَةِ الْحَرَارَةِ، ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ هو نوعٌ
مِنَ الشُّوكِ لَا تَرْعَاهُ دَابَّةٌ لِخُبَيْهِ،

حاشية الصاوي

قوله: (بالسلاسل والأغلال) أي: بسبب جرّ السلاسل، وحمل الأغلال، وكذلك يخوضون في النار خوض الإبل في الوحل، والصعود والهبوط في تلال النار، قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١-٧٢]، وهذا جزاء لما ارتكبه من إراحة أبدانهم في اللذات والشهوات، قال سعيد بن جبير: (تَكَبَّرَتْ فِي الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَأَعْمَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَأَنْصَبَهَا فِي النَّارِ بِجَرِّ السَّلَاسِلِ الثَّقَالِ، وَحَمَلِ الْأَغْلَالِ، وَالْوُقُوفِ حُفَاةَ عِرَاقٍ فِي الْعَرَصَاتِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) ^(١).

قوله: (بضم التاء وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيتان، والضّمير لـ (الوجوه) على كل ^(٢).

قوله: ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾ أي: لَأَنَّهُ أُوقِدَ عَلَيْهَا مُدَّةٌ طَوِيلَةٌ؛ ففي الحديث: «أُحْمِيَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ، فَهِيَ سُودَاءٌ مُظْلَمَةٌ» ^(٣).

قوله: ﴿آَنِيةٍ﴾ أي: بَلَغَتْ أَنَّهَا فِي الْحَرَارَةِ، والمعنى: انتهى حرُّه ^(٤).

قوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ قال أبو الدرداء أو الحسن: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرْسِلُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعَ حَتَّى يَعْدَلَ عِنْدَهُمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَيَسْتَغِيثُونَ، فَيُعَاثُونَ بِالضَّرِيعِ، وَهُوَ ذُو غَضَّةٍ، فَيَغْصُونَ بِهِ، فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُجِيزُونَ الْغُصَصَ فِي الدُّنْيَا بِالمَاءِ فَيَسْتَقُونَ، فَيَعْطِشُهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يُسْقَوْنَ مِنْ عَيْنٍ آَنِيةٍ، لَا هَنِيئَةَ وَلَا مَرِيئَةَ، فَإِذَا أَدْنَوْهُ مِنْ وَجْهِهِمْ.. سَلَخَ جُلُودَ وَجْهِهِمْ

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٢٧/٢٠).

(٢) قرأ أبو عمرو وشعبة بضم التاء الفوقية على ما لم يسم فاعله، والباقون بفتحها على تسمية الفاعل. انظر «السراج المنير» (٥٢٥/٤).

(٣) رواه الترمذي (٢٥٩١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في «القاموس المحيط»: (وَأَنَّى الْحَمِيمِ: انتهى حرُّه، فهو آنٍ، وبلغ هذا أناه - ويكسر -: غايته، أو نُضِجَ وإدراكه).

لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ

﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾.

(٨ - ١١) ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾: حَسَنَةٌ، ﴿لِسَعْيِهَا﴾ في الدُّنْيَا بِالطَّاعَةِ ﴿رَاضِيَةٌ﴾ في الآخِرَةِ لَمَّا رَأَتْ ثَوَابَهُ، ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ حَسًّا وَمَعْنَى، ﴿لَا يُسْمِنُ﴾ - بِالْيَأْسِ وَالتَّأْسِ -
حاشية الصاوي

وشواها، فإذا وَصَلَ بطونهم قطعها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَ هُمْ﴾ [محمد: ١٥] ^(١).
إن قلت: كيف حَصَرَ الطَّعَامَ هنا في الضَّرِيعِ مع أَنَّ في (الحاقة) قال: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ﴾ [الحاقة: ٣٦]؟

أجيب: بأنَّ العذاب ألوانٌ، والمُعَذَّبُونَ أنواعٌ؛ فمنهم مَنْ يَكُونُ طَعَامُهُ الزَّقَومَ، ومنهم مَنْ يَكُونُ طَعَامُهُ الضَّرِيعَ، ومنهم مَنْ يَكُونُ طَعَامُهُ الغِسْلِينَ... وهكذا.
قوله: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ كلُّ منهما صفةٌ للضَّرِيعِ، والمعنى: لا يحصل السَّمْنُ لآكِلِهِ، ولا يدفع عنه جوعاً.

قوله: (حَسَنَةٌ) أي: ذاتُ بهجةٍ وحسنٍ، وقيل: متنَّعةٌ، والجمعُ حاصلٌ؛ فهي حَسَنَةٌ ومتنَّعةٌ.
قوله: ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ اللامُ بمعنى الباءِ، متعلقٌ بـ﴿رَاضِيَةٌ﴾ الواقعة خبراً ثانياً عن (الوجوه)، والمعنى: أنَّهم الرَّاظُونَ بأعمالهم؛ لِمَا رَأَوْا من الجزاء عليها.
قوله: (حَسًّا) أي: لأنَّ الجَنَّةَ درجاتٌ على عددِ آيِ القرآنِ، بعضها أعلى مِنْ بعضٍ؛ فبين الدَّرَجَتَيْنِ مثلُ ما بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، وقوله: (ومعنى) أي: وهو الشَّرَفُ والرَّفْعَةُ.
قوله: (بالياء والتاء) أي: ولكنَّ الفعلَ على الياءِ مَبْنِيٌّ للمفعول لا غير، وعلى التاءِ فهو مَبْنِيٌّ للفاعل والمفعول؛ فالقراءات ثلاثٌ سَبْعِيَّاتٌ ^(٢).

(١) رواه الترمذي (٢٥٨٦) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء من تحت مضمومة على ما لم يسم فاعله، (لاغية) رفعاً لقيامه مقام الفاعل، وقرأ نافع كذلك إلا أنه بالتاء من فوق، والتذكير والتأنيث واضحان؛ لأنَّ التأنيث مجازي، وقرأ الباقون بفتح التاء من فوق، ونصب (لاغية) فيجوز أن تكون التاء للخطاب؛ أي: لا تسمع أنت، وأن تكون للتأنيث؛ أي: لا تسمع الوجوه.
انظر «الدر المصون» (١٠/٧٦٩).

فِيهَا لَغِيَّةٌ ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرٌّ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَمَنَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَائِيُ

﴿فِيهَا لَغِيَّةٌ﴾ أي: نفس ذات لغو: هَذَيَانٍ مِنَ الْكَلَامِ.

(﴿١٢﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ بِالْمَاءِ بِمَعْنَى عُيُونٍ، ﴿فِيهَا سُرٌّ مَرْفُوعَةٌ﴾ ذَاتًا وَقَدْرًا وَمَحَلًّا، ﴿وَأَكْوَابٌ﴾: أَقْدَاحٌ لَا عُرَا لَهَا ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ عَلَى حَافَاتِ الْعُيُونِ مُعَدَّةٌ لِشَرِبِهِمْ، ﴿وَمَنَارِقٌ﴾: وَسَائِدُ ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بَعْضُهَا بِجَنْبِ بَعْضٍ يُسْتَدُّ إِلَيْهَا، ﴿وَزَرَائِيُ﴾: بُسُطٌ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَغِيَّةٌ﴾) صفةٌ للجماعة؛ أي: جماعة لاغية، ويصحُّ أن يكون مصدرًا؛ كـ(العاقبة) و(العافية)؛ كقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [الواقعة: ٢٥].

قوله: (﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾) أي: على وجه الأرض من غير أخدود، لا ينقطع جريها أبدًا، والمراد بالعين: الجنسُ الصادقُ بالأنهار المتقدِّم ذكرها في سورة (محمَّد) عليه السَّلام.

قوله: (﴿فِيهَا سُرٌّ مَرْفُوعَةٌ﴾) قال ابن عباس: (ألواحها من ذهبٍ، مُكَلَّلَةٌ بالزبرجد والدرُّ والياقوت، مرتفعةٌ في السماء ما لم يَجِئْ أهلُها، فإذا أراد أن يجلسَ عليها صاحبُها.. تواضعتْ حتَّى يجلسَ عليها، ثمَّ ترتفع إلى مواضعها)^(١).

قوله: (﴿وَأَكْوَابٌ﴾) جمع (كوب).

قوله: (﴿لَا عُرَى لَهَا﴾) أي: ولا خرطوم.

قوله: (﴿مُعَدَّةٌ لِشَرِبِهِمْ﴾) أي: فكلَّما أرادوا الشَّربَ.. وجدوها مملوءةً بالشراب، ويصحُّ أنَّ المراد: موضوعةٌ بين أيديهم يتلذَّذون بالنَّظَرِ إليها، ويصحُّ أنَّ المراد: موضوعةٌ عن حدِّ الكِبَرِ، فهي متوسطةٌ، وحينئذٍ: فيكونُ نظيرُ قولِهِ تعالى: ﴿فَدَرَوْهَا نَقِيرًا﴾ [الإنسان: ١٦].

قوله: (﴿وَمَنَارِقٌ﴾) جمع (نُمرقة) بضمُّ النون والراء، وكسرهما، لغتان.

قوله: (﴿وسائد﴾) جمع (وسادة)، وهي المعروفة بالمِخْدَةُ.

قوله: (﴿مَصْفُوفَةٌ﴾) أي: فوق الطَّنَافِسِ.

قوله: (﴿وَزَرَائِيُ﴾) جمع (زريَّة) بثلاث الزَّايِ.

مَبْنُوءَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ
كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾

طنافس لها خمل ﴿مَبْنُوءَةٌ﴾: مَبْسُوطَةٌ.

﴿١٧﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: كُفَّار مَكَّةَ نَظَرَ اعْتِبَار ﴿إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ﴿١٧﴾
وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ أي: بُسِطَتْ
فَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتِهِ؟

حاشية الصاوي

قوله: (طنافس) جمع (طنفسة) بتثنية الفاء والطاء؛ ففيه تسع لغات، صفة لـ(بسط)، ويسمى
أيضاً السَّجادة، فلها ثلاثة أسماء: سَجادة، وطنفسة، وزريّة.

قوله: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ استئناف مقرر لما مضى مِنْ حديث الغاشية،
والهمزة داخله على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أعموا فلا ينظرون؟ وهو استفهام
إنكارِيٌّ توبيخيٌّ، وَخُصَّتِ الْإِبِلُ؛ لكثرة منافعها؛ كأكل لحمها، وشرب لبنها، والحمل عليها،
وركوبها، والتَّغْلُّقُ عليها إلى البلاد البعيدة، وعيشها بأيّ نباتٍ أَكَلَتْهُ كَالشَّجَرِ وَالشَّوْكِ، وصبرها على
العطش عشرة أيامٍ فأكثر، وطواعيتها لكلِّ مَنْ قَادَهَا ولو صغيراً، ونهوضها وهي باركةٌ بالأحمال
الثقيلة، ولا تؤذي مَنْ وَطِئَتْهُ بِرِجْلِهَا، وتتناثر بالصَّوْتِ الْحَسَنِ مع غلظ أكبادها، ولا شيءٍ مِنَ
الحيواناتِ جَمَعَ هذه الأشياءَ غيرها، ولكونها أَفْضَلُ ما عِنْدَ الْعَرَبِ جَعَلُوهَا دِيَّةَ الْقَتْلِ. وَالْإِبِلُ: اسْمُ
جَمْعٍ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَإِنَّمَا لَهُ وَاحِدٌ مِنْ مَعْنَاهُ؛ ك: بَعِير، وناقَة، وَجَمَل.

قوله: ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ﴿كَيْفَ﴾: منصوب بـ﴿خُلِقَتْ﴾ على الحال، والجملة بدلٌ اشتمالٍ
من ﴿الْإِبِلِ﴾، فهي في محلٍّ جرّ.

قوله: ﴿كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ أي: فوق الأرض مِنْ غيرِ عَمَدٍ.

قوله: ﴿كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ أي: على وجه الأرض نصباً ثابتاً راسخاً لَا يَتَزَلْزَلُ.

قوله: (فَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا...) إلخ) الحكمة في تخصيص هذه الأشياء بالذكر: لأنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى
الْعَرَبِ، وَكَانُوا يَسَافِرُونَ كَثِيراً فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْبَرَارِيِّ مُتَفَرِّدِينَ عَنِ النَّاسِ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا انْفَرَدَ.. أَقْبَلَ
عَلَى التَّفَكُّرِ، فَأَوَّلُ مَا يَقَعُ بَصَرُهُ عَلَى الْبَعِيرِ الَّذِي هُوَ رَاكِبُهُ، فَيَرَى مَنْظَراً عَجَباً، وَإِنْ نَظَرَ إِلَى فَوْقَ..
لَمْ يَرَ غَيْرَ السَّمَاءِ، وَإِنْ نَظَرَ يَمِيناً وَشَمَالاً.. لَمْ يَرَ غَيْرَ الْجِبَالِ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَى تَحْتِ.. لَمْ يَرَ غَيْرَ
الْأَرْضِ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى أَمْرُهُ بِالنَّظَرِ وَقْتَ الْخُلُوعِ وَالْانْفِرَادِ، وَلَا يَحْمِلُهُ الْكِبَرُ عَلَى تَرْكِ النَّظَرِ.

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾

وَصُدِّرَتْ بِالْإِبِلِ لِأَنَّهُمْ أَشَدُّ مُلَابَسَةً لَهَا مِنْ غَيْرِهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿سُطِحَتْ﴾ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ الْأَرْضَ سَطَحٌ وَعَلَيْهِ عُلَمَاءُ الشَّرْعِ، لَا كُرَّةَ كَمَا قَالَه أَهْلُ الْهَيْئَةِ، وَإِنْ لَمْ يَنْقُضْ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الشَّرْعِ.

(٢١ - ٢٤) ﴿فَذَكِّرْ﴾ هُمْ نَعَمَ اللَّهُ وَدَلَائِلَ تَوْحِيدِهِ، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ - وَفِي قِرَاءَةِ بِالصَّادِ بَدَلِ السَّيْنِ - أَيِ: بِمُسْلَطٍ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ، ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿مَنْ تَوَلَّى﴾: أَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿وَكَفَرَ﴾ بِالْقُرْآنِ، ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾: عَذَابَ الْآخِرَةِ، وَالْأَصْغَرُ عَذَابُ الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ.

حاشية الصاوي

قوله: (وَصُدِّرَتْ) أي: هذه الأربعة.

قوله: (وإن لم ينقض) أي: ما قاله أهل الهيئة من قواعدهم التي ذكروها، وقوله: (ركناً) أي: قاعدة من قواعد الشَّرْعِ، فلا يضرُّ في العقيدة؛ لأنَّ عُلَمَاءَ الْهَيْئَةِ قَالُوا: إِنَّ الْأَرْضَ كُرَّةٌ بِطَبْعِهَا، وَحَقِيقَتُهَا كَالْبَيْضَةِ، فَالسَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مُحِيطَةٌ بِالْأَرْضِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَالْعَرْشُ مُحِيطٌ بِالْجَمِيعِ، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْرَجَ الْأَرْضَ عَنْ طَبْعِهَا بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ؛ بِتَسْطِيحِ بَعْضِهَا لِإِقَامَةِ الْحَيَوَانَاتِ عَلَيْهَا رَحْمَةً بِهِمْ.

قوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾ مَفْرَعٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ.

قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ تَعْلِيلٌ لِلْأَمْرِ بِالتَّذْكِيرِ.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سَبْعِيَّةٌ أَيْضاً^(١).

قوله: (أي بمسلط) هذا تَفْسِيرٌ لِلْقَرَاءَتَيْنِ.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالجهاد) أي: فهو مَنْسُوخٌ بِآيَةِ السَّيْفِ.

قوله: (لكن ﴿مَنْ تَوَلَّى﴾... إلخ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ مَنْقُطَعٌ، وَالِاسْتِدْرَاكُ لِدَفْعِ تَوْهَمٍ

(١) قرأ هشام بالسَّيْنِ وقرأ حمزة بخلاف عن خلف بإشمام الصاد كالزاي، والباقون بالصاد الخالصة. انظر السراج المنير (٤/٥٢٨).

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

(٢٥ - ٢٦) ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾: رُجُوعُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾: جَزَاءُهُمْ لَا نَتْرُكُهُ أَبَدًا.

حاشية الصاوي

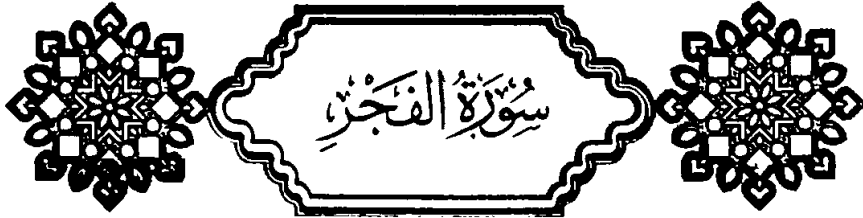
أنهم يتركون في الآخرة كالدينا، وذلك أنه أمر بعدم التعرض لهم في مبدأ الأمر، فربما يتوهم أنهم في الآخرة كذلك، فأفاد: أنه وإن أمهلهم في الدنيا لا يُفْلِتُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ.

قوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ تعليلٌ لتعذيبه تعالى بالعذاب الأكبر.

قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ أي: بمقتضى وعيدنا، لا وجوباً علينا. و(ثم) للتراخي في الرتبة، لا في الزمان؛ فإن الترتيب الزمني بين إيمانهم وحسابهم، لا بين كون إياهم إليه تعالى وحسابهم عليه تعالى؛ فإنهما أمران مُستمرّان. وجمع الضمير في ﴿إِيَابَهُمْ﴾ باعتبار معنى (من).



﴿وَالْفَجْرِ﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾



مَكَّةُ أَوْ مَدِينَةُ، ثَلَاثُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٥) ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أي: فجر كلِّ يوم، ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ أي: عشر ذي الحِجَّة،
 ﴿وَالشَّفْعِ﴾: الزوج ﴿وَالْوَتْرِ﴾

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْفَجْرِ

(مَكَّةُ) أي: في قول الجمهور، وقوله: (أو مدينة) أي: في قول علي بن أبي طلحة^(١).

قوله: (أي: فجر كلِّ يوم) هذا أحد أقوال كثيرة في تفسير (الفجر)، وهو قول علي وابن الزبير وابن عباس^(٢)، أو فجر أول يوم من المحرم؛ منه تنفجر السنة، أو فجر يوم النحر؛ لأن فيه أكثر مناسك الحج، وفيه القربات، أو فجر ذي الحجة؛ لأنه قرَنَ به الليالي العشر.

قوله: (أي: عشر ذي الحجة) أي: وإنما نكَّرت؛ لأنها أفضل ليالي السنة، وما ذكره المفسر أحد أقوال، وقيل: هي العشر الأواخر من رمضان، وقيل: العشر الأول من المحرم.

قوله: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ قال مجاهد ومسروق: (الشفع: الخلق كله، قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]؛ الكفر والإيمان، والهدى والضلال، والسعادة والشقاوة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والبر والبحر، والشمس والقمر، والجن والإنس، والوتر: هو الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٣).

(١) انظر «مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور» للبقاعي (٣/١٨٩).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٣٨/٢٠).

(٣) أورده الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٠/١٩٣).

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ ﴿٥﴾

- يَفْتَحِ الْوَاوَ وَكَسَرَهَا لُغْتَانِ -: الْفَرْدُ، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾ مُقْبِلاً وَمُدْبِراً، ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ الْقَسَمُ ﴿قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ﴾: عَقْلِي؟ - وَجَوَابُ الْقَسَمِ مَحْذُوفٌ - أَي: لَتُعَذِّبُنَّ يَا كُفَّارَ مَكَّةَ.

حاشية الصاوي

وقيل: الشفع: تضادُّ صفاتِ المخلوقين؛ من العزِّ والذلِّ، والقدرة والعجز، والقوَّة والضعف، والعلم والجهل، والبصر والعمى، والوتر: انفراد صفات الله تعالى؛ عزٌّ بلا ذلٍّ، وقدرة بلا عجز، وقوَّة بلا ضعف، وعلم بلا جهل، وحياء بلا موت.

وقيل: الوتر: يومُ عرفة؛ لأنَّه تاسع، والشفع: يوم النحر؛ لأنَّه عاشر، وقيل غير ذلك.

قوله: (بفتح الواو وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيتان، ولغتان جيِّدتان^(١).

قوله: ﴿وَاللَّيْلِ﴾ قَسَمٌ خَامِسٌ، بعدما أقسم بالليالي العشر على الخُصوص أقسم بالليل على العموم، وقيل: ليلة المزدلفة خاصَّة، وقيل: ليلة القدر؛ لسريان البركة فيها.

قوله: ﴿إِذَا يَسَّرَ﴾ ﴿إِذَا﴾: معمول لمحذوف هو فعل القسم، والمعنى: أقسم بالليل وقت سراه.

قوله: (مقبلاً) أي: بإدبار النَّهار، وقوله: (ومدبراً) أي: بإقبال النَّهار، وفيه إشارة إلى أنَّ إسناده السُّرى لليل حقيقة، وقال غيره: إنَّ إسناده السُّرى له مجازٌ عقليٌّ؛ من الإسناد للزمان^(٢)، والمعنى: يُسَرِّى فيه، وكلُّ صحيح.

قوله: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾... إلخ استفهامٌ تقريرِيٌّ لفخامة شأن الأمور المقسم بها، واسم الإشارة عائذٌ على الأمور المقسم بها.

قوله: (القَسَم) أي: الحَلْف، و(أل) جنسيَّةٌ صادقةٌ بالمذكور من الأقسام، وهي خمسة، وكذا يُقال في قوله: (وجواب القسم... إلخ).

قوله: (عقل) سُمِّيَ حجراً؛ لأنَّه يَحْجُرُ صانعُه ويمنعُه عن القبائح.

قوله: (وجواب القسم محذوف) وقيل: هو قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، وقيل غير ذلك.

(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر الواو، والباقون بفتحها، وهما لغتان: الفتح لغة قريش ومن والها، والكسر لغة تميم. انظر «السراج المنير» (٥٣٠/٤).

(٢) هو قول الأخفش؛ كما في «الدر المصون» (٧٨١/١٠).

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾

(٦ - ١٤) ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَعَلَّمَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ ﴿٦﴾ إِرَمٌ ﴿هي عادُ الأولى، - فـ﴾ ﴿إِرَمٌ﴾ عَطْفُ بَيَانٍ أَوْ بَدَلٍ، وَمَنْعُ الصَّرْفِ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالتَّائِيثِ - ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أي: الطُّولِ، كَانَ طُولُ الطَّوِيلِ مِنْهُمْ أَرْبَعَمِائَةِ ذِرَاعٍ، ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾... إلخ) شروع في بيان أحوال الأمم الماضية، وذكر منهم عاداً وشمود وفرعون؛ لأن أخبارهم كانت معلومة عندهم، والخطاب للنبي ﷺ، ولكنه عام لكل أحد.

قوله: ﴿إِرَمٌ﴾ هو في الأصل: اسم جد عاد، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، سميت القبيلة باسم جدّهم عاد، وعاش ألف سنة ومئتي سنة، ورزق من صلبه أربعة آلاف ولد، وتزوج ألف امرأة، ومات كافراً.

قوله: (أي: الطُّولِ) هذا أحد أقوال، وقيل: إن المراد به: الأبنية المرتفعة على العمدة، فكانوا يَنْصُبُونَ الأعمدة، فيبنون عليها القصور، وقيل: ذات العماد: ذات القوّة والشدّة، قال تعالى: ﴿مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً﴾ [نصحت: ١٥]، وقيل غير ذلك.

قوله: (كان طول الطَّوِيلِ... إلخ) نحوه قول الكازروني: (طول الطويل منهم خمس مئة ذراع، والقصير ثلاث مئة ذراع بذراع نفسه)، وردّ ذلك ابنُ العربي بقوله: (هو باطل؛ لأنّ في الصحيح: «أنّ الله خلق آدم طوله ستون ذراعاً في الهواء، فلم يزل الخلق ينقصون إلى الآن»). اهـ^(١)، وقال قتادة: (إنّ طول الرجل منهم اثنا عشر ذراعاً).

قوله: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ أي: لم يُخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوّة، وهم الذين قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً﴾، وقيل: هي مدينة بناها شدّاد بن عاد.

وحاصل قصّتها: أنّه كان لعاد ابنان: شدّاد، وشديد، فملكاً بعده، وقهراً العباد والبلاد، فمات شديد، وخلص الملك لشدّاد، فملك الدنيا، ودانت له ملوكها، وكان يحبّ قراءة الكتب القديمة، فسمع بذكر الجنّة وصفّتها، ودعته نفسه إلى بناءٍ مثلها؛ عتوّاً على الله، وتجبراً، فروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة: أنّه خرج في طلب إبلٍ له شردت، فبينما هو يسير في صحارى عدن؛ إذ وقع على مدينة في تلك الفلوات، عليها حصنٌ، وحول الحصن قصورٌ كثيرةٌ، فلما دنا منها.. ظنّ أنّ فيها

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٤/٣٩١)، والحديث رواه البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

حاشية الصاوي

أحداً يسأله عن إبله، فلم يرَ خارجاً ولا داخلاً، فنزل عن دابته وعَقَلَهَا، وسلَّ سيفه، ودخل من باب المدينة؛ فإذا هو ببايئين عظيمين، وهما مُرَصَّعان بالياقوت الأحمر، فلَمَّا رأى ذلك.. دهش، ففتح الباب ودخل؛ فإذا هو بمدينة لم يرَ أحدٌ مثَلَهَا، وإذا فيها قصورٌ في كلِّ قصرٍ منها غرفٌ، وفوق الغرفِ غرفٌ مبنيةٌ بالذهب والفضة وأحجارِ اللؤلؤ والياقوت، وإذا أبواب تلك القصور مثلُ مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضاً، وهي مفروشةٌ كُلُّهَا باللؤلؤ ويَنَادِقُ المسك والزعفران، فلَمَّا عاين ذلك ولم يرَ أحداً.. هاله ذلك، ثمَّ نظر إلى الأزقة؛ فإذا في تلك الأزقة أشجارٌ مثمرةٌ، وتحت تلك الأشجارٍ أنهارٌ يجري ماؤها في قنواتٍ من فضةٍ، فقال الرجل في نفسه: هذه الجنة، وحمل معه من لؤلؤها، ومن بنادق مسكها وزعفرانها، ورجع إلى اليمن، وأظهر ما كان معه، وحدث بما رأى، فبلغ ذلك معاويةَ، فأرسل إليه، فقدم عليه، فسأله عن ذلك، فقصَّ عليه ما رأى، فأرسل معاوية إلى كعبِ الأحبار، فلَمَّا أتاه.. قال له: (يا أبا إسحاق؛ هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة؟) قال: نعم، هي إرمُ ذات العماد، بناها شداد بن عاد، قال: (فحدثني حديثها)، فقال: (لَمَّا أراد شداد بن عاد عملها.. أمر عليها مئة قهرمان، مع كلِّ قهرمان ألفٌ من الأعوان، وكتب إلى ملوك الأرض أن يُمدوهم بما في بلادهم من الجواهر، فخرجت القهارمة يسيرون في الأرض؛ ليجدوا أرضاً موافقة، فوقفوا على صخرةٍ نقيّةٍ من التلال؛ وإذا فيها عيونُ ماءٍ، ومروجٌ، فقالوا: هذه الأرض التي أمر الملك أن نبني فيها، فوضعوا أساسها من الجزع اليماني، وأقاموا في بنائها ثلاث مئة سنة، وكان عمر شداد تسع مئة، فلَمَّا أتوه وقد فرغوا منها.. قال: انطلقوا فاجعلوا حصناً - يعني: سوراً - واجعلوا حوله ألفَ قصرٍ، وعند كلِّ قصرٍ ألفَ علمٍ؛ ليكون في كلِّ قصرٍ وزيرٌ من وزرائه، ففعلوا، وأمر الملك وزرائه - وهم ألف وزير - أن تهيؤوا للنقلة إلى إرم ذات العماد، وكان الملك وأهلُه في جهازهم عشرَ سنين، ثمَّ ساروا إليها، فلَمَّا كانوا من المدينة على مسيرة يومٍ وليلة.. بعث الله عليهم وعلى مَنْ كان معه صيحةٌ من السماء، فأهلكتهم جميعاً، ولم يبقَ منهم أحد).

ثمَّ قال كعب: (وسيدخلها رجلٌ من المسلمين في زمانك أحمرُّ أشعرُ قصيرٌ، على حاجبه خالٌ، وعلى عنقه خالٌ، يخرج في طلب إبلٍ له، ثمَّ التفت، فأبصر عبد الله بن قلابه، فقال: هذا والله ذلك الرجل)^(١).

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/١٩٧)، قال الغماري في «بدع التفسير» (ص ١٤٧): (قال الحافظ: «أثار الوضع عليه لائحة»، ولا شك أن هذا كذب مفضوح يجب تنزيه كتب التفسير عنه؛ لأنه يُسَوِّهُ جمالها).

وَتُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَإِلْمِرْصَادٍ ﴿١٤﴾

في بطشهم وقوتهم، ﴿وَتُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا﴾: قَطَعُوا ﴿الصَّخْرَ﴾: جَمَعَ صَخْرَةٌ وَاتَّخَذُوهَا بُيُوتًا ﴿بِالْوَادِ﴾: وادي القرى، ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾: كَانَ يَتَدُّ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ يَشُدُّ إِلَيْهَا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ مَنْ يُعَذِّبُهُ، ﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾: تَجَبَّرُوا ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ: الْقَتْلَ وَغَيْرَهُ، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ﴾: نَوْعٌ ﴿عَذَابٍ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَإِلْمِرْصَادٍ﴾

حاشية الصاوي

وهذه المدينة يزعم العامة أنها دائرة في الدنيا، وهو من الخرافات، بل هي في مكانها غير أن الله تعالى أعمى الخلف عنها، فلم يهد لها إلا من وعد بها.

قوله: (في بطشهم) متعلق بـ(مثلها)، والضمير عائد على القبيلة؛ باعتبار أهلها.

قوله: ﴿الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ﴾ (صفة لـ(ثمود))، والباء في ﴿بالوادي﴾: بمعنى (في)، و(ثمود): عطف على (عاد)، وهي قبيلة مشهورة.

قوله: (واتخذوها بيوتاً) قيل: أول من نحت الجبال والصخر والرُخام: ثمود، وروي: أنهم بنوا ألفاً وسبع مئة مدينة، كلها من الحجارة، وقيل: سبعة آلاف، كلها من الحجارة^(١).

قوله: (وادي القرى) موضعٌ بقرب المدينة، من جملة الشام.

قوله: (كان يتد أربعة أوتاد... إلخ) أي: يدقُّها للمعذب ويشدُّه بها مطروحاً على الأرض، ثم يعذب بها يريد من ضرب وإحراق وغيرهما.

قوله: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾ (إمّا مجرورٌ صفةٌ للمذكورين، أو منصوبٌ، أو مرفوع على الذم).

قوله: (نوعٌ) ﴿عَذَابٍ﴾ فسرّه على ذلك؛ لقول الفراء: (سوط العذاب: كلمةٌ تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب)^(٢)، والمعنى: أنزل على كل نوعاً من العذاب؛ فأهلك عادٌ بالريح، وثمود بالصيحة، وفرعون بالغرق.

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَإِلْمِرْصَادٍ﴾ (تعليلٌ لما قبله؛ إعلاماً بأن كفار قومٍ عليه السلام سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب).

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٤٨/٢٠).

(٢) «معاني القرآن» (٢٦١/٣).

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾

يَرُصِدُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ فَلَا يَقُوتُهُ مِنْهَا شَيْءٌ لِيُجَازِيَهُمْ عَلَيْهَا.

(١٥ - ٢٠) ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾: الْكَافِرُ ﴿إِذَا مَا ابْنَلَهُ﴾: اخْتَبَرَهُ ﴿رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ﴾: بِالْمَالِ

وغيره ﴿وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ ﴿١٥﴾

حاشية الصاوي

قوله: (يرصد أعمال العباد) أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة تمثيلية؛ شبه حفظه تعالى لأعمال عباده ومجازاته عليها بحال من قعد على الطرق مترصداً لمن يسلكها؛ ليأخذه فيوقع به ما يريد، واستعير اسم المشبه به للمشبه.

قوله: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾ «أما» هنا لمجرد التأكيد، لا للتأكيد مع التفصيل؛ لعدم تقدّم مقتضيه، وهو مرتبط بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِغٌ صَادٍ﴾، فكأنه قيل: إن الله لا يرضى من عباده إلا الطاعة والإخلاص؛ لما في الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»^(١)؛ فأما الإنسان.. فلا يلتفت لذلك؛ لكونه مطبوعاً على خلافه، وإنما يلتفت للعاجل. وما قرّره سالم من الدسيعة الاعتزالية الواقعة في كلام الزمخشري؛ حيث نفى عن الله إرادة المعاصي والقبائح، ونصّ عبارته: (فإن قلت: بم أتصل قوله: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾؟ قلت: بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِغٌ صَادٍ﴾، فكأنه قيل: إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة، فأما الإنسان.. فلا يريد ذلك ولا يهّمه إلا العاجلة)^(٢). اه، فتدبر.

قوله: ﴿إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ﴾... إلخ) إنما سمى كلاً من بسط الرزق وتقتيره ابتلاءً؛ لأنه يختبر حال العبد في الحالين؛ فإذا بسط له الرزق.. فقد اختبر حاله؛ أي شكر أم يكفر؟ وإذا قدر عليه.. فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع؟ فالحكمة فيهما واحدة.

قوله: (اختبره) أي: عامله معاملة المختبر.

قوله: (بالمال وغيره) أي: كالجاه والولد.

قوله: ﴿وَنَعَّمَهُ﴾ أي: جعله متلذذاً بتلك النعم.

قوله: ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾^(٣) أي: فضّلني وأحسن إليّ.

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَيْتُكَ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَيْتُكَ فَقَدَرَ: ضَيَّقَ ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ ﴿١٦﴾ كَلَّا - رَدْع - أي: ليس الإكرامُ بِالْغِنَى والإِهَانَةُ بِالْفَقْرِ، وإنما هو بِالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَكُفَّارُ مَكَّةَ لَا يَتَّبِعُونَ لِذَلِكَ، حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَيْتُكَ﴾: ﴿مَا﴾ زائدة؛ لوقوعها بعد ﴿إِذَا﴾، وكذا يُقال في الأولى.

قوله: ﴿فَقَدَرَ﴾ بالتخفيف والتشديد، قراءتان سبعيتان^(١).

إن قلت: مقتضى المقابلة أن يقول: (فأهانته وقدر عليه رزقه) كما قال: ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾.

أجيب: بأن البسط إكرامٌ من الله لعبده، وليس ضده إهانته، بل تركُّ للكرهية، فإذا أهدى لك إنسان هدية.. فقد أكرمك بها، وإذا لم يُهدِ إليك.. فلم يحصل منه إكرامٌ ولا إهانته، وأيضاً: فيه إشارة إلى أن تقدير الرزق لا يلزم أن يكون دليلاً على الإهانة، بل قد يكون دليلاً على المحبة والتكريم؛ لما ورد: «أشدُّكم بلاءً الأنبياء، ثمَّ الأولياء، ثمَّ الأُمَمُ فالأُمَمُ»^(٢)، فقول العبد: (ربي أهانني) من قصوره وغفلته، وإلا.. فالمطلوب منه أن يرضى ويسلم.

قوله: ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ أي: لم يُحسن إليَّ، ولم يُفَضِّلني. وفي ياء (أهانني) و(أكرمني) خلافت بين القراء؛ فبعضهم يُثبتهما وصلًا ووقفًا، وبعضهم يحذفهما في الحالين، وبعضهم يثبتهما وصلًا ويحذفهما وقفًا^(٣).

قوله: (ردع) أي: عن الشقين؛ بدليل قوله: (أي: ليس الإكرام... إلخ).

قوله: (وكفار مكة... إلخ) توطئة للدخول على قوله: ﴿بَلْ لَا تُكْرَهُونَ... إلخ﴾، وقوله: (لذلك) أي: لكون الإكرام بالطَّاعة، والإِهانة بالكفر والمعاصي، وكثيرٌ من جهلة المؤمنين يعتقدون هذا الاعتقاد، وهو غلطٌ وغرورٌ.

(١) قرأ ابن عامر بتشديد الدال، والباقون بتخفيفها، وهما لغتان بمعنى واحد. انظر «الدر المصون» (٧٨٨/١٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٤٩٣)، وابن ماجه (٤٠٢٣) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وليس فيه ذكر (الأولياء)، وفي رواية الإمام أحمد في «المسند» (٧٨/٣): (أي النَّاسُ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قال: «الأنبياء، ثمَّ الصالحون، ثمَّ الأُمَمُ، فالأُمَمُ مِنَ النَّاسِ...»).

(٣) قرأ نافع بإثبات ياءيهما وصلًا وحذفهما وقفًا، من غير خلاف عنه، والبزي عن ابن كثير يُثبتهما في الحالين، وأبو عمرو اختلَف عنه في الوصل؛ فروي عنه الإثبات والحذف، والباقون يحذفونهما في الحالين. انظر «الدر المصون» (٧٨٩/١٠).

بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ أَمْوَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

﴿بَلْ لَا يُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾: لَا يُحْسِنُونَ إِلَيْهِ مَعَ غِنَاهُمْ، أَوْ لَا يُعْطُونَهُ حَقَّهُ مِنَ الْمِيرَاثِ، ﴿وَلَا يَحْضُونَ﴾: أَنْفُسَهُمْ وَلَا غَيْرَهُمْ ﴿عَلَى طَعَامِ﴾: أَي: إِطْعَامِ ﴿الْمَسْكِينِ﴾ ﴿وَيَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ﴾: الْمِيرَاثَ ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾: أَي: شَدِيدًا لِلْمَهْمِ نَصِيبَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ مِنَ الْمِيرَاثِ مَعَ نَصِيبِهِمْ مِنْهُ أَوْ مَعَ مَالِهِمْ، ﴿وَيُحِبُّونَ أَمْوَالَ حُبًّا جَمًّا﴾: أَي: كَثِيرًا فَلَا يُنْفِقُونَهُ، - وَفِي قِرَاءَةِ بِالْفَوْقَانِيَّةِ فِي الْأَفْعَالِ الْأَرْبَعَةِ ..

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بَلْ لَا يُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ إضرابٌ مِنْ قَبِيحٍ إِلَى أَقْبَحٍ مِنْهُ؛ تَرْقِيًّا فِي ذَمِّهِمْ.

قوله: ﴿وَلَا يَحْضُونَ﴾: أَي: يَحْثُونَ، وَمَفْعُولُهُ مَحْذُوفٌ، قَدَّرَهُ بِقَوْلِهِ: (أَنْفُسَهُمْ وَلَا غَيْرَهُمْ).

قوله: (أَي: إِطْعَامِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (الطَّعَامَ) مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى (الإِطْعَامِ)، وَفِيهِ إِيْمَاءٌ إِلَى أَنَّ إِكْرَامَ الْيَتِيمِ، وَالْحَثَّ عَلَى إِطْعَامِ الْمَسَاكِينِ .. مِنْ أَعْظَمِ الْخِصَالِ فَضِيلَةٌ.

قوله: ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ﴾: التَّاءُ فِيهِ مَبْدَلَةٌ مِنَ الْوَائِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ: الْوَرَاثَةِ؛ كَمَا فِي (تَجَاهِ)، وَ(تُكَاتِفُ).

قوله: ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾: أَي: جَمْعًا، فَالْلَمُّ: الْجَمْعُ، يُقَالُ: (لَمَمْتُ الشَّيْءَ): جَمَعْتُهُ، وَمِنْهُ: (لَمَّ اللَّهُ شَعْنَهُ) أَي: جَمَعَ مَا تَفَرَّقَ مِنْ أُمُورِهِ.

قوله: (أَي: شَدِيدًا) صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ؛ أَي: جَمْعًا شَدِيدًا.

قوله: (لِلْمَهْمِ نَصِيبَ النِّسَاءِ ... إلخ) أَي: فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يورَثُونَ النِّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ، وَيَأْكُلُونَ أَنْصَابَهُمْ، أَوْ: يَأْكُلُونَ مَا جَمَعَهُ الْمَوْرَثُ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ عَالَمِينَ بِذَلِكَ.

إِنْ قُلْتَ: إِنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ، وَآيَةُ الْمَوَارِيثِ مَدَنِيَّةٌ وَلَا يَعْلَمُ الْحَلُّ وَالْحَرَمَةُ إِلَّا مِنَ الشَّرْعِ؟

أَجِيبُ: بَأَنَّ حَكْمَ الْإِرْثِ كَانَ مَعْلُومًا لَهُمْ مِنْ بَقَايَا شَرِيعَةِ إِسْمَاعِيلَ، فَهُوَ ثَابِتٌ عِنْدَهُمْ بِطَرِيقِ عَادَتِهِمْ.

قوله: (وَفِي قِرَاءَةٍ) أَي: وَهِيَ سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا، وَقُرِئَ فِي السَّبْعِ أَيْضًا: ﴿تَحْضُونَ﴾، وَأَصْلُهَا: تَحَاضُّونَ، حَذَفَتْ إِحْدَى التَّائِينَ؛ أَي: لَا يَحْضُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا^(١).

(١) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بَيَاءَ الْغَيْبَةِ؛ حَمَلًا عَلَى مَعْنَى الْإِنْسَانِ الْمَتَقَدِّمِ؛ إِذِ الْمُرَادُ بِهِ الْجَنْسُ، وَالْجَنْسُ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ، =

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾

(٢١ - ٢٢) ﴿كَلَّا﴾ - رَدَعْ لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ - ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ : زُلْزِلَتْ حَتَّى يَنْهَدِمَ كُلُّ بِنَاءٍ عَلَيْهَا وَيَنْعَدِمَ، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي : أمره ﴿وَالْمَلَكُ﴾ أي : الملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ - حال - أي : مُصْطَفَّينَ أو ذَوِي صُفُوفٍ كَثِيرَةٍ،

حاشية الصاوي

قوله : (رَدَعْ لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ) أي : عن جمع المال، وحبّه، وعدم إكرام اليتيم.

قوله : ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ﴾ أي : حصل رجُّها وزلزلتها لتسويتها.

قوله : ﴿دَكًّا دَكًّا﴾ ليس تأكيداً، بل التكرار للدلالة على الاستيعاب؛ كقولك : (رَبَّيْتُهُ بَاباً بَاباً) أي : بَاباً بَعْدَ بَابٍ، وكذا يقال هنا : دَكًّا بَعْدَ دَكٍّ حَتَّى تَزُولَ الْجِبَالُ، وَتَسْتَوِيَ الْأَرْضُ.

قوله : (أي : أمره) دفع بذلك ما يقال : إِنَّ الْمَجِيءَ يَقْتَضِي الْإِنْتِقَالَ، وَهُوَ عَلَى اللَّهِ مُحَالٌّ، فَأَجَابَ : بِأَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ؛ أي : حَصَلَ أَمْرُهُ، وَظَهَرَ سُلْطَانُ قَهْرِهِ وَتَجَلَّيْهِ عَلَى عِبَادِهِ.

قوله : ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أي : صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ؛ لَمَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه : (أَنَّ الْخَلَائِقَ إِذَا جُمِعُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ؛ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.. أَمَرَ الْجَلِيلُ جَلًّا جَلَّالُهُ بِمَلَائِكَةِ سَمَاءِ الدُّنْيَا أَنْ يَتَوَلَّوْهُمْ، فَيَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِنْسَانًا وَشَخْصًا مِنَ الْمَبْعُوثِينَ؛ إِنْسَاءً وَجُنًّا، وَوَحْشَاءً وَطَيْرًا، وَحَوَّلَهُمْ إِلَى الْأَرْضِ الثَّانِيَةِ؛ أي : الَّتِي تَبْدَلُ، وَهِيَ أَرْضٌ بَيْضَاءُ مِنْ فَضَّةٍ نَوْرَانِيَّةٍ، وَصَارَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ وَرَاءِ الْخَلْقِ حَلَقَةً وَاحِدَةً؛ فَإِذَا هُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ بَعَشَرَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِأَمْرِ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَيُحْدِقُونَ بِهِمْ حَلَقَةً وَاحِدَةً؛ وَإِذَا هُمْ مِثْلُهُمْ عِشْرُونَ مَرَّةً، ثُمَّ تَنْزِلُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَيُحْدِقُونَ مِنْ وَرَاءِ الْكُلِّ حَلَقَةً وَاحِدَةً، فَيَكُونُونَ أَكْثَرَ مِنْهُمْ بِأَرْبَعِينَ ضِعْفًا، ثُمَّ تَنْزِلُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَيُحْدِقُونَ مِنْ وَرَائِهِمْ حَلَقَةً وَاحِدَةً، فَيَكُونُونَ مِثْلَهُمْ خَمْسِينَ مَرَّةً، ثُمَّ تَنْزِلُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَيُحْدِقُونَ مِنْ وَرَاءِ الْكُلِّ حَلَقَةً وَاحِدَةً، وَهُمْ مِثْلُهُمْ سِتُونَ مَرَّةً، ثُمَّ تَنْزِلُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيُحْدِقُونَ مِنْ وَرَاءِ الْكُلِّ حَلَقَةً وَاحِدَةً، وَهُمْ مِثْلُهُمْ سَبْعُونَ مَرَّةً، وَالْخَلْقُ ^(١) تَتَدَاخَلُ وَتَنْدَمِجُ حَتَّى يَعْلُوَ الْقَدَمُ أَلْفُ قَدَمٍ؛ لَشِدَّةِ الزَّحَامِ، وَيَخْوَضُ النَّاسُ فِي الْعَرَقِ عَلَى أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ؛

= والباقون بالتاء في الجميع خطاباً للإنسان المراد به الجنس على طريق الالتفات، وقرأ الكوفيون : (تحاضون). انظر المرجع السابق.

(١) كذا في الأصول، ولعلها : (الخلق).

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ

﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ تُقَادِ سَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ، كُلُّ زِمَامٍ بِأَيْدِي سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ، لَهَا زَفِيرٌ وَتَغِيْظٌ،

حاشية الصاوي

إلى الأذقان، وإلى الصدور، وإلى الحَقْوَيْنِ، وإلى الركبتين، ومنهم مَنْ يَصِيْبُهُ الرَّشْحُ اليسير كالقاعد في الحَمَامِ، ومنهم مَنْ تُصِيْبُهُ الْبَلَّةُ - بكسر الموحدة وتشديد اللام - كالعاطس إذا شرب الماء، وكيف لا يكون القَلَقُ والعرق والأَرْقُ وقد قربت الشمس من رؤوسهم؟! حَتَّى لو مَدَّ أَحَدُهُمْ يَدَهُ.. لنالها، وتضاعف حرها سبعين مرة^(١).

وقال بعض السلف: (لو طلعت الشمس على الأرض كهيتها يوم القيامة.. لا احترقت الأرض، وذاب الصُّفْرُ، ونشفت البحار، فبينما الخلائق يَمُوجُونَ في تلك الأرض البيضاء التي ذكرها الله حيث يقول: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]؛ إذ جيء بِجَهَنَّمَ... إلخ)^(٢).

قوله: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ (يَوْمَئِذٍ): منصوب بـ(جيء)، و﴿بِجَهَنَّمَ﴾: قائم مقام الفاعل.

قوله: (كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك) أي: يجرونها حَتَّى تقف عن يسار العرش، قال أبو سعيد الخدري: (لَمَّا نَزَلَ ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾.. تَغَيَّرَ لَوْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعُرِفَ فِي وَجْهِهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَقْرَأَنِي جَبْرِيلُ: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾.. الآية، ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾»، قال علي رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله؛ كيف يجاء بها؟ قال: «يُؤْتَى بِهَا تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ، يَقُودُ بِكُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ؛ لَوْ تُرِكَتْ.. لَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْجَمْعِ، ثُمَّ تَعْرِضُ لِي جَهَنَّمَ فَتَقُولُ: مَا لِي وَلَكَ يَا مُحَمَّدٌ؟! إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ لِحْمَكَ عَلَيَّ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا قَالَ: نَفْسِي نَفْسِي إِلَّا مُحَمَّدٌ ﷺ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ: «يَا رَبِّ؛ أُمَّتِي، أُمَّتِي»^(٣).

قوله: (لها زفير) أي: صوتٌ شديدٌ.

قوله: (وتغِيْظُ) أي: غليانٌ كغليان صدر الغضب.

(١) أوردَه القرطبي في «التذكرة» (ص ٥٨٣).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) أوردَه بلفظه القرطبي في «تفسيره» (٥٥/٢٠)، وفي «صحيح مسلم» (٢٨٤٢) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَهَا».

يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَنُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَلَيِّنَتْنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ
عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذَا﴾ وَجَوَابُهَا -: ﴿يَنْذَكُرُ الْإِنْسَنُ﴾ أَي: الْكَافِرُ مَا فَرَّطَ فِيهِ،
﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ - اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى النَّفْيِ - أَي: لَا يَنْفَعُهُ تَذَكُّرُهُ ذَلِكَ، ﴿يَقُولُ﴾ مَعَ
تَذَكُّرِهِ: ﴿يَا﴾ - لِلتَّنْبِيهِ - ﴿لَيِّنَتْنِي قَدَمْتُ﴾ الْخَيْرَ وَالْإِيمَانَ ﴿لِحَيَاتِي﴾ الطَّيِّبَةَ فِي الْآخِرَةِ أَوْ وَقْتُ
حَيَاتِي فِي الدُّنْيَا.

(﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾) ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ﴾ - بِكسْرِ الدَّالِّ - ﴿عَذَابُهُ﴾ أَي: اللَّهُ ﴿أَحَدٌ﴾ أَي: لَا يَكِلُهُ
إِلَى غَيْرِهِ، ﴿وَلَا يُوثِقُ﴾ - بِكسْرِ الثَّاءِ - ﴿وَثَاقُهُ أَحَدٌ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (بَدَلٌ مِنْ «إِذَا»): أَي: وَالْعَامِلُ فِيهَا ﴿يَنْذَكُرُ﴾ الَّذِي هُوَ الْجَوَابُ، وَهَذَا مَذْهَبُ سَيَبَوِيه،
وَقَالَ غَيْرُهُ: الْبَدَلُ عَلَى نِيَّةِ تَكَرُّرِ الْعَامِلِ؛ فَالْعَامِلُ فِي الْبَدَلِ مَحْذُوفٌ، نَظِيرُ عَامِلِ الْمَبْدَلِ مِنْهُ.
قوله: (﴿وَأَنَّى﴾) اسْمُ اسْتِفْهَامٍ، خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، وَ﴿الذِّكْرَى﴾: مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، وَ﴿لَهُ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِمَا تَعَلَّقَ
بِهِ الظَّرْفُ.

قوله: (اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى النَّفْيِ) أَي: فَهُوَ إِنكَارِيٌّ.

قوله: (لِلتَّنْبِيهِ) أَي: وَالتَّحْسُّرِ.

قوله: (الْخَيْرَ وَالْإِيمَانَ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ مَفْعُولَ ﴿قَدَمْتُ﴾ مَحْذُوفٌ.

قوله: (﴿لِحَيَاتِي﴾) اللَّامُ: إِمَّا لِلتَّعْلِيلِ؛ أَي: لِأَجْلِ حَيَاتِي هَذِهِ الْكَائِنَةِ فِي الْآخِرَةِ، أَوْ بِمَعْنَى
(وَقْتُ)، وَالْمُرَادُ بِالْحَيَاةِ: الْحَيَاةُ الدُّنْيَوِيَّةُ، وَقَدْ أَشَارَ لَهَا الْمَفْسِّرُ.

قوله: (بِكسْرِ الدَّالِّ) وَقَوْلُهُ: (بِكسْرِ الثَّاءِ) أَي: فَ﴿أَحَدٌ﴾ فَاعِلٌ فِيهِمَا.

قوله: (أَي: لَا يَكِلُهُ إِلَى غَيْرِهِ) أَي: لَا يَأْمُرُ غَيْرَهُ بِمُبَاشَرَتِهِ، وَالْمُرَادُ بِالْغَيْرِ: غَيْرُ الْمَلَائِكَةِ؛
فَلَا يَنَافِي أَنَّهُ تَعَالَى يَكِلُهُ إِلَى مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ؛ لِأَنَّهُمْ يُبَاشِرُونَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ لَهُمْ، وَيَحْتَمِلُ
أَنَّ الْمَعْنَى: لَا يَعَذِّبُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعْذِيبًا مِثْلَ تَعْذِيبِ اللَّهِ هَذَا الْكَافِرَ، وَلَا يُوثِقُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ
إِثْقَاقًا مِثْلَ إِثْقَاقِ اللَّهِ لِهَذَا الْكَافِرِ، وَكُلُّ صَحِيحٌ.

قوله: (﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ﴾) أَي: لَا يَشُدُّ وَلَا يَرْبِطُ بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ أَحَدٌ مِثْلَ رَبِّطِهِ
وَشَدُّهُ.

يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾

- وفي قراءة بفتح الذال والثاء، فضمير ﴿عَذَابُهُ﴾ و﴿وَقَافُهُ﴾ للكافر، والمعنى: لا يُعَذَّب أحدٌ مثلاً تعذيبه ولا يؤثَق مثلاً إيثاقه ..

(﴿٢٧﴾ - ﴿٣٠﴾) ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾: الآمنة وهي المؤمنة، ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ، أي: ارجعي إلى أمره وإرادته ﴿رَاضِيَةً﴾ بِالثَّوَابِ ﴿مَّرْضِيَةً﴾ عِنْدَ اللَّهِ بِعَمَلِكَ، أي: جامعة بين الوصفين، وهما حالان يُقَالُ لَهَا فِي الْقِيَامَةِ:
حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة بفتح الذال والثاء) أي: وهما سبعيتان، و﴿أَحَدٌ﴾ على هذه القراءة: نائب الفاعل فيهما، الذي هو الله تعالى، أو الزبانية المتولون العذاب بأمره تعالى^(١).

قوله: (مثل تعذيبه) مصدرٌ مضاف للمفعول، وهو الكافر.

قوله: ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ لَمَّا ذَكَرَ حَالَ مَنْ كَانَتْ هَمَّتُهُ الدُّنْيَا .. ذَكَرَ حَالَ مَنْ اطمأنت نفسه بالله، فسلم إليه أمره، واتكل عليه.

قوله: (الآمنة) أي: التي لا يستفزها خوفٌ ولا حزنٌ.

قوله: (وهي المؤمنة) هذا قول ابن عباس، وقال الحسن: (المؤمنة الموقنة)، وعن مجاهد أيضاً: (الراضية بقضاء الله، التي علمت أنَّ ما أخطأها لم يكن ليُصيبها، وأنَّ ما أصابها لم يكن ليُخطئها)، قال ابن عطاء: (العارفة التي لا تصبر عنه طرفة عين)، وقيل: المطمئنة بذكر الله، وقيل غير ذلك^(٢). وفي الحقيقة: كلٌّ من تلك المعاني صحيحٌ؛ لأنَّه متى ثبت لها الإيمان عند الموت .. تحققت بذلك الخطاب، فكلام المفسر من جوامع الكلم.

قوله: ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ هو خبرٌ في المعنى وإن كان أمراً في الظاهر^(٣).

قوله: (عند الموت) قال عبد الله بن عمر: (إذا تُوفِّي العبد المؤمن .. أرسل الله عزَّ وجلَّ إليه ملكين، وأرسل إليه بنفحة من الجنة فيقال: اخرجي أيتها النفس المطمئنة، اخرجي إلى روح

(١) قرأ الكسائي (لا يعذب) و(لا يؤثَق) مبنيين للمفعول، والباقون قرؤوها مبنيين للفاعل. انظر «الدر المصون» (١٠/٧٩٢).

(٢) انظر الأقوال في «تفسير القرطبي» (٥٨/٢٠).

(٣) والتقدير: أنَّ النفس إذا كانت مطمئنة .. رجعت إلى الله تعالى في القيامة بسبب هذا الأمر. انظر «السراج المنير»

فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

﴿فَادْخُلِي فِي﴾ جُمْلَةٌ ﴿عِبَادِي﴾ الصَّالِحِينَ، ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ مَعَهُمْ.

حاشية الصاوي

وريحان، وربك عنك راضٍ، فتخرج كأطيب ريح مسكٍ وجده أحدٌ في أنفه، والملائكة على أرجاء السماء يقولون: قد جاء من الأرض روحٌ طيبة، ونسمة طيبة؛ فلا تمرُّ ببابٍ إلَّا فُتِحَ لها، ولا بملكٍ إلَّا صَلَّى عليها، حتَّى يؤتى بها الرَّحْمَنُ جلَّ جلالُهُ، فتسجد له، ثمَّ يقال لميكائيل: اذهب بهذه النَّفْسِ فاجعلها مع أنفُسِ المؤمنين، ثمَّ يؤمر فيُوسع عليه قبره؛ سبعون ذراعاً عرضاً، وسبعون ذراعاً طولاً، ويُنبذ فيه الروح والريحان، فإن كان معه شيءٌ من القرآن.. كفاه نوره، وإن لم يكن.. حصل له نورٌ مثلُ نورِ الشَّمْسِ في قبره، ويكون مثلهُ مثلِ العروس؛ ينام فلا يُوقظه إلَّا أحبُّ أهلِهِ إليه.

وإذا توفِّي الكافر.. أرسل الله إليه ملكين، وأرسل قطعةً من كساءٍ أنتن من كلِّ نتن، وأخشن من كلِّ خشن، فيقال: أيتها النفس الخبيثة؛ اخرجي إلى جهنم، وعذاب أليم، وربك عليك غَضبان^(١). اهـ وما ذكره المفسر من أنَّ النداء عند الموت.. أحدُ قولين، والآخر: أنه عند البعث، ومعنى قوله: ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أي: صاحبكِ وهو الجسد، فيأمر الله تعالى الأرواح أن ترجع إلى الأجساد، وبه قال عكرمة وعطاء والضحاك.

قوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ الإضافة للتشريف، وإلَّا.. فالكلُّ عباده.

قوله: ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم) أي: مع الصالحين؛ لِتَفُوزِي بالتَّعِيمِ المقيم. ولأهل الإشارات تفاسيرٌ منها: أنَّ الله يناديها في الدنيا بهذا النداء؛ حيثُ اتَّصَفَتْ بتلك الصِّفَات، يقول لها: يا أيتها النَّفْسِ المطمئنة؛ ارجعي إلى ربِّكِ بفنائكِ عمَّا سِوَاهُ، راضيةً بأحكامِهِ، مرضيةً له بأوصافِكِ، فادخلي في عبادي الصالحين؛ أي: فكوني معدودةً فيهم ومحسوبةً منهم، وادخلي جنَّةَ شُهودي في الدنيا ما دُمْتُ فيها، وهي الجنَّةُ المعجَّلة، ويقال لها ذلك أيضاً عند البعث على التفسير المتقدم، ويُراد حينئذٍ بالجنَّة: جنَّةُ الخلود، وفَسَّرُوا بذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦] أي: جنَّةُ الشُّهود في الدنيا التي قال فيها العارفُ ابنُ الفارض^(٢): [الطويل]

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٤١٧٤) من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو ؓ، وانظر «التذكرة» للقرطبي (ص ٣٦٥).

(٢) كما في «ديوانه» (ص ٢١٣).

حاشية الصاوي

أَنْلَنَّا مَعَ الْأَحْبَابِ رُؤْيَاكَ الَّتِي إِلَيْهَا قُلُوبُ الْأَوْلِيَاءِ تُسَارِعُ
وَجَنَّةُ الْخُلُودِ فِي الْعَقَبَى، وَهَذَا النَّدَاءُ الْوَاقِعُ فِي الدُّنْيَا يَسْمَعُهُ الْعَارِفُونَ؛ إِمَّا فِي الْمَنَامِ،
أَوْ بِالْإِلْهَامِ، وَتَقَدَّمَ تَقْسِيمُ النَّفْسِ، وَمَأْخُذُ كُلِّ قِسْمٍ فِي سُورَةِ (الْقِيَامَةِ)^(١).



﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾﴾



مَكَّة، عشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿لَا﴾ - زائدة - ﴿أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾: مَكَّة، ﴿وَأَنْتَ﴾ يا مُحَمَّد ﴿حِلٌّ﴾: حَلَالٌ ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ بِأَنْ يَحِلَّ لَكَ فَتُقَاتِلَ فِيهِ، وَقَدْ أَنْجَزَ اللَّهُ لَهُ هَذَا الْوَعْدَ يَوْمَ الْفَتْحِ،

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْبَلَدِ

(مَكَّة) أي: بالإجماع.

قوله: (زائدة) هذا أحد احتمالين، والآخر: أَنَّهَا نَافِيَةٌ لِكَلَامِ تَقَدَّمَهَا.

قوله: (مكة) أي: لِأَنَّهَا مَهْبِطُ الرَّحْمَاتِ، يُجْبَى إِلَيْهَا ثِمَارُ كُلِّ شَيْءٍ، جَعَلَهَا اللَّهُ حَرَمًا آمِنًا، وَمَثَابَةً لِلنَّاسِ، وَجَعَلَ فِيهَا قِبْلَةً أَهْلَ الدُّنْيَا بِأَسْرَها، وَحَرَّمَ فِيهَا الصَّيْدَ، وَجَعَلَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ بِأَزَائِهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ فَضَائِلِهَا، فَلَمَّا اسْتَجْمَعَتْ تِلْكَ الْمَزَايَا وَالْفَضَائِلَ.. أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا.

قوله: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ جملةٌ حَالِيَّةٌ، جِيءَ بِهَا تَسْلِيَةً لَهُ ﷺ، وَتَعْجِيلًا لِمَسْرَّتِهِ؛ حَيْثُ وَعَدَهُ بِفَتْحِ مَكَّةَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَعَبَّرَ عَنْهُ بِالْحَالِ؛ لِتَحَقُّقِ الْوُقُوعِ؛ عَلَى حَدِّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَمِيَّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]^(١)، وَقَدْ أَنْجَزَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ، فَعِنْدَمَا نَزَعَ الْمِغْفَرَ عَنْهُ يَوْمَ الْفَتْحِ.. جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ ابْنُ خَطْلٍ مَتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: «اقْتُلُوهُ»، فَقَتَلَهُ الزُّبَيْرُ^(٢)، وَخَصَّ هَذَا الْحَالَ؛

(١) أي: وَأَنْتَ حِلٌّ بِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، تَصْنَعُ فِيهِ مَا تَرِيدُ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَكَفَاكَ دَلِيلًا قَاطِعًا عَلَى أَنَّهُ لِلِاسْتِقْبَالِ، وَأَنْ تَفْسِيرُهُ بِالْحَالِ مُحَالٌ: أَنَّ السُّورَةَ بِالِاتِّفَاقِ مَكِّيَّةٌ، وَأَيْنَ الْهَجْرَةُ مِنْ وَقْتِ نَزُولِهَا؛ فَمَا بَالُ الْفَتْحِ؟ «فَتْوحَات» (٤/ ٥٦٠).

(٢) رواه البخاري (١٨٤٦)، ومسلم (١٣٥٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، والمِغْفَرُ: مَا يُلْبَسُ عَلَى الرَّأْسِ مِنْ دِرْعِ الْحَدِيدِ.

وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾

- فالجُملة اعتراض بين المُقسَم به وما عُطِف عليه -، ﴿وَوَالِدٍ﴾ أي: آدم ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ أي: ذُرِّيَّتِهِ، - و(ما) بِمَعْنَى (مَنْ) -.

﴿٤﴾ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أي: الْجِنْسَ ﴿فِي كَبَدٍ﴾: نَصَبٌ وَشِدَّةٌ، يُكَابِدُ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَشِدَائِدَ الْآخِرَةِ.

حاشية الصاوي

لأنَّ مَكَّةَ وإن كانت عظيمةً في نفسها إلا أنَّها في تلك الحالةِ أعظمُ؛ لانتقال أهلها من الظلمات إلى النور. وفيه إشارةٌ إلى عظم قدر المصطفى، وشرف البقاع به، فمَكَّةُ زادها الله تشريفاً بقُدومِهِ بها وهو حلالٌ.

قوله: (فالجُملة اعتراضية) أي: لا تعلق لها بما قبلها ولا بما بعدها، قُصِدَ بها الإخبارُ بما سيكون، والأحسنُ جعلُها حاليَّةً كما علمت؛ لأنَّه يستفاد منها تشريف مَكَّةَ في تلك الحالةِ المستلزمةِ زيادةَ تشريفِهِ ﷺ، وإكرامِهِ وتعظيمِهِ حيث أحلَّ له ما لم يحلَّ لأحدٍ قبلَهُ ولا بعدهُ.

قوله: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ أقسم الله بهم؛ لأنَّهم أعجبُ خلقِهِ؛ لما فيهم من البيان والنطق والتدبُّر واستخراج العلوم، وفيهم الأنبياء والصلحاء، ولا سيَّما أمر الملائكة بالسجود لآدم، وتعليمه جميعَ الأسماءِ. وما مشى عليه المفسِّر من أنَّ المراد بـ(ما ولد): ذُرِّيَّتُهُ. . يستفاد منه العموم للصالح والطالح، وقيل: هو قَسَمَ بآدم والصالحين من ذُرِّيَّتِهِ، وأمَّا الطالحون. . فكانهم ليسوا من أولاده. قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ هذا هو المُقسَم عليه.

قوله: ﴿فِي كَبَدٍ﴾ بفتحين: المشقَّة؛ مِنْ: المكابدة للشيء، وهي تحمُّلُ المشاقِّ في فعلِهِ. وفي الآية إشارةٌ إلى أنَّها قد أحاطت به إحاطةُ الظَّرْفِ بالمظروف.

قوله: (يُكَابِدُ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَشِدَائِدَ الْآخِرَةِ) وذلك لأنَّه أوَّلُ ما يكابدُ: قطعُ سرِّتِهِ، ثمَّ إذا قَمَطَ قِمَاطاً وشَدَّ عليه. . يكابد الضَّيقَ والتَّعبَ، ثمَّ يكابد الارتضاعَ، ولو فاتهُ. . لضاع، ثمَّ يكابد نَبْتَ أسنانه، وتحريكَ لسانِهِ، ثمَّ يكابد الفطامَ، الذي هو أشدُّ من اللُّطامِ، ثمَّ يكابد الختانَ، والأوجاعَ والأحزانَ، ثمَّ يكابد المعلِّمَ وصولتَهُ، والمؤدِّبَ وسياستَهُ، والأستاذَ وهيئَتَهُ، ثمَّ يكابد شغلَ التَّزويجِ، والتَّعجيلَ فيه والتَّزويجَ، ثمَّ يكابدُ شغلَ الأولادِ، والخدمِ والأجنادِ، ثمَّ يكابدُ شغلَ الدُّورِ، وبناءَ القصورِ، ثمَّ الكبرَ والهرمَ، وضعفَ الركبةِ والقدمِ، ومصائبَ يكثرُ تعدادُها، ونوائبَ يطولُ إيرادُها؛

أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ ...

(٥ - ٧) ﴿أَيَحْسَبُ﴾: أَيُظَنُّ الْإِنْسَانُ قَوِيٌّ قُرَيْشٍ وَهُوَ أَبُو الْأَشَدِّ بْنُ كَلْدَةَ بِقَوَّتهُ ﴿أَنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمُهَا مَحذُوفٌ - أَي: أَنَّهُ ﴿لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِ؟ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ عَلَى عداوةٍ مُحَمَّدٍ ﴿مَالًا لُبَدًا﴾: كَثِيرًا بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ﴾ أَي: أَنَّهُ ﴿لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ فِيمَا أَنْفَقَهُ فَيَعْلَمُ قَدْرَهُ؟ وَاللَّهُ عَالِمٌ بِقَدْرِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِمَّا يُتَكَثَّرُ بِهِ، وَمُجَازِيهِ عَلَى فِعْلِهِ السَّيِّئِ.

حاشية الصاوي

من صداع الرأس، ووجع الأضراس، ورمد العين، وغم الدِّين، ويكابد مَحْنًا فِي الْمَالِ وَالنَّفْسِ؛ مِثْلَ الضَّرْبِ وَالْحَبْسِ، وَلَا يَمْضِي يَوْمٌ عَلَيْهِ إِلَّا يَقَاسِي فِيهِ شِدَّةً، وَيَكَابِدُ مَشَقَّةً، ثُمَّ الْمَوْتُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ، ثُمَّ سُؤَالُ الْمَلَائِكَةِ، وَضَغْطَةُ الْقَبْرِ وَظِلْمَتُهُ، ثُمَّ الْبَعْثُ وَالْعَرْضُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، إِلَى أَنْ يَسْتَقَرَّ بِهِ الْقَرَارُ؛ إِمَّا فِي جَنَّةٍ، وَإِمَّا فِي نَارٍ. هَكَذَا قَرَّرَهُ الْعُلَمَاءُ.

قوله: (وهو أبو الأشد) بفتح الهمزة، وضم الشين المعجمة، وتشديد الدال المهملة، وهو بالإنفراد في كثير من النسخ تبعاً لكثير من المفسرين، وفي بعض النسخ: (الأشدين) بصيغة التثنية تبعاً لبعض المفسرين، ولينظر وجهها، واسمُهُ: أسيد بن كلدَة.

قوله: (بقوته) الباء: سببية، ومن قوّته: أَنَّهُ كَانَ يَجْعَلُ الْأَدِيمَ الْعَكَظِيَّ تَحْتَ قَدَمَيْهِ وَيَقُولُ: مَنْ أَزَالَنِي عَنْهُ.. فَلَهُ كَذَا، فَيَجْذِبُهُ عَشْرَةٌ حَتَّى يَتَمَرَّقَ وَلَا تَزُولُ قَدَمَاهُ.

قوله: ﴿أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: أَي: عَلَى بَعْثِهِ وَمُجَازَاتِهِ.

قوله: ﴿يَقُولُ﴾: أَي: افْتِخَارًا.

قوله: (على عداوة محمد) (على) بمعنى (في).

قوله: ﴿لُبَدًا﴾ بضم اللام وكسرهما مع فتح الباء، قراءتان سبعيتان^(١)، جمع (لُبْدَة)، وهو: مَا تَلَبَّدَ، وَالْمَرَادُ بِهِ الْكَثْرَةُ.

قوله: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ استفهام إنكاري.

(١) قرأ هشام بضم اللام، والباقون بكسرها، وقرأ أبو جعفر: (مَالًا لُبَدًا) بتشديد الباء مفتوحة، على جمع (لابد)، مثل (راعى ورعى، وساجد وسجد، وشاهد وشهد). انظر «الدر المصون» (٧/١١).

أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا

(٨ - ١٢) ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ﴾ - استيفهام تقرير - أي: جَعَلْنَا ﴿لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾: بَيَّنَّا لَهُ طَرِيقَيِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، ﴿فَلَا﴾: فَهَلَا

حاشية الصاوي

قوله: (ليس ممَّا يتكثَّر به) أي: يفتخر بكثرة؛ لَأَنَّهُ أَنْفَقَهُ فِيمَا يُغْضِبُ اللَّهَ.

قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ أي: يُبْصِرُ بِهِمَا الْمَرِئِيَّاتِ، شَقَقْنَاهُمَا لَهُ وَهُوَ فِي ظِلْمَةِ الرَّحِمِ، وَقَدَرْنَا بِيَاضَهُمَا وَسَوَادَهُمَا، وَأَوْدَعْنَاهُمَا الْبَصَرَ عَلَى كَيْفِيَّةٍ تَعَجَّزُ الْخَلْقُ عَنْ إدْرَاكِهَا.

قوله: ﴿وَلِسَانًا﴾ أي: يُتَرْجَمُ بِهِ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ.

قوله: ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ أي: يَسْتَرُ بِهِمَا فَاهَ، وَيَسْتَعِينُ بِهِمَا عَلَى النُّطْقِ وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالنَّفْخِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. فِي الْحَدِيثِ: يَقُولُ اللَّهُ: «يَا ابْنَ آدَمَ؛ إِنَّ نَازِعَكَ لِسَانُكَ فِيمَا حَرَّمْتُ عَلَيْكَ.. فَقَدْ أَعْنَتَكَ عَلَيْهِ بِطَبَقَتَيْنِ، فَأَطْبِقْ، وَإِنْ نَازِعَكَ بَصْرُكَ إِلَى بَعْضِ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكَ.. فَقَدْ أَعْنَتَكَ عَلَيْهِ بِطَبَقَتَيْنِ، فَأَطْبِقْ، وَإِنْ نَازِعَكَ فَرْجُكَ عَلَى بَعْضِ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْكَ.. فَقَدْ أَعْنَتَكَ عَلَيْهِ بِطَبَقَتَيْنِ، فَأَطْبِقْ»^(١).

قوله: (طريقي الخير والشر) وصف مكان الخير بالرِّفْعَةِ والنَّجْدِيَّةِ ظَاهِرًا، بِخِلَافِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ هَبُوطٌ مِنْ ذُرْوَةِ الْفِطْرَةِ إِلَى حَضِيضِ الشَّقْوَةِ؛ ففِيهِ تَغْلِيْبٌ، وَالْمَعْنَى: بَيَّنَّا لَهُ أَنَّ طَرِيقَ الْخَيْرِ يُنْجِي، وَطَرِيقَ الشَّرِّ يُرْدِي، وَسُلُوكُ الْأَوَّلِ مَمْدُوحٌ، وَالثَّانِي مَذْمُومٌ، وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَقَالَ عِكْرَمَةُ: (النَّجْدَانِ: الثَّدْيَانِ؛ أَيْ: لِأَنَّهُمَا كَالطَّرِيقَيْنِ لِحَيَاةِ الْوَلَدِ وَرِزْقِهِ)^(٢).

قوله: (فهَلَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (لَا) بِمَعْنَى (هَلَا) لِلتَّحْضِيضِ، وَهُوَ أَحَدُ اِحْتِمَالَيْنِ، وَالْآخَرُ: أَنَّهَا بَاقِيَةٌ عَلَى أَصْلِهَا لِلنَّفْيِ؛ أَيْ: لَمْ يَشْكُرْ عَلَى تِلْكَ النِّعَمِ الْجَلِيلَةِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

إِنْ قُلْتَ: لَمْ أَفْرُدْتَ (لَا) مَعَ أَنَّهَا إِذَا دَخَلَتْ عَلَى مَاضٍ.. تَكَرَّرَ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا

صَلَّى﴾ [الْقِيَامَةُ: ٣١]؟

أَجِيب: بِأَنَّهَا مَكْرَرَةٌ مَعْنَى، كَأَنَّهُ قَالَ: (فَلَا فَكَ رَقَبَةٌ وَلَا أَطْعَمَ مَسْكِينًا).

(١) رواه الديلمي في «الفردوس بمأثور الخطاب» (٨٠٥٦)، والحكيم الترمذي في «نوارد الأصول» (١٧٨/٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر القولين في «تفسير الطبري» (٤٣٧/٢٤).

أَفْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾
يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبٍ ﴿١٦﴾

﴿أَفْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾: جاوزها، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أعلمك ﴿مَا الْعَقَبَةُ﴾: التي يفتحمها؟ تعظيم
لشأنها، - والجملة اعتراض - ويبيّن سبب جوازها بقوله:

(﴿١٣﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: من الرّق بأن أعتقها، ﴿أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾:
مجاعة، ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾: قرابة، ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبٍ﴾: أي: لُصُوقٍ بِالتُّرَابِ لِفَقْرِهِ.
- وفي قراءة بَدَلِ الْفِعْلَيْنِ مَصْدَرَانِ مَرْفُوعَانِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَفْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾﴾ هي في الأصل: الطريق الصعب في الجبل، واقتحامها: مُجَاوِزَتُهَا، ثم
أطلق على مجاهدة النفس في فعل الطاعات وترك المحرمات، والمراد باقتحامها: فعلها وتحصيلها
والتلبس بها.

إذا علمت ذلك.. فقول المفسّر: (جاوزها) تفسير لاقتحام العقبة، لكن باعتبار الأصل، وليس
مراداً هنا؛ فلو قال: (أي: تلبّس بها ودخلها).. كان واضحاً، أو يقال: المراد بالعقبة: الطريق
التي تُوصِلُ إلى الجنّة؛ فإنّه ورد: «أنّ بين العبد والجنّة سبع عقبات»، والمراد باقتحامها: مجاوزتها
بفعل الطاعات في الدنيا، فمعنى قول المفسّر: (جاوزها) أي: فعل أسباب المجاوزة.

قوله: (والجملة اعتراض) أي: لبيان العقبة.

قوله: (بأن أعتقها) أي: مباشرة وهو ظاهر، أو تسبباً كشراء القريب.

قوله: ﴿﴿ذِي مَسْغَبَةٍ﴾﴾ مصدرٌ ميميٌّ بوزن (مفعلة)، من: سَغَبَ يَسْغَبُ، من باب (فَرَحَ): جاع،
وقيّد الطّعامَ بذلك الوقت؛ لأنّ إخراج المال فيه أثقلُ على النَّفسِ.

قوله: ﴿﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾﴾ قيّد اليتيم بكونه قريباً؛ لأنّه يجتمعُ حيثُ في الإطعام جهة الصلّة والصدقة.

قوله: (أي: لُصُوقٍ بِالتُّرَابِ) أي: فهو كناية عن الافتقار.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

(١) قرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائي: (فكّ) فعلاً ماضياً، و(رقبة) نصباً، (أو أطعم) فعلاً ماضياً أيضاً، والباقون:
(فكّ) برفع الكاف اسماً، (رقبة) خفض بالإضافة، (أو إطعام) اسم مرفوع أيضاً. انظر «الدر المصون» (٩/١١).

ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ۖ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۚ

مُضاف الأول لـ ﴿رَقَبَةً﴾ وَيُنَوِّن الثَّانِي، فيَقْدَرُ قبل ﴿الْعَقَبَةُ﴾ (اِقْتِحَام)، والقراءة المذكورة بيانهـ. (١٧ - ١٨) ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ - عَطَفَ عَلَى ﴿أَفْنَحَمَ﴾، و﴿ثُمَّ﴾ لِلتَّرْتِيبِ الذِّكْرِيِّ، والمعنى: كان وقت الاقتحام ﴿مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا﴾: أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على الطَّاعَةِ وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾: الرَّحْمَةُ عَلَى الْخَلْقِ، ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الْمَوْصُوفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: الْيَمِينِ.

(١٩ - ٢٠) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (مُضاف الأول لـ «رَقَبَةً») أي: من إضافة المصدر إلى مفعوله.

قوله: (فيَقْدَرُ قبل «العقبة») إنما احتيج إلى تقدير هذا المضاف؛ لِيُطَابِقَ الْمَفْسَّرُ الْمَفْسَّرَ؛ وذلك لأنَّ الْمَفْسَّرَ - بكسر السين - مصدر، والمفسَّر - بفتحها وهو العقبة - غير مصدر، فلو لم يقدَّر المضاف.. لكان المصدر - وهو (فك) - مفسَّراً لاسم العين - وهي العقبة - وذلك غير جائز، وأمَّا القراءة الأولى.. فالفعل فيها بدل من قوله: ﴿أَفْنَحَمَ﴾؛ فلا يحتاج لتقدير مضاف.

قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (ثم)؛ إشارة لبعد رتبة الإيمان وعلوُّها عن رتبة العتق والصدقة.

قوله: (و«ثم»): لِلتَّرْتِيبِ الذِّكْرِيِّ) أي: لأنَّ الإيمان هو السَّابِق، ولا يصحُّ عملٌ إلَّا به.

قوله: ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعة) أي: وعلى ما أصابه من المحن والشَّدائد.

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: خبره، وأتى باسم الإشارة؛ تكريماً لهم بأنَّهم حاضرون عنده في مقام قربهِ وكرامتِهِ، وَذَكَرَهُمْ بما يشار به للبعيد؛ تعظيماً لهم، وإشارة لعلو درجاتهم وارتفاعها.

قوله: ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾) أي: الذين يُؤْتَوْنَ كُتُبُهُمْ بَأَيْمَانِهِمْ، أو: لأنَّ منزلتهم عن يمين العرش.

قوله: ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ذكرَهُمْ بضمير الغيبة؛ إشارة إلى أنَّهم غائبون عن حَضْرَةِ قُدْسِهِ، وكرامة أنسِهِ.

عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

الشُّمَالِ، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ﴾ - بِالْهَمْزِ وَالْوَاوِ بَدَلَهُ -: مُطَبَّقَةٌ.

حاشية الصاوي

قوله: (الشمال) أي: لأنَّهم يأخذون كتبهم بشمائلهم، أو: لأنَّ منزلتهم عن الشمال.

قوله: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ﴾ خبر ثانٍ، أو مستأنف.

قوله: (بالهمز والواو) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١)، ولغتان جيّدتان، يقال: (أصدت الباب، وأوصدته): إذا أغلقته وأطبقته.

قوله: (مُطَبَّقَةٌ عليهم) تفسيرٌ لكلٍّ من القراءتين، والمعنى: لا يخرجون منها أبداً، ولا يدخلها رَوْحٌ وريحانٌ.



(١) قرأ أبو عمرو وحمزة وحفصٌ بالهمز، والباقون بالواو. انظر «الدر المصون» (١١/١١).

﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّهَا﴾ (١) وَالْقَمَرُ إِذَا نَلَّهَا (٢)



مكيّة، خمس عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٤) ﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّهَا﴾: ضَوْئُهَا، ﴿وَالْقَمَرُ إِذَا نَلَّهَا﴾: تَبِعَهَا طَالِعاً عِنْدَ

غُرُوبِهَا،

حاشية الصاوي

سُورَةُ الشَّمْسِ

(مكيّة) أقسم سبحانه وتعالى بسبعة أشياء؛ إظهاراً لِعَظَمَةِ قُدْرَتِهِ، وانفراداً بِالْأُلُوْهِيَةِ، وإشارةً إلى كثرة مصالح تلك الأشياء، وعُموم نفعِها.

قوله: ﴿وَضَحَّهَا﴾ (أي: وهو وقت ارتفاعها، والحاصل: أَنَّ الضحوة: ارتفاع النَّهَارِ، والضحى - بالضم والقصر - فوق ذلك، والضحاء - بالفتح والمد -: إذا امتدَّ النهار وكادَ يَنْتَصِفُ.

قوله: (ضوئها) هو أحد أقوال ثلاثة، وقيل: هو النَّهَارُ كُلُّهُ، وثالثها: هو حرُّ الشَّمْسِ. وحكمة القسم بذلك: أَنَّ العالم في وقت غيبة الشَّمْسِ عنهم كالأَمْوَاتِ، وإذا ظهر أثر الصبح.. صارت الأَمْوَاتُ أَحْيَاءَ، وتكاملت الحياة وقت الضحوة، وهذه الحالة تُشَبِّهُ أحوال القيامة، ووقت الفِيء يشبه استقرار أهل الجَنَّةِ فيها.

قوله: (تَبِعَهَا) أي: ظهر ضَوْؤُهُ وَسُلْطَانُهُ بعد غروبها، وَخَلَفَهَا في انتشار الضياءِ؛ فلا ينافي أَنَّهُ قد يوجد مصاحباً لها كالليلة الخامسة من الشَّهْرِ مثلاً.

قوله: (طالِعاً عند غروبها) حالٌّ من ضمير (تبعها)، والمراد: ظهورُهُ بعدَ غَيْبَتِهَا في أيِّ وقتٍ من الليل، فيشمل أوَّلَ الشَّهْرِ وأوسطَهُ وآخرَهُ.

وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّتْهَا ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا ⑥ وَنَفْسٍ ⑦ وَمَا سَوَّاهَا ⑧

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّتْهَا﴾ بِارْتِفَاعِهِ، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾: يُغْطِّيْهَا بِظُلْمَتِهِ، - و﴿إِذَا﴾ فِي الثَّلَاثَةِ لِمَجْرَدِ الظَّرْفِيَّةِ، وَالْعَامِلُ فِيهَا فِعْلُ الْقَسَمِ ..

(⑤ - ⑧) ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا﴾: بَسَطَهَا، ﴿وَنَفْسٍ ⑦ وَمَا سَوَّاهَا﴾ فِي الْخِلْقَةِ، - و(ما) فِي الثَّلَاثَةِ مَصْدَرِيَّةٌ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّتْهَا﴾ الضَّمِيرُ الْمُسْتَرَرُّ الْمَرْفُوعُ: إِمَّا عَائِدٌ عَلَى النَّهَارِ، أَوْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْبَارِزُ الْمَنْصُوبُ: إِمَّا لِلشَّمْسِ، أَوْ لِلظُّلْمَةِ، وَالْمَعْنَى: أَظْهَرَهَا وَكَشَفَهَا.

قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أَتَى بِهِ مُضَارِعاً وَلَمْ يَقُلْ: (غَشِيَهَا)؛ مِرَاعَاةً لِلْفَوَاصِلِ، أَوْ إِشَارَةً لِدَوَامِ الْقَسَمِ بِهَذَا الْأَمْرِ وَاسْتِمْرَارِهِ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ، فَلَمْ يَلْتَزِمْ فِيهِ صِيغَةَ الْمَاضِي، وَأَتَى بِهِ مُتَوَسِّطاً؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ مَحْمُولٌ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿يُغْطِّيْهَا بِظُلْمَتِهِ﴾ أَي: فَيُزِيلُ ضَوْءَهَا، فَالنَّهَارُ يَجْلِيْهَا وَيُظْهِرُهَا، وَاللَّيْلُ يَغْطِّيْهَا وَيَسْتُرُهَا.

قوله: (لِمَجْرَدِ الظَّرْفِيَّةِ) مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ لِلْمَوْصُوفِ؛ أَي: الظَّرْفِيَّةُ الْمَجْرَدَةُ عَنِ الشَّرْطِيَّةِ.

قوله: (وَالْعَامِلُ فِيهَا فِعْلُ الْقَسَمِ) اسْتَشْكَل: بِأَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ اخْتِلَافُ الْعَامِلِ وَالْمَعْمُولِ فِي الزَّمَانِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ فِعْلَ الْقَسَمِ إِنْشَاءٌ، وَزَمَانُهُ الْحَالُ، وَ(إِذَا) لِلْاِسْتِقْبَالِ، وَحِينَئِذٍ: فَلَا يَصِحُّ عَمَلُهُ فِي (إِذَا).

أَجِيبُ: بِأَنَّ فِعْلَ الْقَسَمِ يَدُلُّ عَلَى الْحَالِ مَا لَمْ يَكُنْ مَقْرُوناً بِظَرْفٍ يُفِيدُ الْاِسْتِقْبَالَ كـ(إِذَا)، وَإِلَّا... فَيَكُونُ لِلْاِسْتِقْبَالِ تَبَعاً لِمَعْمُولِهِ.

قوله: (بَسَطَهَا) أَي: عَلَى الْمَاءِ.

قوله: (بِمَعْنَى: نَفُوسٍ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ التَّنْكِيرَ لِلتَّكْثِيرِ.

قوله: ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ فِي الْخِلْقَةِ أَي: عَدَّلَهَا عَلَى هَذَا الْقَانُونِ الْمَحْكَمِ، وَالتَّرْكِيبِ الْمَتَّقَنِ.

قوله: (و«ما» فِي الثَّلَاثَةِ: مَصْدَرِيَّةٌ) أَي: وَبِنَاءِ السَّمَاءِ... إلخ^(١)، وَحِينَئِذٍ: فَالْكَلَامُ إِمَّا عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ؛ أَي: وَرَبُّ الْبِنَاءِ وَالطَّحُو وَالتَّسْوِيَةِ، أَوْ: الْقَسَمُ بِتِلْكَ الْأَشْيَاءِ لِعَظَمَتِهَا وَجَلَالَةِ قَدْرِهَا؛ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْقَسَمِ بِالشَّمْسِ وَنَحْوِهِ.

(١) أَي: وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ (ما) مُخْتَصَّةٌ بِغَيْرِ الْعُقْلَاءِ.

فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾

أو بمعنى (من) -، ﴿فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾: بَيَّنَّ لَهَا طَرِيقَيِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَأَخَّرَ التَّقْوَى رِيعَةً لِرُؤُوسِ الْآيِ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ:

(٩ - ١٠) ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ - حُذِفَتْ مِنْهُ اللَّامُ لِطُولِ الْكَلَامِ - ﴿مَنْ زَكَّاهَا﴾: طَهَّرَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، ﴿وَقَدْ خَابَ﴾: خَسِرَ ﴿مَنْ دَسَّاهَا﴾: أَخْفَاهَا بِالْمَعْصِيَةِ، - وَأَصْلُهُ: دَسَّاهَا، أَبْدَلْتُ السَّيْنِ الثَّانِيَةَ أَلِفًا تَخْفِيفًا ..

(١١ - ١٣) ﴿كَذَّبَتْ ثُمُودُ﴾ رَسُولَهَا صَالِحًا ﴿بِطَغْوَاهَا﴾: بِسَبَبِ طُغْيَانِهَا،

حاشية الصاوي

قوله: (أو بمعنى «من») أي: وَمَنْ بناها... إلخ، وبه استدلل مَنْ يجوز وقوعها على آحادِ أولي العلم؛ لأنَّ المراد به الله تعالى.

قوله: ﴿فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ الإلهام في الأصل: إلقاء شيء في القلب بطريق الفيض، يشرح له الصدر وَيَطْمِئُنُّ، ثُمَّ أَطْلَقَ هُنَا عَلَى مُطْلَقِ التَّبَيَّنِ. قوله: (طريقَي الخير والشر) لفٌّ ونشْرٌ مشوِّشٌ.

قوله: (حُذِفَتْ مِنْهُ اللَّامُ؛ لطول الكلام) أي: لأنَّ الماضي المَثْبُتَ المتصرِّفَ الذي لم يتقدَّم معمولُهُ عليه؛ إِذَا وَقَعَ جَوَابًا لِلْقَسَمِ.. تَلَزُمُهُ اللَّامُ (وقد)، ويجوز الاقتصارُ على أَحَدِهِمَا عِنْدَ طَوْلِ الْكَلَامِ، أَوْ لِلضَّرُورَةِ.

قوله: ﴿مَنْ زَكَّاهَا﴾ الفاعلُ ضمير (مَنْ) في المَوْضِعَيْنِ، وَقِيلَ: ضَمِيرٌ عَائِدٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّقْدِيرُ: مَنْ زَكَّاهَا اللَّهُ بِالطَّاعَةِ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا اللَّهُ بِالْمَعْصِيَةِ.

قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ كَرَّرَ (قد)؛ إِشَارَةً لِمَزِيدِ الْإِعْتِنَاءِ بِمَضْمُونِهَا.

قوله: (أصله: دَسَّاهَا) مأخوذ من التَّدْسيْسِ، وَهُوَ الْإِخْفَاءُ، وَالْمَعْنَى: أَخْفَاهَا بِالْكَفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ؛ لِأَنَّ الْمَعَاصِيَ تُذِلُّ النَّوَاصِي.

قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثُمُودُ﴾ مناسبتُها لما قَبْلَهَا: أَنَّهُ لَمَّا أَقْسَمَ بِتِلْكَ الْأَقْسَامِ الْمَذْكُورَةِ عَلَى فَلَاحِ الْمَطِيعِ، وَخِيَةِ الْعَاصِي.. ذَكَرَ فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ الْمَطِيعَ وَهُوَ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْعَاصِي وَهُوَ قَوْمُهُ. قوله: (بسبب طُغْيَانِهَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْبَاءَ سَبَبِيَّةٌ.

إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا ﴿١٣﴾

﴿إِذْ أُنْبِئَتْ﴾: أَسْرَعَ ﴿أَشْقَىٰهَا﴾ واسمُه قُدَارٌ إلى عَقْرِ النَّاقَةِ بِرِضَاهُمْ، ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ صَالِحٌ: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ أَي: ذُرُوهَا ﴿وَسُقْيَهَا﴾: شَرِبَهَا فِي يَوْمِهَا، وَكَانَ لَهَا يَوْمٌ وَلَهُمْ يَوْمٌ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ﴾ مطاوع (بعث)، تقول: (بعثت فلاناً على الأمر، فانبعث له)، والباعث لهم على ذلك التَّكْذِيبُ وَالطُّغْيَانُ.

قوله: (واسمُه قُدَارٌ) أي: بوزن (غُرَاب)، ابن سالف، وهو أَشْقَى الْأَوَّلِينَ، وَكَانَ رَجُلًا أَشْقَرَ أَزْرَقَ قَصِيراً، وفي الحديث: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَعَلِّي بَنَ أَبِي طَالِبٍ: «أَتَدْرِي مَنْ أَشْقَى الْأَوَّلِينَ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «عَاقِرُ النَّاقَةِ»، قَالَ: «أَتَدْرِي مَنْ أَشْقَى الْآخِرِينَ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «قَاتِلُكَ»^(١).

قوله: (برضاهم) قال قتادة: (بلغنا أَنَّهُ لَمْ يَعْقِرْهَا حَتَّى تَابَعَهُ صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ، وَذَكَرَهُمْ وَأَنَّهُمْ)^(٢).

قوله: ﴿فَقَالَ لَهُمْ﴾ أي: بسبب الانبعاث، والمعنى: أَنَّهُ لَمَّا عَرَفَ مِنْهُمْ الْعِزَّمَ عَلَى عَقْرِهَا.. قَالَ لَهُمْ مَا ذَكَرَ.

قوله: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ الإِضَافَةُ لِلتَّشْرِيفِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ؛ بِسَبَبِ مَا فِيهَا مِنَ الْأُمُورِ الْغَرِيبَةِ الْمَخَالِفَةِ لِلْعَادَةِ الَّتِي لَا تُمَكِّنُ مِنْ غَيْرِهِ تَعَالَى.

قوله: (أي: ذُرُوهَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿نَاقَةَ﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى التَّحْذِيرِ، وَالْكَلَامُ عَلَى حَذْفِ مِضَافٍ؛ أَي: ذُرُوا عَقْرَهَا، وَاحْذَرُوا سُقْيَاهَا.

قوله: (وَشُرْبَهَا) بَضَمُ الشَّيْنِ وَكُسْرُهَا، اسْمَانِ، وَبِفَتْحِهَا: مَصْدَرٌ (شَرَبَ)، وَالْمَعْنَى: وَمَشْرُوبَهَا.

قوله: (ولهم يومٌ) أَي: يَشْرَبُونَ فِيهِ هُمْ وَمَوَاشِيَهُمْ.

(١) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٩٥٣) عن الضحاك بن مزاحم، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٣١١)، وأبو يعلى في «مُسْنَدِهِ» (٤٨٥) عن سيدنا صهيب رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٥٠/٢٤).

فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

(١٤ - ١٥) ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في قوله ذلك عن الله المُرتَّب عليه نزول العذاب بهم إن خالفوه، ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: قَتَلُوهَا لِيَسْلَمَ لَهُمْ ماءُ شُرْبِهَا، ﴿فَدَمْدَمَ﴾: أَطْبَقَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ العذاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ أي: الدَّمْدَمَةُ عَلَيْهِمْ أي: عَمَّتهم بِهَا فلم يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدًا، ﴿وَلَا﴾ - بِالْوَاوِ وَالْفَاءِ - ﴿يَخَافُ﴾ تعالى ﴿عُقْبَاهَا﴾: تَبِعَتَهَا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: استمروا على تكذيبه.

قوله: (في قوله ذلك عن الله) دفع بذلك ما يقال: إنَّ تحذيرهم من الناقة وسُقياها إنشاءً، والتَّكْذِيب من معارض الإخباريّة، فأجاب المفسّر: بأنَّ تكذيبه مِنْ حيثُ نقله عن الله، فهو خبرٌ.

قوله: (المُرتَّب عليه نزول العذاب بهم) وذلك أنَّ صالحاً قال لهم: يَأْتِيَكُم العذابُ بعد ثلاثة أَيَّامٍ، قالوا: وما العلامة على ذلك العذاب؟ قال: تَصْحُون في اليوم الأوَّل - وكان هو الأربعاء - وجوهُكُمْ مصفرةً، وفي اليوم الثَّاني - وهو الخميس - وجوهُكُمْ محمَّرةً، وفي الثَّالث - وهو الجمعة - وجوهُكُمْ مسوَّدةً، وفي الرَّابع - وهو السبت - يَأْتِيَكُم العذاب، فحصل ذلك، وتقدَّم بسطه^(١).

قوله: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي: عقرها قُدَّارٌ في رجليها فأوقعها، فذبحوها واقتسموا لحمها.

قوله: (ماءُ شربها) أي: الماء الذي كانت تشربه.

قوله: ﴿فَدَمْدَمَ﴾ أَطْبَقَ عَلَيْهِمْ... إلخ) فهو مأخوذٌ من: الدَّمْدَمَةُ، وهي إطباق الشَّيْءِ على الشَّيْءِ، يقال: (دمدَمَ عليه القبرُ): أَطْبَقَهُ، والمعنى: أَهْلَكَهُمْ.

قوله: (فلم يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدًا) أي: إِلَّا مَنْ آمَنَ مع صالح، وهم أربعة آلاف.

قوله: (بالواو والفاء) أي: فهما سبعيتان؛ أمَّا الواو... فإمَّا للحال، أو مُستأنفة، والفاء: للتعقيب^(٢).

قوله: (تَبِعَتَهَا) أي: عاقبة هلكتهم كما تخاف الملوك عاقبة ما تفعلهُ، فهو استعارة تمثيلية لإهانتهم وإذلالهم، ويجوز عَوْدُ الضَّمير على (الرسول) أي: إِنَّه لا يخاف عاقبة إنذاره لهم؛ لعصمته بالله تعالى، وقيل: الضَّمير يَرْجِع للعاقِر، فهو زيادةٌ في التَّقْيِيع عليه.



(١) انظر (٢/٥٦٤).

(٢) قرأ نافع وابن عامر بالفاء، والباقون بالواو. انظر «السراج المنير» (٤/٥٤٤)، وقوله: (للحال) أي: من الضمير المنوي في (سواها) الراجع إلى الله؛ أي: فسواها الله غير خائف عُقْبَى ما صنع. «فتوحات» (٤/٥٦٧).

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾



مكية، إحدى وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ بِظُلْمَتِهِ كُلِّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾: تَكْشَفَ وَظَهَرَ، - و﴿إِذَا﴾ فِي الْمَوْضِعَيْنِ لِمُجَرَّدِ الظَّرْفِيَّةِ،

حاشية الصاوي

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

(مكية) هذه السورة نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفي أمية بن خلف؛ فالصديق بلغ الغاية في الإيمان والصدق والكرم، وأمية بلغ الغاية في الكفر والكذب والبخل، والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أقسم به تعالى؛ لكونه جليلاً عظيماً، تسكن الخلق فيه عن التحرك، ويغشاهم النوم الذي هو راحة لأبدانهم.

قوله: (كل ما بين السماء والأرض) أشار به إلى أن مفعول ﴿يَغْشَىٰ﴾ محذوف، تقديره: (كل ما بين السماء والأرض)، وقيل: تقديره: النهار، أو الشمس، وكل صحيح.

قوله: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أقسم به؛ لأنه مظهر جمال الله؛ إذ به ينكشف ما كان مستوراً بظلمة الليل، وفيه تتحرك الناس لمعايشهم، والطيور من أوكارها، والهوام من مكانها؛ فلو كان الدهر كله ليلاً.. لتعذر المعاش، ولو كان كله نهاراً.. لعدمت الراحة، فكانت المصلحة في تعاقبهما.

قوله: (لمجرد الظرفية) أي: الظرفية المجردة عن الشرط.

وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٢﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴿٤﴾

والعامل فيها فعلُ القسم - ﴿وَمَا﴾ - بِمَعْنَى (مَنْ) أو مَصْدَرِيَّة - ﴿خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾: آدَمَ وَحَوَّاءَ أو كُلَّ ذَكَرٍ وَكُلَّ أُنْثَى، وَالْخُنْثَى الْمُشْكِلُ عِنْدَنَا ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَحْنُثُ بِتَكْلِيمِهِ مَنْ حَلَفَ لَا يُكَلِّمُ ذَكَرًا وَلَا أُنْثَى.

﴿٤﴾ - ﴿١٠﴾ ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾: عَمَلُكُمْ ﴿لَشَتَّى﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (والعامل فيها فعلُ القسم) أي: المقدَّر، ويأتي هنا ما تقدَّم من الإشكال والجواب^(١).

قوله: (بمعنى «مَنْ») أي: فهي اسمٌ موصولٌ، ويكون تعالى أقسم بنفسه؛ أي: والقادر على خلق الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى.

قوله: (أو مصدرية) أي: وَخَلَقَ اللَّهُ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى؛ أي: تَعَلَّقَتْ قُدْرَتُهُ بِخَلْقِهِمَا.

قوله: (آدَمَ وَحَوَّاءَ) أي: فتكون (أَل) للعهد.

قوله: (أو كُلَّ ذَكَرٍ وَكُلَّ أُنْثَى) أي: من جميع المخلوقات، ف(أَل) للاستغراق، وقيل: كُلَّ ذَكَرٍ وَكُلَّ أُنْثَى مِنَ الْآدَمِيِّينَ، فتكون (أَل) استغراقيةً استغراقاً عرفياً.

قوله: (وَالْخُنْثَى الْمُشْكِلُ) مبتدأ، وقوله: (عِنْدَنَا) ظرفٌ لقوله: (الْمُشْكِلُ)، وقوله: (ذَكَرٌ... إلخ): خبر، وقوله: (عِنْدَ اللَّهِ): ظرفٌ لقوله: (ذَكَرٌ... إلخ)، وهو جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّر، تقديره: لِمَ لَمْ يَدْخُلِ الْخُنْثَى الْمُشْكِلُ فِي عُمومِ الذَّكَرِ وَلَا فِي عُمومِ الْأُنْثَى؟ فَأَجَابَ بِمَا ذَكَرَ.

قوله: (فَيَحْنُثُ بِتَكْلِيمِهِ) أي: لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ مِنْ ذَوِي الْأَرْوَاحِ مَنْ لَيْسَ ذَكَرًا وَلَا أُنْثَى، وَالْخُنْثَى إِنَّمَا هُوَ مُشْكِلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا، خِلَافًا لِمَنْ قَالَ: (هُوَ نَوْعٌ ثَالِثٌ)^(٢)، وَيَرُدُّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً...﴾ [الشورى: ٤٩] الآية.

قوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ جواب القسم، و﴿سَعْيَكُمْ﴾: مصدرٌ مضافٌ يفيد العموم، فهو جمعٌ في المعنى وإن كان لفظُهُ مفرداً؛ وَلِذَا أُخْبِرَ عَنْهُ بِالْجَمْعِ وَهُوَ (شَتَّى)، فهو بمعنى: مَسَاعِيَكُمْ.

(١) أي: بأنَّه يلزم عليه اختلافُ العامل والمعمول في الزمان؛ وذلك لِأَنَّ فعلَ القسم إنشَاءٌ، وزمانه الحال، و(إذا) للاستقبال، وحينئذٍ: فلا يصحُّ عملُهُ في (إذا)، والجواب: بأنَّ فعلَ القسم يدلُّ على الحال ما لم يكن مقروناً بظرفٍ يفيد الاستقبال كـ(إذا)، وإلا... فيكون للاستقبال تبعاً لمعمولِهِ. انظر (٤١٢/٧).

(٢) قائله أبو الفضل الهمداني. «فتوحات» (٤/٥٦٨).

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ

مُخْتَلِفٌ؛ فَعَامِلٌ لِلْجَنَّةِ بِالطَّاعَةِ وَعَامِلٌ لِلنَّارِ بِالْمَعْصِيَةِ؛ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ حَقُّ اللَّهِ ﴿وَاتَّقَى﴾ اللَّهُ، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أَي: بِ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فِي الْمَوْضِعَيْنِ، ﴿فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾: لِلْجَنَّةِ، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بِحَقِّ اللَّهِ ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ عَنْ ثَوَابِهِ، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾: ﴿فَسَنِيَرُهُ﴾:
حاشية الصاوي

قوله: (مُخْتَلِفٌ) أَي: مُتَبَاعِدُ الْأَبْعَاضِ؛ لِأَنَّهُ مُنْقَسِمٌ إِلَى ضَلَالٍ، وَهَدًى، وَالضَّلَالُ أَنْوَاعٌ، وَالْهُدَى أَنْوَاعٌ، وَيَصِحُّ أَنَّ الْمَعْنَى: مُخْتَلَفُ الْجَزَاءِ؛ فَمَنْكُمْ مَثَابٌ بِالْجَنَّةِ، وَمَعَاقِبٌ بِالنَّارِ.
قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ تفصيلٌ لتلك المساعي المختلفة، وتبيينٌ لأحكامها.

قوله: (حَقُّ اللَّهِ...) إلخ) أشار بذلك إلى أَنَّ مَفْعُولَ ﴿أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ محذوفان؛ لإفادة العموم، فيشمل إعطاء حقوقِ اللَّهِ في المالِ بِإِنْفَاقِهِ فِي وَجْهِ الْبِرِّ، وَالنَّفْسِ بِبَذْلِهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى. وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى هِيَ: امْتِثَالُ مَأْمُورَاتِهِ، وَاجْتِنَابُ مَنْهِيَّاتِهِ.

قوله: (أَي: بـ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ») أَي: مَعَ (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِ(الْحُسْنَى): الْجَنَّةُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ [يونس: ٢٦]، وَمَعْنَى تَصْدِيقِهِ بِهَا: إِيمَانُهُ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ.
قوله: ﴿فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ التَّنْفِيسُ لَيْسَ مُرَادًا؛ لِأَنَّ التَّيْسِيرَ حَاصِلٌ فِي الْحَالِ، وَإِنَّمَا الْإِتْيَانُ بِالسَّيْنِ لِتَحْسِينِ الْكَلَامِ وَتَرْقِيقِهِ.

قوله: (الْجَنَّةُ) أَي: لَمَّا وَرَدَ: «مَا مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ»، فَقَالَ الْقَوْمُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَفَلَا نَتَكَلَّمُ عَلَى كِتَابِنَا؟ فَقَالَ ﷺ: «بَلِ اعْلَمُوا؛ فَكُلُّ مَيَسَّرٍ لَمَّا خُلِقَ لَهُ؛ أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ.. فَإِنَّهُ مَيَسَّرٌ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ.. فَإِنَّهُ مَيَسَّرٌ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾﴾^(١)، وَقِيلَ: مَعْنَى (الْيُسْرَى): أَسْبَابُ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ.

قوله: ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ عَنْ ثَوَابِهِ أَي: تَكْبَرًا وَعِنَادًا.

قوله: ﴿بِالْحُسْنَى﴾ أَي: بِالتَّوْحِيدِ، أَوِ الْجَنَّةِ.

(١) رَوَاهُ بَلْفِظُهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٤٤) عَنْ سَيِّدِنَا عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَنَحُوهُ الْبُخَارِيُّ (٤٩٤٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٤٧).

لِلْعُسْرِ ﴿١٠﴾ وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿١٣﴾
فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾

نُهِيَّتُهُ ﴿لِلْعُسْرِ﴾: لِلنَّارِ.

(١١ - ١٣) ﴿وَمَا﴾ - نَافِيَةٌ - ﴿يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ فِي النَّارِ، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾: لَتَبْيِينَ طَرِيقَ الْهُدَى مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ؛ لِيَمْتَثِلَ أَمْرَنَا بِسُلُوكِ الْأَوَّلِ، وَنَهْيَنَا عَنْ ارْتِكَابِ الثَّانِي، ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ أَي: الدُّنْيَا؛ فَمَنْ طَلَبَهُمَا مِنْ غَيْرِنَا فَقَدْ أَخْطَأَ.
(١٤ - ٢١) ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾: خَوَّفْتُكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿نَارًا تَلَظَّى﴾ - بِحَذْفِ إِحْدَى التَّائِينَ مِنَ الْأَصْلِ، وَقُرِئَ بِثُبُوتِهَا - أَي: تَتَوَقَّدُ،

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (نُهِيَّتُهُ) دفع بذلك ما يقال: إِنَّ الْعُسْرَى لَا تَسِيرَ فِيهَا، فَأُجَابَ: بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّيْسِيرِ: التَّهْيِئَةَ، وَهِيَ كَمَا تَكُونُ فِي الْيَسْرِ تَكُونُ فِي الْعُسْرِ، وَالْمَعْنَى: نُجْرِي عَلَى يَدَيْهِ عَمَلًا يُوصلُهُ إِلَى النَّارِ.
قوله: ﴿وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ متعلقٌ بِالشَّقِّ الثَّانِي، وَالْمَعْنَى: إِذَا هَيَّأَنَاهُ لِعَمَلِ النَّارِ.. سَقَطَ فِيهَا وَهْلُكَ، وَلَا يَنْفَعُهُ مَالُهُ الَّذِي بَخَلَ بِهِ وَتَرَكَهُ لَوْرَثَتِهِ.

قوله: ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ أَي: سَقَطَ.

قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ أَي: بِمَقْتَضَى حِكْمَتِنَا وَتَعَلُّقِ قُدْرَتِنَا، وَإِلَّا.. فَلَا يَجِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى شَيْءٌ.

قوله: (لَتَبْيِينَ طَرِيقِ الْهُدَى... إلخ) دفع بذلك ما يقال: إِنَّ فِي آيَةِ اكْتِفَاءً، وَالتَّقْدِيرَ: إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى وَالضَّلَالِ؛ أَي: تَبْيِينَ كُلِّ مِنْهُمَا، وَإِيضًا جَوَابُ الْمَفْسَّرِ: أَنَّ الْمُرَادَ بِ(الْهُدَى): التَّبْيِينَ، وَمَعْمُولُهُ مُحذوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: إِنَّ عَلَيْنَا لَتَبْيِينَ طَرِيقِ الْحَقِّ مِنْ طَرِيقِ الْبَاطِلِ.

قوله: (فَمَنْ طَلَبَهُمَا مِنْ غَيْرِنَا.. فَقَدْ أَخْطَأَ) أَي: فَهَذِهِ الْآيَةُ بِمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النساء: ١٣٤].

قوله: ﴿تَلَظَّى﴾ مَرْفُوعٌ بِضَمَّةٍ مَقْدَرَةٌ عَلَى الْأَلْفِ؛ لِلتَّعْذُرِ، صِفَةٌ لـ ﴿نَارًا﴾.

قوله: (وقرئ) أَي: شَذُوذًا^(١).

(١) وبإثبات التائين قرأ ابن الزبير، وسفيان، وزيد بن علي وطلحة. انظر «الدر المصون» (١١/٣٠).

لَا يَصَلِّهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾

﴿لَا يَصَلِّهَا﴾: يَدْخُلُهَا ﴿إِلَّا الْأَشْقَى﴾: بِمَعْنَى الشَّقِيّ، ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ النَّبِيَّ ﴿وَتَوَلَّى﴾ عَنْ الْإِيمَانِ، وَهَذَا الْحَصْرُ مُؤَوَّلٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَغْفِرْ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٨] فَيَكُونُ الْمُرَادُ الصَّلِيَّ الْمُؤَبَّدَ، ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾: يُبْعَدُ عَنْهَا ﴿الْأَتْقَى﴾ بِمَعْنَى التَّقِيّ، ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾: مُتَزَكِّياً بِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنْ يُخْرِجَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَا رِيَاءَ وَلَا سُمْعَةً، فَيَكُونُ زَاكِياً عِنْدَ اللَّهِ،

حاشية المصاوي

قوله: ﴿لَا يَصَلِّهَا﴾ مضارع (صَلَّى) بكسر اللام، والمصدر: (صَلِّياً) بضم فكسر مع تشديد الياء.

قوله: (وهذا الحصر مؤوّل) أي: مصروفٌ عن ظاهره، وقصد المفسّر بهذا الكلام الرّدّ على المرجئة القائلين: (لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ)، مستدلّين بظاهر هذه الآية؛ حيثُ حصر دخول النار في الكفّار، فمقتضاها: أنّ المؤمن لا يدخل ولو فعل الكبائر.

ووجه الرّدّ: أنّ الآية محمولةٌ على الدّخول المؤبّد، فلا يُنافي أنّ عصاة المؤمنين يدخلونها ثمّ يخرجون منها بالشفاعة.

إذا علمت ذلك.. تعلم أنّ كلام المفسّر لا يلاقي كلام المرجئة، فكان عليه أن يقول: (مؤوّلٌ بحمل الصلّي على التّأبيد والخلود، وأمّا قوله: (لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾).. فلا مدخل له في ردّ كلام المرجئة، إلّا أن يقال: له مدخلٌ مِنْ حيثُ مفهومه؛ إذ مفهوم (لمن يشاء): أنّ مَنْ لم يشأ الغفران له.. لم يغفر له، بل يدخله النار.

قوله: ﴿يَتَزَكَّى﴾ بدّل من ﴿يُؤْتِي﴾، أو حالٌ من فاعله، ومشى المفسّر على الثاني حيث قال: (متزكياً).

قوله: (وهذا نزل في الصديق) الإشارة لقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾.

وهذا نَزَلَ فِي الصَّدِيقِ ﷺ لَمَّا اشْتَرَى بِلَالًا الْمُعَذَّبَ عَلَى إِيمَانِهِ وَأَعْتَقَهُ،

حاشية الصاوي

قوله: (لَمَّا اشْتَرَى بِلَالًا) أي: من سيده، وهو أمية بن خلف، وكان الصديق ﷺ يبتاع الضعفة فيعتقهم، فقال له أبوه: أي بُنيي؟ لو كنت تبتاع مَنْ يمنعُ ظهرك؟ فقال: (منعَ ظهري أريد)، فنزلت الآية^(١).

وهو بلال بن رباح، واسم أمه: حمامة، وكان صادق الإسلام، طاهر القلب، وكان أمية بن خلف يخرجُه إذا حمت الشمس، فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفرَ بمحمدٍ، فيقول وهو في ذلك: (أحد أحد)، فمرَّ النبي ﷺ فقال: «أحد يُنجيك» يعني: الله تعالى، ثم قال النبي ﷺ لأبي بكرٍ: «إن بلالاً يعذب في الله»، فعرف أبو بكرٍ الذي يُريدُه رسولُ الله ﷺ، فانصرف إلى منزله، فأخذ رطلاً من ذهبٍ، ومضى إلى أمية بن خلف، فقال له: (ألا تتقي الله في هذا المسكين؟) قال: أنت أفسدته، فأنقذه بما ترى؟ ففي رواية: أنه فداه برطلٍ من ذهبٍ، وفي رواية: أنه قال له: عندي غلامٌ أسودٌ أجلدُ منه وأقوى، وهو على دينك، فأعطاه له، وأخذ بلالاً فأعتقه^(٢).

وقال سعيد بن المسيب: (بلغني أن أمية بن خلف قال لأبي بكرٍ في بلالٍ حين قال له: أتبيعه؟ قال: نعم أبيعه بنسطاس عبد لأبي بكرٍ اغتنمه، وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلماں وجوارٍ ومواشٍ، وكان مشركاً، حمله أبو بكرٍ على الإسلام على أن يكون ماله له، فأبى، فأبغضه أبو بكرٍ، فلما قال أمية: أبيعك بغلماںك نسطاس.. باعه)^(٣).

وكان قد أعتق قبله ستَّ رقابٍ وهم: عامر بن فهيرة: شهد بدرًا وأحداً، وقُتِلَ يوم بئر معونة شهيداً، وأعتق أمّ عَمِيسَ، وزهرة، فأصيب بصرُها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرَها إلا اللات والعزى، فقالت: (كذبوا وبيت الله؛ ما تضرُّ اللات والعزى وما ينفعان)، فردَّ الله تعالى عليها بصرَها^(٤).

(١) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٦٢) عن سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٨٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٤٨/١) وفيهما أن فداه كان بالغلام الأسود، وانظر «سيرة ابن هشام» (ص ٣١٨).

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٤٤٩/٨).

(٤) رواه أبو نعيم في «معرفه الصحابة» (٧٦٦١)، وفيه وفي كتب السيرة: (زئيرة) بدل (زهرة). انظر «سيرة ابن هشام» (ص ٣١٨).

وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۖ

فقال الكفار: إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده فنزلت: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۖ﴾

حاشية الصاوي

وأعتق الفهرية وابنتها، وكانتا لامرأة لبني عبد الدار، فمرَّ بهما وقد بعثتهما سيديتهما يحتطبان لها وهي تقول لهما: والله؛ لا أعتقكما أبداً، فقال أبو بكر: (حلاً يا أم فلان)، فقالت: حلاً، أنت أفسدتهم فأعتقهما، قال: (فبكم؟) قالت: بكذا وكذا، قال: (قد أخذتهما وهما حرَّتان)^(١).
ومرَّ بجارية من بني المرسل^(٢) وهي تعذب، فابتاعها فأعتقها، وفي ذلك يقول عمار بن ياسر^(٣): [الطويل]

جزى الله خيراً عن بلالٍ وصحبهِ عتيقاً، وأخزى فاكهاً وأبا جهلٍ
عشيّةً همّا في بلالٍ بسوءةٍ ولم يحذراً ما يحذرُ المرءُ ذو العقلِ
بتَّوحيدِهِ رَبَّ الأنامِ وقولِهِ: شهَّدْتُ بأنَّ اللهَ ربِّي على مهلٍ
فإنَّ تقتُلوني تقتُلوني ولم أكنُ لأشركَ بالرحمنِ من خيفةِ القتلِ
فيا ربَّ إبراهيمَ والعبدِ يونسَ وموسى وعيسى نجني ثم لا تُملِ
لمنْ ظلَّ يهوى الغيِّ من آلِ غالبٍ على غيرِ حقٍّ كانَ منه ولا عدلِ

قوله: (فقال الكفار... إلخ) المناسب أن يقول: (ولمّا قال الكفار: «إنما فعل ذلك... إلخ».. نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ...﴾ إلخ).

قوله: (إنما فعل) أي: أبو بكر، وقوله: (ذلك) أي: شراء بلال وإعتاقه، وقوله: (ليد كانت له) أي: نعمة كانت لبلال عند أبي بكر؛ بأن صنع مع أبي بكر معروفاً، فأحبَّ أبو بكر مكافأته بما فعله منه، وقوله: (فنزل) أي: تكديماً للكفار.

قوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ﴾ أي: عند أبي بكر؛ لا من بلال، ولا غيره.

قوله: ﴿تُجْزَى﴾ (صفة لـ ﴿نِعْمَةٍ﴾) أي: يُجزى الإنسان بها، وأتى به مضارعاً مبنياً للمفعول؛ رعاية للفواصل.

(١) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٨٩)، وقوله: (حلاً يا أم فلان) أي: تحللي من يمينك واشتني فيها.

(٢) كذا في الأصول، وفي كُتب السيرة: (المؤمل). انظر «سبل الهدى والرشاد» (٣٦٢/٢).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٤٨/١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤١/١٠).

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾

إِلَّا: لَكِنْ فَعَلَ ذَلِكَ ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ أَي: طَلَبَ ثَوَابَ اللَّهِ. ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ بِمَا يُعْطَاهُ مِنَ الثَّوَابِ فِي الْجَنَّةِ، وَالْآيَةُ تَشْمَلُ مَنْ فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَيُبْعَدُ عَنِ النَّارِ وَيُثَابُ.

حاشية الصاوي

قوله: (لكن فعل ذلك... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الاستثناء منقطع؛ لأنَّ ابتغاء وجهه ربِّه ليس من جنس النعمة، وهو^(١) منصوبٌ على أنَّه مفعولٌ لأجله.

قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ جوابٌ قَسَمٍ مَقْدَرٍ؛ أَي: وَاللَّهِ لَسَوْفَ يَرْضَى، وهو وعدٌ من الكريم تعالى لأبي بكرٍ بِنَيْلِ جميع ما يَتَمَنَّاهُ على أبلغ وجهٍ وأجمله.

والعامَّة على بناء ﴿يَرْضَى﴾ للفاعل، وقرئ شذوذاً ببنائه للمفعول؛ أَي: يُرْضِيهِ اللَّهُ؛ أَي: يُعْطِيهِ حَتَّى يَرْضَى.



(١) كذا في الأصول؛ بالواو، وهي بمعنى (أو)، فأفاد المصنّف للنصب وجهين: الأول على الاستثناء المنقطع؛ كما أفاده المفسر، والثاني: على أنَّه مفعول له.

﴿وَالضُّحَى﴾ (١)

وهو: الله أكبر، أو لا إله إلا الله والله أكبر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿وَالضُّحَى﴾ أي: أوّل النهار

حاشية الصاوي

مع الوقف عليها، ثمّ الابتداء بأوّل السورة، وقطعُه عن آخر السورة، ووصلُه بالبسملة مع وصلها بأوّل السورة.

وثلاثة محتملة للتقديرين، وهي: وصلُ التّكبير بآخر السورة وبالبسملة وبأوّل السورة التي بعدها، وقطعُه عن آخر السورة وعن البسملة مع وصل البسملة بأوّل السورة، وقطعُه عن آخر السورة وعن البسملة، وقطعُ البسملة عن أول السورة.

وهذه الأوجه السبعة تجري من آخر (الضحى) إلى آخر (الفلق)، وأمّا بين (الليل) و(الضحى).. فيجوز خمسة أوجه فقط: الاثنان على تقدير كونه لأوّل السور، والثلاثة المحتملة، وبين (الناس) و(الفاتحة).. فيجوز خمسة أيضاً: الاثنان على تقدير كونه لآخر السور، والثلاثة المحتملة^(١).

قوله: (أو: «لا إله إلا الله») هذه هي النسخة الصحيحة، وفي بعض النسخ: (ولا إله إلا الله) بالواو، وهي بمعنى (أو)، فأفاد المفسّر روايتين، وبقيت روايةً ثالثة، وهي الجمعُ بين التّهلِيل والتّكبير والتّحميد، وعليها العمل.

قوله: ﴿وَالضُّحَى﴾... إلخ) قدّم الضحى هنا على الليل، وفي السورة التي قبلها قدّم الليل؛ وذلك لأنّ في كلّ مزنة تقتضي تقديمه، فقدّم هذا تارةً، والآخر أخرى؛ فالليل به السكون والهدوء ومحلّ الخلوات والعطايا الربانيّة، والنّهار به النّور والسعي في المصالح واجتماع النّاس، أو لأنّ السورة المتقدّمة سورة أبي بكرٍ وهو قد سبق له كفرٌ، فقدّم فيها الليل، وهذه سورة محمّد ﷺ وهو نورٌ محضٌ، فقدّم فيها الضحى.

إن قلت: ما الحكمة في ذكر الضحى وهو ساعة، وذكر الليل بجملته؟

أجيب: بأنّ في ذلك إشارةً إلى أنّ ساعة من النّهار تُوازي جميع الليل؛ كما أنّ محمّداً يوازي

وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾

أَوْ كُلهُ، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾: غَطَّى بِظَلَامِهِ أَوْ سَكَنَ؛ ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾: تَرَكَّكَ يَا مُحَمَّدُ ﴿رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾: أَبْغَضَكَ، نَزَلَ هَذَا لَمَّا قَالَ الْكُفَّارُ عِنْدَ تَأَخُّرِ الْوَحْيِ عَنْهُ

حاشية المصاوي

جَمِيعَ الْخَلْقِ، وَأَيْضاً: الضُّحَى وَقْتُ سُرُورٍ، وَاللَّيْلِ وَقْتُ وَحْشَةٍ؛ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ سُرُورَ الدُّنْيَا أَقْلٌ مِنْ سُرُورِهَا.

قوله: (أَوْ: كُلهُ) أي: وعليه: ففيه مجازٌ من إطلاق الجزء على الكل.

قوله: ﴿إِذَا سَجَى﴾ (إِذَا): لِمَجْرَدِ الظَّرْفِيَّةِ، وَالْعَامِلُ فِيهَا فِعْلُ الْقِسْمِ الْمَقْدَّرِ؛ كَمَا تَقَدَّمَ نَظِيرُهُ^(١).

قوله: (غَطَّى بِظَلَامِهِ) أي: كُلَّ شَيْءٍ.

قوله: (أَوْ: سَكَنَ) إِسْنَادُ السَّكُونِ لَهُ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ، وَالْمَعْنَى: سَكَنَ أَهْلُهُ؛ مِنْ إِسْنَادِ الشَّيْءِ لِرِمَانِهِ.

قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ بِالتَّشْدِيدِ فِي قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ؛ مِنْ: التَّوَدِيعِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ: مَفَارَقَةُ الْمَحْبُوبِ مَعَ التَّأَلَمِ، أُطْلِقَ وَأُرِيدَ مِنْهُ مَطْلُوقُ التَّرْكِ؛ بِدَلِيلِ الْقِرَاءَةِ الشَّاذَّةِ بِالتَّخْفِيفِ؛ مِنْ: الْوَدْعِ وَهُوَ التَّرْكِ^(٢).

قوله: ﴿وَمَا قَلَى﴾ مُضَارَعُهُ مِنْ بَابِ (ضَرَبَ) وَ(قَتَلَ).

قوله: (نَزَلَ هَذَا... إلخ) اخْتَلَفَ فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ:

الْأَوَّلُ: مَا رَوَى أَنَّهُ ﷺ اشْتَكَى لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَجَاءَتْ أُمُّ جَمِيلٍ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ وَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ؛ إِنِّي لَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرَبَكَ مِنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَنَزَلَتْ^(٣).

الثَّانِي: أَنَّهُ أَبْطَأَ الْوَحْيَ حَتَّى شَقَّ عَلَيْهِ، فَجَاءَهُ وَهُوَ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ عَلَى الْكَعْبَةِ يَدْعُو، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْآيَةَ^(٤).

(١) انظر (٧/٤١٢).

(٢) وبالتخفيف قرأ عروة بن الزبير، وابنه هشام، وأبو حيو، وابن أبي عتبة. انظر «الدر المصون» (١١/٣٦).

(٣) رواه البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧) عن سيدنا جندب بن سفيان رضي الله عنه.

(٤) عزاه القرطبي في «تفسيره» (٩٣/٢٠) إلى أبي عمران الجوني.

وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤)

خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا: إِنَّ رَبَّهُ وَدَّعَهُ وَقَلَّاهُ.

(٤ - ٥) ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ﴾ لِمَا فِيهَا مِنَ الْكَرَامَاتِ لَكَ ﴿مِنَ الْأُولَى﴾: الدُّنْيَا،

حاشية الصاوي

الثالث: ما روي أَنَّ خولةَ كانت تخدم النبي ﷺ فقالت: إِنَّ جِرواً دخل البيت، فدخل تحت السرير فمات، فمكث النبي ﷺ أَيَّاماً لَا ينزل عليه الوحي، فقال ﷺ: «يا خولة؛ ما حدث في بيتي؟ إِنَّ جبريل لَا يأتيني»، قالت خولة: فكُنْتُ فأهويت بالمكنسة تحت السرير؛ فإذا جِروٌ مَيِّتٌ، فأخذته فألقيته خلف الجدار، فجاء نبي الله ﷺ ترعد لحياه، وكان إذا نزل عليه الوحي.. استقبلته الرعدة، فقال: «يا خولة؛ دثريني»، فلمَّا نزل جبريل عليه.. سأله النبي عن التأخر فقال: «أما عَلِمْتُ أَنَّا لَا ندخل بيتاً فيه كلبٌ ولا صورة»^(١).

الرابع: ما رُوي أَنَّ اليهود سألوا النبي ﷺ عن الروح، وذو القرنين، وأصحاب الكهف، فقال ﷺ: «سأخبركم غداً»، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي إلى أن نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ [الكهف: ٢٣-٢٤]، وأخبره بما سأل عنه، ونزلت هذه الآية^(٢).

قوله: (خمسَ عشرَ يوماً) هذا قول ابن عباس، وقال ابن جرير: اثنا عشر يوماً، وقال مقاتل: أربعون يوماً.

روي: أَنَّهُ لما جاءه جبريل.. قال له: «ما جئتُ حتَّى اشتقتُ إليك»، فقال جبريل: «إني كنتُ إليك أشوق، ولكنني عبدٌ مأمورٌ»، وأنزل عليه: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤]^(٣).

قوله: ﴿وَلِلْآخِرَةِ﴾ اللام للابتداء، مؤكدة لمضمون الجملة.

قوله: ﴿خَيْرٌ لَّكَ﴾ إِنَّمَا قَيَّدَ بقوله: ﴿لَكَ﴾؛ لَأَنَّهَا ليست خيراً لكلِّ أحدٍ، بل النَّاسُ على أربعة أقسام: منهم: مَنْ له الخير في الدارين، وهم أهل الطاعة الأغنياء، ومنهم: مَنْ له الشرُّ فيهما، وهم الكفرة الفقراء، ومنهم: مَنْ له صورةٌ خيرٌ في الدنيا، وشرٌّ في الآخرة، وهم الكفرة الأغنياء، ومنهم: مَنْ له صورةٌ شرٌّ في الدنيا، وخيرٌ في الآخرة، وهم الفقراء المؤمنون.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٣٦) عن أم حفص. وانظر «الدر المنثور» (٥٤١/٨).

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٧٠/٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢٣/١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٤١٤/٧).

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من الخيرات عطاءً جزيلاً ﴿فَتَرْضَى﴾ به، فقال ﷺ: «إذن لا أَرْضَى وواحدٌ من أُمَّتِي في النار» - إلى هنا تَمَّ جواب القسم بِمُثْبِتَيْنِ بعدَ مَنْفِيَيْنِ .. (٦ - ٨) ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ - استفهام تقرير - أي: وجدك ..

حاشية الصاوي

قال بعضُ أهل الإشارات: في الآية إشارةٌ إلى أَنَّهُ ﷺ دائماً يترقى في الكمالات إلى غير نهاية؛ فمقامه في المستقبل أعلى منه في الماضي، وهكذا، ويدلُّ لذلك أيضاً قوله في الحديث: «إِنِّي لَبُغَانٌ على قلبي، فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة»^(١)، فاستغفاره لكونه ارتقى مقاماً أعلى من الأول، فرأى أَن الذي انتقل منه بالنسبة للذي انتقل إليه ذنباً^(٢).

قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة المناسب أن يبقى الآية على عمومها؛ لأنَّ إعطاءه حتَّى يَرْضَى ليس قاصراً على الآخرة، بل عامٌّ في الدنيا والآخرة، فهو وعدٌ شاملٌ لما أعطاه له؛ من كمالِ النَّفس، وظهورِ الأمر، وإعلاء الدين، ولما ادخر له ممَّا لا يَعْلَمُ كنههُ سواء تعالى.

وقيل: عطاؤه هو الشفاعة، وقيل: (يعطيك ألف قصرٍ من لؤلؤ أبيض، ترابها المسك، وفيها ما يليق بها)^(٣)، والحق: التَّعميم بما لا يَعْلَمُ كنههُ إلاَّ الله تعالى.

قوله: (وواحدٌ من أُمَّتِي) أي: الموحِّدين، فالمراد: أُمَّةُ الإجابة، وقد أشار لذلك بعضُ العارفين بقوله: [الوافر]

قَرَأْنَا فِي الضُّحَى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِي) فَسَرَّ قُلُوبَنَا ذَاكَ الْعَطَاءِ

وَحَاشَا يَا رَسُولَ اللَّهِ تَرْضَى وَفِينَا مَنْ يُعَذِّبُ أَوْ يَسَاءُ

قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً﴾... إلخ) القصْد من هذا: تسليته ﷺ؛ ليزداد شكراً وصبراً. والوجود بمعنى: العلم؛ ف﴿يَتِيماً﴾ مفعولٌ ثانٍ، والكاف: مفعوله الأول.

قوله: (استفهام تقرير) أي: بما بعد النَّفي.

(١) رواه الترمذي (٣٢٩٥)، وابن ماجه (٣٨١٦) عن سيدنا أبي هريرة ؓ، وأصل الحديث في «صحيح مسلم»

(٢٧٠٢) عن سيدنا الأغَرَّ المُرْنِي ؓ، وفيه: «حتى استغفر الله في اليوم مئة مرة».

(٢) كذا في الأصول، والسياق يقتضي الرفع خبراً ل(أَنَّ).

(٣) رواه ابنُ أبي شيبة في «مُصَنَّفِهِ» (٣٥١١٣) من حديث سيدنا ابن عباس ؓ.

يَتِيمًا فَتَاوَى ٦

﴿يَتِيمًا﴾ بِفَقْدِ أَبِيكَ قَبْلَ وَلَادَتِكَ أَوْ بَعْدَهَا، ﴿فَتَاوَى﴾ بِأَنْ ضَمَّكَ إِلَى عَمِّكَ أَبِي طَالِبٍ،

حاشية الصاوي

قوله: (بفقد أبيك) مصدر مضاف لمفعوله.

قوله: (قبل ولادتك) أي: بعد حملهِ بشهرين، وقيل: قبل ولادته بشهرين، وقوله: (أو بعدها) أي: وعليه فقيل: بشهرين، وقيل: بسبعة أشهر، وقيل: بتسعة أشهر، وقيل: بثمانية وعشرين شهراً، والصحيح الأول، وكانت وفاته بالمدينة الشريفة، ودُفن في دار النابغة، وقيل: دُفن بالأبواء؛ قرية من أعمال الفرع.

وتوفيت أمه وهو ابن أربع سنين، وقيل: خمس، وقيل: ست، وقيل: سبع، وقيل: ثمان، وقيل: تسع، وقيل: اثنتي عشرة سنة وشهر وعشرة أيام، وكانت وفاتها بالأبواء، وقيل: بالحجون. ومات جدّه عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين، فكفله عمّه أبو طالب؛ لأنه كان شقيق أبيه، ورد: (أنه لما مات أبواه.. قالت الملائكة: بقي نبيك يتيمًا، فقال الله تعالى: «أنا له كافل»).

وسئل بعض العلماء: لِمَ يُتَمُّ النبي ﷺ؟ فقال: لئلا يكون لمخلوقٍ عليه منّة، فيُتَمُّه ﷺ كمالاً؛

ولذا قال البوصيري^(١): [البسيط]

كَفَّاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجَزَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيُتَمِّ

قوله: ﴿فَتَاوَى﴾ العامة على قراءته بألفٍ بعد الهمزة رباعياً؛ من: (أَوَاه يُؤْوِيهِ)، وأصله: (أَوَى) بهمزتين: الأولى مفتوحة، والثانية ساكنة، أبدلت الثانية ألفاً، ومصدره: (الإيواء) كـ(الإكرام)، وهو متعدّ باتفاق، وقرئ شذوذاً بغير ألف ثلاثياً؛ كـ(رمى)، ومصدره: (إِوَاء) بوزن (كِتَاب) و(أَوِيَّ) بوزن (فَعُول) بالضم، و(أَوَى) بوزن (ضَرَبَ)، وهو يستعمل لازماً ومتعدياً^(٢).

قوله: (بأن ضمك إلى عمك أبي طالب) أي: بعد وفاة جدك عبد المطلب. وقيل: هو من قولهم: (درة يتيمة)، والمعنى: ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير، فأواك إليه، وشرّفك بنبوته، واصطفاك برسالته؟

(١) كما في قصيدته المشهورة «البردة».

(٢) قرأ أبو الأشهب: (فأوى) ثلاثياً. انظر «الدر المصون» (١١/٣٩).

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ الْآنَ مِنَ الشَّرِيعَةِ ﴿فَهَدَى﴾ أَي: هَدَاكَ إِلَيْهَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ الْآنَ مِنَ الشَّرِيعَةِ (أي: وجدك خالياً من الشريعة، فهذا بإنزالها إليك، والمراد بضلاله: كونه من غير شريعة، وليس المراد الانحراف عن الحق؛ لكونه مستحيلاً عليه؛ قبل النبوة وبعدها، فهذا كقوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ﴾ [الشورى: ٥٢].

وما ذكره المفسر أحد أقوال في تفسير الآية، وقيل: الضلال بمعنى: الغفلة، قال تعالى: ﴿وَلَنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، وهو قريب من الأول، وقيل: وجدك ضالاً عن الهجرة، فهذاك إليها، وقيل: ناسياً شأن الاستثناء حين سُئِلَتْ عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فذكرك، وقيل: وجدك طالباً للقبلة، فهذاك إليها، قال تعالى: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ...﴾ [البقرة: ١٤٤] الآية، فيكون الضلال بمعنى: الطلب، والحب قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف: ٩٥] أي: محبتك.

وقيل: إِنَّ حليمة لما قضت حق الرضاع.. جاءت برسول الله ﷺ لتردّه على عبد المطلب، فسَمِعَتْ عند باب مَكَّة: (هنيئاً لك يا بطحاء مَكَّة، اليوم يردُّ الله إليك الثور والبهاء والجمال)، قالت: فوضعتُه لأصلح شأني، فسَمِعَتْ هَذِهِ شديدة، فالتفت فلم أره، فقلت: يا معشر النَّاس؛ أين الصبي؟ فقالوا: لم نَر شيئا، فصَحْتُ: وامحمداه؛ فإذا شيخٌ فان يتوكأ على عصاه، فقال: اذهبي إلى الصنم الأعظم؛ فإن شاء أن يرُدّه إليك.. فعل، ثم طاف الشيخ بالصنم وقبَّل رأسه وقال: يا رب؛ أنزل منَّتكَ على قريش وهذه السَّعدية تزعم أنَّ ابنها قد ضَلَّ، فرُدّه إن شئت، فانكَبَّ على وجهه، وتساقطت الأصنام، وقالت: إليك عَنَّا أَيُّهَا الشيخ، فهلاكنا على يدِ محمدٍ، فألقى الشيخُ عصاه وارتعد وقال: إِنَّ لَابْنِكَ رَبًّا لَا يُضَيِّعُهُ، فاطلبيه على مَهَلٍ، فانحشَرَتْ قريشُ إلى عبد المطلب، وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه، فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا، وتضرَّع إلى الله تعالى أن يرُدّه، فسمعوا منادياً ينادي من السَّمَاء: معاشر الناس؛ لَا تَضِجُوا فَإِنَّ لِمُحَمَّدٍ رَبًّا لَا يَخْذِلُهُ وَلَا يُضَيِّعُهُ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا بَوَادِي ثَمَامَةَ عِنْد شَجَرَةِ السَّمُرِ، فسار عبد المطلب هو وورقة ابن نوفل؛ فإذا النبي ﷺ قائمٌ تحت شجرة يلعب بالأغصان وبالورق^(١).

(١) انظر «سبل الهدى والرشاد» (١/٣٩١).

وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾: فقيراً ﴿فَأَغْنَى﴾: أغناكَ بِمَا قَنَعَكَ بِهِ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَغَيْرِهَا؟ وَفِي الْحَدِيثِ:

حاشية الصاوي

وفي رواية: ما زال عبد المطلب يردُّ البيت حتَّى أتاه أبو جهل على ناقَةٍ ومحمَّد ﷺ بين يديه وهو يقول: ألا تدري ماذا جرى من ابنك؟ فقال عبد المطلب: ولم؟ فقال: إنِّي أنخت الناقة وأركبته خلفي، فأبت الناقة أن تقوم، فلمَّا أركبته أمامي.. قامت الناقة^(١). قال ابن عباس: (ردَّه الله تعالى إلى جدِّه بيد عدوِّه؛ كما فعل بموسى عليه السلام حين حَفِظَه عند فرعون).

وقيل: إنَّه عليه السَّلام خرج مع عمِّه أبي طالب في قافلة ميسرة عند خديجة، فبينما هو راكب ذات ليلة مُظلمة ناقَةً، فجاء إبليس فأخذ بزمام الناقة، فعَدَلَ بها عن الطريق، فجاء جبريل عليه السَّلام فنفخ إبليس نفخةً وقع منها إلى أرض الحبشة، وردَّه إلى القافلة^(٢).

قوله: ﴿عَائِلًا﴾ هذه قراءة العامة، يقال: (عَالَ زيدٌ) أي: افتقر، و(أعَالَ): كثرَت عيَالُهُ، وقرئ شذوذاً: (عَيْلاً) بكسر الياء المشدَّدة^(٣).

قوله: (بما قَنَعَكَ به) أي: بما رَضَّاكَ به، وقوله: (من الغنيمة) أي: وإن كانت لم تحصل إلَّا بعد نزول هذه السُّورة، لكن لما كان الجهادُ معلومَ الوقوع.. كان كالواقع.

وقيل: أغناكَ بِمَالِ خَدِيجَةَ، وتربية أبي طالب، ولما اختلَّ ذلك.. أغناه بِمَالِ أَبِي بَكْرٍ، ولما اختلَّ ذلك.. أمره بالجهاد، وأغناه بِالْغَنَائِمِ؛ لما روي «جعل رزقي تحت ظلِّ سيفي ورمحي»^(٤).

قوله: (وغيرها) أي: كمالِ خديجة، ومال أبي بكر، وبإعانة الأنصار حين الهجرة.

(١) انظر «السيرة الحلبية» (١/١٣٩)، والبيت الذي كان يُردُّه عبد المطلب:

يَا رَبِّ رُدَّ وَلَدِي مُحَمَّداً أَرُدُّهُ رَبِّي وَأَتَّخِذُ عِنْدِي يَدَا
يَا رَبِّ إِنَّ مُحَمَّداً لَمْ يُوجَدْ فَشَمِلُ قَوْمِي كُلَّهُمْ تَبَدَّداً

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٢٠/٩٨).

(٣) وبها قرأ اليماني. انظر «الدر المصون» (١١/٤٠).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/٥٠) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما، وأورده البخاري تعليقاً في كتاب الجهاد، باب: ما يُذكر في الرماح.

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

«لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ».

(٩ - ١١) ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ بِأَخْذِ مَالِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾: تَرْجُؤُهُ لِفَقْرِهِ، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (عن كثرة العرض) بفتح الحين: المال، وفي الحديث: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آناه»^(١).

قوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ﴾ منصوبٌ بـ﴿تَقْهَرْ﴾، وهذا مفرّع على قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَحَافِيًا﴾، فالمعنى: اصنع مع عبادي كما صنعتُ معك.

قوله: (بأخذ ماله) أي: كما كانت العرب تفعل في أموال اليتامى؛ تأخذ أموالهم، وتظلمهم حقوقهم، وروي: أنه ﷺ قال: «خيرُ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُحَسَّنُ إليه، وشرُّ بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُسَاءُ إليه، ثمَّ قال بأصبعه: أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وهو يشير بأصبعه^(٢).

قوله: (أو غير ذلك) أي: كإذلاله واحتقاره.

قوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ﴾ منصوبٌ بـ﴿تَنْهَرْ﴾، والمعنى: إمَّا أَنْ تُطْعِمَهُ، أَوْ تَرُدَّهُ بِرَفْقٍ، وقيل: المراد بالسائل: ما يشمل طالب العلم، فيكرمه وينصفه، ولا يعبسُ في وجهه، ولا يتلقاه بمكروه، وهذا العموم أولى، وهو مفرّع على قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنِي﴾، والمعنى: أغْنِ عبادي وأعْطِهِمْ كما أغْنَيْتُكَ وأَعْطَيْتُكَ.

قوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾... إلخ) هذا عامٌّ، وإنَّما أُخِّرَ حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ حَقِّ الْيَتِيمِ وَالسَّائِلِ؛ لِأَنَّهُمَا مُحْتَاجَانِ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ، وَتَقْدِيمُ الْمُحْتَاجِ أَوْلَى، وَلِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ جَمِيعِ الطَّاعَاتِ اسْتِغْرَاقُ الْقَلْبِ فِي ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَشُكْرِهِ، فَخُتِمَتْ بِهِ لِلْعَمُومِ.

(١) رواه مسلم (١٠٥٤) عن سيدنا عبد الله بن عمرو ؓ.

(٢) رواه ابن ماجه (٣٦٧٩) عن سيدنا أبي هريرة ؓ، وليس فيه: (أنا وكافل... إلخ)، وهي عند الإمام ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (٦٥٤).

فَحَدَّثَ ﴿١١﴾

عَلَيْكَ بِالنُّبُوَّةِ وَغَيْرِهَا ﴿فَحَدَّثَ﴾ : أَخْبَرَ - وَحَذَفَ ضَمِيرُهُ ﷺ فِي بَعْضِ الْأَفْعَالِ رِعَايَةً لِلْفَوَاصِلِ - .

حاشية الصاوي

قوله : ﴿فَحَدَّثَ﴾ أي : بالنُّعْمَةِ ؛ لِأَنَّ التَّحَدُّثَ بِهَا هُوَ شُكْرُهَا ، وَالتَّحَدُّثُ بِالنُّعْمَةِ جَائِزٌ لغيره ﷺ إِذَا قَصَدَ بِهِ الشُّكْرَ ، وَأَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ غَيْرُهُ ، وَأَمِنْ عَلَى نَفْسِهِ الْغُرُورَ وَالْكِبَرَ ، قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ : (إِذَا عَمِلْتَ خَيْرًا . . فَحَدَّثْ بِهِ إِخْوَانَكَ ؛ لِيَقْتَدُوا بِكَ) ^(١) .

ووردَ : أَنَّ شَخْصًا كَانَ جَالِسًا عِنْدَهُ ﷺ ، فَرَأَاهُ رَثَّ الثِّيَابِ ، فَقَالَ لَهُ : «أَلَمْ يَكُنْ مَا؟» قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ لَهُ : «إِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا . . فَلْيَرِثْ أَثَرَهُ عَلَيْكَ» ^(٢) ، وَوردَ : «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، وَيُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ النُّعْمَةِ عَلَى عَبْدِهِ» ^(٣) .

وقوله : (بِالنُّبُوَّةِ وَغَيْرِهَا) أي : مِنَ الْعُلُومِ وَالْقُرْآنِ وَسَائِرِ عَطَايَاهُ الَّتِي لَا تَنْتَاهِي ، وَقَدْ فَعَلَ ﷺ ؛ فَحَدَّثَ بِمَا أَعْطَاهُ رَبُّهُ مِنَ النُّعْمِ ، فَبَلَّغَ الْقُرْآنَ ، وَنَشَرَ الْعُلُومَ ، وَأَعْطَى حَقُوقَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ .
قوله : (فِي بَعْضِ الْأَفْعَالِ) أي : وَهُوَ ﴿فَتَأَوَّى﴾ ﴿فَهَدَى﴾ ﴿فَأَغْنَى﴾ ، وَالْأَصْلُ : فَأَوَّاكَ ، فَهَذَاكَ ، فَأَغْنَاكَ .



(١) أوردته العلامة الخطيب في «السراج المنير» (٥٥٤/٤) .

(٢) رواه النسائي في «المجتبى» (١٨٠/٨) عن سيدنا مالك بن نضلة الجشمي ﷺ .

(٣) رواه أبو يعلى في «مُسْنَدِهِ» (١٠٥٥) ، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٥٧٩٠) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ ، وَأَوَّلُهُ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٩١) عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ .

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾



مَكِّيَّة، ثَمَانِ آيَاتٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٤) ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ - اسْتَفْهَامُ تَقْرِيرٍ - أَي: شَرَحْنَا ﴿لَكَ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿صَدْرَكَ﴾

بِالنَّبُوءَةِ وَغَيْرِهَا،

حَاشِيَةُ الصَّاوِي

سُورَةُ الشَّرْحِ

(مَكِّيَّة) أَي: فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّهَا مَدَنِيَّةٌ^(١).

قوله: (استفهامُ تقريرٍ) أَي: وَهُوَ حَمْلُ الْمُخَاطَبِ عَلَى الْإِقْرَارِ بِمَا بَعْدَ النْفْيِ؛ لِأَنَّ الاسْتَفْهَامَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَعْنَى... قَرَّرَهُ، فَصَارَ مَعْنَاهُ: قَدْ شَرَحْنَا؛ وَلِذَلِكَ عَظِفَ عَلَيْهِ الْمَاضِي، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ الْإِنْشَاءُ حَتَّى يُقَالَ: يَلْزَمُ عَلَيْهِ عَظِفُ الْخَبَرِ عَلَى الْإِنْشَاءِ فِيمَا لَا مَحَلَّ لَهُ مِنَ الْإِعْرَابِ، وَهُوَ مُرَدُّ أَوْ ضَعِيفٌ، بَلِ الْمُرَادُ: لَازِمُهُ، وَهُوَ الْإِخْبَارُ بِشَرْحِ الصَّدْرِ وَمَا بَعْدَهُ، فَهَذِهِ السُّورَةُ مِنْ جُمْلَةِ النُّعَمِ الَّتِي أُمِرَ بِالتَّحَدُّثِ بِهَا فِي السُّورَةِ قَبْلَهَا.

قوله: (أَي: شَرَحْنَا) الشَّرْحُ فِي الْأَصْلِ: بَسَطُ اللَّحْمِ وَنَحْوِهِ، يُقَالُ: (شَرَحْتُ اللَّحْمَ): بَسَطْتَهُ وَشَقَّقْتَهُ، وَالْمُرَادُ هُنَا: تَوْسِيعَةُ الصَّدْرِ بِالنُّورِ الْإِلَهِيِّ؛ لِيَسَعَ مَنَاجَاةَ الْحَقِّ، وَدَعْوَةَ الْخَلْقِ، فَصَارَ مَهَبِطَ الرَّحْمَاتِ، وَمَنْبَعُ الْبَرَكَاتِ.

قوله: (بِالنَّبُوءَةِ وَغَيْرِهَا) رَوَى: «أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَاهُ وَهُوَ عِنْدَ مُرَضَعَتِهِ حَلِيمَةً، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ سِنِينَ أَوْ أَرْبَعٍ، فَشَقَّ صَدْرَهُ، وَأَخْرَجَ قَلْبَهُ، وَغَسَلَهُ وَنَقَّاهُ، وَمَلَأَهُ عِلْمًا وَإِيمَانًا، ثُمَّ رَدَّهُ

(١) كَذَا نَقَلَهُ الْبَقَاعِيُّ فِي «مَصَاعِدِ النَّظَرِ» (٢٠٧/٣)، وَنَقَلَ ابْنُ عَطِيَّةٍ فِي «الْمَحَرَّرِ الْوَجِيزِ» (٤٩٦/٥) الْإِجْمَاعَ عَلَى كَوْنِهَا مَكِّيَّةً.

وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾

﴿وَوَضَعْنَا﴾ : حَطَطْنَا ﴿عَنْكَ وَزْرَكَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ﴾ : أَثْقَلَ ﴿ظَهْرَكَ﴾ وهذا كَقَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ [الفتح: ٢] ،

حاشية الصاوي

في صدره^(١) . وحكمة ذلك : لينشأ على أكمل حال ، ولا يعبث كالأطفال ، وشقاً أيضاً عند بلوغه عشر سنين ؛ ليأتي عليه البلوغ وهو على أجمل الأخلاق وأطيبها ، وعند البعثة ؛ ليتحمل القرآن والعلوم ، وليلة الإسراء ؛ لينتهي لملاقة أهل الملأ الأعلى ، ومناجاة الحق جلّ جلاله ومشاهدته وتلقيه عنه ؛ فمرأت الشق أربع ؛ زيادة في تنظيفه وتطهيره ؛ ليكون كاملاً مكتملاً ، لا يعلم قدره غير ربه^(٢) .

والحكمة في قوله : ﴿لَكَ﴾ ولم يقل : (ألم نشرح صدرك) : التنبية على أن منافع الرسالة عائدة عليه ﷺ ، لا لغرض يعود عليه ، تعالى الله عن الأغراض والعلل .

قوله : ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وَزْرَكَ﴾ معطوف على مدلول الجملة السابقة ، كأنه قال : (قد شرحنا لك صدرك ووضعنا)، و﴿عَنْكَ﴾ : متعلق بـ(وضعنا)، وقدمه على المفعول الصريح ؛ تعجيلاً للمسرة ، وتشويقاً إلى المؤخر .

قوله : ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ الإنقاض في الأصل : الصوت الخفي الذي يُسْمَعُ من الرّحل فوق البعير ؛ من شدة الحمل ، والمراد : لازمه ، وهو الثقل ، وهذا كَقَوْلِهِ : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ﴾ أي : فهو مصروف عن ظاهره ، فيُجاب عنه بأجوبة ؛ منها : أن المراد : وضعنا عنك وزراً أمّتك ، وإنما أضافها إليه ؛ لاشتغال قلبه بها ، قال تعالى : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] ، فأوزار أمته قبل إسلامهم موضوعة عنهم بالإسلام ؛ فلا يؤاخذون بها ؛ لأنّ الإسلام يَجِبُ ما قبله ، وبعد الإسلام يوضع عنهم بالتوبة ، أو شفاعته ﷺ لمن مات مُصِراً .

ومنها : أن المراد : وضعنا عنك أنقال النبوة والتبليغ ؛ وذلك أنه ﷺ كان في ابتداء البعثة يشق عليه الأمر ويقول : أخاف ألا أقوم بحق الدعوة ، فوضعه الله عنه .

(١) رواه مسلم (١٦٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) انظر «سبل الهدى والرشاد» (٢/٦٤) .

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بِأَن تَذَكَّرَ مَعَ ذِكْرِي فِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ وَالشَّهَدِ وَالْخُطْبَةِ وَغَيْرِهَا .

..... ﴿٥ - ٦﴾ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾ :

حاشية الصاوي

ومنها: أَنَّ المراد بالوزير: خلاف الأولى، فكان إذا ارتكبه وعاتبه الله عليه.. ثَقُلَ ذلك الأمرُ عليه وشقٌّ، وتسميته (وزراً) بالنسبة لمُقابله؛ من باب: (حسناتُ الأبرار سيئاتُ المقربين)؛ كإذنيه للمنافقين في التخلُّف حين اعتذروا، وأخذِهِ الفداء من أسارى بدرٍ، ونحو ذلك.

ومنها: أَنَّ المراد بالوضع: العصمة، فالمعنى: عصمتناك من الوزر ابتداءً وانتهاءً، فلم تُقدَّر عليك وزراً أصلاً، وكلُّ من هذه الأجوبة صحيحٌ، ولا مانع من حمل الآية على الجميع.

قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أي: أعلنناه فذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك، وأمرناهم بالبشارة بك، ولا دينَ إلَّا ودينُكَ يظهرُ عليه، وأخذنا على الأنبياء العهدَ إن ظهرت وأحدُهم حيٌّ.. ليؤمننَّ بك، ولينصرتنَّك، وهم يأخذون على أميهم ذلك العهد؛ كما تقدَّم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ...﴾ [آل عمران: ٨١] الآية^(١)، وفي هذا المعنى قال البوصيري^(٢): [الخفيف]

مَا مَضَتْ فِتْرَةٌ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا بَشَّرْتُ قَوْمَهَا بِكَ الْأَنْبِيَاءِ
والحكمة في زيادة ﴿لَكَ﴾: ما سبق من أَنَّ رفع الذكر عائدٌ ثمرته عليه، لا لغرضٍ يعودُ عليه تعالى.

قوله: (والخطبة) أي: على المنابر، وخطبة النكاح.

قوله: (وغيرها) أي: كيوم الفطر والأضحى، ويوم عرفة، وأيام التشريق، وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، ومشارق الأرض ومغارِبها، ولو أَنَّ رجلاً عَبَدَ الله تعالى وصدَّقَ بالجنة والنَّارِ وكلِّ شيءٍ، ولم يشهد أَنَّ محمداً رسولُ الله.. لم يَنْتَفِعْ بشيءٍ، وكان كافراً.

قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ «مع» بمعنى (بعد)، وعَبَّرَ بها؛ إشارةً إلى أَنَّ اليسرَ يجيءُ عقب العسرِ بسرعة، كأنَّه مقارِنٌ له؛ زيادةً في التسليّة وتقوية القلوب.

(١) انظر (١/٥٤٦).

(٢) كما في قصيدته المشهورة «الهمزية». انظر «المنح المكية» (ص ١٠٤).

﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾

الشَّدَّة ﴿يُسْرًا﴾: سُهولة، ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، والنَّبِيُّ ﷺ قَاسَى مِنَ الْكُفَّارِ شِدَّةً ثُمَّ حَصَلَ لَهُ الْيُسْرُ بِنَصْرِهِ عَلَيْهِم.

﴿٧﴾ - ﴿٨﴾ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ مِنَ الصَّلَاةِ ﴿فَانصَبْ﴾: اتَّعَبَ فِي الدُّعَاءِ،

حاشية الصاوي

و(أل) في (العسر) الأوَّل: للجنس، وفي الثاني: للعهد الذكري؛ ولذلك وردَ في الحديث لما نزلت هذه الآية، قال عليه الصلاة والسلام: «أبشروا؛ قد جاءكم اليسرُ، لن يغلب عسرُ يُسرَيْن»^(١)، ووردَ: «لو كان العسرُ في جحرٍ.. لطلبه اليسرُ حتَّى يدخل عليه؛ إنَّه لن يغلب عسرُ يُسرَيْن»^(٢).

قوله: (الشَّدَّة) أي: المشاقُّ التي تحصل للشَّخص في الدنيا أو الآخرة، وقوله: (سهولة) أي: تحصل في الدنيا أو الآخرة. والتَّكْيِيرُ في ﴿يُسْرًا﴾ للتَّخْفِيمِ والتَّعْظِيمِ.

قوله: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ جَرَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ أَنَّهَا إِذَا ذَكَرَتْ اسْمًا مُعْرَفًا ثُمَّ أَعَادَتْهُ.. كَانَ الثَّانِي هُوَ الْأَوَّلُ؛ وَإِذَا ذَكَرَتْ اسْمًا نَكْرَةً ثُمَّ أَعَادَتْهُ.. كَانَ الثَّانِي غَيْرَ الْأَوَّلِ، فَجَاءَ الْقُرْآنُ عَلَى أَسْلُوبِهِمْ؛ ففِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْيُسْرَ غَالِبٌ عَلَى الْعُسْرِ، وَوَجْهُ ذَلِكَ: أَنَّ الْعُسْرَ الَّذِي يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ فِي الدُّنْيَا لَا يَدُلُّهُ مِنْ يُسْرٍ فِي الدُّنْيَا، وَيُسْرٍ فِي الْآخِرَةِ؛ فَيُسْرُ الدُّنْيَا مَا ذَكَرَهُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى، وَيُسْرُ الْآخِرَةِ مَا ذَكَرَهُ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ، وَمَعْلُومٌ: أَنَّ يُسْرَ الْآخِرَةِ دَائِمٌ أَبَدًا غَيْرُ زَائِلٍ، فَنفِيُ غَلْبَةَ الْعُسْرِ لِلْيُسْرِينِ إِنَّمَا هُوَ بِالنِّسْبَةِ لِيُسْرِ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْآخِرَةُ.. فَلَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ إِلَّا الْيُسْرُ، فَتَدَبَّرْ، قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي هَذَا الْمَعْنَى^(٣): [الوافر]

فَلَا تَيَأْسُ إِذَا أَعْسَرْتَ يَوْمًا فَقَدْ أَيَسَّرْتَ فِي دَهْرٍ طَوِيلٍ
فَلَا تَظُنُّنْ بِرَبِّكَ ظَنًّا سَوْءً فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ
فَإِنَّ الْعُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسَارٌ وَقَوْلُ اللَّهِ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلٍ

قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ مِنَ الصَّلَاةِ... إلخ) ما ذكره المفسِّرُ أَحَدُ أَقْوَالٍ، وَقِيلَ: إِذَا فَرَغْتَ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٩٥/٢٤)، وأورده البخاري تعليقاً في كتاب التفسير، باب: سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾.

(٢) رواه البيهقي في «شُعَبُ الْإِيمَانِ» (٩٥٣٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٩٧٧) عن سيدنا عبد الله بن مسعود ؓ.

(٣) نُسِبَتِ الْآيَاتُ لِسَيِّدِنَا عَلِيِّ ؓ؛ كَمَا فِي «ديوانه» (ص ١١٤).

وَلَا رِيكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

﴿وَلَا رِيكَ فَارْغَب﴾ : تَضَرَّع.

حاشية الصاوي

من دنياك.. فصل، وقيل: إذا فرغت من الفرائض.. فانصب في قيام الليل، وقيل: إذا فرغت من التشهد.. فادعُ لدنياك وآخرتك، وقيل: إذا فرغت من تبليغ الرسالة.. فانصب: استغفر لذنبك وللمؤمنين، والحملُ على العموم أولى، قال عمر بن الخطاب: (إني أكره أن أرى أحدكم فارغاً؛ لا في عمل الدنيا، ولا في عمل الآخرة)^(١)، وفي الحديث: «إن الله يكره العبدَ البطال»^(٢).

قوله: ﴿وَلَا رِيكَ فَارْغَب﴾ أي: اجعل رغبتك إلى ربك الذي أحسن إليك بفضائل النعم في جميع أحوالك، لا إلى أحدٍ سواه، فالمطلوب من الشخص أن يرى ساعياً في حسنةٍ لمعاده، أو درهمٍ لمعاشه، ويكون أكبر همّه الآخرة.

فائدة: ذكر بعض الصالحين خواصَّ لهذه السورة:

منها: أن مَنْ كتبها في إناءٍ من الزجاج، ومحاها بماءٍ وردٍ، وشربها.. يزول عنه الهمُّ والحزن وضيقُ الصدر.

وتكتب في مطلق إناءٍ وتمحى بماءٍ وتشرب؛ للحفظ والفهم.

ومَنْ لازمها عقب الصلوات الخمس عشرَ مرَّاتٍ.. حصل له التيسير في الرزق، والتوفيق في العبادة.

ولقضاء ما أهمَّ العبدَ: يُصلي ركعتين، ويجلس مستقبلاً على طهارة، ويقرأها عدَّةَ حروفها؛ مثلاً وثلاثة، ثمَّ يدعو بما أهمَّه.. يُستجاب له إن شاء الله تعالى، وهو مجربٌ صحيح.



(١) رواه أبو داود في «الزهد» (١٧٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/١٣٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٥٣٩) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) قال الزركشي في «الأحاديث المشتهرة» (ص ١٣٤): (لم أجده، ولكن روى ابن عدي: «إن الله يُحبُّ المؤمنَ المحترف» من جهة أبي الربيع السمان أشعث بن سعيد عن عاصم بن عبيد الله عن سالم عن أبيه مرفوعاً).

﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ (١)



مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ، ثَمَانِ آيَاتٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ (١ - ٣) أَي: المَأْكُولِينَ،

حاشية الصاوي

سُورَةُ التِّينِ

(مَكِّيَّةٌ) أَي: فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ، وَقَوْلُهُ: (أَوْ مَدَنِيَّةٌ) أَي: فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ^(١).

قَوْلُهُ: (﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾... إلخ) أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَقْسَامٍ أَرْبَعَةٍ عَلَى مُقْسَمٍ وَاحِدٍ؛ تَعْظِيمًا لِلْمُقْسَمِ بِهِ، وَغَرَابَةِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ.

قَوْلُهُ: (أَي: المَأْكُولِينَ) هُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢)، وَخَصَّ التِّينَ؛ لِأَنَّهُ فَاكِهَةٌ وَغِذَاءٌ، وَيُشَبِّهُ فَوَاكِهَ الْجَنَّةِ؛ لِكَوْنِهِ بِلَا عَجَمٍ، وَمِنْ خَوَاصِّهِ: أَنَّهُ طَعَامٌ لَطِيفٌ سَرِيعُ الْإِنْهَضَامِ، لَا يَمْكُثُ فِي الْمَعْدَةِ، يَخْرُجُ رَشْحًا، وَيُلِينُ الطَّبْعَ، وَيُقَلِّلُ الْبَلْغَمَ، وَيُطَهِّرُ الْكَلِيتَيْنِ، وَيُزِيلُ مَا فِي الْمَثَانَةِ مِنَ الرَّمْلِ - وَهُوَ مَرَضٌ يَسْتَوْلِي عَلَى مَقَرِّ الْبُولِ، فَيَحْجِزُ الْمَاءَ عَنِ الْخُرُوجِ بِأَجْزَاءٍ دَقِيقَةٍ كَالرَّمْلِ، يَعْسرُ مَعَهَا الْبُولُ، وَيَتَأَذَّى بِهِ الْإِنْسَانُ، فَإِذَا زَادَ.. صَارَ حَصَاةً - وَيَفْتَحُ سَدَّ الْكَبِدِ وَالطَّحَالِ، وَيُسَمِّنُ الْبَدَنَ، وَيَقْطَعُ الْبَوَاسِيرَ، وَيُطَوِّلُ الشَّعْرَ، وَهُوَ أَمَانٌ مِنَ الْفَالَجِ، وَمَنْ أَكَلَهَا مَنَامًا.. نَالَ مَالًا، وَرَزَقَهُ اللَّهُ أَوْلَادًا، وَقَدْ تَسَرَّ آدَمُ بِبُورْقِ التِّينِ حِينَ خَرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ.

وَأَمَّا الزَّيْتُونُ.. فَهُوَ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ، فِيهِ إِدَامٌ وَدُهْنٌ، يُؤْكَلُ وَيُسْتَصْبَحُ بِهِ، وَشَجَرَتُهُ فِي أَغْلَبِ

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١١٠/٢٠).

(٢) انظر المصدر السابق.

وَطُورٍ سَيْنِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا أَلْبَدُ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾

أَوْ جَبَلَيْنِ بِالشَّامِ يُنْبِتَانِ الْمَأْكُولَيْنِ، ﴿وَطُورٍ سَيْنِينَ﴾: الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مُوسَى، وَمَعْنَى ﴿سَيْنِينَ﴾ الْمُبَارَكُ أَوْ الْحَسَنُ بِالشَّامِ بِأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ، ﴿وَهَذَا أَلْبَدُ الْأَمِينِ﴾: مَكَّةَ لِأَمْنِ النَّاسِ فِيهَا جَاهِلِيَّةً وَإِسْلَامًا.

﴿٤﴾ - ﴿٦﴾ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾: الْجِنْسَ ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: تَعْدِيلَ لِصُورَتِهِ،

حاشية الصاوي

البلاد، ولا يحتاج إلى خدمة وتربية، ويثبت في الأرض ألوفاً من السنين، ومن رأى ورق الزيتون في المنام.. استمسك بالعروة الوثقى.

قوله: (أو: جبلين بالشام) ما ذكره المفسر قولان من أقوال كثيرة في المراد به (التين والزيتون)، ومنها: أن التين: مسجد نوح عليه السلام الذي بُني على الجودي، والزيتون: مسجد بيت المقدس، ومنها: أن التين: المسجد الحرام، والزيتون: المسجد الأقصى، ومنها: أن التين: مسجد دمشق، والزيتون: مسجد بيت المقدس، ومنها غير ذلك.

قوله: (الجبل الذي كلم الله عليه موسى) أي: وهو جبل عظيم، فيه عيون وأشجار.

إن قلت: كيف ذلك مع قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ رِيبَهُ، لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] المقتضي أنه دُكَّ ولم يَبْقَ له أثر؟ أجيب: بأنه مَتَّسَعٌ، والذي دُكَّ قطعة منه^(١).

قوله: (ومعنى «سينين»: المبارك) أي: فهو من إضافة الموصوف لصفته. و(سينين) يجوز أن يُعْرَبَ بالحركات الثلاث على النون مع لزومه الياء في أحواله كلها، ويكون ممنوعاً من الصرف للعلمية والعجمة؛ لأنه عَلِمَ على البقعة أو الأرض، وأن يُعْرَبَ كجمع المذكر السالم؛ بالواو رفعاً، وبالياء نصباً وجراً.

قوله: (لأمن الناس فيها) أي: فلا يُنْفَرُ صيدها، ولا يُقَطَّعُ شجرها.

قوله: (الجنس) أي: الماهية من حيث هي الشاملة للمؤمن والكافر.

قوله: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أي: في أعدل قامه، وأحسن صورة، يتناول مأكوله بيده، مزيئاً بالعلم والفهم، والعقل والتَّمْيِيزُ، والنُّطْقُ والأدب.

(١) في (ط٢): زيادة: (وتخصيصه: لكونه مباركاً، تشرّف بتكليم موسى ربّه عليه)، وقد شطب عليها في (أ).

ثُمَّ رَدَدَتْهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾

﴿ثُمَّ رَدَدَتْهُ﴾ في بعض أفرادِه ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ كناية عن الهرم والضعف، فينقص عمل المؤمنين عن زمن الشباب ويكون له أجره؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا﴾ أي: لكن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: مقطوع، وفي الحديث: «إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل، كُتِبَ له ما كان يعمل».

حاشية الصاوي

قوله: (في بعض أفرادِه) أشار بذلك إلى أن في الآية استخداماً؛ حيث ذكر الإنسان أولاً بمعنى وهو الجنس، ثم أعاد الضمير عليه بمعنى آخر وهو الإنسان بمعنى: بعض أفرادِه.

قوله: ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ السَّافِلُونَ هم: الصغار، والرَّمَى، والأطفال؛ فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء؛ لأنه لا يستطيع حيلة، ولا يهتدي سبيلاً؛ لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله، وثقله على أهله وجيرانه.

قوله: (كناية عن الهرم والضعف) أي: فالمعنى: ثم جعلناه ضعيفاً هرمًا، فهو بمعنى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرْءُ إِلَهُ أَزْدَلِ الْأَعْمُرِ﴾ [النحل: ٧٠]، ﴿وَمَنْ تُعَمِّرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [يس: ٦٨]، وما ذكره المفسر أحد قولين في المراد بالرد إلى أسفل سافلين، والآخر: أن المراد: رددناه إلى النار؛ لأنها دركات بعضها أسفل من بعض.

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾... إلخ مشى المفسر على أن الاستثناء منقطع، وحينئذ: فيكون المعنى: ثم رددناه أسفل سافلين، فزال عقله، وانقطع عمله؛ فلا يكتب له حسنة، لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها إلى أيام الشيخوخة والهرم والضعف. . فإنه يُكْتَبُ لهم بعد الهرم والخرف مثل الذي كانوا يعملونه في حال الشباب والصحة، وأما على القول الآخر. . فالاستثناء متصل، ويكون المعنى: رددناه أسفل ممن سفل خلقاً وتركيباً، حساً ومعنى، وهم أهل النار إلا الذين آمنوا، فيكون بمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [العصر: ٢-٣].

قوله: (غير مقطوع) أي: أو لا يُمنُّ به عليهم.

قوله: (من الكبر ما يعجز) (من): تعليلية، و(ما): مفعول به واقعة على زمان، والمعنى: إذا بلغ المؤمن بسبب الكبر زماناً يعجز فيه عن العمل، وفي بعض النسخ: (ما يعجزه)، وحينئذ: فيكون (من الكبر) بيان^(١) لـ(ما) مقدماً عليه، والمعنى: إذا بلغ المؤمن كبراً يعجزه عن العمل.

(١) كذا في الأصول، وسيأتي العبارة يقتضي النصب خبراً لـ(يكون).

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ﴾ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

(٧ - ٨) ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أيها الكافر ﴿بَعْدُ﴾: بعد ما ذُكِرَ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، ثُمَّ رُدِّهِ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ الدَّالِّ عَلَى الْقُدْرَةِ عَلَى الْبَعْثِ ﴿بِالذِّينِ﴾: بِالْجَزَاءِ الْمَسْبُوقِ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ؟ أَي: مَا يَجْعَلُكَ مُكَذِّبًا بِذَلِكَ وَلَا جَاعِلَ لَهُ؟ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾؟ أَي: هُوَ أَقْضَى الْقَاضِيَيْنِ وَحُكْمُهُ بِالْجَزَاءِ مِنْ ذَلِكَ، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ قَرَأَ ﴿وَالذِّينِ﴾ إِلَى آخِرِهَا فَلْيَقُلْ: بَلَى، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ».

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾﴾ الاستفهام إنكاريٌّ، والخطاب للإنسان الكافر بطريق الالتفات، والمعنى: فما الذي يَحْمِلُكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى التَّكْذِيبِ بِالْبَعْثِ؟ أَي: أَيُّ سَبَبٍ يَحْمِلُكَ عَلَى التَّكْذِيبِ؟ فِي الْكَلَامِ تَعْجُّبٌ وَتَعْجِيبٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا قَرَّرَ أَنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَّهُ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ. دَلٌّ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ عَلَى الْإِنْشَاءِ وَالْإِعَادَةِ، فَسَأَلَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ تَكْذِيبِ الْإِنْسَانِ بِالْجَزَاءِ؛ لِأَنَّ مَا يَتَعْجَّبُ مِنْهُ يَخْفَى سَبَبُهُ، وَهَذَا مَا مَشَى عَلَيْهِ الْمَفْسَّرُ.

وقيل: إِنَّ (مَا) بِمَعْنَى (مَنْ)، وَالْخَطَابُ لَهُ ﷺ، وَالْمَعْنَى: فَمَنْ يَكْذِّبُكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ بَعْدَ ظَهْوَرِ الدَّلَائِلِ الْقَطْعِيَّةِ عَلَى تَصْدِيقِكَ؟

قوله: (وَحُكْمُهُ بِالْجَزَاءِ) مَبْتَدَأٌ، وَقَوْلُهُ: (مَنْ ذَلِكَ) أَي: مِنْ جَمَلَةِ قَضَائِهِ، خَبْرُهُ.





مَكِّيَّة، تِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً. صَدَرُهَا إِلَى ﴿مَا لَمْ يَلَمْ﴾ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ

حاشية الصاوي

سُورَةُ ﴿أَقْرَأُ﴾

وَفِي نُسخة: (سورة العلق)، وَفِي أُخْرَى: (سورة القلم)؛ فَاسْمَاؤُهَا ثَلَاثَةٌ.

قَوْلُهُ: (أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ) أَي: ثُمَّ بَعْدَهُ ﴿ت وَالْقَلَمِ﴾، ثُمَّ (المزمل)، ثُمَّ (المدثر)، هَكَذَا قَالَ الْخَازَنُ^(١)، وَلَكِنْ الْمَشْهُورُ عَنْ غَيْرِهِ: أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ بَعْدَ (اقرأ) سُورَةُ (المدثر)^(٢).

وَاخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي تَرْتِيبِ سُورِ الْقُرْآنِ، وَالصَّحِيحُ: أَنَّ اخْتِلَافَهُمْ كَانَ قَبْلَ عَرْضِ الْقُرْآنِ عَلَى جَبْرِيلَ فِي الْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ، وَمِنْ يَوْمِ الْعَرْضِ الْمَذْكُورِ رَتَّبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ الْآنَ. عَنْ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: (سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: إِنَّمَا أَلْفَ الْقُرْآنِ عَلَى مَا كَانُوا يَسْمَعُونَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)^(٣)، وَذَكَرَ أَبُو بَكْرُ بْنُ الْأَنْبَارِيُّ فِي كِتَابِ «الرَّد»^(٤): (أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ الْقُرْآنَ جُمْلَةً إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ فَرَّقَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي عَشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَتِ السُّورَةُ تَنْزِلُ فِي أَمْرٍ يَحْدُثُ، وَالْآيَةُ تَنْزِلُ جَوَابًا لِمُسْتَخِيرٍ يَسْأَلُ، وَيُوقَفُ جَبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى مَوْضِعِ السُّورَةِ وَالْآيَةِ، فَانْتِظَامُ السُّورِ كَانَتْظَامِ الْآيَاتِ وَالْحُرُوفِ، فَكُلُّهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَمِنْ آخِرِ سُورَةٍ مُقَدَّمَةٍ، أَوْ قَدَّمَ أُخْرَى مُؤَخَّرَةً. كَمَنْ أَفْسَدَ نَظْمَ الْآيَاتِ، وَغَيَّرَ الْحُرُوفَ وَالْكَلِمَاتِ، وَلَا حُجَّةَ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ فِي تَقْدِيمِ «البقرة» عَلَى «الأنعام» وَ«الأنعام» نَزَلَتْ قَبْلَ «البقرة»؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ عَنْهُ هَذَا التَّرْتِيبَ، وَهُوَ كَانَ يَقُولُ: «صَعُّوا هَذِهِ السُّورَةَ مَوْضِعَ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْقُرْآنِ»، وَكَانَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُوقِفُهُ عَلَى مَكَانِ الْآيَاتِ). انْتَهَى^(٥).

(١) «تفسير الخازن» (٤/٣٦٢).

(٢) انظر في أول (المدثر).

(٣) أورده القرطبي في «تفسيره» (١/٦٠)، وابنُ كثيرٍ في «فضائل القرآن» (ص ١٤٤).

(٤) المسمَّى: (الرَّد على مَنْ خَالَفَ مصحف عثمان).

(٥) انظر النَّقْلَ عَنْ ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ فِي «تفسير القرطبي» (١/٦٠).

بِغَارِ حِرَاءَ . رواه البخاريُّ .

حاشية الصاوي

إن قلت: حيث كان الجمع والترتيب من الله . . فما معنى قولهم: (إنَّ عثمان بن عفان جامع القرآن)؟

فالجواب: أنَّ النبي ﷺ نُقِلَ عنه القرآن وترتيبه حفظاً لا وضعاً في المصاحف، وعثمانُ جمعه في المصحف على طبق الحفظ المروي عن رسول الله؛ فإنَّ المحفوظ كان مُفَرَّقاً في صدور الرجال، وفي صُحُفٍ غير كاملة، فليُفهم هذا المقام.

قوله: (رواه البخاري) أي: وعبارته: عن عائشة أم المؤمنين أنَّها قالت: (أول ما بدئ رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، وكان لا يرى رؤياً إلا كانت مثل فلق الصبح، ثم حُبَّ إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، ويتحنَّث فيه الليالي ذوات العدد، ثم يرجع إلى خديجة ويتزوَّد لمثلها، حتَّى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: «اقرأ»، قال: «ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتَّى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتَّى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتَّى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني قال: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝﴾ حتَّى بلغ ﴿مَآ لِرَّبِّكَ بِعَلَمٍ﴾، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف بها فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: «زملوني زملوني»، فزملوه حتَّى ذهب عنه الروح، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيتُ على نفسي»، فقالت له خديجة: كلاً أبشر، فوالله لا يُخزيك الله أبداً؛ إنَّك لتصلُ الرَّحْمَ، وتصدقُ الحديث، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المعدوم، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتَّى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عمِّ خديجة، وكان ممَّن تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عمِّ؛ اسمع من ابن أخيك، فقال: يا ابن أخي؛ ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حيّاً إذ يُخرجك قومك، فقال له رسول الله ﷺ: «أوُمخرجي هم؟» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به . . إلا عودي، وإن يدركني يومك حيّاً . . أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم يلبث ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة حتَّى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غداً منه مِراراً إلى أن يتردَّى من رؤوس شواهد الجبال، فلمَّا أوفى بذروة جبل؛ لكي يُلقَى

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿أَقْرَأْ﴾: أَوْجَدَ الْقِرَاءَةَ مُبْتَدِئًا ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الْخَلَائِقَ، ﴿خَلَقَ

الْإِنْسَانَ﴾: الْجِنْسَ

حاشية الصاوي

نَفْسُهُ مِنْهُ .. تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لَذَلِكَ جَاشُهُ، وَتَقَرُّ عَيْنُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ .. غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ الْجَبَلِ لِيُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنْهُ .. تَبَدَّى لَهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ^(١).

قَوْلُهُ: (مُبْتَدِئًا ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾) أَي: قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ، فَالْبَاءُ: مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحذُوفٍ حَالٍ، وَمَفْعُولٌ (اقْرَأْ) مَحذُوفٌ، وَقِيلَ: إِنَّ الْبَاءَ مَزِيدَةٌ، وَالتَّقْدِيرُ: (اقْرَأْ اسْمَ رَبِّكَ)، وَعَبَّرَ بِ(الرَّبِّ)؛ تَلَطُّفًا بِهِ ﷺ، وَإِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى كَمَا رَبَّى جِسْمَهُ يُرَبِّي أُمَّتَهُ وَقِرَانَهُ، قَالَ الْبُوصَيْرِيُّ فِي هَذَا الْمَعْنَى^(٢): [الخفيف]

سُورٌ مِنْهُ أَشْبَهَتْ صُورًا مِنْ ل، وَمِثْلُ النَّظَائِرِ النَّظَرَاءِ

وإضافة (رب) إلى كاف الخطاب: للتشريف.

قَوْلُهُ: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي تَوْكِيدًا لَفْظِيًّا نَظِيرَ: (قَامَ قَامَ زَيْدٌ)، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَفْسِيرًا لِلأَوَّلِ، أَبْهَمَهُ ثُمَّ فَسَّرَهُ؛ تَفْخِيمًا لِخَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَذْفُ الْمَفْعُولِ مِنَ الْأَوَّلِ، تَقْدِيرُهُ: (خَلَقَ الْخَلَائِقَ) كَمَا قَالَ الْمَفْسِّرُ، وَقَوْلُهُ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ تَخْصِيصٌ لَهُ بِالذِّكْرِ؛ لَشَرَفِهِ.

قوله: (الجنس) أي: الصَّادِقُ بِالذِّكْرِ وَالْأُنْثَى.

(١) «صحيح البخاري» (٦٩٨٢)، والسَّبَبُ فِي إِقْدَامِهِ ﷺ عَلَى إلقاءِ نَفْسِهِ كَمَا فِي «إرشاد الساري» (١٠/١٢٢):

(الإشفاق أن تكون الفترة لأمرٍ أو سببٍ منه، فتكون عقوبة من ربه، ففعل ذلك بنفسه، ولم يرد شرعًا بالنهي عن ذلك فيُعترض به، أو الحزن على ما فاتته من الأمر الذي بشره به ورقة، ولم يكن حُوطب عن الله: إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ).

(٢) كَمَا فِي قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ «الهمزية»، قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ: (أَي: وَمِثْلُ تِلْكَ السُّورِ الَّتِي هِيَ نِظَائِرُ الْأَمَائِلِ وَالْأَفْاضِلِ الَّذِينَ يَتَنَظَّرُونَ فِي التَّحْلِي بِالْفَضَائِلِ، وَالتَّخْلِي عَنِ الرِّذَائِلِ). انظر «المنح المكية» (ص ٣٩٥).

مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ

﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ : جَمْع (عَلَقَةٍ)، وهي الْقِطْعَةُ الْيَسِيرَةُ مِنَ الدَّمِ الْغَلِيظِ .
 ﴿٣ - ٥﴾ ﴿أَقْرَأْ﴾ - تَأْكِيدٌ لِلأَوَّلِ - ﴿رَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الَّذِي لَا يُوَازِيهِ كَرِيمٌ - حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿أَقْرَأْ﴾ - ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ الْخَطَّ

حاشية الصاوي

قوله : (جمع «علقة») أي : لأنَّ كلَّ واحدٍ مأخوذٌ من عِلْقَةٍ ؛ كما في الآية الأخرى^(١) ، وأطلق الجمع على (العلق) تسمُّحاً ، أو هو جمع لغويٌّ ، ولأ . . . (فعلق) اسمٌ جنسٍ جمعيٌّ^(٢) .

قوله : (من الدم الغليظ) أي : الذي أصله المنى ، فأوَّلُ الأطوارِ المنى ، ثمَّ العَلَقَةُ وهو الدَّمُ الغليظُ المتجمَّدُ ، ثمَّ المُضْغَةُ . . . إلى آخر ما ذكر الله تعالى في آية (المؤمنون)^(٣) .

قوله : (تأكيدٌ للأوَّل) هذا أحدُ قولين ، والآخر : أنَّه تأسيسٌ ؛ فالأوَّلُ معناه : (اقرأ في نفسك) ، والثاني معناه : (اقرأ للتبليغ وتعليم الأُمَّة) .

قوله : (الذي لا يُوازيه كريم) أي : لا يُساويه ، فضلاً عن أن يزيد عليه ؛ لأنَّه تعالى يعطي الشيءَ من غير عوضٍ ولا غرضٍ ، وليس ذلك لأحدٍ غيره .

قوله : (حالٌ من ضمير ﴿أَقْرَأْ﴾) أي : فالمعنى : اقرأ ما يُوحى إليك والحال أنَّ ربَّكَ الأَكْرَمُ ، لا ينتظر منك عوضاً ، ولا يُخزبك ، فهو تَطْمِينٌ له ﷺ ؛ حيثُ خَشِيَ على نفسه ألاَّ يقومَ بما أمره به ربُّهُ .

قوله : ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ «عَلَّمَ» ينصب مفعولين ، وهما محذوفان هنا ، والتقدير : علَّمَ الإنسانَ الْخَطَّ بالقلم ، والمفسِّرُ قدَّرَ الثاني ، وسكت عن تقدير الأول ؛ اتكالاً على قوله بعد : ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ﴾ .

قوله : (الخطَّ) أي : الكتابةُ التي بها تُصَرَّفُ الأمورُ الغائبةُ ، وفيه تنبيهٌ على فضل الكتابة ؛ لما فيها من المنافع العظيمة ؛ لأنَّ بها ضُبِطَتِ العلومُ ، ودُوِّنَتِ الْحُكْمُ ، وعُرِفَ أخبارُ الماضينَ وأحوالُهم

(١) كما في قوله تعالى في سورة (الحج : ٥) : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ .

(٢) أي : وهو يُفَرِّقُ بينه وبين واحدِه بالتاء ؛ ك : (نمل ونملة) ، و(شجر وشجرة) .

(٣) وهي قوله جلَّ شأنه : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ﴿١٤﴾ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٥﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴿١٦﴾ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴿١٧﴾ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ﴿١٨﴾ فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ﴿١٩﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴿٢٠﴾ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٢١﴾﴾ .

بِالْقَلَمِ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

﴿بِالْقَلَمِ﴾ وَأَوَّلُ مَنْ خَطَّ بِهِ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ﴾: الْجِنْسُ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ قَبْلَ تَعْلِيمِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْكِتَابَةِ وَالصَّنَاعَةِ وَغَيْرِهَا.

حاشية الصاوي

وَسَيَرُهُمْ وَمَقَالَتُهُمْ، وَلَوْلَا الْكِتَابَةُ.. مَا اسْتَقَامَ أَمْرُ الدِّينِ وَلَا الدُّنْيَا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ عَلَى دَقِيقِ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَطِيفِ تَدْبِيرِهِ دَلِيلٌ إِلَّا الْقَلَمَ وَالْخَطَّ.. لَكُنِيَ فِيهِ.

قوله: ﴿بِالْقَلَمِ﴾ قال القرطبي: (الأقلام ثلاثة في الأصل: القلم الأول الذي خلق الله تعالى بيده، وأمره أن يكتب في اللوح المحفوظ، والثاني: قلم الملائكة الذين يكتبون به المقادير والكوائن من اللوح المحفوظ، والثالث: أقلام الناس يكتبون بها كلامهم، ويصلون بها إلى مآربهم^(١)). وعن عمر قال: (خلق الله تعالى أربعة أشياء بيده، ثم قال تعالى لسائر الحيوان: «كُنْ»، فكان: وهي: القلم، والعرش، وجنة عدن، وآدم عليه السلام)^(٢).

قوله: (إدريس) وقيل: آدم.

قوله: (الجنس) هذا أحد أقوال، وقيل: المراد به: آدم، ومصدق (ما) الأسماء كلها، فهو نظير: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، وقيل: هو محمد ﷺ.

قوله: (قبل تعليمه) متعلق بالنفي، والمعنى: علمه الشيء الذي انتفى علمه به قبل أن يعلمه.

قوله: (من الهدى) بيان لـ(ما)، والمراد به: الرُّشْدُ وَالصَّوَابُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.

قوله: (حقاً) هذا مذهب الكسائي ومن تبعه، وعليه: فـ(كلاً) مرتبطة بما بعدها؛ لأنه ليس قبلها شيء يقتضي الزجر والردع حتى تكون (كلاً) ردّاً له، وقال أبو حيان وصوّبه ابن هشام: (إنّها بمعنى «ألاً» الاستفتاحية؛ لوجود كسر همزة «إن» بعدها، ولو كانت بمعنى «حقاً».. لما كُسِرَتْ «إن» بعدها؛ لكونها واقعة موقع مفرد)^(٣)، فتحصل: أن كونها بمعنى (حقاً) صحيح من جهة المعنى، إلا أنه يُبْعَدُ كسرها (إن)، فكان المناسب للمفسر أن يجعلها بمعنى (ألاً) الاستفتاحية.

(١) «تفسير القرطبي» (١٢١/٢٠).

(٢) رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٣٢٠/٢) مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَهَذَا إِنَّمَا هُوَ عَلَى جِهَةِ التَّشْرِيفِ لِلْأَرْبَعَةِ وَالتَّنْبِيهِ مِنْهَا، وَإِلَّا.. فَإِذَا حُقِّقَ النَّظَرُ فَكُلُّ مَخْلُوقٍ فَهُوَ بِالْقُدْرَةِ الَّتِي بِهَا يَقَعُ الْإِبْجَادُ بَعْدَ الْعَدَمِ.

(٣) «مغني اللبيب» (ص ٢٥٠)، وَنَقَلَ ابْنُ هِشَامٍ هَذَا الْقَوْلَ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ وَصَوَّبَهُ، وَأَمَّا أَبُو حَيَّانَ.. فَقَالَ فِي «الْبَحْرِ الْمَحِيطِ» (٥٠٨/١٠): (كلاً: رَدَعٌ لِمَنْ كَفَرَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِطُغْيَانِهِ، وَإِنْ لَمْ يَتَقَدَّمْ ذِكْرُهُ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ).

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا ۖ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ (٨) أَرَأَيْتَ

(٦ - ٨) ﴿كَلَّا﴾: حَقًّا ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا﴾ (٦) ﴿أَنْ رَأَاهُ﴾ أي: نفسه ﴿اسْتَغْنَى﴾
بِالْمَالِ، نَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ - (رَأَى) عِلْمِيَّةٌ، وَ﴿اسْتَغْنَى﴾ مَفْعُولٌ ثَانٍ، وَ﴿أَنْ رَأَاهُ﴾ مَفْعُولٌ لَهُ -
﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يَا إِنْسَانُ ﴿الرُّجُوعَ﴾: الرَّجُوعُ، تَخْوِيفٌ لَهُ، فَيُجَازِي الطَّاعِيَ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ.

(٩ - ١٤) ﴿أَرَأَيْتَ﴾ - فِي مَوَاضِعِهَا الثَّلَاثَةُ لِلتَّعَجُّبِ -

حاشية الصاوي

قوله: (أي: نفسه) أشار بذلك إلى أن في (رأى) ضميراً عائداً على (الإنسان) هو فاعل الرؤية،
والضمير البارز عائداً عليه أيضاً مفعوله، و(رأى) هنا قلبية يجوز اتحاد الضميرين متصليين فيها،
فتقول: (أرأيتني) و(ظننتني)، وقوله: ﴿اسْتَغْنَى﴾ مفعولٌ ثَانٍ، والمعنى: أن الإنسان ليتحقق بالطغيان
والكفر من أجل رؤيته نفسه مُستغنياً عن الله تعالى.

قوله: (نزل في أبي جهل) أي: والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب؛ فكل من اعتقد أنه غني
عن ربه طرفه عين. . فقد تحقق بالطغيان والكفر؛ لأن كل مخلوق مُفتقرٌ لخالقه في حركاته وسكناته.
قوله: (مفعول له) أي: لأجله.

قوله: (يا إنسان) أشار بذلك إلى أن الضمير في: ﴿رَبِّكَ﴾ عائداً على الإنسان المتقدم ذكره؛ ففيه
التيفات من الغيبة للخطاب؛ تهديداً له وتحذيراً من عاقبة الطغيان، كأنه قال: لا تغترّ باستغنائك؛
فإن مرجعك إلى خالقك، فكما أغناك. . فهو قادرٌ على إفقارك، فلا تعتقد أنك غني حقيقة؛
فلو أعطي العبد الدنيا ومثلها معها. . فهو فقيرٌ إلى ربه في كل طرفه عين.

قوله: (أي: الرجوع) أي: من الغنى للفقر، ومن العز للذل، ومن القوة للعجز، ومن الحياة
للممات؛ فلا مفر من الله.

قوله: (للتعجب) أي: التعجب، وهو إيقاع المخاطب في العجب، والخطاب؛ قيل:
للنبي ﷺ، وقيل: لكل من يتأتى منه الخطاب.

واعلم: أن (أرأيت) هنا بمعنى (أخبرني)، فتعدى إلى مفعولين، ثانيهما جملة استفهامية،
وقد ذكرت ثلاث مرّات، صرح بعد الثالثة بجملة استفهامية، فهي في موضع المفعول الثاني لتلك
الثالثة، ومفعولها الأول محذوف، وهو ضمير يعود على ﴿الَّذِي يَنْتَ﴾ (٩) عبداً، وذكر مفعول الأول
الأول، وهو الاسم الموصول، ومفعولها الثاني محذوف، وهو جملة استفهامية كالواقعة بعد الثالثة،

الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمَذْكَاءِ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَبَ
وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾

﴿الَّذِي يَنْهَى﴾ هو أبو جهل ﴿عَبْدًا﴾ هو النبي ﷺ ﴿إِذَا صَلَّى﴾ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ﴿الْمَنْهِي﴾ عَلَى الْمَذْكَاءِ ﴿١١﴾ أَوْ - لِلتَّقْسِيمِ - ﴿أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَبَ ﴿أَي: النَّاهِي النَّبِيَّ﴾ ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان، ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ ما صَدَرَ مِنْهُ؟ أَي: يَعْلَمُهُ فَيُجَازِيهِ عَلَيْهِ، أَي: اعْجَبَ مِنْهُ يَا مُخَاطَبٍ مِنْ حَيْثُ نَهَيْهِ عَنِ الصَّلَاةِ، وَمِنْ حَيْثُ إِنَّ الْمَنْهِيَّ عَلَى الْهُدَى أَمَرَ بِالتَّقْوَى، وَمِنْ حَيْثُ إِنَّ النَّاهِيَّ مُكَذِّبٌ مُتَوَلٍّ عَنِ الْإِيمَانِ.

حاشية الصاوي

حُذِفَ؛ لدلالة المذكور عليه، وأمّا الثانية.. فمفعولها محذوفان؛ لدلالة المفعول الأول من الأولى، والمفعول الثاني من الثالثة عليه، فتحصل: أَنَّهُ حُذِفَ المفعول الثاني من الأولى، والمفعولان من الثانية، والأوّل من الثالثة؛ لدلالة المذكور، وليس من باب التنازع؛ لأنّه يقتضي إضماراً، والجُمْلُ لا تُضْمَرُ، وإنّما الإضمار في المفردات، وجواب الشرط الواقع في حيّز الثانية والثالثة محذوف، دلّ عليه الجملة الاستفهاميّة^(١).

قوله: (هو أبو جهل) وذلك أَنَّهُ قال: هل يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ فقل: نعم، وقال. واللات والعزى؛ لئن رأيته يفعل ذلك.. لأطأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، ولأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التَّرَابِ، قال: فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلي؛ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قال: فما فَجَّهْتُمْ مِنْهُ إِلَّا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي يديه، فقل له: ما لك؟ قال: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خندقاً من نار، وهولاً، وأجنحةً، فقال النبي ﷺ: «لو دنا مِنِّي.. لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»^(٢).

قوله: ﴿عَبْدًا﴾ لم يَقُلْ: (ينهاك)؛ تفخيماً لشأنه، وتعظيماً لقدره.

قوله: (للتقسيم) المناسب أن يقول: (بمعنى الواو).

قوله: ﴿إِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾ أَي: دام على التكذيب والتّولي.

قوله: (أَي: يَعْلَمُهُ) تفسيرٌ لـ(يرى).

(١) والتقدير في الثانية: إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى.. أَلَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ النَّاهِي بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى؟ وتقديره في الثالثة: إِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى.. أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى؟ «فتوحات» (٥٨٧/٤).

(٢) رواه مسلم (٢٧٩٧) عن سيدنا أبي هريرة ؓ.

كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلَيَدْعُو نَادِيَهُ ﴿١٧﴾

(١٥ - ١٦) ﴿كَلَّا﴾ - رَدَعْ لَهُ - ﴿لَئِنْ﴾ - لَمْ قَسَمَ - ﴿لَمْ يَنْتَهِ﴾ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾: لَنَجْرُنَّ بِنَاصِيَتِهِ إِلَى النَّارِ، ﴿نَاصِيَةٍ﴾ - بَدَلْ نِكْرَةً مِنْ مَعْرِفَةٍ - ﴿كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ وَصَفَهَا بِذَلِكَ مَجَازٌ وَالْمُرَادُ صَاحِبُهَا.

(١٧ - ١٨) ﴿فَلَيَدْعُو نَادِيَهُ﴾ أَي: أَهْلَ نَادِيِهِ وَهُوَ الْمَجْلِسُ يَنْتَدِي - يَتَحَدَّثُ - فِيهِ

حاشية الصاوي

قوله: (ردع له) أي: لأبي جهل.

قوله: ﴿لَنَسْفَعًا﴾: يحتمل أن النون للمتكلم المعظم نفسه وهو الله تعالى، أو لله وملائكته. والسفع: القبض على الشيء بشدة. والنون في (نسفعاً) نون التوكيد الخفيفة، فيوقف عليها بالالف؛ تشبيهاً لها بالتونين، وتكتب ألفاً اتباعاً للوقف، وقرئ شذوذاً: (لنسفعن) بالتون الثقيلة^(١).

قوله: ﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾ هي في الأصل: مُقَدِّمُ الرَّأْسِ، أو شعر المقدم، أطلق وأريد به هنا الشخص بتمامه.

قوله: (إلى النار) وقيل: في الدنيا يوم بدر؛ لما ورد: أنه جاءه عبد الله بن مسعود، فوجده طريقاً بين الجرحى وبه رَمَقٌ، فخاف أن يكون به قُوَّةٌ فيؤذيه، فوضع الرَّمَحَ على منخرينه من بعيد، فطعنه ثم لم يقدر ابن مسعود على الرقي على صدره؛ لضعفه وقصره، فارتقى إليه بحيلة، فلما رآه أبو جهل.. قال: يا رُوَيْعِي الغنم؛ لقد رَقِيتَ مَرَقِيَّ عَالِيًا، فقال ابن مسعود: الإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه، ثم قال لابن مسعود: اقطع رأسي بسييفي هذا؛ لأنه أحدٌ وأقطع، فلما قطع رأسه به.. لم يقدر على حمله، فسَقَّ أذنه، وجعل فيه خيطاً وجره إلى رسول الله ﷺ وجبريل بين يديه يضحك^(٢).

قوله: ﴿كَذِبَةٍ﴾ أي: في قولها، وقوله: ﴿خَاطِئَةٍ﴾ أي: في فعلها. والخطأ: ضدُّ الصواب في الدين وغيره، والمراد هنا: ارتكاب خلاف الصواب عن قصد، وبعضهم يقول: الخاطئ: المرتكب خلاف الصواب عن عمد، والمخطئ: المرتكب خلاف الصواب لا عن عمد^(٣).

قوله: (أي: أهل ناديه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف؛ لأنَّ النادي هو المجلس

(١) والقراءة بالنون الثقيلة مروية عن أبي عمرو. انظر «الدر المصون» (٦٠/١١).

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٨٦/٣)، وابن سيد الناس في «عيون الأثر» (٣٠٤/١).

(٣) انظر «المصباح المنير»، مادة (خ ط و).

سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا نُطِيعُكَ وَأَسْجُدُ وَأَقْتَرِبُ ﴿١٩﴾

القَوْمُ، وكان قال لِلنَّبِيِّ ﷺ لَمَّا انتَهَرَهُ حَيْثُ نَهَاهُ عَنِ الصَّلَاةِ: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا بِهَا رَجُلٌ أَكْثَرُ نَادِيًا مِنِّي، لَأَمْلَأَنَّ عَلَيْكَ هَذَا الْوَادِي إِنْ شِئْتُ خَيْلًا جُرْدًا وَرِجَالًا مُرْدًا، ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾: الْمَلَائِكَةُ الْغَلَظُ الشَّدَادُ لِإِهْلَاكِهِ، فِي الْحَدِيثِ: «لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ الزَّبَانِيَةُ عِيَانًا».

﴿١٩﴾ كَلَّا - رَدَعْ لَهُ - ﴿لَا نُطِيعُكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ فِي تَرْكِ الصَّلَاةِ، ﴿وَأَسْجُدُ﴾: صَلُّ لِّلَّهِ ﴿وَأَقْتَرِبُ﴾ مِنْهُ بِطَاعَتِهِ.

حاشية الصاوي

الَّذِي يَتَحَدَّثُ فِيهِ الْقَوْمُ، وَالْمَجْلِسُ لَا يُدْعَى، فَاحْتِيجُ لَتَقْدِيرِ الْمُضَافِ، وَالْمَعْنَى: فَلْيَدْعُ عَشِيرَتَهُ؛ لِيَسْتَنْصِرَ بِهِمْ.

قوله: (لما انتهره) أي: انتهر النبي ﷺ أبا جهل، وقوله: (حيث نهاه) أي: نهى أبو جهل النبي ﷺ.

قوله: (لقد علمت ما بها) أي: بمكة.

قوله: (خيلاً جرداً) أي: قصيرة الشعر، وقوله: (مرداً) أي: شاباً.

قوله: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ واحدها: (زَبْنِيَّة) بكسر أوله، وسكون ثانيه، وكسر ثالثه؛ من: الزَّيْنُ، وهو: الدَّفْعُ^(١).

قوله: (الغلاظ الشَّدَاد) أي: وهم خزنة جهنم، أرجلهم في الأرض، ورؤوسهم في السماء، سموا زبانية؛ لأنهم يَزْبِنُونَ الْكُفَّارَ؛ أي: يدفعونهم في جهنم.

قوله: (صل) أي: دُم على الصلاة، وعبر عنها بالسجود؛ لأنه أفضل أركانها؛ لما في الحديث: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»^(٢).

قوله: ﴿وَأَقْتَرِبُ﴾ (منه) أي: من الله، وما مشى عليه المفسر من أن المراد بالسجود الصَّلَاةُ.. هو المشهور عند جمهور الأئمة، وقال الشافعي: (المراد بالسجود: سجود التلاوة)^(٣)؛ لِمَا وَرَدَ

(١) أو واحدها: (زبني) على النسب، وأصلها: (زباني)، والتاء معوضة عن الباء. انظر «تفسير البيضاوي» (٣٢٦/٥).

(٢) رواه مسلم (٤٨٢) عن سيدنا أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «الأم» (٢٩٢/٢).

حاشية الصاوي

في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أنه قال: (سجدتُ مع رسول الله ﷺ في: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾، وفي ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ سجدةً) (١)، فيسنُّ السجود عند الشافعي في هذين الموضعين (٢).
ومعنى (اقترب): تقرب إلى ربك بطاعته، وبالدُّعاء، قال ﷺ: «أَمَّا الرُّكُوعُ.. فعظموا فيه الربَّ، وأَمَّا السُّجُودُ.. فاجتهدوا في الدعاء فيه؛ فَمَنْ - أي: حقيقٌ - أن يُستجاب لكم» (٣)، وكان ﷺ يكثر في سُجُوده البكاء والتضرع (٤).



(١) «صحيح مسلم» (١٠٩/٥٧٨).

(٢) وليس في هذين الموضعين سُجُودُ تلاوة عند المالكية؛ كما نقل المصنف في «حاشيته على الشرح الصغير» (٤١٨/١)؛ تقديمًا للعمل على الحديث؛ لدلالته على نسخه.

(٣) رواه مسلم (٤٧٩) عن سيدنا ابن عباس ؓ.

(٤) حتى قالت عائشة ؓ: (قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؛ فما هذا البكاء في السجود؟ وما هذا الجهد الشديد؟)، قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟». رواه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩) بنحوه، وانظر «السراج المنير» (٥٦٤/٤).

﴿إِنَّا﴾



مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ، خَمْسُ أَوْ سِتُّ آيَاتٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿إِنَّا﴾

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْقَلَذَةِ

قوله: (أَوْ مَدَنِيَّةٌ) هذا هو الأرجح، وحكى بعضهم: أنها أول ما نزل بالمدينة، ولعله تكرر نزولها؛ تنبيهاً على مزيد شرف ليلة القدر.

قوله: (أَوْ سِتُّ آيَاتٍ) أي: بناء على أن قوله: ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ آيَةٌ مُسْتَقْلَةٌ^(١).

قوله: ﴿إِنَّا﴾ (يؤتى بـ(إِنَّ)؛ لتأكيد الحكم، والرَّدُّ على منكِرٍ أو شاكٍّ، والمخاطبون فيهم ذلك؛ فقد قالوا: من تلقاء نفسه، وقالوا: أساطير الأولين، وقالوا: تنزلت به الشياطين، فردَّ على جميع ذلك بذكر الإنزال، لا أنه مختلقٌ، ولا من أساطير الأولين.

إن قلت: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُصَدِّقُونَ خَيْرَ الْمَوْلَى بِلَا تَأْكِيدٍ، والكافرون يُعَانِدُونَ ولو تعدَّد التأکید. أجيب بجوابين: الأول: بمنع أن الكافرين يعاندون مع التأکید؛ فإن عادتهم الانقياد للتأكيدات، فربما حصل لهم هداية بسبب ذلك.

الثاني: على تسليم أنهم يعاندون مع التأکید؛ فلا نُسَلِّمُ حصر (إِنَّ) في التأکید، بل قد يؤتى بها ترغيباً في تلقِّي الخبر، والتَّنبُّيه بعظيم قدره وشرف حكمه، و(نا): يحتمل أنها للمتكلِّم المعظم نفسه،

(١) قال الإمام أبو عمرو الداني في «البيان في عدِّ آي القرآن» (ص ٢٨١): (وهي ستُّ آيات في المكي والشامي، وخمس في عدِّ الباقيين، اختلافها آية: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ الثالث؛ عدّها المكي والشامي، ولم يعدّها الباقيون).

أَنْزَلَتْهُ

أَنْزَلَتْهُ ﴿١﴾ أَي: الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ
حاشية الصاوي

وهو الله تعالى؛ إشعاراً بتعظيم المنزل والمنزل به، ويحتمل أنها للمتكلم ومعه غيره؛ فإن الله أنزله والملائكة لهم مدخلية في إنزاله، والمعنى: إنا وملائكة قدسنا أنزلناه، على حد: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، والإسناد لله حقيقة إجماعاً، والملائكة؛ قيل: كذلك، وقيل: مجازاً، وعليه: فلا مانع من الجمع بين الحقيقة والمجاز، يقال: (بنى الأمير وعملته المدينة)، ولا يعترض بالجمع بين القديم والحادث في ضمير واحد؛ فإنه حاصل في ضمير ﴿يُصَلُّونَ﴾، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] ونحوه، وأما قوله عليه السلام للخطيب: «بئس الخطيب» لما قال: (مَنْ يُطْعِ اللهَ ورسله فقد اهتدى، وَمَنْ يَعَصِيهِمَا فَقَدْ غَوَى) (١) .. فلأنَّ الحُطْبَ محلُّ إطنابٍ، وقيل: وقف على قوله: (وَمَنْ يَعَصِيهِمَا) قبلَ الجواب.

قوله: ﴿أَنْزَلَتْهُ﴾ (إن قلت: الإنزال وصف للأجسام، والقرآن عرض لا جسم؛ فكيف يُوصف بالإنزال؟

أجيب بجوابين: الأول: أنَّ الإنزال بمعنى: الإيحاء، وفي الكلام استعارة تبعية؛ حيث شبه الإيحاء بالإنزال، واستُعير الإيحاء للإنزال، واشتقَّ من الإنزال (أنزلنا) بمعنى: (أوحينا).
الثاني: أنَّ إسناد النزول إليه مجازٌ عقليٌّ، وحقُّه أن يسند لحامله، فالتجوُّز إمَّا في الطرف، أو الإسناد.

قوله: (أي: القرآن) أشار بذلك إلى أنَّ الضمير في ﴿أَنْزَلَتْهُ﴾ عائذٌ على القرآن.
إن قلت: إنه لم يتقدَّم له ذكرٌ.

أجيب: بأنَّه اتَّكل على عِظَم قدره وشُهرة أمره، حتَّى لا يحتاج لتصريح.

قوله: (جملة واحدة من اللوح المحفوظ) أي: ثمَّ نزل به جبريل على النبي ﷺ نجوماً مُفَرَّقةً في مُدَّة عشرين سنةً، أو ثلاثٍ وعشرين سنةً، ومعنى إنزاله جملةً من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا: أنَّ جبريل أملاه على ملائكة السماء الدنيا، فكتبوه في صحفٍ، وكانت تلك الصحف في محلٍّ من تلك السماء يُقال له: بيت العزَّة.

(١) رواه مسلم (٨٧٠) عن سيدنا عدي بن حاتم رضي الله عنه، وتمامه: (قُل: «وَمَنْ يَعَصِ اللهَ وَرَسُولَهُ...»).

فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾

إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أَي: الشَّرَفِ وَالْعِظَمِ، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أَعْلَمَكَ يَا مُحَمَّدٌ
﴿وَمَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾؟

حاشية الصاوي

قوله: (إلى سماء الدنيا) أي: إلى بيت العزّة منها. وما ذكره المفسّر من أنّ المراد: إنزال القرآن جملةً إلى سماء الدنيا. . أخذ أقوالٍ في تفسير الآية، وقيل: المعنى: ابتدأنا إنزاله على مُحَمَّد ﷺ تلك الليلة.

إن قُلت: إنّ البعثة على رأس الأربعين، وميلاده كان في ربيع؛ فكيف يكون مبدأ الوحي في رمضان في ليلة القدر؟

أجيب: بأنّه ألغى الكسر أو جُبر، أو ذلك بناءً على أنّ ميلاده في رمضان.

وحكمة إنزاله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ثمّ إنزاله منها مفرّقاً ولم ينزل مفرّقاً من اللوح: أنّ سماء الدنيا مشتركة بين العالم العلوي والسفلي، فإنزاله إليها جملةً فيه تعجيلٌ لمسرّته بنزول جميعه عليه، وإنزاله منها مفرّقاً فيه تأنيسٌ للقلوب، وترويحٌ للنفوس، وتلطّفٌ به ﷺ وبأمّته، فلم يفتّه نزوله جملةً ولا مفرّقاً.

قوله: (الشرف والعظم) هذا أحد أقوالٍ، وقيل: القدر بمعنى: تقدير الأمور؛ أي: إظهارها في دواوين الملائكة الأعلى، سمّيت بذلك؛ لأنّ الله تعالى يُقدّرُ فيها ما يشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة؛ من أمر الموت، والأجل، والرزق، وغير ذلك، ويُسلّمه إلى مُدبّرات الأمور، وهم الأربعة الرؤساء: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل. وقولنا: (أي: إظهارها في دواوين الملائكة الأعلى). . يدفع ما أُورِدَ: أنّ تقدير الأمور أزليّ.

إن قُلت: إنّ تقدير الأمور ليلة النصف من شعبان.

فيُجاب: بأنّ ابتداء التقدير ليلة النصف من شعبان، وتسليمه للملائكة ليلة القدر.

وقيل: القدر بمعنى: الضيق؛ من قوله: ﴿فَقَدَرْنَا عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر: ١٦]، ﴿فَقُلْنَا أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]؛ لِضَيْقِ الْفَضَاءِ بِازْدِحَامِ مَوَاقِبِ الْمَلَائِكَةِ فِيهَا.

قوله: ﴿وَمَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ أي: ما مقدار شرفها، وليس المراد: ما حقيقتها؛ فإنّها مدّةٌ مخصوصةٌ من الزّمن.

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)

تَعْظِيمٍ لِسَانِهَا وَتَعْجِيبٌ مِنْهُ .

(٣ - ٤) ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (تَعْظِيمٌ لِسَانِهَا) أي: تَفْخِيمٌ لَأَمْرِهَا، قال سفيان بن عيينة: (إِنَّ كُلَّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ .. أَعْلَمَ اللَّهُ بِهِ نَبِيِّهِ ﷺ، وما فيه: ﴿وَمَا يَذَرِيكَ﴾ .. لم يُعْلِمُهُ بِهِ^(١)، والمراد: إعلام الله تعالى في ذلك السياق نفسه؛ فلا يُنافي أَنَّهُ عليه السلام لم يخرج من الدنيا حتَّى أَعْلَمَهُ اللهُ بِكُلِّ مَا خَفِيَ عَنْهُ مِمَّا يُمْكِنُ الْبَشَرُ عِلْمُهُ^(٢)، وَأَمَّا التَّسْوِيَةُ بَيْنَ عِلْمِ الْقَدِيمِ وَالْحَادِثِ .. فَكُفْرٌ.

قوله: (﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾) أي: وهي ثلاث وثمانون سنةً وأربعة أشهر، واختلف في حكمة ذكر العدد؛ فقيل: المقصود مُطْلَقُ الكثرة، وقيل: إِنَّهُ ذِكْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَمَلَ السِّلَاحَ عَلَى عَاتِقِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَلْفَ شَهْرٍ، فَعَجَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَذَلِكَ، وَتَمَنَّى ذَلِكَ لِأُمَّتِهِ، فَقَالَ: «يَا رَبِّ؛ جَعَلْتَ أُمَّتِي أَقْصَرَ الْأُمَمِ أَعْمَارًا، وَأَقْلَهَا أَعْمَالًا»، فَأَعْطَاهُ اللهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ^(٣)، فَهِيَ مِنْ خِصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ عَلَى الصَّحِيحِ، خِلَافًا لِمَنْ قَالَ بِرَفْعِهَا؛ مُسْتَدَلًّا بِحَدِيثٍ: «خَرَجْتُ لِأُعَلِّمَكُمْ بَلِيلَةَ الْقَدْرِ، فَتَلَا حِيَّ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَزُفِعَتْ»^(٤)، وَرُدَّ: بِأَنَّ الَّذِي رُفِعَ تَعْيِينُهَا؛ بِدَلِيلٍ: أَنَّ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ نَفْسَهُ: «وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ»؛ إِذْ رَفَعُهَا بِالْمَرَّةِ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلَا يَتَأَتَّى مَعَهُ التَّمَّاسُ.

إِنْ قُلْتَ: الرَّفْعُ بِسَبَبِ الْمَلَا حَاةٍ يَقْتَضِي أَنَّهُ مِنْ شَوْمِ الْمَلَا حَاةٍ؛ فَكَيْفَ يَكُونُ خَيْرًا؟

قُلْتُ: هُوَ كَالْبَلَاءِ الْحَاصِلِ بِشَوْمٍ مَعْصِيَةٍ بَعْضِ الْعَصَاةِ، فَإِذَا تُلْقِيَ بِالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ .. صَارَ خَيْرًا.

(١) رواه البَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السَّنَةِ» (٣٧٩/٦)، وَأَوْرَدَهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيْقًا فِي كِتَابِ فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

(٢) وَهُوَ الَّذِي نَقَلَهُ الْإِمَامُ اللَّقَانِي فِي «هُدَايَةِ الْمُرِيدِ لَجَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ» (٩٧٥/٢) عَنْ جَمْعٍ.

(٣) رواه الْبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَى» (٥٠٤/٤) عَنْ مُجَاهِدٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَبَسَ السِّلَاحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ، قَالَ: فَعَجَبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ الَّتِي لَبَسَ فِيهَا ذَلِكَ الرَّجُلُ السِّلَاحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ. وَبِإِذَاقِ الْمَصْنُفِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي «الْفَتْوحَاتِ» (٥٩٠/٤) نَقْلًا عَنِ الْعَلَامَةِ الْكَرْخِيِّ.

(٤) رواه الْبُخَارِيُّ (٢٠٢٣) عَنْ سَيِّدِنَا عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَوْلُهُ: (فَتَلَا حِيَّ) أَي: فَتَخَاصَمَ، وَالْمَلَا حَاةٌ: الْمُخَاصَمَةُ.

حاشية الصاوي

إن قلت: فما هو الذي فات بشؤم الملاحاة؟ وما هو الخير الذي حصل؟

قلت: الفائتُ معرفة عينها حتّى يحصل غاية الجدّ والاجتهاد في خصوصها، والخيرُ الذي حصل هو الحرصُ على التماسها حتّى يُحيي ليالي كثيرة في الجملة. قالوا: (أخفى الربُّ أموراً في أمور؛ لحكم: ليلةُ القدر في الليالي؛ لتحيي جميعها، وساعةُ الإجابة في الجمعة؛ ليدعو في جميعها، والصلاة الوسطى في الصلوات؛ ليحافظ على الكل، والاسم الأعظم في أسمائه؛ ليدعى بالجميع، ورضاه في طاعاته؛ ليحرص العبد على جميع الطاعات، وغضبه في معاصيه؛ لينزجر عن الكل، والولي في المؤمنين؛ ليحسن الظن بكلّ منهم، ومجيء الساعة في الأوقات؛ للخوف منها دائماً، وأجل الإنسان عنه؛ ليكون دائماً على أهبة) فعلى هذا: يحصل ثوابها لمن قامها ولو لم يعلمها؛ نعم العالم بها أكملُ هذا هو الأظهر.

واختلفت المذاهب فيها؛ فقال مالك: إنّها دائرة في العام كلّها، والغالب كونها في رمضان، والغالب كونها في العشر الأواخر منه، وقال أبو حنيفة والشافعي: هي في رمضان، لا تنتقل منه، والغالب كونها في العشر الأواخر، واشتهر عن أبي بن كعب وابن عباس وكثير: أنّها ليلة السابع والعشرين، وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر التي أعزّ الله بها الدين، وأنزل الله ملائكته فيها مدداً للمسلمين^(١).

وأيدّه بعضهم بطريق الإشارة: بأنّ عدد كلمات السورة ثلاثون كأيام رمضان، واتفق أنّ كلمة ﴿هِيَ﴾ تمام سبعة وعشرين.

وطريق آخر في الإشارة: أنّ حروف ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ تسعة، وقد ذكرت في السورة ثلاث مرات، وثلاثة في تسعة: سبعة وعشرين.

ونقل عن بعض أهل الكشف ضبطها بأوّل الشهر من أيّام الأسبوع؛ فعن أبي الحسن الشاذلي: إن كان أوّل الأحد.. فليلة تسع وعشرين، أو الاثنين.. فإحدى وعشرين، أو الثلاثاء.. فسبع وعشرين، أو الأربعاء.. فتسعة عشر، أو الخميس.. فخمسة وعشرين، أو الجمعة.. فسبعة عشر، أو السبت.. فثلاث وعشرين.

(١) المشهور في كتب السيرة النبوية: أن وقعة بدر كانت صبيحة السابع عشر من رمضان. انظر «عيون الأثر» (١/ ٢٨١)، و«سيرة ابن إسحاق» (ص ١٣٠)، وروى البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١٢٧) عن قُرّة بن خالد قال: سألت عبد الرحمن بن القاسم عن ليلة القدر، فقال: (كان زيد بن ثابت يُعظم سابع عشرة ويقول: هي وقعة بدر).

نَزَلَ الْمَلَكُ

لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ، فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْهُ فِي أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَتْ فِيهَا، ﴿نَزَلَ الْمَلَكُ﴾ - بِحَذْفِ إِحْدَى التَّائِينَ مِنَ الْأَصْلِ -

حاشية الصاوي

ومنها: ما قاله بعضهم:

يا حِبُّ الْاِثْنَيْنِ وَالْجُمُعَةِ مَوَاعِيدُكَ وَالْحَدَّ وَالْارْبَعَا طَبِيعِي لَتَبْعِيدُكَ

بِكَالِي السَّبْتِ هَيِّي يَا خَمِيسَ عِيدُكَ كَابِدُ ثَلَاثًا لِيَالِي الْقَدَرِ مَعَ سِيدُكَ

فإذا كان أول الشهر الاثنين أو الجمعة.. تكون ليلة إحدى وعشرين، ورمزه (يا حب) بالجمل، أو الأحد أو الأربعاء.. تسع وعشرين، ورمزه (طي)، أو السبت.. فثلاث وعشرين، ورمزه (بكا)، أو الخميس.. فخمسة وعشرين، ورمزه (هيي)، أو الثلاثاء.. فسبع وعشرين، ورمزه (كابد)، والمشهور في السنة علماء الحديث: أنَّ الغالب كونها في العشر الأواخر، وأنها في الأوتار، قال سيدي أحمد زروق وغيره: (لا تُفارق ليلة جمعة من أوتار آخر الشهر)، ونحوه عن ابن العربي. قوله: (ليس فيها ليلة قدر) جواب عما يُقال: إنَّ الألف شهر لا بدَّ فيها من ليلة قدر، فيلزم عليه تفضيل الشيء على نفسه وغيره.

قوله: (فالعمل الصالح فيها) أي: من صلاة ودعاء وتسيح وغير ذلك.

قوله: ﴿نَزَلَ الْمَلَكُ﴾ أصله: (تتنزل) بتاءين، حذفت إحداهما تخفيفاً؛ كما قال المفسر على حد قول ابن مالك^(١): [الرجز]

وَمَا بِتَاءَيْنِ ابْتُدِي قَدْ يُقْتَصَرُ فِيهِ عَلَى تَا، كـ(تَبَيَّنُ الْعَبْرُ)

والتاء في (ملائكة) لتأنيث الجمع، وإذا حُذفت.. امتنع صرفه لصيغة منتهى الجموع، وبه يُلغز فيقال: (كلمة إذا حذف من آخرها حرف.. امتنع صرفها)، جمع (مَلَكٌ)، وأصله: (مَلَأَك)، ووزنه (فَعَالٌ)، فالهمزة زائدة، ومادته تدلُّ على المُلْك والقُوَّة والسلطنة، وقيل: وزنه (مَفْعَلٌ)، فالميم زائدة، وقيل: هو مقلوبٌ، وأصله: (مَأَلَك)، من: الألوكة، وهي الرسالة، قُلِبَ قلباً مكانياً، فصار (مَلَأَك)، وفي وزنه القولان المتقدمان، وعلى كلٍّ: فيقال: سقطت الهمزة، فصار (مَلَكٌ).

والملائكة: أجسام نورانية، لا يُوصفون بذكورة ولا بأنوثة، لهم قُدرة على التشكُّلات بالصُّور الغير الخسيسة، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يُؤْمَرُونَ.

(١) كما في «الخلاصة»، باب: الإدغام.

وَالرُّوحُ

﴿وَالرُّوحُ﴾ أي: جبريلُ

حاشية الصاوي

وعبر بـ(تنزل)؛ إشارة إلى أنهم ينزلون طائفة بعد طائفة، فينزل فوجٌ، ويصعد فوجٌ.

روي: «أنه إذا كان ليلة القدر. تنزل الملائكة وهم سكان سِدرة المنتهى، وجبريل عليه السلام، ومعه أربعة ألوية، فينصب لواء على قبر النبي ﷺ، ولواء على ظهر بيت المقدس، ولواء على ظهر المسجد الحرام، ولواء على ظهر طور سيناء، ولا يدع بيتاً فيه مؤمن أو مؤمنة إلا دخله وسلم عليه، ويقول: يا مؤمن أو يا مؤمنة؛ السلام يُقرنكم السلام إلا على مدمنٍ خمرٍ، وقاطعٍ رحمٍ، وأكلٍ لحم خنزير»^(١).

وعن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان ليلة القدر. نزل جبريل في كَبْكَبَةٍ من الملائكة يُصلُّون ويسلمون على كلِّ عبدٍ قائمٍ أو قاعدٍ يذكر الله تعالى»^(٢).

وروي: «أن الملائكة في تلك الليلة أكثر من عدد الحصى»^(٣).

قوله: ﴿وَالرُّوحُ﴾ إمّا مرفوعٌ بالابتداء، والجارُّ بعده خبره، أو بالفاعلية عطفاً على ﴿الْمَلَكَةِ﴾.

قوله: (جبريل) هذا أحد أقوالٍ في تفسير (الروح)، وعليه: فعطفُ (الروح) على (الملائكة) عطْفٌ خاصٌّ؛ لشرفه، وقيل: الروح نوعٌ مخصوصٌ منهم، وقيل: خلقٌ آخر غير الملائكة، وقيل: أرواح بني آدم، وقيل: عيسى ينزل مع الملائكة، وقيل: ملكٌ عظيمُ الخلق تحت العرش، ورجلاه في نُحُوم الأرض السابعة، وله ألف رأسٍ، كلُّ رأسٍ أعظمُ من الدنيا، وفي كلِّ رأسٍ ألف وجهٍ، وفي كلِّ وجهٍ ألف فمٍ، وفي كلِّ فمٍ ألف لسانٍ، يسبحُ الله تعالى بكلِّ لسانٍ ألف نوعٍ من التسبيح والتحميد والتمجيد، ولكلِّ لسانٍ لغةٌ لا تُشبه لغة الآخر، فإذا فتح أفواههُ بالتسبيح. خرَّت ملائكة السماوات السبع سجداً؛ مخافة أن يجرفهم نورُ أفواههِ، وإنما يسبحُ الله تعالى غُدوةً وعشيّةً، فينزل في ليلة القدر؛ لشرفها وعُلو شأنها، فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد ﷺ بتلك الأفواه كلها إلى طلوع الفجر^(٤).

(١) أورده العلامة الخطيب في «السراج المنير» (٤/٥٦٨).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٤٤٤)، والكَبْكَبَةُ بالفتح: الجماعة المتصائمة من الناس وغيرهم.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٠٧/٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أورده العلامة الخطيب في «السراج المنير» (٤/٥٦٨).

فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ

﴿فِيهَا﴾: فِي اللَّيْلَةِ ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: بِأَمْرِهِ ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قَضَاهُ اللَّهُ فِيهَا لِتِلْكَ السَّنَةِ إِلَى قَابِلٍ، - وَ﴿مِنْ﴾ سَبَبِيَّةٌ بِمَعْنَى الْبَاءِ ..

﴿٥﴾ ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ - خَبَرٌ مُقَدَّمٌ وَمُبْتَدَأٌ -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فِيهَا﴾ (إِمَّا مُتَعَلِّقٌ بِ﴿نَزَّلَ﴾، أَوْ حَالٌ مِنْ ﴿الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ (إِمَّا مُتَعَلِّقٌ بِ﴿نَزَّلَ﴾، أَوْ بِمَحذُوفٍ حَالٍ أَيْضاً، وَالْمَعْنَى: تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا حَالٌ كَوْنِهِمْ مُلْتَبِسِينَ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، لَا مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ.

قوله: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (يَحْتَمِلُ أَنْ (مِنْ) بِمَعْنَى بَاءِ السَّبَبِيَّةِ، وَعَلَيْهِ دَرَجُ الْمَفْسُورِ، وَيَصْحُ أَنَّهَا لِلتَّعْلِيلِ، مُتَعَلِّقٌ بِ﴿نَزَّلَ﴾ أَي: تَنْزِيلٌ مِنْ أَجْلِ كُلِّ أَمْرٍ.

قوله: (قَضَاهُ اللَّهُ فِيهَا) أَي: أَرَادَ إِظْهَارَهُ لِمَلَائِكَتِهِ، هَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِالْقَضَاءِ فِيهَا، لَا الْقَضَاءُ الْأَزَلِي.

قوله: (لِتِلْكَ السَّنَةِ) أَي: مِمَّا هُوَ مَنْسُوبٌ لِتِلْكَ السَّنَةِ؛ مِنْ أَمْرِ الْمَوْتِ، وَالْأَجْلِ، وَالرُّزْقِ... وغير ذلك.

قوله: (إِلَى قَابِلٍ) مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: (مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَى مِثْلِهَا مِنْ قَابِلٍ).

قوله: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ (يَصْحُ أَنْ يَكُونَ ضَمِيرُ ﴿هِيَ﴾ عَائِداً عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَ﴿سَلَّمَ﴾ بِمَعْنَى: التَّسْلِيمِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُسَلِّمُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَيَصْحُ أَنْ يَعُودَ عَلَى (لَيْلَةِ الْقَدْرِ)، وَ(سَلَامٍ) أَيْضاً بِمَعْنَى: التَّسْلِيمِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّيْلَةَ ذَاتُ تَسْلِيمٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ بَعْضاً، وَيَصْحُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ: أَنْ يُجْعَلَ (سَلَامٍ) بِمَعْنَى: سَلَامَةٍ؛ أَي: لَيْلَةُ الْقَدْرِ ذَاتُ سَلَامَةٍ مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

قال القرطبي: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ سَلَامَةٌ وَخَيْرٌ كُلُّهَا، لَا شَرٌّ فِيهَا حَتَّى مَطْلَعُ الْفَجْرِ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: «لَا يَقْدَرُ اللَّهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَّا السَّلَامَةُ»، وَفِي سَائِرِ اللَّيَالِي يَقْضِي بِالْبَلَايَا وَالسَّلَامَةِ»، وَقِيلَ: هِيَ ذَاتُ سَلَامَةٍ مِنْ أَنْ يُؤْثِرَ فِيهَا شَيْطَانٌ فِي مُؤْمِنٍ أَوْ مُؤْمِنَةٍ^(١).

قوله: (خَبَرٌ مُقَدَّمٌ) أَي: فَيُفِيدُ الْحَصَرَ؛ أَي: مَا هِيَ إِلَّا سَلَامٌ، وَجُعِلَتْ عَيْنُ السَّلَامِ؛ مَبَالِغَةٌ،

(١) «تفسير القرطبي» (١٣٤/٢٠).

حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ - بَفَتْحِ اللَّامِ وَكَسْرِهَا - إِلَى وَقْتِ طُلُوعِهِ، جُعِلَتْ سَلَاماً لِكَثْرَةِ السَّلَامِ فِيهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لَا تَمُرُّ بِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِلَّا سَلَّمَتْ عَلَيْهِ.

حاشية الصاوي

على حدّ: (زيدٌ عدلٌ)، وما ذكره المفسّر هو المشهور، وجوّز الأخفشُ رفع (سلامٌ) بالابتداء، و(هي) بالفاعلية به؛ لأنّه لا يُشترط عنده اعتمادُ الوصف على نفي أو استفهام^(١).

قوله: ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ متعلّق بـ﴿نَزَّلُ﴾، وهو ظاهرٌ، أو بـ﴿سَلَّمَ﴾، وفيه: أنّه يلزم عليه الفصلُ بين المصدر ومعموله بأجنبيٍّ وهو المبتدأ على إعراب المفسّر، إلّا أن يُتوسّع في الجار، وأمّا على إعراب الأخفش.. فلا إشكال.

قوله: (بفتح اللام وكسرهما) أي: وهما سبعتان^(٢)، وهل هما مصدران، أو المفتوح مصدرٌ والمكسور اسم مكان؟ خلافٌ.

فائدة: ذكر العلماء لِّليلةِ القدر علامات، منها: قلّةُ نَبَحِ الكلاب ونهيقِ الحمير، وعذوبةُ الملح، ورؤية كلِّ مخلوقٍ ساجداً لله تعالى، وسماعُ كلِّ شيءٍ يذكر الله بِلِسَانِ المقال، وكونها ليلةً بلجةً مضيئةً مُشرقةً بالأنوار، وطلوعُ شمسٍ يومها صافيةً نقيّةً، ليس بين قرني شيطان كيوم غيرها.

وأحسنُ ما يُدعى به في تلك الليلة: العفو والعافية؛ كما ورد^(٣)، وينبغي لمن شقَّ عليه طول القيام أن يتخيّر ما ورد في قراءته كثرةُ الثواب كآية (الكرسي)؛ فقد ورد: «أنّها أفضلُ آيةٍ في القرآن»^(٤)، وأواخر (البقرة)؛ لما ورد: «مَن قام بهما في ليلة.. كفتاه»^(٥)، وكسورة (إذا زلزلت)؛ لما ورد: «أنّها تعدل نصف القرآن»^(٦)، وكسورة (الكافرون)؛ لما ورد: «أنّها تعدل ربع القرآن»، و(الإخلاص) تعدل ثلثة^(٧)،

(١) انظر «الدر المصون» (١١/٦٤).

(٢) قرأ الكسائي: (مَطْلَعٍ) بكسر اللام، والباقون بفتحها. انظر المصدر السابق.

(٣) رواه الترمذي (٣٥١٣)، والنسائي في «السُّنَنِ الْكُبْرَى» (٧٦٦٥)، وابن ماجه (٣٨٥٠) عن سيدتنا عائشة ؓ.

(٤) رواه مسلم (٨١٠) عن سيدنا أبي بن كعب ؓ، وفيه (أعظم) بدل (أفضل).

(٥) رواه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٧) عن سيدنا أبي مسعود البَدْرِيِّ ؓ.

(٦) رواه الترمذي (٢٨٩٤) عن سيدنا ابن عباس ؓ.

(٧) هو تمامُ الحديث السابق.

حاشية الصاوي

و(يس)؛ لما ورد: «أَنَّهَا قَلْبُ الْقُرْآنِ»^(١)، و«أَنَّهَا لِمَا قُرِئَتْ لَهُ»^(٢).

وَيُكْثَرُ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ، وَأَنْوَاعِ الذِّكْرِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيَدْعُو بِمَا أَحَبَّ لِنَفْسِهِ وَلَأَحْبَابِهِ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا، وَيَتَصَدَّقُ بِمَا يَتيسَّرُ لَهُ، وَيَحْفَظُ جَوَارِحَهُ عَنِ الْمَعَاصِي.

وَيَكْفِي فِي قِيَامِهَا: صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَالصُّبْحِ فِي جَمَاعَةٍ، وَوَرَدَ: «مَنْ صَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ.. فَقَدْ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ»^(٣)، وَوَرَدَ: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ.. فَكَأَنَّمَا قَامَ شَطْرَ اللَّيْلِ، فَإِذَا صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ.. فَكَأَنَّمَا قَامَ شَطْرَهُ الْآخِرُ»^(٤).

وَقَدْ وَرَدَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.. كَانَ كَمَنْ أَدْرَكَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ»^(٥)، فَيَنْبَغِي الْإِتْيَانُ بِذَلِكَ كُلِّ لَيْلَةٍ.



(١) رواه الترمذي (٢٨٨٧) عن سيدنا أنس بن مالك ؓ.

(٢) قال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٧٤١): (لا أصل له بهذا اللفظ).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٤٣٣) عن سيدنا أنس بن مالك ؓ، ولفظه: قال النبي ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ حَتَّى يَنْقُضِيَ شَهْرُ رَمَضَانَ.. فَقَدْ أَصَابَ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ بِحِطِّ وَافِرٍ».

(٤) رواه مسلم (٦٥٦) عن سيدنا عثمان بن عفان ؓ.

(٥) رواه الدُّولَابِيُّ فِي «الْأَسْمَاءِ وَالْكُنَى» (٩٢٤) عَنِ الزَّهْرِيِّ مُرْسَلًا.

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا



مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ، تِسْعُ آيَاتٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

وتسمّى سورة (لم يكن)، وسورة (المنفكين)، وسورة (القيّمة)، وسورة (البريّة).

قوله: (مكيّة) هو قول ابن عباس، وقوله: (أو مدنية) هو قول الجمهور. ومناسبتها لما قبلها: أنه لما ثبت إنزال القرآن، وأخبر تعالى أن الكفار لم يكونوا مُنفكين عمّا هم عليه حتّى يأتيتهم الرّسول يتلو عليهم الصّحف المطهّرة التي ثبت إنزالها عليه، وفيها تسليّة له ﷺ، كأنّ الله يقول له: لا تحزن على تفرّقهم وكُفّهم، بل تسلّى^(١) بما أوجي إليك.

روى أنس بن مالك: أن النبي ﷺ قال لأبيّ بن كعب: «إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾»، فقال أبيّ: وسّماني لك؟ فقال النبي ﷺ: «نعم»، فبكى أبيّ، فقرأها ﷺ عليه^(٢).

واستفيد من الحديث آداب؛ منها: قراءة الأعلى على مَنْ دونه؛ للتواضع، ولا يأنف الكبير من قراءته على الصغير، ومنها: تخصيصُ سريع الحفظ والإتقان بالعلم، وفي ذلك فضيلةٌ لأبيّ؛ حيثُ جُعِلَ موضعَ سرِّ رسول الله ﷺ ونظيره؛ إشعاراً بأنّه ثقةٌ يصلح للتعليم والتعلم، وأمير رسول الله من الله بأن يقرأ عليه.

(١) كذا في الأصول بإثبات الألف، وحقّها الحذف للبناء، ولعل المصنف رحمه الله تعالى جرى على قول مَنْ يقول: البناء على السكون المقدّر على حرف العلة، أو إن الألف إشباعٌ للفتحة، على حدّ قراءة قبل: (إنّه مَنْ يَتَّقِي وَيُصْبِرْ)، وفي (ط) (٢): (تسلّى) وهي ظاهرة.

(٢) رواه البخاري (٣٨٠٩)، ومسلم (٧٩٩).

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾

مِنْ - لِلْبَيَانِ - ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ أي: عَبَدَةِ الْأَصْنَامِ - عَطَفَ عَلَى ﴿أَهْلٍ﴾ -
﴿مُنْفَكِينَ﴾ - خَبَرٌ ﴿يَكُنْ﴾ - أي: زَائِلِينَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ، ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ﴾ أي: أَتَتْهُمْ ﴿الْبَيِّنَةُ﴾
أي: الْحُجَّةُ الْوَاضِحَةُ وَهِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ﴾ للبيان أي: فالذين كفروا هم أهل الكتاب والمشركون.

إِنْ قُلْتُ: إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ يَكُونُوا جَمِيعًا كَفَّارًا قَبْلَ النَّبِيِّ، بَلْ بَعْضُهُمْ كَانَ مُتَمَسِّكًا بِنَبِيِّهِمْ
وَكِتَابِهِمْ، وَبَعْضُ كَفَّارٍ كَمَنْ غَيَّرَ وَبَدَّلَ، وَمَقْتَضَى الْمَفْسَّرُ أَنَّ جَمِيعَهُمْ كُفَّارٌ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ،
فَالْأَحْسَنُ: جَعَلَ (مِنْ) لِلتَّبَعِيضِ، وَالْوَاوُ فِي ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ لِلْمَعْيَةِ، وَ(الْمُشْرِكِينَ): مَفْعُولٌ مَعَهُ،
وَالْعَامِلُ فِيهِ ﴿يَكُنْ﴾.

قوله: ﴿مُنْفَكِينَ﴾ اسم فاعل من (انفك) الذي يعملُ عملَ (كان)، واسمها: ضَمِيرٌ مُسْتَكِنٌ
فِيهَا، وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ، قَدَّرَهُ الْمَفْسَّرُ بِقَوْلِهِ: (عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ)، وَيَصَحُّ أَنْ تَكُونَ تَامَّةً، فَلَا تَحْتَاجُ
لِتَقْدِيرِ خَبَرٍ.

قوله: (خَبَرٌ ﴿يَكُنْ﴾) أي: واسمها الاسم الموصول، فهي ناقصة، وقوله: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾
حَالٌ مِنْ فاعل ﴿كَفَرُوا﴾، والمعنى: أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ - وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى - وَالْمُشْرِكِينَ - وَهُمْ
عَبَدَةُ الْأَوْثَانِ مِنَ الْعَرَبِ - كَانُوا يَقُولُونَ قَبْلَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ: لَا نَنْفَكُ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنْ دِينِنَا حَتَّى يُبْعَثَ
النَّبِيُّ ﷺ الَّذِي هُوَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَلَمَّا بُعِثَ.. تَفَرَّقُوا؛ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ،
فَحَكَّى اللَّهُ تَعَالَى مَا كَانُوا يَقُولُونَ أَوَّلًا، وَمَا فَعَلُوهُ آخِرًا.

قوله: (أي: زَائِلِينَ... إلخ) أشار بذلك إلى أَنَّ الْإِنْفِكَاءَ بِمَعْنَى: الزَّوَالِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ
مُتَعَلِّقُونَ بِدِينِهِمْ، لَا يَتْرُكُونَهُ إِلَّا عِنْدَ مَجِيءِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

قوله: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ غَايَةُ لَعْدَمِ انْفِكَائِهِمْ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ، وَالْحَاصِلُ: أَنَّ فِي الْآيَةِ
تَفْسِيرَيْنِ: الْأَوَّلُ: حَمَلَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ مَجِيءِ النَّبِيِّ عَلَى شَرْعِهِمْ فِي حَقِّ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَعَلَى عِبَادَةِ
الْأَصْنَامِ فِي حَقِّ الْمُشْرِكِينَ، فَالْمَعْنَى: لَمْ يَكُنِ الْفَرِيقَانِ مُنْفَكِينَ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ، لَمْ يُفَارِقُوهُ إِلَّا وَقْتُ
مَجِيءِ مُحَمَّدٍ، فَلَمَّا ظَهَرَ مُحَمَّدٌ.. تَفَرَّقُوا؛ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ،
وَهَذَا الْمَعْنَى لَيْسَ فِيهِ مَدْحٌ وَلَا ذَمٌّ لَهُمْ.

رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ فِيمَهُ ﴿٣﴾

(٢ - ٣) ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ - بَدَلٌ مِّنَ ﴿الْبَيِّنَةِ﴾ - وهو النَّبِيُّ ﷺ ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ مِنَ الْبَاطِلِ، ﴿فِيهَا كُتِبَ﴾: أَحْكَامٌ مَّكْتُوبَةٌ ﴿فِيمَهُ﴾: مُسْتَقِيمَةٌ، أَي: يَتْلُو مَضْمُونُ ذَلِكَ وهو الْقُرْآنُ؛ فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ.

حاشية الصاوي

الثاني: أَنَّ المراد بما كانوا عليه: هو إيمانهم بمحمد إذا ظهر، والمعنى: لم يكونوا مُنْفَكِّينَ عن العزم على الإيمان بمحمد إذا ظهر؛ أي: لم يُفَارِقُوهُ ولم يتركوه إِلَّا بعد مجيئه ﷺ، وفي هذا المعنى توبيخٌ لهم؛ إذ كيف يؤمنون في الغيب قبل مجيئه، ويكفرون به لما جاء ورأوا أنواره ومعجزاته؟!

إذا علمت ذلك.. تعلم أَنَّ كلام المفسر أولاً محتملٌ للمعنيين، وآخرًا مُعَرِّجٌ على المعنى الثاني.

قوله: (بَدَلٌ مِّنَ ﴿الْبَيِّنَةِ﴾) أي: بَدَلٌ اشْتِمَالٌ، و﴿مِّنَ اللَّهِ﴾: متعلِّقٌ بمحذوفٍ؛ صفة لـ ﴿رَسُولٌ﴾، أو حال من ﴿صُحُفًا﴾؛ لكونه نعتٌ نكرةٌ قَدِّمَ عليها.

قوله: (وهو النبي محمد) وقيل: جبريل.

قوله: ﴿مُطَهَّرَةً﴾ أي: مطهراً ما فيها، وهو القرآن.

قوله: (من الباطل) أي: فتطهير الصحف كناية عن كونها لا يأتيها الباطل أصلاً.

قوله: ﴿فِيهَا كُتِبَ﴾ أي: مكتوبات في قراطيس، فالقرآن يجمع ثمرة كتبِ الله المتقدمة عليه، والرسول وإن كان أمياً لكنه لما تلا مثل ما في الصحف.. كان كالتالي لها، فصحت نسبة تلاوة الصحف إليه وهو أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب.

قوله: (أي: يتلو مضمون ذلك) أي: مضمون المكتوب في الصحف وهو القرآن، لا نفس المكتوب؛ لأنه ﷺ كان يتلو القرآن عن ظهر قلب، ولم يكن يقرؤه من كتاب، فتحصل أَنَّ المراد بالصحف: القراطيس التي يكتب فيها القرآن، والمراد بالكتب: الأحكام المكتوبة فيها التي هي مدلول القرآن المكتوب لفظه ونقشه.

قوله: (فمنهم مَّنْ آمَنَ) مفرَّع على محذوفٍ، والتقدير: فلَمَّا أَتَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ.. فمنهم... إلخ.

وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ

﴿٤﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴿﴾ فِي الْإِيمَانِ بِهِ ﷺ ﴿﴾ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿﴾
أي: هو ﷺ أو القرآن الجائي به مُعْجِزَةٌ لَهُ، وَقَبْلَ مَجِيئِهِ ﷺ كَانُوا مُجْتَمِعِينَ عَلَى الْإِيمَانِ
بِهِ إِذَا جَاءَ، فَحَسَدُهُ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ.

﴿٥﴾ وَمَا أُمِرُوا ﴿﴾ فِي كِتَابِهِمُ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿﴾ إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ ﴿﴾ أَي: أَنْ يَعْبُدُوهُ،
- فُحْذِفَتْ (أَنْ) وَزِيدَتِ اللَّامُ - ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ مِنَ الشُّرْكِ، ﴿حُنَفَاءَ﴾: مُسْتَقِيمِينَ عَلَى دِينِ
إِبْرَاهِيمَ وَدِينِ مُحَمَّدٍ إِذَا جَاءَ، فَكَيْفَ كَفَرُوا بِهِ؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾... إلخ) تصريحٌ بما أفادته الغاية قبله، وأفرد أهل
الكتاب بالذكر بعد الجمع بينهم وبين المشركين؛ إشارة لبشاعة حالهم؛ لأنهم أشدُّ جرماً، ويُعلم
غيرهم بالطريق الأولى؛ وذلك لأنهم لما تفرَّقوا مع علمهم.. كانوا أسوأ حالاً من الذين تفرَّقوا مع
الجهل.

قوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾... إلخ) الجملة حاليةٌ مُفيدةٌ لقبح ما فعلوا، والمعنى: تفرَّقوا بعدما
جاءتهم البيِّنة والحال أنهم ما أُمِرُوا إِلَّا بِعِبَادَةِ اللَّهِ... إلخ.

قوله: (وزيدت اللام) الأولى أن تجعل بمعنى (الباء)، والمعنى: وما أُمِرُوا
إِلَّا بِأَنْ يَعْبُدُوا... إلخ.

قوله: ﴿مُخْلِصِينَ﴾ حالٌ من ضمير (يعبدوا)، والإخلاص هو: صفاء القلب من الأغيار؛
بأن يكون مقصوده بالعمل وجه الله تعالى.

قوله: ﴿حُنَفَاءَ﴾ حالٌ ثانية، والحَنَفُ في الأصل: الميلُ مطلقاً، ثم استعمل في الميل
إلى الخير، وأما الميلُ إلى الشرِّ.. فيُسمَّى إلحاداً، والحَنِيفُ المطلق هو: الذي يكون متبرئاً
عن أصول الملل الخمسة: اليهود، والنصارى، والصابئين، والمجوس، والمشركين، وعن فروعها
من جميع الاعتقادات الباطلة وتوابع ذلك، وهو مقام المتقين، فإذا ترقَّى العبدُ منه إلى ترك
الشبهات؛ خوف الوقوع في المحرَّمات.. فهو مقام الورعين، فإذا زاد حتَّى ترك بعض المباحات؛
خوف الوقوع في الشبهات.. فهو مقام الأورع والزاهد، فالآية جامعةٌ لذلك كله.

وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾

﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ﴾ الْمِلَّةِ ﴿الْقَيِّمَةِ﴾ : الْمُسْتَقِيمَةِ .
 ﴿٦﴾ - ﴿٨﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾
 - حال مُقَدَّرَةٌ - أي : مُقَدَّرًا خُلُودُهُمْ فِيهَا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾
 حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (يعبدوا الله) ، وخصَّ الصلاة والزكاة ؛ لِشَرَفِهِمَا .
 قوله : ﴿وَذَلِكَ﴾ اسم الإشارة عائدٌ على المأمور به ؛ من العبادة ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة .
 قوله : (الْمِلَّةُ الْقَيِّمَةُ) قَدَرُهُ ؛ إشارةً إلى أَنَّ ﴿دِينُ﴾ مضافٌ لمحدوفٍ ، و﴿الْقَيِّمَةُ﴾ : صفةٌ لذلك المحدوف ؛ دفعاً لما يُقال : إِنَّ إضافةً ﴿دِينُ﴾ إلى ﴿الْقَيِّمَةُ﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته ، وهي بمنزلة إضافة الشيء إلى نفسه ، وفيها خلاف^(١) .
 قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ شُرُوعٌ في بيان جزاء كلِّ فريقٍ ومقرَّه .
 قوله : ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ ، والمعنى : أَنَّهُمْ مشتركون في جنس العذاب ، لا في نوعه لأنَّ عذاب الكفار مُخْتَلَفٌ على حَسَبِ كفرهم .
 قوله : (حالٌ مُقَدَّرَةٌ) أي : من الضمير المستكن في الخبر .
 قوله : (من الله تعالى) متعلِّقٌ بـ(خلودهم) ، والمعنى : نحن ننتظر خُلُودَهُمْ بسبب اعتقادنا أَنَّ الله يُخلِّدُهُمْ فيها ، فالتقدير منَّا ، والخلودُ المقدَّر من الله تعالى .
 قوله : ﴿شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ أفعال تفضيل ؛ وذلك لأنَّهُمْ أَشَرُّ من قُطَاعِ الطريق^(٢) ؛ لأنَّهُمْ قطعوا طريق الحقِّ على الخلق ، وأشَرُّ من الجهَّال ؛ لأنَّ الكفر مع العلم أسوئ منه مع الجهل . و(البرية) بالهمز في الموضعين وبتشديد الياء ، سبعيتان^(٣) .

(١) أي : ولا يحسن حمل القرآن الكريم على ما فيه خلاف .
 (٢) قوله : (أشَر) كذا هو الأصل في بناء التفضيل منه ، ولا يكادون يستعملونه إلا على لغة لبني عامر ، وقرئ في الشاذ : (من الكذاب الأشَر) على هذه اللغة . انظر «شرح التسهيل» لابن مالك (٥٣/٣) .
 (٣) قرأ نافع وابن ذكوان بالهمز في الحرفين ؛ لأنَّه من قولهم : (برأ الله الخلق) ، والباقون : بالياء المشدَّدة بعد الراء كـ(الذرية) تُرك همزه في الاستعمال . انظر «السراج المنير» (٥٧٢/٤) .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ: الخليفة. ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ﴾: إقامة ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿جَزَاؤُهُمْ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ حال، وقوله: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ﴾ خبره، وهذا من مقابلة الجمع بالجمع فيقتضي القسمة على الآحاد، فيكون لكل واحد جنة^(١)، وأدنى جنة الواحد مثل الدنيا وما فيها عشر مرات؛ كما أفاده بعض المفسرين^(٢).

قوله: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: الأربعة؛ الخمر، والماء، والعسل، واللبن.

قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ عامله محذوف؛ أي: دخلوها وأعطوها، وقوله: ﴿أَبَدًا﴾ ظرف زمان منصوب بـ﴿خَالِدِينَ﴾.

و﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾: يجوز أن يكون مستأنفاً، وأن يكون خبراً ثانياً. وعبر هنا في أهل الجنة بـ﴿أَبَدًا﴾، ولم يذكرها في أهل النار؛ لأنَّ المقام لهم مقام بسط وجمال، فالإطناب فيه من البلاغة. قوله: ﴿بطاعته﴾ أي: بسببها، وهو مصدر مضاف لمفعوله؛ أي: طاعتهم إيَّاه؛ أي: قيلها منهم، وجازاهم عليها.

قوله: ﴿بِثَوَابِهِ﴾ أي: بسبب إثابته لهم، فهو من إضافة المصدر لفاعله، قال الجنيدي: (الرضا يكون على قدر قوة العلم، والرسوخ في المعرفة)^(٣)، ويصحب العبد في الدنيا والآخرة، وليس كالخوف والرجاء والصبر والإشفاق وسائر الأحوال التي تزول عن العبد في الآخرة، بل العبد يُنعم في الجنة

(١) وقيل: الجمع باقٍ على حقيقته، وإنَّ لكل واحد جنات؛ كما يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾، ﴿وَمِنْ دُونِهَا جَنَّاتٍ﴾، فذكر لكل واحد أربع جنات. «فتوحات» (٤/٥٩٦).

(٢) انظر «السراج المنير» (٤/٥٧٢)، وفي «صحيح البخاري» (٧٥١١) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وآخر أهل النار خروجاً من النار.. رجلٌ يخرج حبواً، فيقول له ربُّه: ادخل الجنة، فيقول: ربُّ الجنة ملأى، فيقول له ذلك ثلاث مرات، فكلَّ ذلك يُعيد عليه: الجنة ملأى، فيقول: إنَّ لك مثل الدنيا عشر مرار».

(٣) انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨/٣٨٦).

ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ : خَافَ عِقَابَهُ فَانْتَهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ تَعَالَى .

حاشية الصاوي

بالرضا، ويسأل الله تعالى حتى يقول لهم: «برضائي أُجِلُّكم داري»^(١) أي: برضائي عنكم، وقال محمد بن الفضل: (الروح والراحة في الرضا واليقين، والرضا باب الله الأعظم، ومحلُّ استرواح العابدين)^(٢).

قوله: (﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾) اسم الإشارة عائدٌ على المذكور من تفصيل الجزاء الحسن.



(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٥/٧)، وأبو نعيم في «صفة أهل الجنة» (٢٨٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) انظر «الفتوحات» (٥٩٦/٤) نقلاً عن العلامة الكرخي، وفي «شُعَبُ الإِيْمَان» (٢٠٤) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «وإنَّ الله عزَّ وجلَّ بِقِسْطِهِ وَعَدْلِهِ جَعَلَ الرُّوحَ وَالرَّاحَةَ وَالْفَرَحَ فِي الرِّضَا وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي السَّخَطِ وَالشَّكِّ».

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (١)



مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ، تَسَعُ آيَاتٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾: حُرِّكَتْ لِقِيَامِ السَّاعَةِ ﴿زِلْزَالَهَا﴾: تَحْرِيكُهَا الشَّدِيدِ

حاشية الصاوي

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

(مَكِّيَّةٌ) أَي: فِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَعَطَاءٍ وَجَابِرٍ، وَقَوْلِهِ: (أَوْ مَدَنِيَّةٌ) أَي: فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ.
قَوْلُهُ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾... إلخ ﴿إِذَا﴾: ظُرِفَ لِمَا يَسْتَقْبِلُ مِنَ الزَّمَانِ، جَوَابُهُ: ﴿تُحْدِثُ﴾،
وَهُوَ عَامِلُ النَّصْبِ فِي ﴿إِذَا﴾؛ وَلِذَا يَقُولُونَ: (خَافِضٌ لَشَرْطِهِ، مَنْصُوبٌ بِجَوَابِهِ). وَهَذَا هُوَ التَّحْقِيقُ
عِنْدَ الْجُمْهُورِ.

قَوْلُهُ: (حُرِّكَتْ لِقِيَامِ السَّاعَةِ) هَذَا أَحَدُ قَوْلَيْنِ، وَهُوَ أَنَّ الزَّلْزَلَةَ الْمَذْكُورَةَ تَكُونُ عِنْدَ النَّفْخَةِ
الْأُولَى، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١) يَوْمَ تَرْوَنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ
مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ... [الحج: ١-٢] الآية، وَعَلَيْهِ جُمْهُورُ الْمُفْسِّرِينَ، وَالثَّانِي: عِنْدَ النَّفْخَةِ
الثَّانِيَةِ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ بَعْدُ: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَنْبَاءُ﴾؛ فَإِنَّ شَهَادَتَهَا بِمَا وَقَعَ عَلَيْهَا إِنَّمَا هِيَ بَعْدَ الثَّانِيَةِ،
وَكَذَلِكَ انْصِرَافُ النَّاسِ مِنَ الْقُبُورِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْفَالَهَا﴾... فَمُحْتَمَلٌ.

قَوْلُهُ: ﴿زِلْزَالَهَا﴾ (مَصْدَرٌ مُضَافٌ لِفَاعِلِهِ، وَهُوَ بِالْكَسْرِ فِي قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ، وَقُرِئَ شَذُوذًا بِالْفَتْحِ،
وَهُمَا مَصْدَرَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَقِيلَ: الْمَكْسُورُ مَصْدَرٌ، وَالْمَفْتُوحُ اسْمٌ^(١)).

قَوْلُهُ: (تَحْرِيكُهَا الشَّدِيدُ... إلخ) أَي: فَلَا تُسْكَنُ حَتَّى تُلْقِي مَا عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ جَبَلٍ وَشَجَرٍ

وَبِنَاءٍ.

وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ
أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾

الْمُنَاسِبَ لِعِظَمِهَا، ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: كُنُوزُهَا وَمَوَاتِهَا فَأَلْقَتْهَا عَلَى ظَهْرِهَا،
﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ﴾ الْكَافِرُ بِالْبَعْثِ: ﴿مَا لَهَا﴾: إنكاراً لتلك الحالة.

(٤ - ٥) ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذَا﴾، وَجَوَابُهَا: - ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾: تُخْبِرُ بِمَا
عَمِلَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، ﴿يَنَّ﴾: بِسَبَبِ أَنْ ﴿رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أَي: أَمَرَهَا
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ﴾ إظهارٌ في مقام الإضمار؛ لزيادة التقرير.

قوله: ﴿أَثْقَالَهَا﴾ جمع (ثَقُلَ) بالكسر؛ ك(جَمَلٍ وَأَحْمَالٍ).

قوله: (كُنُوزُهَا وَمَوَاتِهَا) المناسبُ أن يعبرَ بـ(أو)؛ لأنَّهما قولان، قيل: المراد: إخراج
الأموات، وقيل: المراد: إخراج الكُنُوز، والأوَّل بعد النفخة الثانية، والثاني في زمن عيسى
وما بعده، وهما مفرَّعان على القولين المتقدمين، فأعطى الله الأرض قُوَّةً على إخراج الأثقال؛ كما
أعطاهَا القُوَّةَ على إخراج الثِّبَات اللطيف الطريِّ الذي هو أنعمُ من الحرير.

قوله: (الكاfer بالبعث) أي: بخلاف المؤمن؛ فإنَّه يعترف بها ويقول: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ
وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

قوله: (إنكاراً لتلك الحالة) المناسب أن يقول: (تعجباً من تلك الحالة)؛ لأنَّه وقت وقوع ذلك
لا يَسَعُهُ إنكارٌ، بل يتعجَّب من تلك الحالة الفظيعة.

قوله: (بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذَا﴾) أي: والعامل فيه هو العامل في المبدل منه، وقيل: غيره^(١)، والتنوين
عوضٌ عن الجَمَلِ الثلاث المذكورة بعد (إذا).

قوله: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ اختُلِفَ في هذا التَّحْدِيث؛ فقليل: هو كلامٌ حقيقيٌّ بأن يَخْلُقَ اللهُ فيها
حياةً وإدراكاً، فتشهد بما عمل عليها من طاعةٍ ومعصيةٍ، وهو الظاهر، وقيل: هو مجازٌ عن
إحداث الله فيها من الأحوال ما يقوم مقامُ التَّحْدِيثِ باللسان. و(حَدَّثَ) يتعدَّى إلى مفعولين: الأول:
محذوفٌ، تقديره: (النَّاسَ)، والثاني: قوله: ﴿أَخْبَارَهَا﴾.

قوله: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ عدَّاه باللام؛ لِمُرَاعَاةِ الْفَوَاصِلِ. والوحيُّ إليها؛ إمَّا بِالْإِهَامِ، أو رسولٍ
من الملائكة.

(١) أي: مكرَّر على الخلاف في العامل في البَدَل.

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْنَاءًا لِّئُرَوْا أَعْمَلُهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

بذلك، في الحديث: «تَشْهَدُ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِكُلِّ مَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا».

﴿٦﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ: يَنْصَرِفُونَ مِنْ مَوْقِفِ الْحِسَابِ ﴿أَشْنَاءًا﴾: مُتَفَرِّقِينَ؛ فَآخِذُ ذَاتِ الْيَمِينِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَآخِذُ ذَاتِ الشَّامِلِ إِلَى النَّارِ؛ ﴿لِّئُرَوْا أَعْمَلُهُمْ﴾ أَي: جَزَاءُهَا مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ.

(٧ - ٨) ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (بذلك) أي: بالتحديث بأخبارها.

قوله: (في الحديث... إلخ) أشار بذلك إلى حديث جرير قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ فقال: «أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنَّ أخبارها أن تشهد على كلِّ عبدٍ أو أمةٍ بما عمل على ظهرها؛ تقول: عمل عليّ كذا وكذا»، رواه أحمد والترمذي وصحَّحه الحاكم وغيره^(١).

قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدلٌ من ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ قبله، أو منصوب بـ﴿يَصْدُرُ﴾.

قوله: (من موقف الحساب) أي: وقيل: يرجعون من قبورهم إلى ربهم.

قوله: ﴿أَشْنَاءًا﴾ حالٌ من ﴿النَّاسِ﴾، جمع (شَتَيْتَ)، وقوله: (متفرقين) أي: على حسب وصفهم بالإيمان وضده، وتفاوتهم في الأعمال؛ فأهل الإيمان على حدة، وأهل الكفر على حدة، فَآخِذُ ذَاتِ الْيَمِينِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَآخِذُ ذَاتِ الشَّامِلِ إِلَى النَّارِ.

قوله: ﴿لِّئُرَوْا أَعْمَلُهُمْ﴾ متعلق بـ﴿يَصْدُرُ﴾، وهو من الرؤية البصرية، يتعدَّى بالهمزة إلى اثنين، أولهما: الواو التي هي نائب الفاعل، وثانيهما: ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾.

قوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: تفصيلٌ للواو في قوله: ﴿لِّئُرَوْا أَعْمَلُهُمْ﴾، قال مقاتل: (نزلت في رجلين، أحدهما: كان يأتيه السائل، فيستقلُّ أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير؛ كالكذبة، والغيبة، والنظرة، ويقول: إنما وعد الله تعالى النار على الكبائر)^(٢)، فنزلت هذه الآية؛ لترغيبهم في القليل من الخير يُعطونه؛ ولهذا قال عليه الصلاة

(١) «مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَد» (١٤/١٥٥)، و«سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ» (٢٤٢٩)، و«الْمُسْتَدْرَكُ» (٢/٢٥٧) كلُّهم عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أوردَه عنه القرطبي في «تفسيره» (٢٠/١٥١).

خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

زَنَةَ نَمْلَةٍ صَغِيرَةٍ ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾: يَرِ ثَوَابَهُ، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾: يَرِ جَزَاءَهُ.

حاشية الصاوي

والسلام: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ.. فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»^(١)، وَلِتُحَذِّرَهُمُ الْيَسِيرَ مِنَ الذَّنْبِ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ لعائشة: «إِيَّاكَ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّ لَهَا مِنْ اللَّهِ طَالِبًا»^(٢).

وقال ابن مسعود: (هذه الآية أحكم آية في القرآن وأصدق)^(٣)، وقال كعب الأحبار: (لقد أنزل على محمد ﷺ آيتان أحصتا ما في التوراة والإنجيل والزبور والصحف؛ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٤)).

إن قلت: كيف عمم مع أن حسنات الكافر مُحَبَّطَةٌ بالكفر، وسيئات المؤمن الصغائر مَغْفُورَةٌ باجتناب الكبائر؟

أجيب: بأن المعنى: يرى كلُّ من المؤمن والكافر حسناته وسيئاته مكتوبةً في الصحف، ولا يلزم من رؤيتها جزاؤه عليها؛ لما وردَ عن ابن عباس: (ليس من مؤمن ولا كافرٍ عَمِلَ خيراً كان أو شراً.. إلا أراه الله إِيَّاه، فأما المؤمن.. فيَغْفِرُ له سيئاته، ويُثَبِّتُه بحسناته، وأما الكافر.. فَتُرَدُّ حسناته تحسراً، ويعَذَّبُ بسيئاته)^(٥)، وهذا يُسَاعِدُهُ النَّظْمُ الكريم.

قوله: (زنة نملة صغيرة) أي: وكلُّ مئة منها وزنُ حَبَّةٍ شَعِيرٍ، وأربع ذرات وزنُ خَرْدَلَةٍ، وقال ابن عباس: (إذا وضعت يدك على الأرض ورفعتها؛ فكلُّ واحدةٍ ممَّا لَزِقَ من التراب ذرَّةً)^(٦)، وفسَّرَ الذَّرَّةَ بعضهم بالهباء التي تُرَى طائفةً في الشُّعاعِ الدَّاخِلِ من الكُوَّةِ، وقيل: الذَّرَّةُ: جزءٌ من ألفٍ وأربعةٍ وعشرين جزءاً من الشعيرة.

قوله: ﴿خَيْرًا﴾ تَمَيِّزٌ من ﴿مِثْقَالَ﴾ وكذا ﴿شَرًّا﴾، ويصحُّ أنهما بدلان من ﴿مِثْقَالَ﴾، و﴿يَرَهُ﴾

(١) رواه البخاري (٦٠٢٣)، ومسلم (١٠١٦) عن سيدنا عدي بن حاتم ؓ.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٧٨/٤٠)، والدارمي في «سُنَنِهِ» (٢٧٨٦).

(٣) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٥٢/٢٠) وفيه: (وصدق) بدل (وأصدق).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/٦).

(٥) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٥٥).

(٦) رواه الأجرى في «الشرعية» (٧٩٧).

حاشية الصاوي

في الموضعين: جواب الشرط، مجزومٌ بحذف الألف، وهي قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بإثباتها، ويكون مجزوماً بحذف الحركة المقدرة، على حد قول الشاعر^(١): [الرجز]

إِذَا الْعَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلَّقِي وَلَا تَرْضَاهَا وَلَا تَمْلُقِي

وفي الهاء قراءتان سبعيتان: إحداهما: بسكونها وقفاً ووصلاً في الحرفين، والثانية: بضمها وصلاً، وسكونها وقفاً^(٢).

فائدة: ورد: «أَنَّ مَنْ قَرَأَ ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ.. كَانَ كَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ»^(٣)، وورد عن ابن عباس عنه رضي الله عنه قال: «﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ تعدل نصف القرآن، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، و﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكَاثِرُونَ﴾ تعدل ربع القرآن»^(٤).



(١) انظر «خزانة الأدب» (٨/٣٥٩)، والشاهد: أنه أثبت الألف في (ترضّاها) مع أن حقها الحذف للجازم، وأمّا قوله:

(فطلقي) و(لا تملقي).. فكذا هو في الأصول بإثبات الياء، وفي المصادر بحذفها، ولعلّ الإثبات للإشباع.

(٢) قرأ هشام بسكون هاء (يَرَّة) وصلاً في الحرفين، وباقي السبعة بضمها موصولةً بواو وصلاً، وساكنة وقفاً كسائر هاء الكناية، هذا ما قرأتُ به. ونقل الشيخ - أي: أبو حيان - عن هشام وأبي بكر سكونها، وعن أبي عمرو ضمها مُشبعة، وباقي السبعة بإشباع الأولى، وسكون الثانية. انظر «الدر المصون» (١١/٧٧).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/٢٦٣) بسند ضعيف عن سيدنا علي رضي الله عنه، ويشهد له ما رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٣٠٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه: (و﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ تعدل ربع القرآن).

(٤) رواه الترمذي (٢٨٩٤).

﴿وَالْعَدِيَّتِ صَبَحًا﴾



مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ، إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿وَالْعَدِيَّتِ﴾: الْخَيْلُ تَعْدُو فِي الْغَزْوِ وَتَضْبَحُ ﴿صَبَحًا﴾ هُوَ صَوْتُ

أَجْوَافِهَا إِذَا عَدَتْ،

حاشية الصاوي

سُورَةُ ﴿وَالْعَدِيَّتِ﴾

وَتُسَمَّى: سُورَةُ (العاديات) بغير واو.

قوله: (مَكِّيَّةٌ) أَي: فِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِ، وَقَوْلُهُ: (أَوْ مَدَنِيَّةٌ) أَي: فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ، وَيُؤَيِّدُهُ: مَا رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعَثَ خَيْلًا، فَمَضَى شَهْرًا لَمْ يَأْتِهِ مِنْهُمْ خَبَرٌ، فَنَزَلَتْ إِعْلَامًا لَهُ بِمَا حَصَلَ^(١).

قوله: ﴿وَالْعَدِيَّتِ﴾... إلخ) أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَقْسَامٍ ثَلَاثَةٍ عَلَى أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ؛ تَعْظِيمًا لِلْمَقْسَمِ بِهِ، وَتَشْنِيعًا عَلَى الْمَقْسَمِ عَلَيْهِ. وَالْعَادِيَّاتُ: جَمْعُ (عَادِيَةٍ)، وَهِيَ: الْجَارِيَةُ بِسُرْعَةٍ؛ مِنْ: الْعَدْوِ، وَهُوَ: الْمَشْيُ بِسُرْعَةٍ.

قوله: (الْخَيْلُ تَعْدُو فِي الْغَزْوِ) أَي: تُسْرِعُ فِي الْكُرِّ عَلَى الْعَدُوِّ، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ مَدْحِ الْغَزَاةِ وَتَعْظِيمِهِمْ.

قوله: (وَتَضْبَحُ ﴿صَبَحًا﴾) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿صَبَحًا﴾ مَنْصُوبٌ بِفَعْلٍ مَحْذُوفٍ، وَهَذَا الْفِعْلُ حَالٌ مِنَ (العاديات).

قوله: (هُوَ صَوْتُ أَجْوَافِهَا) أَي: صَوْتُ يَسْمَعُ مِنْ صُدُورِ الْخَيْلِ عِنْدَ الْعَدْوِ، وَلَيْسَ بِصَهِيلٍ

(١) أوردته ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٨٠).

فَالْمُورِبَتِ قَدَحًا ﴿٢﴾ فَاَلْمُغِيرَتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرَنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾

﴿فَالْمُورِبَتِ﴾: الخيل تُورِي النَّارَ ﴿قَدَحًا﴾ بِحَوَافِرِهَا إِذَا سَارَتْ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الْحِجَارَةِ بِاللَّيْلِ، ﴿فَاَلْمُغِيرَتِ صُبْحًا﴾: الخيل تُغِيرُ عَلَى الْعَدُوِّ وَقْتَ الصُّبْحِ بِإِغَارَةِ أَصْحَابِهَا.

(٤ - ٥) ﴿فَأَثَرَنَ﴾: هَيَّجَنَ ﴿بِهِ﴾: بِمَكَانٍ عَدُوهِنَّ أَوْ بِذَلِكَ الْوَقْتِ ﴿نَقْعًا﴾:

حاشية الصاوي

ولا همهمة^(١)، قال ابن عباس: (ليس شيء من الدواب يَضْبَحُ غير الفرس والكلب والثعلب، وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغير حالها من تعب أو فرح)^(٢).

قوله: ﴿فَالْمُورِبَتِ﴾ عطفه وما بعده بالفاء؛ لأنه مرتب على العدو.

قوله: (تُورِي النَّارَ) أي: تخرجها من الحجارة إذا ضربتها بحوافرها، يقال: (وَرَى الزَّندَ يَرِي وَرِيًّا)، من باب (وَعَدَ)، فهو لازم، و(أوريت) رباعياً لازماً ومتعدياً، وما في الآية من قبيل المتعدي؛ بدليل تفسير المفسر.

قوله: ﴿قَدَحًا﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف، تقديره: (تقدح)، ولم يذكره المفسر؛ اتكالا على ما قاله في ﴿صُبْحًا﴾.

قوله: ﴿فَاَلْمُغِيرَتِ﴾ أسند الإغارة - وهي مُبَاغِتَةُ الْعَدُوِّ لِلنَّهْبِ أَوْ الْقَتْلِ أَوْ الْأَسْرِ - لِلخِيلِ مجازاً عقلياً؛ لمجاورتها لأصحابها، وحقه أن يُسندَ لهم.

قوله: (وقت الصبح) أشار بذلك إلى أن ﴿صُبْحًا﴾ منصوب على الظرفية، والصُّبْحُ: هو الوقت المعتاد في الغارات، يسيرون ليلاً؛ لئلا يشعر بهم العدو، ويهجمون عليهم صباحاً؛ ليروا ما يأتون، وما يذرون.

قوله: (بمكانٍ عَدُوهِنَّ...) إلخ) أعاد الضمير على المكان وإن لم يتقدم له ذكر؛ لأنَّ الْعَدُوَّ لَا بَدْءَ لَهُ مِنْ مَكَانٍ، وقوله: (أو بذلك الوقت) أي: وقت الصبح، فهما تفسيران، وعلى كل: فالباء من ﴿بِهِ﴾ بمعنى (في).

(١) قوله: (همهمة) كذا في الأصول، وفي «الفتوحات» والمعاجم: (حممة)، وحمم الفرس حُمَّمَةٌ: إذا ردَّد الصوت ولم يصهل كالمُنْتَحِنِح.

(٢) أورده البغوي في «تفسيره» (٢٩٥/٥).

فَوَسَّطَنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾

غُبَاراً بِشِدَّةِ حَرَكَتَيْهِ، ﴿فَوَسَّطَنَ بِهِ﴾: بِالنَّقْعِ ﴿جَمْعًا﴾ مِنَ الْعَدُوِّ أَي: صِرْنَ وَسَطَهُ - وَعُطِفَ الْفِعْلُ عَلَى الْأِسْمِ لِأَنَّهُ فِي تَأْوِيلِ الْفِعْلِ؛ أَي: وَاللَّاتِي عَدُوْنَ فَأَوْرَيْنَ فَأَعْرَنَ ..

(٦ - ٨) ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾: لَكَفُورٍ يَجْحَدُ نِعْمَتَهُ تَعَالَى، ...

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَوَسَّطَنَ﴾ أتى بالفاء في هذا والذين قبله؛ لترتب كل على ما قبله، فإنَّ توسُّط الجمع مترتب على الإثارة المتقدمة على الإغارة المترتبة على العدو.

قوله: (بالنَّقْع) أشار بذلك إلى أنَّ ضمير ﴿بِهِ﴾ عائدٌ على النَّقْع، والباء: لِلْمُلَابَسَةِ، والمعنى: صِرْنَ وَسَطَ الجمع من الأعداء مُلتبسَاتٍ بالنَّقْع.

قوله: (أَي: صِرْنَ وَسَطَهُ) أَي: الجمع، ووسَّط: بسكون السين إن صحَّ حلولُ (بين) محلَّه كما هنا، وإلَّا... فهو بالتَّحريك، ويجوز على قِلَّةِ إِسْكَانِهَا، يقال: (جَلَسْتُ وَسَطَ الْقَوْمِ) بالسكون، و: (وَسَطَ الدَّارِ) بالتَّحريك.

قوله: (على الاسم) أَي: على كلِّ من الأسماء الثلاثة؛ بدليل قوله: (واللاتي عَدُوْنَ... إلخ)، وقوله: (لأنَّه) أَي: الاسم، وقوله: (في تأويل الفعل) أَي: لِيُوقِعَهُ صَلَةً لـ(أل)، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله^(١): [الرجز]

وَاعِطَفَ عَلَى اسْمٍ شَبَّهِ فِعْلٍ فِعْلاً وَعَكْساً اسْتَعْمِلَ تَجِدُهُ سَهْلاً

قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ هذا هو جوابُ القسم.

قوله: (الكافر) هذا أحدُ وجهين، والآخر: أنَّ المراد به الجنس، والمعنى: أنَّ الإنسانَ مجبورٌ على ذلك إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْ تِلْكَ الْخِصَالِ.

قوله: (لكفور) أَي: فيقال: (كَنَدَ النُّعْمَةَ) أَي: كَفَرَهَا، وبابه (دَخَلَ)، وفي الحديث: «الكنودُ: الذي يأكل وحده، ويمنع رِفْدَهُ - أَي: عطاءه - وَيَضْرِبُ عَبْدَهُ»^(٢)، وقال ذو النون المصري: (الهلوعُ والكنودُ هو الذي إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزَّوعٌ، وإذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعٌ)^(٣)، وقيل: هو الجهول لِقَدَرِهِ،

(١) كما في «الخلاصة»، باب: عطف النسق.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٦٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٧٨) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٦١/٢٠)، وفيه: (جزوعاً، منوعاً) بدل (جزوع، منوع).

وَأِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَءَسُ الْقُبُورِ ﴿٩﴾

﴿وَأِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ أي: كُنُودِهِ ﴿لَشَهِيدٌ﴾: يَشْهَدُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِصُنْعِهِ، ﴿وَأِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ أي: المالِ ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: لَشَدِيدُ الْحُبِّ لَهُ فَيَخْلُ بِهِ.

(٩ - ١١) ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَءَسُ الْقُبُورِ﴾: أُثِيرَ وَأُخْرِجَ ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾ مِنَ الْمَوْتَى
أي: بُعِثُوا،

حاشية الصاوي

وفي الحكم: (مَنْ جَهِلَ قَدْرَهُ.. هَتَكَ سِتْرَهُ)^(١)، وقيل: هو الْحَقُّودُ الْحَسُودُ.

قوله: ﴿وَأِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ الضمير عائدٌ على (الإنسان)، واسم الإشارة عائدٌ على (الكنود)، والمعنى: وإنَّ الإنسانَ على كُنُودِهِ لَشَهِيدٌ، والمراد: شهادته في الدنيا؛ فإنَّ حالَهُ وعَمَلُهُ يدلَّان على كُنُودِهِ وكُفْرِهِ، وهذا ما مشى عليه المفسر، وهذا أحدُ احتمالين، والآخر: أنَّ الضمير في (إنَّه) عائدٌ على الله تعالى، والمعنى: وإنَّ الله تعالى لَشَهِيدٌ على كُنُودِ الإنسان؛ فيكون زيادةً في الوعيد.

قوله: (بصنعه) أي: بما صنعه وعَمِلَهُ، والباء: سببية.

قوله: ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ متعلِّقٌ بـ(شديد) قدَّم كالذي قبله؛ رعايةً للفواصل. واللام: للتقوية، وحبه للمال يحمله على البخل، وقيل: للتعليل، ومعنى (شديد): بخيلٌ.

قوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ الهمزة داخلَةٌ على محذوفٍ، والفاء عاطفةٌ عليه، والتقدير: أيفعل ما يفعل من القبائح فلا يعلم... إلخ، والهمزة: للإنكار، و(يعلم) بمعنى (عرف) فتتعدَّى لمفعولٍ واحدٍ هو محذوفٌ، تقديره: (أنا نُجَازِيهِ)، دلَّ عليه قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾، وقوله: ﴿إِذَا بُعِثَ رَءَسُ الْقُبُورِ﴾: ظرفٌ للمفعول المحذوف، ولا يصحُّ أن يكون ظرفاً للعلم؛ لأنَّ الإنسان لا يُقصد منه العلم في ذلك الوقت، وإنما يُراد للعلم، وهو في الدنيا، ولا لـ(بعثر)؛ لأنَّ المضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا لقوله: (خبير)؛ لأنَّ ما بعد (إنَّ) لا يعمل فيما قبلها، فتعيَّن أن تكون ظرفاً للمفعول المحذوف، تأمل.

قوله: ﴿إِذَا بُعِثَ رَءَسُ الْقُبُورِ﴾ البعثرة - بالعين - والبَحْثرة - بالحاء -: استخراج الشيء واستكشافه، وعَبَّرَ بـ(ما) تغليياً لغير العاقل.

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٤١/١٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٢٢٤) من كلام سيدنا ذي النون المصري رحمه الله تعالى.

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

﴿وَحُصِّلَ﴾: بَيَّنَّ وَأَفْرَزَ ﴿مَا فِي الصُّدُورِ﴾: الْقُلُوبِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾: لَعَالِمٌ فَيُجَازِيهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، - أَعِيد الضَّمِيرُ جَمْعاً نَظْراً لِمَعْنَى الْإِنْسَانِ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ دَلَّتْ عَلَى مَفْعُولٍ ﴿يَعْلَمُ﴾ أَي: إِنَّا نُجَازِيهِ وَقْتَ مَا ذَكَرَ، وَتَعَلَّقَ (خَبِيرٌ) بِـ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ وَهُوَ تَعَالَى خَبِيرٌ دَائِماً لِأَنَّهُ يَوْمُ الْمُجَازَاةِ -.

حاشية الصاوي

قوله: (نظراً لِمَعْنَى الْإِنْسَانِ) أَي: لِأَنَّهُ اسْمُ جِنْسٍ.

قوله: (دَلَّتْ عَلَى مَفْعُولٍ ﴿يَعْلَمُ﴾) أَي: الْمَحْذُوفُ الَّذِي هُوَ عَامِلٌ فِي (إِذَا)، وَالتَّنْوِينُ فِي (يَوْمَئِذٍ) عَوْضٌ عَنْ جَمْلَتَيْنِ، وَالتَّقْدِيرُ: يَوْمَ إِذْ بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

قوله: (وَقْتَ مَا ذَكَرَ) أَي: مِنَ الْبُعْثَةِ وَتَحْصِيلُ مَا فِي الصُّدُورِ، وَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (إِذَا) ظَرْفِيَّةٌ بِمَعْنَى (وَقْتَ)؛ فَلَا جَوَابَ لَهَا.

قوله: (وَتَعَلَّقَ «خَبِيرٌ» بِـ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾...) (إِلَخ) جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ: كَيْفَ قَالَ ذَلِكَ مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى خَبِيرٌ بِهِمْ فِي كُلِّ زَمَنٍ، فَأَجَابَ: بِأَنَّهُ أَطْلَقَ الْعِلْمَ وَأَرَادَ الْمَجَازَاةَ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَّخَبِيرٌ﴾: أَنَّهُ يُجَازِيهِمْ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْجَزَاءَ مُقَيَّدٌ بِذَلِكَ الْيَوْمِ؛ نَظِيرَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء: ٦٣] أَي: يُجَازِيهِمْ.



﴿أَلْقَارِعَةُ﴾ (١) مَا أَلْقَارِعَةُ (٢)



مَكِّيَّة، ثمان آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿أَلْقَارِعَةُ﴾ أي: القيامة التي تَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِأَهْوَالِهَا، ﴿مَا أَلْقَارِعَةُ﴾

- تَهْوِيلٌ لِشَأْنِهَا،

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْقَلِعَةِ

مناسبتها لما قبلها: أنه تعالى لما ذكر بعثرة القبور، وختم السورة المتقدمة بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾.. أتبعه بأحوال القيامة، كأنه قيل: وما ذلك اليوم؟ فقيل: هو القارعة.

قوله: (ثمان آيات) هذا أحد أقوال، وقيل: عشر، وقيل: إحدى عشرة آية^(١).

قوله: ﴿أَلْقَارِعَةُ﴾ هي في الأصل: الصَّوْتُ الشَّدِيدُ، سُمِّيَتِ الْقِيَامَةُ بِذَلِكَ؛ لأنها تَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِالْفَزَعِ وَالشَّدَائِدِ، وعليه دَرَجُ الْمَفْسَرِ، وقيل: لأنَّ إِسْرَافِيلَ يَقْرَعُ الصُّورَ بِالنَّفْخِ، فإذا نفخ النَّفْخَةُ الْأُولَى.. مات جميع الخلائق، وبالثانية يَحْيَوْنَ.

قوله: (التي تَقْرَعُ الْقُلُوبَ) أي: تَفْزَعُهَا، ولا مفهوم للقلوب، بل تُؤَثِّرُ فِي الْأَجْرَامِ الْعَظِيمَةِ؛ فتؤثِّرُ فِي السَّمَاوَاتِ بِالْإِنْشِقَاقِ، وفي الْأَرْضِ بِالتَّبْدِيلِ، وفي الْجِبَالِ بِالدَّكِّ وَالنَّسْفِ، وفي الْكَوَاكِبِ بِالْإِنْشَارِ، وفي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ بِالتَّكْوِيرِ، وغير ذلك.

قوله: (تهويلٌ لِشَأْنِهَا) أي: وتأكيدٌ لِفِظَاعَتِهَا بِكُونِهَا خَارِجَةً عَنْ دَائِرَةِ عِلْمِ الْخَلَائِقِ، وفي كلام المفسر إشارةً إِلَى أَنَّ (ما) الاستفهامية فيها معنى التَّعْظِيمِ والتَّعَجُّبِ.

(١) في «البيان في عدّ آي القرآن» (ص ٢٨٥): (هي ثمان آيات في البصري والشافعي، وعشر في المدنيين والمكي، وإحدى عشرة في الكوفي، اختلفوا ثلاث آيات: ﴿أَلْقَارِعَةُ﴾ الأولى عدّها الكوفي ولم يعدّها الباقون، ﴿تَقْلَتَ مَوَازِينُهُمْ﴾، و﴿خَفَّتْ مَوَازِينُهُمْ﴾ لم يعدّها البصري والشافعي، وعدّها الباقون).

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾

وهما مُبتدأ وخبر، خبرُ ﴿الْقَارِعَةُ﴾ - ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ : أَعْلَمَكَ ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ زيادةً تهويل لها - و(ما) الأولى مُبتدأ وما بعدها خبره، و(ما) الثانية وخبرها في محلِّ المفعول الثاني لـ(أدرى) ..

(٤ - ٥) ﴿يَوْمَ﴾ - ناصبه دَلٌّ عليه ﴿الْقَارِعَةُ﴾ أي : تَقَرَّع - ﴿يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ : كَغَوَاةِ الْجَرَادِ الْمُنتَشِرِ يُمُوجُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ لِلْحَيْرَةِ إِلَى أَنْ يُدْعَوْا لِلْحِسَابِ،

حاشية الصاوي

قوله : (وهما مبتدأ وخبر) المبتدأ هو ﴿مَا﴾ الاستفهامية، والخبر : ﴿الْقَارِعَةُ﴾، وقوله : لـ ﴿الْقَارِعَةُ﴾) أي : الأولى الواقعة مبتدأ، والرباط إعادة المبتدأ بلفظه .

قوله : (زيادة تهويل لها) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام الثاني - وهو قوله : ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ - للتهويل والتعظيم، وأما الأول وهو ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ .. فهو إنكاري، والمعنى : أنت لا تعلم هول القارعة ؛ لشدته وفظاعته إلا بوحى منَّا، فالمنفي علمه من غير وحي .

قوله : (في محلِّ المفعول الثاني لـ «أدرى») أي : والكاف مفعولٌ أول .

قوله : (دَلٌّ عليه ﴿الْقَارِعَةُ﴾) أي : ولا يصحُّ أن يكون العامل فيه لفظ ﴿الْقَارِعَةُ﴾ الأول ؛ للفصل بينهما بالخبر، ولا الثاني والثالث ؛ لعدم التثامه معه في المعنى، فتعيَّن أن يكون عامله محذوفاً، دَلٌّ عليه لفظ ﴿الْقَارِعَةُ﴾ .

قوله : ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾) أي : ووجهُ الشَّبه : الكثرة والانتشار، والضعف والذلة، والاضطراب والتطاير إلى النار، والطَّيش الذي يلحقهم، وركوبُ بعضهم بعضاً ؛ ففي هذا التشبيه مبالغتٌ شتى .

قوله : (كغواء الجراد) الغَوَاءُ : الجراد الصَّغير بعد أن يَنْبِت جناحُه، الذي ينتشر في الأرض ولا يَدْرِي أين يتوجَّه، وقيل : هو شيءٌ يُشبه البعوضَ ولا يعضُّ ؛ لضعفه، ووجه الجمع بين ما هنا وبين آية ﴿كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر : ٧] : أنَّ أولَّ حالهم كالفراش يقومون من قبورهم مُتَحَيِّرِينَ لا يَدْرُونَ أين يتوجَّهون، ثمَّ لما يُدْعَوْنَ للحساب .. يكونون كالجراد ؛ لأنَّ لها وجهاً تقصده .

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾: كالصُوفِ المندوف في خِفة سَيْرِهَا حَتَّى تَسْتَوِيَ مَعَ الْأَرْضِ.

(٦ - ٧) ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: بِأَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾: فِي الْجَنَّةِ أَي: ذَاتِ رِضَى، بِأَنْ يَرْضَاهَا أَي: مَرْضِيَّةً لَهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (كالصُوفِ المندوف) أي: بعد أن تَفَتَّتَ كالرَّمْلِ السَّائِلِ، ثُمَّ بعد كونها كالعِهْنِ تصيرُ هباءً مُنبِثًا، فمراتب الجبال ثلاثة: تَفَتَّتْهَا، ثُمَّ صِيرُورُتُهَا كالعِهْنِ، ثُمَّ صِيرُورُتُهَا هباءً مُنبِثًا، وقوله: (المندوف) أي: المضروب بالْمِنْدَفَةِ، وهي الخَشْبَةُ التي يُطْرَقُ بِهَا الْوَتَرُ لِيَرَقَّ. وإنما جمع بين حال النَّاسِ وحال الجبال؛ تنبيهاً على أَنَّ تلك القارعة أثرت في الجبال العظيمة الصُّلْبَةِ حَتَّى تصير كالعِهْنِ الْمَنْفُوشِ مع كونها غير مُكَلَّفَةٍ؛ فكيف حال الإنسان الضعيف الذي هو مقصودٌ بالتكليف والحساب؟! قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ تفصيلٌ لأحوال النَّاسِ في ذلك اليوم، والمراد بالموازن: الموزونات؛ أي: الأعمال التي تُوزَن.

قوله: (بأن رجحت حسناته... إلخ) أي: وأولى إذا عُدِمَتْ سَيِّئَاتُهُ وَلَمْ يُوجَدْ لَهُ إِلَّا حَسَنَاتٌ.

قوله: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أي: حياة طيبة، وقوله: (في الجنة) تفسيرٌ بِاللَّازِمِ.

قوله: (أي: ذات رضا) أشار بذلك إلى أَنَّ المراد: عيشة مَنسوبة للرضا؛ كـ(لابن) و(تامر)؛ ولذا فسرَها بقوله: (أي: مَرْضِيَّة)، وفي نُسخة: (أو مَرْضِيَّة)، فهو إشارةٌ إلى أَنَّ الإسناد مجازيٌّ؛ أي: راضٍ صاحبُها بها، فهو مجازٌ عقليٌّ، أو أطلق اسم الفاعل وأراد اسم المفعول، فهو مجازٌ مُرسَلٌ، والمعنى: أَنَّ مَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ.. فهو في حياة طيبة في الجنة، ورضاً من الله عليه، وهو مع ذلك راضٍ بما أعطاه له رَبُّهُ، فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَرَضُوا عَنْهُ.

قوله: (بأن رجحت سيئاته على حسناته) أي: وأولى إذا عُدِمَتْ حَسَنَاتُهُ رَأْسًا.

إن قلت: إِنَّ ظاهِرَ الآية يقتضي أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْعَاصِيَ إذا زادت سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ تكون أمُّهُ هَاوِيَةً. وأجيب: بَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَدُلُّ عَلَى خُلُودِ فِيهَا، بَلْ إِنْ عَامَلَهُ رَبُّهُ بِالْعَدْلِ.. أَدْخَلَهُ النَّارَ بِقَدَرِ ذَنْبِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى الْجَنَّةِ، فَقوله: ﴿فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ يعني: ابتداءً إِنْ عَامَلَهُ بِالْعَدْلِ، وَهَذَا مَا دَرَجَ عَلَيْهِ الْمَفْسَّرُ.

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ﴿١٠﴾

(٨ - ١١) ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بِأَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ، ﴿فَأُمُّهُ﴾: فَمَسْكَنُهُ ﴿هَآوِيَةٌ﴾ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ﴾ أَي: مَا هَاوِيَةٌ،

حاشية الصاوي

وقيل: المراد بخفة الموازين: خلوها من الحسنات بالكلية، وتلك موازين الكفار، والمراد بثقل الموازين: خلوها من السيئات بالكلية، أو وجود سيئات قليلة لا توازي الحسنات. وبقي قسم ثالث وهو مَنْ استوت حسناته وسيئاته، وحكمه: أَنَّهُ يحاسب حساباً يسيراً، ويدخل الجنة.

والحاصل: أَنَّ مَنْ وُجِدَتْ لَهُ حسنات فقط، أو زادت على سيئاته.. فهو في الجنة بغير حساب، وَمَنْ استوت حسناته وسيئاته.. فهو يحاسب حساباً يسيراً ويدخل الجنة، وَمَنْ زادت سيئاته على حسناته.. فهو تحت المشيئة؛ إن شاء الله.. عفا عنه، وإن شاء.. عذبه بقدر جرمه، ثُمَّ يدخل الجنة، وَمَنْ وُجِدَتْ لَهُ سيئات فقط وهو الكافر.. فمأواه النار خالداً فيها. نسأل الله السلامة.

قوله: (فَمَسْكَنُهُ) عُبِّرَ عَنِ الْمَسْكَنِ بِ(الْأُمِّ)؛ لِأَنَّ أَهْلَهُ يَأْوُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَأْوِي الْوَلَدُ إِلَى أُمِّهِ، فَيَضُمُّهُمْ إِلَيْهِ كَمَا تَضُمُّ الْأُمُّ الْأَوْلَادَ إِلَيْهَا، وقيل: المراد: أُمُّ رَأْسِهِ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ يَهُوُونَ فِي النَّارِ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَبِهِ قَالَ قَتَادَةُ.

قوله: ﴿هَآوِيَةٌ﴾ سَمِيَتْ بِذَلِكَ؛ لَغَايَةِ عُمُقِهَا، وَبُعْدِ مَهْوَاهَا. رُوي: «أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَهُوُونَ فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا»^(١). فَتَحْصَلُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِ(الْهَآوِيَةِ): النَّارُ بِجَمِيعِ طَبَاقِهَا، وَيُطْلَقُ عَلَى طَبَقَةِ أَسْفَلٍ يَعَذَّبُ فِيهَا الْمُنَافِقُونَ، فَمِثْلُ (لُظَى) وَ(الْحَطْمَةِ) وَ(الْهَآوِيَةِ) وَ(جَهَنَّمَ) وَبَقِيَّةَ أَسْمَائِهَا.. تُطْلَقُ عَامَّةً وَخَاصَّةً.

وفي الآية احتباك، حَذَفَ مِنَ الْأَوَّلِ (فَأُمُّهُ الْجَنَّةُ)، وَذَكَرَ ﴿فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾، وَحَذَفَ مِنْ هُنَا (فِي عَيْشَةٍ سَاخِطَةٍ) وَذَكَرَ ﴿فَأُمُّهُ هَآوِيَةٌ﴾، فَحَذَفَ مِنْ كُلِّ نَظِيرٍ مَا أَثْبَتَهُ فِي الْآخَرِ.

قوله: ﴿وَمَا هِيَةٌ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة سَدَّتْ مَسَدَّ الْمَفْعُولِ الثَّانِي لِـ﴿أَدْرَاكَ﴾، وَالْكَافُ: مَفْعُولُهُ الْأَوَّلُ.

(١) انظر «تفسير البغوي» (٣٧٥/٥)، وروى الترمذي (٢٥٧٦) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «الصَّعُودُ جَبَلٌ مِنْ نَارٍ، يَتَصَعَّدُ فِيهِ الْكَافِرُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، وَيَهْوِي فِيهِ كَذَلِكَ مِنْهُ أَبَدًا».

نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾

هي ﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾: شَدِيدَةُ الْحَرَارَةِ - وَهَاءٌ ﴿هِيَةَ﴾ لِلسَّكْتِ تُثَبَّتُ وَصَلًا وَوَقْفًا، وَفِي قِرَاءَةٍ تُحَذَفُ وَصَلًا ..

حاشية الصاوي

قوله: (هي ﴿نَارُ﴾) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿نَارُ﴾ خبرٌ لمحذوفٍ.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهما سبعتان^(١)، وقوله: (تحذف وصلًا) أي: وتثبت وقفًا.



(١) أثبت الهاء في ﴿مَا هِيَةَ﴾ القُرَّاءُ كُلُّهُمْ إِلَّا حمزة رحمه الله؛ فإنه حذف الهاء وصلًا وأثبتها وقفًا. انظر «الدر المصون»

﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ②



مَكِّيَّة، ثَمَان آيَات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(① - ②) ﴿أَلْهَنَكُمْ﴾: شَغَلَكُمْ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ﴿التَّكَاثُرُ﴾: التَّفَاخُرُ بِأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ وَالرِّجَالِ، ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ بِأَنْ مُتُّمْ فَدُفِنْتُمْ فِيهَا،
حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

أي: السورة التي ذُكِرَ فيها ذَمُّ التكاثر. ومناسبتها لما قبلها: أنه لما ذكر أهوال القيامة.. ذَمُّ
اللاهين والمشتغلين عنها.

قوله: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ (ألهى): فعلٌ ماضٍ رباعيٌّ، والكاف: مفعول مقدم، و﴿التَّكَاثُرُ﴾:
فاعلٌ مؤخَّر، فالهمزة من بنية الكلمة، تثبت ولو في الدرج، والمعنى: شَغَلَكُمْ التَّبَاهِي بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ
عَنْ عِبَادَةِ رَبِّكُمْ.

والتكاثر: (تَفَاعُل) كـ(التجاذب)، وهو يكون بين اثنين؛ لأنَّ أحد الشخصين المتفاخرين يقول
لصاحبه: (أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً)، و(أل) في (التكاثر) للعهد، وهو التَّكَاثُرُ فِي الدُّنْيَا وَلِذَلِكَ
وَعَلَائِقُهَا الْمَشْغَلُ عَنْ حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى.

قوله: (عن طاعة الله) هي شاملةٌ للواجبة والمندوبة.

قوله: (والرجال) أي: الانتساب إليهم؛ كالأقرباء، والأحباب.

قوله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ ﴿حَتَّى﴾: غايةٌ للإلهاء المذكور، وهذا هو مَحْطُ الذَّمِّ، وإلا؛
فإن تاب من ذلك قبل موته.. قُبِلَ وكأنه لم يحصل منه تكاثر.

قوله: (بأن مُتُّمْ فَدُفِنْتُمْ فيها) أي: فيقال: (زار قبره): إذا مات ودُفِنَ، والمعنى: أَلْهَاكُمْ
جَرُّكُمْ عَلَى تَكْثِيرِ أَمْوَالِكُمْ عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ حَتَّى أَتَاكُمْ الْمَوْتُ وَأَنْتُمْ عَلَى ذَلِكَ.

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

أَوْ عَدَدْتُمْ الْمَوْتَى تَكَاثُرًا.

(٣ - ٨) ﴿كَلَّا﴾ - رَدَع - ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿سَوْفَ عَاقِبَةُ تَفَاخُرِكُمْ عِنْدَ النَّزْعِ ثُمَّ فِي الْقَبْرِ﴾

حاشية الصاوي

ولا يُقال: إِنَّ الزيارة تكون ساعةً وتنقضي والميت يَمُكثُ في قبره؛ لأننا نقول: إِنَّ الموتى يَرتحلون من القبور للحساب، فكانَ مدَّةٌ مكثه في قبره زيارةٌ له. والمقابر: جمع (مقبرة) بتثنية الباء، وهي المحلُّ الذي تُدفنُ فيه الأموات.

قوله: (أو: عددتم الموتى) تفسيرٌ ثانٍ للزيارة، فعبرَ عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر؛ تهكُّمًا بهم، وعليه: فزيارة المقابر كنايةٌ عن الانتقال من ذكر الأحياء إلى ذكر الأموات تفاخرًا، وإنَّما كان تهكُّمًا؛ لأنَّ زيارة القبور شُرِعتْ لتذكُّر الموت، ورفض حبِّ الدنيا، وترك المباهاة والتفاخر، وهؤلاء عكسوها؛ حيثُ جعلوا زيارة القبور سببًا لمزيد القساوة والاستغراق في حبِّ الدنيا، والتفاخر في الكثرة. فحاصلُ الوجهين راجعٌ إلى أنَّ المراد بالزيارة: إمَّا الانتقال إلى الموت، أو الانتقال من ذكر الأحياء إلى ذكر الأموات وتعدادهم والتفاخر بهم، ومن ذلك: ما يفعله أهلُ زماننا؛ من زخرفة النعوش والقبور وما يتبع ذلك ممَّا هو مذمومٌ شرعاً وطبعاً، وأمَّا ذكرُ مكارم الأخلاق والطاعات.. فيَجوز؛ إن لم يكن على وجه العجب، بل على سبيل التحدُّث بالنَّعم، أو ليقتدى به.

قوله: (ردع) مشى المفسر على أنَّ ﴿كَلَّا﴾ الأولى والثانية حرفُ ردع، والثالثة بمعنى (حقاً)، ومشى غيره على التسوية بين الثلاثة، فهي فيها إمَّا للردع، أو بمعنى (حقاً)، وقيل: إنها في الثلاثة بمعنى (ألا) الاستفاحية.

قوله: (عند النزاع ثم في القبر) لفٌّ ونشْرٌ مرتَّبٌ، فقوله: (عند النزاع) راجعٌ لقوله: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الأول، وقوله: (ثم في القبر) راجعٌ للثاني، و(ثم) على بابها من المُهله، وهذا قول علي بن أبي طالب، والحكمة في حذف متعلِّق العلم من الأفعال الثلاثة: أنَّ الغرض هو الفعل لا مُتعلِّقه، والعلم بمعنى: المعرفة، فيتعدَّى لمفعول واحد، أشار له المفسر بقوله: (سوء عاقبة تفاخركم).

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾

﴿كَلَّا﴾: حَقًّا ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾: عِلْمًا يَقِينًا عَاقِبَةُ التَّفَاخُرِ مَا اسْتَغْلَظْتُمْ بِهِ، ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾: النَّارَ - جَوَابُ قَسَمٍ مَحذُوفٍ، وَحُذِفَ مِنْهُ لَامُ الْفِعْلِ وَعَيْنُهُ وَأُلْقِيَ حَرَكَتُهَا عَلَى الرَّاءِ - ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ - تَأْكِيدٌ - ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ - مَصْدَرٌ لِأَنَّ (رَأَى) وَعَايَنَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ -

حاشية الصاوي

قوله: (أي: علماً يقينياً) أشار بذلك إلى أنَّ إضافة (العلم) إلى (اليقين) من إضافة الموصوف إلى صفته، والمعنى: لو تعلمون ما بين أيديكم علماً يقيناً.. ما شغلكم التَّكَاثُرُ عن طاعة الله.

قوله: (عاقبة التَّفَاخُرِ) بيان لمفعول العلم، وقوله: (ما استغلظتم به) جواب ﴿لَوْ﴾.

قوله: (جواب قَسَمٍ محذوف) أي: ولا يصحُّ أن يكون جواباً لـ(لو)؛ لأنَّه محقق الوقوع، فلا يصحُّ تعليقه. والرؤية هنا بصرية تتعدى إلى مفعول واحد.

قوله: (وحذف منه لام الفعل) أي: وهي الياء، وقوله: (وعينه) أي: وهو الهمزة؛ لأنَّ أصله (ترأيون) على وزن (تَفْعَلُونَ)، نُقِلَتْ حركة الهمزة للراء قبلها، فسقطت الهمزة، وتحركت الياء وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، حُذِفَت الألف لالتقاء الساكنين، ثُمَّ دخلت نون التوكيد الثقيلة، فحذفت نون الرفع؛ لتوالي الأمثال، وحُرِّكَت الواو بالضممة لالتقاء الساكنين، ولم تحذف؛ لعدم الدليل الذي يدلُّ عليها.

قوله: (تأكيد) هذا أحد قولين، والآخر: أنَّ الأوَّل هو رؤية اللَّهَبِ، والثَّاني هو رؤية ذاتها، وما فيها من أنواع العقاب.

قوله: ﴿﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾﴾ صفة لمصدر محذوف؛ أي: لَتَرَوُنَّهَا رؤية هي عينُ اليقين، ووصفت الرؤية التي هي سبب اليقين بكونها نفس اليقين؛ مُبَالِغَةً.

والفرق بين (علم اليقين) و(عين اليقين): أنَّ عِلْمَ اليقين هو: إدراك الشيء من غير مُشَاهَدَةٍ، وعين اليقين هو: العِلْمُ به مع المُشَاهَدَةِ، وَأَمَّا حَقُّ اليقين.. فهو المُشَاهَدَةُ مع المِلَاصَقَةِ والمِمَازَجَةِ، وقد أخبر الله هنا بالأوَّلَيْنِ، وأخبر بالثالث في سورة (الواقعة) حيث قال: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ...﴾ [الواقعة: ٩٢] الآية^(١).

(١) تمامها: ﴿فَقَرَأْ مِنْ جَمِيعٍ ۖ وَمِنْهَا جَمِيعٌ ۚ إِنَّ هَذَا لَمَوْحٌ يُبَيِّنُ﴾.

ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ﴾ - حُذِفَ مِنْهُ نُونُ الرَّفْعِ لِتَوَالِي النُّونَاتِ، وَوَاوُ ضَمِيرُ الْجَمْعِ لِإِلْتِقَاءِ السَّاكِنِينَ -
﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يَوْمَ رُؤْيَيْهَا ﴿عَنِ النَّعِيمِ﴾: مَا يُلْتَذُّ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الصُّحَّةِ وَالْفَرَاغِ وَالْأَمْنِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ﴾ الأظهر: أَنَّ الخطاب للكفار؛ لأنهم هم المشتغلون بالدُّنْيَا والتَّفَاخُرِ
بلذاتها عن طاعة الله تعالى.

وقيل: هو عامٌّ في حقِّ المؤمن والكافر؛ فعن أنسٍ: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ الْآيَةُ.. قَامَ رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ
مَحْتَاجٌ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ مِنَ النَّعْمِ شَيْءٌ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْظِّلُّ، وَالنَّعْلَانِ، وَالْمَاءُ
الْبَارِدُ»^(١).

والأولى أَن يُقَالَ: السُّؤَالُ يُعْمُ الْمُؤْمَنَ وَالْكَافِرَ، لَكِنْ سَوَّالُ الْكَافِرِ تَوْبِيخٌ وَتَقْرِيعٌ؛ لِتَرْكِهِ الشُّكْرَ،
وَسَوَّالُ الْمُؤْمِنِ تَشْرِيفٌ، وَإِظْهَارٌ لِفَضْلِهِ، وَتَبَشِيرٌ بِأَن يَجْمَعَ لَهُ بَيْنَ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
و(ثُمَّ) عَلَى بَابِهَا مِنَ التَّرْتِيبِ الْمَعْنَوِيِّ؛ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ النَّارَ فِي الْمَوْقِفِ تُحْدِقُ بِهِمْ، ثُمَّ يَذْهَبُونَ
لِلْحِسَابِ، فَيُسْأَلُونَ.

قوله: (حُذِفَتْ مِنْهُ نُونُ الرَّفْعِ) أَي: فَاصْلُهُ: (تَسْأَلُونَنَ) حُذِفَتْ نُونُ الرَّفْعِ؛ لِتَوَالِي النُّونَاتِ،
فَالْتَقَى سَاكِنَانِ، حُذِفَتْ الْوَاوُ؛ لِإِلْتِقَائِهِمَا، وَبَقِيََتِ الضَّمَّةُ دَلِيلًا عَلَيْهَا.

قوله: ﴿عَنِ النَّعِيمِ﴾ أَي: عَنْ جَمِيعِ أَفْرَادِهِ وَأَنْوَاعِهِ، فَ(أَل) لِلِاسْتِغْرَاقِ.

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦١٩/٨) لابن مردويه، وانظر «تفسير الرازي» (٢٧٤/٣٢). وأشهر الأخبار
في هذا: ما رواه مسلم (٢٠٣٨) عن سيدنا أبي هريرة ؓ قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم، أو ليلة؛ فإذا هو
بأبي بكر وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالا: الجوع يا رسول الله، قال: «وأنا، والذي
نفسى بيده، لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا»، فقاموا معه، فأتى رجلاً من الأنصار؛ فإذا هو ليس في بيته، فلمَّا
رأته المرأة.. قالت: مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء؛
إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبه، ثم قال: الحمد لله ما أحدُّ اليوم أكرم أضيافاً مِنِّي، قال:
فانطلق، فجاءهم بعذق فيه بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرَطْبٌ، فقال: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخِذْ الْمُدِيَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَاكَ
وَالْحُلُوبَ»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعَذْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُّوا.. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
لَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَيْتِكُمَا الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا
حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ».

وَالْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

حاشية الصاوي

قوله: (وغير ذلك) أي: كظلال المساكن والأشجار، والأخبية التي تقي من الحرِّ والبرد، والماء البارد، وكحل العين، ولبس الإنسان ثوب أخيه، وشبع البطن، ولذة النوم، والعافية، ونحو ذلك ممَّا لا يحصى عدداً. روى الحاكم والبيهقي: «ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم؟» قالوا: ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية؟ قال: «أما يستطيع أحدكم أن يقرأ: ﴿أَلْهَنَكُمْ أَلْكَافُرُ﴾؟»^(١).



(١) «المستدرک» (١/٥٦٦)، و«شعب الإيمان» (٢٢٨٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما.



مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ، ثَلَاثُ آيَاتٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿وَالْعَصْرِ﴾: الدَّهْرُ، أَوْ مَا بَعْدَ الزَّوَالِ إِلَى الْغُرُوبِ أَوْ صَلَاةُ الْعَصْرِ،

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْعَصْرِ

(مَكِّيَّةٌ) أَي: فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْجُمْهُورِ، وَقَوْلُهُ: (أَوْ مَدَنِيَّةٌ) أَي: فِي قَوْلِ قَتَادَةَ، وَنُقِلَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضاً.

قَوْلُهُ: (ثَلَاثُ آيَاتٍ) هَذِهِ السُّورَةُ وَ(الْكُوْثُرُ) أَقْصَرُ سُورِ الْقُرْآنِ، وَهُمَا وَإِنْ كَانَتَا مِنْ جِهَةِ الْأَلْفَاظِ قَلِيلَتَيْنِ.. فَمَعْنَاهُمَا كَثِيرٌ لَا يَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ.

قَوْلُهُ: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ (قَسَمٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، وَجَوَابُهُ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ﴾).

قَوْلُهُ: (الدَّهْرُ... إلخ) هَذَا أَحَدُ الْأَقْوَالِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمَفْسِّرُ فِي مَعْنَى الْعَصْرِ، وَوَجْهُ قَسَمِهِ بِالذَّهْرِ: أَنَّهُ يَحْصُلُ فِيهِ السَّرَاءُ وَالضَّرَاءُ، وَالصَّحَّةُ وَالسَّقَمُ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرُ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَلِأَنَّ الْعَمْرَ لَا يُقَاوَمُ بِشَيْءٍ؛ فَلَوْ ضَيَّعَتْ أَلْفُ سَنَةٍ فِيمَا لَا يَعْنِي ثُمَّ ثَبَّتَتْ السَّعَادَةُ فِي اللَّمْحَةِ الْآخِرَةِ.. بَقِيَتْ فِي الْجَنَّةِ أَبَدَ الْآبَادِ، فَكَانَ أَشْرَفَ الْأَشْيَاءِ حَيَاتُكَ فِي تِلْكَ اللَّمْحَةِ، وَلِأَنَّ الدَّهْرَ وَالزَّمَانَ مِنْ جُمْلَةِ أَصُولِ النَّعْمِ، وَقَوْلُهُ: (أَوْ: مَا بَعْدَ الزَّوَالِ إِلَى الْغُرُوبِ) أَي: وَوَجْهُ الْقَسَمِ بِهِ: أَنَّ فِيهِ الْعَجَائِبَ، وَأَيْضاً: يَدْرِكُ الْمَقْصُرُ فِيهِ مَا فَاتَهُ أَوَّلُ النَّهَارِ، وَقَوْلُهُ: (أَوْ: صَلَاةُ الْعَصْرِ) أَي: فَأَقْسَمَ بِهَا؛ لِشَرَفِهَا، وَلِأَنَّهَا الصَّلَاةُ الْوَسْطَى فِي قَوْلٍ؛ بِدَلِيلِ مَا فِي مُصْحَفِ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى صَلَاةَ الْعَصْرِ)^(١)، وَلِمَا وَرَدَ: «مَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ.. فَكَأَنَّمَا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ»^(٢).

(١) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٨٧/٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٩٨٢)، وَفِيهِ: (وَالصَّلَاةُ الْوَسْطَى صَلَاةُ الْعَصْرِ).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٦٢٦) عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ : الجنس ﴿لِفِي خُسْرٍ﴾ في تجارتِه ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فليُسُوا في خُسْرانٍ ،

حاشية الصاوي

وقيل : العصر : زمانُ رسول الله ﷺ ، فأقسَم بزمانه كما أقسم بمكانه في قوله : ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد : ١] ، وبُعمره في قوله : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَقْمَهُونَ﴾ [الحجر : ٧٢] ؛ ففيه تنبيه على أنَّ عصره أفضل العصور ، وبلده أفضل البلاد ، وحياته أفضل من حياة غيره .

وقيل : العصر : زمانه وزمانُ أمته ؛ لأنه ختام العصور ، وأفضلها ، وفيه ظهورُ الساعة وعجائبها . قوله : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ مشى المفسر على أنَّ المراد بـ(الإنسان) : الجنس الشامل للمسلم والكافر ؛ وذلك لأنَّ الإنسان لا يَنفَكُ عن خسرانٍ ؛ لأنَّ الخسران هو تضييع العمر ؛ فإنَّ كلَّ ساعة تمرُّ من عمر الإنسان ؛ إمَّا أن تكون تلك الساعة في طاعة أو معصية ، فإن كانت في معصية .. فهو الخسران المبين ، وإن كانت في طاعة .. فلعلَّ غيرها أفضل وهو قادرٌ عليه ، فكان فعلٌ غير الأفضل تضييعاً وخسراناً .

وأيضاً : ربحُ الإنسان في طلب الآخرة وحبِّها ، والإعراض عن الدنيا ، فلمَّا كانت الأسباب الدَّاعية إلى الآخرة خفيةً ، والأسبابُ الدَّاعية إلى حبِّ الدنيا ظاهرةً ، وكثر اشتغالُ النَّاس بحبِّ الظاهر .. كانوا في خسار وبوارٍ ، قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم فيما لم يُخلَقوا له .

وقوله : ﴿لِفِي خُسْرٍ﴾ أي : غبنٍ ، وقيل : هلكةٌ ، وقيل : عقوبةٌ ، وقيل : شرٌّ ، وقيل : نقصٌ ، والمعنى مُتقارب ، وقيل : المراد بالإنسان : الكافر ؛ بدليل استثناء المؤمنين بعدُ ، وخسرانه ظاهرٌ .

قوله : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الاستثناء مُتَّصِل إن أُريد بالإنسان الجنس ، وأمَّا إن أُريد به خصوص الكافر .. فهو منقطعٌ ؛ لأنَّ المؤمنين لم يَدْخُلُوا في عموم الخسران .

قوله : ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي : امْتَلُوا المأمورات ، واجتنبوا المنهيات .

واعلم : أنَّه سبحانه وتعالى حكم بالخسران على جميع النَّاس إلَّا مَنْ أتى بهذه الأشياء الأربعة ، وهي الإيمان ، والعمل الصالح ، والتَّوَصِّي بالحقِّ ، والتَّوَصِّي بالصَّبْر .

والحكمة في ذلك : أنَّ هذه الأمور اشتملت على ما يخصُّ الإنسان في نفسه ، وهو الإيمان ، والعمل الصالح ، وما يَخُصُّ غيره ، وهو التَّوَصِّي بالحقِّ ، والتَّوَصِّي بالصَّبْر ، فإذا جَمَعَ ذلك .. فقد قام بحقِّ الله ، وحقُّ عبادِهِ .

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٣)

﴿وَتَوَاصَوْا﴾: أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: الْإِيمَانِ، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عَلَى الطَّاعَةِ وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ.

حاشية الصاوي

قوله: (أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا) أَشَارَ بِذَلِكَ أَنَّ ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ فَعْلٌ مَاضٍ، لَا فَعْلٌ أَمْرٍ.

قوله: (أي: الْإِيمَانِ) أي: وَفُرُوعِهِ؛ مِنَ الطَّاعَةِ، وَاتِّبَاعِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَالرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ كَرَّرَ الْفِعْلَ؛ لِاخْتِلَافِ الْمَفْعُولَيْنِ، وَالصَّبْرُ وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا فِي عَمُومِ الْحَقِّ إِلَّا أَنَّهُ أَفْرَدَهُ بِالذِّكْرِ؛ اعْتِنَاءً بِشَأْنِهِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ زِيَادَةِ حَبْسِ النَّفْسِ، وَالرِّضَا بِأَحْكَامِ الرِّبَوِيَّةِ.

قوله: (عَلَى الطَّاعَةِ، وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ) أي: وَعَلَى الْبَلَايَا وَالْمَصَائِبِ، وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسَّرُ.

وقيل: الْمَعْنَى: إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عُمِّرَ فِي الدُّنْيَا وَهَرِمَ. . . لَفِي تَقْصِيرٍ وَتَرَاجُعٍ حَسًّا وَمَعْنَى، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْتُبُ أَجُورَهُمْ، وَمَحَاسِنَ أَعْمَالِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي شَبَابِهِمْ وَصَحَّتِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ ضَعُفَتْ أَجْسَامُهُمْ لَا يَنْقُصُونَ مَعْنَى، وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى: فَتَكُونُ هَذِهِ الْآيَةُ بِمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ثُمَّ رَدَّدَتْهُ أَسْفَلَ سَفَلَيْنِ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤-٦].



﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (١)



مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ، تِسْعُ آيَاتٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿وَيْلٌ﴾: كَلِمَةٌ عَذَابٌ أَوْ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ أَي: كَثِيرٌ

حَاشِيَةُ الصَّاوِي

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

مُنَاسِبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا: أَنَّهُ لَمَّا قَالَ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾.. بَيَّنَّ فِي هَذِهِ حَالِ الْخَاسِرِينَ وَمَا لَهُمْ.
 قَوْلُهُ: (كَلِمَةٌ عَذَابٌ) أَي: كَلِمَةٌ يُطَلَّبُ بِهَا الْعَذَابُ، وَيُدْعَى بِهَا، وَعَلَى هَذَا: فَتَكُونُ الْجُمْلَةُ
 إِنْشَائِيَّةً، سَوْغُ الْإِبْتِدَاءِ بِهَا مَعَ كَوْنِهَا نَكْرَةً قَصْدُ الدُّعَاءِ عَلَيْهِم بِالْهَلَكَةِ.
 إِنْ قُلْتُ: كَيْفَ يَدْعُو اللَّهُ بِذَلِكَ مَعَ أَنَّهُ هُوَ الْمُنْشِئُ لِلْأَفْعَالِ كُلِّهَا؟
 أُجِيبُ: بِأَنَّهُ طَلَبَ مِنْ نَفْسِهِ الْإِحَاقَ الْوَيْلَ لَهُمْ؛ إِظْهَاراً لَأَثَارِ غَضَبِهِ كَمَا يَفْعَلُ الْغَضَبَانُ بِمَا
 غَضِبَ عَلَيْهِ، وَتَقَدَّمَ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: (أَوْ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ) «أَوْ»: لِتَنْوِيعِ الْخِلَافِ، وَعَلَى هَذَا: فَالْجُمْلَةُ خَبَرِيَّةٌ، وَيَكُونُ (وَيْلٌ)
 حِينَئِذٍ مَعْرِفَةً؛ لَكَوْنِهِ عِلْماً.

قَوْلُهُ: ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الْهُمَزُ فِي الْأَصْلِ: الْكُسْرُ، وَاللَّمَزُ: الطَّعْنُ الْحَسِّيَّانِ، ثُمَّ خُصَّصَا
 بِالْكَسْرِ لِأَعْرَاضِ النَّاسِ وَالطَّعْنِ فِيهِمْ، وَالتَّاءُ فِيهِمَا: لِلْمُبَالَغَةِ فِي الْوَصْفِ، وَاطَّرَدَ بِنَاءُ (فَعْلَةٌ) بِضَمِّ
 الْفَاءِ، وَفَتْحِ الْعَيْنِ لِمُبَالَغَةِ الْفَاعِلِ؛ أَي: الْمُكْثَرُ مِنَ الْفِعْلِ، وَإِذَا سَكَّنْتَ الْعَيْنَ.. يَكُونُ لِمُبَالَغَةِ
 الْمَفْعُولِ، يُقَالُ: (رَجُلٌ لُّعْنَةٌ) بَفَتْحِ الْعَيْنِ: لِمَنْ كَانَ يُكْثِرُ لَعْنَ غَيْرِهِ، وَ: (لُعْنَةٌ) بِسُكُونِ الْعَيْنِ: إِذَا كَانَ
 مَلْعُوناً لِلنَّاسِ. وَ(الْهُمَزُ) كـ(اللَّمَزُ) وَزناً وَمَعْنَى، وَبَابُهُ: (ضَرَبَ).

الَّذِي جَمَعَ

الْهَمْزُ وَاللَّمْزُ أَي: الْغَيْبَةُ، نَزَلَتْ فِي مَنْ كَانَ يَغْتَابُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ كَأُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ وَالْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَغَيْرِهِمَا، ﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ - بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ -
حاشية الصاوي

قال ابن عباس: (هم المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون العيب للبريء)^(١)، وقال ﷺ: «شرُّ عباد الله المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبراء العيب»^(٢)، وعلى هذا القول: ف(اللمزة) تأكيد ل(الهمزة) من باب: التأكيد بالمرادف؛ كقولهم: (حسنٌ بسنٌ، وعفريتٌ نفريتٌ).

وقيل: إنَّ معناهما مختلفٌ؛ فقال مقاتل: (الهمزة: الذي يعيبك في الغيب، واللمزة: الذي يببك في الوجه)^(٣)، وقيل بالعكس، وقيل: الهمزة: الذي يهزم الناس بيده ويضرُّهم، واللمزة: الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم، وقيل: الهمز: باللسان، واللمز بالعين، وقيل: الهمزة: الذي يؤذي جلسه بسوء اللفظ، واللمزة: الذي يكسر عينه، ويشير برأسه، ويرمزُ بحاجبه، وهذه الأقوال كلها ترجع إلى الطعن، وإظهار العيب، فيدخل في ذلك مَنْ يحاكي الناس في أقوالهم وأفعالهم وأصواتهم؛ ليضحكوا منه.

قوله: (وغيرهما) أي: كالأخنس بن شريق، والعاص بن وائل السهمي، وجميل بن معمر، والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فهذا وعيدٌ لمن يغتاب المسلمين، ولا سيما العلماء والصلحاء، ولكن يُقال: هو مخلدٌ في النار إن مات كافراً، وإلا... فهو تحت المشيئة.

قوله: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا﴾ بدل كل من كل.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما سبعيتان، فقراءة التشديد تُفيد التّفاني والمبالغة في الجمع، بخلاف قراءة التخفيف^(٤). ونكر ﴿مَالًا﴾ للتّعظيم.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥٩٦/٢٤).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٢٣) عن سيدتنا أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، وفيه: (العتت) بدل (العيب).

(٣) أورده العلامة الخطيب في «السراج المنير» (٥٨٥/٤).

(٤) قرأ الأخوان - حمزة والكسائي - وابنُ عامر بتشديد الميم على المبالغة والتكثير، ولأنه يُوافق (عدده)، والباقون بالتخفيف، وهي مُحتملة للتكثير وعدَمِهِ. انظر «الدر المصون» (١٠٦/١١).

مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْحُطْمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ

﴿مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾: أحصاه وجعله عُدَّةً لِحَوَادِثِ الدَّهْرِ، ﴿يَحْسَبُ﴾ لِحَبْلِهِ ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾: جعله خالداً لا يَمُوتُ.

﴿٤ - ٧﴾ ﴿كَلَّا﴾ - رَدَع - ﴿لَيُبَدِّلَنَّا﴾ - جَوَابُ قَسَمٍ مَحذُوفٍ - أي: لَيُطْرَحَنَّ ﴿فِي الْحُطْمَةِ﴾ التي تُحْطَمُ كُلُّ مَا أُلْقِيَ فِيهَا، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أَعْلَمَكَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَعَدَّدَهُ﴾ العائمة على تشديد الدال الأولى، وقرئ شذوذاً بتخفيفها^(١)، والضَّمِيرُ إمَّا عائِدٌ على المال، والتَّقْدِيرُ: (وجمع عَدَدَهُ)؛ أي: أحصاه وَعَلِمَهُ، أو عائِدٌ على نَفْسِهِ، والمعنى: جمع مَالاً وَجَمَعَ عَدَدَ نَفْسِهِ؛ من عشيرته وأقاربه، وعلى هذين الوجهين: فد(عَدَدَهُ) اسمٌ معطوف على (مَالاً)، ويحتمل أن (عَدَدَ): فعلٌ ماضٍ بمعنى: عَدَّه إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مُدْغَمٍ.

قوله: (وجعله عُدَّةً) الواو بمعنى (أو)؛ لأنَّهما تَفْسِيرَانِ، فعلى الأول: هو مأخوذٌ من العُدَّ، وعلى الثاني: من العُدَّة بمعنى: الاستعداد والادِّخار لِحَوَادِثِ الزَّمَنِ.

قوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ﴾ . . . إلخ) إمَّا مُسْتَأْنَفٌ وَقَعَ فِي جَوَابِ سَوَالٍ مُقَدَّرٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: ما بَأَ يَجْمَعُ الْمَالَ وَيَهْتَمُّ بِهِ؟ أو: حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ ﴿جَمَعَ﴾.

قوله: ﴿أَخْلَدَهُ﴾ هو ماضٍ معناه المضارع؛ أي: يَظُنُّ لِحَبْلِهِ أَنَّ مَالَهُ يُوصِلُهُ إِلَى رُتْبَةِ الْخُلُودِ فِي الدُّنْيَا، فيصير خالداً فيها ولا يموت، أو يَعْمَلُ مِنْ تَشْيِيدِ الْبَنِيَانِ، وَغَرْسِ الْأَشْجَارِ، وَعِمَارَةِ الْأَرْضِ، عَمَلٌ مَنْ ظَنَّ أَنَّ مَالَهُ أَبْقَاهُ حَيًّا.

قوله: (ردع) أي: عن حُسْبَانِهِ الْمَذْكُورِ، فالمعنى: ليس الأمر كما يَظُنُّ أَنَّ الْمَالَ أَخْلَدَهُ، وقيل: إِنَّ ﴿كَلَّا﴾ بمعنى (حقاً).

قوله: (التي تُحْطَمُ) أي: تكسر؛ ففي (الحطمة) مماثلةٌ لعمله لفظاً ومعنى؛ لأنَّها بوزن (هُمَزَة) و(لُمَزَة)^(٢).

قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ استفهامٌ إنكاريٌّ بمعنى النَّفْيِ؛ أي: لم تَعْلَمْ قَدْرَ هَوْلِهَا وَعَظَمَتِهَا إِلَّا بِالْوَحْيِ مِنْ رَبِّكَ.

(١) وبالتخفيف قرأ الحسن والكلبي. انظر المرجع السابق.

(٢) أي: وفيهما كسرٌ كما في (الحطمة) كسرٌ كذلك.

مَا الْخَطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمْرٍِ مُّمدَّدَةٍ ﴿٩﴾

﴿مَا الْخَطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾: الْمُسْعَرَةُ، ﴿الَّتِي تَطْلُعُ﴾: تُشْرِفُ ﴿عَلَى الْأَفْنَدَةِ﴾: الْقُلُوبِ فَتُحْرِقُهَا، وَأَلَمَهَا أَشَدُّ مِنْ أَلَمِ غَيْرِهَا لِلطَّفْهِهَا.

(٨ - ٩) ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ﴾ - جَمَعَ الضَّمِيرِ رِعايَةً لِمَعْنَى (كُلِّ) - ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ - بِالْهَمْزِ وَبِالْوَاوِ بَدَلَهُ -: مُطَبَّقَةٌ، ﴿فِي عَمْرٍِ﴾ - بِضَمِّ الْحَرْفَيْنِ وَبِفَتْحِهِمَا - ﴿مُمدَّدَةٍ﴾ - صِفَةٌ لِمَا قَبْلَهُ، فَتَكُونُ النَّارُ دَاخِلَ الْعُمْدِ ..

حاشية الصاوي

قوله: ﴿نَارُ اللَّهِ﴾ الإضافة للتعظيم والتعظيم.

قوله: (المُسْعَرَةُ) بالتخفيف والتشديد؛ أي: المهيَّجَةُ، الشَّديدة اللَّهَبِ، التي لا تخمد أبداً.

قوله: ﴿الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ﴾ أي: تَغْشَاهَا وَتَحِيطُ بِهَا، وَخَصَّ (الأفندة) بالذكر؛ لكونها أَلْطَفُ مَا فِي الْجَسَدِ، وَأَشَدُّه تَأَلِّماً بِأَدْنَى عَذَابٍ، أَوْ لِأَنَّهَا مَحَلُّ الْعَقَائِدِ الزَّائِغَةِ، وَالنِّيَّاتِ الْخَبِيثَةِ، فَهِيَ مَنْشَأُ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ.

قوله: (وَأَلَمُهَا) أي: الْقُلُوبِ، وَالْمَعْنَى: تَأَلَّمُهَا أَشَدُّ مِنْ تَأَلُّمِ غَيْرِهَا مِنْ بَقِيَّةِ الْبَدَنِ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ: أَنَّ الْأَلَمَ إِذَا وَصَلَ إِلَى الْفُؤَادِ .. مَاتَ صَاحِبُهُ، فَهُمْ فِي حَالٍ مَنْ يَمُوتُ وَهُمْ لَا يَمُوتُونَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [طه: ٧٤]، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: (تَأْكُلُ النَّارُ جَمِيعَ مَا فِي أَجْسَادِهِمْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ إِلَى الْفُؤَادِ .. خَلَقُوا خَلْقاً جَدِيداً، فَتَرْجِعُ تَأْكُلُهُمْ ... وَهَكَذَا) ^(١).

قوله: (بِالْهَمْزِ وَبِالْوَاوِ) أي: فَهُمَا سَبْعِيَّتَانِ ^(٢).

قوله: (بِضَمِّ الْحَرْفَيْنِ، وَبِفَتْحِهِمَا) أي: فَهُمَا سَبْعِيَّتَانِ، وَقُرِئَ شَذُوذاً: بِضَمِّ فَسْكَوْنِ، وَهُوَ تَخْفِيفٌ لِلْقِرَاءَةِ الْأُولَى ^(٣)؛ فَعَلَى الضَّمِّ: يَكُونُ جَمْعُ (عَمُودٍ) كـ (رُسُولٍ وَرُسُلٍ)، وَقِيلَ: هُوَ جَمْعُ (عِمَادٍ) كـ (كِتَابٍ وَكُتُبٍ)، وَعَلَى الْفَتْحِ: يَكُونُ اسْمُ جَمْعٍ لـ (عَمُودٍ)، وَقِيلَ: هُوَ جَمْعٌ لَهُ، وَ(فِي) بِمَعْنَى

(١) أوردته القرطبي في «تفسيره» (٢٠/١٨٥).

(٢) قرأ أبو عمرو وحزمةٌ وحفص بالهمز، والباقون بالواو. انظر «الدر المصون» (١١/١١).

(٣) قرأ الأخوان وأبو بكر بضمتين، ورؤي عن أبي عمرو الضَّمُّ والسكون، والباقون بفتحتين. انظر «الدر المصون»

حاشية الصاوي

الباء؛ أي: مُؤَصِّدَةٌ بَعْمِدٍ مَمْدُودَةٍ؛ لما وردَ عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ إِلَيْهِمْ مَلَائِكَةً بِأَطْبَاقٍ مِنْ نَارٍ، وَمَسَامِيرَ مِنْ نَارٍ، وَعَمِدٍ مِنْ نَارٍ، فَتُطَبَّقُ عَلَيْهِمْ بِتِلْكَ الْأَطْبَاقِ، وَتَشُدُّ بِتِلْكَ الْمَسَامِيرِ، وَتُمَدُّ بِتِلْكَ الْعَمِدِ؛ فَلَا يَبْقَى فِيهَا خَلَلٌ يَدْخُلُ فِيهِ رُوحٌ، وَلَا يُخْرَجُ مِنْهُ غَمٌّ، وَيَنْسَاهُمُ الرَّحْمَنُ عَلَى عَرْشِهِ - أَي: يَحْجُبُهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ - وَيَتَشَاغِلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِنَعِيمِهِمْ، وَلَا يَسْتَغِيثُونَ بَعْدَهَا، وَيَنْقُطِعُ الْكَلَامُ، فَيَكُونُ كَلَامُهُمْ زَفِيرًا وَشَهيقًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾»^(١).

وقيل: إِنَّ النَّارَ دَاخِلَ الْعَمَدِ، وَهُمْ دَاخِلُهَا، وَيُطَبَّقُ عَلَيْهِمْ، وَعَلَيْهِ دَرَجُ الْمَفْسَرِ، وَقِيلَ: الْمَعْنَى: يُعَذِّبُونَ بَعْمِدٍ، وَقِيلَ: الْعَمَدُ: الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، وَقِيلَ: الْقُيُودُ فِي أَرْجُلِهِمْ، وَقِيلَ: مَعْنَى (عَمَدٌ مَمْدُودَةٌ): دَهْرٌ مُؤَبَّدٌ لَا آخِرَ لَهُ.



(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (١٤٣/٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾



مَكِّيَّةٌ، خَمْسُ آيَاتٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ - اسْتِفْهَامٌ تَعْجِيبٍ - أَي: اعْجَبْ ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾
 هُوَ مَحْمُودٌ وَأَصْحَابُهُ أَبْرَهُةٌ
 حَاشِيَةُ الصَّاوِي

سُورَةُ الْفِيلِ

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الخطابُ لرسول الله ﷺ، والرؤية علمية، لا بصرية؛ لأنه لم يكن وقد
 الواقعة موجوداً.

قوله: (استفهام تعجب) أي: وتقرير، والمعنى: أَقِرَّ بِأَنَّكَ عَلِمْتَ قِصَّةَ الْفِيلِ. وحُذِفَتِ الْأَلْفُ
 فِي (تَرَ) لِلْجَازِمِ.

قوله: ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾: مُعَلِّقَةٌ لِلرُّؤْيَةِ، مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْمَصْدَرِ بِالْفِعْلِ بَعْدَهَا،
 وَ﴿رَبُّكَ﴾: فَاعِلٌ، وَالتَّقْدِيرُ: أَيَّ فِعْلٍ فَعَلَهُ، وَالْجُمْلَةُ سَدَّتْ مَسَدَّ مَفْعُولِي ﴿تَرَ﴾، وَلَا يَصَحُّ نَصْبُهَا
 عَلَى الْحَالِ مِنَ الْفَاعِلِ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ وَصْفُهُ تَعَالَى بِالْكِيفِيَّةِ، وَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ^(١).

قوله: (هو محمود) أي: وهو الذي بَرَكَ، وَضَرَبُوهُ فِي رَأْسِهِ، وَكَانَ مَعَهُ اثْنَا عَشَرَ فِيلًا، وَقِيلَ:
 ثَمَانِيَةَ عَشَرَ، وَقِيلَ: أَلْفٌ، وَأَفْرَدَ (الفيل)؛ إِمَّا مُوَافَقَةً لِرُؤُوسِ الْآيِ، أَوْ لِكُونِهِ نِسْبَةً إِلَى الْفِيلِ الْأَعْظَمِ
 الَّذِي يُقَالُ لَهُ: مَحْمُودٌ.

قوله: (أبرهه) بفتح الهمزة، وسكون الموحدة، وفتح الراء، واسمه: الْأَشْرَمُ، سَمِّيَ بِذَلِكَ؛
 لِأَنَّ أَبَاهُ ضَرَبَهُ بِحَرْبَةٍ، فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَجَبِينَهُ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا.

مَلِكِ الْيَمَنِ وَجَيْشُهُ، بَنَى بِصَنْعَاءَ

حاشية الصاوي

قوله: (ملك اليمن) بدل من (أبرهة)، وكان من قِبَلِ النَّجَاشِيِّ ملك الحبشة، وكان جيشُ أبرهة سِتِّين ألفاً، وقوله: (وجيشُهُ) معطوف على (أبرهة).

قوله: (بنى بصنعاء كنيسة... إلخ) شروع في بيان قصّة أصحاب الفيل.

وحاصلُ تفصيلها على ما ذكره محمّد بن إسحاق عن سعيد بن جبير، وعكرمة عن ابن عباس: أَنَّ النَّجَاشِيَّ ملكَ الحبشة - وهو أصحمة جدُّ النجاشي الذي آمنَ بالنبي ﷺ - كان بعث أبرهة أميراً على اليمن، فأقام به، واستقامت له الكلمة هناك، ثمَّ إِنَّه رأى النَّاسَ يتجهّزون أَيَّامَ الموسم إلى مَكَّة؛ لحجِّ بيت الله عزَّ وجلَّ، فحسَدَ العرب على ذلك، ثمَّ بنى كنيسةً بصنعاء، وكتب إلى النَّجَاشِي: (إني قد بنيتُ لك بصنعاء كنيسةً لم يُبْنَ لملكٍ مثُلها، ولستُ مُنتهياً حتَّى أصرفَ إليها حجَّ العرب)، فسمع به مالك بن كنانة، فخرج لها ليلاً، فدخل إليها، فعقد فيها، ولطَّخَ بِالْعَذِرَةِ قِبْلَتَهَا، فبلغ ذلك أبرهة فقال: مَنْ اجترأ عليّ؟ ف قيل له: صنعَ ذلك رجلٌ من العرب من أهل ذلك البيت، قد سمع بالذي قُلْتَ، فحلف أبرهة عند ذلك؛ لَيَسِيرَنَّ إلى الكعبة ثمَّ يهدمُها، فكتب إلى النَّجَاشِي يخبرُهُ بذلك، وسأله أن يبعثَ إليه بفيله، وكان فيلاً يقال له: محمود، وكان فيلاً لم يُرْ مثله عِظْماً وجسماً وقوَّةً، فبعثَ به إليه.

فخرج أبرهة في الحبشة سائراً إلى مكة، وخرج معه بالفيل، فسمعتِ العربُ بذلك، فعظَّموه ورأوا جهاده حقاً عليهم، فخرج ملكٌ من ملوك اليمن يقال له: (ذو نفر) بمن أطاعه من قومه، فقاتله، فهزَمه أبرهة، وأخذ ذا نفر، فقال لأبرهة: يا أيُّها الملك؛ استَبَقْنِي؛ فَإِنَّ بقائي خيرٌ لك من قتلي، فاستَحياه وأوثقه، وكان أبرهة رجلاً حليماً، ثمَّ سار حتَّى إذا دَنَا من بلاد خثعم.. خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع من قبائل اليمن، فهزَمهم، وأخذ نفيلاً، فقال نفيلٌ له: أيُّها الملك؛ إني دليلٌ بأرض العرب، فاستَبَقاه وخرج معه يَدُّهُ، حتَّى إذا مرَّ بالطَّائِف.. خرج إليه مَسْعُود بن مغيث في رجالٍ من ثقيف، فقال: أيُّها الملك؛ نحن عبيدك، ليس عندنا خلافتُ لك، إِنَّمَا تريد البيت الذي بمَكَّة، نحن نبعث معك مَنْ يَهْدِيكَ عليه، فبعثوا معه أبا رغالٍ مولى لهم، فخرج حتَّى إذا كان بالمغمَّس.. مات أبو رغال، وهو الذي يُرْجَم قبره الآن.

وبعث أبرهة رجلاً من الحبشة يقال له: الأسود بن مَسْعُود مُقَدِّمَةً خَيْلَهُ، وأمره بالغارة على نَعَمِ النَّاسِ، فجمع الأسود إليه أموالَ أصحابِ الحرم، وأصاب لعبدِ المُطلبِ مَتًى بغير.

حاشية الصاوي

ثُمَّ إِنَّ أَبْرَهَةَ أَرْسَلَ حَنَاطَةَ الْحَمِيرِيِّ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَقَالَ لَهُ: سَلْ عَنْ شَرِيفِهَا، ثُمَّ أبلغه ما أَرْسَلَكَ بِهِ؛ أَخْبَرَهُ أَنِّي لَمْ آتِ لِقِتَالٍ، إِنَّمَا جِئْتُ لِأَهْدِمَ هَذَا الْبَيْتَ، فَاَنْطَلِقْ حَتَّى دَخَلَ مَكَّةَ، فَلَقِيَ عَبْدَ الْمُطَّلَبِ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْمَلِكَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ؛ لِأَخْبَرَكَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِقِتَالٍ إِلَّا أَنْ تُقَاتِلُوهُ، وَإِنَّمَا جَاءَ لِهَدْمِ هَذَا الْبَيْتِ، ثُمَّ الْانْصِرَافِ عَنْكُمْ، فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ: مَا لَهُ عِنْدَنَا قِتَالٌ، وَلَا لَنَا يَدٌ أَنْ نَدْفَعَهُ عَمَّا جَاءَ لَهُ؛ فَإِنَّ هَذَا بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَبَيْتُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنْ يَمْنَعُهُ.. فَهُوَ بَيْتُهُ وَحَرَمُهُ، وَإِنْ يُحَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ.. فَوَاللَّهِ مَا لَنَا بِدَفْعِهِ قُوَّةٌ.

قال: فَاَنْطَلِقْ مَعِيَ إِلَيْهِ، فَزَعَمَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَنَّهُ أَرْدَفَهُ عَلَى بَغْلَةٍ كَانَ عَلَيْهَا، وَرَكِبَ مَعَهُ بَعْضُ بَنِيهِ حَتَّى قَدَّمَ الْعَسْكَرَ، وَكَانَ ذُو نَفَرٍ صَدِيقًا لِعَبْدِ الْمُطَّلَبِ، فَقَالَ: يَا ذَا نَفَرٍ؛ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ غَنَاءٍ - أَيْ: نَفْعٍ - فِيمَا نَزَلَ بِنَا؟ قَالَ: أَنَا رَجُلٌ أَسِيرٌ، لَا يَأْمَنُ أَنْ يُقْتَلَ بِكَرَّةٍ أَوْ عَشِيَّةٍ، وَلَكِنْ سَأَبْعَثُ إِلَى أَنَيْسٍ سَائِسِ الْفِيلِ؛ فَإِنَّهُ لِي صَدِيقٌ، فَاسْأَلُهُ أَنْ يَصْنَعَ لَكَ عِنْدَ الْمَلِكِ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ خَيْرٍ، وَيُعْظِمَ حَظَّوَتَكَ وَمَنْزِلَتَكَ عِنْدَهُ، قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَى أَنَيْسٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا سَيِّدُ قَرِيشٍ، وَصَاحِبُ عَيْرٍ مَكَّةَ، يَطْعُمُ النَّاسَ فِي السَّهْلِ، وَالْوَحُوشَ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ، وَقَدْ أَصَابَ الْمَلِكُ لَهُ مِثْتِي بَعِيرٍ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَنْفَعَهُ عِنْدَهُ.. فَانْفَعَهُ؛ فَإِنَّهُ صَدِيقٌ لِي أَحَبُّ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ، فَدَخَلَ أَنَيْسٌ عَلَى أَبْرَهَةَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ؛ هَذَا سَيِّدُ قَرِيشٍ، وَصَاحِبُ عَيْرٍ مَكَّةَ الَّذِي يُطْعِمُ النَّاسَ فِي السَّهْلِ، وَالْوَحُوشَ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ، يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ، فَيُكَلِّمَكَ، فَقَدْ جَاءَ غَيْرَ نَاصِبٍ لَكَ، وَلَا مُخَالَفٍ عَلَيْكَ، فَأْذَنَ لَهُ، وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ رَجُلًا جَسِيمًا وَسِيمًا، فَلَمَّا رَأَى أَبْرَهَةَ.. عَظَّمَهُ وَأَكْرَمَهُ عَنْ أَنْ يَجْلِسَ تَحْتَهُ، وَكَرِهَ أَنْ تَرَاهُ الْحَبْشَةُ يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِهِ، فَجَلَسَ عَلَى بَسَاطَةٍ، وَأَجْلَسَ عَبْدَ الْمُطَّلَبِ بِجَنْبِهِ، ثُمَّ قَالَ لَتَرْجَمَانِهِ: قُلْ لَهُ: مَا حَاجَتُكَ إِلَى الْمَلِكِ؟ فَقَالَ لَهُ التَّرْجَمَانُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ: حَاجَتِي إِلَى الْمَلِكِ أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ مِثْتِي بَعِيرٍ أَصَابَهَا، فَقَالَ أَبْرَهَةُ لَتَرْجَمَانِهِ: قُلْ لَهُ: قَدْ كُنْتَ أَعْجَبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُكَ، وَلَقَدْ زَهَدْتُ الْآنَ فِيكَ، قَالَ: لَمْ؟ قَالَ: جِئْتُ إِلَى بَيْتِ هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ، وَهُوَ شَرَفُكُمْ وَعِصْمَتُكُمْ؛ لِأَهْدِمَهُ، لَمْ تُكَلِّمْنِي فِيهِ، وَتُكَلِّمْنِي فِي مِثْتِي بَعِيرٍ أَصَبْتُهَا لَكَ؟! قَالَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ: أَنَا رَبُّ هَذِهِ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا الْبَيْتِ رَبٌّ سَيَمْنَعُهُ مِنْكَ، قَالَ: مَا كَانَ لِيَمْنَعَهُ مِنِّي، قَالَ: فَأَنْتَ وَذَاكَ، فَأَمَرَ بِإِبِلِهِ فَرَدَّتْ عَلَيْهِ.

حاشية الصاوي

فَلَمَّا رُدَّتِ الْإِبِلُ عَلَى عَبْدِ الْمَطْلَبِ.. خَرَجَ فَأَخْبَرَ قَرِيشًا الْخَبِيرَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتَفَرَّقُوا فِي الشُّعَابِ، وَيَتَحَرَّزُوا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ؛ خَوْفًا عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ، ففعلوا، وَأَتَى عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَأَخَذَ حَلَقَةَ الْبَابِ وَجَعَلَ يَدْعُو، فَلَمَّا فَرِغَ مِنْ دَعَائِهِ.. تَوَجَّهَ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْوُجُوهِ مَعَ قَوْمِهِ، وَأَصْبَحَ أَبْرَهَةُ بِالْمَغَمَّسِ قَدْ تَهَيَّأَ لِلدَّخُولِ، وَهَيَّأَ جَيْشَهُ، وَهَيَّأَ فِيْلَهُ، وَكَانَ فِيْلًا لَمْ يَرِ مِثْلَهُ فِي الْعِظَمِ وَالْقُوَّةِ.

ويقال: كانت الأفيال اثني عشر فيلاً، فأقبل نفيلٌ إلى الفيل الأعظم، ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِهِ وَقَالَ لَهُ: أَبْرُكَ مَحْمُودًا وَارْجِعْ رَشِيدًا^(١)؛ فَإِنَّكَ بَيِّدُ اللَّهِ الْحَرَامِ، فَبَرَكْتَ، فَبَعَثُوهُ، فَأَبَى، فَضَرَبُوهُ بِالْمِعْوَلِ فِي رَأْسِهِ، فَأَدْخَلُوا مُحَاجَنَتَهُ تَحْتَ مَرَاقِهِ وَمُرَافِقِهِ^(٢)، فَفَزَعُوهُ لِيَقُومَ^(٣)، فَأَبَى، فَوَجَّهُوهُ رَاجِعًا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَامَ يُهْرُولُ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى قَدَّامِهِ، فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى الْمَشْرِقِ، فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَضَرَفُوهُ إِلَى الْحَرَمِ، فَبَرَكْتَ وَأَبَى أَنْ يَقُومَ، وَخَرَجَ نَفِيلٌ يَشْتَدُّ حَتَّى صَعَدَ الْجَبَلَ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ طَيْرًا مِنَ الْبَحْرِ أَمْثَالَ الْخَطَاطِيفِ، مَعَ كُلِّ طَائِرٍ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ: حَجْرَانِ فِي رِجْلَيْهِ، وَحَجَرٌ فِي مِيقَارِهِ أَكْبَرُ مِنَ الْعَدْسَةِ، وَأَقْلُ مِنَ الْحَمْصَةِ، فَلَمَّا غَشِيَتْ الْقَوْمَ.. أَرْسَلَتْهَا عَلَيْهِمْ، فَلَمْ تُصِبْ تِلْكَ الْحَجَارَةُ أَحَدًا إِلَّا هَلَكَ، وَخَرَجُوا هَارِبِينَ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الطَّرِيقِ الَّذِي جَاءُوا، وَصَرَخَ الْقَوْمُ، وَمَاجَ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، يَتَسَاقَطُونَ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَيَهْلِكُونَ عَلَى كُلِّ مِنْهَلٍ، وَبَعَثَ اللَّهُ عَلَى أَبْرَهَةَ دَاءً فِي جَسَدِهِ، فَجَعَلَ تَتَسَاقَطُ أَنْامِلُهُ؛ كُلَّمَا سَقَطَتْ أَنْمَلَةٌ.. أَتْبَعَهَا مُدَّةٌ مِنْ قِيحٍ وَدَمٍ، فَانْتَهَى إِلَى صَنْعَاءَ وَهُوَ مِثْلُ فَرَخِ الطَّيْرِ، وَمَا مَاتَ حَتَّى انْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ، ثُمَّ هَلَكَ، وَانْقَلَتِ وَزِيرُ أَبْرَهَةَ أَبُو كَيْسُومٍ وَطَائِرُهُ فَوْقَ رَأْسِهِ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ النَّجَاشِيِّ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ الْخَبِيرَ.. سَقَطَ عَلَيْهِ الْحَجَرُ، فَمَاتَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَأَمَّا مَحْمُودُ فِيلِ النَّجَاشِيِّ.. فَزَبَضَ وَلَمْ يَشْجَعْ عَلَى الْحَرَمِ فَنَجَا، وَأَمَّا الْفِيلَةُ الْآخَرُ فَشَجِعُوا، فَرُمُوا بِالْحَصْبَاءِ^(٤).

(١) قوله: (محموداً) كذا في الأصول، ولعله لم يُرِدْ اسْمَ الْفِيلِ، وَفِي كِتَابِ السَّيْرَةِ: (محمودٌ) عَلَى إِرَادَةِ اسْمِهِ.

(٢) المراق: أسفل البطن.

(٣) قوله: (ففزعوه) كذا في الأصول، وَفِي كِتَابِ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ: (بَزَّغُوهُ) بِفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَالزَّايِ الْمَشْدُودَةِ بَعْدَهَا عَيْنَ مَعْجَمَةٍ؛ أَي: شَرَطُوهُ بِالْحَدِيدِ الَّذِي فِي تِلْكَ الْمَحَاجِنِ.

(٤) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (ص ١٥)، وَانْظُرْ «سُبُلَ الْهُدَى وَالرَّشَادِ» (١/ ٢١٤-٢٢٧).

أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا

كَنِيْسَةً لِّيَصْرِفَ إِلَيْهَا الْحَاجَّ عَنْ مَكَّةَ، فَأَحْدَثَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةَ فِيهَا وَلَطَخَ قِبَلَتَهَا بِالْعَدْرِ احْتِقَاراً بِهَا، فَحَلَفَ أَبْرَهُةُ لِيَهْدِمَنَّ الْكَعْبَةَ، فَجَاءَ مَكَّةَ بِجَيْشِهِ عَلَى أَفْيَالٍ مُقَدَّمِهَا مَحْمُودٌ، فَحِينَ تَوَجَّهُوا لِيَهْدِمَ الْكَعْبَةَ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا قَصَّه فِي قَوْلِهِ:

(٢ - ٤) ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ أَي: جَعَلَ ﴿كَيْدَهُمْ﴾ فِي هَدْمِ الْكَعْبَةِ ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾: خَسَارٍ وَهَلَاكٍ، ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (كنيسة) أي: وكان قد بناها بالرخام الأبيض والأحمر والأسود والأصفر، وحلَّها بالذهب والفضَّة وأنواع الجواهر، وأذلَّ أهلَ اليمن في بنائها، ونَقَلَ فِيهَا الرُّخَامَ الْمَجْزَعَ وَالْحِجَارَةَ الْمَنْقُوشَةَ بِالذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ مِنْ قَصْرِ بَلْقِيسَ، وَكَانَ عَلَى فَرْسَخٍ مِنْ مَوْضِعِهَا، وَنُصِبَ فِيهَا صُلبَانَا مِنْ ذَهَبٍ وَفُضَّةٍ، وَمَنَابِرٌ مِنْ عَاجٍ وَأَبْنُوسٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكَانَ بِنَاؤُهَا مُرْتَفِعاً عَالِياً، تَسْقُطُ قَلَنْسُوَةُ النَّاطِرِ عَنْ رَأْسِهِ عِنْدَ نَظَرِهِ إِلَيْهَا.

قوله: (ليصرف إليها الحجاج) أي: وقد صرفهم بالفعل، وأمرهم بحجَّها، فحجَّوها سنين، وكانوا يحجون البيت في هذه المدة أيضاً، كذا قيل.

قوله: (فأحدث رجل) أي: من العرب، وهو مالك بن كنانة.

قوله: (أرسل الله عليهم...) إلخ) أي: فرجعوا هاربين يتساقطون بكلِّ طريق، وكان هلاكهم قُرْبَ عَرَفَةَ قَبْلَ دُخُولِ أَرْضِ الْحَرَمِ عَلَى الصَّحِيحِ، وَقِيلَ: بِوَادِي مُحَسَّرٍ بَيْنَ مُزْدَلِفَةِ وَمِنَى، وَأُصِيبَ أَبْرَهُةُ فِي جَسَدِهِ بَدَاءُ الْجُدَرِيِّ، فَتَسَاقَطَتِ أُنَامِلُهُ وَأَصَابِعُهُ وَأَعْضَاؤُهُ، وَسَالَ مِنْهُ الصَّدِيدُ وَالْقَيْحُ وَالْدَمُ، وَمَاتَ حَتَّى انشَقَّ قَلْبُهُ.

قوله: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ أي: مكرهم، وسمَّاهُ كَيْدًا؛ لِأَنَّ سَبِيَّهُ حَسَدُ سَكَانِ الْحَرَمِ، وَقَصْدُ صَرْفِ شَرْفِهِمْ لَهُ، وَهُوَ خَفِيٌّ، فَسُمِّيَ كَيْدًا لِذَلِكَ.

قوله: (أي: جعل) أشار بذلك إلى أنَّ المضارع لحكاية الحال الماضية.

قوله: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ﴾ عطف على قوله: ﴿يَجْعَلُ﴾، والاستفهام مُسَلَّطٌ عَلَيْهِ، فَاَلْمَعْنَى: قَدْ جَعَلَ وَأَرْسَلَ.

قوله: ﴿طَيْرًا﴾ الطَّيْرُ اسْمُ جِنْسٍ، يَذْكَرُ وَيؤنَّثُ.

أَبَايِلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَعَلَّمَهُمْ كَعَصِفٍ مَّاكُولٍ ﴿٥﴾

أَبَايِلَ ﴿٣﴾: جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ قِيلَ: لَا وَاحِدَ لَهُ كـ(أَسَاطِيرُ)، وَقِيلَ: وَاحِدُهُ (إِبَّوْل) أَوْ (إِبَّال) أَوْ إِيْل كـ(عِجَّوْل) وَ(مِفْتَاح) وَ(سِكِّين)، ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾: طِينٌ مَطْبُوخٌ. ﴿٥﴾ ﴿فَعَلَّمَهُمْ كَعَصِفٍ مَّاكُولٍ﴾: كَوَرَقِ زَرْعٍ أَكَلَتْهُ الدَّوَابُّ وَدَاسَتْهُ وَأَفْتَتْهُ؟ أَي: أَهْلَكَهُمْ اللَّهُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَبَايِلَ﴾ أَي: وَكَانَتْ مِنْ جِهَةِ السَّمَاءِ، لَمْ يَرُ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا مِثْلَهَا، وَرَدَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّهَا طَيْرٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ تُعَشِّشُ وَتُفْرَخُ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (كَانَ لَهَا خِرَاطِيمٌ كَخِرَاطِيمِ الطَّيْرِ، وَأَكُفُّ كَأَكُفِّ الْكَلَابِ)، وَقَالَ عِكْرَمَةُ: (كَانَتْ طَيْرًا خُضْرًا خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ، لَهَا رُؤُوسٌ كَرُؤُوسِ السَّبَاعِ، وَلَمْ تَرُ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا بَعْدَهُ)، وَقَالَتْ عَائِشَةُ: (إِنَّهَا أَشْبَهَ شَيْءًا بِالْخَطَاطِيفِ)، وَقِيلَ: بَلْ كَانَتْ أَشْبَاهَ الْوَطَايِطِ، حَمْرَاءَ وَسُودَاءَ^(١).

قوله: (جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ) أَي: بَعْضُهَا إِثْرُ بَعْضٍ.

قوله: (قِيلَ: لَا وَاحِدَ لَهُ) أَي: مِنْ لَفْظِهِ، فَيَكُونُ اسْمُ جَمْعٍ.

قوله: (إِبَّوْل) بِكَسْرِ الِهْمْزَةِ، وَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ الْمُشَدَّدَةِ، وَسُكُونِ الْوَائِ؛ كـ(سِتُّور).

قوله: (طِينٌ مَطْبُوخٌ) أَي: كَالْأَجْرِ، وَكَانَ طَبَخَهُ بِنَارِ جَهَنَّمَ، وَهِيَ مِنَ الْحِجَارَةِ الَّتِي أُرْسِلَتْ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ، وَنَاسَبَ إِهْلَاكَهُمْ بِالْحِجَارَةِ؛ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا هَدْمَ الْكَعْبَةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (كَانَ الْحَجَرُ إِذَا وَقَعَ عَلَى أَحَدِهِمْ.. نَفِطَ جِلْدُهُ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ الْجُدَرِيِّ، وَلَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ)^(٢)، وَعَنْهُ أَيْضًا: (أَنَّهُ رَأَى مِنْ تِلْكَ الْحِجَارَةِ عِنْدَ أُمِّ هَانِيٍّ نَحْوَ قَفِيزٍ، مَخْطُطَةً بِحُمْرَةٍ كَالْجُرْعِ الظَّفَارِيِّ)^(٣).

قوله: ﴿كَعَصِفٍ﴾ وَاحِدُهُ: عَصْفَةٌ، وَعُصَافَةٌ، وَعَصِيفَةٌ.

قوله: (وَدَاسَتْهُ) صَوَابُهُ: (وَرَاثَتْهُ) أَي: أَلْقَتْهُ رَوْنًا ثُمَّ يَسَّ وَتَفَتَّتْ. وَلَمْ يَقُلْ: (فَجَعَلَهُمْ كَرُوثًا)؛ اسْتَهْجَانًا لِلْفِظِ (الرُّوث).

(١) أورد الأقوال كلها القرطبي في «تفسيره» (١٩٦/٢٠).

(٢) أورد القرطبي في «تفسيره» (١٩٨/٢٠).

(٣) أورد العلامة الخطيب في «السراج المنير» (٥٨٩/٤)، الجزع، بفتح الجيم وإسكان الزاي: الخرز اليماني، وظفار بفتح الظاء وكسر الراء: قرية باليمن.

تَعَالَى كُلٌّ وَاحِدٌ يَحْجَرُهُ الْمَكْتُوبُ عَلَيْهِ اسْمُهُ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْعَدَسَةِ وَأَصْغَرُ مِنَ الْحِمَّصَةِ،
يَخْرِقُ الْبَيْضَةَ وَالرَّجُلَ وَالْفِيلَ وَيَصِلُ إِلَى الْأَرْضِ، وَكَانَ هَذَا عَامَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ.

حاشية الصاوي

قوله: (مكتوب عليه اسمه) أي: وإدراك الطائر أن هذا لفلانٍ بخصوصه؛ إمّا بمجرد إلهام،
أو بمعرفته ذلك من الكتابة، والله أعلم بحقيقة الحال.

قوله: (يخرق البيضة) أي: التي فوق رأس الرجل من حديد، وقوله: (والرجل) أي: فيدخل
من دماغه ويخرج من ذنبه، وقوله: (والفيل) أي: الذي هو راكبه، وجميع الفيلة قد هلكت إلا كبيرها
وهو محمود؛ فإنه نجا لما وقع منه من الفعل الجميل الذي لم يقع مثله من العقلاء؛ ولذا قال
البوصيري^(١): [الخفيف]

كَمْ رَأَيْنَا مَا لَيْسَ يَغْلُ قَدْ أُلِّهِمْ مَا لَيْسَ يُلْهِمُ الْعُقَلَاءُ
إِذْ أَبَى الْفِيلُ مَا أَتَى صَاحِبُ الْفِيلِ وَلَمْ يَنْفَعِ الْحَجَا وَالذَّكَاءُ
قوله: (عام مولد النبي ﷺ) أي: قبل مولده بخمسين يوماً على الصحيح، وذلك ببركة النور
المحمدي.

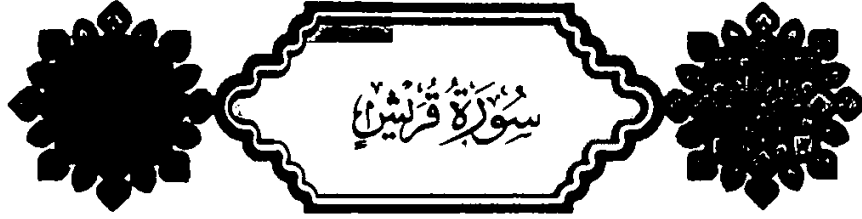
إن قلت: إنه انتقل من عبد المطلب، بل ومن عبد الله إلى أمه آمنة؟
أجيب: بأنه وإن انتقل من جدّه وأبيه إلا أن بركته حاصلة وباقية في محلّه؛ كوعاء المسك
إذا فرغ منه؛ فإن رائحته تبقى، وقيل: كان عام الفيل قبل ولادته ﷺ بأربعين سنة، وقيل: بثلاث
وعشرين، وقيل: غير ذلك^(٢).



(١) كما في قصيدته المشهورة: (الهمزية). انظر «المنح المكية» (ص ١٨٣).

(٢) انظر الأقوال في «تفسير الخازن» (٤/ ٤٧٣).

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ﴾ ﴿١﴾ ﴿إِلَافِهِمْ﴾



مَكَّةُ أَوْ مَدِينَةُ، أَرْبَعُ آيَاتٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ - ﴿٢﴾ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ﴾ ﴿١﴾ ﴿إِلَافِهِمْ﴾

حاشية الصاوي

سُورَةُ قُرَيْشٍ

أي: السُّورَةُ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا الْاِمْتِنَانُ عَلَى قُرَيْشٍ، وَتَذَكِيرُهُمْ بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ؛ لِيُؤَحِّدُوهُ وَيَشْكُرُوهُ.
قوله: (مَكَّةُ) أَي: فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ، وَهُوَ الْأَصَحُّ، وَقَوْلُهُ: (أَوْ مَدِينَةُ) أَي: فِي قَوْلِ الضَّحَّاكِ
وَالْكَلْبِيِّ.

قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ﴾ اخْتَلَفَ الْمَفْسَّرُونَ فِي هَذِهِ اللَّامِ؛ فَقِيلَ: هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿فَجَعَلَهُمْ
كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ فِي السُّورَةِ قَبْلَهَا، كَأَنَّهُ قَالَ: أَهْلَكَ أَصْحَابَ الْفِيلِ؛ لَتَبَقِيَ قُرَيْشٌ وَمَا أَلْفُوا مِنْ رَحَلَةِ
الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: (وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ التَّضْمِينِ فِي الشَّعْرِ، وَهُوَ أَنْ يُعْلَقَ مَعْنَى الْبَيْتِ بِالَّذِي
قَبْلَهُ تَعْلُقًا لَا يَصِحُّ إِلَّا بِهِ)^(١)؛ وَلِهَذَا جَعَلَ أَبُو بَنْ كَعْبٍ هَذِهِ السُّورَةَ وَسُورَةَ «الْفِيلِ» وَاحِدَةً،
وَلَمْ يَفْصِلْ بَيْنَهُمَا فِي مُصْحَفِهِ بِبِسْمَلَةٍ، وَرَدَّ هَذَا الْقَوْلُ: بِأَنَّ الصَّحَابَةَ أَجْمَعَتِ عَلَى أَنَّهُمَا سَوْرَتَانِ
مَنْفُصَتَانِ، بَيْنَهُمَا بِسْمَلَةٌ.

وقيل: مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: (فَعَلَ ذَلِكَ - أَي: إِهْلَاكَ أَصْحَابِ الْفِيلِ - لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ،
وقيل: تَقْدِيرُهُ: (أَعْجَبُوا)، وَالْمَعْنَى: أَعْجَبُوا لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ رَحَلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَتَرْكِهِمْ عِبَادَةَ
رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ.

وقيل: مُتَعَلِّقَةٌ بِمَا بَعْدَهَا، تَقْدِيرُهُ: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ لِإِيلَافِهِمْ رَحَلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ)

حاشية الصاوي

أي: ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة، وإنما دخلت الفاء؛ لما في الكلام من معنى الشرط، كأنه قال: إن لم يعبدوه لساثر نعمه.. فليعبدوه لإيلافهم؛ فإنها أظهر نعمة عليهم، وعليه درج المفسر. و(قريش): مشتقٌ إمّا من التقرُّش وهو التجمع، سمّوا بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم، قال شاعرهم^(١): [الطويل]

أبونا قريش كان يُدعى مُجمِعاً به جمّع الله القبائل من فهر
أو من: التفتيش، يقال: (قرش يقرش) بمعنى: فتش؛ لكونهم كانوا يُفتشون على ذوي
الخلّات؛ ليسدّوا خلّتهم، قال الشاعر^(٢): [الخفيف]

أيها الشّامِتُ المقرّشُ عَنّا عندَ عمرو فهل له إبقاء؟
قال ابن عباس: (سميت باسم دابة في البحر يُقال لها: القرش، تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تُعلو، قال الشاعر: [الخفيف]

وقريش هي التي تسكنُ البحرَ ر، بها سُميت قريش قريشاً
سلّطت بالعلو في لجة البحر ر على سائر البحور جيوشاً
تأكل الغنّ والسّمينَ ولا تشد رُك فيه لذي الجناحين ريشاً
هكذا في الكتاب حي قريش يأكلون البلاد أكلاً كشيئاً
ولهم آخر الزّمانِ نبيُّ يُكثر القتلَ فيهم والخموشاً
يملاً الأرضَ خيلةً ورجالاً يحشرون المطيَّ حشراً كميئاً^(٣)
وهو مصروفٌ هنا إجماعاً؛ لكونه مراداً به الحي؛ إذ لو أُريد به القبيلة.. لامتنع صرفه، قال

(١) نسبه الزبيدي في «تاج العروس» (٣٢٤/١٧) لمطرود الخزاعي، ونسبه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٩/٣) لحذافة بن غانم العدوي، وفي المصادر: (قصي) بدل (قريش).

(٢) نسبه الخطابي في «غريب الحديث» (٣٧٣/١) للحارث بن حلزة.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤٠/١٠)، والأبيات نسبها الزبيدي في «تاج العروس» (٣٢٤/١٧) للمشمر الجيمري، وأكلاً كشيئاً: مصاحباً لصوت كصوت الأفعى إذا احتك جلدتها، وكميئاً: سريعاً، وخموشاً: خدوشاً في الوجه والبدن.

رِحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢)

- تَأْكِيد، وهو مَصْدَر (أَلَف) بِالْمَدِّ - ﴿رِحْلَةُ الشِّتَاءِ﴾ إِلَى الْيَمَنِ ﴿و﴾ رِحْلَةُ ﴿الصَّيْفِ﴾ إِلَى الشَّامِ فِي كُلِّ عَامٍ؛ يَسْتَعِينُونَ بِالرَّحْلَتَيْنِ لِلتَّجَارَةِ عَلَى الْمَقَامِ بِمَكَّةَ لِخِدْمَةِ الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ فَخْرُهُمْ،

حاشية الصاوي

سبويه في (مَعْدُّ وَثْقَيْفٍ وَقُرَيْشٍ وَكِنَانَةٍ): (هذه للأحياء أكثر، وإن جعلتها أسماء للقبائل.. فهو جائز حسن^(١)).

واختلف القراء في قوله: ﴿لَا يَلْفُ﴾؛ فبعضهم قرأ: ﴿لَا يَلْفُ﴾ بإثبات الياء قبل اللام الثانية، وبعضهم قرأ بحذفها^(٢)، وأجمع الكل على إثبات الياء في الثاني وهو قوله: ﴿لَا يَلْفُهُمْ﴾.

ومن غريب ما اتَّفَقَ فِي هَذَيْنِ الْحَرْفَيْنِ: أَنَّ الْقُرَاءَ اخْتَلَفُوا فِي سُقُوطِ الْيَاءِ وَثُبُوتِهَا فِي الْأَوَّلِ مَعَ اتِّفَاقِ الْمَصَاحِفِ عَلَى إِثْبَاتِهَا خَطًّا، وَاتَّفَقُوا عَلَى إِثْبَاتِ الْيَاءِ فِي الثَّانِي مَعَ اتِّفَاقِ الْمَصَاحِفِ عَلَى سُقُوطِهَا مِنْهُ خَطًّا، فَهُوَ أَدْلُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْقِرَاءَةَ سَنَّةً مَتَّبَعَةً مَأْخُودَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، لَا اتِّبَاعًا لِمَجْرَدِ الْخَطِّ.

قوله: (تأكيد) أي: لفظي، و﴿رِحْلَةً﴾: مفعول للأوّل عليه^(٣)، وقيل: بدل؛ لأنه أُلْغِيَ الْمَبْدَلُ مِنْهُ، وَقَيَّدَ الْبَدَلُ بِالْمَفْعُولِ وَهُوَ ﴿رِحْلَةً﴾.

قوله: (وهو مَصْدَر «أَلَف» بِالْمَدِّ) أي: أَنَّ (إِيلَاف) الثَّانِي - وكذا الأول على قراءة إثبات الياء - مَصْدَر (أَلَف) بِالْمَدِّ؛ كـ (أَكْرَم)، يُقَالُ: (أَلَفْتُهُ أَوْلَفُهُ إِيلَافًا)، وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ حَذْفِ الْيَاءِ.. فَهُوَ مَصْدَر لـ (أَلَفَ) ثَلَاثِيًّا كـ (كَتَبَ كِتَابًا).

قوله: (﴿رِحْلَةُ الشِّتَاءِ﴾) مفعولٌ به بالمصدر، والمصدر مُضَافٌ لفاعله؛ أي: لَأَنَّ أَلِفُوا رِحْلَةً، وَالْأَصْلُ: رِحْلَتِي الشِّتَاءَ وَالصَّيْفَ، وَإِنَّمَا أُفْرِدَ لِأَمْنِ اللَّبْسِ.

وَأَوَّلُ مَنْ سَنَّ لَهُمُ الرِّحْلَةَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ، وَكَانُوا يَقْسِمُونَ رِبْحَهُمْ بَيْنَ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ، حَتَّى كَانَ فَقِيرُهُمْ كَغَنِيِّهِمْ، وَاتَّبَعَ هَاشِمًا عَلَى ذَلِكَ إِخْوَتُهُ، فَكَانَ هَاشِمٌ يُؤَالِفُ إِلَى الشَّامِ، وَعَبْدُ شَمْسٍ

(١) «الكتاب» لسبويه (٢٥٠/٣).

(٢) قرأ ابن عامر دون ياء قبل اللام الثانية، والباقون ياء قبلها. انظر «الدر المصون» (١١٢/١١).

(٣) أي: على كون (إِيلَافُهُمْ) تأكيداً، وأما على الثاني وهو أنه بدل.. فـ (رحلة) مفعول للبدل.

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

وَهُمْ وَلَدُ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ.

(٣ - ٤) ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ - تَعْلَقُ بِهِ ﴿لَا يَلْفُ﴾، والفاءُ زائدة - ﴿رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ أي: مِنْ أَجْلِهِ، ﴿وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ أي: مِنْ أَجْلِهِ، وكان يُصِيبُهُمُ الْجُوعُ لِعَدَمِ الزَّرْعِ بِمَكَّةَ
حاشية الصاوي

إلى الحبشة، والمطلب إلى اليمن، ونوفل إلى فارس، وكانت تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بجاه هؤلاء الإخوة؛ أي: بأمانهم الذي أخذوه من ملك كل ناحية من هذه النواحي.
والرحلة بالكسر: اسم مصدر بمعنى: الارتحال، وهو الانتقال، وأما بالضم.. فهو الشيء الذي يُرْتَحَلُ إليه مكاناً أو شخصاً.

قوله: (وهم ولد النضر بن كنانة) أي: فكلُّ مَنْ وَلَدَهُ النَّضْرُ.. فهو قرشي، دون مَنْ لم يُلِدْهُ النَّضْرُ وإن ولده كنانة، وهذا هو الصحيح، وقيل: هُم ولد فِهْرٍ بن مالك بن النضر بن كنانة؛ فمن لم يُلِدْهُ فِهْرٌ.. فليس بقرشي وإن ولده النضر، قال العراقي^(١): [الرجز]

أَمَّا قُرَيْشٌ فَالْأَصَحُّ فَهْرٌ جَمَاعُهَا، وَالْأَكْثَرُونَ النَّضْرُ
فالحاصل: أَنَّ بَنِي فَهْرٍ قُرَشِيُّونَ اتِّفَاقاً، وَبَنُو كِنَانَةَ الَّذِينَ لَمْ يَلِدْهُمْ النَّضْرُ لَيْسُوا بِقُرَشِيِّينَ، واختلف في بني النضر وبني مالك. وفِهْرٌ: هو الجدُّ الحادي عشر من أجداده ﷺ، والنضر: هو الثالث عشر، وذلك أَنَّهُ ﷺ مُحَمَّدٌ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيٍّ بن كِلَابٍ بن مُرَّةٍ بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْرٍ بن مالك بن النضر بن كنانة.. إلى آخر النسب الشريف.

قوله: (والفاء زائدة) أي: ولهذا جاز تقديم معمولٍ ما بعدها عليها، وقيل: إِنَّهَا ليست زائدة، بل هي واقعةٌ في جواب شرطٍ مُقَدَّرٍ، تقديره: (إن لم يعبدوه لسائر نعمه.. فليعبدوه لإيلافهم؛ فَإِنَّهَا أظهر نعمه عليهم).

قوله: (أي: من أجله) أشار بذلك إلى أَنَّ (مِنْ) تعليليةٌ، والكلام على حذف مضافٍ، والتقدير: أَطْعَمَهُمْ مِنْ أَجْلِ إِزَالَةِ الْجُوعِ عَنْهُمْ، وَأَمَنَهُمْ مِنْ أَجْلِ إِزَالَةِ الْخَوْفِ عَنْهُمْ.

وَخَافُوا جَيْشَ الْفِيلِ .

حاشية الصاوي

وقيل: إِنَّ (مِنْ) بمعنى (بدل)، ولا يحتاج لتقدير مضاف، والمعنى: فأطعمهم بدل الجوع، وآمنهم بدل الخوف؛ نظير قوله تعالى: ﴿أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَوَةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨].
وقيل: (مِنْ) بمعنى (بعد)، وقيل في معنى الآية: إِنَّهُمْ لما كَذَّبُوا مُحَمَّدًا ﷺ . دعا عليهم فقال: «اللهم! اجعلها عليهم سنيئاً كسني يوسف»^(١)، فاشتدَّ عليهم القَحْطُ، وأصابهم الجهدُ والجوع، فقالوا: يا مُحَمَّدُ! ادعُ الله لنا؛ فإنَّا مؤمنون، فدعا رسول الله ﷺ، وأخصبت البلاد، وأخصب أهل مكة بعد القَحْطِ والجهد، وهذا حَجَّةٌ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ السورة مدنيَّة.
قوله: (وَخَافُوا جَيْشَ الْفِيلِ) أي: وهذا وجهٌ مناسبتها لما قبلها، وذلك أنه بعد أن ذكر لهم أسباب خوفهم امتنَّ عليهم بإزالتها، كأنه قال: (قد أزلنا عنكم ما تكرهون من الخوف والجوع، فالواجب عليكم أن تشكروا تلك النعم، وتصرفوها في مصارفها).
وقيل: آمَنَهم من خوف الجُذام؛ فلا يصيبُهم ببلدِهم الجُذام، وقيل: آمَنَهم بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وبالإسلام، وكلُّ حاصل.



(١) رواه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥) عن سيدنا أبي هريرة ؓ، وفيهما: (سنين) بدل (سنيئاً)، ورواية المصنف رحمه الله على قول مَنْ يُعَرِّبُ (سنين) بحركات على النون كالمفرد؛ كقول الشاعر:
دَعَانِي مِنْ نَجْدٍ فَإِنْ سَنِيَنَّهُ لَعِبْنَ بِنَا شَيْباً وَشَيْبَنَا مُرْدَاً

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبِّ﴾ فَذَلِكَ



مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ، أَوْ نِصْفُهَا وَنِصْفُهَا، سِتُّ أَوْ سَبْعُ آيَاتٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبِّ﴾: بِالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ، أَي: هَلْ

عَرَفْتَهُ؟ إِنْ لَمْ تَعْرِفْهُ ﴿فَذَلِكَ﴾ - بِتَقْدِيرِ (هُوَ) بَعْدَ الْفَاءِ -

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

وتسمى سورة (الذِّبِّ).

قوله: (أَوْ نِصْفُهَا وَنِصْفُهَا) أَي: نِصْفُهَا الْأَوَّلُ نَزَلَ بِمَكَّةَ فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَالثَّانِي: بِالْمَدِينَةِ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنِي سُلُولِ الْمَنَافِقِ، وَعَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ جَمِيعَهَا مَكِّيٌّ تَكُونُ تَوْبِيخًا لِكُفَّارِ مَكَّةَ؛ كَالْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ وَأَصْرَابِهِ، وَتَسْمِيَّتُهُمْ: (مُصْلِينَ) بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا مَفْرُوضَةٌ عَلَيْهِمْ، وَعَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ مَدَنِيٌّ تَكُونُ تَوْبِيخًا لِلْمَنَافِقِينَ الْكَائِنِينَ فِي الْمَدِينَةِ؛ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْرَابِهِ، وَتَكْذِيبُهُمْ بِالذِّبِّ بِاعْتِبَارِ بَاطِنِهِمْ، وَالْعِبْرَةُ عَلَى كُلِّ بَعْمُومٍ اللَّفْظِ، لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ، فَالْوَعِيدُ الْمَذْكُورُ لِمَنْ اتَّصَفَ بِتِلْكَ الْأَوْصَافِ.

قوله: (أَي: هَلْ عَرَفْتَهُ؟) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الرُّؤْيَا بِمَعْنَى: الْمَعْرِفَةِ، فَتَنْصَبُ مَفْعُولًا وَاحِدًا وَهُوَ الْأِسْمُ الْمَوْصُولُ، وَقِيلَ: إِنَّ الرُّؤْيَا بِصَرِيَّةٍ، فَتَتَعَدَّى لِمَفْعُولٍ وَاحِدٍ أَيْضًا، وَقِيلَ: إِنَّهَا مِنْ: (أَخْبِرْنِي)، فَتَتَعَدَّى لِاثْنَيْنِ: الْأَوَّلُ الْمَوْصُولُ، وَالثَّانِي مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: (مَنْ هُوَ).

قوله: (بِتَقْدِيرِ «هُوَ» بَعْدَ الْفَاءِ) أَي: فَاسْمُ الْإِشَارَةِ خَبَرٌ لِمَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: (هُوَ)، وَ(الَّذِي): بَدَلٌ، أَوْ عَطْفٌ بَيَانٍ عَلَى اسْمِ الْإِشَارَةِ، وَالْجُمْلَةُ جَوَابُ شَرْطٍ مُقَدَّرٍ، قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (إِنْ لَمْ تَعْرِفْهُ)، وَقُرِئَتْ بِالْفَاءِ؛ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ اسْمِيَّةً.

الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ
عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾

﴿الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه بعنفٍ عن حقه، ﴿وَلَا يَحْضُ﴾ نفسه ولا غيره ﴿عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ أي: إطعامه، نزلت في العاصي بن وائل أو الوليد بن المغيرة.
(٤ - ٧) ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ كأبي جهل، كان وصياً على يتييم، فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه، فدفعه، ويصح حمل (الحق) على الميراث؛ لأنهم كانوا لا يُورثون النساء ولا الصبيان، ويقولون: إنما يحوز المال من يطعن بالسنان، ويضرب بالحسام.

و(دع): بالتشديد؛ من باب: (رد)، وقرئ شذوذاً بالتخفيف؛ أي: يدعوه ليستخدمه قهراً^(١).

قوله: (أي: إطعام) أشار بذلك إلى أن (الحض) يتعلّق بالمصدر الذي هو فعل الفاعل، لا بالشئ المطعوم.

قوله: (نزلت في العاص بن وائل) وقيل: نزلت في أبي جهل، وقيل: في عمرو بن عائذ المخزومي، وقيل: في عبد الله بن أبي ابن سلول، وتقدّم ذلك.

قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ (ويل): مبتدأ، و﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾: خبره، والفاء: سببية، والمعنى: أن الدعاء عليهم بالويل مُتَسَبِّبٌ عن هذه الصفات الذميمة، ووضع الظاهر وهو (المصلين) موضع المضمرة؛ لأنهم مع التكذيب وما أُضيف إليه ساهون عن الصلاة، غير مكثرين بها، وهذا على أن السورة كلّها إمّا مكّي أو مدني، وعلى القول بالتنصيف.. فالويل متعلّق بالمصلّين الموصوفين بكونهم ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ وما بعده، فلا ارتباط له بما قبله، والفاء: واقعة في جواب شرط مُقدّر، تقديره: (إن أردت معرفة جزاء أهل النفاق في الصلّة وغيرها.. فويل).

قوله: ﴿الَّذِينَ﴾ (نعت للمصلين)، أو بدل، أو بيان، وكذا الموصول بعده.

قوله: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾ (إنما عبّر بـ(عن) دون (في))؛ لأنّ صلاة المؤمن لا تخلو عن السهو فيها؛ فالمذموم السهو عنها؛ بمعنى: تركها والتفريط فيها، لا السهو فيها؛ لوقوعه من الأنبياء^(٢).

(١) قرأ أمير المؤمنين والحسن وأبو رجاء: (يدع) بفتح الدال وتخفيف العين. انظر «الدر المصون» (١١/١٢١).

(٢) وقصة ذي الين كما رواها البخاري (١٢٢٨)، ومسلم (٥٧٣) عن سيدنا أبي هريرة ؓ. مشهورة، والجواب عن =

الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

غَافِلُونَ يُؤْخِرُونَهَا عَنْ وَقْتِهَا، ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا، ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ كَالْإِبْرَةِ وَالْقَاسِ وَالْقَدَرِ وَالْقَضْعَةِ.

حاشية الصَّاوِي

قوله: (يُؤْخِرُونَهَا عَنْ أَوْقَاتِهَا) أَي: وَلَا يَفْعَلُونَهَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَوَجْهُ تَسْمِيَتِهِمْ (مُصَلِّينَ) مَعَ أَنَّهُمْ تَارِكُونَ لَهَا: أَنَّهَا مَفْرُوضَةٌ عَلَيْهِمْ، فَكَانَتْ جَدِيرَةً بِأَنْ تُضَافَ لَهُمْ، فَتَحْصُلَ أَنَّ مَعْنَى (سَاهُونَ): تَارِكُونَ لَهَا رَأْسًا، أَوْ إِنْ حَصَلَتْ مِنْهُمْ.. تَكُونُ رِيَاءً وَسَمْعَةً. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (هُمْ الْمَنَافِقُونَ، يَتْرَكُونَ الصَّلَاةَ إِذَا غَابُوا عَنِ النَّاسِ، وَيُصَلُّونَهَا فِي الْعِلَانِيَةِ إِذَا حَضَرُوا)^(١)، وَأَمَّا مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ مُوَحِّدٌ.. فَهُوَ عَاصٍ، عَلَيْهِ أَنْ يَتُوبَ وَيَقْضِيَهَا، فَإِنْ مَاتَ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى تَرْكِهَا.. فَهُوَ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ، وَأَمَّا إِنْ تَابَ وَشَرَعَ فِي الْقَضَاءِ، فَمَاتَ قَبْلَ تِمَامِهِ.. فَإِنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ.

قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ أَصْلُهُ: (يَرَائِيُونَ) كـ(يُقَاتِلُونَ)، اسْتَثْقَلَتِ الضَّمَّةُ عَلَى الْيَاءِ فَحُذِفَتْ، فَالْتَقَى سَاكِنَانِ، حُذِفَتْ الْيَاءُ لَالْتِقَائِهِمَا، وَضُمَّتِ الْهَمْزَةُ؛ لِمُنَاسَبَةِ الْوَاوِ. وَالْمِفَاعَلَةُ: بِاعْتِبَارِ الْمَرَائِي يُرِي النَّاسَ عَمَلَهُ، وَهُمْ يُرَوْنُهُ الشَّنَاءَ عَلَيْهِ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَنَافِقِ وَالْمَرَائِي: أَنَّ الْمَنَافِقَ يُبْطِنُ الْكُفْرَ وَيُظْهِرُ الْإِيمَانَ، وَالْمَرَائِي يُظْهِرُ الْأَعْمَالَ مَعَ زِيَادَةِ الْخُشُوعِ؛ لِيَعْتَقِدَ مَنْ يَرَاهُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ، أَمَّا مَنْ يُظْهِرُ النَّوَافِلَ؛ لِيُقْتَدَى بِهِ وَقَلْبُهُ خَالِصٌ مَعَ اللَّهِ.. فَلَيْسَ بِمَذْمُومٍ.

قوله: (فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا) أَي: كَالصَّدَقَةِ وَنَحْوِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبِرِّ.

قوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (مَنَعَ): يَتَعَدَّى لِمَفْعُولَيْنِ، ثَانِيهِمَا قَوْلُهُ: ﴿الْمَاعُونَ﴾، وَأَوَّلُهُمَا مُحذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: (النَّاسِ)، حُذِفَ لِلْعِلْمِ بِهِ.

و(الماعون): (فاعول) مِنْ (المَعْنِ)، وَهُوَ الشَّيْءُ الْقَلِيلُ، يُقَالُ: (مَالٌ مَعْنٌ) أَي: قَلِيلٌ، أَوْ اسْمُ

= سَهْوِهِ ﷺ فِيهَا: أَنَّهُ غَابَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ، فَسَهَا عَنْ غَيْرِهِ تَعَالَى، وَاشْتَغَلَ بِتَعْظِيمِ اللَّهِ فَقَطْ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ:

وَالسَّهْوُ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ غَافِلٍ لِأَهِي
عَمَّا سِوَى اللَّهِ فَالْتَّعْظِيمُ لِلَّهِ

يَا سَائِلِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ كَيْفَ سَهَا؟

قَدْ غَابَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِرُّهُ فَسَهَا

انْظُرْ «حَاشِيَةُ الْبَاجُورِيِّ عَلَى ابْنِ قَاسِمٍ» (٣٥١/١).

(١) أوردته العلامة الخطيب في «السراج المنير» (٥٩٤/٤).

حاشية الصاوي

مفعول من (أعان يُعين)، فأصله: (مَعُوْن) دَخَلَ القلبَ المَكَانِي، فصار (مَوْعُون)، تحرَّكت الواو الأولى وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً.

وهو اسمٌ جامعٌ لِمَنَافِعِ البيت؛ كَالْقَدْرِ وَالْفَأْسِ ونحوهما، وعليه درج المفسر؛ لِمَا روي عن ابن عباس قال: (كُنَّا نَعِدُ المَاعُونِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَارِيَةَ الدَّلْوِ وَالْقَدْرِ)^(١)، وهذا أَحَدُ تَفَاسِيرِ ل(الماعون)، وقيل: هو الزكاة، وقيل: هو ما لا يحلُّ مِنْهُ؛ مثل: الماء، والملح، والنَّار، ويلحق بذلك البئر والتَّنُور، وقيل: هو المعروف كُلُّهُ الَّذِي يَتَعَاطَاهُ النَّاسُ فيما بينهم؛ ففي هذه الآية زَجْرٌ عَنِ الْبُخْلِ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْقَلِيلَةِ الْحَقِيرَةِ؛ فَإِنَّ الْبُخْلَ بِهَا نَهَايَةُ الْبُخْلِ، قال العلماء: (ويستحبُّ أَنْ يَسْتَكْثِرَ الرَّجُلُ فِي بَيْتِهِ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْجِيرَانُ، فَيُعِيرَهُمْ وَيَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَقْتَصِرَ عَلَى الْوَاجِبِ)^(٢).



(١) رواه النسائي في «السُّنَنِ الْكُبْرَى» (١١٦٣٧) عن سَيِّدِنَا ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر «تفسير النيسابوري» (٥٧٤/٦).

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ



مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ، ثَلَاثُ آيَاتٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

وتسمى سورة (النحر).

قوله: (مَكِّيَّةٌ) أي: في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل والجمهور، وقوله: (أو مدنيَّةٌ) أي: في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة، والمشهور: الأوَّل، ويُؤيِّده سبب النزول، وهو أنَّ العاص بن وائل السهميَّ تلاقى مع رسول الله ﷺ في المسجد عند باب بني سهم، فتحدَّثا، وناسٌ من صناديد قريش جلوسٌ في المسجد، فلمَّا دخل العاص.. قالوا له: مَنْ الذي كنتَ تتحدَّثُ معه؟ فقال: ذلك الأبر؛ يعني به: النبيَّ ﷺ، وكان قد تُوفي ولده القاسم^(١).

قوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ أي: إِنَّا بجلالنا وعظمتنا، فالإتيان بـ(إِنَّ) ونونِ العظمةِ للتأكيد، ولزيادة تشريفه ﷺ، والمعنى: قضينا به لك وخصصناك به، وأنجزناه لك في علمنا وتقديرنا الأزليِّ وإن لم تستولِ عليه وتتصرَّف فيه إلَّا في القيامة، فالعطاء ناجزٌ، والتَّمكُن والاستيلاء مُستقبل.

إن قلتَ: إِنَّه عبَّرَ هنا بالماضي، وفي (الضحى) بالمضارع؛ حيث قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾؛ فكيف الجمع بينهما؟

أجيب: بأنَّ ما في (الضحى) باعتبار التمكن والاستيلاء، وذلك يحصل في المستقبل في يوم القيامة، وما هنا باعتبار التقدير الأزليِّ.

(١) انظر «زاد المسير» (٤/٤٩٨)، وروى نحوه البيهقي في «البعث والنشور» (١٢٦).

الْكَوْثَرُ ①

﴿الْكَوْثَرُ﴾ هو نَهْرٌ في الْجَنَّةِ هو حَوْضُهُ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ، أو الْكَوْثَرُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْقُرْآنِ وَالشَّفَاعَةِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الْكَوْثَرُ﴾ (فَوَعَلَ) من: الكثرة، وَصَفُ مَبَالِغَةٍ فِي الْبَالِغِ الْغَايَةِ فِي الْكَثْرَةِ.
قوله: (هو نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ) وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ ﷺ: «الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنَ الذَّهَبِ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمَسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ»^(١).

وقوله: (هو حوضه) الصواب أن يقول: (أو هو حوضه)؛ لأنَّهما قولان مذكوران في التفسير من جملة ستة عشر قولاً، ويدل لهذا الثاني قول أنس: (بينما رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا؛ إذ أغفى إغفاءةً، ثم رفع رأسه مُتَبَسِّمًا فَقُلْنَا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ أَنْفَاءُ سُورَةٍ فَقُرْتُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ② إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾» ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَلِأَنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَهُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَنَبَتْهُ عِدْدُ نَجُومِ السَّمَاءِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ؛ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك»^(٢).

وَوَرَدَ فِي صِفَةِ الْحَوْضِ أَحَادِيثُ مِنْهَا: قَوْلُهُ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمَسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كَنَجُومِ السَّمَاءِ؛ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ.. لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا»^(٣)، زَادَ فِي رِوَايَةٍ: «وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ»^(٤)، وَمِنْهَا غَيْرُ ذَلِكَ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ النُّبُوَّةُ، الرَّابِعُ: الْقُرْآنُ، الْخَامِسُ: الْإِسْلَامُ، السَّادِسُ: تَيْسِيرُ الْقُرْآنِ وَتَخْفِيفُ الشَّرِيعَةِ، السَّابِعُ: كَثْرَةُ الْأَصْحَابِ وَالْأُمَّةِ وَالْأَتْبَاعِ، الثَّامِنُ: رِفْعَةُ الذِّكْرِ، الثَّاسِعُ: نُورٌ فِي قَلْبِكَ ذَلِكَ عَلَيَّ، وَقَطْعُكَ عَمَّا سِوَايَ، الْعَاشِرُ: الشَّفَاعَةُ، الْحَادِي عَشَرَ: الْمَعْجَزَاتُ، الثَّانِي عَشَرَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)، الثَّلَاثَ عَشَرَ: الْفَقْهُ فِي الدِّينِ، الرَّابِعَ عَشَرَ: الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، الْخَامِسَ عَشَرَ: الْعَظِيمُ مِنَ الْأَمْرِ، السَّادِسَ عَشَرَ: الْخَيْرُ الْكَثِيرُ؛ الدُّنْيَوِيُّ وَالْآخِرَوِيُّ.

(١) رواه الترمذي (٣٣٦١)، وابن ماجه (٤٣٣٤) عن سيدنا ابن عمر ؓ، وَبَنَحُوهُ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (٦٥٨١).

(٢) رواه مسلم (٤٠٠).

(٣) رواه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) عن سيدنا عبد الله بن عمرو ؓ.

(٤) هي رواية الإمام مسلم في «صحيحه».

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾

ونحوها؛ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاة عيد النحر ﴿وَأَنْحَرْ﴾ نُسُكُكَ.

حاشية الصاوي

وكلٌّ من هذه الأقوال تحقّق به رسول الله ﷺ، وفوق ذلك ممّا لا يعلم غايته إلا الله تعالى، وزاد بعضهم فوق تلك الأقوال: أنّه الذرّة الكثيرة المباركة، وقد حقّق الله ذلك، فلا تجد ذرّةً لأحد من الخلق مثل ذرّة المصطفى في الكثرة، ولا في البركة إلى يوم القيامة.

واختلف في الحوض؛ هل هو بعد الصّراط أو قبله؟ وهل هو بعد الميزان أو قبله؟ والصحيح: أنّه قبلهما؛ لأنّ الناس يخرجون من قبورهم عطاشاً، فيشربون منه شربة لا يظمؤون بعدها أبداً، روي عن ابن عباس: أنّه سأل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء؟ قال: «إي والذي نفسي بيده؛ إنّ فيه لماء»، وإنّ أولياء الله ليردون حياض الأنبياء، ويبعث الله تعالى سبعين ألف ملك بأيديهم عصي من نار يذودون الكفّار عن حياض الأنبياء^(١)، وهذا الطّرد لا يكون بعد الصّراط؛ لأنّه لا يسلم من الصّراط إلا المؤمنون، فلا وجود للكفّار هناك حتى يذادوا؛ لسقوطهم في جهنّم قبل ذلك.

قوله: (ونحوها) أي: من الحكمة، وكثرة الأتباع والأئمة، وغير ذلك.

قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ كان مقتضى الظّاهر أن يقول: (فصل لنا)، فانتقل إلى الاسم الظاهر؛ لأنّه يوجب عظمة ومهابة.

قوله: (صلاة عيد النحر) هو قول عكرمة وعطاء وقتادة، وهو يؤيّد كون السّورة مدنيّة، وقال سعيد بن جبّير ومجاهد: ﴿فَصَلِّ﴾ الصلاة المفروضة بجمع مزدلفة، ﴿وَأَنْحَرْ﴾ البدن بمنى^(٢)، وقيل: هو أمرٌ بكلّ صلاة مفروضة أو نافلة، وهو يؤيّد كونها مكّيّة.

قوله: ﴿وَأَنْحَرْ﴾ نسكك أي: هداياك وضحاياك، وهو في الإبل بمنزلة الذّبح في البقر والغنم؛ فقد ورد: أنّه ﷺ نحر من خالص مالِه في حجة الوداع صبيحة منى . . مئة بدنة: سبعين بيده الكريمة، وثلاثين بيد عليّ^(٣).

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣٧٨/١٤) لابن مردويه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦٥٣/٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩٥١١).

(٣) رواه مسلم (١٢١٨) عن سيدنا جابر رضي الله عنه، وفيه: أنّه ﷺ نحر بيده الشريفة ثلاثاً وستين، وأعطى سيدنا عليّاً فنحر ما غير.

إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

﴿٣﴾ إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ أَي: مُبْغِضُكَ ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾: الْمُنْقَطِعُ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ أَوْ الْمُنْقَطِعُ الْعَقِبُ، نَزَلَتْ فِي الْعَاصِي بْنِ وَائِلٍ سَمَّى النَّبِيُّ ﷺ أَبْتَرَ عِنْدَ مَوْتِ ابْنِهِ الْقَاسِمِ.
حاشية الصاوي

وخصَّ الصَّلَاةَ والنَّحَرَ بالذكر؛ لأنَّ الصَّلَاةَ مَجْمَعُ الْعِبَادَاتِ، وَعِمَادُ الدِّينِ، وَالنَّحَرَ فِيهِ إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ قِيَامٌ بِحُقُوقِ الْعِبَادَةِ؛ فِي تِلْكَ الْخَصْلَتَيْنِ الْقِيَامُ بِحُقُوقِ اللَّهِ، وَحُقُوقِ عِبَادِهِ.
قوله: ﴿إِنَّ شَانِكَ﴾ اسم فاعل (شَنَأَ)؛ مِنْ بَابِي: (سَمِعَ) وَ(مَنَعَ)، شَنَأَ بَفَتْحِ النُّونِ وَسُكُونِهَا.

قوله: ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ يَصْحُحُ أَنْ يَكُونَ ﴿هُوَ﴾: مُبْتَدَأً، وَ﴿الْأَبْتَرُ﴾: خَبَرُهُ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ ﴿إِنَّ﴾، وَيَصْحُحُ أَنْ يَكُونَ ضَمِيرَ فَصْلٍ، وَ﴿الْأَبْتَرُ﴾: خَبَرُ ﴿إِنَّ﴾.
وَالْأَبْتَرُ فِي الْأَصْلِ: الشَّيْءُ الْمَقْطُوعُ؛ مِنْ: (بَتَرَهُ): قَطَعَهُ، وَ(حِمَارُ أَبْتَرَ): لَا ذَنْبَ لَهُ.
قوله: (أَوْ الْمُنْقَطِعُ الْعَقِبُ) أَي: النَّسْلُ.

قوله: (سَمَّى النَّبِيُّ ﷺ أَبْتَرَ) أَي: حَيْثُ قَالَ: بُتِرَ مُحَمَّدٌ، فَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فَلَمَّا قَالَ تِلْكَ الْمَقَالَةَ.. نَزَلَتْ السُّورَةُ؛ تَسْلِيَةً وَتَبْشِيرًا لَهُ ﷺ.

قوله: (عِنْدَ مَوْتِ ابْنِهِ الْقَاسِمِ) هُوَ أَوَّلُ أَوْلَادِهِ ﷺ، عَاشَ سِتِّينَ، وَقِيلَ: سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَقِيلَ: بَلَغَ رُكُوبَ الدَّابَّةِ، وَمَاتَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ، وَقِيلَ: بَعْدَهَا، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ مَاتَ مِنْ أَوْلَادِهِ، وَهُمْ سَبْعَةٌ: الْقَاسِمُ، وَعَبْدُ اللَّهِ الْمَلْقَبُ بِالطَّيِّبِ وَالطَّاهِرِ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَزَيْنَبُ، وَرُقِيَّةُ، وَفَاطِمَةُ، وَأُمُّ كُلْثُومَ، وَكُلُّهُمْ مِنْ خَدِيجَةَ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ فَمِنْ مَارِيَةِ الْقُبَيْطِيَّةِ، وَمَاتُوا جَمِيعًا فِي حَيَاتِهِ إِلَّا فَاطِمَةَ، فَعَاشَتْ بَعْدَهُ زَمَنًا يَسِيرًا وَمَاتَتْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَذُرِّيَّتَهُ ﷺ الْبَاقِيَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ نَسْلِهَا.





مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ، سِتُّ آيَاتٍ. نَزَلَتْ لَمَّا قَالَ رَهْطٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْكَافُرُونَ

وتسمى سورة (المعابدة) أي: المخالفة في العبادة والمعاندة فيها، وسورة (الإخلاص)؛ لأنها دالة على الإخلاص في العبادة والدين؛ كما أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تسمى سورة (الإخلاص)، لكن هذه دالة على الإخلاص في الظاهر والباطن، والصَّمَدِيَّة دالة على إخلاص القلب من الشرك؛ فَمَنْ عمل بهما واعتقدهما.. برئ ظاهره وباطنه من الكفر والنفاق، وكذلك لا يجتمعان في مُنافٍ ولا كافر، ويقال لها ولـ(الإخلاص): (المقشقتان) أي: المُبرثتان.

ووردَ في فضلها أحاديثٌ منها: «أنَّها تعدلُ ثلثَ القرآن»^(١)، ومنها: قوله ﷺ: «﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾ تعدلُ ربعَ القرآن»^(٢). ومنها: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني، فقال: «اقرأ عند منامك ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾؛ فإنها براءة من الشرك»^(٣)، ومنها: قول ابن عباس: (ليس في القرآن أشدَّ غيظاً لإبليس منها؛ لأنها توحيد، وبراءة من الشرك)^(٤)، وإنما زادت (الإخلاص) في الثواب عنها؛ لأنها مشتملة على صفات الرب تعالى صريحاً مع دلالتها على الإخلاص في التوحيد.

قوله: (مَكِّيَّة) أي: في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة، وقوله: (أو مدنيَّة) أي: في قول قتادة والضحاك.

قوله: (نَزَلَتْ لَمَّا قَالَ رَهْطٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ... إلخ) حاصله كما قال ابن عباس: إن سبب نزولها: أن الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب وأمّية بن خلف لقوا

(١) أوردته القرطبي في «تفسيره» (٢٢٤/٢٠) وعزاه للترمذي من حديث أنس رضي الله عنه، وفي «التفسير من سنن سعيد بن منصور» (٧٣): (وَمَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.. فكَأَنَّمَا قَرَأَ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٩٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه أبو داود (٥٠٥٥)، والترمذي (٣٤٠٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٥٩٦) عن سيدنا نوفل الأشجعي رضي الله عنه.

(٤) أوردته القرطبي في «تفسيره» (٢٢٥/٢٠).

﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾.....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ﴾ في الحال ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام،
﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ في الحال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ وهو الله تعالى وحده.

حاشية الصاوي

رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد؛ هلم فلتعبد ما نعبد، ونعبد ما تعبد، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت خيراً ممّا بأيدينا.. كُنَّا قد أشركناك فيه، وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً ممّا بيدك.. كنت قد أشركتنا في أمرنا، وأخذت بحظك منه، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ...﴾ إلى آخرها^(١).

والرّهط: بسكون الهاء أفصح من فتحها، جمع لا واحد له من لفظه، يقال على ما دون العشرة من الرجال، وقيل: ما فوق العشرة إلى الأربعين.

قوله: ﴿الْكَافِرُونَ﴾ هم جماعة من الكفار مخصوصون، عليم الله عدم إيمانهم أصلاً.

قوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ اعلم: أنه اختلف المفسرون في هذه السورة؛ هل فيها تكرار أو لا؟ فعلى الأول: هو للتأكيد، وفائدته: قطع أطماع الكفار، وتحقيق الإخبار بأنهم لا يسلمون أبداً، وعلى الثاني: فكل جملة مقيّدة بزمن غير الزمن الذي قيّدت به الأخرى، فدرج المفسر على أن النفي الأول محمول على الحال، والثاني على الاستقبال، ودرج غيره على العكس.

و(ما): يصح أن تكون موصولة بمعنى (الذي)؛ فإن كان المراد بها الأصنام كما في الأولى والثالثة.. فالأمر واضح؛ لأنهم غير عقلاء، و(ما) لغير العاقل، وأمّا الثانية والرابعة.. فإمّا أن تكون واقعة على الله تعالى وتكون دليلاً لمن يجوز وقوعها على العالم، أو تجعل مصدرية، والتقدير: (ولا أنتم عابدون عبادتي) أي: مثل عبادتي، ويصح أن تكون جميعها مصدرية، أو موصولة، أو الأوليان موصولة، والأخريان مصدرية^(٢)، فتحصل أن (ما) في هذه السورة فيها أربعة أقوال:

الأول: أنها كلّها بمعنى (الذي)، الثاني: أنها كلّها مصدرية، الثالثة: أن الأوليين بمعنى (الذي)، والأخريان مصدريتان، الرابع: أن الأولى والثالثة بمعنى (الذي)، والثانية والرابعة مصدرية.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦٦٢/٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩٥١٩).

(٢) في (ط٢): (أو الأوليان موصولتان، والأخريان مصدريتان).

وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۖ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ ۚ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

(٤ - ٥) ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ في الاستقبال ﴿مَّا عَبَدْتُمْ﴾ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ في الاستقبال ﴿مَّا أَعْبُدُ﴾ عَلِمَ اللَّهُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، وإطلاق (ما) على الله على وجه المُقَابَلَةِ.

﴿٦﴾ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾: الشُّرْكُ ﴿وَلِيَ دِينِ﴾: الإسلامُ، وهذا قبل أن يُؤْمَرَ بِالْحَرْبِ

حاشية الصاوي

إن قلت: ما الحكمة في التعبير في جانبه ﷺ بلفظ (أعبد)، وفي جانبهم بلفظ (عبدتم)؟
أجيب: بأنه ﷺ وإن كان يعبد الله تعالى قبل البعثة إلا أنه لم يدعُ النَّاسَ إِلَّا بَعْدَهَا، فلم يشتهر بها إِلَّا حينَ الدعوة، وأمَّا هم.. فكانوا مُتَلَبِّسِينَ قديمًا بعبادة الأصنام، مُتَظَاهِرِينَ بها.
قوله: (علم الله منهم أنهم لا يؤمنون) جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّر، حاصله: كيف يُقْنِطُهُم من الإيمان مع أنه مبعوثٌ لهدايتهم، وقد كان حريصاً على إيمانهم؟
وحاصلُ الجواب: أن هذا في قومٍ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ أبدأً، فأخبر نبيّه بذلك؛ لِتَظْهِرَ شَقَاوَتَهُمْ.

قوله: (وإطلاق «ما» على الله) أي: في الثانية والرابعة، وأمّا في الأولى والثالثة.. فهي واقعة على الأصنام.

قوله: (على وجه المُقَابَلَةِ) أي: المشاكلة، وهذا مبنيٌّ على القول بأنه لا يجوز وقوع (ما) على العالم، وأمّا على مذهب مَنْ يجوز ذلك.. فلا يحتاج لِإِعْتِذَارٍ بِالمُقَابَلَةِ، وكان المناسب لِلْمُفَسِّرِ أن يقول: (وإطلاق «ما» على العالم.. فصيحٌ، وحسنه المشاكلة).

قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾... إلخ) أتى بهاتين الجملتين المبتنتين بعد جُمْلٍ منفيّةٍ؛ لأنه لما كان الأهمُّ تَبَاعُدُهُ عليه السَّلَام عن دينهم.. بدأ بالنفي سابقاً، فلَمَّا تحقَّق النَّفْيُ.. رَجَعَ إلى خطابهم؛ مُهَادِنَةً لَهُمْ، فهاتان الجملتان مُؤَكِّدَتَانِ لمجموع الجُمْلِ الأربعة.

قوله: ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ (بفتح الياء من (لي)، وإسكانها، سبعيتان^(١)).

قوله: (وهذا قبل أن يُؤْمَرَ بِالْحَرْبِ) الإشارةُ راجعةٌ إلى الآية الأخيرة، وقيل: إلى جميع

(١) فتح الياء من (لي) نافع وهشام وحفص والبيزي بخلاف عنه، وأسكنها الباقون. انظر «الدر المصون» (١١/١٣٨).

- وَحَذَفَ يَاءَ الْإِضَافَةِ السَّبْعَةَ وَقَفًّا وَوَصَلًا، وَأَثْبَتَهَا يَعْقُوبُ فِي الْحَالَيْنِ ..

حاشية الصاوي

السورة، وهذا مبني على أن المراد بـ(الدين): العبادة والتدين، وقيل: إنَّ المراد بـ(الدين): الجزاء؛ أي: لكم جزاء أعمالكم، ولي جزاء أعمالي، وعليه: فلا نسخ.

قوله: (وقفًا ووصلًا) أي: لأنها من ياءات الزوائد؛ فيُراعى فيه رسم المصحف، وهي غير ثابتة فيه؛ اكتفاءً بالكسرة.

قوله: (وأثبتها يعقوب) أي: وهو من العشرة^(١).



(١) انظر المرجع السابق.

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾



مدنية، ثلاث آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى أَعْدَائِهِ

حاشية الصاوي

سُورَةُ النَّصْرِ

(مدنية) أي: بالإجماع، وتسمى سورة (التوديع)؛ لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا، وأتفق الصحابة على أن هذه السورة دلت على نعي رسول الله ﷺ؛ وذلك لوجوه منها: أنهم عرفوا ذلك حين خطب وقال: «إن عبداً خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه، فاختار لقاء الله تعالى»، فقال أبو بكر: (فدنياك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا)^(١).

ومنها: أنه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس في الدين أفواجا.. دل على حصول الكمال والتمام، قال الشاعر^(٢): [المقارب]

إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَأَ نَقْضُهُ تَوَقَّعُ زَوَالٍ إِذَا قِيلَ: تَمَّ

ومنها: أنه تعالى أمره بالتسبيح والحمد والاستغفار، واشتغاله بذلك يمنعه من اشتغاله بأمر الأمة، فكان هذا كالتنبية على أن أمر التبليغ قد تم وكمل، وذلك يقتضي انقضاء الأجل؛ إذ لو بقي بعد ذلك.. لكان كالمعزول من الرسالة، وذلك غير جائز.

قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ المجيء في الأصل: اسم للموجود الغائب إذا حضر، والمراد: حصل وتحقق، ففيه استعارة تبعية؛ حيث شبه حصول النصر عند حضور وقته بالمجيء، ثم اشتق منه

(١) رواه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) البيت لعبد الله بن المبارك؛ كما في «ديوانه» (ص ٢٥).

وَالْفَتْحُ ﴿١﴾

﴿وَالْفَتْحُ﴾: فَتْحُ مَكَّةَ،

حاشية الصاوي

لفظ (جاء) بمعنى: (حصل)، وعبر بالمجيء؛ إشعاراً بأن الأمور متوجّهة من الأزل إلى أوقاتها المعينة لها، وأن ما قدر الله حصوله.. فهو كالحاصل بالفعل، كأنه موجودٌ حَضَر مِنْ غَيْبِهِ.

﴿وَإِذَا﴾: ظرفٌ لما يُستقبل من الزّمان، منصوبٌ بـ(سُبْح) الواقع جوابها، وهي على بابها إن كانت السّورة نزلت قبل الفتح، فإن كان النزول بعد الفتح.. فـ(إذا) بمعنى (إذ) متعلّقة بمحذوف، تقديره: أكمل الله الأمر وأتمّ النعم على العباد إذ جاء نصرُ الله.

﴿وَنَصْرُ اللَّهِ﴾: مصدرٌ مضافٌ لفاعلِهِ، ومفعوله محذوفٌ، قدره المفسّر بقوله: (نبية).

قوله: ﴿وَالْفَتْحُ﴾ (أل) فيه: عوضٌ عن المضاف إليه عند الكوفيّين؛ أي: وفتحه، أو العائد محذوف عند البصريّين؛ أي: والفتح منه، وعطفه على (النصر) عطفٌ خاصٌّ على عامٍّ.

قوله: (فتح مكة) أي: التي حصل بها أعظمُ فتوح الإسلام، وأعزّ الله بها دينه ورسوله وجنده وحرمة، واستبشر بها أهل السّماء، ودخل النّاس في دين الله أفواجا.

وسببها: أنّه وقع الصّلح بالحديبية على أنّه ﷺ لا يتعرّض لمن دخل في عقد قريش، وأنهم لا يتعرّضون لمن دخل في عقده، وكان ممّن دخل في عقده خزاعة، وفي عقدهم بنو بكر، وكانا مُتَعَادِيَيْنِ، فخرج بعض بني بكر وبَنُو خِزَاعَةٍ فاقْتَتَلُوا، فأمدّ قريشُ بني بكر، فخرج أربعون من خِزَاعَةٍ إليه ﷺ يخبرونه ويستنصرونه، فقام وهو يجرّ رداءه ويقول: «لَا نُصِرْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْكُمْ بِمَا أَنْصُرُ بِهِ نَفْسِي».

ولمّا أحسّ أبو سفيان.. جاء إلى المدينة؛ ليجدد العهد، ويزيد في المدة، فأبى ﷺ، فرجع، فأمر رسول الله ﷺ النّاسَ بالجهاز، وأمر أهلَهُ أَنْ يُجَهِّزُوهُ، وأعلم النّاسَ أنّه سائرٌ إلى مَكَّةَ وقال: «اللهمّ؛ خُذِ الْعِيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْغَتْهَا فِي بِلَادِهَا»، فتجهّز النّاس، ومضى رسول الله بهم عامداً إلى مكة لعشرٍ مَضِيّينَ من رمضان - وقيل: لَلَيْلَتَيْنِ مضتا منه - سنة ثمانٍ من الهجرة، فصام رسول الله والنّاس معه حتّى إذا كان بالكديد.. أفطَرَ، وعقدَ الألوِيَّةَ والرّايَاتِ، ودفعها إلى القبائل.

ثمّ مضى حتّى نزل مرَّ الظّهْران - المسمّى الآن: بوادي فاطمة - في عشرة آلاف - وقيل: اثني عشر ألفاً - من المسلمين، ولم يتخلّف من المهاجرين والأنصار عنه أحدٌ، فلمّا نزل به.. أمرهم

حاشية الصاوي

أن يُوقدوا عشرة آلاف نارٍ، كلُّ نارٍ على حدة، فخرج أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار، وكان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ببعض الطريق مهاجراً بعياله، فلمَّا رأى ذلك الأمر.. قال: (والله؛ لئن دخل رسول الله مكة غنوة قبل أن يستأنوه.. لهلكت قريش إلى آخر الدهر).

قال العباس: فركبتُ بغلة رسول الله البيضاء، وخرجتُ لأجدَ خطاباً أو ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله؛ ليخرجوا إليه فيستأنوه قبل أن يدخلها عليهم غنوة؛ وإذا أنا بأبي سفيان، فعرفتُ صوته، فقلتُ: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي، فقال: أبو الفضل؟ فقلتُ: نعم، قال: ما لك فداك أبي وأمي؟ قلتُ: ويحك يا أبا سفيان؛ هذا رسول الله قد جاءكم بما لا قبلَ لكم به؛ بعشرة آلاف من المسلمين، قال: وما الحيلة؟ قلتُ: والله؛ لئن ظفر بك.. ليضربنَّ عنقك، فاركب عَجْزَ هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فاستأمنه لك، فأردفته، ورجع صاحبا، فخرجتُ أركضُ به بغلة رسول الله؛ كلِّما مررتُ بنارٍ من نيران المسلمين.. نظروا وقالوا: عمُّ رسول الله، على بغلة رسول الله، حتى مررتُ بنارٍ عمر بن الخطاب فقال: مَنْ هذا؟ وقام إليّ، فلمَّا رأى أبا سفيان على عَجْز الدابة.. قال: (يا أبا سفيان، عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقدٍ ولا عهدٍ) ثم خرج يشتدُّ نحو رسول الله، وركضتُ البغلة فسبقتُه، فلمَّا وصلت النبي ﷺ.. دخلت عليه ودخل عليه عمر، فقال: (يا رسول الله؛ هذا أبو سفيان عدو الله، قد أمكن الله منه بغير عهدٍ ولا عقدٍ، فدعني أضرب عنقه)، قال: فقلتُ: يا رسول الله؛ إنِّي قد أجرتُه، فقال رسول الله: «اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت.. فأتني به»، قال: فذهبتُ به إلى رحلي، فبات عندي، فلمَّا أصبح.. غدوتُ به إلى رسول الله، فلمَّا رآه.. قال: «ويحك يا أبا سفيان؛ ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟»، قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! فما زال به حتى أسلم.

قال العباس: يا رسول الله؛ إنَّ أبا سفيان رجلٌ يحبُّ الفخر، فاجعل له شيئاً، قال: «نعم، مَنْ دخل دارَ أبي سفيان.. فهو آمِن، ومَنْ أغلق بابهُ عليه.. فهو آمِن، ومَنْ دخل المسجد.. فهو آمِن»، فلمَّا ذهب لينصرف.. قال رسول الله ﷺ: «احبسهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللَّهِ»، قال: ففعلتُ، ومررتُ به القبائل على راياتها؛ كلِّما مرَّت به قبيلة.. قال: مَنْ هؤلاء يا عباس؟ فأقول: سُليم، فيقول: ما لي ولِسُليم؟ ثم تمرُّ القبيلة، فيقول: مَنْ هؤلاء؟ فأقول: مُزينة، فيقول: ما لي

حاشية الصاوي

وَلِمُزِينَةٍ؟ فَلَا تَمُرُّ قَبِيلَةً إِلَّا سَأَلَنِي عَنْهَا حَتَّى مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي كَتِيبَتِهِ الْخَضْرَاءِ، وَفِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ لَا يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقُ مِنَ الْحَدِيدِ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ؛ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا عَبَّاسُ؟ قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقَالَ: مَا لِأَحَدٍ بِهِؤُلَاءِ مِنْ قَبْلِ وَلَا طَاقَةٍ، وَاللَّهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ؛ لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ عَظِيمًا، قُلْتُ: وَيْحَكَ، إِنَّهَا النَّبُوءَةُ، قَالَ: فَنَعَمْ إِذَا، فَقُلْتُ: الْحَقُّ الْآنَ بِقَوْمِكَ، فَحَذَّرَهُمْ، فَخَرَجَ سَرِيعًا حَتَّى أَتَى مَكَّةَ، فَصَرَخَ فِي الْمَسْجِدِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؛ هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ فِيمَا لَا قَبْلَ لَكُمْ بِهِ، قَالُوا: وَكَيْفَ السَّبِيلُ؟ قَالَ: مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفْيَانَ.. . فَهُوَ آمِنٌ، قَالُوا: وَيْحَكَ وَمَا تُغْنِي عَنَّا دَارَكَ؟ قَالَ: وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ.. . فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ.. . فَهُوَ آمِنٌ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ، وَإِلَى الْمَسْجِدِ، وَجَاءَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبَدِيلُ بْنُ وَرْقَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَاسْلَمَا وَبَايَعَاهُ، ثُمَّ بَعَثَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى قُرَيْشٍ يَدْعُوَانِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ.

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ دَخَلَ مَكَّةَ وَضَرَبَ قُبَّتَهُ بِأَعْلَى مَكَّةَ، وَأَمَرَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَيَمْنَأُ أَسْلَمَ مِنْ خِزَاعَةِ وَبَنِي سُلَيْمٍ أَنْ يَدْخُلُوا مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ، وَقَالَ لَهُمْ: «لَا تُقَاتِلُوا إِلَّا مَنْ قَاتَلَكُمْ»، وَأَمَرَ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ أَنْ يَدْخُلَ فِي بَعْضِ النَّاسِ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا أَبَا سَفْيَانَ؛ الْيَوْمَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ؛ أَيُّ: الْحَرْبِ، الْيَوْمَ تُسْتَحْلُ الْحَرَمَةُ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ، فَأَمَرَهُ عَلَى لِسَانِ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَنْ يَدْفَعَ الرَّايَةَ لِابْنِهِ قَيْسٍ، وَأَخْبَرَ أَبَا سَفْيَانَ أَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْ بِقَتْلِ قُرَيْشٍ، وَأَنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ يُعِزُّ قُرَيْشًا، وَخَشِيَ سَعْدٌ أَنَّ ابْنَهُ يَقَعُ مِنْهُ شَيْءٌ أَيْضًا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَدَفَعَهَا لِلزُّبَيْرِ، وَكَانَتْ رَايَةُ النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ مَعَ الزُّبَيْرِ أَيْضًا، فَبَعَثَهُ وَمَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَخَيْلُهُمْ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ، وَأَنْ يَغْرَزَ رَايَتَهُ بِالْحِجُونَ، وَلَا يَبْرَحَ حَتَّى يَأْتِيَهُ.

وَأَمَّا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ.. . فَقَدِمَ عَلَى قُرَيْشٍ وَبَنِي بَكْرِ وَالْأَحَابِيشِ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ، فَقَاتَلُوهُمْ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ، وَلَمْ يَكُنْ بِمَكَّةَ قِتَالٌ غَيْرَ ذَلِكَ، فَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا أَوْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ جَلَاءً، وَلَمْ يُقْتَلْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا ثَلَاثَةٌ^(١)، وَكَانَ قَدْ أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا يُقَاتِلُوا إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُمْ، إِلَّا نَفَرًا سَمَّاهُمْ، أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ وَإِنْ وَجَدُوا تَحْتَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ؛ مِنْهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطْلٍ؛

(١) وهم: كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ مِنْ بَنِي مُحَارِبٍ بْنِ فَهْرٍ، وَحَبِيشُ بْنُ خَالِدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ أَصْرَمِ الْخَزَاعِيِّ، وَسَلْمَةُ بْنُ الْمَيْلَاءِ الْجُهَنِيِّ.

وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: الإسلام ﴿أَفْوَاجًا﴾: جماعاتٍ بعدَ ما كان يَدْخُلُ فِيهِ وَاحِدٌ وَاحِدٌ، وذلكَ بعدَ فتحِ مَكَّةَ، جاءَهُ الْعَرَبُ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ طَائِعِينَ.

حاشية الصاوي

كانا قد أسلما ثم ارتدَّا، ومنهم: قَيْنَتَانِ كَانَتَا تُغْنِيَانِ بِهِجَاءِ النَّبِيِّ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُطَلٍ، ومنهم: الْحُوَيْرِثُ بْنُ وَهَبٍ^(١)، ومقيس بن صبابه، وأناس آخر.

ثم إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خرج لما اطمأنَّ بالنَّاسِ حتَّى جاء البيت، فطاف به سبْعاً على راحلته، يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمَحْجَنٍ فِي يَدِهِ، فلمَّا قَضَى طَوَافَهُ . . دعا عُثْمَانَ بْنَ أَبِي طَلْحَةَ، فأخذ منه مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ، فَفُتِحَتْ لَهُ، فدخلها، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكن له النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ، فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، ثم قال: «يا معشر قريش؛ ما ترون أني فاعلٌ فيكم؟» قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم، ثم قال: «اذهبوا فإنتم الطُّلُقَاءُ»، فأعتقهم رسول الله وقد كان الله أمكنَ منهم عُتْوَةً، فبذلك سَمِّيَ أَهْلُ مَكَّةَ الطُّلُقَاءَ.

ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال: (يا رسول الله؛ اجمع لنا بين الحجابة والسقاية)، فقال رسول الله: «أين عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ؟» فدُعِيَ لَهُ، فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان، اليومَ يومَ وفاءٍ وبرٍّ».

واجتمع النَّاسُ لِلْبَيْعَةِ، فجلس إليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ على الصِّفَا وعمر بن الخطاب أسفلَ منه يأخذ على النَّاسِ، فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا، فلمَّا فرغَ من بيعَةِ الرِّجَالِ . . بايعَ النِّسَاءَ وقد أهدت به الأنصار، فقالوا فيما بينهم: (أترون رسولَ اللَّهِ ﷺ إذ فتحَ الله عليه أرضه وبلده يُقيم به؟) فقال: «ماذا قلتم؟» قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزلَ بهم حتَّى أخبروه، فقال النبي ﷺ: «معاذَ اللَّهِ، المحيا محياكم، والمماتُ مماتكم»، وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمسة عشر ليلةً يَقْصُرُ الصَّلَاةَ، ثمَّ خرج إلى هَوازِنَ وَثْقِيْفٍ^(٢).

قوله: ﴿يَدْخُلُونَ﴾ نصب على الحال إن كانت (رأى) بصرية، أو مفعولٌ ثانٍ إن كانت علمية.

قوله: ﴿أَفْوَاجًا﴾ حال من فاعل ﴿يَدْخُلُونَ﴾، وهو جمع (فوج)، والمعنى: يدخلون زُمَرًا زُمَرًا من غير قتال، وقوله: (جاءه العرب) لا مفهوم له، بل وغيرهم.

(١) نسبَه المصنف رحمه الله تعالى لِجَدِّهِ، وهو الحويرث بن نقيذ بن وهب.

(٢) انظر خبر الفتح في «عيون الأثر» (٢/٢٢٢)، و«مغازي الواقدي» (٢/٧٨٠).

فَسَيِّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

﴿٣﴾ ﴿فَسَيِّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: مُتَلَبِّسًا بِحَمْدِهِ، ﴿وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، وكان ﷺ بعدَ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، وَعَلِمَ بِهَا أَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُ، وَكَانَ فَتَحَ مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَسَيِّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل: (سبحان الله، والحمد لله)؛ تعجباً ممَّا رأيتَ من عَجِيبِ إِنْعَامِهِ عَلَيْكَ.

قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُهُ﴾ أي: سَلِ اللَّهَ الْغَفْرَانَ، وَإِنَّمَا أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهٖ بِالْأَسْتَغْفَارِ مَعَ أَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا؛ لِيَتَرَقَّى وَيَرْجِعَ إِلَى حَضْرَةِ الْحَقِّ؛ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ مَشْغُولاً بِهَدَايَةِ الْخَلْقِ إِلَّا أَنَّ مَقَامَ الصَّفْوَةِ وَالْحُضُورِ وَالْأُنْسِ أَعْلَى وَأَجَلُّ، فَهُوَ مِنْ بَابِ: (حَسَنَاتِ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتِ الْمُقْرَبِينَ)؛ لِيَزْدَادَ فِي التَّوَاضُعِ وَالْإِفْتِقَارِ، وَلِيَكُونَ خَتَامَ عَمَلِهِ التَّزْيِيهِ وَالْأَسْتَغْفَارُ، وَفِيهِ تَشْرِيعٌ لِلْأُمَّةِ إِذَا طَعَنَ أَحَدُهُمْ فِي السَّنِّ.. فَالْغَالِبُ قُرْبُ أَجَلِهِ، فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذَلِكَ؛ لِيَخْتِمَ عَمَلُهُ بِهِ.

قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ أي: وَلَمْ يَزَلْ؛ فَ(كَانَ): لِلدَّلَالَةِ عَلَى ثُبُوتِ خَبَرِهَا لِاسْمِهَا، وَمَعْنَى كَوْنِهِ تَوَّابًا: أَنَّهُ يُكْثِرُ قَبُولَ التَّوْبَةِ، وَبِهَذَا ائْتَدِفَ مَا يُقَالُ: إِنَّ (كَانَ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى ثُبُوتِ خَبَرِهَا لِاسْمِهَا فِي الْمَاضِي، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ.. فَلَا يَصَحُّ أَنْ يَكُونَ عَلَّةً لِلْأَسْتَغْفَارِ فِي الْحَالِ أَوِ الْمُسْتَقْبَلِ.

قوله: (وَعَلِمَ بِهَا أَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُ) أي: لِقَوْلِ مِقَاتِلَ: (لَمَّا نَزَلَتْ.. قَرَأَهَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ وَالْعَبَّاسُ، فَفَرَحُوا وَاسْتَبَشَرُوا، وَبَكَى الْعَبَّاسُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا يُبْكِيكَ يَا عَمُّ؟» قَالَ: نُعِيتُ إِلَيْكَ نَفْسُكَ، قَالَ: «إِنَّهُ كَمَا قُلْتَ»، فَعَاشَ بَعْدَهَا سِتِينَ يَوْماً مَا رُئِيَ فِيهَا ضَاحِكاً^(١).

وقيل: نَزَلَتْ فِي مَنَى بَعْدَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَبَكَى عُمَرُ وَالْعَبَّاسُ فَقِيلَ لِهَما: هَذَا يَوْمُ فَرَحٍ؟ فَقَالَا: بَلْ فِيهِ نَعْيُ النَّبِيِّ ﷺ؛ أي: إِخْبَارُ بِمَوْتِهِ^(٢).

وعن ابن عمر: (نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِمَنَى فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، ثُمَّ نَزَلَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]، فَعَاشَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَهَا ثَمَانِينَ يَوْماً، ثُمَّ نَزَلَتْ آيَةُ الْكَلَالَةِ، فَعَاشَ

(١) أوردته الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٠/٣٢١)، والماوردي في «التكت والعيون» (٦/٣٦٢).

(٢) أوردته القرطبي في «تفسيره» (٢٠/٢٣٢).

وَتُوفِّيَ ﷺ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ عَشْرٍ.

حاشية الصاوي

بعدها خمسين يوماً، ثُمَّ نَزَلَ: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فعاش بعدها إحدى وعشرين يوماً، وقيل: سبعة أيام، وقيل غير ذلك^(١).

قوله: (وتُوفِّيَ ﷺ سَنَةَ عَشْرٍ) إِنْ قُلْتَ: إِنَّ سَنَةَ عَشْرٍ حَجَّ فِيهَا، وَتُوفِّيَ فِيهَا وَلَدَهُ إِبْرَاهِيمَ؛ فَالْصَّوَابُ: سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةٍ؟

وَأُجِيبُ: بِأَنَّ الْمُرَادَ عَلَى تَمَامِ عَشْرِ مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْهَجْرَةَ كَانَتْ لِاثْنَيْ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ لِاثْنَيْ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، فَكَانَتْ وَفَاتُهُ ﷺ عَلَى رَأْسِ الْعَاشِرَةِ بِالنَّظَرِ لِجَعْلِ التَّارِيخِ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَإِنْ كَانَتْ لِشَهْرَيْنِ وَشَيْءٍ مَضَتْ مِنَ الْحَادِيَةِ عَشْرَةِ إِذَا عُدَّ التَّارِيخُ مِنْ أَوَّلِ السَّنَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَهُوَ الْمُحَرَّمُ؛ فَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: تُوفِّيَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ بِالنَّظَرِ لِجَعْلِ التَّارِيخِ مِنَ الْمُحَرَّمِ، وَتُوفِّيَ سَنَةَ عَشْرِ بِالنَّظَرِ لِجَعْلِ التَّارِيخِ مِنْ يَوْمِ دُخُولِهِ الْمَدِينَةَ.



(١) انظر المرجع السابق، وفيه أيضاً: (ثم نزل ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوماً).



مَكِّيَّة، خمسُ آيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ لَمَّا دَعَا النَّبِيُّ ﷺ قَوْمَهُ وَقَالَ: إِنِّي ﴿نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، فَقَالَ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّ لَكَ! أَلِهَذَا دَعَوْتَنَا؟

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْمَيْدَةِ ﴿تَبَّتْ﴾

وتسمّى سورة (أبي لهب).

قوله: (مَكِّيَّة) أي: بالإجماع.

قوله: (لَمَّا دَعَا النَّبِيُّ) أي: نادى، وقوله: (قَوْمَهُ) أي: المؤمنين والكافرين.

وذلك أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].. خَرَجَ ﷺ حَتَّى صَعَدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: «يَا صَبَاحَاهُ»، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتَفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ: «يَا بَنِي فَلَان، يَا بَنِي فَلَان، يَا بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ»، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتَكُمْ أَنَّ عِبْرًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ؟ أَكُتُمُ مُصَدِّقِي؟» قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّ لَكَ مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا! ثُمَّ قَامَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ^(١).

فَلَمَّا سَمِعَتْ امْرَأَتُهُ مَا نَزَلَ فِي زَوْجِهَا وَفِيهَا مِنَ الْقُرْآنِ.. أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِي يَدَيْهَا فَهْرٌ مِنْ حِجَارَةٍ، فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيْهِ.. أَخَذَ اللَّهُ بَصَرَهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ تَرَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ! إِنَّ صَاحِبَكَ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ يَهْجُونِي، وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ.. لَضَرَبْتُ بِهِذَا الْفَهْرَ فَاهَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَقَائِلَةٌ:

مُذَمَّمًا عَصِيْنَا

(١) رواه البخاري بنحوه (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨) عن سيدنا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وانظر «زاد المسير» (٥٠٢/٤).

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١)

نَزَلَ: ﴿تَبَّتْ﴾: خَسِرَتْ ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أَي: جُمْلَتُهُ، وَعَبَّرَ عَنْهَا بِالْيَدَيْنِ مَجَازًا؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَفْعَالِ تُزَاوِلُ بِهِمَا، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ دُعَاءٌ، ﴿وَتَبَّ﴾: خَسِرَ هُوَ، وَهَذِهِ خَبَرٌ، كَقَوْلِهِمْ: حَاشِيَةُ الصَّاوِي

وَأَمْرُهُ أَبِى نُنَا
وَدِينُهُ قَلْبِى نُنَا

ثُمَّ انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله؛ أما تراها رأيتك؟ قال: «ما رأيتني، لقد أخذ الله بصبرها عني»^(١). وكانت قريش تسمي رسول الله مذممًا، ثُمَّ يَسُبُّونَهُ؛ أَي: ذُو ذِمَّةٍ وَعَهْدٍ صَادِقٍ، وَقَالَ صَاحِبُ «الْهَمْزِيَّةِ» فِي هَذَا الْمَعْنَى^(٢): [الخفيف]

وَأَعَدَّتْ حَمَالَةَ الْحَطَبِ الْفِهِ
رَ وَجَاءَتْ كَأَنَّهَا الْوُرْقَاءُ
يَوْمَ جَاءَتْ غَضْبَى تَقُولُ: أَفِي مِثْ
لِي مِنْ أَحْمَدٍ يُقَالُ الْهَجَاءُ؟
فَتَوَلَّيْتُ وَمَا رَأَيْتُهُ وَمِنْ أَيِّ
نَ تَرَى الشَّمْسَ مُقْلَةً عُمِيَاءُ؟

وقيل: إِنَّ سَبَبَ نُزُولِهَا: مَا حَكَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ: أَنَّ أَبَا لَهَبٍ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: مَاذَا أُعْطِيَ إِنْ آمَنْتُ بِكَ يَا مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: «كَمَا يُعْطَى الْمُسْلِمُونَ»، قَالَ: مَا لِي عَلَيْهِمْ فَضْلٌ؟ قَالَ: «وَأَيُّ شَيْءٍ تَبْتَغِي؟»، قَالَ: تَبًّا لِهَذَا مِنْ دِينٍ إِنْ أَكُنْتُ وَهَؤُلَاءِ سَوَاءً^(٣).

قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ بفتح الهاء وسكونها، سبعيتان، ولغتان جيدتان^(٤)، واتفق القراء على فتح الهاء في قوله: ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾، والفرق: أَنَّهَا فَاصِلَةٌ، فَلَوْ سُكِّنَتْ.. زَالَ التَّشَاكُلُ.
قوله: (وهذه خبر) أي: إخبارٌ بحصولِ التَّبابِ لَهُ، الَّذِي دَعَا بِهِ عَلَيْهِ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى، وَهَذَا أَحَدُ قَوْلَيْنِ، وَقِيلَ: إِنَّ كِلَا الْجُمْلَتَيْنِ دُعَاءٌ^(٥).

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٣٦٢/٢)، وأبو يعلى في «مُسْنَدِهِ» (٥٣) عن سيدتنا أسماء بنتِ أبي بكرٍ ؓ.

(٢) انظر «المنح المكية» (ص ٢٥٥) وما بعدها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦٧٥/٢٤).

(٤) قرأ العامة بفتح الهاء، وابن كثير بإسكانها. انظر «الدر المصون» (١٤١/١١).

(٥) أي: ويكون في الثانية شبه من مجيء العام بعد الخاص؛ لأنَّ اليدين بعضٌ وإن كان حقيقة اليدين غير مُراد، وإنَّما عبَّرَ باليدين؛ لأنَّ الأعمال غالباً تُزَاوِلُ بِهِمَا. انظر: المرجع السابق.

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾

أَهْلَكَهُ اللهُ، وَقَدْ هَلَكَ، وَلَمَّا خَوَّفَهُ النَّبِيُّ بِالْعَذَابِ فَقَالَ: إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ ابْنُ أَخِي حَقًّا فَإِنِّي أَفْتَدِي مِنْهُ بِمَالِي وَوَلَدِي، نَزَلَ:

﴿٢﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ أَي: وَكَسَبُهُ أَي: وَلَدُهُ، وَ﴿أَغْنَىٰ﴾ بِمَعْنَى: يُغْنِي.

﴿٣﴾ - ﴿٥﴾ ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أَي: تُلْهَبُ وَتُوقَدُ، فَهِيَ مَالٌ تَكْنِيَّتُهُ لِتُلْهَبِ

حاشية الصاوي

وَصَرَّحَ بِكُنْيَتِهِ؛ لِقَبْحِ اسْمِهِ؛ فَإِنَّ اسْمَهُ عَبْدُ الْعَزْزِيِّ، أَوْ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَادَ أَنْ يُحَقِّقَ نَسَبَهُ بِأَنْ يُدْخِلَهُ النَّارَ.

قوله: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ يصح أن تكون ﴿مَا﴾ نافيةً، أَوْ استفهاميةً، وَعَلَى الثَّانِي: فَهُوَ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ بِ﴿أَغْنَىٰ﴾، وَالتَّقْدِيرُ: أَيِّ شَيْءٍ أَغْنَى؟ قَدْ مَّ لَكُونِهِ لَهُ صَدْرُ الْكَلَامِ.

قوله: ﴿مَالُهُ﴾ أَي: الْمَمْلُوكُ مِنْ آبَائِهِ.

قوله: (وَكَسَبُهُ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (مَا) مُصَدَّرَةٌ، وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ اسْمَ مَوْصُولٍ بِمَعْنَى (الَّذِي)، وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ؛ أَي: وَالَّذِي كَسَبَهُ.

قوله: (أَي: وَلَدُهُ) وَهُوَ عُتْبِيَّةٌ؛ بِالتَّصْغِيرِ، وَأَمَّا عُتْبَةٌ وَمُعْتَبٌ.. فَقَدْ أَسْلَمَا، قَالَ بَعْضُهُمْ^(١):

[المتقارب]

كَرِهْتُ عُتْبِيَّةً إِذْ أَجْرَمَا وَأَخْبَبْتُ عُتْبَةً إِذْ أَسْلَمَا

كَذَا مُعْتَبٌ مُسْلِمٌ؛ فَاحْتَرَزُ وَخَفْتُ أَنْ تَسُبَّ فَتَى مُسْلِمًا

وَمَاتَ أَبُو لَهَبٍ بَدَاءً يُسَمَّى: الْعَدْسَةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرِ لِسَبْعِ لَيَالٍ، وَالْعَدْسَةُ: قَرْحَةٌ تَخْرُجُ بِالْبَدَنِ فَتَقْتُلُ صَاحِبَهَا، كَانَتِ الْعَرَبُ تَهْرَبُ مِنْهَا؛ لِزَعْمِهِمْ أَنَّهَا تُعْدِي.

قوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا﴾ أَي: يَحْتَرِقُ بِهَا.

قوله: (فَهِيَ مَالٌ تَكْنِيَّتُهُ) جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ: كَيْفَ ذَكَرَهُ بِكُنْيَتِهِ دُونَ اسْمِهِ وَهُوَ عَبْدُ الْعَزْزِيِّ مَعَ أَنَّ

ذَلِكَ إِكْرَامٌ وَاحْتِرَامٌ؟

(١) انظر حاشية الشهاب على البيضاوي، (٤٠٨/٨).

وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

وَجِهَهُ إِشْرَاقًا وَحُمْرَةً، ﴿وَأَمْرَاتُهُ﴾ - عَطَفَ عَلَى ضَمِيرٍ (يَصَلَّى) سَوَّغَهُ الْفَصْلُ بِالْمَفْعُولِ وَصِفَتِهِ - وَهِيَ أُمُّ جَمِيلٍ ﴿حَمَّالَةٌ﴾ - بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ - ﴿الْحَطَبِ﴾ : الشَّوْكُ وَالسَّعْدَانُ تُلْقِيهِ فِي طَرِيقِ النَّبِيِّ ﷺ، ﴿فِي جِيدِهَا﴾ : عُنُقُهَا ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾
حاشية الصاوي

وإيضاحه : أنه ذكره بكنيته؛ لموافقة حاله لها ؛ فإن مصيره إلى النار ذات اللهب، أو لأن ذكره باسمه خلاف الواقع حقيقة؛ لأنه عبد الله، لا عبد العزى .

قوله : (وهي أم جميل) أي : وهي أخت أبي سفيان بن حرب، وكانت عوراء، وماتت مخنوقةً بحبلها .
قوله : ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (إن قلت : إنها كانت من بيت العز والشرف ؛ فكيف يليق بها حمل الحطب؟

قلت : إنها لشدة عداوتها للنبي لا تستعين في ذلك بأحد، بل تفعله بنفسها .

قوله : (بالرفع) أي : على أنه نعت لـ (امراته)، وقرأ عاصمٌ : ﴿حَمَّالَةٌ﴾ بالنصب على الذم، أو الحال من (امراته)^(١)، والمعنى : أنها تَصْلَى النار حال كونها حَمَّالَةَ الحطب؛ لما ورد : «أنها تحمل يوم القيامة حزمةً من حطب النار؛ كما كانت تحمل الحطب في الدنيا»^(٢) .

قوله : (والسعدان) هو نبت له شوك يشبه به حَلَمَةُ الثدي، وهو بوزن : (سَرْحَان) .

قوله : (تلقية) أي : بالليل ؛ لقصد أذية النبي ﷺ .

قوله : ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (قيل : إنها في الدنيا كانت تحتطب في حبلٍ من ليف تجعله في عنقها، فينما هي ذات يوم حاملةً للحزمة فقعدت على حجرٍ لتستريح ؛ إذ أتاها ملكٌ، ف جذبها من خلفها فأهلكها خنقاً بحبلها)^(٣) .

وقيل : هذا في الآخرة، قال ابن عباس : (هو سلسلة من حديد، ذرْعها سبعون ذراعاً، تدخل من فيها وتخرج من دبرها، ويكون سائرُها في عنقها، فُتِلَتْ من حديد فتلاً محكماً). انتهى^(٤) .

(١) أي : إذا جعلناها مرفوعةً بالعطف على الضمير في (يصلّى) .

(٢) أورده العلامة الخطيب في «السراج المنير» (٦٠٨/٤) .

(٣) أورده البغوي في «تفسيره» (٣٢٨/٥) .

(٤) أورده الخازن في «تفسيره» (٤٩٥/٤) .

أي: لَيْفٍ - وهذه الجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ ﴿حَمَّالَةُ الْحَطَبِ﴾ الذي هو نَعَتٌ لـ (امْرَأَتِهِ)، أو خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مُقَدَّرٌ ..

حاشية الصاوي

ويكون المرادُ بـ (المسَد): الحديد؛ فإنه يُطْلَقُ عليه أيضاً؛ كما يُؤْخَذُ من «القاموس»^(١)، ولا مانع من الجمع.

قوله: (أي: لَيْفٍ) قيل: هو لَيْفُ الْمُقْلِ، وهو شجر الدَّوْمِ، أبيضٌ مشهورٌ، وقيل: مُطْلَقُ اللِّيفِ.

قوله: (وهذه الجُمْلَةُ) أي: المَرْكَبَةُ من المبتدأ الذي هو ﴿حَبْلٌ﴾، ومن الخبر الذي هو ﴿فِي جِيدِهَا﴾.

قوله: (أو: خبر مبتدأ مقدر) أي: وتقديره: (المرأة المذكورة في جِيدِهَا حبل من مسَد).





مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ، أَرْبَعُ أَوْ خَمْسُ آيَاتٍ.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

مناسبتها لما قبلها: أَنَّهُ لَمَّا تَقَدَّمَ فِي الَّتِي قَبْلَهَا ذِكْرُ عَدَاوَةِ الْمُشْرِكِينَ لَهُ ﷺ، وَلَا سَيِّمًا أَقْرَبَ النَّاسَ إِلَيْهِ وَهُوَ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ. . . جَاءَتْ هَذِهِ السُّورَةُ مُصَرِّحَةً بِالتَّوْحِيدِ، رَادَّةً عَلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ؛ تَسْلِيَةً لَهُ ﷺ، وَإِشْعَارًا بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ بِاللَّهِ لَا يَكِلُهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا يَعْتَرِيهِ حُزْنٌ.

ولهذه السُّورَةُ أَسْمَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَزِيَادَةُ الْأَسْمَاءِ تَدُلُّ عَلَى شَرَفِ الْمَسْمُومِ، أَنْهَاهَا بَعْضُهُمْ إِلَى عَشْرِ أَسْمَاءٍ: أَوَّلُهَا: الْإِخْلَاصُ، ثَانِيهَا: التَّنْزِيلُ، ثَالِثُهَا: التَّجْرِيدُ؛ لِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ بِهَا تَجَرَّدَ عَنِ الْأَغْيَارِ، رَابِعُهَا: التَّوْحِيدُ؛ لِأَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَيْهِ، خَامِسُهَا: النَّجَاةُ؛ لِنَجَاةِ قَارِئِهَا مِنَ النَّارِ، سَادِسُهَا: الْوَلَايَةُ؛ لِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ بِهَا أَعْطَاهُ اللَّهُ الْوَلَايَةَ، سَابِعُهَا: النَّسَبَةُ؛ لِقَوْلِهِمْ فِي السُّؤَالِ: (انْسُبْ لَنَا رَبِّكَ)^(١)، ثَامِنُهَا: الْمَعْرِفَةُ؛ لِأَنَّ مَنْ فَهَمَهَا عَرَفَ اللَّهَ، تَاسِعُهَا: الْجَمَالُ؛ لِإِدْلَالِهَا عَلَى جَمَالِ اللَّهِ؛ أَيْ: اتِّصَافِهِ بِالْكَمَالَاتِ، وَتَنْزِيهِهِ عَنِ النَّقَائِصِ، عَاشِرُهَا: الْمُقَشَّقَشَةُ؛ أَيْ: الْمَبْرُوءَةُ مِنَ الشُّرْكِ وَالنِّفَاقِ.

الْحَادِي عَشَرَ: الْمَعْوِذَةُ؛ أَيْ: الْمُحَصِّنَةُ لِقَارِئِهَا مِنْ فِتْنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الثَّانِي عَشَرَ: الصَّمَدُ؛ لِذِكْرِهِ فِيهَا، الثَّلَاثَ عَشَرَ: الْأَسَاسُ؛ لِأَنَّهَا أَصْلُ الدِّينِ، وَلِحَدِيثِ: «أُسِّسَتْ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ عَلَى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»^(٢)، الرَّابِعَ عَشَرَ: الْمَانِعَةُ؛ لِأَنَّهَا تَمْنَعُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ، الْخَامِسَ عَشَرَ: سُورَةُ الْمُحْتَضَرِّ؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَحْضُرُ لاسْتِمَاعِهَا إِذَا قُرِئَتْ، السَّادِسَ عَشَرَ: الْمُنْفَرَةُ؛ لِأَنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْفَرُ عِنْدَ قِرَاءَتِهَا، السَّابِعَ عَشَرَ: سُورَةُ الْبِرَاءَةِ؛ لِأَنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشُّرْكِ، الثَّامِنَ عَشَرَ: الْمَذْكُورَةُ؛ لِأَنَّهَا تَذَكُّرُ الْعَبْدِ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، التَّاسِعَ عَشَرَ: النُّورُ؛ لِأَنَّهَا تَنْوِّرُ الْقَلْبَ، الْعَشْرُونَ: سُورَةُ الْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّهُ لَا غَنَى لَهُ عَنْهَا.

(١) كَمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ (٣٣٦٤) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: انْسُبْ لَنَا رَبِّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ.

(٢) رَوَاهُ الدِّينَوْرِيُّ فِي «الْمَجَالِسَةِ وَجَوَاهِرِ الْعِلْمِ» (٣٤٥٨) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حاشية الصاوي

وقد وردَ في فضلِها أحاديثُ كثيرةٌ، منها: قوله ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنَامَ عَلَى فِرَاشِهِ، فَنَامَ عَلَى يَمِينِهِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ لَهُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: يَا عَبْدِي؛ ادْخُلْ بِيَمِينِكَ الْجَنَّةَ»^(١).

ومنها: قوله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ خَمْسِينَ مَرَّةً.. غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُ خَمْسِينَ سَنَةً»^(٢).

ومنها: قوله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عَشْرَ مَرَّاتٍ.. بُنِيَ لَهُ قَصْرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَرَأَهَا عَشْرِينَ مَرَّةً.. بُنِيَ لَهُ قَصْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلَاثِينَ مَرَّةً.. بُنِيَ لَهُ ثَلَاثُ قُصُورٍ فِي الْجَنَّةِ»، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِذْنُ تَكْثُرُ قُصُورُنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ»^(٣).

ومنها: قوله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي مَرَضِهِ الَّذِي يَمُوتُ فِيهِ.. لَمْ يُقْتَنَ فِي قَبْرِهِ، وَأَمِنَ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ، وَحَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَكْفُفِهَا حَتَّى تُجِيزَهُ مِنَ الصِّرَاطِ إِلَى الْجَنَّةِ»^(٤).

ومنها: قوله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حِينَ يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ.. نَفَتْ الْفَقْرَ عَنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ وَعَنِ الْجِيرَانِ»^(٥).

ومنها: قوله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مَرَّةً.. بُورِكَ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا مَرَّتَيْنِ.. بُورِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.. بُورِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ جِيرَانِهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثِنْتِي عَشْرَةَ مَرَّةً.. بَنَى اللَّهُ لَهُ اثْنِي عَشَرَ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ، فَإِنْ قَرَأَهَا مِئَةَ مَرَّةً.. كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ ذُنُوبَ خَمْسِينَ سَنَةً مَا خَلَا الدَّمَاءَ وَالْأَمْوَالَ، فَإِنْ قَرَأَهَا مِئَتِي مَرَّةً.. كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ ذُنُوبَ مِئَةِ سَنَةٍ، فَإِنْ قَرَأَهَا أَلْفَ مَرَّةً.. لَمْ يَمِتْ حَتَّى يَرَى مَكَانَهُ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ يُرَى لَهُ»^(٦).

(١) رواه الترمذي (٢٨٩٨) عن سيدنا أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه الدارمي في «مُسْنَدِهِ» (٣٤٨١) عن سيدنا أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه الدارمي في «مُسْنَدِهِ» (٣٤٧٢) عن سعيد بن المسيب مرسلاً.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٧/٦)، وأبو نعيم في «حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٣/٢١٣) عن سيدنا عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤١٩) عن سيدنا جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٠/٣٣٠) عن سيدنا أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) سئل النبي ﷺ عن ربه فنزل:

حاشية الصاوي

ومنها: أنه شكا رجل إلى رسول الله ﷺ الفقر وضيق المعيشة، فقال له رسول الله ﷺ: «إذا دخلت البيت.. فسلم إن كان فيه أحد، فإن لم يكن فيه أحد.. فسلم علي، واقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرة واحدة»، ففعل الرجل ذلك، فأدرك الله عليه الرزق حتى أفاض على جيرانه^(١).

ومنها: أن من قرأها مئة ألف مرة.. فقد اشترى نفسه من الله، ونادى مناد من قبل الله تعالى في سماواته وفي أرضه: «ألا إن فلاناً عتيق الله، فمن كان له قبلة بضاعة.. فليأخذها من الله عز وجل»^(٢).
فهي عتاقة من النار، لكن بشرط ألا يكون عليه حقوق للعباد أصلاً، أو عليه وهو عاجز عن أدائها، أمّا من قدر عليها.. فهو كالمستهزئ بربه؛ لما ورد في الحديث: «يا داود؛ قل للظلمة: لا يذكروني؛ فإنهم إن ذكروني.. ذكرتهم، وذكرهم لهم أن العنهم»^(٣).

قوله: (سئل ﷺ) أي: والسائل له قريش، أو أحبار اليهود أو النصارى؛ حيث قالوا: (إن آلهت ثلاث مئة وستون ولم تُفَضَّ حوائجنا؛ فكيف بواحد؟!)، أو صورة السؤال: وما صفة ربك؛ هل هو من نحاس أو من ذهب أو زبرجد، أو كيف هو؟ قولان في كيفية السؤال.

وورد: أن ابن سلام لما سمع بمخرج النبي ﷺ بمكة.. ذهب إليه، فقال له النبي ﷺ: «أنت ابن سلام عالم يشرب؟» قال: نعم، قال: «أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى؛ أتجدني في التوراة؟» قال: انسب ربك، فأرتج حينئذ النبي ﷺ، فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ...﴾ إلى آخرها، فقرأها، فقال ابن سلام: أشهد أنك رسول الله، وأن الله يُظهرُك ويُظهر دينك على الأديان، وإنني لأجد صفتك في كتاب الله التوراة: (يا أيها النبي؛ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، أنت عبيد ورسولي، سميتك المتوكل، لست بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا تُجَازِي بالسيئة مثلاًها، ولكن تعفو وتصفح، ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة المعوجة، حتى يقولوا: لا إله إلا الله، يفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً)^(٤).

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» (٢٥٠/٢٠) عن سيدنا سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦٧٦/٨) لابن النجار عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٧٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨٧/٣)، وقوله: (ولا سخاب) بسين مهملة، وخاء مُعْجَمَةٌ ثَقِيلَةٌ: لغة أثبتها =

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ - ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ خبر ﴿هُوَ﴾،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ خبر ﴿هُوَ﴾... إلخ) هذا مبني على أنَّ ضمير ﴿هُوَ﴾ عائد على المسؤول عنه في كلام الكفار، وقيل: إنه ضمير الشأن يُفسره الجملة بعده؛ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: مبتدأ، و﴿أَحَدٌ﴾: خبره، والجملة خبر ﴿هُوَ﴾.

وهمزة (أحد) بدل من واو؛ لأنه من الوحدة، أو ليست مُبدلة من شيء، قولان.

وإثبات لفظ ﴿قُلْ﴾ مع تنوين ﴿أَحَدٌ﴾ هو قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بحذف (قل)، وقرئ أيضاً: (قل هو الله الواحد)، وقرئ أيضاً بحذف التنوين؛ لالتقاء الساكنين^(١).

واعلم: أنَّ هذه الآية يؤخذ منها عقائد التوحيد؛ وذلك لأنَّ (الله) علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، ومن كان وجوده واجباً.. لزم اتصافه بسائر الكمالات؛ كالقدرة والإرادة والعلم والحياة.

وقوله: ﴿أَحَدٌ﴾ يدل على الصفات السلبية، وهي: القدم، والبقاء، والغنى المطلق، والتنزه عن الشبيه والنظير والمثيل؛ في الذات والصفات والأفعال، وبذلك انتفت الكُمو الخمسة، وهي الكم المتصل والمنفصل في الذات والصفات، والمنفصل في الأفعال؛ فالمتصل في الذات والصفات هو التركيب، والمنفصل فيهما هو الشبيه والنظير، والمنفصل في الأفعال هو الشبيه فيها، وكلُّ هذه منفية ومستحيلة عليه تعالى، وأمَّا المتصل في الأفعال.. فهو ثابت؛ لأنَّ أفعال الله متعددة لا نهاية لها^(٢).

بقي شيء آخر، وهو أنَّ (أحد) يستعمل في المنفي، وأمَّا (واحد).. فيستعمل في الإثبات^(٣)؛ فلم ذكره في الإثبات؟

= الفراء، وغيره بالصاد، أشهر من السين، بل ضعّفها الخليل؛ أي: لا يرفع صوته على الناس لسوء خُلُقِه، ولا يكثر الضياع عليهم في الأسواق، بل يُلين جانبَه ويرفق بهم.

(١) قرأ عبد الله وأبي: (الله أحد) دون (قُلْ)، وقرأ الأعمش: (قل هو الله الواحد)، وقرأ زيد بن علي وأبان بن عثمان وابن أبي إسحاق والحسن وأبو السمال وأبو عمرو في رواية في عدد كثير بحذف التنوين. انظر «الدر المصون» (١١/١٥٠).

(٢) انظر «شرح المصنف للجوهرة» (ص ١٥٧).

(٣) أي: فيقال: في الدار واحد، وما في الدار أحد، ومن ذلك: ﴿وَلَا تَكْفُرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾.

اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾

﴿أَحَدٌ﴾ بَدَلٌ مِنْهُ أَوْ خَبَرٌ ثَانٍ - ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ - مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ - أي: الْمَقْصُودُ فِي الْحَوَائِجِ عَلَى الدَّوَامِ.

(٣ - ٤) ﴿لَمْ يَكِدْ﴾ لِانْتِفَاءِ مُجَانَسَتِهِ ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾

حاشية الصاوي

أجيب: بَأَنَّ ذَلِكَ أَغْلِبِي، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ كُلُّ فِي كُلٍّ، وَالْقُرْآنُ وَارِدٌ بِذَلِكَ فِي غَيْرِ آيَةٍ^(١)، وَآثَرُ (الْأَحَدِ) عَلَى (الْوَاحِدِ)؛ لِمُرَاعَاةِ الْفَوَاصِلِ.

قوله: (و﴿أَحَدٌ﴾ بَدَلٌ) أي: بَدَلُ نَكْرَةٍ مِنْ مَعْرِفَةٍ، وَهُوَ جَائِزٌ.

قوله: (﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾) نَتِيجَةُ مَا قَبْلَهُ؛ وَلِذَا تَرَكَ الْعَاطِفَ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ حَيْثُ ثَبِتَ أَنَّهُ مَتَّصِفٌ بِالْكَمَالَاتِ، مُنَزَّةٌ عَنِ النَّقَائِصِ.. فَلَا يُقْصَدُ غَيْرُهُ، وَلَا يَعُولُ إِلَّا عَلَيْهِ.

قوله: (أي: الْمَقْصُودُ فِي الْحَوَائِجِ) هَذَا أَحَدُ أَقْوَالٍ فِي مَعْنَى (الصَّمَدِ) وَهُوَ الْمَشْهُورُ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ^(٢)، وَقِيلَ: هُوَ الدَّائِمُ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ خَلْقِهِ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ أَحَدٌ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا عَرَّفَ (الصَّمَدِ)؛ لِعِلْمِهِمْ بِهِ، وَمَعْرِفَتِهِمْ إِيَّاهُ، بِخِلَافِ أَحَدِيَّتِهِ، وَكَرَّرَ لَفْظَ (اللَّهُ)؛ إِشْعَارًا بِأَنَّ مَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهِ.. لَا يَسْتَحِقُّ الْأُلُوهِيَّةَ.

قوله: (﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾) رَدٌّ عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ الْقَائِلِينَ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، وَالْيَهُودُ الْقَائِلِينَ: عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ، وَالنَّصَارَى الْقَائِلِينَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ نَتِيجَةُ مَا قَبْلَهَا؛ لِأَنَّهُ حَيْثُ ثَبِتَ أَنَّهُ مَتَّصِفٌ بِالْكَمَالَاتِ، مُنَزَّةٌ عَنِ النَّقَائِصِ، مَقْصُودٌ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ.. فَلَمْ يَكُنْ عِلَّةً فِي غَيْرِهِ، وَلَا غَيْرُهُ عِلَّةً فِيهِ.

وَأَتَى بِالْعَاطِفِ فِي الْجُمْلَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ دُونَ مَا عَدَاهُمَا؛ لِأَنَّهُمَا سَبَقَتَا لِمَعْنَى، وَهُوَ نَفْيُ الْمِمَّاثَلَةِ عَنْهُ تَعَالَى بِوُجُوهِهَا؛ لِأَنَّ الْمِمَّاثَلَةَ إِمَّا وَلَدٌ أَوْ وَالِدٌ أَوْ نَظِيرٌ، فَلِتَغَايِرِ الْأَقْسَامِ أَتَى بِالْعَاطِفِ؛ لِأَنَّهُ يَقْتَضِي الْمَغَايِرَةَ، وَتَرَكَ الْعَاطِفَ فِي ﴿لَمْ يَكِدْ﴾؛ لِأَنَّهُ مُؤَكَّدٌ لِلصَّمَدِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْغَنِيَّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، الْمَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَا سِوَاهُ.. لَا يَكُونُ وَالِدًا وَلَا مَوْلُودًا، فَهَذِهِ الْجُمْلَةُ الثَّلَاثُ فِي مَعْنَى جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

قوله: (لِانْتِفَاءِ مُجَانَسَتِهِ) أي: لِغَيْرِهِ؛ لِأَنَّ الْوَلَدَ مِنْ جِنْسِ أَبِيهِ، وَاللَّهُ لَا يَجَانِسُهُ أَحَدٌ؛

(١) وَمِنْهُ فِي الْإِثْبَاتِ: ﴿فَتَابَعْتُمْ أَهْلَكُمْ بِوَرَفِكُمْ﴾.

(٢) وَهُوَ مَنْقُولٌ عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، وَمِنْهُ فِي اللَّغَةِ: قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

لانتفاء الحدوث عنه، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي: مكافئاً ومماثلاً - فـ ﴿لَهُ﴾ متعلق بـ ﴿كُفُوًا﴾، وقُدِّمَ عليه لِأَنَّهُ مَحْطُ الْقَصْدِ بِالنَّفْيِ، وأُخِّرَ ﴿أَحَدٌ﴾ وهو اسم ﴿يَكُنْ﴾ عن خبرها رِعايةً لِلْفَاصِلَةِ ..

حاشية الصاوي

لأنه واجب، وغيره ممكن، ولأن الولد يُطْلَبُ؛ إمّا لإعانة والده، أو لتخلّفه بعده، والله تعالى غني عن كل شيء، ولا يفنى.

قوله: (لانتفاء الحدوث عنه) أي: لأن كل مولودٍ جسمٌ ومحدَثٌ، والله تعالى ليس كذلك.

قوله: (ومماثلاً) عطف تفسير.

واعلم: أن الكُفْءَ يُعْمُ الشَّيْبَةُ، والنَّظِيرُ، والمِثْلُ؛ فالمِثْلُ هو: المِشَارِكُ لك في جميع صفاتك، والشَّيْبَةُ هو: المِشَارِكُ في غالبها، والنَّظِيرُ هو: المِشَارِكُ في نادرها، والله مُنَزَّهٌ عن ذلك كله.

قوله: (وقدّم عليه) أي: وكان الأصل أن يُؤَخَّرَ الظرف، لكن قُدِّمَ لأهميته؛ اعتناءً بنفي المكافأة عنه تعالى؛ لأنه المقصود.

قوله: (لأنه مَحْطُ الْقَصْدِ بِالنَّفْيِ) أي: فالقصدُ نفي المكافأة عن ذات الله، فكان تقديمه أولى.

وهذه السورة الشريفة نفّت أصول الكفر الثمانية: التركيب، والعدد، والنقص بمعنى: الاحتياج، والقلّة بمعنى: البساطة، والعلة، والمعلول، والشَّيْبَةُ، والنظير، أمّا الكثرة والعدد.. فانتفاؤهما بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، والنقص والقلّة بقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، والعلة والمعلول بقوله: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، والشَّيْبَةُ والنظير بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.





مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ، خَمْسُ آيَاتٍ

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْفَلَقِ

مُنَاسِبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا: أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَّ أَمْرَ الْأُلُوْهِيَّةِ فِي السُّورَةِ قَبْلَهَا . . بَيَّنَّ هُنَا مَا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ بِاللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مَلْجَأَ سِوَاهُ.

قَوْلُهُ: (مَكِّيَّةٌ) أَي: فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَعِطَاءٍ وَعِكْرَمَةٍ، وَقَوْلُهُ: (أَوْ مَدَنِيَّةٌ) أَي: فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقِتَادَةَ وَجَمَاعَةٍ، وَهُوَ الصَّحِيحُ، وَيُؤَيِّدُهُ سَبَبُ النُّزُولِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ بِالْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَظْهَرْ لِلْقَوْلِ بِأَنَّهَا مَكِّيَّةٌ وَجْهٌ.

وَوُرِدَ فِي فَضْلِ هَذِهِ السُّورَةِ وَالَّتِي بَعْدَهَا أَحَادِيثٌ؛ مِنْهَا: قَوْلُهُ ﷺ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَتَانِ مَا أُنْزِلَ مِثْلُهُمَا، وَإِنَّهُ لَنْ يَقْرَأَ أَحَدُ سُورَتَيْنِ أَحَبَّ وَلَا أَرْضَى عِنْدَ اللَّهِ مِنْهُمَا»^(١) يَعْنِي: الْمَعْوِذَتَيْنِ، وَقَوْلُهُ: (مَا أُنْزِلَ مِثْلُهُمَا) أَي: فِي التَّحْصِنِ وَالتَّعَوُّذِ.

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ ﷺ: «يَا ابْنَ عَامِرٍ؛ أَلَا أَخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مِمَّا تَعَوَّذُ بِهِ الْمَتَعَوَّذُونَ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»^(٢).

وَمِنْهَا: «أَنَّهُ كَانَ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِّ، وَمِنْ عَيْنِ الْإِنْسِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ سُورَتَا (الْمَعْوِذَتَيْنِ) . . أَخَذَ بِهِمَا، وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا»^(٣).

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ ﷺ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: «اقْرَأْ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ(الْمَعْوِذَتَيْنِ) ثَلَاثًا . . يَكْفِيكَ

(١) قَالَ الزَّيْلَعِيُّ فِي «تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْكَشَافِ»: (غَرِيبٌ بِهَذَا اللَّفْظُ، وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٨١٤) مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أُنْزِلَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾».

(٢) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «السَّنَنِ الْكُبْرَى» (٧٧٩٨) عَنْ سَيِّدِنَا عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٠٥٨)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «السَّنَنِ الْكُبْرَى» (٧٨٠٤) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ وَالَّتِي بَعْدَهَا لَمَّا سَحَرَ لَبِيدُ الْيَهُودِيِّ النَّبِيِّ ﷺ
حاشية الصاوي

من كل شيء»^(١)، وفي رواية: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (المعوذتين) ثلاث مرات إذا أخذ مضجعه؛ فإذا قُبِضَ.. قُبِضَ شهيداً، وإن عاش.. عاش مغفوراً له»^(٢).

قوله: (نزلت هذه والتي بعدها... إلخ) أي: بإجماع الصحابة.

قوله: (لما سَحَرَ لبيد) أي: ابن الأعصم، وحاصله: أنه لما رجع رسول الله ﷺ من الحُدَيْبِيَّةِ في ذي الحجة، ودخل المحرم سنة سبع، وفرغ من وقعة خيبر.. جاءت رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم، وكان حليفاً في بني زريق، وكان ساحراً، فقالوا: أنت أسحرنا - أي: أعلمنا بالسحر - وقد سحرنا محمداً، فلم يؤثر فيه سحرنا شيئاً، ونحن نجعل لك جُعلاً على أن تسحره لنا سحراً يؤثر فيه، فجعلوا له ثلاثة دنائير، فأتى غلاماً يهودياً كان يخدم النبي ﷺ، فلم يزل به حتى أخذ مُشَاطَةَ رأس النبي ﷺ، وعِدَّةَ أسنان من مشطه، وأعطاهها له، فسحره بها، وكان من جملة السحر صورة من شمع على صورة رسول الله ﷺ، وقد جعلوا في تلك الصورة إبراً مغروزة إحدى عشرة، وتوثر فيه إحدى عشرة عقدة، وكان النبي ﷺ كلما قرأ آية.. انحلت عقدة، وكلما نزع إبرة.. وجد لها ألماً في بدنه، ثم يجد بعدها راحة^(٣).

وكانت مُدَّةُ سحره ﷺ أربعين يوماً، وقيل: ستة أشهر، وقيل: عاماً. قال ابن حجر: (وهو المعتمد)^(٤).

إن قلت: كيف يؤثر السحر فيه ﷺ مع أنه معصوم بنص: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]؟
أجيب: بأن المعصوم منه ما أدى لخبل في عقله، أو لضياع شرعه، أو لموته، وأما ما عدا ذلك.. فهو من الأعراض البشرية الجائزة في حقه؛ كما أن جرحه وكسر رباعيته لا يقدح في عصمته.

(١) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٥٧٢) عن سيدنا عبد الله بن خبيب رضي الله عنه، وفي (ط٢): (يكفك) بدل (يكفيك).

(٢) لم أهتم لهذه الرواية فيما بين يدي من المصادر.

(٣) انظر خبر سحره ﷺ في «سبل الهدى والرشاد» (٤١١/٣)، وأصل الخبر في «صحيح البخاري» (٥٧٦٣)، و«صحيح مسلم» (٢١٨٩) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

(٤) «فتح الباري» (٢٢٦/١٠) وفيه: أن الصحيح الموصول من رواية معمر عن الزهري: أنه لبث ستة أشهر، وهو المعتمد.

في وتر به إحدى عشرة عُقْدَةً، فأَعْلَمَهُ اللهُ بِذلك وبِمَحَلِّهِ، فأَحْضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ، وأَمَرَ حاشية الصاوي

وأنكر بعض المبتدعة حديث السحر، زاعمين أنه يحطّ مَنْصب النبوة، ويُشكك فيها، وما أدى لذلك.. فهو باطل، وزعموا أيضاً: أن تجويز السحر على الأنبياء يؤدي لعدم الثقة بما أتوا به من الشرائع؛ إذ يحتمل أن يُخَيَّلَ إليه أن يرى جبريل يكلمه وليس هو ثم، وهذا كله مردود؛ لقيام الدليل على ثبوت السحر بإجماع الصحابة، وعصمته ﷺ وجميع الأنبياء وصدقهم فيما يُنْكَرُونَهُ عن الله، وأما ما كان متعلقاً بأمور الدنيا.. فهم كسائر البشر، تعتر بهم الأعراض؛ كالصحة والسقم، والنوم واليقظة، والتألم بالسحر ونحو ذلك.

وأما ما ورد في قصّة السحر من أنه كان يُخَيَّلُ إليه أنه يأتي أهله ولم يأت.. فمعناه: أنه يظهر له من نشاطه وسابق عادته الاقتدار على الوطء، فإذا دنا من المرأة.. فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود، وتسميه العامة: المربوط؛ لما ورد: «أنه حُسِّنَ عن عائشة سنة»^(١)، وعن ابن عباس: (أنه) مرض وحُجِسَ عن النساء والطعام والشراب^(٢)؛ ففي ذلك دليل على أن السحر إنما تسلط على ظاهر جسده، لا على عقله.

ثم اعلم: أن مذهب أهل السنة: أن السحر حق، وله حقيقة، ويكون بالقول والفعل، ومن جملة أنواعه: السِّمِيَاء، وهي حيلٌ صناعيةٌ يتوصل إليها بالاكْتِسَاب، غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس، ومادته: الوقوف على خواص الأشياء، والعلم بوجوه تركيبها وأوقاتها، وأكثرها تخيلات، فيعظم عند من لا يعرف ذلك، والحق: أنه من الأسباب العادية التي توجد الأشياء عندها لا بها، فيؤثر في القلوب كالحب والبغض، وإلقاء الخير والشر، وفي الأبدان بالألم والسقم، وأما قلب الجماد حيواناً، وعكسه.. فباطل لا يتصور؛ إذ لو قدر الساحر على هذا.. لقد أن يرد نفسه إلى الشباب بعد الهرم، وأن يمنع نفسه من الموت، وهو حرام إن لم يكن بما يُعْظَمُ به غير الله، أو يعتقد تأثيره بنفسه، وإلا.. فهو كفر.

قوله: (في وتر) بفتحين؛ أي: وتر القوس.

قوله: (فأحضر بين يديه) روي: أنه ﷺ كان نائماً ذات يوم؛ إذ أتاه ملكان، فقعد أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجله، فقال الذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ فقال الذي عند رجله: طَبَّ -

(١) رواه معمر بن راشد في «جامعه» (١٤/١١)، ولعل هذا مُسْتَنْدٌ من حَدِّدْ مُدَّةَ السحر بِعام.

(٢) عزاه القاضي عياض في «الشفاء» (٤١٥/٢) لابن سعد.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾

بِالتَّعَوُّذِ بِالسُّورَتَيْنِ؛ فَكَانَ كُلُّمَا قُرِئَ آيَةٌ مِنْهُمَا انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ وَوَجَدَ خِفَّةً، حَتَّى انْحَلَّتِ الْعُقْدُ كُلُّهَا وَقَامَ كَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾: الصُّبْحِ، ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ مِنْ حَيَوَانَ مُكَلَّفٍ وَغَيْرِ مُكَلَّفٍ، وَجَمَادٍ كَالسَّمِّ

حاشية الصاوي

أي: سُحِرَ - قال: وَمَنْ سَحَرَهُ؟ قال: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِي، قال: وَبِمَ طَبَّه؟ قال: بِمَشِيطٍ وَمُشَاطَةٍ، قال: وَأَيْنَ هُوَ؟ قال: فِي جُفِّ طَلْعَةٍ تَحْتَ رَاعُوفَةٍ فِي بَثْرِ ذِرْوَانٍ، فَانْتَبَهَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ أَمَرَ عَلِيًّا وَالزَّبِيرَ وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، فَنَزَحُوا مَاءَ تِلْكَ الْبَثْرِ، كَأَنَّهُ نُقَاعَةُ الْحَنَاءِ، ثُمَّ رَفَعُوا الصَّخْرَةَ، وَأَخْرَجُوا الْجَفَّ؛ فَإِذَا فِيهِ مُشَاطَةٌ رَأْسَهُ، وَأَسْنَانُ مَشْطِهِ، وَإِذَا وَتَرٌ مَعْقُودٌ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، وَإِذَا تَمَثَّلَ مِنْ شَمْعٍ عَلَى صُورَتِهِ ﷺ، مَغْرُوزٌ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ إِبْرَةً. وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتُ كُلُّهَا مَوْضُوعَةً فِي الْجَفِّ، وَهُوَ بَضْمُ الْجِيمِ، وَتَشْدِيدُ الْفَاءِ: وَعَاءٌ طَلَعَ النَّخْلُ، وَالرَّاعُوفَةُ: حَجَرٌ أَسْفَلَ الْبَثْرِ، يَقُومُ عَلَيْهِ السَّابِحُ.

قوله: (كَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ) أي: كَأَنَّمَا حُلَّ وَأُطْلِقَ مِنْهُ.

قوله: (الصُّبْحِ) هذا أحد أقوال في معنى (الفلق)، وآثره إشارة إلى التفاؤل الحسن؛ فَإِنَّ مَقْصُودَ الْعَائِذِ مِنَ الْإِسْتِعَاذَةِ أَنْ يَتَغَيَّرَ حَالُهُ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْخَوْفِ إِلَى الْأَمْنِ، وَمِنْ الْوَحْشَةِ إِلَى السَّرُورِ، وَالصُّبْحُ أَدْلُ عَلَى هَذَا؛ لِمَا فِيهِ مِنْ زَوَالِ الظُّلْمَةِ بِإِشْرَاقِ أَنْوَارِهِ، وَتَغْيِيرِ وَحْشَةِ اللَّيْلِ وَثِقَلِهِ بِسُرُورِ الصُّبْحِ وَخِفَّتِهِ.

وقيل: الْفَلَقُ: سَجْنٌ فِي جَهَنَّمَ، وَقِيلَ: بَيْتٌ فِي جَهَنَّمَ؛ إِذَا فُتِحَ. . . صَاحَ أَهْلُ جَهَنَّمَ مِنْ حَرِّهِ، وَقِيلَ: هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ، وَقِيلَ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، وَقِيلَ: شَجَرَةٌ فِي النَّارِ، وَقِيلَ: الرَّحْمُ؛ لِانْفِلَاقِهِ عَنِ الْوَلَدِ، وَقِيلَ: كُلُّ مَا انْفَلَقَ عَنْ جَمِيعِ مَا خُلِقَ؛ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْحَبِّ وَالنَّوَى وَكُلِّ نَبَاتٍ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.

قوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ هذا عامٌّ، وَمَا بَعْدَهُ خَاصٌّ، وَالْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿أَعُوذُ﴾، وَ﴿مَا﴾: مَوْصُولَةٌ، أَوْ مُصَدَّرِيَّةٌ.

وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾

وغير ذلك، ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: الليل إذا أظلم أو القمر إذا غاب.
 (٤ - ٥) ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾: السَّوَاحِر تَنْفُثُ ﴿فِي الْعُقَدِ﴾ التي تعقدها
 في الحَيْط، تَنْفُخُ فِيهَا بِشَيْءٍ تَقُولُهُ مِنْ غَيْرِ رِيْق،
 حاشية الصاوي

قوله: (وغير ذلك) أي: كالإحراق بالنَّار، والإغراق في البحار.
 قوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ﴾ نَكَّرَ ﴿غَاسِقٍ﴾ و﴿حَاسِدٍ﴾؛ لإفادة التَّبْعِيض؛ لأنَّ الضَّرر قد يتخلف
 فيهما، وعَرَّفَ ﴿النَّفَّاثَاتِ﴾؛ لَأَنَّهُنَّ معهوداتٌ؛ فقليل: بنات ليبد، وقيل: أخواته.
 قوله: (أي: الليل إذا أظلم) سَمِّيَ الليل غَاسِقًا؛ لانصباب ظلامه، واستُعِيدَ من الليل؛ لِشِدَّةِ
 الآفات فيه. و(إذا): منصوبة بـ(شر) أي: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّرِّ فِي وَقْتِ كَذَا.
 قوله: (أو القمر) سَمِّيَ غَاسِقًا؛ لِذَهَابِ ضَوْئِهِ بالكسوف، أو المُحَاق فِي آخِرِ الشَّهْرِ واسوداده،
 وقوله: (إذا غاب) أي: استتر بالكسوف، أو أَخَذَ فِي المَحَاقِ أَوِ النِّقْصِ، وذلك آخِرُ الشَّهْرِ، وفيه
 تتوفَّر أسبابُ السَّحَرِ المَصْحُوحَةِ لَهُ، وَيُسَمَّى المُنْجَمُونَ إِذَا ذَاكَ نَحْسًا، وهو أَنَسَبُ بِسَبَبِ النِّزُولِ،
 وهذان قولان من جملة أقوال كثيرة، وقيل: الثريا؛ وذلك لِأَنَّهَا إِذَا سَقَطَتْ.. كَثُرَتِ الْأَسْقَامُ
 والطواعين، وَإِذَا طَلَعَتْ.. ارتفع ذلك، وقيل: هو الشمس إذا غَرَبَتْ، وقيل: هو الحَيَّةُ إِذَا لَدَغَتْ،
 وقيل: كُلُّ هَاجِمٍ يَضُرُّ كَائِنًا مَا كَانَ.
 قوله: (السَّوَاحِر) صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ؛ أي: النِّسَاءُ السَّوَاحِرُ، وَخَصَّ النِّسَاءَ بِالذِّكْرِ.
 لِأَنَّ سَحَرَهُنَّ أَشَدُّ مِنْ سِحْرِ الرِّجَالِ؛ لَمَّا وَرَدَ: أَنَّهُ بَعْدَ إِغْرَاقِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَتَوَجُّهِ مُوسَى وَقَوْمِهِ
 لِقِتَالِ الْجَبَّارِينَ.. مَلَكَ نِسَاءُ الْقِبْطِ مِصْرَ، وَأَقَمْنَ فِيهَا سِتًّا مِائَةَ سَنَةً، كُلَّمَا قَصَدَهُنَّ عَسَكْرٌ.. صَوَّرْنَ
 صُورَتَهُ، وَقَلَعْنَ بِالصُّورَةِ مَا شِئْنَ مِنْ قَلْعِ الْأَعْيُنِ، وَقَطَعَ الْأَعْضَاءَ، فَيَتَّفِقُ نَظِيرُهُ لِلْعَسْكَرِ الْقَاصِدِ لَهُنَّ،
 فَتَخَافُهُنَّ الْعَسْكَرُ.

قوله: (بشيء) أي: مع شيء؛ أي: قولٍ يَقُولُهُ، وقوله: (من غير ريق) متعلق بـ(تنفخ).

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

وقال الزمخشري: معه، كبنات لبيد المذكور، ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾:

حاشية الصاوي

واختلف في النَّفْث عند الرقية، والمسح باليد؛ فمنعه قوم؛ لما فيه من التشبه بالسحر، وأجازه آخرون، وهو الصحيح؛ لما ورد عن عائشة: (كان ﷺ ينفث في الرقية)^(١)، وورد عنها أيضاً: أنها رَفَثَتْ وَنَفَثَتْ^(٢).

وقال علي كرم الله وجهه: اشتكيت، فدخل علي النبي ﷺ وأنا أقول: اللهم؛ إن كان أجلي قد حضر.. فأرحني، وإن كان متأخراً.. فاشفني وعافني، وإن كان بلاء.. فصبرني، فقال ﷺ: «كيف قلت؟» فقلت له، فمسحني بيده ثم قال: «اللهم اشفه!»، فما عاد ذلك الوجع بعد). انتهى^(٣).

قوله: (وقال الزمخشري: «معه») أي: الرقيق؛ ففي النَّفْث قولان.

قوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الحسد: تمنّي زوال نعمة المحسود عنه وإن لم يصير للحاسد مثلها، والغبطة: تمنّي مثلها، فالحسد مذموم، دُون الغبطة، وعليها حمل حديث: «لا حسد إلا في اثنتين»^(٤)، والحسد أول ذنب عصي الله به في السماء، وأول ذنب عصي به في الأرض؛ فحسد إبليس آدم، وقايل هابيل، والحاسد ممقوت مبغوض، ومطروذ وملعون.

قال بعض الحكماء: (بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه: أولها: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره)^(٥)، ثانيها: أنه ساخط لقسمة ربه، كأنه يقول: لم قسمت لي هذه القسمة؟ ثالثها: أنه يُعانِد فعل الله تعالى، رابعها: أنه يُريد خذلان أولياء الله، خامسها: أنه أعان عدو الله إبليس).

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٧٥٠٦)، وابن ماجه (٣٥٢٨).

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» (٢٥٨/٢٠) وعبارته: (قال محمد بن الأشعث: ذهب بي إلى عائشة رضي الله عنها وفي عيني سوء، فرقتني ونفثت).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣١٥/٢)، وبنحوه عند النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٣٠)، وفيه: (فصبرني برجله).

(٤) رواه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وتامه: «رجل أتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها».

(٥) قوله: (بغض) كذا في الأصول، وهي لغة أثبتها ثعلب؛ فإنه قال في قوله: ﴿إِنِّي لَمَعْلُومٌ مِنَ الْفَالِقِينَ﴾: الباغضين، فدل هذا على أن (بغض) عنده لغة، ولولا أنها لغة عنده.. لقال: من المبغضين. انظر «تاج العروس» (٢٤٧/١٨)، وفي (ص ٢): (أبغض) وهي ظاهرة.

أَظْهَرَ حَسَدَهُ وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهُ كَلْبِيدَ الْمَذْكُورِ مِنَ الْيَهُودِ الْحَاسِدِينَ لِلنَّبِيِّ ﷺ . وَذَكَرُ الثَّلَاثَةِ الشَّامِلِ لَهَا ﴿مَا خَلَقَ﴾ بَعْدَهُ لِشِدَّةِ شَرِّهَا .

حاشية الصاوي

وقال بعضهم: (الحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامةً، ولا ينال عند الملائكة إلا لعنةً وبُغضاً، ولا ينال في الخلوة إلا جزعاً وغماً، ولا ينال في الآخرة إلا حزناً واحترافاً، ولا ينال من الله إلا بعداً وبُغضاً)، وفي الحديث: «في الإنسان ثلاثة: الطيرة، والظن، والحسد، فيُخرجه من الطيرة ألا يرجع، ويخرجه من الظن ألا يُحقق، ويُخرجه من الحسد ألا يبغي»^(١).

قوله: (أظهر حسده) أي: حملة الحسد على إظهاره؛ لأنه إذا لم يُظهر الحسد.. لا يتأذى به إلا الحاسد وحده؛ لا غتمامه بنعمة غيره، وفي هذا المعنى قال بعضُ العارفين^(٢): [المقارب]

أَلَا قُلْ لِمَنْ بَاتَ لِي حَاسِداً: أَتَذَرِي عَلَيَّ مَنْ أَسَاءَتِ الْأَدَبُ؟
أَسَاءَتِ عَلَى اللَّهِ فِي فِعْلِهِ لِأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبَ
فَكَانَ جَزَاؤُكَ أَنْ خَصَّنِي وَسَدَّ عَلَيْكَ طَرِيقَ الطَّلَبِ

وقال بعضهم^(٣): [مجزوء الكامل]

اصْبِرْ عَلَى حَسَدِ الْحَسُوِّ د؛ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ
فَالنَّارُ تَأْكُلُ بَغْضَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

فائدة: كرر لفظ (شر) مع كل جملة؛ لئلا يتوهم أنه شر واحد مضاف للجميع.



(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١١٣٠) عن سيدنا أبي هريرة ؓ.

(٢) نسب الأبيات الأصفهاني في «محاضرات الأدباء» (٣١٣/١) لمنصور الفقيه.

(٣) انظر «العقد الفريد» لابن عبد ربه (١٧٤/٢).

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾



مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ، سِتُّ آيَاتٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾: خَالِقِهِمْ وَمَالِكِهِمْ، خُصُّوا بِالذِّكْرِ تَشْرِيفاً لَهُمْ

حاشية الصاوي

سُورَةُ النَّاسِ

(مَكِّيَّةٌ).

قوله: (أَوْ مَدَنِيَّةٌ) أَي: وَهُوَ الصَّحِيحُ؛ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ سَبَبَ النُّزُولِ وَاقِعَةُ السَّحَرِ، وَهِيَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةً سَبْعَ.

قوله: (سِتُّ آيَاتٍ) أَي: وَالسُّورَةُ الَّتِي قَبْلَهَا خَمْسٌ، فَتَكُونُ الْجُمْلَةُ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً، عِدَّةُ الْعُقَدِ وَالْإِبْرَ الْحَاصِلِينَ فِي السَّحَرِ.

قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ أَي: أَتَحَصَّنُ، وَالْأَمْرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَيَتَنَاوَلُ غَيْرَهُ مِنْ أُمَّتِهِ؛ لِأَنَّ أَوَامِرَ الْقُرْآنِ وَنَوَاهِيَهُ لَا تَخْصُ فَرْدًا دُونَ فَرْدٍ.

قوله: ﴿النَّاسِ﴾ أَصْلُهُ: إِمَّا (أَنَاسٌ)، حَذَفَتِ الْهَمْزَةُ، أَوْ: (نَوَسٌ) مَأْخُودٌ؛ إِمَّا مِنْ: (نَاسٍ): إِذَا تَحَرَّكَ، خُصَّ بِالْبَشَرِ لِأَنَّهُ الْمُتَحَرِّكُ الْحَرَكَةُ الْمَعْتَدَّةَ بِهَا، النَّاشِئَةُ عَنْ رُؤْيَا وَتَدَبُّرٍ، تَحَرَّكَتِ الْوَاوُ وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا قُلِبَتْ أَلِفًا، أَوْ مِنْ: (الْأَنَسِ) ضِدُّ (الْوَحْشَةِ)؛ لِأَنَّهُ يُؤَنَسُ بِهِ، أَوْ مِنْ: (النَّسْيَانِ)؛ لِكُونِهِ شَأْنَهُ وَطَبْعُهُ.

قوله: (خَالِقِهِمْ) أَي: مُوَجِّدِهِمْ مِنَ الْعَدَمِ.

قوله: (خُصُّوا بِالذِّكْرِ) أَي: وَإِنْ كَانَ رَبُّ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ.

قوله: (تَشْرِيفاً لَهُمْ) أَي: مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ تَعَالَى أَخْدَمَ لَهُمْ مَلَائِكَةً قُدْسِيَةً، وَجَعَلَ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ

مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾

وَمُنَاسِبَةٌ لِلْإِسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ الْمَوْسُوسِ فِي صُدُورِهِمْ.

(٢ - ٣) ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ - بَدَلَانِ أَوْ صِفَتَانِ أَوْ عَطْفًا بَيَانًا، وَأُظْهِرَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ فِيهِمَا زِيَادَةٌ لِلْبَيَانِ ..

حاشية الصاوي

جميعاً، وأمدّهم بالعقل والعلم، وكلّفهم بِخِدْمَتِهِ، فإن قاموا بتلك الوظيفة .. كان لهم العزُّ دُنْيَا وَآخِرَى، وإن لم يَقُومُوا بها .. رُدُّوا لِأَسْفَلِ السَّافِلِينَ، فلم يُساووا كَلْباً وَلَا خَنْزِيراً. وإذا علمتَ بذلك أَنَّهُ رَبُّ النَّاسِ .. فهو ربُّ غيرهم بِالْأَوَّلَى.

قوله: (وَمُنَاسِبَتُهُ لِلْإِسْتِعَاذَةِ .. إلخ) أي: فكأنّه قال: (أعوذ من شرِّ المَوْسُوسِ إِلَى النَّاسِ بِرَبِّهِمُ الْمَالِكِ لَهُمْ).

قوله: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ بِإِسْقَاطِ الْأَلْفِ هُنَا بِاتِّفَاقِ الْقُرَّاءِ، بِخِلَافِ (الْفَاتِحَةِ)؛ ففِيهَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ: ثُبُوتُ الْأَلْفِ، وَحَذْفُهَا^(١). وَمَعْنَى (الْمَلِكِ): الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمْ بِأَنْوَاعِ التَّصَرُّفَاتِ؛ مِنْ إِعْزَازٍ وَإِذْلَالٍ، وَإِغْنَاءٍ وَإِفْقَارٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

قوله: ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ هَذَا التَّرْتِيبُ بَدِيعٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ أَوَّلًا يَعْرِفُ أَنَّ لَهُ رَبًّا؛ لِمَا شَاهَدَهُ مِنْ أَنْوَاعِ التَّرَبُّيَّةِ، ثُمَّ إِذَا تَأَمَّلَ .. عَرَفَ أَنَّ هَذَا الرَّبَّ مُتَصَرِّفٌ فِي خَلْقِهِ، غَنِيٌّ عَنْ غَيْرِهِ، فَهُوَ الْمَلِكُ، ثُمَّ إِذَا زَادَ تَأَمُّلَهُ .. عَرَفَ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعْبَدُ إِلَّا الْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، الْمَفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ.

قوله: (زِيَادَةٌ لِلْبَيَانِ) حَاصِلُهُ: أَنَّهُ وَرَدَ إِشْكَالٌ، وَهُوَ لَمْ يَكُرَّرْ لَفْظُ (النَّاسِ) ثَانِيًا وَثَالِثًا وَلَمْ يَكْتَفِ بِضَمِيرِهِمْ مَعَ أَنَّ اتِّحَادَ اللَّفْظَيْنِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى مَعِيْبٌ كَالْإِيطَاءِ فِي الشَّعْرِ^(٢)؟ فَأَجَابَ الْمُفَسِّرُ بِقَوْلِهِ: (زِيَادَةٌ لِلْبَيَانِ)، وَهُوَ جَوَابٌ خَفِيٌّ، وَأَحْسَنُ مِنْهُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ التَّكَرُّارَ؛ لِإِظْهَارِ شَرَفِ النَّاسِ، وَتَعْظِيمِهِمْ، وَالْإِعْتِنَاءَ بِشَأْنِهِمْ؛ كَمَا أَنَّهُ حَسَنُ التَّكَرُّارِ التَّلَذُّدُ، وَإِظْهَارُ فَضْلِ الْمَكْرَرِ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ: [الطَوِيل]

مَحَمَّدٌ سَادَ النَّاسَ كَهَلًا وَيَافِعًا وَسَادَ عَلَى الْأَمْلاِكِ أَيْضًا مُحَمَّدٌ

(١) قرأ عاصم والكسائي: (مالك يوم الدين)، وقرأ الباقون بغير ألف. انظر «السراج المنير» (١/ ١٠).

(٢) الإِيطَاءُ فِي الشَّعْرِ: أَنْ يُكَرَّرَ الشَّاعِرُ كَلِمَةً يَعْينُهَا فِي الْقَافِيَةِ؛ بَحِثْ تَكُونُ الْكَلِمَتَانِ مُتَّفَقَتَيْنِ لَفْظًا وَمَعْنَى، قَبْلَ أَنْ يَفْصَلَ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ بَعْدُ مُعَيَّنٍ مِنَ الْآيَاتِ.

مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ

(٤ - ٥) ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ أي: الشَّيْطَانِ، سُمِّيَ بِالْحَدَثِ لِكَثْرَةِ مُلَابَسَتِهِ

حاشية الصاوي

مُحَمَّدٌ كُلُّ الْحُسْنِ مِنْ بَعْضِ حُسْنِهِ وَمَا حُسْنُ كُلِّ الْحُسْنِ إِلَّا مُحَمَّدٌ
 مُحَمَّدٌ مَا أَخْلَى شَمَائِلَهُ وَمَا أَلَذَّ حَدِيثاً رَاحَ فِيهِ مُحَمَّدٌ^(١)

وهذا على تسليم أنَّ المراد بالنَّاسِ في الجميع شيءٌ واحد، وأمَّا إن أُريدَ بالنَّاسِ الأوَّل: الصغار وأضيفوا لـ(الرب)؛ لاحتياجهم إلى التربية أكثر من غيرهم، وبالثاني: الشباب، وأضيفوا لـ(الملك)؛ لأنَّ شأنهم الطغيان والبطش، فهم محتاجون لملك يسوسهم، ويكسر هيجان شُبُوبَتهم، وبالثالث: الشيوخ، وأضيفوا لـ(الإله)؛ لأنَّ شأنهم كثرة العبادة؛ لِقُرْبِ ارتحالهم وقُدُومهم على ربِّهم وفناء شهواتهم، فهم أقرب من غيرهم لِلتَّعَلُّقِ بِالْإِلَهِ.. فلا اتَّحَادَ في المعنى.

قوله: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ متعلِّقٌ بِ﴿أَعُوذُ﴾.

إِنْ قُلْتَ: ما الحكمة في وصف الله تعالى في هذه السُّورَةِ نفسه بثلاثة أوصافٍ، وجعل الاستعاذِ منه شيئاً واحداً، وفي السُّورَةِ قبلها بعكس ذلك؛ لأنَّه وصَفَ نفسه بوصفٍ واحدٍ، وجعل الاستعاذِ منه أربعة أشياء؟

أُجِيب: بأنَّه في السُّورَةِ المتقدِّمة المستعاذُ منه أمورٌ تَضُرُّ في ظاهرِ البدن، وهنا وإن كان أمراً واحداً إلا أنَّه يَضُرُّ الروح، وما كان يَضُرُّ الروح يُهْتَمُّ بالاستعاذة منه.

إِنْ قُلْتَ: كان مقتضى الظاهر تقديم ما به الاهتمام وهو الاستعاذة مِنْ شرِّ الوسواس؛ إذ سلامة الروح مُقدِّمةٌ على البدن؟

أُجِيب: بأنَّ تقديم سلامة البدن وسيلةٌ لِلْمَقْصُودِ بِالذَّاتِ وهو سلامة الروح.

قوله: (سمي بالحدث) أي: المصدر، وقوله: (لكثرة ملابسته له) أي: مُلَازِمَتِهِ لِلْوَسْوَاسَةِ، فهو على حدٍّ: (زيدٌ عدلٌ)، وما ذَكَرَهُ المفسِّر ليس بمتعيِّن؛ فَإِنَّ (الوسواس) بالفتح كما يُستعمل اسمٌ مصدرٍ بمعنى: الحدث.. يُطْلَقُ على نفس الشَّيْطَانِ الموسوس، ويُطْلَقُ أيضاً على ما يَخْطُرُ بالقلب من الشر.

(١) قوله: (راح) كذا في الأصول، ولعلَّها: (راج).

الْخَنَاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوسَّوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾

لَهُ، ﴿الْخَنَاسِ﴾ لِأَنَّهُ يَخْنِسُ وَيَتَأَخَّرُ عَنِ الْقَلْبِ كُلَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ، ﴿الَّذِي يُوسَّوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾: قُلُوبِهِمْ إِذَا غَفَلُوا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ.

حاشية الصاوي

واعلم: أنَّ خواطر القلب أربعة: رحمانِي، ومَلَكِي، ونَفْسِي، وشَيْطَانِي؛ فالرَّحْمَانِي: ما يَلْزِمُ طَاعَةَ بَعِينِهَا، والمَلَكِي: ما يَلْزِمُ طَاعَةَ لَا بَعِينِهَا، والنَّفْسِي: ما يَلْزِمُ مَعْصِيَةَ بَعِينِهَا، والشَّيْطَانِي: ما يَلْزِمُ مَعْصِيَةَ لَا بَعِينِهَا، فتمسَّك بهذا الميزان.

قوله: (لأنَّه يَخْنِسُ) مِن باب: (دخل) أي: يَتَوَارَى ويختفي بعد ظُهوره المرَّة بعد المرَّة.

قوله: (كُلَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ) أي: فالذِّكْرُ له كالقَامِعِ الَّذِي يَقْمَعُ المَفْسَدَ، فهو شديد التُّفُورِ منه؛ ولهذا كان شَيْطَانُ الْمُؤْمِنِ هَزِيلًا، وعن بعض السَّلَفِ: (أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُضْنِي شَيْطَانُهُ كَمَا يَضْنِي الرَّجُلُ بَعِيرَهُ فِي السَّفَرِ)^(١)، قال قتادة: (الْخَنَاسُ لَهُ خُرُطُومٌ كَخُرُطُومِ الْكَلْبِ - وقيل: كَخُرُطُومِ الْخَنْزِيرِ - فِي صَدْرِ الْإِنْسَانِ؛ فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ.. خَنَسَ)^(٢)، ويقال: رَأْسُهُ كَرَأْسِ الْحَيَّةِ، وَاضْعُ رَأْسُهُ عَلَى ثَمَرَةِ الْقَلْبِ يَمْسُهُ وَيَحْدِثُهُ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ.. خَنَسَ وَتَأَخَّرَ، وَإِذَا غَفَلَ.. رَجَعَ.

وهل المراد الحقيقة، أو خُرُطُومُ الْكَلْبِ والخَنْزِيرِ كَنَايَةً عَنْ قَبْحِهِ وَخَسَّتِهِ وَنَجَاسَتِهِ، وَرَأْسُ الْحَيَّةِ كَنَايَةً عَنْ شِدَّةِ الْأَذْيَةِ، وَوَضْعُهُ عَلَى الْفَوَادِ كَنَايَةً عَنْ شِدَّةِ التَّمَكُّنِ؟ كُلُّ مُحْتَمَلٌ.

قوله: (إِذَا غَفَلُوا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) أي: بِقُلُوبِهِمْ وَلَوْ كَانُوا ذَاكِرِينَ بِالسِّتْتِهِمْ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْوَسْوَاسَةَ حَالَةٌ فِي الْقَلْبِ، فَلَا يَطْرُدُهَا إِلَّا الذِّكْرُ الْحَالُّ فِي الْقَلْبِ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الذِّكْرِ.. فَلَا تَسَلُّطُ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، وَلَا يَتْرِكُ الْإِنْسَانُ الذِّكْرَ اللَّسَانِيَّ إِذَا وَجَدَ الْغَفْلَةَ وَالْوَسْوَاسَ فِي قَلْبِهِ، بَلْ يَكْثُرُ الذِّكْرُ وَيَدِيمُهُ؛ فَلَعَلَّهُ يَسْتَيْقِظُ قَلْبُهُ وَيَنْوِّرُ، قَالَ الْعَارِفُونَ: (الذِّكْرُ اللَّسَانِيُّ كَقَدْحِ الزُّنَادِ، إِذَا تَكَرَّرَ.. أَصَابَ)، قَالَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ^(٣): [السرّيع]

اطْلُبْ وَلَا تَضْجَرِ مِنْ مَطْلَبِ فَاةُ الطَّالِبِ أَنْ يَضْجَرَ
أَمَا تَرَى الْحَبْلَ لَتَكَرَّارِهِ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ قَدْ أَثَرَا؟

(١) أوردته العلامة الخطيب في «السراج المنير» (٤/٦١٦)، وفي (ب): (يُفْنِي شَيْطَانَهُ كَمَا يُفْنِي الرَّجُلُ بَعِيرَهُ).

(٢) أوردته القرطبي في «تفسيره» (٢٠/٢٦٢).

(٣) البيت لبعض المولدين؛ كما في «شرح التصريح» (١/٦٠٩).

مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

﴿٦﴾ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ - بَيَانٌ لِلشَّيْطَانِ الْمُوسُوسِ أَنَّهُ جِنِّيٌّ وَإِنْسِيٌّ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، أَوْ ﴿مِنْ الْجِنَّةِ﴾ بَيَانٌ لَهُ وَ(النَّاسِ) عَطْفٌ عَلَى ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ -، وَعَلَى كُلِّ يَشْمَلُ شَرًّا لَبِيدٌ وَبَنَاتِهِ الْمَذْكُورِينَ. وَاعْتَرَضَ الْأَوَّلُ بِأَنَّ النَّاسَ لَا يُوسِسُ فِي صُدُورِهِمُ النَّاسُ، إِنَّمَا يُوسِسُ فِي صُدُورِهِمُ الْجِنُّ، وَأُجِيبَ حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: ﴿مِنْ الْجِنَّةِ﴾ اسمُ جنسٍ جمعيٌّ، يُفَرَّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ بِالْيَاءِ، فَيُقَالُ: (جَنٌّ وَجَنِّيٌّ) ك: (زِنَجٌ وَزَنْجِيٌّ)، وَغَالِبًا يُفَرَّقُ بِالنَّاءِ ك(تَمْرٌ وَتَمْرَةٌ)، وَزِيدَتْ النَّاءُ فِي (الْجِنَّةِ)؛ لِتَأْنِيثِ الْجَمَاعَةِ، سَمُّوا بِذَلِكَ؛ لِاجْتِنَانِهِمْ - أَي: اسْتِتَارِهِمْ - عَنِ الْعْيُونِ، وَهُمْ أَجْسَامٌ نَارِيَّةٌ هَوَائِيَّةٌ، يَتَشَكَّلُونَ بِالصُّوَرِ الشَّرِيفَةِ وَالْحَسِيسَةِ، وَتَحْكَمُ عَلَيْهِمُ الصُّورَةُ، وَتَقْدَمُ مَا فِيهِمْ^(١).

قوله: (بَيَانٌ لِلشَّيْطَانِ الْمُوسُوسِ) أَي: الْمَذْكُورُ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾؛ فَ(مِنْ): بَيَانِيَّةٌ مَشُوبَةٌ بِتَبْعِيضٍ؛ أَي: بَعْضُ الْجِنَّةِ، وَبَعْضُ النَّاسِ.

قوله: (كَقَوْلِهِ تَعَالَى... إلخ) أَي: وَيَشْهَدُ لَهُ حَدِيثُ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ»^(٢).

قوله: (وَالنَّاسِ) عَطْفٌ عَلَى ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ أَي: وَلَفْظُ ﴿شَرِّ﴾ مُسَلَّطٌ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: (مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الَّذِي يُوسِسُ وَهُوَ الْجِنَّةُ، وَمِنْ شَرِّ النَّاسِ)، وَعَلَيْهِ: فَالنَّاسُ لَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ وَسْوَةٌ.

قوله: (وَعَلَى كُلِّ) أَي: مِنَ الْإِحْتِمَالَيْنِ، وَقَوْلُهُ: (يَشْمَلُ) أَي: الشَّرُّ الْمُسْتَعَادُّ مِنْهُ شَرًّا لَبِيدٌ... إلخ.

قوله: (الْمَذْكُورِينَ) أَي: فِي السُّورَةِ السَّابِقَةِ، وَفِيهِ تَغْلِيْبُ الْمَذْكُورِ وَهُوَ لَبِيدٌ عَلَى الْمُؤَنَّثِ وَهُوَ بَنَاتُهُ.

قوله: (وَاعْتَرَضَ الْأَوَّلُ) أَي: وَهُوَ أَنَّهُ بَيَانٌ لِلشَّيْطَانِ الْمُوسُوسِ.

قوله: (لَا يُوسِسُ فِي صُدُورِهِمُ النَّاسُ) كَذَا فِي بَعْضِ النُّسخِ، وَالْمُنَاسِبُ كَمَا فِي بَعْضِهَا: (لَا يُوسِسُونَ فِي صُدُورِ النَّاسِ).

(١) انظر (٢/٥٢١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٣١/٣٥) عن سيدنا أبي ذر الغفاري رضي الله عنه بلفظ: «تَعَوَّذُ بِاللَّهِ يَا أَبَا ذَرٍّ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ».

بِأَنَّ النَّاسَ يُوسُوسُونَ أَيضاً بِمَعْنَى يَلِيْقُ بِهِمْ فِي الظَّاهِرِ، ثُمَّ تَصِلُ وَسْوَستُهُمْ إِلَى الْقَلْبِ وَتَثْبُتُ فِيهِ بِالطَّرِيقِ الْمُؤَدِّي إِلَى ذَلِكَ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

حاشية الصاوي

قوله: (بمعنى يَلِيْقُ بِهِمْ) أي: كالتَّيْمَةِ، وَيَخْنُسُونَ إِذَا زُجِرُوا.

قوله: (الْمُؤَدِّي) أي: الموصل إلى ثبوتها في القلب.

قوله: (والله أعلم) أشار بذلك إلى تمام القرآن، وفي ختم القرآن بهذه السورة إشارة حسنة، كأنه قيل: ما أنزلناه كافٍ، ما فرطنا في الكتاب من شيء؛ فلا تطلب بعده شيئاً، بل اقتصر على العمل به، واستعد بالله من الشيطان والحاسد؛ لأنَّ العبد إذا تَمَّتْ نعمة الله عليه.. كَثُرَتْ حُسَّادُهُ إِنْسَاءً وَجَنَاءً.

قيل: عدد حروف هذه السورة غير المكرر ثلاث وعشرون حرفاً، وكذا عدد (الفاتحة) بعدد السنين الذي أنزل فيها القرآن، وهو سِرٌّ بديعٌ، وأوّل القرآن: بَاءُ البسملة، وآخِرُهُ سِينُ (وَالنَّاسِ)، كأنه قال: (بِسْ) أي: تَمَّ وكَمَل.

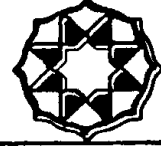


ثُمَّ أَعْلَمَ: أَنَّ الْجَلَالَ الْمَحَلِّيَّ ﷺ بَعْدَ أَنْ خَتَمَ هَذَا النِّصْفَ الْآخِرَ - وَابْتَدَأَهُ مِنْ سُورَةِ (الْكَهْفِ) - شَرَعَ فِي تَفْسِيرِ النِّصْفِ الْأَوَّلِ، وَأَوَّلُهُ سُورَةُ (الْفَاتِحَةُ)، فَقَالَ فِي شَرْوَعِهِ فِيهِ: (سورة «الفاتحة»... إلخ)، وَلَمْ يَفْتَتِحْ بِخُطْبَةٍ عَلَى عَادَةِ الْمُؤَلِّفِينَ، مُشْتَمِلَةً عَلَى حَمْدٍ وَصَلَاةٍ عَلَى النَّبِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ قَصْداً للاختصار، وَرَوْماً للاقتصار عَلَى مَحَظِّ الْفَائِدَةِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ تَفْسِيرِ سُورَةِ (الْفَاتِحَةِ).. تَوَقَّيَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَيَّضَ اللَّهُ تَلْمِيزَهُ الْجَلَالَ السِّيَوطِيَّ لِتَتِمِّمَ تَفْسِيرَهُ، فَابْتَدَأَ بِأَوَّلِ سُورَةِ (البقرة)، وَخَتَمَ بِ(الإسراء)؛ كَمَا ذَكَرَ فِي خُطْبَتِهِ، فَصَارَ تَفْسِيرُ (الفاتحة) فِي نُسْخِ «الجلال» مضموماً لتفسير آخر القرآن، لا لأَوَّلِهِ؛ لِيَكُونَ تَفْسِيرُ الْمَحَلِّيِّ مضموماً بَعْضُهُ لِبَعْضٍ^(١)، رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْجَمِيعِ، وَنَفَعْنَا بِهِمْ.



(١) وَقَدْ نَبَّهْنَا فِي الْمَقَدِّمَاتِ إِلَى مَخَالَفَتِنَا لِذَلِكَ فِي هَذِهِ الطَّبْعَةِ، وَذَكَرْنَا السَّبَبَ الدَّاعِيَ لِذَلِكَ.

خاتمة نسأل الله حسنها في آداب تتعلق بالقرآن



- منها: أَلَّا يَمْسُهُ إِلَّا طَاهِرًا، قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩].
- ومنها: أَنَّ التَّالِيَّ يَتَطَيَّبُ لَهُ، وَيَسْتَاك؛ لقول يزيد بن أبي مالك: (إِنَّ أَفْوَاحَكُمْ مِنْ طُرُقِ الْقُرْآنِ، فَطَهِّرُوهَا وَنَظِّفُوهَا مَا اسْتَطَعْتُمْ)^(١).
- ومنها: أَنْ يَسْتَوِيَ لَهُ قَاعِدًا، وَلَا يَكُونُ مُتَكِنًا.
- ومنها: أَنْ يَلْبَسَ ثِيَابَ التَّجَمُّلِ؛ كَمَا يَلْبَسُهَا لِلدُّخُولِ عَلَى الْمُلُوكِ؛ لِأَنَّهُ مُنَاجٍ رَبَّهُ^(٢).
- ومنها: أَنْ يَسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ؛ لِأَنَّهَا أَشْرَفُ الْمَجَالِسِ.
- ومنها: أَنَّهُ إِذَا تَنَاءَبَ.. يُمَسِّكُ عَنِ الْقِرَاءَةِ حَتَّى يَذْهَبَ تَنَاقُؤُهُ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ.
- ومنها: أَنْ يَسْتَعِيزَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ عِنْدَ ابْتِدَاءِ الْقِرَاءَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي أَوَّلِ سُورَةٍ، وَيُسْمَلُ إِنْ كَانَ فِي أَوَّلِ سُورَةٍ، وَإِلَّا.. فَيُخَيَّرُ.
- ومنها: إِذَا أَخَذَ فِي الْقِرَاءَةِ.. لَمْ يَقْطَعْهَا لِمُكَالِمَةِ أَحَدٍ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ.
- ومنها: أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَى تَوْدَةٍ وَتَرْتِيلٍ وَتَدْبِيرٍ؛ حَتَّى يَعْقِلَ مَا يُخَاطِبُهُ بِهِ رَبُّهُ، فَيَرْغَبُ فِي الْوَعْدِ، وَيَخَافُ عِنْدَ الْوَعِيدِ.
- ومنها: إِذَا انْتَهَتْ قِرَاءَتُهُ يَقُولُ: (صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ، وَبَلَغَ رَسُولُهُ الْكَرِيمُ، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ).
- ومنها: أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى التَّرْتِيبِ، وَلَا يُنْكَسَ.
- ومنها: أَنْ يَضَعَ الْمَصْحَفَ عَلَى مَكَانٍ طَاهِرٍ مُرْتَفِعٍ، أَوْ فِي حَجَرٍ.
- ومنها: أَلَّا يَمْحُو^(٣) الْقُرْآنَ مِنَ اللَّوْحِ بِالْبُصَاقِ، وَلَكِنْ يَغْسِلُهُ بِالْمَاءِ، وَيَشْرَبُ الْغُسَّالَةَ؛ بِقَصْدِ الْإِسْتِشْفَاءِ، أَوْ يَدْفِنُهَا فِي مَكَانٍ طَاهِرٍ بَعِيدٍ عَنْ مَرِّ الْأَقْدَامِ.

(١) وروى أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٩٦/٤) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَفْوَاحَكُمْ طُرُقُ الْقُرْآنِ، فَطَهِّرُوهَا بِالسَّوَاكِ».

(٢) في الأصول: (مناجي ربّه) على الإشباع، والمثبت من (ط) ٢.

(٣) في (ب): (يمسح) بدل (يمحو).

ومنها: أَلَّا يَتَّخِذَ الصَّحِيفَةَ إِذَا بَلَّيْتُ، بَلْ يَمْحُوهَا بِالْمَاءِ، وَيَفْعَلْ بِهَا مَا تَقَدَّمَ.

ومنها: أَنْ يَعْطِيَ عَيْنَيْهِ حَظَّهُمَا مِنَ النَّظَرِ فِي الْمَصْحَفِ؛ فِي الْحَدِيثِ: قَالَ ﷺ: «أَعْطُوا أَعْيُنَكُمْ حَظَّهَا مِنَ الْعِبَادَةِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَمَا حَظُّهَا مِنَ الْعِبَادَةِ؟ قَالَ: «النَّظَرُ فِي الْمَصْحَفِ، وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ، وَالْإِعْتِبَارُ عِنْدَ عَجَائِبِهِ»^(١)، وَقَالَ ﷺ: «أَفْضَلُ عِبَادَةٍ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ نَظْرًا»^(٢).

ومنها: أَلَّا يَتَأَوَّلَ الْقُرْآنَ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا يَعْرِضُ لَهُ؛ كَقَوْلِ الرَّجُلِ إِذَا جَاءَهُ أَحَدٌ: ﴿جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَمُوسَى﴾ [طه: ٤٠]، وَكَقَوْلِهِ لِضُيُوفِهِ مَثَلًا: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

ومنها: أَلَّا يَقْرَأَ الْقُرْآنَ بِاللَّحَنِ الْغَنَاءِ كُلُّهُنَّ أَهْلُ الْفُسْقِ.

ومنها: أَنْ يُجَوِّفَ حَظَّهُ إِذَا كَتَبَهُ.

ومنها: أَلَّا يَقْرَأَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَفِي مَوَاطِنِ اللَّغَطِ، وَمَجْمَعِ السَّفَهَاءِ، وَالتَّعَرُّضِ بِتِلَاوَتِهِ لِسُؤَالِ الْخَلْقِ.

ومنها: أَلَّا يُصَغِّرَ الْمَصْحَفَ؛ فَإِنَّهُ رَدَّ النَّهْيِ عَنْ تَصْغِيرِ الْمَسْجِدِ وَالْمَصْحَفِ^(٣).

ومنها: أَلَّا يَكْتُبَ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَا عَلَى حَائِطٍ؛ كَمَا يَفْعَلُ فِي الْمَسَاجِدِ؛ فِي الْحَدِيثِ: (مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكِتَابٍ فِي أَرْضٍ، فَقَالَ لِشَابٍّ مِنْ هُذَيْلٍ: «مَا هَذَا؟» قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ، كَتَبَهُ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، لَا تَضَعُوا كِتَابَ اللَّهِ إِلَّا مَوْضِعَهُ»^(٤)، وَرَأَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَلَدَهُ يَكْتُبُ الْقُرْآنَ عَلَى حَائِطٍ، فَضَرَبَهُ^(٥).

ومنها: أَنْ يَفْتَتِحَهُ كُلَّمَا خَتَمَهُ؛ حَتَّى لَا يَكُونَ كَهَيْئَةِ الْمَهْجُورِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَتَمَ الْقُرْآنَ.. يَقْرَأُ مِنْ أَوَّلِهِ قَدْرَ خَمْسِ آيَاتٍ، وَقَالَ ﷺ لِرَجُلٍ يَسْأَلُهُ عَنْ أَفْضَلِ الْعَمَلِ فَقَالَ: «عَلَيْكَ

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٢٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (١٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (٧٨/٦) عن سيدنا عبادة بن الصامت ﷺ، وروى القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص ١٠٤) عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ نَظْرًا عَلَى مَنْ يَقْرُؤُهُ ظَاهِرًا كَفَضْلِ الْفَرِيضَةِ عَلَى النَّافِلَةِ».

(٣) روى أبو داود في «المصاحف» (ص ٣٠٨) عن إبراهيم قال: (كَانُوا يَكْرَهُونَ تَصْغِيرَ الْمَصْحَفِ، وَالتَّعْشِيرَ، وَالفَوَاتِحَ).

(٤) رواه الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (٨٦/٦) عن سيدنا عمر بن عبد العزيز مرسلاً.

(٥) رواه الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (٨٦/٦) عن محمد بن الزبير.

بالحال المرتحل»، قال: وما الحال المرتحل؟ قال: «صاحب القرآن يضرب من أوله حتى يبلغ آخره، ثم يضرب في أوله؛ كلما حل.. ارتحل»^(١).

ومنها: إذا اختتم القرآن.. يجمع أهله، ويدعو بخير الدارين؛ كما كان السلف الصالح يفعلونه؛ لإجابة الدعاء عند ختمه؛ كما هو مذكور في الأحاديث الصحيحة^(٢).

ومنها: إذا كتبه وشربه.. ينوي به الشفاء من كل داء، ويلوغ الآمال من كل خير؛ فإن الله يؤتيه على قدر نيته.

ومنها: إذا كتبه حرزاً.. فليجعله في غمدٍ يحفظه من كل أذى؛ كجلدٍ محيط به ونحوه. انتهى ملخصاً من «القرطبي»^(٣).

وهذا آخر ما قدّر الله تعالى من هذا التعليق الشريف، ولم يكن في ظني أن يجيء على هذا المنوال المنيف؛ لقصور باعي، وفتور همّتي، وضعف ذهني، ولكن فضل الله تعالى حصل بواسطة نبيه المصطفى ﷺ، وأشياخنا الكرام، بدور الظلام، فجاء ذلك التعليق متضمناً ما في أصله وفائقاً، صغير الحجم سهل الألفاظ رائقاً، كافياً للمقتصر عليه، شافياً للنّاظر فيه بعين الرضا، وافياً بالمطالب كلّها معقولاً ومنقولاً، شريعة وطريقة وحقيقة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيّد المخلوقات، وعلى آله وأصحابه السّادات، وعلى أشياخنا ولا سيما أبي البركات^(٤).

تم بحمد الله وعونه يوم الثلاثاء المبارك، لأربع بقين من شهر ربيع الثاني سنة (١٢٢٨) ثمان وعشرين بعد المئتين والألف من هجرته عليه الصلاة والسلام.

ووافق كمال هذه النسخة المباركة ضحوة يوم الاثنين المبارك، الثامن من شهر رمضان المعظم الذي هو من شهور سنة (١٢٣٠) ثلاثين بعد المئتين والألف من هجرته ﷺ، كتبها بيده المذنية الفانية، فقير عفو ربّه ولطفه: قاسم بن حميدة بن السيد غازي الشيشني المالكي، من أتباع المؤلف

(١) رواه الترمذي (٢٩٤٨) عن سيدنا ابن عباس ؓ.

(٢) روى الدارمي في «مسنده» (٣٥٢٥) عن الحكم عن مجاهد قال: بعث إليّ قال: (إنما دعوناك أننا أردنا أن نختم القرآن، وإنه بلغنا: أن الدعاء يستجاب عند ختم القرآن)، قال: فدعوا بدعوات.

(٣) «تفسير القرطبي» (٢٧/١) وما بعدها.

(٤) يعني شيخه العارف بالله أبا البركات أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهرى الخلوتي، الشهير بالدردير ؓ ونفعنا به.

إن شاء الله تعالى، غفر الله له ما جنّاه، وبلغه ما يتمنّاه في دُنياه وأُخراه، وآمنه من الفزع يوم لقاه،
 ووالديه ومشايخه وإخوانه والمسلمين أجمعين^(١).

والحمد لله رب العالمين



(١) وجاء في خاتمة النسخة (ب): (وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة الشريفة يوم الاثنين المبارك، اثنين وعشرين خلت من شهر القعدة، سنة ١٢٧٦ بعد المئتين وألف من هجرته عليه الصلاة والسلام، على يد مالكها).

فهرس السور



٥	سُورَةُ الْحَشْرِ
٢٩	سُورَةُ الْمُتَحَنِّنِ
٤٧	سُورَةُ الصَّفِّ
٥٩	سُورَةُ الْجُمُعَةِ
٦٩	سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ
٧٩	سُورَةُ النَّحْلِ
٨٩	سُورَةُ الطَّلَاقِ
١٠٧	سُورَةُ التَّجْوِيدِ
١٢٣	سُورَةُ الْمَلِكِ
١٤٣	سُورَةُ الْقَلَمِ
١٦٧	سُورَةُ الْحَاقَّةِ
١٨٣	سُورَةُ الْمَعَارِجِ
١٩٥	سُورَةُ نُوحٍ
٢٠٧	سُورَةُ الْخُرُوجِ
٢٢٣	سُورَةُ الزُّمَرِ
٢٣٧	سُورَةُ الْكَافِرَاتِ
٢٥٥	سُورَةُ الْفَيْيَاضِ

٢٦٥	سُورَةُ الْاِنشِرَاقِ
٢٨١	سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ
٢٩١	سُورَةُ النَّبَاِ
٣٠٣	سُورَةُ النَّازِعَاتِ
٣١٧	سُورَةُ عَبَسَ
٣٢٧	سُورَةُ التَّكْوِيْنِ
٣٣٥	سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ
٣٤١	سُورَةُ الْمُطَفِّفِيْنَ
٣٥٣	سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ
٣٥٩	سُورَةُ الْبُرُوجِ
٣٦٩	سُورَةُ الطَّارِقِ
٣٧٥	سُورَةُ الْاَعْلٰى
٣٨١	سُورَةُ الْغَاشِيَةِ
٣٨٩	سُورَةُ الْفَجْرِ
٤٠٣	سُورَةُ الْبَلَدِ
٤١١	سُورَةُ الْشَمْسِ
٤١٧	سُورَةُ الْاَلْيَافِ
٤٢٥	سُورَةُ الْاَضْحٰى
٤٣٥	سُورَةُ الْاَشْرَافِ
٤٤١	سُورَةُ الْاَتِيْنِ

٤٤٥	سُورَةُ الْعَلَقِ
٤٥٥	سُورَةُ الْفَلَقِ
٤٦٥	سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ
٤٧٣	سُورَةُ الزَّلَازِلِ
٤٧٩	سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ
٤٨٥	سُورَةُ الْقَلَمِ
٤٩١	سُورَةُ التَّكْوِيْنِ
٤٩٧	سُورَةُ الْغَاثِ
٥٠١	سُورَةُ الْهُمَزَةِ
٥٠٧	سُورَةُ الْفَيْثِ
٥١٥	سُورَةُ الْقُرْشِ
٥٢١	سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ
٥٢٥	سُورَةُ الْكَوْفَةِ
٥٢٩	سُورَةُ الْكَافُرِينَ
٥٣٣	سُورَةُ الْيَصْرِ
٥٤١	سُورَةُ الْمَسَدِ
٥٤٧	سُورَةُ الْاِخْلَاصِ
٥٥٣	سُورَةُ الْفَالِقِ
٥٦١	سُورَةُ النَّاسِ
٥٦٧	الخاتمة